جمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمعاصي في القرن الثاني عشر هجري

إعداد

عالم الآثار محمد علي أبو الفضل

مدير وحدة الدراسات الإسلامية والدراسات

كلية الملك فيصل الجامعية

دار المبتكر

منشورات اللغوية الموسيقية
إجماليات القومية العربية
ومؤلفاتها من الإسلام والمسلمين
في القرن الثاني عشر الهجري

إعداد
وخالد مواصلات محمد الكحلاوي
منشأة وحدة الدراسات الإسلامية والإنسانية
بكلية الملك فيصل الجامعية

الجزء الأول

دار المبادرة
للنشر والتوزيع
اجتماعات القومية العربية
されました بالإجماع والمصادقة
في الجمهورية اليمنية
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
dل-Year خالد بن إبراهيم بن عبد الله

الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين في
القرن الرابع عشر الهجري، خالد الدبيان، الرياض 1424 هـ

106 ص، 17×24 سم
ردمك 3-2-9483-996-0

الإسلام والقومية 2. الإسلام والمذاهب السياسية

العنوان
د.وي 20054 1424/6/23

الطبعة الأولى
1424/6/23
ردمك 3-2-9483-996-0

رقم الإيداع 1424/6/2004

دار المまたは للنشر والتوزيع

17356، الرياض 11484، المملكة العربية السعودية
هاتف 050، ص. 401، فاكس 8347، جوال 050837688

www.dar-almuslim.com

جميع الحقوق محفوظة

لا يحق طباعة هذا الكتاب أو أي جزء منه أو نسخه أو تصويره أو الاقتباس منه أو تخزينه على أي جهاز كمبيوتر أو نشره بآية
طريقة إلكترونية أو غيرها إلا بإذن خطي من الناشر، تحت طالفة المسائلة القانونية في الدنيا والآخرة.
أصل هذا الكتاب
رسالة دكتوراه قدمت إلى قسم العقيدة
فكلية الدعوة وأصول الدين في جامعة
أم القرى بجامعة المكرمة.
ونوقشت عام 1420 هـ / وحصل الباحث
على تقدير ممتاز مع درجة التفوق.
مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعود بالله من شرور أنفسنا وسبيقات أعمالنا، من بهذا الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وخيره من خلقه، وأمينه على وحيه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ورضي الله تعالى عن الصحابة الميمين وعلى من سار على نهجهم واتبع طريقتهم إلى يوم الدين.

(1) يَتَّبِعُوا الْذِّنِينَ ءَامَّنُوا أَنْقُوْا اللَّهُ حَقَّ نِعْمَتِهِ وَلَا تُؤْتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ

(2) يَتَّبِعُوا الْذِّنِينَ أَنْقُوْا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زُوجَتَهَا وَبَشَّرَنَّاهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنَسِئًا وَأَنْقُوْا اللَّهُ الَّذِي تَسَاءَلُونَ مَعَهُ وَالْأَرْحَامِ

(3) إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا

(4) يَتَّبِعُوا الْذِّنِينَ ءَامَّنُوا أَنْقُوْا اللَّهُ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا يُصِلِّحُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيُغَفِّرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ مَّنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْرًا عَظِيمًا

(1) سورة آل عمران، رقم الآية (101).
(2) سورة النساء، رقم الآية (1).
(3) سورة الأحزاب، رقم الآية (70-71).
أما بعد:


بين هذه الحديث الصحيح الداء والدواء. فينص الرسول ﷺ الداء بأنه سيظهر في الأمة دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوها فيها، وهم من جلدتنا ويتكلمون باللينا، وفي مقابل هذا الداء بين الدواء وهو لزوم جماعة المسلمين وإمامهم. فإن لم يكن هناك جماعة ولا إمام، فوجب اعتزال الفرق ودعاة النار.

(1) صحيح البخاري - كتاب الفتن - باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، رقم الحديث (1557).
وقد مررت فترات من تاريخ الأمة الإسلامية تعرضت فيها الأمة لسهام الأعداء في أعظم قضايا تتعلق بوجودها وتمكينها في الأرض، ألا وهي مسألة العقيدة، فمرة محاولةً لتبديل النهج الرباني بمنهج عقلي، وأخرى: بيث الشهيد في مصدر تلقين العقيدة، ومرةً تحت ستار شعارات براقة ظاهرها السلامُ وباطنها الكفر والزندقة.

ومن ضمن المراحل التاريخية التي تعرضت فيها الأمة الإسلامية لهجوم شرس من كيد الأعداء؛ مرحلة نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر الهجري، والذي برزت فيه أفكار تدعو إلى وحدة الأمة تحت شعار جاهلي هو شعار القومية العربية، وحرية مطلقة وعقيدة وثيقة.

وتولى تصدير هذه المبادئ ونادي بما جمعيات سمّت نفسها «جمعيات إصلاحية» ولتحقيق مآربها قامت بوضع منهج لها حددت فيه:

أ— أهداف الجمعيات الإصلاحية.

ب— شروط الالتحاق بالجمعيات.

ج— المطالبة بالاستقلال والانفصال عن الدولة العثمانية.

د— أساليب التعامل مع المعارضين لأهداف الجمعيات...

فكان نهج هذه الجمعيات وما قدمته من طروحات أكثر عظيم على عقيدة الأمة الإسلامية، وعلى الطبقة المثقفة والشابة منها خاصة. وفتحت هذه الطبقة
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

بشعورات براقة وساعدة على تقبل هذه الشعارات الواقع الافرازي الذي تعايشه الأمة في القرن الرابع عشر الهجري.

ورغبة في كشف حقيقة مبادئ ونظم وأعضاء الجمعيات القومية العربية، فقد احترف هذا البحث: (الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين في القرن الرابع عشر الهجري) موضوعًا لرسالة الدكتوراه في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى. وذلك للأسباب التالية:

أسباب اختيار الموضوع:

أولاً: تسليط الضوء على حقبة زمنية من تاريخ أمتنا الإسلامية عرست عليها أفكار ومعتقدات تخلف الكتاب والسنة.

ثانياً: بيان المناهج والمعتقدات التي تنادي بها الجمعيات التي تسمي نفسها جمعيات إصلاحية، وعرضها على الكتاب والسنة.

ثالثاً: توضيح وبيان الأبعاد الفكرية والعقديّة التي تسعى إلى تحقيقها الجمعيات القومية العربية.

رابعاً: كشف دور الجمعيات القومية العربية في القضاء على مفهوم الخلافة الإسلامية وإسقاط الدولة العثمانية التي تنادي بالخلافة الإسلامية. ودور الجمعيات القومية في هيمنة الدول الاستعمارية على بعض البلاد الإسلامية.
الجمعيَّات القوميَّة العربيَّة ومواقفها من الإسلام والمسلمين

خامسًا: الاقتضاء بسلف الأمة في بيان معتقدات وأباطيل أهل البدع والزناة، كما في كتاب الأئمة أحمد بن حنبيل، ومجيى بن معين، واللالكاني، وابن بطّانة ... انك عليهم رحمة الله تعالى.

سادسًا: التعريف بأعضاء الجماعيَّات القوميَّة العربيَّة، كمن كان لهم دور في تطوير أنظمة وقوانين الجمعية خاصة.

وقد بين الشاطبي المنهج الشرعي في كشف أهل البدع بأسمائهم، فقال: (لا ينبغي للراشخ في العلم أن يقول هؤلاء الفرق هم بنو فلان وبنو فلان، وإن كان يعرفهم بعلامتهم بحسب اجتهاده، اللهم إلا في موطنين:

الأول: حيث نهى الشرع على تعيينهم كالمخرجو لفظ »أبو راشد، فإنه ظهر من استقرائه أهل متمكنون تحت حديث الفراق، ويجري مشرموه من سلك سبيلهم.

الثاني: حيث تكون الفرق تدعو إلى ضلالتها وترزينها في قلوب العوام ومن لا علم عنه، فإن ضرر هؤلاء على المسلمين كضرر إبليس، وهو من شياطين الإنس، فلا بد من التصريح بأغلبهم من أهل البدعة والضلالة، ونسبتهم إلى الفرق إذا قامت له الشهود على أغلب منهم ... فمثل هؤلاء لا بد من ذكرهم والتشريد.

---

(1) يقصد الشاطبي رحمه الله بحديث الفراق قول الروسول ﷺ: (اتهمت القيود على إحدى أو نتين، وسبعين فرقة، وسبعين التصارى على إحدى أو نتين، وسبعين فرقة، وسبعين أمنى على ثلاث). [سند: ابن داود، وكاب، سنة باب شرح السنة، رقم الحديث (398)، وانظر: مسند الإمام أحمد بن حنبيل، والHANDLE، سنة ماجدة، وكاب الفتن، باب افتراق الأمام، رقم الحديث (398)]
لقد واجهته أثناء بحثي في موضوع الجمعيات القومية العربية صعوبات

أسأل الله أن يجعل بيني عن أي أمور قائمة في اجتيازها خير الجزاء، فمن ذلك:

1- أن بعض أمور الجمعيات القومية العربية تتسم بالسيرة النائمة، مما يجعل التعريف بحقيقة الجمعيات وبين مبادئها السرية من الأمور المتعددة.

2- لاقيت أثناء كتابة التعريف بين الجمعيات القومية شخصيات كان لها دور مؤثر في الحركة العلمية المعاصرة لتحقيق بعض كتب السلف ومشرفة.

وكان لهذه الشخصيات دور بارز في السعي إلى تأسيس الجمعيات القومية العربية، مما جعلني أطلق أولاً من نسبة بعض الآراء إليها. مع التأكيد على أن الله قد كتب العصمة لرسله، وكما قال بعض السلف عن أنفسهم (كل يأخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذا القدر) مشيراً إلى قبر رسول الله ﷺ.

---

(1) الاعتصام-المؤرخ-226/229-دار المعرفة-بيروت-لبنان.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

3 - أن كثيرة من الدراسات العلمية كتبتها أصحابها تحت تأثير النزعة القومية العربية، مما يجعل الاستفادة من هذه الدراسة محدودة في جوانب معينة.

4 - ظهور تناقض واضح في مواقف أعضاء الجمعيات القومية العربية في كثير من الحالات التي يجب أن تتخذ فيها مواقف محددة، والتناقض والاختلاف في اتخاذ المواقف المحددة يؤثر في تقويم مواقف الجمعيات من الأحداث.

5 - مواقف العلماء المعاصرين للجمعيات القومية تجاه آراء ومبادئ الجمعيات من أهم ما يفيد الباحث ويساعده، ولكن للأسف بعد البحث تبين لي ندرة المواقف الحاسمة والفتاوى القاطعة من مبادئ الجمعيات، وذلك لفسو تيار القوميات وتعاون أربابها فيما بينهم على إسقاط كل من يعارضهم غالباً، ولقيام دول تنبنى هذه المذاهب، وكثير من الناس يساريهم أو يغض الطرف عنهم رغبة أو رهبة.

ولكن الحق لا يضع بالكلية، كما قال رسول الله ﷺ: (لا يزال طائفة من أمسي ظاهرين حتى يأتينهم أمر الله وهم ظاهرون) وقائج البخاري: وهم أهلال العلم (2) فقد أبقى الله من العلماء رغم قلتهم - شوكة في حلق القوميين كما سيوضح في نهاية البحث.

---

(1) صحيح البخاري - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة-باب قول الله ﷺ: لا تزال طائفة من أمسي ظاهرين على الحق يقاتلون - رقم الحديث (1767).
(2) المصدر نفسه.
إن الحـيرة التي كانت تمتلكني — إزاء الأخطاء الإملائية واللغوية والنحوية — وضعـع السـبب في الكلام الذي اقتبسته من كتب القوميين كبيرة— فكـنت ارتـدـد بـين ما تمليه الأمانة العلمية في نقل النصوص؛ من تركها على حاـله، وبيـن ما ينبغي أن يكون عليه النص سليماً، فهديت إلى أن أصحح ما كان جسيـماً من الخطأ وـما يكتمل به المعنى المراد دون مساس بـفكرته الجوهريـة.

ومعلوم أن هذا الضرب من الكتب، دون الكتب العلمية التي تحظى بالعناية من أصحابها ومن قبل أهل المطبوع، فضلاً عن أن أغلب كاتبيها من غير المتخصصين وـيكتبون بلغة الصحفي والسياسي.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والسلبي

خطة البحث:

بعد توفيق الله تعالى ثم توجيه وإرشاد شيخي الفاضل الدكتور علي بن نفيع العلياني، المشرف على الرسالة، احتوت خطة الرسالة على: مقدمة وتمهيد وأربعة أبواب، وخاتمة.

أما المقدمة فقد أخذ فيها إلى الموضوع، وأهميته والأسباب التي دعت إلى اختياره، وبعض ما اعترضه من عقبات.

وأما التمهيد: فقد اشتمل على الأمور التالية:

أولاً: الدراسات الموجودة عن موضوع الجمعيات القومية العربية، وجرى تقسيمها إلى قسمين:

القسم الأول: الدراسات العلمية عن هذا الموضوع، وأقصد بالدراسات العلمية: الرسائل والأبحاث العلمية التي استطاعت الإطلاق عليها.

القسم الثاني: الكتب التي أصدرها أعضاء الجمعيات القومية العربية في موضوع الجمعيات. وتعتبر مذكرات أولئك الأعضاء من أهم مصادر التعريف بنظم ومبادئ تلك الجماعات.

ثانياً: عرض موجز للحالة العقدية للأمة الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري.
الأهداف العامة للجمعيات القومية العربية.

سعت الجمعيات القومية العربية لتحقيق مآرب وأهداف، تطمع في تحقيقها على واقع الأمة، إذ بنيت هذه الأهداف التي صرح المؤسسين عن بعضها.

الفصل الثالث: الأهداف العامة للجمعيات القومية العربية.

وانتسحابها إلى قسمين: أسباب رئيسة، أسباب فرعية.

الفصل الثاني: أهم أسباب نشوء هذه الجمعيات:

بينت في هذا الفصل أبرز أسباب نشأة الجمعيات القوميَّة العربيَّة،

الفصل الأول: التعرف بجمعيات القوميَّة العربيَّة.

وقد ذكرت جمعيات قبل هذا التاريخ وذلك لأهميتها وارتباطها بالجمعيات القوميَّة، كما عرفت بحزب البعث العربي وذلك لموقعه المؤثر في تاريخ الفكر القومي، وما يحتوي التعرف بجمعية: نظام الجمعية، وذكر المؤسسين لها، وتاريخ التأسيس، وأبرز الأعضاء.

والجمعيات القوميَّة التي عرفت بما هي: الجمعيات التي كانت في الفترة التاريخية منذ إعلان الدستور العثماني وقيام الدولة العربيَّة الأولى في دمشق والحجاز.

وقد عقدت فيه أربعة قصور:

الفصل الأول: التعرف بجمعيات القوميَّة العربيَّة.

أما الباب الأول: كان موضوعه: التعرف بالجمعيات القوميَّة العربيَّة وأبرز رجاليها ومبادئها.

الجمعيات القوميَّة العربيَّة وموقفها من الإسلام والمسلمين
الفصل الرابع: أبرز رجال الجمعيات القومية في القرن الرابع عشر.

كانت بعض الآراء والأفكار التي نادى بها بعض مفكري العرب في القرن الرابع عشر الهجري عاملاً من عوامل تأسيس أهداف الجمعيات القومية، ولذا خصصت هذا الفصل لترجمة بعض رجال الجمعيات القومية العربية، وتناولت في الترجمة الأمور التالية:

1. تعريف موجز بالشخصية الذاتية.
2. اتجاهها العقدي.
3. أهدافها وآراؤها في القومية.
4. آثارها العلمية والعملية في تأسيس الجمعيات القومية العربية.

أما الباب الثاني فموضوعه: موقف الجمعيات القومية من العقيدة الإسلامية.

وفي خمسة فصول:

الفصل الأول: موقف الجمعيات من مصادر العقيدة الإسلامية:
وقُد عرضت في هذا الفصل موقف الجمعيات القومية العربية من مصادر العقيدة وهي:

الفصل الثاني: موقف الجمعيات من أصول العقيدة الإسلامية:
وبعد بيان وعرض موقف الجمعيات القومية من مصادر العقيدة، عرضت أيضاً موقفها من أصول العقيدة، حيث قسمت هذا الفصل إلى مباحث وهي كالآتي:

أولاً: موقفهم من التوحيد. والكفر بما ينافض توحيد الطلب والقصد

ويشمل ما يلي:

1. موقفهم من توحيد الأديان

2. موقفهم من تحكيم الشريعة، وتعديهم لقوانين الجاهلية.

ثانياً: عقيدة الولاء والبراء.

ثالثاً: نبوة النبي محمد وسيرته ﷺ.

الباب الثالث: موقف الجمعيات القومية العربية تجاه الدعوات الإصلاحية المعاصرة لها. وينقسم هذا الباب قسمين:

القسم الأول: موقفهم من الدولة العثمانية والخليفة الإسلامية.

القسم الثاني: موقفهم من دعوة الشيخ محمد بن عبدالله.

الباب الرابع: موقف العلماء المعاصرين من هذه الجمعيات.

---

(1) انظر: مدارج السالكين بين منزل إياك نعبد وإياك نستعين- ابن القيم-449/3-دار الكتب العربي-بيروت-لبنان-1392هـ.
بعد بيان المبادئ والقوانين، وتوضيح المواقف من مسائل العقيدة، ختمت البحث بموقف العلماء المعاصرين من هذه الجماعات، ثم ببنت دور العلماء في تجريد الأمة من الأفكار والمعتقدات المنحرفة.

الخاتمة: وقد أُفيت الموضوع بخاتمة موجزة حوت أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

منهجية البحث:

الحقيقة أن البحث موضوع واحد ذو شقين.

أوهمها: التعريف بالجماعات القومية.

وثانيهما: موقف هذه الجماعات من الإسلام والمسلمين، وانتظمت مادة البش في ذلك من خلال اعتماد المناهج التالية:

أولاً: المنهج التاريخي: وهذا المنهج سلكته في كتابة الباب الأول من الرسالة، حيث جرى الحديث عن تاريخ وتتبع أطوار نشأة الجماعات القومية، ومسيرة موجزة عن أبرز المؤسسين لها.

وقد بذلت قدرًا من الجهد في محاولة التوفيق بين أقوال أعضاء الجماعات القومية العربية المدونة في مذكراتهم الخاصة وبين نظام ومبادئ الجماعات.

ومن أهل أن يكتمل التعريف بالجماعات القومية العربية وأسباب نشأتها.

فقد عرفت بأهم الجماعات التركية، وذلك لارتباطها بأشكال النشأة.
ورغم النتيجة في بيان تأثير المدارس التنويرية والمحافل الماسونية على الجمعيات القومية، فقد أثرت بصورة موجزة لهذه المدارس والمحافل الماسونية.

ثانياً: المنهج الوصفي: ويراد بهذا المنهج بيان مبادئ وأهداف الجمعيات القومية العربية، وعرض ما نادت به من آراء وأفكار، مع التركيز على الجوانب العقدية المنصوص عليها في الباب الثاني.

لقد كانت أغلب مصادر معلوماتي -عن موقف الجمعيات القومية العربية- هي كتب أو مذكرات أعضاء الجمعيات أنفسهم، كما استمتعت معلومات من المجلات والصحف والدوريات المعاصرة ذات الاتجاه القومي.

وأثناء وصف مواقف الجمعيات القومية العربية، سلكت المنهج التالي في العرض:

1 - أعرض موقف الجمعية وأبيته.

2 - ثم أدرف بعد ذلك آراء أعضاء الجمعيات القومية العربية.

3 - فإن لم أجد للجمعية موقفاً في موضوعات البحث اقتصرت على موقف الأعضاء المتسببين لها.

ثالثاً: المنهج النقدي: وذلك بنقد المواقف والآراء التي تحتاج إلى النقد لدى الجمعيات القومية العربية وهي أكثر من أن تخصر، وما وصفته في الباب الأول قمت بتنقذه في الباب الثاني والثالث.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

وأثناء نقد مواقف الجمعيات القومية العربية استندت بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ثم أنقل فتاوى وأقوال علماء القرن الرابع عشر الهجري، فهم الذين قد عاصروا الجمعيات القومية العربية، وعلموها مكرها وبطلان مناهجها.

وأما منهجي في صياغة البحث فقد حاولت أن ألتزم بما يلي:

1- عزو الآيات القرآنية وذكر اسم السورة ورقم الآية.

2- تخريج الأحاديث الشريفة بالإشارة إلى اسم الكاتب واسم الباب ورقم الحديث، وإذا كان الحديث ثابتًا في صحيحي البخاري ومسلم أو أحدهما اقتصرت على ذلك، فإن لم يكن أذكر من صحيح الحديث من العلماء.

3- ترجمت لأبرز الأعلام البارزة ذكرهم بالكتاب، وحرصت أن تكون الترجمة قدر المستطاع محصورة في أعضاء الجمعيات القومية العربية. وقد جعلت الترجم في مكان واحد، وعند ذكر العلم أشير إلى رقم ترجمته.

4- اجتهدت في كتابة التاريخين الهجري والميلادي معاً في جميع الرسالة.

5- وضعت فهرس في آخر الرسالة لبعض الوثائق والمصادر وفهرس الموضوعات.

وفي ختام هذه المقدمة أتقدم بالشكر الجزيل لوالدي الكريمين أطال الله في عمرهما، وأعاناني على بحثي والإحسان إليهما. كما أتوجه بالشكر والعرفان بالجميل إلى شيخي الأستاذ الدكتور علي بن نفيع العلياني، الذي تفضلَ
بالإشراف على هذا البحث وإبداء التوجيهات والنصائح، والذي كان لي شرف المتلمسُ عليه يدِهِ، فأسأل الله تعالى أن يجزيه خير الجزاء، وأن يبارك في وفاته وعمله.

كما أتقدم أزكي الشكر وأطيبه لكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى، ولقسم العقيدة رئيسا وأعضاء لرعايتهم للبحث ومتابعة خطواته فجزاه الله خير الجزاء.

وأدعو الله أن يجزي بالخير كل من قدم لي مساعدة في هذه الرسالة. كما أمل من القارئ العزيز التواصل العلمي وإرسال ما لديه من اقتراح أو استدرُك على البريد الإلكتروني:

Kad20@maktoob.com

أو صندوق البريد 10661 الرياض ١١٦٦٦

و صلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.
تمهيد

أولاً: الدراسات حول موضوع الجمعيات القومية العربية:

إن مما ينبغي بيانه عند الكتابة في موضوع الجمعيات القومية العربية، ذكر دراسة موجزة للقارئ عن الدراسات التي تناولت القومية العربية.

وبتتبعي تلك الدراسات رأيت أن المبشيرين بالفكرة القومية قد انطلقوا من مقر الجمعيات القومية العربية، فكانت تصدر المبادئ والنظم والأهداف القومية العربية، واعتبرت الدراسات بداية تاريخ القومية العربية من تاريخ تأسيسها.

وممّن خلال الاطلاع على مظان مصادر البحوث والدراسات الجامعية لم أقـفّ على من خصص موضوع الجمعيات القومية وبيان موقفها من الإسلام والمسلمين بالبحث، والدراسات التي وجدتها كانت تتناول جوانب معينة من تاريخ الفكر القومي، ومن أبرزها ما يلي:

أولاً: العرب والترك في العهد الدستوري العثماني (1908-1914 م)

لدى الدكتور توفيق برو، وهي دراسة مقدمة لمعهد الدراسات العربية العالمية بالقاهرة، لاستحقاق دورة الماجستير.
الجمعيات القومية العربية وموقعها في الإسلام والمسلمين

وفرح بالباحث الفترة الزمنية بين (1326-1908 هـ - 1914 مـ).
لأنها الفترة التي نشأت فيها الجمعيات القومية، وقال الباحث عن دراسته: (هي أول محاولة علمية أكاديمية لدراسة علاقة العرب بالترك، في فترة الحكم الدستوري التي مر بها العهد العثماني).

والباحث تناول علاقة العرب بالترك، وهو متأثر بالفكرة القومية العربية، ويدافع عن مبادئ الجمعيات القومية العربية، فضلاً عن أن البحث متعلق بالأمور السياسية كmaktالبية العرب بالحكم الذاتي، أو إشرافهم في المجالس النيابية.

ثانياً: جمعية العربية الفتاة السرية، دراسة وثائقية (1901-1936 هـ).
تأليف الدكتور سهيلة الريماوي: وتتمثل الدراسة المذكورة بألف ملخص دراسات علمية سابقة تتبع بحثية الحركة في سوريا لمرحلة تاريخية محددة، ودراسة الوثائق عن تأسيس جمعية العربية الفتاة السرية، وقد استطاعت الباحثة أن تجمع أكبر عدد ممكن من الوثائق المتعلقة بتأسيس الجمعية.

وتبيني لدراسة الباحثة لاحظت أن الدراسة كانت مركزة على الجانب التاريخي في نشأة الجمعية، وتتبع أسماء الأعضاء المنتسبين لها، واقتصر البحث على جمعية الفتاة فقط، ووصف الباحثة الجمعية بأنا: (مؤسسة سياسية)

(2) توفيق من الله تعالى استمعت المحمية على وثائق مهمة عن تاريخ وتأسيس الجمعيات القومية، من مكتبة عد الدين الخطيب بالقاهرة.
انتشرت عدداً من المواطنين العرب اجتمعوا حول هدف سياسي (1). ولكن النظر في مبادئ الجمعيات القومية لا يحصر الهدف على الجوانب السياسية فحسب بل يضم إليها القضايا الثقافية والفكرية.

ثالثاً: طالب النقيب: دوره في تاريخ العراق الحديث - حسنين الشلاة.

وهي رسالة دكتوراه مقدمة بجامعة القاهرة عام 1970 م، بين الباحث فيها دور طالب النقيب في تأسيس الجمعيات القومية، وهو من أبرز مؤسسي الجمعيات القومية العربية في العراق.

والدراسة بحث في سيرة طالب النقيب، مع ذكر موجز تاريخي عن جمعية البصرة الإصلاحية، وجمعية البصرة التي أسسها طالب النقيب سنة 1912 م، وهي متزامنة مع جمعية بيروت الإصلاحية. وبعثت الفنونية البريطانية في العراق إلى السفير البريطاني في الأستانة سنة 1913 م، خطوة جمعية البصرة الإصلاحية.

وذكرت أن هذه الجمعية برأسها طالب النقيب (2).

رابعاً: الأوضاع الثقافية في تركيا في القرن الرابع عشر الهجري - دراسة وتقديم - للدكتور سهيل صابان - وهي رسالة علمية قدّمت بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لاستحقاق درجة الدكتوراه.

(1) جمعية العربية الفتاة السريّة، سهيلة الرماوي - 25 - دار محمد لاوي - عمّان - الأردن.
(2) انظر: طالب النقيب - دوره في تاريخ العراق الحديث - حسنين الشلاة - 216. وانظر نص الرسالة في العراق في الوثائق البريطانية - فؤاد قراني - 107.
ويتَّبَع الباحث فيها النيازات الثقافية الوافدة على الأمة الإسلامية، وما نتج عن هذه الأفكار والمعتقدات من ظهور عقائد دخيلة على دولة الحلفاء (الدولة العثمانية)، كما أوضح الباحث تأثير الجمعيات الماسونية على معتقدات وأفكار النخبة الثقافية، وقيام هؤلاء النخبة بتبني المبادئ الماسونية والدعوة إليها.

ومن المباحث المهمة في الرسالة نشأة القومية التركية والتي يقابلها القومية العربية والصراع الداخلي في الاتجاهات الثقافية. ومؤقّف هذه القوميات من الوحدة الإسلامية.

وتخلي الدراسة من الحديث عن الجمعيات القومية العربية؛ وذلك لمنهجية البحث وخصصه بالقضايا الثقافية في تركيا.


أوضح الباحث – على سبيل الإيجاز – دور الجمعيات القومية في نشر الفكر القومي منذ ظهوره على أيدي الجمعيات القومية العربية، فمما قال: (لقد كان لهذه الجمعيات والأحزاب التي ظهرت قبل الحرب العالمية الأولى دور كبير في تأجيج الشعور القومي لدى العرب، حيث أحدثت تحركاً شعبياً وتفاعلاً عربياً، نتيجة بنها الوعي القومي على نطاق واسع).(1)

(1) انظر: مقومات النهضة في الفكر القومي العربي–دراسة نقدية في ضوء الإسلام–ثمان العامر–1/26-رسالة دكتوراه لم تنشر.
لا يطرق الباحث إلى تأثير الجمعيات العربية في واقع المسلمين، والبحث عن مبادئ الجمعيات القومية. وإنما ذكر أبرز المؤسسين لها، وأهمية حزب البعث العربي الاشتراكي في خضعة الفكر القومي العربي، أعطاه جمالاً واسعاً في بحثه.

إن ما ذكره من دراسات جامعية قد يكون أبرز ما تمثل في الحصول والاطلاع عليه حول موضوع: (الجمعيات القومية العربية). وتلك المباحث تناولت تأسيس وتنظيم الجمعيات وغالباً ما كان البحث متأثراً بيون ومتهج كاتبه دون بيان موقف الجمعيات القومية العربية وأثر أنظم ومبادئ الجمعيات على الإسلام والمسلمين.

وقد استفدت من أبحاث منشورة عن القومية العربية، من أبرزها:

نقد القومية العربية / للشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز:

لقد بَّنَّ الشيخ ابن باز أن فضل العرب مرتبط بدينهم الإسلام، وأن شرف العرب بشرف التزامهم بالإسلام، ثم بين أن بداية الاجتهادات كان بسبب اتساب بعض أبناء المسلمين إلى الدعوة الجهالية وشريعة العربة، وأوضح الشيخ دور نصارى العرب في هذا المجال. وأكّد على اختلاف الإسلام عن القومية العربية قائلًا: (إن الإسلام يتفاوت أسماتهم التي بينا القومية عليها، ويفترض صريح كلهم ويبالون ما يقصدونه من تكلل العرب على اختلاف أديافهم تحت راية).
ال الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

القومية) ثم انتقد القومية ومخالفتها العقيدة من أربعة أوجه بينها الشيخ مستدلاً على هذا بالكتاب والسنة (1).

حزب البعث تاريخه وعقائده: تأليف سعيد بن ناصر الغامدي.

قصر الباحث حديثه عن الجمعيات القومية، حيث ذكرها على سبيل العد الرقمي، أمّا الباحث التفصيلي فقد كان عن حزب البعث العربي ومؤسسته، (عفلق والبيطار) وبين مخاوف مبادئ حزب البعث العلمانية للعقيدة الإسلامية (2).

فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام: صالح بن عبد الله العبد.

أصل البحث رسالة ماجستير مقدمة لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبدالعزيز، تناول البحث فيه أصل الفكرة القومية ومنشأها، وتتبع تطور الفكر القومية عند ثلاث شخصيات من رجال الفكر القومي وهم: ساطع الخصري، ومعروف الدواليبي، ومصطفى الشهابي) وعرض تطور الفكرة القومية عندهم وأثرها على الإسلام.

كما تتبع دور اليهود في نشر الفكرة القومية والسعي لاستقاط فكرة الخلافة الشرعية والقضاء على الوحدة الإسلامية، وبين أن الحركات التنصيرية والمبادئ التبشيرية على عقول أبناء المسلمين مع التركيز على دور نصارى

(2) حزب البعث تاريخه وعقائده-سعيد بن ناصر الغامدي-دار الوطن-الطبعة الأولى-1411هـ.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

العرب في هذا المجال. وفي نهاية البحث أوضح الباحث المخلص والمفاز، قال: (لا مخلص ولا مفاز حق إلا بالإسلام، كما هو الحق والواقع الذي ليس بعده إلا الضلال والخيال). (1)

كما تم الإطلاع على كتب حول موضوع الجمعيات القومية العربية كتبها أعضاء الجمعيات القومية، ورغبة في توسيع الفائدة أثير لأبرز هذه الكتب.

كتاب ثورة العرب: يتضمن مرحلة تاريخية سريعة لأعضاء الجمعيات القومية العربية، ولذا أهم مؤلف الكتاب بعبارة (بقيم: أحد أعضاء الجمعيات القومية العربية) وطبع الكتاب في مطبعة المقطم بمصانع سنة 1916م.

في هذا الكتاب بيان عن تاريخ علاقة العرب بالترك وموقف الجمعيات العربية من المطالبة بالدستور - الدستور العثماني - ثم تأسيس الجمعيات القومية العربية، وبيان أسماء الجمعيات العربية، وذكر أنظمة ومبادئ الجمعيات، وعرض الكتاب للخلاف بين الجمعيات القومية وجمعية الاتحاد والترقي، الذي كان من نتائجه ثورة الحسين بن علي وتحالفه مع الدول الصليبية. (2)

نشأة الحركة العربية الحديثة: محمد عزة دروزة. يعتبر مؤلفه من مؤسسي الجمعيات القومية العربية، ولذا كان في كتابه المذكور تفصيلات دقيقة عن تطور الحركة العربية الحديثة، والتي من مراحلها تأسيس الجمعيات القومية.

(1) فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام - صالح بن عبد الله العبود - دار طيبة - الرياض.
(2) ثورة العرب مقامها - أسابيع - نتائجها - أحد أعضاء الجمعيات القومية العربية.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

العربية. قال المؤلف عن مرحلة تأسيس الجمعيات: (لقد عشنا هذه الفترة، وكنا واعين ومندمجين في أحداثها.. وإن الوعي العرب بدأوا بذلك في وقت مبكر وبكلمة أدق عقب إعلان الدستور بمدة وجيزة.. وقد كانت تكتلنا متنوعة، منها العلي ومنها السري. وفيما يلي شرح مستفاد من المنشور من المصادر وما وعته الذاكرة وتلقفته الأذن وما مارسناه شخصياً من التكاثرات العربية).

الجمعيات العربية وفكرها القومي. ملحم الرعوي القومي عند العرب منذ مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، وحتى قيام الحرب العالمية الأولى.

مذكرات أعضاء الجمعيات القومية: تحتوي مذكرات أعضاء الجمعيات القومية معلومات مهمة، ومن المعروف عن تاريخ الجمعيات أنها تنتمى بطبع السرية، ولذا لجأ الكثير من أعضائها إلى الاحتفاظ بالمعلومات حتى ظهرت بصور مذكرات تروي وتصف الأحداث.

ومن هذه المذكرات المهمة عن تاريخ الجمعيات القومية العربية:

1. مذكرات سليم علي سلام (1868-1938).
2. مذكرات محمد الدين الخطيب، وهي تحمل عنوان: سيرة جيل.

(1) انظر: نشأة الحركة العربية الحديثة-محمد عزة دروزة.
(2) انظر: الجمعيات العربية وفكرها القومي-عماد عبدالسلام رؤوف-مركز دارسات الوحدة العربية.
(3) انظر: مذكرات سليم علي سلام (1868-1938)-قدم لها وحققه: حسان علي حلاق.
(4) انظر: مكتبة محمد الدين الخطيب بالقاهرة. ونشرت هذه المكتبة مجلة الأوقاف الإسلامية-دمشق-المجلد الأول سنة 1946.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

3. مذكرات عوين عبدالمجيد، أوراق خاصة(1).

4. مذكراتي نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية-توافق السويدي(2).

5. خبرتي في الحكم / حسن الحكيم، سجل حافل بالوثائق التاريخية عن الجمعيات القومية العربية(3).

6. مذكراتي على هامش القضية العربية / أسعد داغر(4).

7. مذكراتي عن الثورة العربية / فائز الغصين(5).

8. مذكراتي عن الثورة العربية / أحمد قدري(6).

9. مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى والثورة العراقية/تحسين العسكري(7).

10. نصوص قرارات المؤتمر العربي الأول / محب الدين الخطيب(8).

(1) انظر: مذكرات عوين عبدالمجيد، أوراق خاصة-إعداد: خيرية قاسمية.
(2) دار الكتب العربي-الطبعة الأولى.
(3) إدارة مجلة الشريعة-عمان-الطبعة الأولى-1398 هـ
(4) القاهرة-1959 م.
(5) دمشق-1956 م.
(6) دمشق-1956 م.
(7) بغداد-1936.
(8) جمع وترتيب محب الدين الخطيب-القاهرة-مطبعة اليسفور-الطبعة الأولى-1331 هـ
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

11. مذكرات جمال باشا⁴. ويعد جمال الخصم الألد لأعضاء الجمعيات القومية العربية وفي مذكراته معلومات مهمة عن هذه الجمعيات⁵.

---
(1) أثناء الحرب العالمية الأولى تولى جمال باشا قيادة الجيش الرابع والذي كان مقره في دمشق. وقد كتب ذكرياته عن مجريات وأحداث الحرب وذكر معلومات مهمة عن دور الجمعيات القومية العربية في الحرب.
ثانياً: الحالة العقدية للأمة الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري:

إن العقيدة الصحيحة هي الابتعاد الواقي ضد الأفكار والإيمان بالله وإلى السماوات والأرض والمعبدين الآيات والمتبرئة من النجوم.

وهكذا كانت دعوة الرسول عليهم أفضل الصلاة والسلام أول ما دعت إلى العقيدة، وعلى سبيل المثال ليس الحصر أذكر الآيات الواردة والسنة الثانية في أن أول ما دعت إليه الرسول هو العقيدة، فمن ذلك: قوله تعالى عن نبيه نوح عليه السلام: "آله وأرسلناه توحياً قومه، فقال: ينقومن، أعبدوا الله ما لك من إله غيور". (3).

وقال تعالى عن نبيه هود عليه السلام: "وإلى عام أهله هوداً قال: ينقومن أعبدوا الله ما لك من إله غيور". (4).

وقال تعالى عن نبيه صالح عليه السلام: "وإلى ثمود أهله صلى الله قال: ينقومن أعبدوا الله ما لك من إله غيور". (5).

وقال تعالى عن نبيه شعيب عليه السلام: "وإلى مدّيبيب أهله صلى الله قال: ينقومن أعبدوا الله ما لك من إله غيور". (6).

(1) سورة الأعراف-رقم الآية (59).
(2) سورة الأعراف-رقم الآية (65).
(3) سورة الأعراف-رقم الآية (73).
(4) سورة الأعراف-رقم الآية (85).
قالو عن نبي عيسى عليه السلام:  "ما قلبت هم إلا ما أمرتني به أن أعبدو الله ربي ورسليهم" (1).

إن دعوة الرسول أول ما طالب العبد بتحقيقه: هو توحيد الله تعالى، والكفر بالطاغوت قال تعالى: "فَمَنْ يَكفُرْ بِالْطَّغَآءِ وَيَتَّبِعَ الْإِلَهَآءَ فَلَا يَشْرَكُ بِهِ" (2). قال ابن كثير: أي (من خُلِّق الأنداد والأوثان وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يُعبِد من دون الله، وَوَحِيدَ اللَّهُ فَعَبَّدَه وَحَدَّ، وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَقَدَّرَ آتَهُمَّ بِالْعَرْوَةَ "ألْوَنِي" أي فقد ثبت في أمره واستقلم على الطريقة المثلى والصراط المستقيم) (3).

وقال أسس بن مالك: وهوِ ديِن الله الذي جاءت به الرسول وبلغوه عن ربهم قبل هرج الأحاديث واختلاف الأهواء. وتصديق ذلك في كتاب الله في آخر ما نزل، يقول الله: (فَإِن تَابَوْاْ، قَالَ: خَلَطَ الأَوَّلَانَ وَعَبَّادَتَهَا، فَإِنَّ تَابَوْاْ وَأَقَامُوا الْصِّلَّوَا وَاتَّبَعُوا الْرَّسُوُلَ وَأَقَامُوا الْصِّلَّوَا وَاتَّبَعُوا الْرَّسُوُلَ فَإِنَّ خَالِدَ في الْيَوْمِ الآخرى) (4).

(1) سورة المائدة-رقم الآية (117).
(2) سورة البقرة-رقم الآية (256).
(3) تفسير ابن كثير-1/466-مطبعة الشعب-القاهرة.
(4) سنن ابن ماجة-المقدمة-رقم الحديث (99).
قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ: دلت الآيات على أن الحكمة في إرسال الرسل دعوتهم أتمهم إلى عبادة الله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه، وأن هذا هو دين الأنباء والمرسلين.(1) وقد قال رسول الله ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) ويقيموا الصلاة ويؤتون الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحصاهم على الله.(2)

وفي سيرته الصغرى تطابقًا لهذا المنهج النبوي فقد قال عبد الرحمان بن أبي الزناد عن أبيه قال: (أخبرني رجل يقال له ربيعة بن عباد من بني الدحلان وكان جاهليًا قال رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ديني المجازر وهو يقول: يا أبنانا الناس قولوا لا إله إلا الله تخلفوا والناس مجتمعون عليه ووراء رجل وضيء الوجه أحوال ذو عدريتين يقول إنه صبي كاذب، يبتهغ حيث يتحدث.

1) صحيح البخاري-كتاب الإمام-باب (فإن تأتيوا وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة فخلوا سبيلهم)- رقم الحديث (24).

2) سوق ذي المجاز: الحجار الموضع وكذلك المجازة; وذو المجاز: موضع سوق بعرفة على ناحية كيكب.

* غدير: مسجد غدير، وجمعها غديرات، وهي الذوال، وقال اللث: كل عقيبة غديرة. ينظر:

(قصيد اللغة-الأزهري-8/7-باب العين والذال)
اذْهَبْ، فَسَأَلْتُ عَنْهَهُ، فَذَكَرْنَا لِي نَسْبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالُوا لَي هَذَا عَمْهُ ﺇِبْنَلِهِ)١(.

وَقَدْ وَقَفَ جَعْفِرُ بْنُ أَبِي طَالِبِ أمَامَ أَمَامٍ النُّجَاشِيِّ مِيْنَا هَلَّ حَالِمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةٍ

والمنهج الدعوي الذي جاء به الرسول، فكان لما قال جعفر بن أبي طالب: أيها الملك كنتم قومًا أهل جاهلية نعيد الأصنام، وناكمل الميتة، وناأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنى على ذلك حتي بعث الله إلينا رسولًا مثنا يعرف نفسه وصدقة وأمانة وعفافًا، فدعانا إلى الله لننحذره ونتعبده ونخلع ما كننا نعبد نحن وابنا من دونه من الحجارة والأرواح، وأمرنا بصدف الحديث، وأذى الأمانة، وصلة الرحمة، وحسن الجهوار، والكف عن المخارج والدماء، ونهانة عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليسير، وفدف المحصنة، وأمرنا أن نتعبد الله وحده لا نشرك به شياً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام..)٢(.

وقد بعث الرسول ﷺ معاذًا إلى اليمن، وأمره أن أول ما يبدأ بدعوهم إلى العقيدة، فقال لمعاذ: إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يؤمنوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلى، فأخبرهم أن..
لا أرفع عليهم Zakā في أموالهم، تعود من غنيهم قرود على فقراءهم.
فإذا أقرروا بذلك، فخذ منهم وتنوه كرام أموال الناس.

ولما قدم عبد القيس على رسول الله ﷺ طلبًا من الرسول أن يعلمهم ما يدخلهم الجنة ويذعون من وزاههم، قال لهم: (آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع، أميركم بالإيمان بالله، وخلود ماطموم بلا إيمان بالله، شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة وإيام ال Zakā، ونفعوا من المعتمد المحموم، وأنهاكم عن أربع: لا تشترعوا في الدنيا والآخرة والظروف المزلفة والتحتمة).

ومن الأدلة على أن الرسول أول ما تدعو إليه؛ الدعوة إلى العقيدة، حديث ضمام بن ثعلبة حينما وفد إلى رسول الله ﷺ وعرض على رسول الله ﷺ ما بلغه مبعوث رسول الله ﷺ، فكان لما قال ضمام: (أكنذك بالله إلهك وآله من كان قبلك، والله من هو كائن بعدك الله أمرك أن تعبد وجهد لا نشرك به شيئاً وأن نخلع هذه الأنداد التي كنت آباؤنا تعبدوها من دونه؟ قال: اللهم نعم، قال: فأشذك بالله إلهك وآله من كان قبلك وعند من هو كائن بعدك الله أمرك أن نصل عهد هذه.

---
(1) صحيح البخاري - كتاب التوحيد - باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ: آمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى - رقم الحديث 74 (682).
(2) صحيح البخاري - كتاب التوحيد - باب (ولله خلقكم وما تعملون) - رقم الحديث 10001 (701).
ومنعم: الدعاء: في وعاء من الفرع الواحدة دابة، والتفير: وعاء من أصل النحلة، والحنكة: جرأج تعمل من الطيور. جميعها أوعية كانت عند العرب، مختلف في مادة صنعها.
تستطيع في آخر ينظر: غريب الحديث - أبو عبد ابن سلام - 181/2.
الصلاة الخمس؟ قال: اللهم نعم، قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فرضة فرضة.

وباستقراء سورة القرآن الكريم يلاحظ أن الغالب على آيات السور المكية تأصيل العقيدة والإيمان بالله تعالى، وبعد تأصيل التوحيد والإيمان بالله نزلت الأحكام العملية العبادية، كما قالت عائشة رضي الله عنها: (أول ما نزل من سورة ممفصل، فيها ذكر الجنة والجذور، حتى إذا نزل الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، وَلَوْ نَزَلَ أَوْلَى شَيْءٌ لَّا تَشْرَبَوا الْحَمْرَةَ، لَقالَوا: لا نَرْغُبُ الْزَّرَّةَ أَبَدًا).

وأما السور المدينة فقد استمر بيان وعرض العقيدة في آياتها، مع بيان الأحكام وتشريع الحلال والحرام، وبيان فرضية الجهاد وما يتعلق به من أحكام كالجيزية والأئمة والأسرى وغيرها. كما بنيت السور المدنية صفات أهل النفاق، وحقيقة النفاق والمنافقين.

وإذ استمرار القرآن في الحديث عن قضية العقيدة في السور المدنية، وفي الكلام الوجه للمؤمنين خاصة، الذين آمنوا واستقر الإيمان في نفوسهم حتى

---

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل - وسنن النسائي - كتاب الطهارة - باب فرض الوضوء والصلاة - رقم الحديث (150). وثبت médico ضمام على رسول الله صل الله عليه وسلم في صحيح البخاري - كتاب العلم - باب مسألة في العلم وقوله تعالى (وَلَوْ نَزَلَ أَوْلَى شَيْءٌ لَّا تَشْرَبَوا الْحَمْرَةَ) - رقم الحديث (11).

(2) صحيح البخاري - كتاب فضائل القرآن - باب تأليف القرآن - رقم الحديث (426).
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

أنشأوا أمة مسلمة ودولة مسلمة وعيشها مسلماً يقاتل في سبيل الله، أمر قاطع.

الدلالة على أن قضية العقيدة - لها أهميتها الذاتية (1).

إذا فالعقيدة هي أساس البناء، وهي الواقعة من الأفكار والعقائد المنحرفة.

وأما البحث فيتناول واقع المسلمين في عصر نشأة الجمعيات القومية، فسوف أبين بصورة موجزة الحالة العقدية للأمة الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري.

إن العصر الذي نشأ فيه الجمعيات القومية العربية، وقدّمت فيه الجمعيات مبادئها واستندت في الأمة قوانينها، يعتبر من عصور الاستطلاع التي مرت بها الأمة، وظهرت فيها غربة الدين - إلا ما رحم - في واقع المسلمين كما قال رسول الله ﷺ: إن الدين بدأ غريباً ويرجع غريباً فطُلوبه للغريباء الذين يُصلحون ما فسَّد الناس من بعدي من سنين (2).

لقد أصبح المتمسك بدينه في القرن الرابع عشر الهجري، غريباً في مجتمعه، لغياب بعض السنين، وظهور كثير من البدع في واقع بعض المسلمين في هذا القرن، فمن أمثلة ذلك:

انتشار أعلام الإلحاد، وتتبع معتقدات المغوب عليهم والضالين، وذلك على أيدي نخبة سمت نفسها: (الفئة المثقفة) أو (الطائفة المنورة)، وهي حقيقة مظلمة بظلالات الشك والإلحاد، وقد قال محمد حسن قيس: لقد رأيت الإلحاد.

(1) واقتنا العاصر - محمد قطب - 17 مؤسسة المدينة - الطبعة الأولى - 1940
(2) سنن الترمذي - كتاب الإيمان - ياب ما جاء أن الإسلام بدأ غريباً وسُ وجوع غريباً - رقم الحديث 554. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

والأخلاق يشتعل ويسري سريان النار في يابس الحطب، ورأيت دعاته يستلعأ أمرهم في كل مكان، ورأيت الناس مشغولين بالجدل والنقاش حول ما يثيره ممن موضوعات يسترون مآرهم الهدامة من ورائها تحت أسماء خلابة براقة، كالنهضة، والتحرر، والتطور، ومتابعة ركب الحضارة.(1)

كما أصبح من معلماً واقع كثير من المسلمين في القرن الرابع عشر الهجري، ضعف عقيدة (الولاء والبراء) فقد ضعفت عند كثير من الناس هذه العقيدة التي تُثير شخصية المسلم واعتصامه بدينه، ومن أبرز أسئل غياب عقيدة الولاء والبراء ممن واقع المسلمين المعاصرة: أن التشريع الذي فيه الحكم الفصل بين الكافر والمسلم قد استُبعد عن واقع المسلمين، فسمت لهم شرائع وقوانين جاهلية. ومن أمثلة ذوبان الولاء والبراء أن هُرَع كثير من المسلمين إلى الانسحاب في مدارس الإرساليات التنصيرية، بعد أن أُجبر قيام هذه المدارس في بعض الأقطار الإسلامية.

لقد حَوَى التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بيروت والولايات العثمانية كثيراً من الوثائق التي تدل على عدم استشعار المجتمعات الإسلامية لعقيدة الولاء والبراء في القرن الرابع عشر الهجري.(2) كما رضي

(1) حصولا مهذدة من داخلها-11-11-دار الرسالة-السعودية-الطبعة الثانية عشرة-1341هـ.
(2) انظر: التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بيروت والولايات العثمانية-حسان خلاق-الدار الجامعية-بيروت-الطبعة الأولى-1407هـ.
الجمعيات القومية العربية وموقعها من الإسلام والمسلمين

بعض المسلمين بالانتساب إلى المدارس النصرية، وأن يتلقّى أبناء المسلمين الثقافات والمبادئ النصرانية.

كما أصبح العقوف على القبور وبناء الأضرحة عليها معلماً بارزاً في حياة كثير من المسلمين في القرن الرابع عشر الهجري، ويندر أن تخلو بلدة من بلاد المسلمين إلا وفيها (مزار) أو (ضيف) أو أي معلمي من عالم الوعي. ويذكر محمد الغزالي: أن أحد التقارير المرفوعة ذكر فيها: إن الحكومة الإنجليزية قد اهتمت بالخالدة الدينية في مصر، فكان مما طامأنا عليه إيمان المسلمين أن ثلاثة ملايين مسلم زاروا ضريح أحمد البدوي بطنطا.

وقد كان للصحف والمجلات النصيب الأكبر في نشر المعتقدات والمبادئ المنحرفة، وهي تعتبر من أبرز المنابر الإعلامية للجمعيات القومية العربية.

ومن أمثلة دُور الصحف والمجلات العربية في نشر المعتقدات المنحرفة دعوة صحفية (المفيد) و(القبلة) العامة والخاصة إلى إحياء المولد النبوي.

وُصبت المنابر لأحياء المولد النبوي، كما أصبح السلاطين والحكام يصدرون أوامرهم بإحياء بدعه المولد.

(1) انظر هذا الموضوع (التشفير والاستعمار في البلاد العربية) لعمر فروخ. (الإسلام وأوضاع القانوني) لعبدالقادر عودة-57-مؤسسة الرسالة-يروت-الطبعة الثانية-1386ـ.
(4) انظر: تأريخ الاحتفال بالمولد النبوي من عصر الإسلام الأول إلى عصر فاروق الأول-حسن السندوي-198-الطبعة الأولى-القاهرة-1366ـ. 
ومما ظهر في واقع بعض المسلمين في القرن الرابع عشر الهجري تأثرهم
بمبادئ وطقوس الصوفية، وقد سطر الشيخ محمد خضر ما شاهده من اخراجات
في واقع عصره، فقال: انظر بعينك إلى ذكاكهم وأورادهم وأحزاهم وتوسلاتهم
وإلى منكرات موالدهم وأفراحهم وخيانتهم (ظهور أولادهم)، ثم انظر إلى ما
يصنعونه في مآتهم من النحاء واللعب والصراخ والنوح والعديد، والعويل
وتسويد الوجوه ولطم الخدود، وشق الجيوب والتغالي في الأكفاء، ثم أمعن
النظر فيما يعملوهم من التهاليلا مما يسمونه (السبيحة) للميمت والعتاقة والختمة
وعطلة رجب وشعبان .. تجدهم يبتعدون بدين قد بدأوه بتبديلاً وغيروه
وشوهوه تشوياً(1).

كما انقلب كثير من المفاهيم الشرعية في واقع بعض المسلمين في القرن
الرابع عشر الهجري، فمن ذلك انقلاب مفهوم (التوكّل على الله) انقلب إلى
(توكّل) فهجرت الأسباب وأباح بعضهم التسول لأنفسهم، وقالوا: إن المتوكّل
هـ هو من أراح نفسه من كد النظر، ومطالعة السبب، سكوناً إلى ما سبق له من
القسم مع استواء الحالين عنده. وهو أن يعلم أن الطلب لا ينفع، والتوكّل لا

* أي العد على الميت، وهو ما ينفد من أقوال تبعث الحزن وتظهر الجزع على الميت لإثارة أحزان
السامعين.

(1) المنشأة المحمدية في بيان العقائد السلفية-محمد خضر-دار الكتب العلمية-بيروت-الطبعة
الأولى-0741هـ.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

يجمع(1)، وهذا تركوا السعي في الأرض واستغلال ما فيها من خير للدعوة إلى الله، وكفاف النفس(2).

وفي مقابل انقلاب هذه المفاهيم تمكنت بعض العقائد الباطنية المنحرفة كالذروة والتصيرية في القرن الرابع عشر الهجري أن تولى المناصب القيادية في بلاد الشام، وتسللت فتات منهم إلى أقطار العالم الإسلامي بصورة مستشارين ومحوراء. يقين ويخطب ما تمله عليه عقيدته الباطنية، مقتدبين بذلك سنة آبائهم أصحاب العقائد الباطنية عبر تاريخ الأمة(3).

ومن الأمور التي فرت فيها المسلمون في القرن ذاته استيطران اليهود واحتلالهم للمسجد الأقصى، وكان ذلك بحكم من الجمعيات الماسونية والقومية(4).

ويروي الأستاذ عبد الله التل—وكان في حينه قائدًا للقوات العربية في القدس—ما دار في الحوار الأفرازي بين عبدالله بن الحسين واليهود، فقد قال التل: إن الملك عبدالله بن الحسين قال: (أنا ملك عربي لا ألعف وعدًا ولا)

(1) مدارج السالكين- ابن القيم الجوزية- س/377.
(2) لمزيد من التفصيل في هذا الموضوع ينظر: مفاهيم ينبغي أن تصحح (ヘル ينن) مسلمون-محمد قطب.
(3) لمزيد من التفصيل في هذا الموضوع ينظر: دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين-أحمد جلي.
(4) ومكتبة: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي-محمد أحمد الخطب.
(5) لمزيد من التفصيل في هذا الموضوع ينظر: 1- مذكراتي، عبدالله بن الحسين بن علي-2- كارثة فلسطين-عبد الله التل. 3- اليهودية والصالحية-أحمد عبدالغني عطار. 4- خطر اليهودية العالمية على الإسلام والسيحية-عبد الله التل.
أخوان اعهدوا، تعرفون نوايا وشعوري نحوكم، رأيت أن لا يقف أحد بيننا الآن بعد أن خدت الفتنة وانتهى لكم الأمر تقسيم فلسطين وأنتم تعلمن أن أنتما لم تحاربكم ولم تعتد على ما خصص لكم، وأنتم تعلمن أننا اتفقنا على أسس سبقت، ولكل من الآن مطالب حقة. قال التل: وهكذا سجل هذه الفقرة الصغيرة اعتراها خطيراً آخر وهو اتفاق جلالته معهم على (أسس سبقت) وأنه يكتب في يديه ويترك ما بأيديهم، وبذلك اعترف بالأمر الواقع في فلسطين قبل أن يعلم به اليهود أنفسهم(1).

وعلى نفس الخطي سار الملك فيصل بن الحسين، حينما توجه لحايهم وآيزمن الزعيم اليهودي، ورئيس الوكالة اليهودية في فلسطين، بالقول: (إننا نرحب بالاستيطان اليهودي على أسس إنسانية، بشرط أن يخضع للحدود التي يفرضها احترام صالح السكان أصحاب البلاد وحقوقهم الاقتصادية والسياسية(2).

ومن نتائج هذا الاحتلال السعي إلى تحديد المسجد الأقصى وتحقيق إقامة مدينة يهودا العظمى المزعومة(3)، كما قرّر في فهم بعض المسلمين أن سلاح وطرد اليهود عن المسجد الأقصى هو السلاح القومي، وهذا أدرج في واقع

(3) انظر الكتاب المقدس—سفر التكوين—الإصحاح (36) فقرة (16-2).
المسلمين عبارات (الجهاد العربي) أو (الكافح والثورة العربية) أو (شهيد العروبة).

قال الشيخ عبد العزيز بن باز: إن القضية الفلسطينية قضية إسلامية أولاً وأخياً، ولكن أعداء الإسلام بذلوا جهودًا جبارة لإبعادها عن الخط الإسلامي، وإفهام المسلمين من غير العرب، أنها قضية عربية، لا شأن لغير العرب بها، ويدو أنهم نجحوا إلى حد ما في ذلك. ولذا فإني أرى أنه لا يمكن الوصول إلى حل تلك القضية إلا باعتبار القضية إسلامية(1).

إن حركة الغزوة الرهيبة المنظمة على العالم الإسلامي أراد الكفار من خلالها – كما يقول الشيخ الدكتور علي العلياني – أن ينصبوا لأبناء المسلمين رأسات يكتلون تحتها بدلاً من الراية الإسلامية وكان من تلك الرايات القومية العربية فأصبح من تأثر بالكفار من أبناء المسلمين يؤلون لأجلها ويقاتلون لأجلها ويسلمون لأجلها في حين أنهم لا يؤلون لأجل الإسلام ولا يعادون لأجله ولا يقاتلون لأجله وهذا العمل الحبيث استطاع أعداء الله صرف المفهوم الحقيقي للجهاد الإسلامي عن وجهته في أذهان أبناء المسلمين(2).

(1) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة-عبد العزيز بن عبدالله بن باز-1/281.
(2) أهمية الجهاد-علي بن نفيض العلياني-398-398-دار طبية-الرياض-الطبعة الأولى-1430هـ
الباب الأول

التعريف بالجمعيات القومية العربية وأبرز رجالاتها ومشاركتها

تمهيد

المبحث الأول: الجمعيات القومية خلال المشروطية الأولى

1. الجمعية العلمية السورية
2. جمعية بيروت السرية
3. جمعية رابطة الوطن العربي

المبحث الثاني: الجمعيات القومية خلال المشروطية الثانية

1. جمعية الإخاء العربي العثماني
2. جمعية المنتدى الأدبي
3. الجمعية الفلسطinecraftية
4. الجمعية اللامركزية
5. جمعية العهد
6. جمعية بيروت الإصلاحية
7. جمعية العربية البدوية
8. حزب البعث العربي
الفصل الأول

التعريف بالجمعيات القومية العربية

سيقتصر الحديث في هذا الفصل على التعريف بالجمعيات القومية العربية دون مناقشة مواقفها تجاه مسائل العقيدة حيث خصص لذاك باب مستقل نظراً لأهمية تلك المواقف وفي الفصل الثاني سيكون الحديث عن أهم أسباب نشأة هذه الجمعيات.

تمهيد:

كان الشعور الدبيبي عند الناس قبل القرن الرابع عشر الهجري هو الأصل، فكان ولاء الأمة للخليفة ولاءً دينياً. ومن خلال تتبع نشأة الجمعيات القومية العربية يلاحظ أن الهدف من إنشائها قد طلي بأهداف علمية واجتماعية وأدبية. وإن الأصل في إنشائها هو غرض سياسي؛ وبالتحديد المطالبة بالتحرر من الحكم الاستعماري التركي - بناء على زعمهم - للبلاد العربية، لذا اتخذت بعض الجمعيات صفة السرية.
نشأة الجماعات السرية:
لم يكون نشأة الجماعات أمراً غريباً، أو مستحيلاً في تاريخ الدولة الإسلامية وحقيقة فقد عرفت الدولة الإسلامية قبل ذلك نشأة عدة جماعات سياسية باتجاه من أمد طويل(1).
إن الفرق الباطنية تكونت عن طريق جماعات سرية، واستطاع أهلها أن يحكموا المؤامرات ويبشرو الحركات للثورة والخروج على الخليفة، فهم يثون في الظاهر بعض الظلمات والشكوى من الولاة إلى الخليفة، ويطالبون في الباطن للقضاء على الخلافة الإسلامية(2).
ومن خلال تبع نشأة الجمعيات القومية العربية في القرن الرابع عشر الهجري، يظهر أن المنهج والأسلوب الذي سلكه هؤلاء في تأسيس جماعاتهم هو المنهج الذي سلكه أهل الجمعيات الباطنية، في تأسيس جماعاتهم، وهذه بعض الأمثلة على ذلك:
1- أتخذت الجمعيات الباطنية قديماً وحديثاً (آل البيت) ستاراً لمقاصدهم في هدم الخلافة الإسلامية، والقضاء على الوحدة المبنية على كتاب الله وسنة

---
(1) جمعية العربية الفتاة السرية دراسة وثائقية-سهمة العماري-85.
(2) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين-أحمد جلي-27- مركز الملك فهد- الطبعة الأولى- 1406هـ.
روسوله ﯽ(1) وهذا المسلك اتخذته الجمعيات القومية العربية في القرن الرابع عشر الهجري، فقد ناصر أعضاء الجمعيات القومية ثورة الشريف حسين بن علي (2)، وساهموا في طيعتها خلال مراحلها الأولى، وذلك بعد أن سروا القادة العرب في ذلك العصر، فتم اختيار الشريف حسين قائدًا للثورة العربية (3) والحسن بن علي من سلاطين آل البيت (4).

2 - ضمت الجمعيات الباطنية بين أعضائها عقائد مختلفة، فكانت تضم في صفوفها: أبو إسحاق الصابي الحراني، وهو من عبادة النجوم (الصائبة)، ويحيى بن عدي النصراني وماني المجوسي، وأبا سليمان المنطيق السجستاني الإسماعيلي (5).

وهذا الخليط من العقائد المنحرفة نجده عند الجمعيات القومية العربية في القرن الرابع عشر الهجري فكانت تضم بين صفوفها: عبدالله الكريم الحليل

(1) انظر: 1 - عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتحة في صدر الإسلام - سليمان العودة - دار طيبة.
(2) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين - أحمد جلي.
(3) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي - محمد أحمد الخطيب - مكتبة الأقصى - عمان.
(5) انظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي - محمد أحمد الخطيب - 435.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

الرافضي (1)، وعادل أرسلان (2)، وفوزاد حمزة الدّرزي من (3)، نجيب عازوري (4)، وفارس نور الدين النصريين (5)، ونسمو ملول اليهودي (6)،...

3- السّعي لاستقاط الخلافة الإسلامية، كان من أبرز مقاصد الفرق الباطنية، وقد كان لتفكيت العالم الإسلامي الذي عمل على تنفيذ أتباع الباطنية، أثر باغّ الخطوة على التطورات السياسية في خاصة وهو يواجه الصليبيين والشتار. ولما تعرّك الصليبيون صوب الجنوب كانت سياستهم التقليدية تقوم على محاولة الفاطميين الشيعة لمصر لمناهضة الخلفاء العباسيين (7).

وكان بعض أعضاء الجمعيات القومية العربية في القرن الرابع عشر الهجري يسعون للمقصّد نفسه، وهو ما يسمونه بالتحرر من الاستعمار التركي للبلاد العربية (1)، فدعوا إلى رابطة عربية تجمع بين المواطنين، على اختلاف مذاهبهم، واستمرّت التاريخ المشترك والمنجزات الحضارية العربية المشتركة، من المذاهب

(1) انظر الترجمة رقم (1).  
(2) الحركة العربية - سليمان موسى - 102.  
(3) انظر الترجمة رقم (40).   
(4) انظر الترجمة رقم (52).  
(5) قطوة العرب - جورج انطونيوس - 119 والإعلام-الزركلي - 159/5.  
(6) انظر الترجمة رقم (55).  
(7) نشوة القومية العربية-زين الدين زين- 6، وحركة البقطة العربية - محمود منسي - 100.  
(8) أوراق حب الدين الخطيب في القاهرة.  
(9) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي-محمد أحمد الخطيب - 445.  
(10) البلاد العربية والدولة العثمانية-سلطان الحضري - 29- معهد الدراسات العربية العالمية - 1957.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

كافةً، جمع أبناء الأمة وراء هدف واحد، يؤكِّد الهوية القومية للعرب، في سبيل وحدتهم وتحريرهم ورقيهمٌ. وقد شارك بعض أعضاء الجمعيات القومية مشاركة ميدانية في إسقاط السلطان عبد الحميد.

4- كان للجمعيات السرية والتي تضم بين صفوفها من اليهود، والنصارى، والمجوس أثرٌ فعالٌ في نشر عقائد الفرق الباطنية وتضليل المسلمين بها، وذلك لما امتنعوا بروال الدولة عنهم على أيدي العرب، وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطرًا، تعاظمهم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كبد الإسلام بالخارجية، فأظهر قوم منهم الإسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل بيت رسول الله واعتناع ظلم علي ثم سلكوا همم مسالك شتي حتى أخرجوهم عن الإسلام.

ومن أبرز اليهود عبد الله بن سبأ، فقد قال المحققون من أهل العلم: إن ابن السوداء كان على هوى دين اليهود، وأراد أن يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته في علي وأولاده لكي يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى في عيسى عليه

(1) العرب والعثمانيون 1916-1917- عبد الكريم رافق- 511
(2) انظر: مذكرات علي هاشم القضاية العربية- أسعد داغر- 43- عن دور عزيز علي المصري في إسقاط السلطان عبد الحميد.
(3) الفصل في الملالي والأهوار والنحل- ابن حزم- 273/2-273/2 - دار عكاظ للنشر- جدة- الطبعة الأولى- 1402 هـ.
السلام(1) وقال عنه ابن كثير: (ابن السوداء وكان أصله ذميًا فأظهر الإسلام وأحدث بدعًا قولاً وفعلاً، فبحله الله(2)).

هـذا أثر الجمعيات السرية في نشر العقائد الباطنية، وعن أثر الجمعيات السرية في الجمعيات القومية العربية، فإن أهم الجمعيات السرية في القرن الرابع عشر الهجري هي المحافل الماسونية(3).

والأهمية موضوع تأثير المحافل الماسونية على الجمعيات القومية العربية تناولت الباحث في الفصل الثاني عند الحديث عن أسباب نشأة الجمعيات القومية.

وقد ذكر الباحثون في تاريخ الماسونية في الوطن العربي، أن الماسونية قد دخلت إلى دمشق على يد الأمير عبدالقادر الجزائري بعد عودته من مصر للإقامة في دمشق تنفيذاً لاتفاقه مع السلطات الفرنسية، حيث شارك في إنشاء أول مكتب ماسوني سوري في دمشق، كان تابعاً لمحفظ شرق إيطاليا الأعظم.

وكان الأمير الجزائري قد انتسب إلى الجمعية الماسونية أثناء زيارته الطويلة لمصر على يد الأمير حليم باشا(4) ابن محمد علي باشا(5) وانتظم في...

(1) الفرق بين الفرق - البغدادي - 355 - دار المعرفة - بيروت.
(3) لتأثير الأنظمة الماسونية وانساب أعضاء الجمعيات القومية فيها والدعوة لمبادئها ساتوس في المادة العلمية في الفصل الثاني. وانظر ص (0) من الرسالة.
(4) أنظر الترجمة رقم (30).
(5) الماسونية مافا وما عليها ماضيها وحاضرها - سعيد الجزائري - 346 - مؤسسة النوري - دمشق - الطبعة الأولى - 1407 هـ.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

سلكها متحف الأهرام التابع للشرق السامي الفرنسي، ووافقته مشاربه من كل الوجه، فأحبها وأحب أهلها، وأمال إليها وإليهم كثيرًا، وكان لا يخفى نفسه، وطالما جاهر أنه من أعضائها.

ومن تصريحات الجزائر تأييدًا للأفكار المساوية: (إن اعتبر منظمة البنائين الأحرار (المساوية) كأول مؤسسة في العالم، وفي رأي أن كل رجل لا يجاهر بالعقيدة البنائية (المساوية) يعد رجلا ناقصًا وأؤمل يومًا أن أرى فيه انتشار مبادئ الفرحمساوية في العالم، وبوميز فإن كل الشعوب ستعيش في سلام وأخوة) (1) وقد حاز الأمير عبدالقداد الجزائري من الحفظ الأكبر المشار إليه لقب (الاستاذ الأعظم الشرقي) (2).

وفي تاريخ الحركة العربية يعتبر الأمير عبدالقداد الجزائري من أوائل القوميين العرب الذين طوروا مبدأ استقلال البلاد العربية عن الدولة العثمانية، حيث قامت حركة استقلالية في ولاية سوريا بين (1877 و1880) (1941 و1947) وذلك خلال الأوضاع المضطربة التي شرع بها الدولة، فاتصل أحمد الصلح بعض العاملين المؤدين وبعض أصحاب الزعماء في صيدا، ثم سافروا إلى دمشق، واتصلوا ببعض أصحاب الرأي والمكانة فيها، ثم قصدوا بعد ذلك إلى

(1) المساوية والماسونيون في الوطن العربي- حسن عمر حماده- 4-1 دار كتابة- دمشق.
(3) الماسونية ذلك العالم المجهول- عبد الحليم الباس الخوري- 77- دار العلم للجميع- بيروت- الطبعة الأولى- 1954.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

(دُمِر)، مصير عبدال القادر، وقضوا في ضيافته ثلاثة أيام تباحثوا في خلاصته معه في الأوضاع المرتبكة في البلاد، وتقرر في الاجتماع العامل لتحقيق استقلال البلاد الشامية (وهي ما يعرف اليوم بسوريا والأردن وفلسطين) وقدّم أحمد الصلح اقتراحًا بترشيح الأمير عبدال القادر ملكًا على هذه البلاد، فوافق المجتمعون على هذا الاقتراح.

محافل الماسونية في سوريا:


1) نشأة القومية العربية - زين نور الدين زين-176.
2) نعيم بوسرايا البيئة الطبيعية للبلد الجغرافية التي تشمل (الشام، الأردن، لبنان، فلسطين، العراق). انظر: الماسونية ذلك العالم المجهول-عبداللهم الياس الخوري-57.
3) انظر الترجمة رقم (43).
4) الماسونية والمسانونون في الوطن العربي-حسين حمادة-168.
5) الماسونية ذلك العالم المجهول-عبداللهم الياس الخوري-53.
وأخذت محايل الماسونية بالانتشار، ومن هذه المحايل:

محايل زهرة الآداب: أنشئ في بيروت سنة 1873 م (1290 هـ).
محايل السلام: أنشئ في بيروت بعد عام 1900 م (1318 هـ) تحت رعاية المحفل الأكبر الإسكتلندي، وكان محدمه الأستاذ إسكندر البارودي (1).
محايل إبراهيم الخليل: تأسس في دمشق تأسس عام 1924 م (1342 هـ)، ومؤسسوه هم: داوود الماردبي، مصطفى القباني، مصطفى شوقي، عثمان سلطان (2).
محايل العروبة: أنشئ في مدينة حمص السورية، رئيسه بشير المصري، وآخرون (3).

وفي فلسطين: أنشئ محايل ماسوني عام 1873 م (1290 هـ) هو محايل سليمان الملوكى الأساسي، غمرة (193) وتواجد بعده على جميع التل اوين عاماً التالية من أذرع المخطط الماسوني حتى غدت شبكة محايل الماسونية جميع مدن فلسطين (4).

وفي العراق: أسس في البصرة المحايل التالية:

---

(1) انظر الترجمة رقم (5).
(2) الماسونية ذلك العالم المجهول – عبدالمحسن الباقس الخوري – 53.
(3) الماسونية والماسونيون في الوطن العربي – حسين جهاد – 158.
محفظ (ما بين النهرين) سنة 918 هـ (1336م).

محفظ (بابل) سنة 922 هـ (1324م).

محفظ (صدق الوفاء). (1)

الـمصدر السابق نفسه-44.
التعريف بالجماعيات القومية العربية

لقد ظهر الشعور القومي عند نخبة من الشباب العربي والغالب أغلب من النصارى أو الدروز، وأول قطر عربي ظهرت فيه الجمعيات بيروت، ثم ظهر في دمشق، ثم أخذ ينتشر في سائر الأقطار العربية. وهذا الترتيب يساير الثقافة الأدبية الحديثة في الشام (1).

(1) القومية العربية تأريخها وقوميتها وصراعاتها- مصطفى الشهابي- ج5- جامعة الدول العربية- الطبعة الثانية - 1961.
المبحث الأول: الجمعيات القومية خلال المشروطية الأولى

1. الجمعية العلمية السورية:

الصفحة البارزة لهذه الجمعية أداة سريعة، وقد تكونت على أنقاض جمعيتين سابقتين لها، وهما (جمعية الآداب والعلوم) (الجمعية الشرقية). وقد ارتبطتا بالحملات التنصيرية التي تولت رعايتها.

ولارتبط الجمعية العلمية السورية بالجمعيتين، يحسن التعريف بما تعرفه مختصرًا.

أولاً- جمعية الآداب والعلوم: ارتبطت هذه الجمعية بالبعثة النبشية الأمريكية، وقدم اليازجي والبستاني اقترحاً إلى البعثة الأمريكية بتأليف جمعية

(1) يقسم عهد الجمعيات عمومًا في الدولة العثمانية إلى قسمين: المشروطية الأولى وهي إعلان الدستور الذي أصدره السلطان عبد الحميد الثاني، وبدا من تاريخ 1876م. وأصدر السلطان عبدالحليم رفع الدستور وتعطيله بتاريخ 1878م.

والمشروطية الثانية: هي المرسوم الذي أصدره السلطان عبد الحليم من تاريخ 1908م بإعادة الدستور. وفي خلال هذه المرحلة أسقط السلطان عبد الحليم، وانتقل الحكم إلى جمعية الاتحاد والترقي. وتمّ تقرية الدولة العثمانية حين سقطت كمسميّة دولة، وتخلوّت إلى جمهورية علمانية، على يد مصطفى كمال أتاتورك 1924م.

انظر: الأوضاع الثقافية في تركيا في القرن الرابع عشر الهجري- رسالة دكتوراه- سهيل صابان- جامعة الإمام محمد بن سعود- ص 8.
قدف إلى بذل الجهد لمسايرة انتشار التعليم في المدارس وظهور العناية الحديثة بالعلوم.

وبحق المشروع المقترح، فأنشئت سنة 1847 م (1263 هـ) في بيروت باسم (جمعية الآداب والعلوم) وكان من أعضائها: اليازجي والبستاني، وكذلك أولي سيميث، وكرنيليوس فنديك (1)، وعدة أعضاء من الأمريكيين، وانتسب إليها رجل إنجليزي كان يقيم في بلاد الشام هو الكولونيل تشرشل (2). ولم يشرك فيها عضو مسلم، فأكثرهم من النصارى السوريين المقيمين في بيروت (3).

(1) كرنيليوس فنديك طيب، هولندي الأصل ولد في أمريكا عام 1233 م، رشحه جمع المرسلين للأمريكيين للتضييق في بلاد الشام، وهو في الحادية والعشرين من عمره، وتأثر به طائفة كبيرة من أبناء المسلمين، توقيع عام 1233 م. انظر: (الإعلام-الزرقالي-5/237).

(2) السير ونسون تشرشل، ولد في قصر بلنهمات في أكسفورد شاير عام 1874، وتخرج من كلية هارد عام 1895 وعمل ضابطًا في الجيش ورسالة حرية في كوبا والهند، كما أشترك في المعاوضات الحربية خاصة في الهند وفي آخر حملة بريطانية على السودان وذلك في معركة أم درمان وفي عام 1899 استقال من الجيش. زاول السياسة منذ عام 1900 وتم انتخابه عضوا في مجلس العموم، عين تشرشل قائدًا للبحرية سنة 1111، وكانت لتشرشل اتصال وترتب مع أعضاء الجمعيات القومية العربية، حيث مد الحركة القومية بالمالي بصورة مساعدات مقدمة من بريطانيا، وبدة الحرب العالمية الأولى عين تشرشل وزيراً للحرية والطيران عام 1918 عاد إلى رئاسة الوزراء سنة 1951 وكان عمره 77 عاماً، منح لقب فارس من قبل الملكة، كما منح جائزة نوبل في الأدب. وفي عام 1956 أصبح بسكة دماغية متلازمة بعد ذلك بستة أيام وقد بلغ 90 عامًا من مؤلفاته الأمريكية. انظر: (المسوسة العربية العالمية-7/207-3 حرف الناء).

(3) يفظة العرب-جورج أنطونيوس-111-117 (بصرف).
و لتحقيق الغاية من إنشاء الجمعية فقد كان لها مكتبة صغيرة وكان القيم
عليها البازجي، والبستاني سكرتيرًا لها. وكان يعقد لها اجتماعات يقدر أحد
أعضاءها بحثًا في كل اجتماع(1).

ثانيًا- الجمعية الشرقية: وهي جمعية فرنسية، أسست سنة 1850م
(1266هـ) على الأسس نفسها التي قامت عليها جمعية الآداب والعلوم.
وكان الروح المحرك لها هو هنري دو برينيير(4). وكانت تعقد اجتماعات دورية
تلقى فيها بعض الأبحاث.

وكان بعض أعضاء الجمعية الشرقية من السوريين وبعضهم الآخر من
الأجانب، وكانوا جميعًا من النصارى. وقد انفرط عقدها في وقت واحد مع
جمعية الآداب والعلوم(3).

لم يرد في سجل جمعية الآداب والعلوم والجمعية الشرقية سوى المؤسسين
لها: البازجي والبستاني، وبقية الأعضاء كانوا مثلهما من العرب النصارى.
ويعتبر القوميون(4) عدم تسجيل المسلمين العرب فيها راجعاً إلى -ما يسميه
القوميون- بالتعصب الديني في ذلك العصر. إلا أنه تحت إلحاح وتأثير مطالب

(1) المصدر السابق نفسه-117 (بتصرف).
(2) قال جورج انطونيوس: (هنري دو) يسوعي فرنسي، ولد سنة 1821، وصل بيروت سنة
1849 وبدأ فور وصوله تعلم اللغة العربية، وقد أكسبه إطلاعه الواسع ونشاطه المتواصل نفوذًا كبيرًا في
الشام، وتبناً موضعًا وقيمة بفضل الجهود التي بذله. توفي في فرنسا سنة 1872م. [بجعة العرب-
حاشية 118].
(3) بجعة العرب- جورج انطونيوس-118 (بتصرف).
(4) المصدر السابق نفسه-119.
الجمعيات القومية العربية ووقعها من الإسلام والمسلمين

البسياني واليازيجي للعرب جمعاً، ومناشدتهم على اختلاف عقائدهم أن يتحدوا لخدمة لغتهم، تقدم المسلمون باقتراح يتضمن موافقتهم على الاشتراك في تأليف جمعية جديدة تحدث فيها جهود العقائد الدينية جميعها خدمة العلم، على شرط ألا يكون للمبشرين أي أثر فيها(1).

وهكذا أنشئت الجمعية العلمية السورية في سنة 1857 م (1273 هـ).

وببلغ أعضاؤها 150 عضوًا، وكان جميع أعضائها عرباً ليس فيهم أجانب(2).

وقد اشترك فيها زعماء عرب من مختلف العقائد، وكان من أعضاء مجلس إدارته الأمير محمد أرسلان الذي بقي عدة سنوات رئيساً لها، وحسين بيه(3)، ونصارى من جميع الطوائف. فكانت الجمعية العلمية أول جمعية يشترك فيها أعضاء من أهل الدينين(4).

وقد نالت الجمعية العلمية اعتراف الحكومة بما سنة 1868 م (1285 هـ)، وفازت المقال للانتشار فيها حتى ضمت أعضاء كثيرون من الأشخاص البارزين الذين يقطنون خارج البلاد، وخاصة في القسطنطينية والقاهرة(5).

(1) المصدر السابق نفسه - 119.
(2) القومية العربية تاريخها وقرمها ومراميها - مصطفى الشهابي - 45.
(3) انظر الدرجة رقم (21).
(4) بقطة لعرب - جورج أنطوني - 119.
(5) المصدر السابق نفسه - 119.
مبادئ وتنظيمات الجمعية:

كانت غايات الجمعية ووسائلها وأنظمتها كلها على غرار جمعية الآداب والعلوم، والتي حددتها العربان التصريحيان نصيب البازجي، وبطرس البستاني، وهي إبراز فكرة القومية العربية في إطار عام أسسه أن للعرب عامة - مسيحيين ومسلمين - تراث مشترك وحضارة عربية تمتد جذرها إلى ما قبل الإسلام ولا بد من التنقيب عنها والكشف عن جذورها التاريخية والعمل على تطويرها لنساير روح العصر(1)، كما يقول البازجي والبستاني.

ولنشر الفكر القومي في المجتمع أصدر بطرس البستاني بيروت صحيفة أسبوعية باسم (نفير سوريا) وهي أول صحيفة سياسية نذرت جهودها من أجل الدعوة إلى الوحدة والتكاتف ونبذ التعصب، وهي مؤلفة من صفحة واحدة كان يوجه فيها إرشاداته وأراءه كمبدأ فضل الدين عن الدولة(2).

وبعد ثلاث سنوات أنشأ بطرس البستاني (المدرسة الوطنية) لكي تزود التلاميذ من مختلف الأديان بعضهم قومي، وأصدر أيضاً (الجنان): وهي مجلة أدبية سياسية نفخ شهيرة، كان هدفها - كنفير سوريا - محاربة ما يسميه القوميون (التعصب) والدعوة إلى التفاؤل والوحدة من أجل خير الوطن، وكان شعارها: الوطنية من الإيمان(3).

---

(1) تاريخ العصر الحديث - عبدالوهاب أحمد عبد الوهاب - 35- دار القلم-دي- الطبعة الأولى- ١٤٢٧.
(2) سليم البستاني- ميشال جحا- ٢٣- سلسة الأعمال المهولة - رياض الريس للكتب والنشر.
(3) حركة البقظة العربية في الشرق الآسيوي - محمود منسي- ٥- دار الفكر العربي - ١٩٧٨.
ومن المبادئ التي دعت إليها الجمعية العلمية ونقلتها إلى المجتمع الإسلامي مجلة الجنان: (إن أمم الأمة العربية هو أمم أمة لم تُقَّن كل زمان حياتها.) ولذلك لا بد لها من غد تعوض فيه ما خسرته من الحياة في الأمس. وهذا إما يتم بالاتحاد بواسطة العصبة الجنسية الموافقة للعصبة الوطنية. ولا أمل لنا بالعصبة الدينية لأن زمان النبوة قد مضى وقد تركنا الدين).

وانطلاقاً مـن مبدأ التسامح الديني، ووجوب الولاء على أسس وطني قومي، أكدت الجمعية عن طريق صحيفتها (الجنان) بأنه (لا بد من أن تكون في معابدنا إسلاماً وأرمن ودروزًا وموارنة ورومًا وكاثوليكًا ونصيرية وسرمانيًا وغير ذلك وفي مبادئ الأعمال لنا راية واحدة استبداد الحال لنا إذا يكون بالاجتماع حولها بالغيرة والحمية والصداقة).

وكان النشاط الثقافي للجمعية مخصصاً "بنخبة" بدأت على ما يبدو تشتهر على أفكار أوروبا وتشملها وفق الصيغة التعبيرية التي قدمتها الحضارة العربية التوسوية نفسها (مدينة، حضارنة، علم، ... الخ) هذا فإن الموضوعات التي تضمنتها بعض المخاطر التي نظمتها الجمعية تعكس بوضوح محاولة التمثيل هـذه. ولعل إيراد أمثلة من عناوين المخاطر وأسماء المخاطرين يبدو مفيداً في هذا السياق:

(1) مجلة الجنان، ص 272-1870 - نقلا عن كتاب سليم البستاني - 116
(2) افتتاحية ج 2، مجلة الجنان، ص 181-182 - نقلا عن كتاب سليم البستاني - 124
<table>
<thead>
<tr>
<th>اسم المخاضر</th>
<th>عنوان المخاضر</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>حجاجات العقل</td>
<td>حنين الحوري</td>
</tr>
<tr>
<td>الزراعة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>تاريخ الحضارة الأوروبية</td>
<td>المركز موسى دي فريح</td>
</tr>
<tr>
<td>التجارة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الحضارة</td>
<td>سليمان شحاده</td>
</tr>
<tr>
<td>واقع التعليم</td>
<td>إبراهيم ثابت</td>
</tr>
<tr>
<td>حجاجات الحضارة</td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>

كما نشرت الجمعية العلمية في المجتمع العربي بعض مبادئ القومية العربية، وذلك عن طريق إبراهيم البازجي ومعه عدد قليل من أعضائها، حيث ألقوا وهم في مبادئ الحضارة وطنية تراثية من قضايا وطنية ثورية نظمها إبراهيم البازجي، وأشار فيها بمجد العرب وحضارتهم، وسمّو لغتهم وتراثهم الأدبي، وحذر العرب من أضرار التفرقة والتفاوت المحلي، وننذج بحكم الترك، مما جاء من القصائد:

أي النعيم لم يبيت
على بساط الذل جالس
ولن تراه بانساً أبداً
لذبيل الترك (باياس)
يظل وهم وآية
ولن أزمه بكف عداء
ومنها:
فالترك قوم لا يفخوز
لديهم إلا المشاكس

(1) الاجتهادات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والشرق العربي-وجب كوثراي-134- منشورات

بحسن الثقافية-1986
أو لسّنتم العرب الكَرَام
ومن هم الشَهِم المعاطِئ
وفيها يخاطب بيّ قومه:
لا دولَة لكم يشتد أزركم
لا ناصر للخطب يندب
أقداركم في عيون الترك نازلة
وحقكم بين أيدي الترك مغتصبٌ

ومن خلال ما سبق عن تنظيم ومبادئ الجمعية العلمية: فهي تعتبر من أوائل المخططات السرية لبث الفكر القومي في المجتمع المسلم، وقد لا يحتاج إلى دليل أنّها كانت من تصميم وإنشاء الحملات التنظيمية، والتي أقيمت على غفلة من المسلمينّ مِن جانب، ومن جانب آخر لأغراض عُليمة أو طيبة. إلّا أن الأغراض التي استغلها النصارى للدعوة إلى زعزعة المجتمع الإسلامي.

وقد أثرى القوميون على مبادئ الجمعية العلمية، فقالوا: إما استطاعت أن تَجمع بين العقائد المتنافرة، وتوحدها في رابطة إيجابية فعالة، تعمل لتحقيق أهداف مشتركة.. وأصبح الحافش لهم إلى العمل هو اهتمامهم بتقدم البلاد على أساس الوحدة الوطنية. كما أصبح الربط الذي يؤلف بينهم هو اعتزازهم بالتراث العربي.

(١) القومية العربية تاريخها وقومها ومراميها- مصطفى الشهابي-٤٥.
(٢) انظر: يقظة العرب- جورج انطليوس-١١٩.
2. جمعية بيروت السرية (الجمعية السرية): 

أُنشِئت جمعية بيروت السرية (الجمعية السرية) عام 1875م (1292هـ).

ويعتبر إنشاء هذه الجمعية إلى بعض الطلاب العرب في الكلية الأمريكية السورية؛ وكانوا جميعًا نصارى، ولكنهم أدركوا قيمة انضمام المسلمين والدروز إليهم، فاستطاعوا أن يضموا إلى الجمعية نحو اثني عشر شخصًا يتمنون إلى مختلف الطوائف الدينية (1).

وقد استطاعت الجمعية النفوذ إلى داخل محافل الماسونيّة، فقد كان بعض الأعضاء المبارزين في هذه الجمعية السرية قد انضموا إلى عضوية هذه المحافل الماسونيّة، وكانوا يأملون أن يستمليعوا المسلمين، بعد أن يكونوا قد انضموا إلى عضوية هذه المحافل الماسونيّة، للانتقاء إلى الجمعية السرية (2).

من خلال تتابع تاريخ الجمعيات يتضح أن هناك صفة ظاهرة في تأسيس الجمعيات، وهي أن الثانية تنشأ على أنقاض الأولى وهكذا، وقد يكون السبب عادلًا إلى منهجية التأسيس وهي السرية، ومنهجية المبادئ، فحينما يكشف أمر ونظام الجمعية الأولى تخل الجمعية وينقل الأعضاء إلى مسمى جمعية ثانية. وهذا هو منهج الجمعيات الماسونيّة على السواء.

المصدر السابق نفسه- 149. وانظر: نشأة الحركة الحديثة- محمد دروزة- 94.
(2) نشوء القومية العربية- زين نور الدين زين- 61.
والله ف قد ضمت جمعية يروت السرية خِيَة من العلماء والأدباء على السواء، وكان أكثرهم من تلاميذ الباري البشام، وجميعهم من مريديهما (1).

ويؤكد فارس نصر النصراوي - أحد مؤسسي هذه الجمعية - على أن فكرة (القومية) لم تكن بعد قد وَجَّدت طريقها إلى وجدان العامة من الناس في الشرق الأدن، إذ كان لواء الناس - كما كانت جميع الروابط والعلاقات الاجتماعية - يقوم على أساس ديني طائفي (2).

مبادئ وتنظيم الجمعية:

كما ذكر في بداية الحديث عن الجمعية أوبا سرية، وتولى إنشاؤها نصارى العرب، تحت توجيه وإرشاد الكلية الأمريكية السورية التي صارت (الجامعة الأمريكية). وكان للجمعية فروع في دمشق وطرابلس وصيدا.

إن الهدف من إنشاء الجمعية قد طبع بطابع سياسي صرفاً وهو المطالبة بالانفصال عن الحكم التركي، وإعطاء سورية استقلالاً ذاتياً خاصاً بالعرب (3).

وقد برر أعضاء الجمعية أن هذا الهدف كان نتيجة للشعور الذي وجد عند مؤسسي الجمعية وجلهم من النصارى وهو احتقار الأثرياء لهم، واعتبارهم أدنى شأنًا منهم، مما جعلهم يشعرون بالإهانة، غير أن العربي المسلم عندما كان يتكلم

(1) يقطة العرب - جورج انطونيوس - 159.
(2) نشوء القومية العربية - زين نور الدين زين - 60.
(3) يقطة العرب - جورج انطونيوس - 158.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

...الإمبراطورية العثمانية كان يستطيع أن يقول إذا إمبراطوريته، لأنها كانت إمبراطورية إسلامية.(1) على أنآدرك النصارى العرب لزوم رفع شعار لا تختلف عليه المسلمون والكفار، فلما يكن هنالك من قاسم – كما يقول فارس نمر – مشترك بين المسلمين العرب والمسحيين العرب سوياً (العروبة) فالعروبة كشعار، كان في وسعها أن تنشر في نفوس العرب شعوراً بالقومية، وأن توحد أيضاً بين المسلمين العرب والمسحيين العرب الناقمين على الأطراح.(2) فاللواء المرفوع الوحدة والتكاتف والتناصر والتأهلي، على أساس قومي عربي.

لتحقيق هذا الهدف المطلبي بشعار القومية رأت الجمعية أن تخرج من طي السرية والكتمان، الذي كان مقصوراً على الاجتماعات السرية التي كانوا يتبادلون فيها الآراء ويبحثون الخطط، وعلى نشر أفكارهم السياسية بوسائلهم واتصالاتهم الشخصية، فعززوا على توسيع نطاق دعوهم واختاروا الوسيلة الوحيدة التي كان من الممكن أن تتاح لهم في ظل الحكم – الذي قالوا عنه – الاستبدادي التركي الظفير، وهي لصق النشوارات في الشوارع من غير أن يكون عليها ما يدل على مصدرها.(3)

منشورات جمعية بيروت السرية:

ذكرت أكثر المصادر القومية التي تحدثت عن الجمعية، أمثلة عن المنشورات التي قامت بكتابتها وتوزيعها في المجتمع، ومن هذه المنشورات.

(1) نشوء القومية العربية - زين نور الدين زين- 60.
(2) بقعة العرب - حورج انطونيوس - 61 / 150.
(3) المصدر السابق نفسه- 150.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

المشروح الثاني، الذي كتب في أعلاه العبارة التالية: "إعلان" وتحتها صورة
سيف مسلول)، وكتب تحت البيت التالي:

النطيلين بحذ السيف مأربنا فلن خيب لنا في جنَّته أرب

يقول المشروح: (يا أبناء سورية: قام موسى ﷺ مصلحاً فقال المصريون:
إن به جنَّة. وقام سقراطُ ﷺ مصلحاً فقتله اليونان، وقام عيسى ﷺ فقال اليهود
به شيطان. وقام محمد ﷺ مصلحاً فقال عرب الجاهلية إنه يحنون. وأنتم تقولون
إن صاحب هذا الإعلان «بل قولوا أصحاب» هو سكران، وإن كلامه
هذيان، فإن كان سكرانكم يعني بأموركم فهو خير من صاحبكم الذي لا
يهمن أمركم ولا حفظ ناموسكم ويلتزمكم لكم سكاري. نحن الذين يحبون
الليل بإعمال دولاب الأفكار، ويضلون النهار باستكشاف الحوادث والأحبار،
فولا متنا لما كنا للترك أذلاء عبيدا، ولولا شقاقنا لم نكن عند الإفرنج حجارة
وحديداً، أبين غلوكم العربية أبين جهيمكم السورية، عدوا يا قوم والعود أحمد،
ولا تقنطوا من رحمة الله، فلن يخفى القمر. ومن يعش ير.

وقد خصت الجمعية مطالبةً بالنقاط التالية:

(بعد التشاور مع زملائنا في جميع أنحاء البلاد، فقد تم وضع برنامج سننذه
ولو بحذ السيف إذا اقتضى الأمر) وأهم النقاط في ذلك البرنامج هي:

(1) إبريد سقراط الوثني في مصاف الأنصار على السلام والصلاة بإله إبراهيم، وهذا أمر
مختلف نصوص الكتاب والسنة { أفجعل المسلمين كاترين ماككم كيف تحكمون} انظر: درر
تعارض العقل والنقل - ابن تيمية - 159/2، ومجموعة الملالي والنقل - الشهرستاني - 162.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

1 - منح سورية الاستقلال مُوحدةً مع جبل لبنان.
2 - الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية في البلاد.
3 - رفع الرقابة والقيود الأخرى التي تحد من حرية التعبير ونشر التعليم.
4 - استخدام القوات المحتلة من أهل تلك البلاد في المهام العسكرية الداخلية فيها فقط.1) كما كان للشعر دور في نشر مبادئ الجمعية، فقد انتشرت قصائدها وتم انتشار:

فَقَد طَمَا الْحَطَبُ حَتَّى غَاصَتِ الرَكْب
وَحَقَّكَمْ بِنَيْنَ أَيْدِي الْتُركِ مَغْتَصِب
صَبْراً هَيَا أَمْة الْتُركِ الَّتِي ظَلَمَتْ
فَلَن يَنَبِبْ لَنَا فِي جَبَّهِ أَرَب

وَفِيما عَدَا السَعْرَاءِ أَدَى المُدرّسُونَ عَلَى الْكُتَابِ مِنْ أُعْضاَءِ هذِهِ الْجَمِيعَةِ دُوَّاً كبيراً في ترويج مبادئها وشعاراتها، وكان عددهم أثنا عشر رجلاً. عند تأسيسها، فلم يلبث أن قفز إلى سبعين، من أبرزهم إلياس حبالي الماروني المذهب مدرساً للغة الفرنسية في كلية بيروت الأمريكية من عام (1871-1874)-(1888-1891).2) وقد اعترف مبادئ الماسونية، كان ثوريًّا في أفكاره، وكان بعد

1) يقطة العرب - جورج انطونيوس - 155. وذكر المؤلف تفصيلاً تمامًا عن هذه المنشورات، وقام بتحليلها ودراسةها.
2) العرب والترك - توفيق برو - 41.
أن يختص درس الفرنسية في صفوفه، يعود إلى موضوع السياسة فيكلم الطلاب عن وجه التحول من الأتراك والتخلص من حكومتهم الفاسدة الظالمة. وهكذا أصبح الطلبة وجميعهم نصارى من أشد أتباعه إخلاصاً وولاءً وراحوا ينشرون أفكاره بين الطلاب.(1)

ويقول عنه فارس شم النصارى وهو أحد معاصريه (2) كأن يذرو شبان سورية اللغة الفرنسية ولكنه وقف جهده على إرضاعهم لبان الحرية وإضرام نار البغض بين ضلوعهم للسلطات الاستبدادية سياسية كانت أم طالفة. وشاركه في هذا الفضل رجال العشرية الماسونية في سورية من مسلمين ومسيحيين. فيا طالما هُمرو الليالي وبذلوا الرحيق والغالي لإعداد أبناء سورية لقبول المبادئ الحرية والنظمات الدستورية(2).

ومن خلال تتبع آراء الجمعية السرية نجد أنها أضفت عليها القضايا السياسية عن طريق المطالبة بالانفصال عن الدولة العثمانية، وهي ضمن مناقشة موضوعات الباب الثالث إن شاء الله تعالى.

والذي ينبغي أن يستمر في سجل هذه الجمعية أفواه فكرة نصرانية ولدت في محاصل الماسونية وصنعتها أيد نصرانية، ولذا يذهب بعض القوميين أن غاية

(1) نشوء القومية العربية - زين نور الدين زين - 196 (حالية)
(2) مجلة المختصر مارس 1910 - ص 250-270 - الكاتب فارس نمر - نقلاً من كتاب نشوء القومية العربية - زين نور الدين زين - 196 (حالية).
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

الجمعية قد جاءت مبكرة جداً (1)، فكان تأثيرها على المجتمع الإسلامي ضعيفاً جداً. لذا كان مآل الجمعية في زمن 1882-1883 و1899 (1200-1201 هـ) أن أوقفت الجمعية السرية التي ظلت تعمل سراً دون أن يعلم أحد بما نشاطها وأحرقت وثائقها، واعتبرت نفسها جمعية منحلة (2).

---

(1) يقظة العرب - جورج انطونيوس - 156. وانظر:
1. نشوء القومية العربية - زين نور الدين زين - 69.
3. العرب والترك - توفيق برو - 43.

(2) نشوء القومية العربية - زين نور الدين زين - 61.
3. جمعية رابطة الوطن العربي:

تعتبر جمعية رابطة الوطن العربي من أوائل الجمعيات التي نادت بالانفصال عن الدولة العثمانية، ومن أسسها نجيب عازوري، وهو عربي نسائي، تولى منصب نائب متصدر القدس بين عامي 1899-1904 (1317-1322 هـ). ثم اختلف مع رئيسه كاظم بك متصدر القدس بسبب سوء الإدارة العثمانية فاستقال، وقام بجولة في مدن الشام لمدة شهرين بعد استقالته، ودعا إلى إنشاء حزب سياسي جديد أسماه رابطة الوطن العربي (1).

وبسبب أن دعوته إلى القومية العربية، قد خرجت في وقت مبكر وكان المجتمع على ولياه للخليفة، لم يعد مناصراً لدعوته، فهاجر إلى فرنسا وأسس عام 1904 جمعية رابطة الوطن العربي في باريس بالاشتراك مع يوجين يونجه، أحد موظفي مصلحة الاستعمار الفرنسي السابقين (2).

ولم أُهمد من الكتاب الذين كانت لهم كتابات عن الجمعيات القومية من اهتم بهذه الجمعية، فقد ذهب بعضهم إلى أثاث أثارت شيئاً من الاهتمام في أوروبا في ذلك الحين، ولكن أثرها في الحركة العربية نفسها كان ضئيلاً (3). وكان السبب في ذلك كما ذكر سابقاً أن المبدأ الذي دعت إليه كان بعيداً على

_____________________________________
(1) حركة البقعة العربية- محمود منسي- 1000.
(2) المصدر نفسه- 100.
(3) يقظة العرب- جورج انطوليوس- 173.
المجتمع المسلم، وأيضاً: ظهورها في عاصمة أجنبية – باريس – وبلغة أجنبية كان أمراً في ذاته يدعو إلى شلها والحد منها (1).

ومن أهل نشر مبادئ جمعية رابطة الوطن العربي فإن جيب عازوري ألف كتاباً لمناصرة فكرته والتي أوجدها بعبارة (الاستقلال الذاتي للبلاد العربية) وسمى الكتاب «يقطنات الأمية العربية» كتبه باللغة الفرنسية. وقد تُرجم إلى اللغة العربية (2). إلا أن أعضاء الجمعيات القومية العربية كما انتقدوا الجمعية كذلك لم يهتموا بالكتاب، فقد قال مصطفى الشهابي (3) عنه: (أنا على يقين من أن كتب العازوري لم يكن عند أحد من شباب جمعية النهضة العربية، ولا عند أحد ممن ألفوا عقب إعلان الدستور العثماني - المشروطية الثانية - الجمعيات والمؤسسات القومية العربية المختلفة. وفي سنة 1911 م (1330 هـ) وجدته يباع في إحدى مكتبات باريس فاشتراه ودلت بعض الرفاق من الطلاب العرب عليه، فلم يهتموا به، لأهم كأنه كانوا قد شبو عن الطوق، وعرفوا من شؤون القومية العربية وواجباتهم فيها ما لم يعرفه غيرهم) (4).

المصدر نفسه-163. وانظر:
1. القومية العربية-مصطفى الشهابي-59.
2. نشأة الحركة العربية الحديثة - محمد عزة دروزة-120.
3. بقية الأمية العربية-جيب عازوري- تعريب أحمد بو ملحم-المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
4. انظر الترجمة رقم (66).
وقد أصدر نجيب عازوري في سنة 1907م (1325هـ) هو وجمعة من الكتاتب الفرنسيين في باريس مجلة شهرية عنوانها "الاستقلال العربي" لم تعش أطول من سنة وبعض السنة هدفها تعريف العرب بالقضية العربية. وقد صدر العدد الأول منها في أبريل 1907م والعدد الأخير في سبتمبر 1908م، وفيها ذكر عازوري أن جميع ما يسعى إليه العرب سوف يتم تحقيقه.

ورغم أن المجلة قد لفنت الأنظار في أوربا في ذلك الوقت، إلا أنها فيما يختص بالحركة القومية العربية كان تأثيرها لا يكاد يذكر.

مبادئ وتنظيم الجمعية:

إن كتاب (بيظة الأمة العربية) لنجيب عازوري قد احتوى مبادئ الجمعية، ومن خلال دراسة الكتاب المذكور لبيان مبادئ الجمعية نستنتج ما يلي:

1- القصد بالسلطان عبدالحميد: لقد شغل كتاب بيوظة الأمة العربية صفحات كثيرة وقدح السلطان عبدالحميد الدولة العثمانية، فما جاء في كتابه: (كيف يجوز التركي عبدالحميد الادعاء بأنه خليفة، وكيف يكون خليفة ولا يفهم العربية .. هو قاتل كاذب يسرق رعاياه، ويجكم بالإعدام على حجاج مكة، يوفر الحماية للمحرومين). ويعبر ختصص عرف الدولة العثمانية بأنها (جماعة من قطاع الطرق يقودهم مجرم، فهي لا تكفي فقط بالآ لتمثلي شيئاً

(1) حركة البيوظة العربية-عمرو منسي-103.
(2) بيوظة الأمة العربية-نجيب عازوري-220.
لتحسين وضع الفلاح، ولكنها تعمل بانتظام لتخريب هذا البلد التيعيس تدريجياً.
لا أمن ولا سلام ولا عدلية في تركيا(1).

2 - فصل الدين عن الدولة: لقد نادى بوجوب فصل السلطة المدنية عن السلطة الدينية، وإقامة إمبراطورية عربية تمتد من الفرات ودجلة إلى خليج السويس، ومن المتوسط حتى بحر عمان(3).

وقد علل عازوري وجوب فصل الدين عن الدولة بقوله:
أ _ إن سيادة خليفة الإسلام على كافة مسلمي الأرض المجتمعين في دولة واحدة أمر يبدو مستحيلاً دائماً.
ب _ إن أحد الأسباب الرئيسية لسقوط الإمبراطورية العربية العظيمة هو تركيز السلطات المدنية والروحية والجمع بينهما في بد واحدة.
ج _ إن خليفة نبي الله يجب أن يتمتع بنفوذ أو هيبة روحية بلا منازع، ويجب أن يبقى مختاراً لا ينتقد طوال حياته، ولا يرتفع إلى سلطته، ويجب أن تبقى عظيمته مستقلة(3).

3 - دعوة فرنسا للاستعمار البلاد العربية: (لا يمكن أحد الحق في حكمنا غير فرنسا)، ولن يهتف بحرارة لأي دولة غيرها إذا نزلت في البلدان العربية، يوم

(1) المصدر السابق نفسه- 21.
(2) المصدر السابق نفسه- 219.
(3) يقظة الأمة العربية - عازوري- 220.
يُبِتْ تَجْرِيَّة الإمبراطورية التركية. ومن أن الدول الأخرى لا يمكنها أن تسمح بالسيطرة على شعب غمرته فرنسا فضلًا عن حين يدعوها كي تنقذ من العبودية. (لا يقبل الألمانون وهم شعب شديد الحراسة وغير جيد على استقلاله، أبتدأ بتأيي احتلال أجنبي مهما كان... خلاف ذلك في سوريا مسيحيين ومسلمين خلاف المسحوقين، نستقبل بفرح أول دولة تأتي لتنزعننا من العبودية).

وتخصص فرنسا دون غيرها من الدول، لأن فرنسا تمتلك حقوقًا ومصالح أكثر من غيرها في شتى الإمبراطورية العثمانية الأوروپية والآسيوية. لفرنسا عدا الإرساليات التي لا تقصى وبيوت التعليم والأيتام والمستشفيات والمدارس.. رؤوس أموال ضخمة تستثمر في مشاريع.

إن حقوقها أكثر وأقدم ومصالحها أهم وأكثر تمركزا في البلدان العربية عن سواء في المناطق. إن مقام فرنسا ونشاطها في بلاد الرواد وسوريا وفلسطين يتحديان كل مراحل.

4- التعب على الأفكار والمبادئ النصرانية: لقد أكثر عازوري من الإطراء على المبادئ الكافرة فما قال: (تعتبر فرنسا مشعل الحضارة والحرية الأسطع إشعاعًا، إلى جانب كوفرها حامية المقهور، المآوى السحي للفكر والقيم الإنسانية. وعندما يحمى هذا المشعل سعياني العالم إلى مدى طويل فلفقا عاما).

(1) المصدر نفسه- 134.
(2) المصدر نفسه- 150.
(3) المصدر نفسه- 121.
(4) المصدر السابق نفسه- 116.
ويتميز النظام الإنكليزي باللامبالاة الكلية حيال كل ما يتعلق بالأخلاق والروح، وبالحفاظ على الأديان والطوائف والمؤسسات الغربية والعجيبة التي يسمح لها بالعمل على قدم المساواة ... هذه مملكة الحرية المطلقة(1).

هـ- الدعوة إلى توحيد الأديان: لقد شارك نجيب عازوري بمحافل المسكونية، وأسس مخالفاً ماسونياً في القاهرة، وأصبح مدير جريدة مصر اليومية فترة من الزمن(2)، وهذا فإن بدأ توحيد الأديان قد تبناه من مطلق عقائدي وليس من منطق الإتحاد من أجل استقلال البلاد العربية، ومن أقواله في هذه القضية (إن قاطني هذه البلدان العربية الشاسعة لا يميز بعضهم عن البعض الآخر إلا بالأديان والطوائف والمذاهب التي لا تخص، أرجو أن تحصي: مسلمون شيعة، مسلمون شيعة، ونصيريون، ودروز، وموارنة ... كاثوليك إما حقيقة شائعة... التعصب الدينى ليس سوى تطور في المصلحة الشخصية)... إن التعصب القومي شعور عفوي وفطري تقريباً كمثل الشعراء العائل الذي يأخذه عين الاعتبار كل سياسي، والذي يوجب إبعاد كل قضية دينية(3).

إن الجمعيات القومية العربية، سالفة الذكر كانت قبل إعلان الدستور وإلزام السلطان عبد الحميد بإعلانه، وتمى هذه الفترة بالشروطية الأولى.

__________________________

(1) المصدر نفسه- 117.
(2) الثورة العربية 1906-1916-آجن جنك- 33/1/19 (نقاً من مقدمة كتاب نقطة الأمة العربية- 19).
(3) نقطة الأمة العربية- نجيب عازوري- 167.
ويست هي الجمعيات الوحيدة التي أنشأها القوميون في المجتمع الإسلامي، لكن ما ذكر يعتبر من أبرز الجمعيات في طرح المواقف القومية واتخاذ الأساليب لها.
المبحث الثاني

الجمعيات القومية خلال المشروطية الثانية

سبق التعريف بالمشروطية الثانية أباها، هي: المرسوم الذي أصدره السلطان عبدالحميد من تاريخ 1908م بإعادة الدستور. وفي خلال هذه المرحلة أسقط السلطان عبد الحميد، وانتقل الحكم إلى جمعية الاتحاد والترقي، حيث كان تمرق الدولة العثمانية وسقوطها كمسمي دولة، وتحولت إلى جمهورية على يد مصطفى كمال أتاتورك 1924م.

وتعتبر هذه الفترة في تاريخ الحركة القومية من أصحب فتراتها في تأسيس الجمعيات القومية، حيث صدر القرار الدستوري بحرية تأسيس جمعيات قومية، وتمكن من قيادة الدولة من تشربت قلوبهم وتأثرت عقولهم بالمبادئ الصليبية والماسونية(1). ومن الجمعيات القومية العربية التي تأسست في هذه الفترة، ما يلي:

(1) انظر الأخوان الثقافيا في تركيا في القرن الرابع عشر الهجري- رسالة دكتوراه- سهيل صافان- ص.8.
1. جمعية الإخاء العربي العثمانية:

إن تأسيس جمعية الإخاء العربي وما يليها من الجمعيات القومية العربية في فترة المشروطية الثانية. كانت الدولة العثمانية من بيئة تختلف عن الأحوال التي ظهرت فيها الجمعيات سابقة الذكر. فإن تاريخ 1908 (1326 هـ) يعتبره القوميون عصر الانفتاح والحرية الفكرية والعقائدية، حيث أعلن الدستور وأطلق سراح جميع المعتقلين السياسيين، ورفع القيود التي كانت مفروضة على المنفرين والمبعدين. وعكس ذلك: اعتقل صناديد عهد الاستبداد، وبدأ البحث عن مصادر الثروة التي اكتُروها، وفرضت المظالم التي ارتكبها (1) فكان هذا التاريخ بداية عهد تحميش الخليفة وإسقاط السلطان عبد الحميد من الحكم وانتقال زمام أمور الدولة إلى جمعية الاتحاد والترقي، والقرب من العالم الغربي.

لقد أجمع (2) الذين دونوا تاريخ القضية العربية على أن جمعية الإخاء العربي هي أول جمعية عربية تأسست بعد إعلان الدستور العثماني في سنة 1908، وأنشأت نادياً لها.

وقد افتتحت الجمعية رسمياً وسط مظاهرة الحماسة في اجتماع كبير عقدته الجالية العربية في القسطنطينية، وحضره أعضاء من جمعية الاتحاد والترقي (3)، بل إن من أبرز المنشئين لجمعية الإخاء العربي هم من كبار موظفي العرب في العهد.

(1) البلاد العربية والدولة العثمانية - ساطع الحصري - 95- جامعة الدول العربية - 1957.
(2) الثورة العربية الكبرى - أمين سعيد - 1/7- مطالب عيسى البابي المحلي - مصر.
(3) يقظة العرب - جورج انطونيوس - 177.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

الحميدي، خافوا على مناصبهم في الدور الجديد فاستعثروا ببعض الشبان المتحمسين وأسسوا هذه الجمعية للدفاع عن مناصبهم (1).

ومنهم: شفيق المؤيد العظم (2) وصادق المؤيد العظم (3) وشكري الأيوبي (4) ومن دمشق وشكري الحسيني (من القدس) (5) وتأسست جمعية الإخاء العربي فروع خارج استنبول في سوريا والعراق، وأخذت الإعانات تتوارث للجمعية من أنحاء شتى، فعلى ما ذكره شكري الحسيني أن أحد نصارى العرب والمقيم في أمريكا بث مكتوبًا ذكر فيه أنه سيرسل ألف دولار لصرف في سبيل تشكيلات الجمعية (6).

مبادئ وتنظيم الجمعية:

أصدرت جمعية الإخاء العربي مجلة باسمها وتولى أحد مؤسسيها إصدارها، فكانت إحدى الوسائل التي بنيت فيها الجمعية مبادئها وقواعدها، والتي يمكن إيراد بعضها بما يلي:

(1) الثورة العربية الكبرى - أمين سعيد-7/1
(2) انظر الترجمة رقم (36)
(3) انظر الترجمة رقم (93)
(4) انظر الترجمة رقم (37)
(5) نشأة الحركة العربية الحديثة - محمد عزة دروزة-250
(6) إيضاحات عن المسائل السياسية التي جرى تدقيقها بديوان الحرب العربي المشترك بعاليه- جمال باشا-9-طين-1346
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

1- نصت المادة الأولى: جمعية الإخاء العربي العثماني نشأت في دار الخلافة مؤلفة من أبناء العرب العثمانيين على اختلاف ملتهم ونحلهم.

2- يحق لكل فرد من أبناء العرب - والعربي كل من ينتسب إلى العرب مولداً ووطناً أن يكون عضواً في جمعية الإخاء العربي العثماني. بشرط أن يكون متصلماً بحسن الخلق والشريعة، غير محكوم عليه بجرم جنائي أو إفلاس احتياطياً ولا ساقط من الحقوق المدنية.

3- مقصود جمعية الإخاء العربي العثماني هو: معاونة جمعية الاتحاد والترقي في سبيل المحافظة على أحكام القانون الأساسي (الدستور) وجمع كلمة الملل المختلفة العثمانية بدون تقف في الجنس والمذهب. وتمكين الرابطة الجامعية بينهم، وذلك لأجل خدمة الدولة العثمانية وإصلاح الشؤون المحتلة.

4- السعي لإعلاء شأن الأمة العربية واتخاذ جميع الوسائط والتدابير لنشر أنوار العلوم والمعارف بين أبنائها كتأسيس مدارس وطبع جرائد ..

5- إقناع أهل البداوة للإقبال عن عاداتهم المستجدة وعدوا أوقام المستمرة بينهم، وإسكانهم في مجالات ثابتة، وتعويدهم على مزاولة العوائد والحرف الحضرية، وتوبر عقوبه بالعلم.

6- صيانة حقوق أبناء العرب جمياعاً من الغدر والاعتصاف وتبلغ شكاياتهم، ومستدعياهم إلى مراجعها الرسمية.
الجمعيات القومية العربية ووضعها من الإسلام والمسلمين

السعي في تأييد العدالة والحرية والمساواة بين عناصر الأمة العثمانية وإزالة الضغائن وسوء التفاهم من بينهم. (1)

ومن منطلق إبراز الدور القومي العربي فقد التزمت الجمعية مهمة استقبال نواب العرب حين قدموا من البلاد العربية إلى الأستانة للمرة الأولى، فأعدت لهم الحفلات واستقبلتهم أعضاؤها والطلاب العرب واحتفوا بهم (2).

ومنها يلاحظ على مبادئ الجمعية أنها تعلن مبدأ وفاق العرب والترك جميعًا، وخاصة أنها تأسست في بداية حكم جمعية الاتحاد والترقي (3).

ويجرى بعض القوميين أن الجمعية لم تقم بشئ مؤثر في مجال المنهج الذي رسمته، عدا بعض حالات لا استقبال نواب العرب فإنها سجلت من دون ريب حقيقة بدء بروز الفكر القومية بفعلها الواضح في هذا الدور، وتعزز العرب للاندفاع بالآفاق الذي فتحه إعلان الدستور أمامهم، والنهوض بكيانهم القومي (4).

(1) الثورة العربية الكبرى - أمين سعيد - 7. وانظر: نشأة الحركة العربية الحديثة - محمد دروزة - 351.
(2) المصدر السابق نفسه - 8. وانظر: القومية العربية - مصطفى الشهابي - 68.
(3) انظر: الحكومة العربية في دمشق - خيري قاسمية - 18.
(4) حول الحركة العربية الحديثة - محمد دروزة - 27/1/192/1.
إن أبرز ما يجب أن يشار إليه(1) في مبادئ وأهداف جمعية الإخاء العربي.

النقاط التالية:

١ - (معارنة جمعية الاتحاد والترقي) لقد وضعت جمعية الإخاء العربي يدّها في يد جمعية الاتحاد والترقي(2) والتي كان أكثر أعضاها ساقيين، بل إن أبرز مؤسس جمعية الاتحاد والترقي من أعضاء محفل (ما كدوميا ريزورتتا) في سلانيك وكان تابعًا لإيطاليا، أمثال: طلعت باشا، وكاظم باشا، وما ناسيم زاده رفيع(3).

٢ - إعانة جمعية الإخاء العربي جمعية الاتحاد والترقي كانت محدودة في المحافظة على أحكام القانون الأساسي - الدستور - ولم تنفرد جمعية الإخاء العربي بالمحافظة على أحكام الدستور، وإنما جميع الجمعيات القومية كانت تطلب بالعمل بالدستور.

إن الدستور المطلوب عليه إما هو من صنع مدحت باشا، الذي أكثر القوميين الثناء عليه والتمجيد له، والذي روجت له الدعاية الماسوية في أنحاء الشرق العربي والغربي على أنه البطل العظيم حامل لواء الإصلاح والحرية في

(1) في النسب الثاني - إن شاء الله - سيكون الحديث عن موقف الجمعيات القومية من المعتقدات الإسلامية.
(2) سيكون الحديث إن شاء الله عن جمعية الاتحاد والترقي في الفصول القادمة.
(3) الأوضاع الثقافية في تركيا في القرن الرابع عشر الهجري - مهيل صباغ - رسالة الدكتوراه لم تطبع - جامعة الإمام محمد بن سعود - ومراجعة: الماسوية عقيدة المولد والنهضة - محمد الشاذلي - ١٣٢٦ - مكة وطه - مصر - الطبعة الأولى - ١٤٤٠هـ.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

المملكة العثمانية، وسمته (أبو الدستور) (1) وفي الباب الثاني إن شاء الله تفصيل هذه القضية.

3 - ونما تجنب الإشارة إليه عن مبادئ جمعية الإخاء العربي في مسألة الأصل الذي يعتزم به بين الناس جميعاً، هو (جمع كلمة الملثمة المتلقة العثمانية بدون تفريق في الجنس والملو). إن جمع الكلمة أمر قد حث عليه الشريعة وكنت عن الفرق، وإنما المبدأ الذي دعت إليه جمعية الإخاء العربي وغيرها من الجمعيات (بدون تفريق في الجنس والملو)، هو الشعار ذاته الذي نادت به الجمعيات القومية العربية.

4 - إظهار المبدأ القومي، والدفاع عن حقوق الأمة العربية. كانت جمعية الإخاء العربي من أوائل الجمعيات التي نادت بهذا المبدأ بقرارها (صيانة حقوق أبناء العرب جميعاً).

ويرى القوميون أن هذه الجمعية لم تستطع أن تحقق شيئاً من ذلك، حيث فقد التجانس واختلاف التفكير وتفاوت العقيدة الوطنية فيهم، فهي لم تكد تولد 1908 م حتى أغلقت الحكومة أواخر سنة 1909 م. وألغوا جرداً ما

(1) اليهودية والمسوسة - عبد الرحمن الدوسري - 70-700 - الخير - 1414 هـ - الطبعة الأولى.
(2) القومية العربية - مصطفى الشهابي - 76-76. وانظر:
1. حول نشأة الحركة العربية الحديثة - محمد عزة مدروزة - 707.
2. العرب والترك - توفيق برو - 707. 1.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

(الإخوان العثمانيين)، بدعو وقوع بعض ما لا ينساب في سورية، وظهور الأفكار الرجعية في تشكيالها وأعضائها.

2. جمعية المنتدى الأدبي:

لم تعنى جمعية الإخاء العربي طويلاً، فنشأ على أنقاضها جمعية المنتدى الأدبي وهي من الجمعيات العلمية، وكان تاريخ نشأة المنتدى في سنة 1909م (1337هـ) (1) ومؤسسها خليط من الشيعة كعبد الكريم قاسم خليل، الذي تولى رئاسة المنتدى فترة طويلة حتى أغلق سنة (1941م-1363هـ) (2) والمنتسبيين إلى أهل السنة، ونصارى العرب منهم (رفيق سلوم) (3) وأسعد داغر (4).

وهو هذا الخلط العقائدي يعده بعض القوميين من مناخ منتدى الأدبي، فقد كان طابع العروبة هو الطابع المميز له، فاجتمع في رحابه المسلم السي، والشيعي والدرزي والمسيحي على اختلاف الطوائف إنها من تحابين هدفهم محببة العروبة.

(1) إيضاحات عن المسائل السياسية التي جرت تدفقها بديوان الحرب العربي المشكّل بعاليه - جمال باشا
(2) الثورة العربية الكبرى - أمين سعيد- 1/8.
(3) الحركة العربية - سليمان موسى- 1/10.
(4) انظر الترجمة رقم (28).
(5) انظر الترجمة رقم (4).
(6) ذكريات علي هامش القضية العربية - أسعد داغر- 35.
(7) نشأة الحركة العربية الحديثة - محمد عزة دروزة- 65.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

وبظهـرـ هذا المنتدى يلاحظ اختلاف طرح الجمعيات القومية لمبادئها، فكان المنتدى يتصل أحد الأساليب الجديدة والمناسبة للحال والواقع الذي أنشئ فيه لإحياء وبعث القومية العربية، واستقطاب أبناء العرب من يظهر عليهم النبوغ.

ويقول مصطفى الشهابي — أحد أعضاء المنتدى الأدبي — كان مبادأ العروبة في عاصمة الدولة، ففه كان الطلاب الجدد يلتقوه خطط الأطراف الاجتماعيون الرامية إلى تسهيل القومية التركية والقضية على القوميات السائرة في الدولة (1).

مبادئ وتنظيم الجمعية:

من خلال تبع آراء أعضاء الجمعيات القومية العربية، جاءت تتفق على أن حركة المنتدى الأدبي قد تمحى إلى حد كبير، وقد ظل المنتدى مزدهراً نشيطاً في سبيل الفكر والحركة العربية وأهدافها إلى سنة 1915 م.

فهي أكثر أعضاء الجمعيات أن المنتدى كان من أهم مظاهر نشاط الحركة العربية الحديثة بعد الدستور ومغناها. ومن أهم عوامل ازدياد ذلك النشاط، وانتشار دائرة الفكر والتكتم حولها (2). فكان في المنتدى الأدبي أبرز الشخصيات التي قامت على جماجم النهضة العربية (3).

(1) القومية العربية - مصطفى الشهابي - ٧١.
(2) نشأة الحركة العربية الحديثة - محمد عزة دروزه - ٣٥٥.
(3) مذكراتي على هامش القضية العربية - أسعد داغر - ٣٥.
والمنهج الذي سار عليه المنتدى الأدبي هو إعلان الولاء والوفاق العربي التركي وقد سمح به الاتحاديون - حيث قد صدر قانون يحظر قيام الجمعيات والأحزاب ذات الأهداف القومية السياسية (1). فوضعوا زمناً تحت رعايتهم لأن أهدافه لم تكون سياسية علنية (2) فكانت تقوم فيه حفلات يدعى إليها رجال مشهورون من الترك رسميون وغير رسميين، ويخطبه فيها بصد ذلك، بل كان يعقد في المنتدى ندوات يشهدها شباب من الترك مع شباب من العرب فتجري فيها الأحاديث والمناظرات حول الأجيال القومية التركية والعربية، وينبه على عدم التعارض بين اهتمام كل فريق بمجد قوميته ونمو عواطفه القومية تحت لواء (العثمانية) (3).

وكان أحد أهداف المنتدى القومية تبرز على الملام فيما كان يلقي فيه من محاضرات وخطب، وما كان يقوم فيه من حفلات، وما كان ينشر في مجلته من بحوث ومقالات وقصائد وأناشيد وطنية (4).

لقد كانت السمة الظاهرة في نشاط المنتدى الأدبي، هي المناشط الأدبية والتعليمية فقد كان أعضاء المنتدى يمثلون بعض الروايات العربية التاريخية،

(1) الحركة العربية الكبرى - سليمان موسى - 32.
(2) يقظة العرب - جورج انطونيوس - 184.
(3) نشأة الحركة العربية الحديثة - محمد عزة دروزه - 355.
(4) القومية العربية - مصطفى الشهابي - 71.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

كرواية صلاح الدين الأيوبي في مسرح دار الفرح ورقصوا ربيعها لـّه فدرت عليهم أرباحًا زائدة.

وقد قَدَّم رئيس المنتدى الأدبي للفتوى العربية خطة تتعلق بإصلاح المدارس الابتدائية في دواويرهم، وأبرز فيها الجانب القومي، وقترح عليهم برنامجاً يرمي إلى إفاضة البلاد العربية على دعامتين:

١ - توثيق عرى الإخاء بين العرب على اختلاف أديانهم وطوائفهم حتى لا يذكر الواحد منهم في السياسة والوطنية غير عروضه الشريفة.

٢ - توحيده طرق التعليم في البلاد العربية حتى ترقي النفس تربية واحدة ليسير جميع العرب في طريق وحيد واحد إلى غرض واحد.

فاستعمّب النواب البرنامج وتعهدوا بتنفيذه بالتأكيد مع المنتدى الأدبي، الذي تعهد بتضحيات مادية وأدبية، وبتطوع أعضاء المنتدى الأدبي المعтинين للتدريس في المدارس، علامة على وظائفهم أو أعمالهم العادية.

لم يكن للمنتدى الأدبي صحيفة تخدم أغراضه في الفترة الأولى من تأسيسه، إما كان الأعضاء يكتبون في الجرائد العربية التي كانت تصدر في الآستانة، كـ مجرد الحضارة والجرائد التي تصدر في سورية والقاهرة، وأراد مع ذلك أن ينشئ مجلة خاصة به، غير أنه قد صدرت مجلة باسم (لسان العرب) فأراد رئيس

(1) الثورة العربية الكبرى-أمين سعيد-1881.
(2) العرب والترك-توقيع برو-1266.
المتندى أن تكون هذه الجملة ناطقة باسم المتندى، وأن يكون اسمها (المتندى الأدبي) وأشرف عليها أحمد عزت الأعظمى(1). وكانت مجال أفلام ونفتات شباب العرب وشعرائهم وأدبائهم وعلمائهم في كل ماله صلة بالعروبة وتاريخها وحقوقها ولغتها وأمنيتها، وبالتالي مظهراً من مظاهر الفكرة ودعاية من دعائم حركة(2).

لقد كان المتندى الأدبي حينئذ مرتعّاً للأفكار القومية، وبث الولاء للقومية، ومما جاء في أحد المناظرات الثقافية في المتندى: إننا عرب قبل كل شيء المسلم عرّبي، والمسيحي عربي... و.. وأهل إننا عرب قبل أن تكون مسلمين، والمسيحي عربي قبل أن يكون مسيحياً ... و... وقد تركنا مسألة الديانات والعبادات إلى الجوامع والكنائس(3).

وحدث أسعد داغر - أحد الأعضاء المشاركين في المتندى - عن أحد اجتماعات المتندى الأدبي، والتي توقّف فيه قضية وجوب السعي إلى إنقاذ العرب: بالاستناد إلى فكرة الجامعة الإسلامية، أو أن القومية هي الأسس الذي يجب أن تقوم عليه الدول منذ الآن وأن الجهود كلها يجب أن توجه إلى خدمة الفكرة العربية مجرد من كل شيء؟

---
(1) انظر الترجمة رقم (1).
(2) نشأة الحركة العربية الحديثة- محمد عزة دروزه-656وانظر: العلم والترك- توفيق برو-263.
فكأن الرأي الذي اتخذه المنتدى وصرح به العضو، حيث قال: يمكنني إعلانه الآن على رؤوس الأشهاد أنه لم يكن بين أصدقائي الذين قامت النهضة العربية على اكتشافهم أو على جماحهم، سواء في سورية أم العراق أم فلسطين أم لبنان أم غيرها، من يفكر في اتخاذ الفكر الإسلامية أساساً للوحدة والاستقلال.
بل إنهم جميعاً كانوا يعملون على تعزيز الروح القومية البشارة وإحياء مجده العرب على أساس هذه الروح (1).

ولأسباب كثيرة من أبرزها التصادم بين العرب والترك (2) انحرف المسار الفكري والموجهي للمنتدى الأدبي، فتحول إلى مركز سياسي فأصبح يبث الدعوة إلى الانفصال عن الترك وإعلان الاستقلال العربي، ويلقي فيه خطابات موضوعها تلقيح التاريخ للطلبة بشكل يبعث على فكرة الاستقلال.

وقد صرح بعض مؤسسيه بأن للمتندى تعليمات خفية لا يعلمها سوى أعضائه المؤسسين الذين كانوا يسعون وراء تلك التعليمات، منها: إن الأتراك يحكمونا مع أهم أقل نفراً. والغاية من تأسيسه: أن يجمع كل الطلاب العرب وييثب فهم فكرة القومية وفخة العرب بأيّة واسطة كانت، ولو بمساعدة الدول الأجنبية التي تؤدي إلى احتلال أو حماية. وكان هؤلاء كلما انتهى فريق منهم بدوره حمل هذه الأفكار وبثها حيث يتعين من البلاد العربية (3).

(1) مذكراتي على هامش القضية العربية- أسعد داغر- 26.
(2) الحكومة العربية في دمشق- خيرية فاضل- 18.
(3) الإيضاحات عن المسألة السياسية- جمال باشا- 12 (بчерف)
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

وقد أطلعت جمعية الاتحاد والترقي على النشاط السري للمنتدى الأدبي،
كوجود النشرات التي تمرض العرب على الاستقلال وقت الاتراك، وهي ترد
للمنتدى ضمن الجرائد التي ترسل إلى مدير مجلة المنتدى ومحررها. وقد وجد في
المنتدى رسائل (1) تثبت أن له نشاط مع شباب في الخارج يعتمد عليهم فيما
يُثبت له من الأفكار.

وبعد هذه المعلومات عن المنتدى أصدرت جمعية الاتحاد والترفي قرارها في
المنتدى الأدبي، وهو: أن المنتدى قد سمح أفكار الشباب الأبرياء الذين كانوا أثناء
دوامهم على المكاتب في الآستانة يسعون لتأمين مستقبلهم وهم بحكم تامة.
حتى جعل بعضهم خادمين لآمال رجال اللامركزية تمام الخدمة. فكان السبب
في إعدادهم نتيجة المحاكمة الأخيرة (2).

صدر القرار ضد المنتدى الذي أعلن في بداية تأسيسه — وغيره من
الجمعيات القومية — على مساندة جمعية الاتحاد والترقي لتحرير البلاد من
الخلافة الإسلامية، وتحرير المجتمع من سلطنة الدين والشرع. وقد انتشر أعضاؤه
المتتنوعون في البلاد العربية يبثون رسالتهم فيها (3).

كأسعد داغر، والذي عمل في جامعة الدول العربية مديرا للمكتب
الصحفي وقد سعى من خلال منصبه الإعلامي إلى دعوة أعضاء الجمعيات

(1) انظر صور الرسائل في: الإيضاحات عن المسائل السياسية-جمال باشا.
(2) الإيضاحات عن المسائل السياسية-جمال باشا-16 (بصرف).
(3) القومية العربية-مصطفى الشهابي-71.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

القومية العربية للعمل في الجامعة وأن يمنعوا الجامعة بآرائهم وأفكارهم، فقد كتب إلى نبيه العظمة (1) عام 1946 م (1366 هـ) ولهذا قال له: (إذا كنت تعتقدون أن جامعة الدول العربية هي الأمل الوحيد لنا، وأنا أعتقد ذلك فأرجو أن تقوموا بالواجب تجاهها) (2).

3. الجمعية القحطانية:

يغلب على جميع الجمعيات القومية أن الداعي إلى تأسيسها أهداف علمية أو أدبية أو اجتماعية.. الخ، ولكن ظهر لدى القوميين فكرة تخصيص الجانب العسكري من قادة أركان حرب وضبط بنشاط قومي ذا صبغة سرية، فكانت جمعيتاً (القحطانية) و (العهد) تقومان بهذا الدور، وقد أنشئت الجمعية القحطانية السرية سنة 1909 م (1327 هـ) في استنبول، وانظم كثير من ضباط العرب في سلكها، كما ضمت أيضاً بعض المدنيين (3).

وتضمن قيمتها في هذا التاريخ الذي عندما تجمع القوميات عموماً والقومية العربية خصوصاً عصر التحرر من الحكم المستبد، وتطبيق الحكم الدستوري الحر، وتظهر قيمتها في تاريخ الحركة العربية أنها حاولت أول محاولة معروفة لضمان الضباط العرب في الجيش العربي ليزداد التعاون في ميدان الحركة.

(1) انظر الترجمة رقم (18).
(2) الراعي العربي الأول (حياة وأواق نبيه العظمة) جمع خيرية قاسميه - 1341.
(3) خيام في الحركة - حسن الحكيم - 42. وانظر: الثورة العربية الكبرى - أمين السيد - 10/1.
القومية(1)، وكان من مؤسسي الجمعية الفقهاوية، خليل باشا حماده وزير
الأوقاف، وعبدالحميد الزهراوي(2)، وعزيز علي المصري بكباشي(3) أركان
حرب، وسليم الجزائري بكباشي(4) أركان حرب، وانضم إليها عزة الجندي(5)
وعبدالكريم الخليل، وعادل أرسلان(6).

وقد كان سبب كثرة المنتسبين إلى الجمعية الفقهاوية أن نظام الانتساب
مفتوح لكل أحد دون استثناء من المركز، مع الإبقاء على سرية نظامها
وبرامجها(7) التي لا يطلع عليها كل أحد إلا بشرط من كانت وظيفته فوق
مستوى الشهات وكان من يوثق بكتمانه السر(8).

وكان من سرية الجمعية الفقهاوية أولا مارست نشاطها السياسي بصورة
شفهية، ولذا لم أحد خلال مجيئه وثائق مكتوبة عنها كما في أغلب
الجمعيات القومية. ومن أمثلة مبدأ السرية بين أعضائها هي: أن يضغط المسلم

(1) بقطة العرب-جورج بانفوش-186.
(2) انظر الترجمة رقم (41).
(3) انظر الترجمة رقم (48).
(4) انظر الترجمة رقم (31).
(5) انظر الترجمة رقم (47).
(6) انظر: ١- خيرات في الحكم-حسن الحكيم-٤٢.
٢- الثورة العربية الكبرى-أيمن سعيد-١/١٠.
٣- الإيضاحات-جمال باشا-١٧.
(7) الإيضاحات-جمال باشا-١٧.
(8) بقطة العرب-جورج بانفوش-١٨٦.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

على أحد أصابع الجماعة ثم يضع الشاهدة والوسطى على الذراع الأيسر، ويخفف بقية الأصابع، يهجري كلمة هلال عند المحاذة، فإذا قال الأول (هاء)، قال الثانى (لام) ثم يقول الأول (الف) فيقول الثاني (لام)(1).

مبادئ تنظيم الجمعية:

انطلاقاً من التكوين الحرلي للجمعية ولكونها بفترة الجماعة خاصة، واتخاذها مبدأً وتنظيماً يناسب مع طبيعة تكوين الأعضاء، وأما ظهرت في عصر تغلبت فيه جمعية الاتحاد والترقي على السلطان عبدالحميد، وانطلاقاً من تصريح بعض أعضاء الجمعيات عن غاية الجمعية القفطانية، يمكن تلخيص مبادئها بما يلي:

١- بث المبادئ الصحيحة بين أبناء الأمة، وجمع الكلمة وتوحيد الصفوف.

٢- أن تؤولف الولايات العربية مملكة واحدة تصبح جزءاً من إمبراطورية مزدوجة تركية عربية(2).

٣- إيقاظ العرب من سبقهم وتذكيرهم بمضاهتهم وبقياقم القومي المعاصر.

٤- العمل على رفع مستوى الحرب الثقافي والاجتماعي والاقتصادي.

٥- حثهم على التضامن والمالالية بما هم من حقوق مضاعفة في الدولة(3).

(١) الثورة العربية- أمين السعدي-١٠/٤/١٠.
(٢) خبراتي في الحكم- حسن الحكيم-٤٢.
(٣) القومية العربية- مصطفى الشهابي-٦٩.
ويظهر من هذه المبادئ أثر التكوين الحزبي للجمعية القحطانية، إذ يغلب على مبادئها الطابع السياسي من حيث المطالبة بالحقوق المضاعة، وجمع الكلمة وتوحيد الصفوف، وتأليف ولايات عربية. وهذه المبادئ قد وقعت بربط القومية العربية وتأسستها بالمعتقد القومي، مع الحرص على تأكيد هذا الجانب والاهتمام به ثقافيةً واجتماعياً واقتصادياً.

وقد ظلت الجمعية القحطانية تنادي بهذه المبادئ وتعمل على تحقيقها في المجتمع المسلم حتى قرب قيام الحرب العالمية الأولى وبالتحديد عام 1913 م (1332 هـ)، عندما انضم أعضاؤها إما إلى جمعية (العهد) أو (الفتاة) وإما إلى كتبيهما، فانصرف معظم نشاطهم إلى تبنّي الجمعيين.

4. الجمعية اللامركزية:

أُنشئَت الجمعية اللامركزية في تاريخ 1912 م (1333 هـ)، مع التأكيد على أن فكرة الحكم المركزي واللامركزي من أهم القضايا التي شغلت الجمعيات القومية. وقد ناصر القوميون مهاجرة الأتراك في مؤتمر باريس 1902 م (1320 هـ) الذي ناقش مشروع الحكم المركزي واللامركزي، وفي هذا المؤتمر ظهرت تياران متناقضان، أحدهما: ينادي بالحكم المركزي وهم أعضاء جمعية الاتحاد والترقي، والآخر ينادي بالحكم اللازم.

المصدر نفسه-19

(1) نشأة القومية العربية-زين نور الدين زين-92.
وبعد إسقاط السلطان عبد الحميد رفع شعار الحكم اللامركزي، وأن الدستور والحكم المركزي لا يتحممان، إلا أن جمعية الاتحاد والترقي - والتي بُعيدها الحكم - أخذت تطبق برامجها المركزي وتقتضي على من ينادي بضد الحكم المركزي(1).

ولسوء إدارة الحكم الاتخادي وظهور الضعف على الدولة في مقاومة الغزو الإيطالي. وبعد حرب البلقان(2) التي كانت قد انتهت في ذلك الحين إلى ضياع بعض ولايات أوروبا، وانسحاب الم(55) نائباً الذي كانوا يتثورون تلك الولايات في مجلس (المبعوثان)، وجد العرب أن الدولة أصبحت مقتصرة على الولايات العربية والولايات التركية مع وجود أقليات من الكرد والأرمن (3).

وبناء على هذه الحال أستمت جماعة من السورين - كان بينهم لبنانيون وفلسطينيون هاجروا إلى القاهرة - حزباً سياسياً بمعرفة الحكومة التركية، أطلقوا عليه اسم (حزب اللامركزية الإدارية العثماني)(4).

وتولى رئاسة الحزب والهيكل الإداري له من الشاميين المقيمين في مصر، ومُع هذا لم يكن عملهم مقتصرًا على الشام، فقد أُسسوا أيضاً فرعاً للحزب في العراق، ولكنهم لم يتجاوزوا الولايات العربية إلى غير العربية(5).

(1) مجلة دراسات تاريخية - لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق-العدد 11-السنه 1403-مفهوم اللامركزية-سيلة الرعاوي.
(2) انتظر تاريخ حرب البلقان- يوسف البستاني.
(3) مجلس المبعوثان: هو مجلس النواب العثماني وهو المروف باسم (مجلس مبعوثان عثماني) الذي نص على تأسيسه الدستور العثماني. (وينظر إلى مذكرات سليم علي سلام-130).
(4) الحركة العربية- سليمان موسى.
(5) نشراء القومية العربية- زين نور الدين زين.
(6) القومية العربية- مصطفى الشهابي.
الجمعيات القومية العربية وموقعها من الإسلام والمسلمين

وقد فوضت الجمعية عبدالله كريم خليل - رئيس جمعية المنتدى الأدبي - أن يساعده فرعاً للحزب يقوم برامجه على اللامركزية في صيدا وصور وبعض مناطق جبل عامل.

مفهوم الحكم اللامركزي:

قدمت الجمعية اللامركزية تعريفاً لمفهوم الحكم اللامركزي، هو: توزيع السلطة الإدارية على المراكز المختلفة المؤلف منها الجسم السياسي الاجتماعي، عوضاً عن حصرها في جزء واحد مركزي، ليتسر لكل جزء الاهتمام بتدبير شؤونه الخاصة بنفسه عن علم مع حفظ الصلة بالمركز حرصاً على مصلحة الكل.

مبادئ وتنظيم الجمعية:

من خلال دوافع إنشاء جمعية حزب اللامركزية، يجد أن أهدافها ذات شقين، الأول: أن تبنى للحكم في تركيا مدى الحاجة إلى اللامركزية الإدارية في الدولة، والثاني: أن تبنى الرأي العام العربي لتأييد اللامركزية.

وإذا حرص أعضاء الجمعية اللامركزية - قبل أن تكون الجمعية علنية - استغلال تصريح الدولة العثمانية لجمعية الحرية والاتلاف، فانضموا تحت مظلفها لفتح فروع للجمعية اللامركزية.

(1) الإنجازات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي- وجب كثراي- 244 - بيحسن الثقافية- 1982.

(2) جريدة الغربة، مقالة بقلم شيللي باريخك- 1913-2/5 بعنوان اللامركزية والعمران. (تقرأ من مجلة دراسات تاريخية العدد 11 عام 1933- مقال سهيلة الرياتي.

(3) بيضة العرب- جورج انطونيوس- 185.

(4) نشأة العربية الحديثة- محمد عزة دروزة- 371 (حاشية).
 وبعد أن صرحت الحكومة الاتحادية للجمعية، قدمت الجمعية اللامركزية برنامجًا لا يخرج عن تحقيق هذا الهدف. وكانت مواد النظام الأساسي للجمعية تكشف قيام جهاز حزبي محكم. وقد وكل أمر الإشراف عليها لجنة من عشرين عضوًا يقيمون في مصر تتألف من بينهم هيئة إدارية مكونة من ستة أعضاء.

ومواد البرنامج (1) ما يلي:

المادة الأولى: ألف حزب سياسي باسم (حزب اللامركزية الإدارية العثمانية).

المادة الثانية: القصد من تأليف هذا الحزب بيان محسنات الإدارة اللامركزية في السلطنة العثمانية للشعب العثماني المؤلف من عناصر ذات أجناس ولغات وأديان وعادات مختلفة والمطالبة بكل الوسائل المشروعة بحكومة تؤسس على قواعد اللامركزية الإدارية في جميع ولايات الدولة العثمانية.

المادة الثالثة: ليس هذا الحزب خفياً وليس فيه ما يعد من الأسرار، فهو ينشر مقصده المبني على المطالبة باللامركزية الواسعة جهراً وعلانية دون خشية من أحد، لاعتقاده يقيناً أن الدولة لا تبقى في العالم السياسي إلا إذا بنى حكومتها على أساس اللامركزية الإدارية.

(1) يفظة العرب-جورج انطونيوس-185.
(2) من الفضيد عند برنامج الحزب كاملاً ليعطي صورة عن التنظيم الداخلي والمنهج للعلاقات الخارجية.
المادة الرابعة: إن الدخول في حزب الالتماسية مباح لكل عثماني بلغ العشرين من العمر، على شرط أن يكون:
1. من المتمكنين بجميع الحقوق المدنية.
2. غير محاكم عليه بحكم مخل بالشرف.
3. غير مشهور بسوء السيرة.
4. أن يقبل القواعد المبينة في برنامج الحزب.
المادة الخامسة: يكفي لمن يريد الدخول في الحزب أن يكون دليلا أحد أعضاء الحزب مع موافقة لجنة الإدارة المحلية على ذلك. ولا يجوز قبول عضو مادام من حزب يخالف هذا الحزب في المبدأ والغاية.
المادة السادسة: للمنتمي إلى الحزب أن يستقيل من عضويته في أي وقت.
المادة السابعة: على العضو أن يدفع إلى الفرع المسجل فيه اسمه راتباً شهرياً أقله شرفان، ويقبل الحزب التبرعات ويعطي الفقراء من الراتب.
المادة الثامنة: لا يقيد الحزب أعضاءه بشيء غير قواعد البرنامج السياسي الذي وضعه لأجله.
المادة التاسعة: على النواب (المبعوثين) المتمكنين إلى الحزب أن يسعوا بكل ما في وسعهم لتنفيذ قواعد الحزب في المجلس.
المادة العاشرة: لا يسوغ لأحد من المنتمين إلى الحزب مراجعة الحكومة باسم الحزب من تلقاء أنفسهم، وإذا ثبت على أحد الأعضاء مثل هذا السلوك يحمي اسمه من سجل الحزب.

المادة الحادية عشرة: إن مركز الحزب العام في مصر القاهرة، ويجوز لكل بلد أو قرية اجتماع فيها عشرة من أهلها على مبدأ اللامركزية الإدارية أن ينشروا فرعاً له ويختاروا المركز العام لذلك.

المادة الثانية عشرة: تتألف اللجنة العليا للحزب من 20 عضواً ينتخب منهم رئيس ونائب رئيس وسكرتير ومساعدان له، وأمين للصندوق. ويجب هذه اللجنة أن تضم إليها من ترى فيه فائدة للحزب.

المادة الثالثة عشرة: إذا غاب الرئيس ونائبه يرأس الجلسة أحد أعضائها.

المادة الرابعة عشرة: كل فرع من فروع الحزب يتبع المادة 12 و13 في تأليف لجنته الإدارية وانتخاب الرئيس والسكرتير وأمين الصندوق.

المادة الخامسة عشرة: يعقد كل فرع مؤتمراً فرعيًا حليًا في شهر يونسية (حزيران) من كل سنة، يحضره جميع أعضاء الفرع، وتعقد اللجنة العليا مؤتمراً حزبيًا عامًا في مصر القاهرة في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) من كل سنة يحضره أعضاء اللجنة العليا وأفراد الحزب في المركز العام ومندوبون ترسلهم اللجان الفرعية.

المادة السادسة عشرة: يرسل كل فرع للمؤتمر العام مندوباً من قبله.
المادة السابعة عشرة: تنتخب كل لجنة إدارية رئيسها وسكرتيرها وأمين صندوقها من أعضائها بالاقتراع السري، وتُرفع إلى المركز العام في القاهرة نتيجة الاقتراع.

المادة الثامنة عشرة: على اللجان الإدارية الفرعية أن تسعى بكل الوسائل المشرقة لنشر مبادئ الحزب وتعميمها بين الناس وتكتير أفراد المحاربين، والاجتهاد في سبيل انتخاب نواب مجلس المبعوثين والمحالس العمومية والإدارية والبلدية من الأكفاء الذين على مبدأ الحزب.

المادة التاسعة عشرة: اللجنة العليا تضع تعديل القوانين واللوائح للحكومة اللامركزية وتسعى مع سائر اللجان والأفراد إلى إقناع الشعب والحكومة بما انتخبوا.

المادة العشرون: على اللجان الإدارية الفرعية أن تتخذ دفاتر لقيد قرواتها وأسماء الأعضاء ومنصفي فروع الحزب وأمواله.

المادة الحادية والعشرون: تجمع اللجان كلما قضت الحال بدعوة من الرئيس أو نائبه، والعضو الذي لا يحضر الاجتماع أربع مرات متوازيات من غير عذر يعد مستقلاً من عضوية اللجنة.

المادة الثانية والعشرون: على السكرتير وأمين الصندوق في كل لجنة أن يقدم إلى تلك اللجنة في آخر كل سنة كشفاً بيان الإيرادات الفرعية ونفقاتها عن تلك السنة، وعلى كل لجنة أن ترسل صورة من هذا الكشف إلى اللجنة العليا.
الم١٠٦

المادة الثالثة والعشرون: لا تعد مذكرات اللجان قانونية إلا إذا اجتمع نصف أعضائها على الأقل، وإذا كررت الدعوة اكتفى بمن حضر.

المادة الرابعة والعشرون: لللجنة كل فرع الحرية النامة في أعمالها إلا ما قيدها بقرارات اللجنة العليا أو المؤتمر العام.

المادة الخامسة والعشرون: على لجان الفروع أن ترسل إلى اللجنة العليا كل ثلاثة شهور كشفًا يحوي أسماء الذين دخلوا في خلال هذه المدة في الحزب، وأسماء الخارجين منه وسبب خروجهم والمنتقليين من مكان إلى مكان، وكشفًا آخر يحوي بيان أعمالها في المدة المذكورة.

المادة السادسة والعشرون: على اللجنة العليا أن تراقب سير أعمال لجان الفروع وحسن تنفيذ قوانين الحزب.

المادة السابعة والعشرون: على اللجنة العليا أن تقيس لا ثقة عن الحزب وأحواله، ببناءً على ما يرد عليها من اللوائح والكشفوف من لجان الفروع وترفعها إلى المؤتمر العام.

المادة الثامنة والعشرون: تتجمع الجمعيات العمومية والمؤتمر العام في مواعدها المقررة حسب المادة (١٥) ويرأسها في كل مكان رئيس اللجنة الإدارية، وأما المركز العام فيعقد برئاسة اللجنة العليا.

المادة التاسعة والعشرون: تنظير كل جمعية عمومية في نتيجة الحسابات وفي بيان لجنة الإدارة عن أعمالها في السنة الماضية، وتصادق على الحسابات
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسرام والمسلم
الخاتمية، وتقرر ما يجب العمل به في السنة المقبلة، وتتنخب نصف أعضاء مجلس الإدارة وتفضح بعد انتهاء عملها.

المادة الثانية: على سكرتير كل لجنة إدارية أن يقوم بضبط المخاض ومقررات الجمعية العمومية، وعلى سكرتير اللجنة العليا ومساعديه أن يقوموا بضبط أعمال المؤتمر العام.

المادة الحادية: من خصائص المؤتمر العام الإطلاع على بيان اللجنة العليا عن أعمال الحزب في السنة الماضية، ورؤية حسابها والتصديق عليها والمذكرة في كل ما يرفع إليه عن أعمال السنة المقبلة وتقديرها.

المادة الثانية: كل تغيير وتبديل في برنامج الحزب السياسي الأساسي من حقوق المؤتمر العام، ولا يتم ذلك إلا بطلب تحريري من اللجنة العليا أو لجنة من لجان الفروع، ويعمل بغالبية الآراء.

المادة الثالثة: على اللجنة العليا ولجان الفروع تنفيذ ما يقره المؤتمر العام كل منها فيما يخصه(1).

واحدت جريدة المنار(2)، وصاحبها عضو من أعضاء هذا الحزب — على عاتقها أمر الدفاع عن مبادئه، ونشر بياناته، وشرح مبادئه، والتعليم في مبدأ مركزية الحكم الذي انتخذه المسلمين خطوة لهم(3).

(1) ثورة العرب مقدماتها أسبابها نتائجها-أحمد أعضاء الجمعيات-57-26-مطبعة المقطم- مصر-1416.
(2) جريدة المنار-رشيد رضا-المجلد 16-الجزء 8-ص640-624-وفي صفحات متعددة من المجلة.
(3) العرب والترك-تفويق برو-ص59.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

إن برنامج جمعية اللازمكية يلتقى مع مبادئ جمعية الحرية والاتحاد، ولكن يريد عليها بكونه أكثر وضوحًا ودقة في تحديد حقوق العناصر.

وقد قال رشيد رضا عن منهج الجمعية اللازمكية: (يجب أن يكون طلاب الإصلاح كافة على رأي واحد في القواعد الاجتماعية التي تطلب من الحكومة المركزية، لأن التفرقت ضعف والاجتماع قوة، وحزب اللازمكية الإدارية في مصر لم يتعرض في برنامجه للتفصيل، لأن الاتفاق عليه معذر فعسي أن يكون هو الجامع للجميع).

وكان حزب اللازمكية دور مهم في مؤتمر باريس العربي فقد قررت لجنة المؤتمر أن ترتبط هذه اللجنة بحزب اللازمكية الإدارية في مصر بصفة رسمية وفي تاريخ 4 نيسان أرسلت كتابًا إلى اللجنة العليا لحزب اللازمكية الإدارية في القاهرة تعرض عليها فيه أن تكون لجنة الحزب قدوة المؤتمر ومصدر عمه، وتقترب عليها انتخاب من يمثلها في المؤتمر وأما ستعهد برئاسته إلى أحد ممثلي الحزب.

ومهما جاء في الرسالة: (إلى رئاسة حزب اللازمكية وأعضائه الكرام نحن الجالية العربية في باريس، نقدم إليكم عواطف الشكر والمنة لتأليفكم حزب اللازمكية الإدارية، فقد جمعتم في برنامجكم الأماني التي يرتدها أبناء العرب لسعادتهم وترقيهم في كل حين . . . ذلك ما حمل الجالية على الاجتماع

(1) جريدة المدار- رشيد رضا- المجلد 16- الجزء 4- ص 280
والبحث عن التدابير الواجب اتخاذها لوقاية الوطن المحبوب من الطوارئ وإصلاح أمور بلادنا على قاعدة اللامركزية .... فنكرموا علينا بالمؤازرة برأيكم حتى إذا كانت فكرة المؤتمر صالحة في نظركم بعثتم ممثلاً عن مركزكم لنبوأه المكانة الرفيعة وتعضده على الغاية المنشودة.

وقد جاء رد الجمعية اللامركزية بما يلي: حضرات أعضاء لجنة المؤتمر العربي الكرام في مدينة باريس، تلقت اللجنة العليا لحزب اللامركزية بكل سرور وامتنان ما جاء في كتابكم الكريم من اعتمادكم على إحوانكم من أعضائها وإقراركم الانضمام إليها، وأن يكون المؤتمر الذي عزمتم على عقده باسمها وللغرض الذي تألف الحزب لأجله هو اللامركزية الإدارية. ... وقد أقرت على إرسال مرددين من قبلها لحضور المؤتمر على أن يكون لهم حق النظر والمشاركة معكم في موضوعات المؤتمر حتى تكون موافقة لمبادئ الحزب وبرناجه(1).

ومـــــــــــــــــــــــــــــــ~ن أبرز موضوعات المؤتمر العربي الأول: ضرورة الإصلاح على قاعدة اللامركزية، الذي أكد فيه على أن المطالبة بالحكم اللامركزي لا يعني الانفصال عن الترك، وإنما يريدون به إصلاحاً ينهض بالبلاد من عثرتها، حتى ولو كانت الهيئة الحاكمة اليوم من صميم قريش. فطالبو اللامركزية بنادون بحكومة تساوياً فيها جميع العثمانيين في الحقوق والواجبات، فلا يستأثر فريق بحق من الحقوق ولا يحرم فريق من حق من الحقوق.

(1) المؤتمر العربي الأول- صور عن اللجنة العليا لحزب اللامركزية بمصر- القاهرة- 1331-1913.
لا بداعي الجنس، ولا بداعي الدين عرباً كان أم تركي أم أرمينيًا أم كردية، مسلماً أم مسيحياً إسرائيلياً أم درزياً (1).

إن اشتراك النصارى في الجمعيات القومية، أو حتى في تأسيسها مسألة معروفة جيداً. ولكن اشتراك اليهود ووضع اعتبار لهم في تلك التنظيمات مسألة مريضة في تلك الجمعيات القومية، وبناء على تحقيق مبدأ اللامركزية في الحكم نرى الدكتور (نمير ملول) أحد سكان يافا اليهود ينسحب عضوًا عاملاً إلى تشكيلات حزب اللامركزية منذ عام 1913م (1331هـ).

ونرى محمد الشيخلي - أحد معمدي اللامركزية - يكتب عن فلسطين إلى مركز الحزب في القاهرة بأنه أدخل بعض اليهود في عضوية اللامركزية (2).

وأثناء انعقاد المؤتمر العربي الأول في باريس عام (1913م) تجاهل المؤتمر أمر الخطر الصهيوني على فلسطين مع أنه وردت إلى المؤتمر عشرات رسائل التأييد والتنديد بالخطر الصهيوني، وقد دعا مرسولاً إلى اتخاذ موقف حازم من الهجرة اليهودية، وإن من مجموع (388) رسالة وردت إلى المؤتمر كانت (139) رسالة وردت من فلسطين (3).

(1) المؤتمر العربي الأول - صور عن اللجنة العليا لحزب اللامركزية 98-106.
(2) أوراق محب الدين الخطب في القاهرة.
وقد حملت جريدة (الكرمل) نداءً عاماً لكل من يهتم بمصير فلسطيني جاء فيه: (أُجرِّبُونا يا طلاب الإصلاح أن نتميى بعضكم في مؤتمر باريس أن يكون محطة مهاجري الروملي في الأناضول لتفكيك الشقية عن السوريين. قولوا كلمة للسندوي الحكومة أن تمليك الأراضي للجمعيات الصهيونية يضعف القومية العربية وبالتالي الجامعة العثمانية).

يعتبر أعضاء الجمعيات القومية العربية والأمريكية من الجمعيات التي ساهمت في بقية الأمة العربية، ونادت بطرح قوي في المطالبة بحقوق العرب في الدولة العثمانية، وذلك بتأديب النظام اللازم. (2)

إن تبني جمعية اللازم مقررات المؤتمر العربي الأول، قد كان له الأثر في نشر أهداف الجمعية، إلا أن موقف الدولة العثمانية من الاستجابة لقرارات المؤتمر، ومحاولة استمالة رئيس المؤتمر (3)، كان من أبرز أهليات الجمعية اللازم.

(1) المجلة العربية-مصطفي الشهاي-100، واختار:
(2) البعث العربي-نصب المارك-140، ص.4.
(3) المجلة العربية-سليمان موسي-24.
(4) الحركة العربية-خيرة قاسميه-21.

1. مذكرات على هامش القضية العربية -أسعد داغر-61-85. وكان من نتائج قرارات المؤتمر عدم قبول المناصب في الدولة العثمانية، وقد قيل عبد الحميد الزوهاي عضو في مجلس الأعيان.
والتوافق النهائي بين جمعية الحرية والاتحاد التركي تأسيسًا، وبين جمعية اللازمكرية العربية تأسيسًا، فإن الجمعيتين تدعوان إلى الحكم اللازمكري وكان هذا من أكبر الدوافع التي جعلت جمعية الاتحاد والترقي تبتش بأعضاء الجمعية اللازمكرية. فعمدت جمعية الاتحاد والترقي إلى مراقبة نشاط أعضاء جمعية اللازمكرية.

وخلال البحث والمراقبة عثرت جمعية الاتحاد والترقي على وثائق تدين بها أعضاء جمعية اللازمكرية، واتفق أن كان هناك رئيس الاتفاليين صادق بك، وكان يتردد على رفيق العظم - رئيس الجمعية اللازمكرية - فجرى بينهما شبه اتفاق بحيث يكون الحزبان معا على قلب الاتفاليين، وأخف إذا توافقوا أقاموا صدراً أعظم (١).

ولقد اعترف أحد مؤسسي الجمعية اللازمكرية بأن الاتفاق الأول بين اللازمكرية والاتفاليين كان بقصد إقامة وزارة اتفالية في أثناء الحرب البلقانية لتكون عونًا على تنفيذ هذه الغاية التي هي من متهمات تقسيم الدولة العثمانية.

ومن الأمور التي أُدينت بها جمعية اللازمكرية: ائتمال الإنكليز - سنة ١٩١٤م (١٣٣٢هـ) وقبل نشوب الحرب العالمية الأولى - بالجمعية اللازمكرية ممن أُجل أن تقوم الجمعية اللازمكرية باستطلاع مواقف زعماء العرب، والكشف عن الخطة التي يسيرون عليها. وأنشأ الإنكليز اتصالات

(١) الإيضاحات عن المسائل السياسية - جمال باشا - ٤٤٠.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والسيم

محدودة مع قادة حزب الباركرية بمصر، وكان رشيد رضا وكيل الحزب، ورفق العظم رئيسه، ومحب الدين الخطيب(1) مساعد أمينه العام(2).

وبناء على هذه القضايا نفذت جمعية الاتحاد والترقي حكم القتل في بعض أعضاء الباركرية، وذلك في سنة 1915 م (1333 هـ) وعدوده من الأحزاب الثائرات على الدولة (3)، وانفطر عقد الجمعية الباركرية سنة 1916 م (1334 هـ) (4).

ومن خلال تتبع آراء مؤسسات الجمعية الباركرية تجد التناقض في منهجية الحكم والسياسة، فمن المؤسسين للجمعية شابي شميل وهو نصري المعتقل(5) والذي يرى نشر مذهب النشوء والارتفاع في الشرق العربي، وقد وصف هذا المذهب فقال: (والله أن فضل دارون العظيم ليس في فكرة وضع أساس هذا المذهب، بل بتأييد له بالأدلة العلمية الطبيعية، وجعله صالحا لأن يطبق على الأحياء وحدها بل لأن يشمل الطبيعية كلها) (1).

وقد تبنى شابي شميل المبدأ الاشتراكي في الحكم، فقد قال: (إن الاشتراكية نتيجة لأزمة لمقدمات ثابتة لا بد من الوصول إليها، لو بعد تذبذب طويل.

---

(1) انظر الترجمة رقم (58).
(2) أمرار الثورة العربية الكبرى-أمين سعيد-27-38-دار الكاتب العربي.
(3) القومية العربية-مصطفى الشهابي-28.
(5) انظر الترجمة رقم (35).
(6) المعاصرات-محمد كرد علي-246-مطبوعات بجمع اللغة العربية بدمشق-1401 هـ.
الشراكية كلاً جماعياً مابه نواحي طبيعية تدعو إليها) وفي مقابل دعوته إلى الشراكية، هاجم الدين، فقال: "إن أوربا أصبحت قوية عندما حطم الإصلاح الدين والثورة الفرنسية سيطرة رجال الدين على المجتمع".(1)

ولوجد أعضاء نصارى في الهيئة الإدارية للجماعة تأثيرًا على مثى فكرة الامانة الرئيسية في الحكم، وقد بين رئيس الجمعية أن الأعضاء المسيحيين يستنجدونا إلى السرا بالاحتلال الفرنسي والعامل له، وأن أمين سر الجمعية أخبره: بأنه أحد رجل مسلم غير معروف إلى خليل - خليل أبوب وهو نصارى - يقول لي: لما أنتم تشتغلون مع رفيق - رفيق العظم رئيس الجمعية - وأصحابه؟ فقال لي: نحن نريد أن نتخذ هؤلاء المسلمين آلية للاحتلال الفرنسي".(2)

ومطالبة الجمعية الامانة الرئيسية بالحكم المركزي تختلف ميزات المؤسسين لهذا المطلب، فمنهم من رى أن الامانة الرئيسية داخل الحكم العثماني، الذي هم أصحاب الملك(3). وأن كل ولاية من ولاياته تعد جزءاً من السلطنة، لا ينفك عنها بحال من الأحوال.(4)

(2) مجلة دراسات تاريخية-العددان الخامس عشر والسادس عشر-1984-مقال سهيلة الريمايي.
(3) مجلة دراسات تاريخية-العددان الخامس عشر والسادس عشر-1984-مقال سهيلة الريمايي.
(4) مجلة المناجر-مجلد 6-16-فبراير 1913-ص 827. وهو نفس البيان.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

بينما هناك رأي آخر يرى بأن الدولة ليست علاقتها بين العرب-العرب-اليوم
علاقة غاية، سالب، ناهب، طامس، فإن كانت حكومتنا تظن أنها تستطيع
أن تتحكمنا اليوم كما حكمتنا في الماضي، ولن تخشى انفاضتنا عليها، أفلا تخشى
الذين يناعوهما البقاء من خارج وهي بهذا الضعف وهم بتلك القوة.  
وحيما تختلف ميراثات المطالبة بالحكم اللامركزي يختلف المنهج والأسلوب في تحقيقه
وتنفيذه.

5. جمعية العهد:

أثناء فترة تقدم قرارات المؤتمر العربي الأول إلى الدولة العثمانية، واستبطاء
الإصلاحات التي قدمها أعضاء الجمعيات القومية للدولة، ظهرت جمعية العهد
في سنة 1913.

فقد ظهر جمعية العهد والعلاقات بين الترك والعرب متازمه، وأيضاً
كأن البرنامج الإصلاحي المقدم من جمعية اللامركزية لم يرق للمتطرفين من

معنى الكلمات التالية:

1. سلáb: السلب هو ما يأخذ أحد القرنين في الحرب من قره ما يكون عليه ومعه من
سلاي وتعب وتغبر وغيرها، وهو فاعل معنی مفعول: أي مسلوب فيه حدث (من
قائل قيل فيها سلبة) النهاية في شرح غريب الحديث والأثر-ابن الأثر-2/387/مادة
(سلب) أنصار السنة المحمدية-باكستان).

2. النهب: الغارة والسلب، ومنه قول الرسول ﷺ: (ولا يتهب لبي ذات شرف يرفع الناس
إليها أبصارهم وهو مؤمن) النهاية في شرح غريب الحديث والأثر-ابن الأثر-5/132/مادة
(فب) وانظر: لسان العرب-ابن منظور-1/773-مادة (فب) دار صادر-بيروت.

(1) جريدة الأهرام-88-10/12/17/1912 (نقاً من كتاب العرب والترك). 362
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

شبان العرب وضباطهم الذين رأوا أن يكون الإصلاح تاماً، وأن ينجز بالتدريج بل فوراً، وأن يسير على نظام اللامركزية التامة (1).

وقد تولى تنظيم وأنشأ جمعية العهد عزيز بن علي المصري، الذي عين في هيئة أركان حرب الجيش الثالث في مقدونية. وهناك انضم إلى جمعية الاتحاد والترقي، وكان أحد الضباط الذين قادوا الثورة العسكرية سنة 1908م واشترك في المرحف على القسطنطينية. وكان نفوذه أعظم كثيراً من مستوى رتبته العسكرية، وسُمِّى ذلك أنه كان يحاضر في وقت ما في كلية الأركان فاستطاع أن يستمثِّم قلوب الجيل الناشئ من ضباط الجيش. فأنشأ جمعية العهد، ولم يقبل فيها من المدنيين أحداً.

كما كان العنصر العراقي أكثر العناصر عددًا في الجيش العثماني لذلك كان له قوته في مجالس جمعية العهد وأنشأ لها فروعًا في بغداد والموصل (2). وقد تولى أمين سر جمعية العهد رشدي بن صالح ملحس (3).

والصفة الأخرى لجمعية العهد أثنا سرية، وترتبط بينها وبين الجمعيات الأخرى كالجمعية اللامركزية خاصة، روابط تحقيق الأهداف من الحكم اللامركزي.

(1) العرب والترك- توفيق برو-452.
(2) بقولة العرب- جورج أنطونيوس-196.
(3) انظر الترجمة رقم (26).
(4) الأعلام- الزركلي-21/3.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

ويرى أعضاء الجمعيات أن إنشاء هذا الحزب قد أحدث ضجة شديدة في دوائر الآستانة، لما عرف عن مؤسسه من الصلابة والقوة ولأنه تأسس في ظرف توترت فيه الصلات بين الأتراك والشعب العربي وأنه لقي تأييدًا من الشبان الضباط العرب الذين التفوا حوله(1).

مبادئ وتنظيم الجمعية:

إن الخطوة التي سعى إليها أعضاء الجمعيات القومية عند تأسيس جمعية خاصة بالقطاع العسكري تنبيه بأن مرحلة الوفاق بين العرب والترك قد انتهت. جرى تأسيس هذه الجمعية السرية التي أقسم أعضاؤها على أن لا يبوحوا بشيء عنها، وأن يعملوا لإدراك أغراضها. ووضع لها برنامجًا يتناسب مع تخصص أعضائها جاء فيه:

المادة الأولى: إن جمعية العهد جمعية سرية، أنشئت في الآستانة وغايتها السعى للاستقلال الداخلي لبلاد العرب، على أن تظل متصلة مع حكومة الآستانة اتحاد الجزء مع النمسا. وهذه المادة تتوافق مع المبدأ العام في تأسيس الجمعيات القومية العربية، وهو الدعوة إلى الحكم اللامكروزي.

المادة الثانية: ترى جمعية العهد ضرورة بقاء الخلافة الإسلامية وديعة مقدسة بأيدي آل عثمان، مع سلب حقيقة ومضمون الخلافة الشرعية كمرحلة

(1) الثورة العربية الكبرى- أمين سعيد-47.
المادة الثالثة: لما كانت الجمعية تعتقد أن الآستانة رأس الشرق وأن الشرق لا يعيش إذا اقتطعتها دولة أجنبية، فهي تُعين عناية خاصة بالدفاع عنها وتعمل للمحافظة على سلامتها.

المادة الرابعة: لما كان الترك يُؤلفون من 600 سنة المخافر الأمامية للشرق أمام الغرب، فعلى العرب أن يعملوا للحصول على ما يؤهِّلهم لأن يكونوا القوى الاحتياطية الصالحة لهذه المخافر.

المادة الخامسة: على رجال العهد أن يفرغوا قصارى جهدهم في إفاء المزايا المحمودة، وثب الدعوة للتمسك بالأخلاق الفاضلة، فالأمة لا تحتفظ بكياها السياسي القويم لم تكن مجهزة بالأخلاق الصالحة القوية (1).

وقد استنتج بعض من كتب عن هذه الجمعية بأن مفهوم استقلال العرب عن الدولة العثمانية، ليس واضح المعلم عن عزيز على مؤسس الجمعية، مما يؤكد أن صفة ارتجال هي التي كانت تطبع جمعية العهد (2).

ولذا كان أعضاء الجمعية قد تطلعوا من خلال برامجهم إلى المحافظة على العروبة والإسلام؛ الإسلام من خلال الاحتفاظ بالسلطة والخلافة؛ والعروبة من...

(1) الثورة العربية الكبرى- أمين سعيد-47.
(2) العرب والترك- توفيق برو-44.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

خلال إعلان الاستقلال الذاتي، لا الإداري فحسب، بل السياسي أيضًا، للولايات العربية. إذا أرادوا أن يكون للعرب دولة تحمض ذاتهم وقوميتهم، على أن تكون هذه الدولة في نطاق دولة أكبر هي الدولة العثمانية. ويكون السلطان في الخلافة سلطانًا للعثمانيين من عرب وترك وملكًا للعرب في آن واحد.

وإذًا تقوم مملكة عربية مستقلة، ويعود الملك العربي قائمًا بذاته، ولكن هذه المملكة تبقى موصولة بالاتجاه العثماني، وبسائر الأجزاء العثمانية الأخرى في الشؤون العامة المشتركة(1).

ويذهب «عريز علي» إلى أن كل جماعة من جميع القوميات المختلفة يجب أن تبتكر النظام الأنسب لها في الحكم. وأما قضية الدين وما يتعلق به من شروائر وأحكام فقد قال بوجود التسامح الديني إلى أبعد حد في النظام الجديد، وأن معروفة الله ممن قبل جميع الطوائف يمكن أن تكون القاسم المشترك بينها، فيستغني عن بقية التفاصيل مع الزمن ومع الرقبي، وهذه الكيفية تتوحد الأديان واللغات(2).

إن قضية الدين التي هي في ميزان الله أهم القضايا وأول الضرورات، وقد اتفقت الأمة بل سائر الململ على أن الشرعية وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس: وهي الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل(3).

المصدر نفسه-1، المشرف 452.
المصدر نفسه-4، المشرف 454.
المواقع في أصول الشريعة-38/1.
و هذـه الضروريات الخمس والتي من أهمها الحفاظ على الدين، هي من الضروريات التي لا بد منـها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وفوت حياة، وفي الأخر فوت النجاة والنعمـي، والرجوع بالخسـران المبين.

فـمبدأ جمعة العهـد الحـري والمطالبة الشديدة والتنظيم الدقيق على الحكم واستقلال البلاد العربية، وأما القضية الأساسية في الحياة وهي (الدين) تترك للـزمان والـرقي ويكـتـنـى بمعرة الله، وأهمية هذه القضية وغيرها من القضايا العقائدية خصص لها باب مستقل لمناقشتها.

إن تنظيم جمعة العهد ظهر بصورة تناسب لتنظيم العسكري فهي جمعة سرية، وقد كان لها أثر في البلاد العربية(2)، ومن أبرز الأثار بما يلي:

١- وجود علاقة بعض أعضاء جمعية الاتحاد والترقي:

كان لجمعية العهد: علاقة ببعض أعضاء جمعية الاتحاد والترقي، فحينما تم اعتقال عزـرـى عـلي(3)، كان من ضباط الترك من يخلص إليه، ويتعطى على قضـيـته، منمـهم الضابطون مصطفى كمال بك (أناطورك فيما بعد)، وفتحـي بك، سكرتير جمعية الاتحاد والترقي، اللذان صادفهما في طرابلس الغرب. وقد جاء في جريدة المؤيد أعـثـا بـبرقـيـي احتـجاج إلى أنور بك لاعتقاله إياه(4).

---

(1) المصدر السابق نفسه- 8/2.
(2) انظر القومية العربية- مستند الشهابي- 8/2.
(3) انظر: مذكراتي على هامش القضية العربية- 49.
(4) العرب والترك- توفيـق بـرو- 56.
وبعـد وفاة الملك فیصل بن الشريف حسين : تم اجتماع بحضور كمال أتاتورک، ونوری السعيد، وقد أبلغ أتاتورک نوری السعيد أن الوقت قد حان بعد وفاة الملك فیصل أن تتفقوا على زعامه ياسین الحاشی (1)، الذي كان زميلًا لأتاتورک على مقاعد الدراسة العسكرية، فوافق السعيد وتشكيلت وزارة ياسین الحاشی عام 1935 م (1353 هـ) (2).

٢- تأیید ثورة الشريف حسين على الدولة العثمانیة:

بلغ عدد الأعضاء المشارکین 315 ضابطاً من جملة 490 ضابطاً (3)، وبلقاء سراً تم بين أبرز المؤسسین جمعیة العهد مع الشريف فیصل بن الحسین قدموا للشريف فیصل بن الحسین قراراً انخشهته الجمعية، وهو إعلان الثورة ضد الدولة العثمانیة، وإن غاية العرب هو الاستقلال حفاظًا على كيان البلاد العربية لأعـداء السُتوك، أما إذا كانت البلاد عرضاً لخطر الاستعمار الأوربي فحلف الجمعیة تعمل مع أحرار العرب للدفاع عن البلاد العربية جنباً إلى جنب مع الترك.

أبلغت جمعیة العهد الشريف فیصل بن الحسین بأن سوريا لا تحتاج إلا إلى عزم الحسین على تراؤس الحركة التحریریة (4).

وقد تم في هذا اللقاء انضمام الشريف فیصل إلى الجمعیة، وقد أعجب فيصل إعجاباً شدیداً بتنظيم جمعیة العهد، إذ كان زعماًوراً قادرين على أن

---
(1) انظر الترجمة رقم (71).
(2) دولة الاستعارة القومیة- حسن العلوي- 88- دار الـلوزاء-لندن-1941 هـ.
(3) الحركة العربية- سليمان موسي- 34.
الجمعيات القومية العربية وموقعها من الإسلام والتسليم

يوقدو نار الثورة في صفوف الجيش حينما يشأون، وذلك لأن الجنود العرب كانوا الأكثرية الغالبة في الفرق العثمانية المعسكرة في بلاد الشام حينئذ، كان قواتهم ومعظمهم أعضاء في الجمعية مستعدين أن يلعبوا نداء هؤلاء الزعماء فيزحفوا مع جنودهم (1).

3- تقديم مشروع حدود البلاد العربية خلال الحرب العالمية الأولى:

قدمت جمعيتاً (العهد) و(الفتاة) لف يصل بن الحسين خطة عمل اتفقتا عليها. ووضعوا ميثاقاً يتضمن الشروط التي يطالب الزعماء العرب بتطبيقها لكي يعترفوا ببريطانيا العظمى على تركية، واتفقوا على أن يجعل فيصل هذا الميثاق إلى مكة ويطلب من والده أن يرفع من الحكومة البريطانية هل تقبل هذه الشروط أساساً للعمل المشترك.... وقد استخدم الشريف حسين نصوص الميثاق حينما استنفدت مباحثاته مع بريطانيا العظمى (2).

4- مناصرة أعضاء جمعية العهد لحكومة الشريف فيصل:

ومن آثار جمعية العهد في خلال الثورة ضد الدولة العثمانية: أن عزى علي المصري عهد إليه بمسؤولية المرتبة على الشأن العسكري والسيطرة الفعلية على العمليات الحربية، وبدأ يتكوين جيش مدرب نظامي (3).

وقد كان لأعضاء جمعية العهد دور في تنظير السياسة العسكرية لبعض البلاد العربية، وعُيّن من أعضاء جمعية العهد الضباط العرب العراقيون، فقد

(1) بقية العرب-حورج انطونيوس-441.
(2) المصدر السابق نفسه-444-445.
(3) الحكومة العربية في دمشق-خريطة قامية-31.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

شكلوا نسبة كبيرة في الجيش العربي وكان على رأسهم الفريق جعفر العسكري (1) الذي عين قائدًا عامًا لجيش الحجاز. وكان معظم هؤلاء الضباط في جيش فصيل بن الحسين الذي دخل سوريا وحررها أثناء الحرب وأقام حكومة عربية (2).

ومن أعضاء جمعية العهد ياسين الهاشمي الذي شغل منصب رئيس هيئة أركان الجيش العربي، في حكومة الملك ف يصل بن الحسين (3). وقد طرح ياسين الهاشمي خلال فترة رئاسته في آذار 1935 برناهماً برزت فيه الاتجاهات الآتية:

1- التأكيد على الوحدة الوطنية وبخاصة التنسيقات الثقافية والطائفية.
2- التأكيد على الوحدة العربية، والتلويح بإمكانية الاستفادة والتقدم بالمنظمات الألمانية والإيطالية، كنموذج للحكم في العراق، وتبني تنظيم العلاقات بين العراق والأقطار العربية.
3- إيجاد تحالف سياسي مع بعض الأطراف السياسية التقليدية الأساسية (عمر العسكري، نوري السعيد، سعيد عالي) (4).

4- مناصرة بعضهم لبعض في العمل القومي:

شكّلت في العراق حكومة انقلالية برئاسة عبدالرحمن النقيب (5)، تضمنت وزارة للدفاع أسسنت إلى الفريق جعفر العسكري، الذي أخذ على عاتقه استدعاء زملائه المشتبين في سوريا والحجاز. وأولئك الذين انсужدوا مع الجيش

(1) انظر الترجمة رقم (15).
(3) الحكومة العربية في دمشق- خبرية قاضية- 1431.
(4) تأسيس الجيش العراقي وتطور دوره السياسي من 1921-1941- رجاء حسين الخطاب- 119.
(5) ولد سنة 1841 م ف أسرة تنسب إلى الطائفة القادرية، وتوفي سنة 1927 انظر (وجه عراقية- توقيع السوفيتي- 24).
الجموّعات القومية العربية وموقعها من الإسلام والمسلمين

العثماني من العراق. أمام الحملة البريطانية، أو أولئك الذين تركوا الجيش العثماني وبروا في العراق. وبسبب هذا التجمع القومي في الجيش العراقي ظهرت كتلة من الضباط أطلقّت على نفسها كتلة الضباط القوميين سنة 1927 (1346 هـ).

ويحكي ناصيف أنّ رفض الحكومة البريطانية استقلال العراق، وبدأت الدعاية القومية وكانت أكبر حملات الدعاية تلك التي قامت بها جمعية العهد العراقي في الموصل، التي أدخلها جميل المدفعي (3)، وهو مواطن من الموصل، وعضو في حكومة فيصل. وكانت الجمعية على اتصال بالعديد من الموصل وتشمل عددًا كبيرًا من المثقفين وتظهر عداوة الإدارة البريطانية على شكل احتجاجات ومنشورات ضد الحكومة تدعو للثورة، وتطور النشاط القومي من الاستياء إلى التحدي الصريح (4).

و- الوصول إلى رئاسة الدولة:

ومن أخطر أثار جمعية العهد أن بعض أعضاء الجمعية، والجماعات القومية العربية الأخرى، قد وصل إلى رئاسة بعض الدول العربية (5). أمثال فيصل بن...

__________________________

1) المصدر نفسه - 25.
2) المصدر نفسه - 51.
3) انظر الترجمة رقم (16).
4) الحكومة العربية في دمشق- حريمة قاسمية - 188.
5) ينظر عن تولي بعض أعضاء جمعية العهد رئاسة بعض الدول: 1- العراق وقضايا الشرق العربي.

القومية - ممدوح الروساني - 11.

3. تأسيس الجيش العراقي وتطوره السياسي من 1921-1941، رجا الخطي - 119.
4. الحكومة العربية في دمشق- حريمة قاسمية - 188.
5. مذكراتي نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية - توفيق السويدى - 23- دار الكتاب العربي.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

الحسيني، نوري السيد (1)، وتوقيف السوادي (2)، جميل المدفعي (3)، وهاشم الأتاسي وشكري القوتي (4).

ومنذ سنة 1914 قبل الحرب العالمية الأولى، شعرت حكومة الاتحاد والترقى بتكلف ضباط من العرب في حرب سياسي، فعقد اجتماع خاص في دار وزارة الحربة حضره الصدر الأعظم سعيد حليم باشا، فدرسوا التدابير الواجب اتخاذها لمقاومة الحركة العربية خاصة وجمعية العهد عامة، وقرروا المواد الآتية:

أ – إقصاء ضباط العرب المنتمين في الآستانة، وعددهم كما ظهر من كشوف وزارة الحربة 90 ضابطًا ينتمي 315 منهم للعهد، إلى المناطق التركية، كالأناضول، فلا يعود في إمكانهم القيام بأي عمل يساعد على زيادة الجفاء بين العرب والترك.

ب – تولية القيادة في البلاد العربية إلى الضباط الترك، وإقصاء الضباط العرب عنها والاستغناء عن خدمتهم بقدر الإمكاني.

ج – الإسراع في تنفيذ سياسة تترك العناصر.. الخ.

(1) انظر الترجمة رقم (29).
(2) انظر الترجمة رقم (12).
(6) الثورة العربية الكبرى- أمن السعيد-1947/1/1.
فبعثت جمعية الاتحاد والترقي كبار الضباط في الولايات التركية وسلمتهم قيادة الجند في الولايات العربية، وفي سنة 1916(1334هـ) قتلت من أعضاء جمعية العهد(1) وأعلنت عريّة الجمعية بعد زوال الحكومة العربية الفيصلية من الشام، فقد لبث كثير من ضباطه يعملون فرائدي في الحركات القومية(2).

6. الجمعيات الإصلاحية:

أنشئت جمعيات قومية تنادي بإصلاح البلاد العربية، وكان هذا سنة 1912م، وبرز هذا المسمى (الإصلاح) كان من آثار الجمعية اللامركزية. ظهور الجمعيات الإصلاحية كان في ظرف سقوط حكومة الاتحاد والترقي، وقيام حكومة معارضة لـ رئاسة أحمد مختار باشا، وكان من أركانها كامل باشا. فنشأت الجمعيات الإصلاحية في بيروت، دمشق، حلب، بغداد، والبصرة.(3)

تختلف آراء بعض الكتب في سبب نشأة هذه الجمعيات الإصلاحية، فمنهم من يذهب إلى أن سبب النشأة هو طلب وفي بيروت رفع تقرير إلى الحكومة الجديدة بما يدور على ألسنة الناس والصحف من اهتمام باللامركزية وتطالب إلّيها. فأصدرت الحكومة أمرًا إليها ثم إلى ولاة البلاد العربية الأخرى.

(1) الجمعية العربية-مصطفى الشهابي-860.
(2) انظر عن أبرز أسماء أعضاء جمعية العهد: نشأة الخرجة العربية الحديثة-محمد عزة دروزة-578.
(3) نشأة الحركة العربية الحديثة-محمد عزة دروزة-999.
غيرها تأثروا بأن يطلبوا من أعيان البلاد ومستبريرها تنظيم وتقدم لوائح
مطالبهم، فكان ذلك وسيلة لقيام جمعيات باسم (الجمعيات الإصلاحية).
ومن الكتاب من يعمل سبب تأليف جمعيات الإصلاح بقوله: (لم كانت
أكثر سكان بيروت من الموارنة فقد أجس مسلمو بيروت - وهم أقلية -
شرعاً من الحركة الجديدة التي ظهرت في فرنسا إزاء سورية، وخفوا من أن
تستغل الأكثرية الموارنة وهي معروفة بالعطف عليها، ولهما ظهر من عجز الدولة
وخوفاً من أن تحتل فرنسا البلاد متذرعة بسوء الإدارة وما لها من نفوذ أدي
ومصالح إقتصادية، فاجتمع أعيان بيروت وكبارها ونوابها ويخترى الوقت وأبلغوا
العالي العثماني رغبتهم في إدخال الإصلاحات العاجلة، فرفع أمرهم إلى الباب
العالي ببرقية قال فيها: (وإذا لم تأخذ بالإصلاح الصحيح فالبلاد مفلتة من يدنا
لا محالة) فأجابه يومئذ الصدر الأعظم بأن يدعو الشعب إلى تقديم مطالبه للنظر
فيها.
وأيضاً كان السبب فإن القضية الأساسية كانت منذ نشأة الجمعيات
الإصلاحية هي المطالبة بحكم لا مركزي، ولذا قدمت لوائح بالإصلاحات

(1) المصدر السابق نفسه- 399.

* الباب العالي هو: أحد المسميات في الترتيب الإداري الداخلي للدولة العثمانية، وقد كان من إنشاء
السلطان محمد الفتحي، وقيد بالباب العالي نفس الحكومة العثمانية. انظر: (تاريخ الدولة العليه
العثمانية- مصطفى فريد بك- 176) و(معجم الدولة العثمانية- حسين مصري).

• الصدر الأعظم هو: رئيس الوزراء. انظر: (معجم الدولة العثمانية- حسين مصري).

(2) الثورة العربية الكبرى- أمين سعيد- 18/11-1922. وانظر:
1. العربية والترك- توفيق برو- 346.
2. الانتخابات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والشرق العربي- هدف كوتراني- 187.
المطلوبة على هذا الأصل. وكان هذا المطلب يروق لحرب الحرية وائتلاف الحزب الحاكم في ذلك الوقت.

مبادئ وتنظيم الجمعية:

بعد أن أخذ الصدر الأعظم بتفهم مطالب البلاد العربية، قدمت الجمعيات الإصلاحية المطالب والتنظيمات المقترحة. ولقد كانت بيروت هي المسرح الأقوى والأبرز لهذه الحركة حيث صارت جمعيتها هي المذكورة أكثر دون غيرها في صدد ذلك. وكان قيامها في أواخر سنة 1919م وأعضاؤها خليطً من أعيان المسلمين والناصري (1). فعقدت أول اجتماع لها في مقر بلدية بيروت ضمت 84 شخصًا (رجال أعمال، ومحامين، وصحفيين) في نهاية الاجتماع تشكلت لجنة مؤقتة من 25 عضوًا تحددت مهمتها بالائحة المطالب الضرورية لإصلاح أوضاع الولاية ومتابعتها (2). وهذه المطالب تحدد بعد التنظيمي لدى الجمعيات الإصلاحية، وسنذكر أبرز هذه اللوائح:

مادة أساسية: الحكومة العثمانية حكومة دستورية نيابية.

المادة الثانية: للولائي صفتحان قانونيًّان: الأول تمثل الحكومة المركزية، وتولي جميع الأعمال المتعلقة بكيان السلطة وشؤونها الأساسية.

(1) نشأة الحركة العربية الحديثة-محمد عزة دروزة-399.
(2) الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي- وجه كوثرياني-188. وانظر:
1. نشأة الحركة العربية الحديثة-محمد عزة دروزة-399.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

والصفة الثانية: تمثيل الولاية التي يرأسها، ويتولى جميع الأعمال المتعلقة
بشؤون الولاية طبقاً لقرارات المجلس العمومي.

المادة الثالثة: يículo في الولاية مجلس عمومي من ثلاثين عضواً ينتخب
نصفهم من المسلمين والنصف الآخر من غير المسلمين، لمدة أربعة سنوات، وهم
ينخبون منهم رئيساً هم بالاقتراع السري.

وظائف المجلس العمومي:

١ - تقريّر جميع أعمال الولاية الداخلية والمذكرة في ما يُعرض عليه من
قبل الوالي أو لجنة المجلس أو عشرة من أعضائه.

٢ - وضع الأنظمة الداخلية بشرط أن لا تمس شؤون السلطة الأساسية.

٣ - عقد القواعد التي لا تتجاوز قيمتها نصف الواردات المخصصة
بالولاية.

٤ - حق استيضاح الوالي، وطلب عزله ولا يتداخل المجلس العمومي في
الشؤون السياسية العامة مطلقاً.

المادة الخامسة: ينتخب المجلس العمومي بالاقتراع السري لجنةً من أعضائه
واحد منهم من كل لواء، واثنان من مركز الولاية لمدة سنة واحدة، فتجتمع
بإدارة مستشار المجلس العمومي.

المادة السادسة: الوالي وحاكم الشرع في مركز الولاية... تعينهم الحكومة
المكرسة على شرط معرفتهم اللغة العربية معرفةً تامة، ويستثنى من هذا الشرط
والإعفاءات إخلاءاً لأي تفتيش، ويبقى مرجعه مستشار مركز الولاية الداخلي في المساءلة المراجعة فيها، ضمن دائرة اختصاصه.

يعين المجلس العمومي من الدول التي ترضيها الحكومة المركزية مستشارين للمادة السادسة عشرة: لا علاقة للإدارة ولا للمجلس العمومي في الأوقاف، بل يسلم كل وقفة إلى مجلس الملة الموت نسب إليها، باستثناءهم من قانوناً ببناءً عليه جميع أوقاف المسلمين في الولاية تسلم إلى مجلس ملكهم أسوة بباقي الطوائف.

المادة الثالثة عشرة: يتألف مجلس يسمى مجلس المستشارين ويبقى أعضاؤه: رئيس المجلس العمومي ومجلس مستشاري الدوائر في مركز الولاية.

وظائف مجلس المستشارين:
١- تفسير مواد النظام الذي تضعه الحكومة المركزية كدستور لحكومة الولاية ومجلسها العمومي.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

2 - تفسير القرارات والأنظمة التي يضمنها المجلس العمومي.

3 - النظر والحكم في وجوب عزل الموظف أو عدمه.

4 - النظر والحكم بناءً على طلب الوالي أو أحد المستشارين في كل خلاف في الرأي يقع بين أحد المستشارين والمجلس العمومي أو إحدى جهات أو أية دائرة كانت، ويكون حكمه مثيراً، ويرأس هذا المجلس ولي الولاية يبون عنه في غيابه رئيس المجلس العمومي أو مستشار هذا المجلس.

المادة الرابعة عشرة: إن اللغة العربية تعتبر الرسمية في جميع المعاملات داخل الولاية. وتعتبر أيضاً لغة رسمية كاللغة التركية في مجلس النواب والأعيان.

المادة الخامسة عشرة: تخضع الخدمة العسكرية إلى ستين ونصف الخدمة أيام السلام في الولاية.

وفي منتصف فبراير (شباط) سنة 1913 م (1931 هـ) أذاعت جمعية بيروت الإصلاحية خطتها التي تضمنت المبادئ السابقة، وحثت بالتأكيد شعبى كبير في أقاليم الشام وبغداد والبصرة والقاهرة، كما أرسلت البرقيات إلى حكومة الأستانة تعتبر البرنامج تعبيراً عن الأماني في كافة الأقاليم العربية.

ومنذ أول لويجات جمعية بيروت الإصلاحية جمعية للامركر، ف العالي رشيد رضا: (إني لأشكر أخواني أهل بيروت هذا العمل الإصلاحي الذي أقيم على أسس الاتفاق بين مسلميهم ونصاراهم، قد بذل الأولون في استمالة الآخرين.

(1) ثورة العرب - أحد أعضاء الجمعيات القومية- 20-77 (بتصرف).

(2) حركة البقعة العربية- محمود منسي- 164.
المالم يبذلهم غيرهم من الناس، وهو أعمد رضاً أن تكون قلة النصارى في الولاية مساوية لكثرة المسلمين في الاشتراك بإدارة حكومتهم، فهذا برناهم عملي قاطع على تساهل من يُدعى أشد المسلمين عصبية في سوريا. وقد صدق ظن في أهل بيروت إذ فضّلتهم على جميع أهل بلادنا فيما كنتبته عنها عند زياري لها بعد إعلان الدستور(1).

القضاء على جمعية بيروت الإصلاحية:

خلال وضع وتخطيط اللوائح التنظيمية لجمعية بيروت الإصلاحية، استولت جمعية الاتحاد والترقي على حكم الدولة وأسقطت حكومة الائتلافين(2). وكانت جمعية الاتحاد والترقي تختلف في المنهج الإصلاحي بالنسبة للحكم اللازمي مع حكومة الائتلافين، مما تربت على ذلك أن الحكومة الجديدة رفضت(3) البرامج الإصلاحية المقدم من جمعية بيروت الإصلاحية. وذكرت في الصحيفة:

(عما أن الجمعية التي تشكلت منذ شهرين ونصف من بعض الذوات في بيروت باسم الجمعية العمومية الإصلاحية، والتي اتفق أن أعطي لها (إيصال) من مقام الولاية، قد كان تشكيلها معايراً لقانون الجمعيات، فضلًا عن أن بعض المطالب السيّ جعل هؤلاء يطالبون بها، باسم الإصلاحات، هي منافية أيضاً لأحكام القانون الأساسي، وبناء عليه فقد صار من الطبيعي منع دواوين واجتماع

(1) المنار-رشيد رضا-المجلد 16-الجزء 4-ص 280.
(2) انظر: العرب والترك- توفيق برو - ص 725.
(3) انظر: المنار-رشيد رضا-المجلد 16-الجزء 8-ص 135.
هذه الجمعية. هذا وقد شرع تطبيق قانون إدارة الولايات الذي نظمته الحكومة السنية وفقاً لقاعدة توسيع الأذونية وتفريق الوظائف فجاء جامعاً الإصلاحات لبيروت ولسائر الولايات العثمانية وعلبه نعل من اجتماع الجمعية المذكورة

وبينت حكومة الاتحاد والترقي (أن وحدة السلطة تنحصر في شخص جلالته السلطان، دين النظام الرسمي هو الإسلام، ولغتها الرسمية هي التركية، فالدين الرسمي واللغة الرسمية لا يمكن أن يكونا غير لغة الملك ودينه، ولكن هذا لا ينصح من التوسع في استعمال اللغة العربية في المسائل الإدارية والقضائية المرتبطة بحياة الجمهور في الولايات التي تتكلم بالعربية).

لقد عند القوميون إلغاء جمعية بروت الإصلاحية إلغاءً للحرية، فقد أذاع أعضاء الجمعية بيانًا: دكروا فيه: إن قرار الدولة إذا هو مصادرة للحرية الاجتماعية، وحقوق الفكرة الإصلاحية، فضلاً عن أنه مناف لأحكام القانون الأساسي. وبيثوا بأن الجمعية الإصلاحية في بروت جمعية فكرية، لا جمعية إنفاذ القوة والضعف. فعلي فرض خلافة رأيها في الإصلاح لرأي الحكومة، فإما يحق للحكومة عدم العمل بأرائها، ولكن لا حق لها بمصادرةها. لذلك نتخذه أمام الوطن وال بتاريخ على عمل حضرته الوالي، هذا الذي عبث بمصلحة الوطن. وخالف به أحكام الدستور، ونعت جلالة السلطان.

---

(1) جريدة المفيد - 2488 ب-تاريخ 9/4/1913 (نقد من كتاب العرب والترك-توقيق برو-388)
(2) العرب والترك-توقيق برو-386
(3) جريدة المؤيد-عدد 1962 ب-تاريخ 16/4/1913 (نقد من كتاب العرب والترك-توقيق برو-389)
الجمعيات القومية العربية و موقفها من الإسلام والمسلمين

كما أرسلت الجمعية اللامركزية من مصر برقية إلى الصدارة العظمى
ذكرت فيها: (مصادر ويلي تروت لجمعتها الإصلاحية في عملها القانوني
استبدال منكر، مضيع لآمال الأمة، موجب للتيهتين. تداركوا سوء
العاقبة بعزل الوالي وتقص عمله، ولا تسنوا للشعب سنة سيئة بمخالفة
القوانين). (1)

ويصف القنصل البريطاني العام في التقرير الذي كتبه حال الناس عند
علماهم بقرار الحكومة الاتحادية، يقول: (أمس صدرت جميع جرائد بيروت،
باستثناء جريدة واحدة، وعلى صفحاتها الأولى قرار الوالي بإلغاء الجمعية وإقالة
النادي، ضمن إطار أسود دلاله على الحداد، وتركت الصفحات الأخرى
بيضاء، وبعد ثلاثة أيام أغلقت المخازن في بيروت احتجاجًا على القرار). (2)

تقييم المنهج الإصلاحي:

إن لوائح جمعية بيروت الإصلاحية تتفق (3) مع لوائح وتنظيمات الجمعيات
الإصلاحية الأخرى. وعند المقارنة بين ما قدمته هذه الجمعيات وجمعية
لامركزية من تنظيمات قد لا يوجد اختلاف كبير بينهما سوى أن الجمعيات
الإصلاحية وضعت ضمن موادها العنصر الأجنبي عن طريق مستشارين في بناء

(1) جريدة الأهرام-عدد ٥٠٠٧٦-١٠٠٥-١٩١٣ (نقد من كتاب العرب والترك-٣٩١)
(2) نشوة القومية العربية-زين نور الدين زين-٩٩
(3) الثورة العربية الكبرى-أمين سعيد-١٨١٨/١٨ وانظر: ثورة العرب- أحدث أعضاء الجمعيات القومية-
الإصلاح، بل جعلت لهم صلاحيات مطلقة، فيخول لهم حق تفتيش أية دائرة كانت في اللواء.

ومن الصلاحيات المخولة للمستشارين: تفسير مواد النظام الذي تضعه الحكومة المركزية كدستور حكومة الولاية ومجلسها العمومي. وهذه الصلاحيات حددت بأن تكون مدة الاستشارة والتفتيش خمس عشرة سنة ويمكن تجديدها.

إن تعيين أجانب كمستشارين ومفتشين في الولايات العربية، لم تسلم من الجدل والنقاش، فقد قال محمد جميل بيهم وهو أحد المطلعين على ما جرى في داخل الجمعية من نقاشات: كانت وجهات نظر البروتونيين مختلفة، خصوصاً لوجود فئة ذات ورث كانت حريصة على التخلص من الحكم العثماني، والسعى لاستقلالها تحت حماية فرنسا. وكان المسلمون من جهة أخرى، مع حرصهم على الامركزية وتأميم حقوق العرب في السلطة، يضرون بالدولة العثمانية، ولا يرضون عنها بديلًا من الدول الأجنبية. ولما كان لا بد من تقارب وجهات النظر بين طالب الإصلاح من أنصار فرنسا وأنصار الامركزية تجمع بين شروط الامركزية وبين وجود مستشارين أجانب في جهاز حكومة الولاية بالإضافة إلى مفتشي أجنبي لكل لواء.

ويؤيد الرأي القائل (بوجود فئة ذات ورث كانت حريصة على التخلص من الحكم العثماني، والسعى لاستقلالها تحت حماية فرنسا) أن جمعية بيروت

---

(1) عن هذه القضية انظر: نشأة الحركة العربية الحديثة - محمد عزة دروزة - 405.
(2) قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور - محمد جميل بيهم - 22-8-1950 - بيروت.
الإصلاحية قد شرعت في تعين الأجانب معرفتهم إحدى اللغات ومن ضمنها اللغة الفرنسية.

ولقد كانت مخاوف الدولة العثمانية من تأثير فرنسا على البلاد العربية، قبل ظهور جمعية بيروت الإصلاحية. فقد كتب السلطان عبد الحميد في مذكراته، أن العلاقات بين الدولة العثمانية وفرنسا (بدأت تسير نحو الأحسن بعد تعيين سفير جمهورية فرنسا لدينا. وقد علمت أنه أتصل عن طريق ملحقه العسكري بعدد كبير من ضباطنا. كما وقّع إلى اجتذاب عدد من النظير – الوزير – وبعض كبار الموظفين في الباب العالي. حتى أن شيخ الإسلام قام بزيارة إلى السفارة الفرنسية، الأمر الذي لم يكن معهوداً من قبل)

وذكر أمين سعيد في كتابه عن الثورة العربية، أن بعض العناصر المسيحية الموالية لفرنسا في بيروت أرادت استغلال الحركة الإصلاحية خدمة هذه الحكومة، فتقربت من زعماء الحركة، وتظاهرت بالإخلاص لهم والرغبة في الخدمة الوطنية. عاملة سرًا على توسيع الخرق بين الدولة والإصلاحيين.

ولا يعني هذا عدم الأخذ مطلقاً بشورى الكافرين، إنما الأخذ على تنظيم جمعية بيروت الإصلاحية لأهم منحوا للمستشارين من الأجانب من الحقوق ما لا يطلب منها مثلهم وما هو خطر عظيم على مستقبل البلاد، ولم يجعلوا لأنفسهم عليهم سلطة تبجيهم مؤاخذهم إذا أخطؤوا ومعاقبةهم إذا أذنوا، على أن مؤاخذة الضعيف للقوي بالحق والقانون تكاد تكون متعذرة، فكيف إذا كان

(1) السلطان عبد الحميد الثاني- مذكراتي السياسية- 131- مؤسسة الرسالة- الطبعة الثالثة- 1402.

(2) الثورة العربية الكبرى- أمين سعيد- 141/1.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

القوي صاحب سلطة مطلقة لا توجب عليه للضعيف حقاً ولا تفرض عليه مؤاخذةً.

7. جمعية العربية الفتاة السرية:

يعتبر أعضاء الجمعيات القومية أن أكثر الجمعيات شمولاً للفكر القومي، وآدماً تأثيراً في الحركة العربية وهي جمعية الفتاة العربية السرية.

ولقوة تأثير السرية في منهج الجمعية مختلف في تاريخ نشأتها، على ثلاثة أقوال:

القول الأول: إن تاريخ نشأة جمعية الفتاة 1908 ففي مذكرات أحمد قدري (1) وهو أحد المؤسسين - (إننا بدأنا في تكوين جمعية العربية الفتاة بعد إعلان دستور سنة 1908 بأربعة أيام لا أكثر) (2). وهذا التاريخ قال موسس آخر وهو عوين عبدالهادي (3)، وأكد على أن تكون السرية طريقًا في تأسيسي الجمعية (4).

القول الثاني: إن تاريخ نشأة جمعية الفتاة 1909، واستناد هذا القول إلى وجود متشورين للجمعية بنوان (الصريحة الأولى) (الصريحة الثانية)، وعلى كراس يشمل على منهجها، "وفيد على الوثائق الثلاث حتماً للجمعية تاريخه.

---
(1) المنار- رشيد رضا-المجلد 16- الجزء 4- ص 28.
(2) انظر النزهة رقم 2.
(3) ذكرت في عن الثورة العربية الكبرى- أحمد قدري- 11.
(4) انظر النزهة رقم 51.
(5) انظر: عوين عبدالهادي- أوراق خاصة- إعداد خيرية قاسمية- 9.
الجمعيات القومية العربية ومسقطها من الإسلام والمسلم

1909، ووجد على كراس المنهج أن تأسيسها كان في الرابع عشر من تشرين الثاني سنة 1909. واستند هذا القول أيضاً إلى أن توقيت الناطور، وهو أحد المؤسسون للجمعية ومن أكثرهم همة ونشاطاً، قال هذا التاريخ.

القول الثالث: يذهب أصحاب هذا القول إلى أن تاريخ نشأة الجمعية في سنة 1911، وفي مذكرات عوبي عبدالمهدلي ما يدل على هذا، فقد قال موصياً جمل مرمى بك أثناء سفره إلى أمريكا: بأن يغتم فرصة اجتماعه بإخوانا في المهجر لحدثهم عن آمالنا وأمانينا في مستقبل العرب، وأن يعمل على ضم من يأنسهم الوطنية والخلق الحسن إلى جمعية العربية الفتاة التي أنشأناها في باريس سنة 1911. وكان جمل مرمى بك من أعضائها البازرين. وقال هذا القول مصطفى الشهابي ومحمد عزة دروزة، وهم من أعضاء الجمعية.

(1) نشأة القومية العربية-زين نور الدين، 91.
(2) أنظر الترجمة رقم (18).
(3) عوبي عبدالمهدلي - أوراق خاصة-إعداد خيرية قاسي، 17.
(4) أنظر الترجمة رقم (21).
(5) أنظر: 1- القومية العربية - الشهابي، 72.
2- نشأة الحركة الحديثة-دروزا، 480.
3- العرب والترك-توافق برو، 267.
4- يقظة العرب-جورج انطونيوس، 187.
5- حربى في الحكم-حسن الحكيم، 40.

إلا أن الشهابي قد تراجع عن رأيه في تحرير تاريخ النشأة، قال: كتب في الجزء الثاني من كتاب الاستعمار: أن الجمعية تأسست في باريس سنة 1911، وقد وقعت، لأني أطلعت في القاهرة لدى الأستاذ عبيد الدين الخطيب على مشورين سياسيين للجمعية بعنوان الصحة الأولى والصحة الثانية، وكتاب على الكراس يشمل على منهجنا، فوجدت على ثلاثينها ختماً للجمعية تأريخه 9/10 وشاعرنا خليفة; وفي القهوة المذكر أثار تأسست في الرابع عشر من شهر تشرين الثاني (يناير) سنة 1909.
فقد قال حسن الحكيم: (أنشئت بعد إعلان الدستور العثماني عام 1908 وقد أسسها عام 1911 في باريس ثلاثة من الشباب العربي الذين أتموا دراستهم في استنبول العاصمة، وهم: أحمد قدري، وعوبي عبدالهادي، رستم حيدر (1).)

وقد يكون الاختلاف بين هذه الأقوال اختلافًا ظاهراً، والجمع بينها هو: إن بداية فكرة واسعة جمعية العربية الفتاة كان في تاريخ 1908 وكان في الآستانة، ويكاد أن من قال بذلك التاريخ هم من المؤسسين للجمعية، ثم انتقلت مرحلة الفكرة إلى مرحلة صياغة العمل وتنفيذ الخطط، وذلك في عام 1909 كما في المناشير الذي فيها بيان المنهج وخططة العمل القومي، وأما تكوين هيئة إدارية للجمعية وانضمام أعضاء جدد لها وتطبيق نظام الانساب، فإن ذلك كان في أوروبا بتاريخ 1911 (2). واستمر نشاط مركز الجمعية في باريس وبعد أن أُفسِر مؤسسها دراستهم وتخرجوا عادوا إلى بلادهم، فنقلت الجمعية إلى بيروت سنة 1911 (3).

مبادئ وتنظيم الجمعية:

ما يلاحظ على مبادئ الجمعيات أفكار دائمة التغيير والتبديل في المناهج، وهذا قد يكون من أسبابه طبيعة التعامل مع الواقع، وهذه الملاحظة ظاهرة على

(1) انظر الترجمة رقم (25).
(2) خيرات في الحكم- حسن الحكيم- 400. وانظر: نشأة الحركة الحديثة - دروزة- 485.
(3) انظر: 1- نشأة الحركة الحديثة - دروزة- 484.
(5) بقطة العرب- جورج انتونيوس- 188.
الجمعيات القومية العربية وواقعها من الإسلام والسلم

جمعية الفتاة، فإن مبدأ الجمعية وتنظيمها أثناء التأسيس يختلف عنها في وقت إقامة الدولة العربية ومناصرة فيصل بن الحسين، وكذلك اختلف مبؤها بعد معركة مسلون وتفرق أعضاء الجمعيات القومية واحتلال سورية الطبيعة.

ولكن هذا الاختلاف لا يمنع من معرفة مبادئ الجمعية بصفة عامة، فقد عرضت الجمعية مبادئها (1) عن طريق منشور يعرف (بالصريحات الثلاث)، ويبقى في مكتبة محب الدين الخطيب نسخة منه.

أولاً — السرية في التنظيم: وهذا مبدأ تشترك فيه بعض الجمعيات، ولكن جمعية الفتاة أكثر سرية (2)، وقد نصت مبادئ الجمعية على مبدأ السرية، فقد جاء في الفصل الأول من الباب الأول، غاية الجمعية، الفقرة (2): تبقى الجمعية سرية الآن نظرًا للحالة السياسية العمومية (3)، وعوني عبدالمجيد — أحد مؤسسي الجمعية — أكد على: أن تكون السرية طريقةً في تأسيسي الجمعية (4).

فأصبح — من تنظيم الجمعية — التحكم فيها شديداً، والداخل فيها لا يعرف من أعضائها إلا اثنين فقط، وهم اللذان يندببان لإدخاله وتحليله الذي، ولا يتساهم ذلك إلا بعد أن تكون الجمعية قد احتجت المرشح لعضويتها بوسائل

(1) انظر: 1 — نشأة الحركة الحديثة-محمد عزة دروزه-485.
(2) انظر: القومية العربية-مصطفى الشهابي-27.
(3) انظر: نشأة القومية العربية-زين نور الدين زين-91.
(4) انظر: نشأة الحركة العربية الحديثة-محمد عزة دروزه-489.
الجمعيات القومية العربية وموقفها مع الإسلام والمسلمين

١٤١

شيء مدة من الزمن(١). وكانت تحرص حرضاً شديداً على أن لا تضم إليها إلا من عرف بحسن الخلق والأمانة والكتمان وقوة النفس والجرأة، وما يبدر ذكره عن مبدأ الكتمان والسرية لدى أعضاء جمعية الفتاة، أن أسماء الجمعيات السرية الأخرى وأسماء كثير من أعضائها قد اكتشفت في سياق تحقيقات الديوان الحربي في عاليته الذي أنشأه جمال باشا في أثناء الحرب، ولم يمكن كشف اسم الفتاة بالرغم من شدة المحاولات والارهابات(٢).

وما يذكره أعضاء الجمعيات القومية العربية عن محاولة إخفاء نظام وأسرار الجمعية، أن شكري القوتلي كان مسر الجمعية، لما تم القبض عليه من قبل جمعية الاتحاد والترقي وخشي أن يدير منه حال الإغماء ما يقضي عليه وعلى إخوته في الجمعية، فأعد قلماً وقرطاساً وعمد على سريره الخشبي وقطع شريان يده اليسرى .. ورأى حارس السجن دماً تحت الباب، فأسرع إلى إخبار رئيسه، و كان الطبيب المناوب في تلك الساعة الدكتور أحمد قدري - أحد مؤسس الجمعية - فحمل القوتلي إلى حيث عولج(٣).

وأثناء اجتماع المؤتمر العربي الأول في باريس المنعقد عام ١٩١٣ اتخذت جمعية الفتاة في رسائلها شفرة معينة، وهي:

بغفر الله وطنك

(١) القومية العربية- مصطفى الشهاى- ٧٣.
(٢) حول الحركة العربية الحديثة- محمد عزة دروزه- ١٣٢/١.
(٣) الإعلام- خير الدين الزركلي- ١٧٣/٣.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

ملعهد شخصي
أحيث ثقة ظس.
فالبسأ تقابل العدد الواحد وهكذا .. كيفية الكتابة .. (عبد) تكتب على الصورة التالية: 
140120. رقم 4 مقابل حرف (ع)، رقم 1 مقابل حرف (ب)، رقم 6 مقابل حرف (د).
وكتابة اسم (رفيق): 420426، رقم 2 مقابل حرف (ر)، رقم 4 مقابل حرف (ف).
(1)
ومن منطلق السرية والكتمان يقول شعب الدين الخطيب: (لم يكن للجمعية مقر معلوم لأنا جمعية سرية، بل كنا نعقد الاجتماع في بيوت أحد الأعضاء ولا يعلن عنه إلا قبل مدة وجيزة). (2)
ثانياً — المبدأ الأساسي للجمعية مبدأ (القومية العربية) ويبدو هذا من الحقائق التالية:
أً اسم الجمعية وهو: العربية الفتاة، وكان مؤسسوها قد سموها في بادئ الأمر (جمعية الناطقين بالضاد). (3)

(1) انظر: جمعية الولعربية الفتاة السرية-سهيلة الروماوي.
(2) سيرة جبل-عبن الدين الخطيب- (مخطوطة) مركز الوثائق والمخطوتات في الجامعة الأردنية.
(3) نشوء القومية العربية-زين نور الدين زين- 91.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

ب — عضويتها مقصورة على العرب فقط، ومفتوحة أمام كل عربي منهم مهما كانت الأديان التي ينتمون إليها من الدولة العثمانية، وقد نص نظام الجمعية على ذلك، ففي الفصل الثاني من الباب الأول: شروط بالدخول في الجمعية، فقرة (أ) أن يكون عربياً مخلصاً لأمته.

ج — التأكيد على أن واحب الجمعية الأول، كما نص على ذلك نظام الجمعية في الفصل الثالث من الباب الأول في وظائف الجمعية وتشكيلاها، فقرة (١) هو تقوية الشعور العربي بين طبقات الأمة العربية كافة، ومبدؤها في ذلك عرب قبل كل شيء وفي كل شيء.

والحرص على مبدأ القومية في دستور الجمعية، ومن الأنظمة على إقراره يعني التأكيد على أن الجمعيات القومية اهتمت بجانب القومي العربي على حساب الديني، وأن أصل الولاء والبراء هو اللغة وليس الدين. ولأهمية هذه القضية خصص لها باب مستقل لمناقشة.

ثالثاً — الهدف من إنشاء الجمعية — على حسب ما ذكر في الوثيقة الأولى من دستور الجمعية — هو: أن الأمة العربية في مؤخرة الأمم الاجتماعية واقتصادياً وسياسياً، فوجب على قادة نابتها المدركين أن يبذلوا حياءهم فيما

(١) انظر: نشأة الحركة العربية الحديثة- محمد عزة دروزة- ٤٨٩.
(٢) انظر: المصدر السابق - ٤٩١.
(٣) انظر مشابئًا على ذلك: مجموعة أثر فريق جمعية العثمانية- ١٣٥- مطبعة المنار- مصر- الطبعة الأولى- ١٣٤٤.
ينهض وما من هذا التأخر ويتبروا فيما يؤدي إلى ترقيها لترتكب معنى الحياة وتحتفظ بحقوقها الطبيعية وغاية الجمعية النهوض بالأمة العربية إلى مصاف الأمم الحية.

وهذا الهدف قد تطور على حسب ما رأته الجمعية من مراحل، وقد قال أحمد قدري: (وقد تحاشينا ذكر اسم الاستقلال في مضامين برنامج جمعيتنا، وإن كنت في السر نسعى ونعمل وراءه).

وقد أصبحت الغاية من تأسيس الجمعية بعد الحرب العالمية الأولى - كما جاء في منشور الجمعية الجديد في الفصل الأول من الباب الأول: (غاية الجمعية استقلال البلاد العربية استقلالاً تامًا (بجميع معانيه الحقوقية والسياسية، وتأييد ذلك الاستقلال يجعل الأمة العربية في مصاف الأمم الحية).

رابعاً - قسم الاشتراك في جمعية الفتاة العربية: يشترط في الانضمام لجمعية الفتاة أن يردي العضو الجديد قسم الجمعية، فقد جاء من شروط الدخول في الجمعية فقرة (د): أن يقسم بين الإخلاص. وهذا القسم في تنظيمات جمعية الفتاة يأتي تحقيقاً لمبدأ السرية، ونص القسم هو: (أقسم بالله،

(1) انظر: نشأة الحركة العربية الحديثة- محمد عزة دروز- 485.
(2) مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى- أحمد قدري- 1956- 1967.
(3) انظر: حركة اليوسفية العربية- محمود منسي- 161. وانظر: كتاب جمعية العربية الفتاة- سهيلة الريماوي- 482.
(4) نشأة الحركة العربية الحديثة- محمد عزة دروز- 489.
(5) المصدر السابق- 489.
وبشريكك أني أسعي في تأييد خلاصة الجمعية وال승ع في جعل الأمة العربية في مصالح الأمم الحية. أقسم بالله وبشريكك أني أحافظ على أسرار الجمعية وأفضل مصلحتها ومصلحة إخواني فيها على كل مصلحة سواها.

أقسم بالله وبشريكك أني أطيع قانون الجمعية وأوامرها، والله على ما أقول شهيد.

(1)

وما يجوز التنبؤ إليه في ألفاظ قسم الجمعية أحاها تحتوى على ألفاظ شركية:

منها: القسم بغير الله تعالى، وقد قال ابن عمر قال النبي ﷺ: (لا تخفوا بآبائكم وممن كان خالقًا فليخفِف بألفاظه). (2)

وأيضاً خلافات الطاعة المطلقة لقانون الجمعية والمحاكمة الشرعية الأخرى في قسم الجمعية: الطاعة المطلقة لقانون الجمعية وأوامرها، وترتيب عقوبة مقدرة لمخالف أوامرها. وهذه الطاعة لا تكون إلا لله تعالى ورسوله ﷺ. قال تعالى: "َِّبَيْنَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَوْلَى الأُمَّةِ مِنْكُمْ". (3)

قال ابن كثير رحمه الله: (أطيعوا الله) أي اتبعوا كتابه (أطيعوا الرسول) أي: خذوا بسنته، (أوأولى الأمر منكم) أي: فيما أمركم به من طاعة الله لا في

________________________
(1) جمعية العربية الفتاة السرية - مهيبة الرماوي - ملحق رقم (2) ص 298.
(2) صحيح البخاري - كتاب التوحيد - باب السؤال بأنشأ الله تعالى والاستغادة بهما - رقم الحديث 1852.
(3) سورة النساء: رقم الآية (95).
معصية الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله (1). ولأهمية المخالفات العقائدية عند الجمعيات القومية خصص لها باب مستقل لمناقشة وبيان مواقفها.

خامسًا، إن مؤسسًا جمعية الفتاة هم من الشباب العرب الذين كانوا يواصلون دراستهم في باريس (2) وهم: عبداللهي العريسي (3) متخرج في مدرسة الصحافة وكلية علوم السياسة الدولية، وعويش عبدالمجيد من طلاب كلية الحقوق في باريس، محمد العمري (4) متخرج في كلية الحقوق في فرنسا، وجمال مردم بك طالب حقوق في فرنسا (5).

ويحدث عويش عبدالمجيد — وهو أحد المؤسسين للجمعية — عن الوضع المركب السدري اتخذته فرنسا أثناء إعلان الحرب ضد مواطني الدولة العثمانية، فقائلًا: لبنا ننظر مصيرنا الذي لن يكون أقل من أن نزج مع أمثالنا التابعين للسلاطين المعادية للحلفاء، ولكن لم يمض كثير وقت حتى وافنا الخبر العجيب غير المتوقع، بأن الحكومة الفرنسية قررت زج الأتراك بالمعتقلات والسماح للسوريين في الإقامة أحرارًا في باريس (6).

(1) تفسير القرآن العظيم- ابن كثير - 3/420 - مطبعة الشعب.
(2) الحكومة العربية في دمشق - خريطة قاسيه - 19.
(3) انظير الترجمة رقم (23).
(4) انظير الترجمة رقم (59).
(5) المؤتمر العربي الأول في باريس - 14-16-15.
(6) عويش عبدالمجيد - أوراق خاصة - إعداد خريطة قاسيه - 14.
لقد احتوت الحكومة الفرنسية هذه النخبة من الدارسين في خلافها العلمية، ولذا كان من أبرز القضايا القومية في الفكر القومي، أن تبنى مؤسس جمعية الفتاة فكرة انعقاد مؤتمر عربي يضم أعضاء الجمعيات القومية، كما أكدت ذلك الوثائق (1) وقد سعت الجمعية بث الدعاء للمؤتمر في باريس، وفرضت سمعة السرية لجمعية العربية الفتاة أن يتصل أعضاؤها بالشخصيات العربية المعروفة في باريس، حتى تبدو عملية الدعوة للمؤتمر وكأنها صادرة عن الجالية العربية فيها (2).

سادسًا من أبرز ما ظهرت به جمعية الفتاة العربية في نشأة الفكر القومي، أن أول دولة عربية ظهرت في كيان مستقل كان أهم مراكزها بيد أعضاء الجمعية وفي مقدمتهم نائب الملك (3)، الذي حدد منهج هذه الدولة في البيان الذي أعلنه عند قيام الدولة بتاريخ 5 تشرين الأول/أكتوبر 1919 (337 هـ) (4):

تشكلت في سوريا حكومة دستورية عربية مستقلة استقلالًا مطلقاً. عهدت إلى السيد علي رضا باشا الركابي (4) بالقيادة العامة للحكومة المذكورة نظراً لثقته باقتصاده وليتها.

(1) بين يدي دراسة وافية عن قرارات المؤتمر العربي، صادر من اللجنة العليا لحزب الئامركزية الذي تبنى تنفيذ المؤتمر، وقد حصلت على هذه الدراسة من مكتبة (خير الدين الركابي) وهو من أعضاء الفتاة العربية.
(2) جمعية العربية الفتاة السرية-سهرة الريماوي-156.
(3) انظر: يقظة العرب-جورج أنطونيوس-237. أصبح فيصل عضواً فيها بعد أن حلف اليمن.
(4) انظر الترجمة رقم (49).
لعلما جميع الناس أن حكومتنا قد تأسست على قاعدة العدالة والمساواة،
فهي تنظر إلى جميع المواطنين بالضداد على اختلاف مذاهبهم وأديانهم نظراً
واحداً. لا تفرق في الحقوق بين المسلم والمسيحي والموسيوي

فكان من أركان هذه الدولة علي رضا الركابي رئيس الحكومة، وياسين
الهاشمي المستشار العسكري، ومحمد علي النعيمي قائد الشرطة ... وكانت هذه
اللجنة تسيطر على الحكومة بسيطرة فعلية، وكانت منها متميزة جمعية الاتحاد
والترقي من الحكومة التركية، فما كان يتم شيء إلا بأمرها وإرادتها

أصبحت الهيئة الإدارية للجمعية تنتخب انتخاباً، وتطرح في الاجتماعات
الثقة بها، بحيث تسقط إذا لم تل ثقة الأكترية وتحدد انتخابها بينما بقي منشؤو
الفئات اعترض من نفسهم هيئة إدارية بصورة طبيعية، وأما رئاسة الجمعية فقد
احتفظت ببطابعها القديم، وهو انتخاب رئيس لكل جلسة تعقدها اللجنة
الإدارية. وما يلاحظ في الانساب إلى الجمعيات القومية العربية أنه قد يوجد
أحد الأعضاء منتبضاً إلى عدد من الجمعيات القومية، وهذا ترد أسماء بعض


(2) الثورة العربية الكبرى-أمين سعيد-10/2/35.

(3) جمعية العربية الفتاة السري-سهيلا الرياوي-58-88-88-88-88. بصرف وانظر:
1. خبراتي في الحكم-حسن الحكم-41.
2. الحكومة العربية في دمشق-خبيرية قاسمية-66.
أعضاء جمعية الفتاة، وهم أيضًا من منسوبي جمعية العهد أو اللامركزية .. الخ من الجمعيات السرية والعلنية(1).

سابعًا المركزية في أنظمة وقرارات الجمعية: ستُستَّنَت الجمعية في نظامها الحكم المركزي، وهذا ظاهر في لوائح قانون الجمعية والتي منها:

في مقدمته النظام، وتحت موضوع (متفرقات) جاء في البند 26 - يعمل بهذا النظام، ولا يجوز قبول اقتراح الزيادة عليه أو الحذف منه أو التعديل فيه، إلا باتفاق ثلثي مجموع أعضاء اللجنة العليا(2).

وفي المادة الثالثة من المواد الأساسية: (على كل عضو أن يتأثر بقرارات اللجنة العليا ولو كانت عليه وخلافًا لِإرادته)(3).

وقد تم حصر إصدار قرارات الجمعية باللجنة العليا، وهي تمثل السلطة القيادية المركزية للجمعية:(اللجنة العليا تتألف من سبعة أعضاء، هم مصدر أعمال الجمعية وإليهم يرجع القول الفصل ..)(4).

فهذه السلطة تكاد تكون موجودة في جميع مواد نظام الجمعية: (المادة 6): مجلس الشورى ينتخبله اللجنة العليا، وتعيين عددٍ راجع إليها.

(1) انظر: العرب والترك - توفيق برو- 2769.

(2) نشأة الحركة العربية الحديثة- محمد عزة دروزة- 488.

(3) المصدر السابق نفسه- 486.

(4) المصدر نفسه- 486.
المادة 16): للجنة العليا الخيار في استشارة مجلس الشورى بعض الأمور الخطيرة.

المادة 17): إذا رشح أحد الأعضاء شخصًا ليكون عضوًا تقرر اللجنة العليا قبوله بثلث آراء أعضائها.

المادة 23): من أتى عملاً يخالف قانون الجمعية أو مبادئها فامره راجع إلى اللجنة العليا.

حماية مسمى جمعية الفتاة العربية:

من أبرز أسباب حماية مسمى جمعية الفتاة العربية، سببان اثنان، هما:

السبب الأول: من منطلق التطور والتنظيم الذي اتخذته الجمعية، فقد نصت المادة (17) من الفصل الرابع في أعمال الهيئة المركزية العامة على أن: يكون للجمعية حزب سياسي على واسع، تدار بواسطة حركة الانتخابات العمومية وتُطبق سياستها.

وتم اتخاذ حزب علني للجمعية من أجل محاولة التوفيق بين سرية الجمعية والتطورات الحديثة التي مرت بها، وأهم تلك التطورات القيام بمهام الحكومة العربية الأولى. ومن أجل أن يتسع الحزب في الوقت نفسه لضم أشخاص لا


(1) انظر: 1-نشأة الحركة العربية الحديثة- عمدة عزة دروزة-491.

(2) انظر: 2-القومسية العربية- مصطفى الشهابي-78. 3- ستون عامًا في القافلة العربية- عجاج تويض-167.
يحسن أن يكونوا في نطاق التشكيك السري، ولكن يجب أن يستفاد منهم ويتتابع معهم، ويدخلون في دائرة توجيهاتنا.

فأنشأت الجمعية في أوائل عام (1328هـ) حزباً رسمياً باسم حزب الاستقلال العربي برامج قومي يستهدف الوحدة العربية والاستقلال الشامل ... وأوجبت على جميع أعضائها القديمين والجديدين الانضمام إليه، وفتحت باب الدخول فيه بمقاييس واسع.

وقد وضع نظام للحزب في الانتساب إليه وإدارته، فكانت أول لجنة إدارية تتولى أعمال الحزب مؤلفة من: سعيد حيدر، أسعد داغر، محمود عزة دروزة، زكى التميمي، فوزي البكري، عبد القادر العظم (2)، ومن لوائح ونظام الحزب:

1- إن غاية الحزب السمي بحزب الاستقلال العربي المؤسس في دمشق سنة 1919 هي تأمين استقلال البلاد العربية المحررة استقلالاً سياسياً تاماً من جميع وجهاته.

2- مركز الحزب مدينة دمشق، ولحزب الاستقلال فروع في أمهات المدن العربية بقدر ما تسمح به الظروف الحاضرة والمستقبل.

(1) حول الحركة العربية الحديثة- محمد عزة دروزة-87/1
(2) إنشاء الترجمة رقم (44).
(3) خبراتي في الحكم- حسن الحكمي- 86.
1- يتألف الحزب من أعضاء عاملين وأعضاء فخريين. ليس للحزب رئيس، إدارته معلقة بقرارات اللجنة المركزية المؤلفة من خمسة عشر عضواً.
2- صلاحية اللجنة المركزية القيام بما يلزم من المساعي لتأمين غاية الحزب مع تدقيق حساباته وتقريرها.

لقد أصبح هذا الحزب العمود الفقري للحياة الحزبية في سورية والسيطرة على البلاد بحيث لا يقرر عمل ولا تؤلف وزارة ولا توضع خطة إلا بالاتفاق معه.

وهذه الطريقة أصبح حزب الاستقلال الممثل العالي والرسمي لجمعية الفتاة العربية، حتى اختلط الأمر على الناس فلم يعودوا يفرقون بين الجمعية والحزب، فكانت فكية مسمى (جمعية الفتاة العربية السرية).

السبب الثاني: وسبب آخر أدى إلى فكية مسمى جمعية الفتاة العربية، هو إعدام أبرز مؤسس جمعية الفتاة السرية على مجموعةتين: المجموعة الأولى كانت بـنهجية شهر آب سنة 1915 (1333 هـ) والمجموعة الثانية بتاريخ 6 آب سنة 1916 م (1334 هـ)، وذلك لإدانتهم بأعمال تخل بأمن الدولة، كالطالبية.

(1) الراعيل العربي الأول- خريطة قاني- 171- رياض الأسد لمكتبة والنشر.
(2) حرار في الحكم- حسن الحكيم- 46.
(3) حول الحركة العربية الحديثة- محمد عزة دروزة- 88/1- انظر: 1- ستون عاماً مع الفافلة العربية- عماد نجيب- 167.
(4) جمعية الفتاة العربية السرية- سهيلة الريماوي- 98 و 131-انظر: مذكرات جمال باشا- 234.
الجمعيات القومية العربية وموفقاتها من الإسلام والمسلمين

باستقلال البلاد العربية، ومناصرة وتآييد حزب الامبركية، والدعوة للاحتلال الفرنسي... وذلك بموجب اعتراضات بعضهم، والحصول على وثائق ومكاتبات في القنصلية الفرنسية في دمشق تدينهم(1).

وقد ذكرجمال باشا أثناء التحقيقات في المسائل السياسية التي جرى تدقيقها بديوان الحرب العربي بأن: (توافق أندي الناطور وعوبي عبد الهادئ، ومحمد أندي المحمصاني، وغيرهم قد أسسا جمعية خفية دخل فيها عبد الغني العربي). وكانا يقبلون شبان العرب بعد التحليف -أي القسم- وكان الأعضاء مأذونين بقياد الشبان الذين يمكنهم أن يقوموا بمطالب الجمعية لا في أوروبا فقط بل في دار الخلافة وسوريا أيضاً.

 وقال توافق الناطور: (إنا قد شكلنا جمعية خفية في باريس ومؤسسه أنا محمد المحمصاني وعوبي عبد الهادئ وتوقيع فائدة وعبد الغني العربي، وكل أمة لا تنال حقوقها واستقلاها إلا بالمنورين من شبابا)

__________________________

(1) عن هذه القضية ينظر:

1 - مذكرات جمال باشا-212.
2 - حول الحركة العربية الحديثة-محمد غزه دروزة-1/01.
3 - جمعية الفتاة العربية السريه-سهامه الرازي-256.
4 - عشت وشاهدت-أليس النصوفي-دار الكتب-بيروت-الطبعة الأولى-1951.
5 - الثورة العربية الكبرى-أمين سعيد-1/58 وما بعدها.
6 - القومية العربية-مصطفى الشهابي-76.
ولما سئل سيف الدين الخطيب(1) عن مقصد هذه الجمعية قال هي: جمعية
الأمة العربية في مصارف الأمم(2).

وكانا كانت مغامرة مسمى (جمعية الفتاة العربية) ويقول محمد عزة دروزة
وهو أحد أعضائها: (إن كثيراً من أعضائها القديمين والحديثين
ذين تبعثوا في الأردن وفلسطين ومصر والعراق والشام لم يعرفوا عن نشاطها
شيئاً. ولم تقم للفتاة قائمة كيان رسمي بعد ذلك، وكل ما كان من أمر أن بعض
أعضاء الفتاة وحزب الاستقلال كانوا يتعاونون(3) أحياناً وفي بعض المجالات
الوطنية والخليجية(4).

8. حزب البعث العربي:

في عام 1916ـ (1334 هـ) تم تنفيذ بنود مؤامرة المندوبين (ساتكس
وبيكو) القاضية بتحديد الأجزاء التي ترغب كل من بريطانية وفرنسة في أخذها
من الإمبراطورية العثمانية، ثم أعطى إلى الحكم الروسي ليتحا

(1) انظر الترجمة رقم (32).
(2) الإيضاحات-جمال باشا-149.
(3) من أعضاء جمعية الفتاة غير ما ذكر: شكري التولتي، رفيق سلوق، يوسف بايين، كمال
القنصلي، مصطفى الشهابي، حب الدين الزركلي، عب الدين الخطيب، خالد بن باسين الحكيم، معين
الماضي. وأكثر أعضاء جمعية الفتاة هم من جمعية العهد.
(4) حوالى: العربية الجزيرة-صحيفة الشهابي 75. حوالى: العربية الجديدة-دروزة-1-28/6. حقال
(5) حوالى: العربية الجزيرة-محمد عزة دروزة-92/1.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

مقترحًا مع الحكومة الروسية، وحددت المقاطعات العثمانية التي ترغب كل واحدة من تلك الدول الثلاث في أن تعترف لها زميترها منطقة لنفوذها.(1)

وفي عام 1920 (1338هـ) تم تنفيذ المؤامرة والقضاء على حلم الجماعات القومية العربية، وذلك بسقوط الدولة العربية الأولى(2) في سوريا بواصعة ميسلون(3).

وكانت البلاد العربية - منشأ الجمعيات القومية - مقتضى هذه المؤامرة قد وَزَّعَت على فرنسا وبريطانيا، فكان نصيب فرنسا القسم الأعظم من سورية ومنطقة الموصل في العراق. وأما بريطانيا فكانت حصتها تتألف من شريط يمتد من أقصى جنوب سوريا عبر العراق ويشمل بغداد والبصرة وكل المنطقة الواقعة بين خليج العرب والمنطقة المخصصة لفرنسا(4).


٢- انظر القسم العربي الأول في دمشق - خيرية قايم.

٣- ميسلون فايز عهد- صبيح العمرى-150- دار الرس للكتب والنشر- لندن- قصص- الطبعة الأولى 1991. والمؤلف ضابط عربي في تلك المعركة وكتب دراسته عنها. وملبسون نفسها تقع شمال غربي دمشق، على الطريق المؤدية منها إلى بيروت، وبالقرب من الحدود اللبنانية السورية. جرت عندنا الموقعة المسمى باسمها بين قوات الأمير ف Inhal بن الحسين بقيادة يوسف العظمة- ووزير الحربة في الحكومة العربية السورية- وبين الجيش الفرنسي بقيادة غويه- قائد فرقة المشاة الثالثة- وذلك في يوم 24 يوليو 1920. وأهمية هذه المعركة أنها أتت استقلال أول دولة وهجدية عربية قامت في بلاد الشام بعد اقفار الحكم العثماني فيها .. ثم أعطت هذه البلاد لانتداب استمر أكثر من ربع قرن. وتعتبر ميسلون بارزة العبور إلى سوريا الداخلية من العرب وينظر:


٥- يوم ميسلون- ساطع الخصري.

٦- معركة ميسلون- جورج انطونيوس- 349- 1955 ( بصرف)
لقد وقعت البلاد العربية المنصوص عليها بالانفصالية تحت حكم الاستعمار الصليبي؛ وقد قصد المستعمر عدة أهداف ينبغي التنبيه عليها قبل الحديث عن تاريخ نشأة حزب البعث، وهي:

1 - أن ينشغل كل جزء من أجزاء الوطن الكبير في حل قضيته بنفسه، وأن ينسى الزمن الهدف الكبير الذي بدأ به.

فالمصري الذي يقظن دمشق مثلا كان في البداية يعمل لإنشاء إمبراطورية عربية كبيرة. ثم انخسر تفكيره إلى المحافظة على سوريا الطبيعية. ثم انخسر كذلك إلى قطعة أصغر بعد أن تقسمت سوريا إلى فلسطين وشرق الأردن ولبنان وسوريا.

2 - أن تظهر دولة الاستعمار على نحو الروح الإقليمية مقابل الروح الإسلامية التي تعتبرها الخطر الأول الذي يهدد مصالحها.

3 - إحصاء الشعوبية والطائفية. فدولة صغيرة مثل سوريا قسمتها إلى أربع دول: دولة درزية، ودولة نصيرية، ودولة دمشق، ودولة حلب. وكل ذلك له تأثير شعور وطائفية على مستقبل البلاد.

4 - محاولة أي نوع من أنواع الوحدة بين الأقطار العربية. وإذا كان الاستعمار قد تسامح مع نحو الأحزاب القومية أو الوحدوية، غير أنه كان يدرك طبيعة هذه الأحزاب الإقليمية والشعبية.

(1) القومية بين النظرية والتطبيق - مصطفى الطحان - 158 - دار الوثائق - الكويت - الطبعة الأولى - 1409 هـ.
تشا حزب البعث العربي:

إن الجمعيات القومية العربية والسابق التعرف بما تختلف مع حزب البعث في مسألة التأسيس احتفالًا جوهريًا، إذ أن الجمعيات القومية سالفة الذكر نشأت تحت مظللة الحكم العثماني، وأما حزب البعث فقد يكون المثال الصحيح للحزب القومي العربي إذ كان منشأ الحزب في بلاد عربية، بل تمكن من استلام السلطة في بعض البلاد العربية(1). ولذا يؤكد أعضاء حزب البعث على ولائهم لثورة الشريف حسين وأهم امتداد للثورة العربية(2)، وهذا يرونه أن ثورة الشريف حسين تعد من أهم أسباب نشأة حزب البعث الذي جاء نتيجة لمحارب فكري ولمعانة نضالية ساهمت في بلوغها مناح رئيسي أربعة:

١— التراث القومي والبعد التاريخي للتجربة النضالية للأمة العربية وخاصة التجربة الإسلامية التي جسدت في ماضي العرب أعمق تجربة روحية وثورة فكرية واجتماعية وسياسية.

٢— الثورات المعاصرة التي بدأت بتجربة الإصلاح الديني في أوروبا وبلغت ذروتها في ثورة ١٩١٧(١٣٣٥هـ) الاشتراكية التي ساهمت في طرح قضايا الشعوب والأمم المتجزئة المضطهدة والمجمهر المسحوبة.

(١) انظر: ١— القومية بين النظرية والتطبيق- مصطفى محمد طحان-١٩٤٠-٣٧٧-١٩٤١.
(٢) انظر: سياسي يتذكر-٥١.
3- العالم الجديد الذي نشأ خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية، وعلى أعقابهما وما طرحته التبدلات التي شملت مختلف جوانب الحياة من قضايا مصيرية، تم مستقبل الإنسانى ومصير الشعب العربي.

4- التجربة النضالية المعاصرة للأمة العربية التي حددت البوصلة القومية عبر الصراع مع السيطرة العثمانية والاستعمار الغربي (1).

ومن خلال هذه المحاور الأربعة نشأ حزب البعث الذي يعد من أهم الأحزاب السياسية التي تنبت القومية العربية، والذي تولى تأسيسه وقيادة ميشيل عفلق وصلاح البيطار (2) وكلاهما أثروا دراستهما الجامعية في باريس، الأول حصل على إجازة في التاريخ والثاني على إجازة في العلوم، وهناك ما بالفعل تكوينهما الفكري ووعيهما السياسي (3)، وقد اطلاعا على مزيج من التيارات اليسارية التي نشطت في باريس، وتأثرا ببقايا الفكر القومي في أوروبا، وكتابات الثورة الفرنسية (4).

ويقرر مؤسس حزب البعث بأنه امتداد لمبادئ وعقائد الجمعيات سابقة.

الذكر، فيقول أحد المؤسسين لحزب البعث: لم يكن مفاجأة للعرب من حيث المبادئ ومن حيث الفلسفة القومية والسلوك. ولكن هناك منظمات وأحزاب

(1) تطور الأيديولوجية العربية الثورية- إلياس فرح-3-المؤسسة العربية للدراسات والنشر- الطبعة السابعة 1979.
(2) حزب البعث العربي الاشتراكي-مصطفى دندشلي-19/1-الطبعة الأولى 1979.
(3) المصدر السابق-19/1.
(4) سياسي يتذكر-51.
وجمعيات سابقة فجاء هو يحاول استدراك ما فات تلك المنظمات والأحزاب والجمعيات (1).

وقد يتفق كل من كتب عن حرب البعث أن تاريخ تأسيسه كان في عام 1943 (1362 هـ) ثم أعلن عنه رسمياً في دمشق 17 نيسان عام 1947 (1366 هـ)، وبين فترة التأسيس والإعلان فقد أصدرت نشرة هامة تحمل توقيع عفلك والبيطار، وتحمل التنظير الفكري للحزب وهي بعنوان (القومية العربية وموقفها من الشيوعية) .. مما جاء فيها: (إذا عدنا إلى الوطن نحمل فكرة الاشتراكية كتعبير عن العادات اللتين وقفنا أنسنا على تحقيقهما: مكافحة الاستعمار الأجنبي، ومكافحة الرجوعية الداخلية بكل أشكالها، وقد فهمنا عن طريق تلك الفكرة أن النضال ضد المستعمر لن يكون صادقاً شاملاً حقيقياً إلا إذا كان نضالاً شعبياً .. ففهما أيضاً أن هذا النضال مرتبث أوثق الارتباط بحلة الأمة الفكرية والأخلاقية، وأنه لا بد لنجوع النضال ضد المستعمر من قيمة انقلاب فكري يغير المفاهيم القديمة العقيمة، ويهر النفوذ إلى الأعماق .. ويخلق لها نظرة أخلاقية جديدة جذابة (1).

(2) حزب البعث العربي الاشتراكي-مصطفى دندشلي-27/1-1979.
(3) حزب البعث-سامي الجندي-19.
(4) حزب البعث-ماري كيبي-33.
(5) الحركات القومية في ميزان الإسلام-منير محمد بجيب-33.
الدعوة لحزب البعث العربي:

من مبادئ حزب البعث العربي الإيام بالuxtapال الشعبي لبعث القومية العربية(1)، ومن هذا المنطلق فقد بدأ عفقل والبيطار منذ عام 1943 الدعوة إلى أفكار ومعتقدات الحزب، وقد ساهم في تسهيل دعوتهما أن في تلك الفترة:

1- الأوضاع السياسية في البلاد العربية: فقد كان الحلفاء الإنكليز والفرنسيون يحتلون سوريا و لبنان، وكانت جيوشهم معسكرة في مختلف أنحاء الشرق، في هذه الظروف تكونت (الخليفة) السياسية الجديدة التي كان من أبرز وجهها MSFQF وصلاح البيطار، وأطلق على نفسها اسم (شبااب البعث العربي)، في هذه السنة 1943-1941 تقدمت هذه المجموعة من السلطة للحصول على ترشيح بإصدار صحيفة خاصة بحبا ولكنها لم توفق في ذلك واقتصرت النشاطات الرئيسية للحركة في ذلك الوقت على الدعوة للفكرة العربية من خلال تنظيم الاجتماعات الصغيرة العدد، وإصدار البيانات المعادية للاحتلال الفرنسي والطالبية بالاستقلال الكامل لسوريا، بين الفينة والأخرى(2).

2- لم تكن العضوية في حزب البعث صعبة المنال، ذلك لأن طبيعة الحزب كانت أقرب إلى كونها حركة تشيرية من كونها عقدة متكاملة لجوانب أو برامج محددة، ولم يكن العمل سريًا بالمعنى المتعارف عليه في الحركات الثورية، كما مر ذكره من برامج وتنظيمات الجمعيات القومية العربية سالفه الذكر.

(1) الأحزاب السياسية في الأردن- هاني الخوري وآخرون- 87.
(2) حزب البعث العربي الاشتراكي- مصطفى دندشي- 34.
3 - معظم قيادات الحزب ومقرراته لم تكن سراً، سواء في سوريا أم لبنان أم الأردن أم العراق، ولقد ساعد ذلك طبيعة الحياة السياسية في تلك البلدان، وطبيعة أنظمة الحكم (1).

4 - ومن أبرز الظروف التي ساعدت على نشر مبادئ حزب البعث مرشح عفلك وصلاح البيطار (مؤسس الحزب) كانا مدرسين في مدرسة التجهيز والتي يدرس فيها أغلب أبناء العائلات الكبيرة والأعيان، ومن مختلف المناطق السورية وكان هؤلاء يقصدون دمشق بقصد التحصيل الدراسي. فكان عفلك أستاذاً للتاريخ وصلاح البيطار أستاذاً للعلوم الطبيعية والفيزياء، وقد تحلقت حول عفلك مجموعة من المعجبين به والمعاطفين معه، وكانت هذه المجموعة ترى فيه (المعلم والمفكر). وعندما تخرج هذه المجموعة فمنهم يدخل سلك التعليم كمدرسين، وهكذا كانوا يحملون راية البعث وينشرون أفكاره في مناطقهم المختلفة (2).

لقد كان عفلك من خلال تدرسه للتاريخ ينشر الفكر البعثي، فهما قال:

(3) في دور المهدين، نحن نشتد الطريق للجيل الجديد لا تعيديها، نحن نرفع الأشواك لزرع الريحان، نحن نزرع العذور الخالدة لا قطع النور السِّفاع، وهذا الجيل لن يكون إلا بانفصاله عن الجيل القدام. إن عملياً عمل (4).

(1) سياسى يتذكر-56.
(2) حزب البعث العربي الاشتراكي-مصطفى دندشلي-34.
نضالي طويل يستهدف المستقبل البعيد. إن الإسلام كان ثمرة العبقرية العربية أكثر منه وحياً من عند الله. نحن أصحاب رسالة لا سياسة).

ويقول أحد طلابه: (إن طلاب عفلق، بل مريديه كانوا يردون أفكار عفلق، وكان يتبهر ببعض ونقيس بما ينكأ على اختلاف أدياننا وطوانتنا حيث لا فرق بيننا، ولا يضعن أنا قلة وأنا وحدنا .. لقد كان تفاؤل (أستاذنا) عفلق يغمرنا لقد أطلقنا عليه (محمد ميشيل).

ويصف أحد البعثيين شخصية (المعلم الفكر) عفلق، يقول: (نظرة سائر الحزبيين إلى ميشيل عفلق كإله ذي صورة قدسية .. ونحن في العراق كنا كنا عفلقين قلبًا وقولًا، حينجلس أمامه نشعر أننا في حضرة المسيح (عليه أفضل الصلاة والسلام)، يأخذنا كلامه ولغته الاحتراءة وأسلوبه الصوفي).

وكان عفلق يستغل كل فرصة مواتية له من أجل بث وبيان حزبه البعثي، فلما سنحت له فرصة انتخابات تموز 1943 التي خاضها بشخصه كمرشح مستقل .. لم يكن البعثيون في ذلك الوقت غير نواة صغيرة من المناقين والطلاب، ولم يكن هدفهم الحصول على مقعد في البرلمان، بقدر ما كان هدفهم التعرف بالاختيارات القومية والسياسية لحركتهم .. وفي هذه المناسبة أطلق لأول مرة الشعار البعثي (أمة عربية واحدة، ذات رسالة خالدة) وفي بيانه إلى الشعب قال عفلق مرهشُ البث: (ندخل الانتخابات لا باسم طائفية، ولا مدينة ، ولا

2. أوكار الهزيمة تجربة في حزب البث العراقي- هادي الفكيكي- 78.
الجمعيات القومية العربية و موقعها من الإسلام والديموقراطية

مصطلح قريبة أو ظروف سياسية عاجلة، بل باسم فلسفة قومية نريد أن تكون إفصاحاً صادقاً عن الحياة العربية في حقيقتها الخالدة ..(1).

المبدأ والتنظيم حزب البعث العربي:

سبقت الإشارة إلى أن مقررات حزب البعث ليست سرية، ولذا فإن بيان موقف حزب البعث العربي من الإسلام والمسلمين، من خلال تنظيمه وتنظيمه ليس بالأمر الصعب، وخاصة أنه تولى قيادة بعض البلدان العربية وسن فيها التشريعات البعثية ..(2).

لم يكن حزب البعث العربي الحزب الموجود في الساحة العربية في وقت إنشاء الحزب، فقد كانت هناك الكتل الوطنية العربية، والأحزاب الشيوعية .. الخ، ومن أجل أن يتخذ حزب البعث العربي وجوده الفعلي في البلاد العربية كانت قراراته تصدر في إطار جماعي ومن خلال مؤتمرات تعقد، وفيها يصدر منهج ودستور الحزب، والتي مرت بمرات مختلفة تقتضيها ظروف معينة ..(3)، حتى تمكن أعضاء الحزب من التفوذ في المجتمع، عن طريق القبض على زمام الأمور في بعض البلدان العربية.

(1) حزب البعث العربي الاشتراكي - مصطفى دندللي - 342.
(2) انظر: 1 - أوكار القيادة جريبي مع حزب البعث العربي - هاني الفكيكي.
(3) الحركات القومية في ميزان الإسلام - منير محمد نجيب.
(4) دولة البعث وإسلام عفيف - مطبع النونو.
ومن هذا المنطلق كانت قرارات الحرب مختلفة من فترة إلى أخرى، وبدراستها جميع قرارات الحرب يتبين للباحث محاولة تحديد مبدأ وتنظيم الحرب (1)، بما يلي:

أولاً: موقف حزب البعث العربي من الدين الإسلامي:

أ -- يقرر عفلك – النصراوي -- موقف الحزب من الإسلام، فيقول: لا يفهمنا إلا المؤمنون، المؤمنون بالله، قد لا ترى نصلي مع المصليين، أو نصوم مع الصائمين، ولكننا نؤمن بالله لأننا في حاجة ملحقة وفقر إليه عصبين.. ونحن وصلنا إلى هذا الإيمان ولم نبدأ به، وكسبناه بالمشقة والألم ولم نرثه إثراً، ولا استلمناه تقليداً (2). إن عفلك يقرر إيمانه بوجود الله فقط من غير التزام الإسلام.

وقد قرر هذا المبدأ في محاصرة (ذكرى الرسول العربي) ألقاها عام 1943، ويقول أحد أعضاء الحزب عن تأثير هذه الكلمات في نفسه: (عندما أقرأ كراسه ذكرى الرسول العربي) أقف مأخوذًا بلغته وعندما أصل إلى نهايته حيث يقول إذا كان محمد كل العرب فليكن كل العرب محمدًا) تنسبى فشعرية وسري في أوصالي برودة... ومع اعتقادي بالعلمانية لم أحد أي فصل بين القومية العربية

(1) انظر: حزب البعث العربي- جلال السيد - من صفحة 88 إلى صفحة 88 - يتحدث المؤلف فيها عن عملية الدمج بين حزب البعث العربي وبين العربي الاشتراكي والظروف والتغيرات التي مر بها حزب البعث العربي الاشتراكي.

الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

والإسلام، فرسالنا الخالدة كتأمين صغير هي: بعث الأمة العربية وتجديد روحها كي تدعو ثانية كما أبدعت الإسلام(1).

لذا يعتبر حزب البعث الإسلامي جزءاً أساسياً من التراث العربي وليس جزءاً بديلاً عن الوجود العربي. فالأساس بالنسبة للبعث ليس الإسلام الذي يمكن أن يصادف وجوده عند العرب وغيرهم، بل العروبة ذات الحضارة الإسلامية، دون أن يكون الدين الإسلامي بالضرورة هو المقياس للعروبة(2).

ثانياً: حزب البعث والعلمانية:

البعث والعلمانية توأمان، فكل الأحزاب التي قامت على أسس القومية أو الوطنية .. علمانية، وليست علمانية حزب البعث يقول عفلق: إن علمانية البعث هي التي تحرر الدين من ظروف السياسة وملابساتها. وتسمح له بالتالي أن يتحرر وينطلق في حياة الأفراد والمجتمع(3).

ومن توصيات المؤتمر القومي الرابع، تعتبر الرجعية الدينية إحدى المخاطر الأساسية التي تهدد الانطلاقة التقدمية في المرحلة الحاضرة، ولذلك يوصي القيادة القومية بالتركيز في النشاط الثقافي والعملي على ما يلي: عالمانية الحزب، خاصة في الأقطار التي تشهو فيها الطائفية العمل السياسي.

---

(1) أوكار الديهاينة في حزب البعث العراقي- هاني الفكيري- 78.
(2) سياسة تجريبية في العمل السياسي جمال الشاعر- 58.
(3) في سبيل البعث- ميشيل عفلق- 144.
ب - إبراز التناقضات بين مصالح الفئات الرجعية المتاحة بالدين وبين مصالح الجماهير الشعبية، وتعقيق هذه التناقضات تبني المطالب الشعبية وتشجيع الجماهير على النضال من أجل مطالباتها الاجتماعية والاقتصادية ... لذلك تقرر أن أفضل سبيل لتوسيع فكرتنا القومية هو شرح وإيراز مفهومها التقديمي العلماني، وتحسين الأساليب التقليدية في عرض الفكرة القومية، وعلى ذلك سيكون نضالنا في هذه المرحلة مركزاً حول تأكيد علمانية حركتنا ومضمونها الاشتراكي لاستقطاب قاعدة شعبية لا طائفية من كل فئات الشعب وطبقاته.

ج - حرية الاعتقاد: حزب البعث العربي الاشتراكي يعتبر حرية الكلام والاجتماع والاعتقاد والفن مقدسة لا يمكن لسلطة أن تنقصها.

وحين إذن البيان الأول لحزب البعث العربي في العراق 31/10/1963، استخدمت عبارات وأفكار تضمنها البيان، قال عنها أحد مؤسسي الحزب:

«غريبة عن لغة الحزب السياسية وحديدة علينا كـ عدوٍ لله وعبدوٍ كـ عدوٍ لله.»

ورغم أن مسألة الإيمان بالله كانت قضية محصومة في الحزب ولم يطلقها أي نقاش أو تساؤل، فإن خطاب الحزب السياسي كان ذا لغة علمانية ودين قوي.

ثالثاً: حزب البعث والقومية العربية:

من أبرز ركائز حزب البعث القومية العربية، وقد لقن ميشيل عفلق أعضاء الحزب هذه الأبيات الكنية:

(1) نضال البعث 172/1-181-1963-1963-
(2) الألفا: (60).
(3) أوركر الهزيمة بجريج في حزب البعث العربي: هاني الفكيكي - 267.
الأمم بالبعث رباً لا شريك له، وبالعروية دينًا ما له ثان.

فيقرر الحزب: أن الأمة العربية فكرة حالية، قيمة مطلقة، وكلمة واحدة إذاً الروح، ويمكن القول إن القومية العربية قد ارتفعت إلى مستوى الروح العلوي بالقدر الذي كان للدين (1). ويؤكد عدم الاكتفاء بأن (القومية العربية) دينًا للحرب، بل إن معالجة القضايا العربية لا تمكن إلا من وجهة النظرية القومية، فهي المحكمة في معالجة القضايا العربية في قوميته (2).

فحزب البعث العربي الاشتراكي قومي يؤمن بأن القومية حقيقة حية حالية، وبأن الشعور القومي الواعي الذي يربط الفرد بأمته ربطًأ ثيقاً هو شعور مقدس.. والفكرة القومية التي يدعوا إليها الحرب هي: إرادة الشعب العربي أن يتحرر ويتوحد، وأن تعطي له فرصة تحقيق الشخصية العربية في التاريخ (3).

لقد قرر حزب البعث العربي: أنه إذا كانت القومية العربية هي الدين الجديد الذي أبرزته الأمة العربية في الوقت الحاضر، فإن البعث بالتالي هو الحركة التي حصدت هذه القومية. وإذا كان علم الكلام قد أساء للدين ووجه في إطار ليس له أساس.. فإن القومية العربية كالدين تماماً لا يمكن أن يستوعبه تحليل نظري جاهز.. وإذا كان الدين قدّم يقول كلمته في أوضاع الأمة جمعاً. فإن القومية

(1) حزب البعث العربي الاشتراكي-مصطفى دندشلي-1980
(2) في الثقافة والحضارة-إلياس فرح-1979
(3) نضال البعث-1972-1979
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

العربية اليوم هي: نظرية متكاملة لحياة ونظام للمجتمع، لها رأيها الصريح في الاقتصاد والاتصال والأخلاق والإنسانية والدين.

رابعاً: الولاء والبراء في تنظيم حزب البعث:

من نتائج تقرير (العربية) ديناً للحزب فقد أصبح الولاء والبراء من أصلها، لذا نص دستور الحزب على أن: الرابطة القومية هي الرابطة الوحيدة القائمة في الدول العربية التي تكمل الانسجام بين المواطنين، وانصارهم في بوتقة واحدة، وتكافح سائر العصبات المذهبية والطائفية والقبلية والعرقية والإقليمية. وأن الأمية العربية وحدة ثقافية، جميع الفوارق القائمة بين أبنائها عرضية زائفة تزول جميعها بقعة الوجدان العربي.

وتحليل مبدأ الولاء للقومية العربية فقد نص دستور الحزب على ما يلي:

أ- يُجلى عن الوطن العربي كل من دعا أو انضم إلى تكتل عنصري ضد العرب، وكل من هاجر إلى الوطن العربي لغاية استعمار.

ب- ترمي سياسة الحزب التربوية إلى خلق جيل عربي جديد مؤمن بوحدة أمه وخلود رسلها آخذ بالتفكير العلمي، وطليق من قيود الخرافات والتقاليد الرجعية. ولذا يقرر الحزب: طبع كل مظاهر الحياة الفكرية والاقتصادية والسياسية والعثمانية والفنية بطبع قومي عربي، بعيد للأمة صلتها بتراثها الجيد وتخفّها إلى أن تتطلع إلى مستقبل أبعد وأمثل...

(1) حزب البعث العربي الاشتراكي-مصنف دندشلي-84.
(2) نسائل البعث-172/1-181-181.
(3) المصدر نفسه-172/1-181-181.
خامسة: حزب البعث العربي ومصدر التشريع:

تحقيقاً لعلمانية حزب البعث فقد أعطي الشعب سلطة التشريع، ولم يُعبَّد الناس بالروح الإلهي، فنص دستور الحزب بأنه: حزب شعبي يؤمن بأن السلطة هي ملك للشعب، وأنه وحده مصدر السلطات. كما يؤمن بالنضال الشعبي لبث القومية العربية وبناء نظام اقتصادي اشتراكي يحقق العدالة الاجتماعية وتوزيع الثورة توزيعاً عادلاً ۱.

وتوسُّيعاً لشمولية حزب البعث العربي، فقد قرر دستور الحزب: يُوضع مسألة الحرية تشريع موحد للدولة العربية ينسجم مع روح العصر الحاضر على ضوء تجارب الأمة العربية في ماضيها.

كما يرى حزب البعث العربي الاشتراكي أن الإنسانية مجموع متضامن في مصلحته، مُشترِكت في قيمة وحضارته. فالعرب يغذون من الحضارة الإنسانية ويغذيونه، ويُبدون الإخاء إلى الأمم الأخرى ويعاونون معها على إيجاد نظام عادلة تضمن لجميع الشعوب الرفاهية والسلام ۲.

ويقول أحد أعضاء الحزب: لقد أصدر حزب البعث قانوناً للأحوال الشخصية انصف المرأة وساها في الإرث مع الرجل، مؤكداً حقها الموازي للرجل في الطلاق، وحدد سن الزواج بثمانية عشر عاماً، ومنع تعدد الزوجات.

(۱) الأحزاب السياسية في الأردن- هاني الورياني، وأخرون. ۸۷.
(۲) نزال البعث - ۱۸۱-۱۷۲/۱۸۷.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والسامور

لا في الحالات الاستثنائية، الشيء الذي أثار حفيظة المرجعيات الدينية السنية والشعوية على السواء باعتباره قانونًا مخالفة للشرع. وقد قررت القيادة القطرية وبعد مناقشات مطولات الإبقاء على القانون باعتباره منصفًا للمرأة حاملاً لها، فضلاً عن أنه ترتك الحرية للمواطن في الأخذ به أو التزام الشرع الإسلامي.

وفي بداية تولي الحزب السلطة في العراق، عُقد اجتماعًا واتخذ جملة قرارات تنظيمية وسياسية أولى فيها توضح هوية الحكم أهمية كبرى والتأكيد على التمسك بقانون الإصلاح، وآكد على وزراء الحزب ضرورة الإفصاح عن قمع الحكم النزدي المعادي للاستعمار والرجعية.

سادسًا: حزب البعث والثورة العربية الكبرى:

إن مؤسس حزب البعث يعتبرون أنفسهم استمرارًا للثورة العربية الكبرى، واعتبارهم علم تلك الثورة علماً للحزب نفسه. ويبين صلاح البيطار وهو أحد مؤسسي الحزب أن سبب قبول الناس لحزب البعث ما أحدثه الثورة العربية الكبرى من وعي قومي، يقول: كانت الناس والشباب تأتي إلى حزب البعث أفواجًا في سورية الطبيعية التي تنززع بالطرودم إلى بعث القومية كقوة عربية ثورية، لأن سوريا الطبيعية وجدت في ظروف تاريخية وجغرافية جعلتها تسبيب البلاد العربية في موضوع الوعي القومي. فمثلًا كانت سوريا مع ثورة

(1) أوكار المزهة تجربة في حزب البعث العربي- هاني الفكيكي-129.
(2) المصدر السابق-272.
(3) سياسي يتذكر تحربًا في العمل السياسي-جمال الشاعر-51.
الشريف حسين منذ مطلعها، الأمير فيصل توج ملكاً في دمشق عام 1920.

هيئة أركان الملك فيصل كانت عربية فيها العراقي والسوري والفلسطيني (1).

وقد نص في دستور الحرب فقرة رقم (9): (رآية الدولة العربية هي الثورة العربية التي انفجرت عام 1916 لتحرير الأمة العربية وتوحيدها) (2).

سابعاً: العقائد الباطلة واتناؤها لحرب البعث:

في الدراسة السابقة عن الجمعيات القومية تبين الحلول القائدي عند منتبسي الجمعيات القومية، وهذا الحلول يلزم مراعاته في دساتيرها وتنظيمها.

إن حزب البعث كغيره من التنظيمات القومية لم يسلم من هذا الانتهاء الطائفي، ومؤسس الحزب (ميشيل عفلق نصراوي). وعندما قام الكيان اللبناني على أساس طليعية المارونيين وآخريهم المسيحيين، ظلت طوائف المسلمين تستجيب لمختلف الدعوات غير اللبنانية، والعربية منها خاصةً أو الإسلامية، كذلك فإن المسيحيين من غير الموارنة كانوا أكثر استجابة من الموارنة مثل تلك الدعوات، كالدعوة السورية القومية والشيوعية والأفكار العربية.

وكانت نسبة المسيحيين (النصارى) في حزب البعث مرتفعة لدرجة أن معظم الكوادر القيادية دون القيادة القطرية كانت مسيحية، وفي العراق بدأ تكوين الحزب في أواسط السبع من العرب وكان الشيعة قد أقبلوا على الحزب

المصدر نفسه-68
(1) نزال البعث-181/182-1972
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

في بداية تأسيسه إلا أن اقتراب البعثيين من السلطة أعاد للأقلية السنة امتيازاتها التقليدية وسيطرتها على الدولة والحزب. ويصف أحد أعضاء حزب البعث العربي حال أعضاء قيادة الفرقة الحزبية بأعمالهم في الكاظمية شيعة، وكذلك كان حال أعضاء التنظيم. حتى أن عملنا الحزبي كان يتوقف في شهر محرم ويوبرانعاء من كل عام. ولم يشع أعضاء الحزب عن غيرهم من أبناء الكاظمية. هذا التعايش بين العقائدي والذهبى كان عاماً، ولم يقتصر على البعثيين، فقد كنت تجد الشيوعي والقومي والديموقراطي الوطني يمارسون بدورهم النشاطات نفسها.

وحين الإعلان عن تأسيس حزب البعث، تردد عفقل في توليه قيادة الحزب، بسبب كون أمين الحزب (والذي يشغله ميشيل عفقل) رجل نصراني مع أن حزب البعث قد نشأ في بلاد مسلمة. فقد ذكر أحد مؤسسي الحزب، بأن عفقل قد قال له: (إذا كان الحزب ينوي أن يمارس العمل السياسي ويحصل على مكاسب، ففيجب عليه أن يتخلى الأسلوب النافعة في هذا المضار. فذكر منها: إن حزباً قومياً في مدينة دمشق المحافظة، وهو يتوقف من أكثرية ساحقة من المسلمين بحكم التكوين العام للوطن، كيف يجوز له أن يكون أمينه العام مسيحياً).

---

(1) سياسي يتذكر تجربة في العمل السياسي-جمال الشعار-1948.
(2) أوكار الهزيمة تجريبي في حزب البعث العراقي-هاني الفكيري-1983.
فكان رد على هذا الأمر بأن منهج الحزب إذا كان يسير تماماً وفق الأعراف الدارجة ويفضع للمفاهيم العارضة فما هي الانقلابية التي نص عليها دستور الحزب. وهل الانقلابية تعني شيئاً غير النمسك بالحق ولو خالفه الكثيرون. أكد لعفلق أنه ليس في الحزب أحد غيره يستطيع أداء هذه المهمة وأن الحزب ما يزال بقضية وقضيه يكون له الاحترام وينحثه التأييد. وأنه الوحيد الذي يصل للأمانة العامة. وأن المسايرة واللين والتأثير الروحي التي ينطع بها عفلك ليست متوازرة في غيره.(1)

وبعد هذا التعرف الموجز عن حزب البعث العربي، يجب الإشارة إلى قضية مهمة وهي أن الحزب قد رفع شعار (أمة عربية وحدة ذات رسالة خالدة). ودستور حزب البعث كما في المادة رقم (3): الفكرة القومية التي يدعو إليها الحزب هي: إرادة الشعب أن يتحرر ويتودح، وأن تعطي له فرصة تحقيق الشخصية العربية في التاريخ... (2).

هذا الشعارات في نظام حزب البعث لا تخرج عن كونها شعارات رمزية، وبدلاً على ذلك ما يلي:

الأمر الأول: قال أحد أعضاء الحزب: كان معتقدي الدنيوي ذابلاً متراجعاً لمصلحة عقلانية متنورة، بل أمام طلباب المعتقدية القومية على نفسي.

(1) حزب البعث العربي-جلال السيد-48. (تصرف بسير).
(2) حزب البعث العربي الإشتراكي-مصطفي دندشلي-84.
(3) نضال البعث-17/1-181-17/2
وبطبيعة الحال لم يصاحب ذلك إمّان بالديمقراطية أو حرص على مؤسساته. وما كّنا نقوله ونكتب عن الحرية لم يعد كونه لغوياً ثقافياً وحزبياً أو استخداماً لمصطلحات درجت الأحزاب على مجازفة الناس بما(1).

الأمر الثاني: تصريح مؤسس الحزب - ميشيل عفلق - في طريقة مقاومة المخالف فيقول: إن مقاومة الأفكار الهامدة لا تقتصر على مناقشتها ودحضها، بل تحلي تصفية المؤمنين بما والدائع إليها(2). ولذا من دستور الحزب كما في المادة (2): حزب البعث العربي الاشتراكي، انقلابيًّا يؤمن بأن أهدافه الرئيسية في بعث القومية العربية وبناء الاشتراكية لا يمكن أن تتم إلا عن طريق الانقلاب والضال. وأن الاعتماد على التطور البطيء والاكتفاء بالإصلاح الجزئي يهددان هذه الأهداف بالفشل والضياع(3).

الأمر الثالث: تاريخ حزب البعث وصراعه السياسي يناقض دعاء ودستوره (أمة عربية واحدة، ذات رسالة خالدة) فمنذ بدايات تأسيس الحزب وهو في صراع من أجل الوصول إلى السلطة(4).

ويقُول أحد المؤسسين للحزب: وحزب البعث عندما استلم السلطة في العراق وسورية جنج إلى الأسلوب الشديد، فعاقب على الشتهة ونفذ مبدأ

(1) أركان الحزب التربوي في حزب البعث العراقي- هاني الفكيري- 1991.
(2) المصدر السابق نفسه-1977.
(3) نزال البعث-142/1 1981-وانظر خبراء في الحكم- حسن الحكيم- 55.
(4) حزب البعث العربي الاشتراكي- مصطفى دندشلي- 84.
الأعمال الجماعية وقتل وسجن واقترح وأجاع كل من يرى أنه ليس مؤيدًا ولا مومنًا بالحزب، ثم مدد بعضهم ودًا إلى خزانة الدولة تعمل فيها إسرافًا وعثرة(1).

ففي سوريا مثلًا - نشأة الحزب - يقرر ميشيل عفلك عفلك تأييد وسائل العنف والثورة لأنه كان يشعر بأن مجال نجاح أهدافه الاجتماعية نادراً ما يتحقق إلا إذا أطُعِح بأنظمة الحكم القديمة بانقلاب عسكري، ثم يتولى الحكم صفوة اختيارية من الناس يعملون على تطوير أنظمة حكم جديدة وفقًا لأفكار ومثل علياً جديداً(2).

ويقول أحد مؤسسي حزب البعث: منذ عام 1949 وأخذ الحزب يهدد بانقلاب عسكري. وفي 29 مارس من هذه السنة أطلق الجيش بنظام القوتي وحل مجلس الزعيم حسب الزعيم(3) الذي حل البرلمان وعلق الدستور، ووقع اتفاقية الهدنة مع إسرائيل...(4) ولم يستطع البشريون أن يفروزوا بالكثير في ظل مثل هذا الحاكم المتسلط، ووقع الصدام(5) وزج حسب الزعيم بقيادة البعث في المعتقل لمدة ثلاث أسابيع. وقد تعرض عفلك في معتقله إلى المضايقات.. الأمر

(1) حزب البعث العربي - حلال السيد - 204.
(3) انظر الترجمة رقم (19).
(5) نضال البعث - 292/1.
الذي جعله يكتب لحسن الزعيم رسالة(1) يعترف بما عفلقه بأخطائه وأخطاء حزبته. وقد كثف حزب البعث وآكرم الحواري اتصالهم بالضباط الشبان، وكان الانقلاب الثاني بتاريخ 14/8/1949 (1368/10/20) بقيادة اللواء سامي الخناوبي، وشكل الخناوبي وزارة برئاسة هاشم الأناسي(2)، دخلها ميشيل عفلق وزيراً للزراعة وأكرم الحواري وزيراً للزراعة. وفي الانتخابات النيابية، فاز فيها جلال السيد، عضو اللجنة التنفيذية للحزب، عن منطقة دير الزور. وفي مارس 1954 غادر الشيشكلي البلاد بعد إعلان الثنيب، مصطفى حمدون عن انقلاب جديد وكان للبعثيين كالعادة دور طليعي في إسقاط الحكم السابق وتعيين الانقلاب لاحق(3).


(2) انظر الترجمة رقم (312).

(3) القومية بين النظرية والتطبيق- مصطفى محمد طبان- 201- 212.
وحـزـب الـبعث العربي في العراق لم يخل من صراع مع خلافيه، بل وبين أعضائه، وقد قال أحد مؤسسي الحزب في العراق: (لا أذكر أن حزب البعث أوقف هذه الاغتيالات أو حاول الوقوف في وجهها، بل يمكنك القول إننا في بعض المناطق والأحياء شجعناها ورعياناها من دون أن يكون تهمة دور مكشوف أو مباشر للحزب الذي أدان الاغتيال السياسي سابقًا(1)).

ومثال الصراعات السياسية في حزب البعث العراقي: تكاثف عبدالله الكريم قاسم وعبد السلام عارف بالانقلاب 14 تموز 1958(١٣٧٧-١٩٥٨) الذي نفذته مجموعة من القوميين والشيوعيين وكان حزب البعث علمه به فقد قال أحد أعضاء الحزب: (وقبل 14 تموز أبلغنا جعفر قاسم جمودي-عضو القيادة القطرية- أن أحداثاً عربية حاسمة ستحصل في القريب العاجل، طالباً وضع أجهزة الحزب ومؤيديه في حالة طوارئ.. وكانت قيادة البعث على علم دقيق وتفصيلي بالثوره وتنظيمات الضباط(2)).

ومن آثار هذا الانقلاب أن حزب البعث الذي نزل أفراده إلى الشارع بعد تموز(3)، كان أصبح، على ضعفه، التنظيم الحزبي الأقوى للحركة القومية في العراق.. وعين فؤاد الركابيـ أمين سر الحزب– وزيرًا للإعمار(4). وبعد

(1) أوكار المهديةsubmenuً في حزب البعث العراقي-هاني الفكيري-١٦٧.
(2) المصدر السابق نفسه-٨٥.
(3) انظر: العراق دراسة في علاقاته الخارجية وتطوراته الداخلية-عبده المجيد الغيسي-١٣٧١/١-١٠/٦.
(4) المصدر السابق نفسه-٨٧.
انفرد عبد الكريم قاسم بالسلطة قامت مجموعة من البعثيين في أكتوبر 1959 (1379 هـ) بمحاولة اغتيال قاسم. وخطط للعملية فؤاد الركيبي. وترفد حزب البعث مع بعض أنصاره في الانقلاب الدموي ضد عبد الكريم قاسم في 8 فبراير 1963، والذي أسفر عن تولية عبدالله السلام عارف رئاسة الجمهور، وتألفت حكومة برئاسة أحمد حسن البكر من بعثيين وقوميين عرب. أما المجلس الوطني لقيادة الثورة فقد كان أغلبه من البعثيين ... في غمرة الفوضى وتضارب المصالح البعثية قام عبدالله السلام عارف بحركة يوم 18 نوفمبر 1963 وخلص العراق من شالة المغامرين البعثيين. وفي 1966 قام عبد الرزاق النايف وعبد الرحمن الداوود بانقلاب جديد تعاونا فيه مع قيادة حزب البعث. وهكذا كان وما زال تاريخ حزب البعث وواقعه صراع .. انقلاب.

(1) لقد تم تسع محاولات اغتيال لعبد الكريم قاسم، وكانت الجهة المسؤولة عن ذلك حزب البعث.

انظر:
عبد الكريم قاسم وساعاته الأخيرة - أحمد فوزي 27-99- دار الحرية للطباعة- العراق- الطبعة الأولى-914 هـ.

العراق في عهد عبدالله الكريم قاسم دراسة في القرى السياسية والصراع الأيديولوجي (1958-1963)
محمد كاظم- 132- مكتبة البقعة العربية- العراق- بغداد.

(2) القومية بين النظرية والتطبيق - مصطفى محمد طحان- 201-217. وانظر: أوكر المزارة تجريبي في حزب البعث العراقي- هاني الفكيكي-317-213.
الفصل الثاني

أهم أسباب نشأة الجمعيات القومية العربية

تمهيد

المبحث الأول: الأسباب الأساسية في نشأة الجمعيات القومية

1. الجمعيات الماسونية في البلاد العثمانية
2. الدعوة إلى القومية التركية
3. تأمر الدول الغربية على الدولة العثمانية
4. الاستعمار العسكري
5. التنظيمات الجاهلية في الدولة العثمانية

المبحث الثاني: الأسباب الفرعية في نشأة الجمعيات القومية

1. دور البعثات العلمية في نشأة الجمعيات
2. دور كتب كتب بعض دعاة الفكر القومي
3. دور الصحافة في نشأة الجمعيات
4. دور نصارى العرب في نشأة الجمعيات
الفصل الثاني

أهم أسباب نشأة الجمعيات القومية العربية

تمهيد:

وبعد التعريف بنشأة الجمعيات القومية، وعرض المنهج القومي الذي سلكته في المجتمعات الإسلامية، نذكر في هذا الفصل أهم أسباب نشأة الجمعيات القومية.

من خلال تتبع المراجع التي تغطي الجمعيات القومية، ودراسة مناهج وتنظيم تلك الجمعيات، يظهر للمرء أن هذه الجمعيات القومية العربية لم تظهر في الأمة الإسلامية بدون سبب، وإنما يقطع الباحث في تاريخها، أن ظهور الجمعيات القومية العربية في واقع المجتمعات الإسلامية؛ كانت لأسباب وعوامل قد تكون أساسية أو فرعية خضع لها المجتمع العربي خلال فترة معينة، فكانت سبباً لنشأة هذه الجمعيات.

ويمكن حصر هذه الأسباب في قسمين:

القسم الأول: أسباب أساسية.

القسم الثاني: أسباب فرعية.
المبحث الأول

الأسباب الأساسية في نشأة الجمعيات القومية

السبب الأول: الجمعيات الماسونية في البلاد العثمانية.

قبل الحديث عن المحافل الماسونية ودورها في تأسيس الجمعيات القومية
سأورد تعريفًا موجزاً بالماسونية، والتي تعد من أخطر الجمعيات السرية، ثم أنقل
الحكم الشرعي في المحافل الماسونية والانتساب إليها وخطرها على الأمة.

أما التعريف بالماسونية فهي (Free Mason) أي البَناء الحر، وهي من
أقدم الجمعيات السرية التي مازالت قائمة حتى عصرنا الراهن، وكثر من
الكتابات تختلف في تاريخ نشأة الماسونية وذلك بسبب سريتها، ولأنا جميع
ذات فروع ومجالات وميادين متعددة ومتشعبة في مختلف العالم(1).

____________________

(1) عن تاريخ نشأة الماسونية انظر:
2 - الحقائق الأساسية في تاريخ الماسونية العملية -شاهين مكاريس-182-مطبعة المكتبة-مصر-1897.
3 - الماسونية عقيدة المولد وعمر النهاية -عميد الشاذلي-مكتبة وهرة-مصر.
ومقصد هذه الجمعيات المختلفة واحد وهو القضاء على الدين، وهذا كان هنا باستبط اليهود بالمعتقد الماسوني، ويشرح أعضاء المحافل الماسونية بانسجام الماسونية للهود، يقولون: (إن الماسونية يهودية، وهذا ما لا شك فيه).

ويقول الحاخام اليهودي إسحق وازيم عن الماسونية: إنها مؤسسة يهودية وليس تاريخها ودرجاتها وتعاليمها وكلمات السر فيها وشروطها إلا أفكارًا يهودية من البداية إلى النهاية.

ومن أبرز أهداف الماسونية القضاء على الدين ونشر الإلحاد، يقول شاهين مكاروسوس الماسوني: (هننا نؤكد أن الماسون يعتبرون الأديان كلها خرافية متساوية). كما تؤكد المحافل الماسونية أنها تتجاهل الفوارق الدينية والجنسية، وأن دينها العقل المحرر من شوائب الأديان — كـما يقولون —.

وقد قام زعماء الماسونية من اليهود عام 1987 (1411 هـ) بإعداد مخطط على أسس حديثة نظمته من أجل السيطرة على العالم عن طريق فرض عقيدة الإلحاد، وتحقق هذا المخطط الأهداف التالية:

1. تدمير جميع الحكومات الشرعية وتقويض الأديان السماوية.

2. تقسيم البشر إلى معسكرات متناجلة تتضارع فيما بينها بشكل دائم حول عدد من المشكلات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعنصري.

(3) دائرة المعارف الماسونية - 82.
3. بث سبب الشقائق والنزاع داخل البلد الواحد وتمزيقه إلى فئات متناحرة وانتشارة الحقد فيه، وتقويض دعامات الأخلاقية والدينية والمادية.

وقد نصت مضابط المحتل الماسوني الأخير عام 1897 (1414 هـ) لا يقبل المتدينون في المحافل الماسونية لأن الذي ينخرط في المحافل يجب أن يكون حرًا، والمارسون الحقيقي لا يكون متدينا، وعلى الماسونية أن تنفع مع أولئك الذين لا يدعون إلى الدين أمثال الاشتراكيين والديموقراطيين، ودعو حفظ الإنسان والجمعيات المتحررة الأخرى، وعلى أنها أن تشرك في المجالات الأخرى للعمل كالجامعات الشعبية والمدارس الساسية والمؤسسات الأخرى.

ولخطورة هذه البادئة على عقيدة المسلمين، فقد صدر القرار من الجمع الفقهى في مكة المكرمة حكماً شرعياً حول الماسونية والانتماء إليها، ونص القرار ما يلي:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدي بهم، أما بعد:

(1) اليهودية والماسونية-عبد الرحمن الدوسري-34075-27-دار السنة-الرياض- الطبعة الأولى-1414 هـ ونظر:

1. الماسونية والماسونين في الوطن العربي-حسن حماد.
2. الماسونية ذلك العالم المجهول-صابر طعمة.
3. الماسونية في العرب-محمد الرغني.
4. أسرار الماسونية-جواهر رفعت.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والسلف

نظر المجمع الفقهي في دورته الأولى المنعقدة بمكة المكرمة في 1/8/1398 هـ الموافق 15/7/1978م في قضية الماسونية والمستبين إليها، وحكم الشريعة الإسلامية في ذلك.

وقد قام أعضاء المجمع بدراسة وافية عن هذه المنظمة الخطيرة، وطالع ما كتب عنها من قلم وحيد، وما نشر من وثائقها نفسها فيما كتبه ونشره أعضاؤها وبعض أقطابها، ومن مؤلفات ومن مقالات، في المجلات التي تنطق باسمها.

وقد تبين للمجمع في صورة لا تقبل الريب من جموع ما أطلع عليه من كتابات ونصوص، ما يلي:

1- إن الماسونية منظمة سرية، تتخفي تنظيمها تارة، وتعلن تارة بحسب ظروف الزمان والمكان، ولكن مبادئها الحقيقية التي تقوم عليها هي سرية في جميع الأحوال، محجوب علمها حتى على أعضائها إلا خواص الخواص الذين يصلون بالتجارب العديدة إلى مراتب عليا فيها.

2- إنها تبني صلة أعضائها بعضهم ببعض في جميع بقاع الأرض على أساس ظاهر للتمويه على المغفلين، هو الإخاء الإنساني المزعوم بين جميع الداخلين في تنظيمها، دون تمييز بين مختلف العقائد والنحل والمناهب.

3- إنها تجذب الأشخاص إليها ممن يهمها ضمهم إلى تنظيمها بطرق الإغراء بالمنفعة الشخصية، على أساس أن كل أخ ماسوني مجدد عون كل أخ ماسوني آخر في أي بقعة من بقاع الأرض، يعينه في حاجاته وأهدافه
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والسلم.

ومشكلاته، ويؤدي في الأهداف إذا كان من ذوي الطموح السياسي ويعينه إذا وقع في مأزق من الآزق أيًا كان، على أساس معاونته في الحق والباطل ظالمًا أو ومظلماً، وإن كانت تستر ذلك ظاهريًا، بأنها تعني على الحق والباطل، وهذا أعظم إغراء تصادق به الناس من مختلف المراكز الاجتماعية.

ـ إن الدخول فيها يقوم على أساس احتفال بانتخاب عضو جديد تحت مراسم وأشكال رمزية إرهابية لإرهاب العضو إذا خالف تعاليمًا، والأوامر التي تصدر إليه بطريقة التشدد في الرتبة.

ـ إن الأعضاء المعفونين يتكرون أفرارًا في ممارسة عباداتهم الدينية، وتنسقون من توجيههم وتكييفهم في الحدود التي يصلحون لها، ويقونون في مراتب دينية، أما الملاحاة أو المستعدين للالتحاق فترتقى مراتبهم تدريجيًا في ضوء التجارب والامتحانات المتكررة للعضو، على حسب استعداده لخدمة مخططاً ومبادئها الخطيرة.

ـ إنها ذات أهداف سياسية، ولها في معظم الانقلابات السياسية والعسكرية والتغييرات الخطيرة ضعف وأصابع ظاهرة أو خفية.

ـ إنها في أصلها وأساس تنظيمها يهودية الجذور، وبهودية الإدارة العليا العالمية السرية، وصهيونية النشاط.

ـ إنها في أهدافها الحقيقية السرية ضد الأديان جمعًا تهددها بصورة عامة، وخدم الإسلام في نفس أبنائه بصورة خاصة.
9 - إذا تحرص على اختيار المتضمنين إليها من ذوي المكانة المالية أو السياسية أو الاجتماعية العلمية أو أية مكانة يمكن أن تستغل نفوذها لأصحابها في مجتمعنا، ولا يهمها انتساب من ليس له مكانة يمكن استغلالها، ولذلك تحرص كل الحرص على ضم الملوك والرؤساء والوزراء وكبار موظفي الدولة وناخواهم.

10 - إذا ذات فروع تأخذ أسماء أخرى تعويهاً وتحويلاً للأنظار، لكي تستطيع ممارسة نشاطاً تحت مختلف الأسماء إذا لقبت مقاومة لاسم الماسونية في محيط ما، وتلك الفروع المستورة - بأسماء مختلفة، من أبرزها منظمة الأسود (اللبوتز)، والروتاري - إلى غير ذلك من المبادئ والنشاطات الخبيثة، التي تتنافك كلًا مع قواعد الإسلام وتناقضه مناضفة كلية.

وقد تبين للمجمع بصورة واضحة العلاقة الوثيقة للماسونية باليهودية الصهيونية العالمية... لذلك ولل كثير من المعلومات الأخرى التفصيلية عن نشاطات الماسونية و خطورتها العظمى، وتلبسها الخبيثة، وأهدافها المكررة، يقرر المجتمع الفقهي اعتبار الماسونية من أخطر المنظمات الهدمية على الإسلام والمسلمين، وأن من ينتسب إليها وهو على علم بحقيقة أهدافها فهو كافر بالإسلام بجانب لأهله. والله ولي التوفيق.

ولقد سبق الحديث في الفصل الأول عن علاقة بعض أعضاء الجماعات القومية بالمحافل الماسونية، وبيان أسماء المحافل الماسونية في البلاد العربية. (1)

---

(1) جريدة أخبار العالم الإسلامي-تاريخ 1399/6/11
(2) انظر: ص (37) من الرسالة.
الجمعيات القومية العربية ومؤقتها من الإسلام والمسلمين

وفي هذا البحث سأبين أن المحافل الماسونية والتي أنشئت في البلاد العربية كانت من الأسباب الأساسية في نشأة الجمعيات القومية العربية، حيث شكلت المحافل أطرًا لتبادل الأفكار القومية التحررية من الدين ونشرها.

لقد أكد الباحثون في تاريخ الماسونية في الوطن العربي أن الماسونية قد وجدت طريقها إلى سوريا. واشترك فيها الكثير من أعضاء الجمعيات القومية، حيث رأوا أن انتسابهم إلى المحافل الماسونية فيه كل الخبر لقضيتهما (1) كما و أهمت المحافل الماسونية بشغف الدرجات الرفيعة في الجمعيات القومية العربية (2).

ويمكن حصر تأثير وإملاء الأسس الماسونية على نظم ومبادئ الجمعيات القومية العربية في القرن الرابع عشر، بما يلي:

أولاً تزعم بعض أعضاء الجمعيات القومية رئاسة وتأسيس محافل الماسونية:

سبق الإشارة في الفصل الأول من الباب الأول بيان بعض أسماء المحافل الماسونية في الوطن العربي، وقد تزعم بعض أعضاء الجمعيات القومية العربية رئاسة المحافل الماسونية، ومنهم:

1. عادل أرسلان — أحد أعضاء المنتمى الأدبي —(3) شارك في رئاسة المحافل الأكبر الوطني السوري اللبناني (4).

(1) الماسونية والماسونيون في الوطن العربي- حسين حماده-177.
(2) يقظة العرب-جورج أنطونيوس- 79-الطبعية الغير معرفية.
(3) انظر: ذكريات على هامش القضية العربية- أسعد داغر-126.
(4) الماسونية والماسونيون في الوطن العربي- حسين حماده-157.
الجمعيات القومية العربية وموفقها في الإسلام والمسليبن

2. فارس الخوري: من مؤسسي جمعية بيروت السرية(1)، فقد كان من أعضاء المخفل الاستقلادي، وهو من أقدم مخالف الماسونية في سوريا ولبنان(2).

3. إلياس حبالين: وقد شارك في مخالف الماسونية في سوريا(3).

4. عيدرالحم شههدار: من أعضاء المؤتمر الأول(4) وقد كان من أعضاء المخفل الاستقلادي في دمشق(5).

5. محمد جميل بيهيم: من المؤسسين للجمعيات القومية قد تولى رئاسة المخلف الماسوني في لبنان عام 1924(1).

6. سعيد الجزائري: الذي حصل على لقب القطب الأعظم(7) وكان من أبرز دعاة القومية العربية، فكان أول من نادي في دمشق بالثورة العربية(8).

وقد ضمت مخالف الماسونية بعض زعماء القوميين، مثل ذلك: نوري السعيد، توفيق السويدي، وأديب الشيشكلي(4).

---

1) انظر: نشوء القومية العربية-زين نور الدين- 106.
2) الماسونية ذلك العالم المجهول-عبد الحليم الماسوني- 54.
4) انظر الترجمة رقم (4). وانظر: مذكروات على هاشم القضيبية العربية- أسعد داغر- 126.
5) الماسونية والماسونيون في الوطن العربي- حسين حماده- 136.
8) جهاد نصف قرن الأمير سعيد آل عبد القادر الجزائري- أنور الرفاعي- 98.
9) انظر الترجمة رقم (3). وانظر: الماسونية والماسونيون في الوطن العربي- حسين حماده- 168.
ويؤكد من كتب عن رموز الحركة العربية الحديثة، أن أعضاء الجمعيات القومية العربية قد نظموا صفوفهم مستفيدين من الأنظمة الماسونية السرية، فأخذوا يأسسون الجمعيات السرية على غرار تلك الأنظمة مقتبسين بعض طقوسها للمحافظة على سريتها، حتى يمكن القول بحق كما قيل يومًا في فرنسا بأن تاريخ النهضة العربية هو تاريخ الجمعيات السرية التي أسسها متعصبون لقوميتهم دفاعًا عنها وردًا على تحدي دعاء القومية التركية.(1)

ويذكر الباحث (نهاة صفوت) أنه حصل على إحدى القوائم بأسماء الماسونيين في العراق، ووجد فيها أن المنتمنين للmasónica جميعهم من الطبقة البورجوازية والعليا في المجتمع العراقي، وبينهم 35 وزيراً ورئيس وزراء سابق على الأقل، وعدد من الشخصيات البارزة التي احتلت مراكز هامة في الدولة، وعدد من كبار ضباط الجيش.(2)

وقد قال السفير البريطاني جيرارد لاثر: (إن بعض نواب المعارضة وخاصة العب–رهم منهم، أدركوا أنهم أصبحوا مبتدئين عن مصادر السلطة وخارج تيار الأسرار السياسية والمؤثرات المحلية، فبدؤوا ينشئون لهم محاالف ماسونية خاصة بهم، أو ينضمون إلى المحافلة القائمة).(3)

وأما أكده الباحثون عن تاريخ تأسيس المحافل الماسونية أن الانضمام إلى المحافل الماسونية كان يخص الفئة التي تشترب أفكار الثورات الأوروبية فقط، وأما

(1) الشيخ طاهر الجزوري (رائد النهضة العلمية في بلاد الشام)- عدنان الخطيب-133-134.
(2) الماسونية في الوطن العربي- محلة صفوت-54.
(3) الماسونية والmasónicos en el mundo- حسين حماده-113.
الجيوسيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسيحي

العامة فيصف أحد أعضاء الجمعيات والمنتبس إلى المحافل الماسونية، موقفهم منها، فيقول: أما العامة فلا تسأل عما غرس في أذهانهم من الكره والاحترار لجماعة الماسون حتى أصبح اسمهم مرادفاً لأدنى صفات الاحترار عنهم، فكانوا إذا أرادوا المبالغة في وصف أحد الكفرة أو المنافقين لا يجدون أنسب من قولهم (فارماسون) 1، وهذا ما يجعل من يتسبب إلى هذه المحافل أن يكتسح أمره عن الناس.

وقال محمد كرد علي 2: (قل أن رأيت موطفاً كبيراً لم يدخل الماسونية.

ومعظم من أنضموا إلى حظيرها عندما كانوا من الطامعين في حمايتها) 3.

واستناد الفئة التي تشتركة الثقافة العلمانية في المحافل الماسونية قد ذكرها السلطان عبدالحميد في مذكراته، الذي كان على علم بالمحافل الماسونية وأهدافها في الدولة العثمانية، فقد قال في مذكراته عن المحافل الماسونية: (إنه يحاولون بحماس زائد نشر أفكار تجديدة لا يفهمها الناس، والذين يميلون إلى التعاون مع هؤلاء حفنة من الناس بقيت خارج البلاد رداً من الزمن فانقطعت عن جذورها، وتتفقت ثقافة أوربية سطحية براقة) 4.

2. انظر الترجمة رقم (13).
3. مذكرات محمد كرد علي-135-نقلة من كتاب الشاب طاهر الجزائري-عذان الخطيب.
4. مذكرات السياسي-السلطان عبدالحميد-73.
الجمعيات القومية العربية ووقوفها من الإسلام والمسلمين

ثانياً - تشابه في التنظيم والتأسيس:

وعن تأثير المحافل الماسونية في الجمعيات القومية العربية، ظهر التشابه البين في النظام والمبادئ وقد صرح أعضاء الجمعيات بأن للمحافظ المسونية دوراً بارزاً في نشأة الجمعيات القومية، كما قال فارس نمر: إن كثيرين من أحرار سورية التابعين يعترفون بالفضل في خدمة الحرية لرجال العشيرة الماسونية في سورية من مسلمين ومسيحيين. فنا طلم مسقرو البابا ويدلوا الرخيص والغالي لإعداد أبناء سورية لقبول المبادئ الحرة والنظمات الدستورية.

ويقلي شاهين مكاريوس - أحد أعضاء جمعية بروت السري: (في سنة 1888 (303هـ - 1913) ترأس الحلف الأكبر توفيق باشا (1) خديوي مصر، وأناش عنه حسين فخري باشا. وكان بين سعادة فخري باشا وبيننا مودة فكنا نزوره مرتاً في منزله وتلتقي منه التعليمات اللازمة وزور بصحبة المحافل الوطنية وغيرها، فرهبت تمته الماسونية وكثر عدد أعضائها وكان الخديوي توفيق باشا يود نجاح الماسونية ويشجعها في أعمالها ويهم في شؤون أعضائها وتزويجهم (2).

(1) مجلة المقتطف - الجزء الثالث - المجلد (32) - سنة 1910 - مقال: (النهضة الدستورية-فارس مهر)
(2) محمد توفيق باشا بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي، ولد عام 1692 هـ وتعلم في القاهرة، أكبر أبناء (إسماعيل) أول الخديوية بعد عزل والده عام 1996 هـ أنشئ نظام الشروى ومحاكم أهليه، في عصره نشبت الثورة العربية، توفى بالقاهرة عام 1939 هـ. انظر: الإعلام-الزراني-16/65.
فمن أوجه التشابه في النظام بين المحافل الماسونية والجمعيات القومية أن
طريقة الاتساب إلى الجمعيات القومية واحدة، ففي نظام الاتساب إلى
الجمعيات القومية يلاحظ تطبيق مبدأ السرية، وينص نظام الجمعية بأنه: إذا ما
أنس أحد الأعضاء في شخص عربي نزعة وطنية عربية نظر نزعتنا وجب عليه
أن يقدم تقريراً حتى إذا ما دُرس الدراسة الواجبة واستوثقت الجمعية من أهليته،
أصدر القرار بقبول اتسابه مبدئياً، ثم عُهد إلى شخَصين مُقدِّمين واحده
الأعضاء بدراسة كافة أحواله وملابساته وميّزه. وقُم بهذا كله دعي إلى تأدية
القسم أمامهما فقط، وهو لا يعرف من أعضاء الجمعية غيرهما.(1)

وفي تنظيم محافل الماسونية لا يترك أمر الدخول في عضوته وفقومياً ومن شاء
فقد كان لزاماً أن يمر العضو الماسوني بمجرد اختراقه في التنظيم الماسوني بمراحل
أو بأشكال تنظيمية لاختيار معدن العضو الجديد ومعرفة مدى كفاءته.(2)

ولقد أولت المحافل الماسونية عناية فائقة بتنقيف أعضائها، وقامت بنشر
أفكارها بين الأعضاء على أساس الإجابة والمساواة بين البشر من كل الطبقات
دون تمييز للمهنة والقومية والدين.(3)

هذه هي العقيدة الحقيقية للماسونية، وأما تأسيس الجمعيات القومية العربية
فهي قضية مرحلية لتطبيق أهداف الماسونية ولذا أوصت المحافل الماسونية أتباعها،

(1) جمعية العربية الفتاة السرية-سيلة الزرباوي-77.
(2) الآداب الماسونية-شاهين مكارويس وهو أحد أعضاء جمعية بيروت السرية. انظر: الماسونية ذلك
(3) الاجتماعات الاجتماعية والسياسية-الكورةوي-115.
يُقمو بتأسيس تلك الجماعات على أن لا تشم منها أي رائحة حقيقية
للدين (1). 

ومن أجل هذه التوصيات فقد ظهر في تأسيس الجماعات القومية أن
القوميين اتبعوا مبدأ تأسيس الجماعات على أسس ماسونية، فجمعية زهرة
الأداب - مثلًا - والتي تأسست في بيروت، يقول سليمان البستاني - أحد
مؤسساتها -: (فخض شبان البلد على اختلاف نزاعاتهم إلى إنشاء المندوبات
وتأليف الجمعيات العلمية والأدبية طلباً للإفادة والاستفادة. ولا أزال أذكر
ذلك اليوم الممّون إذ حدا بيننا هذا الحادي فألفنا جمعية زهرة الآداب في
بيروت، وتألفنا عصابة لم يكن فيها آثر لموقف بين مسلم ومسيحي، وسننا قانونًا
فجعلنا أول مواءد من التعرض للبحث في الدين والسياسة (2) وجمعية زهرة
الآداب تعد من المحافل الماسونية في البلاد العربية (3). 

ثالثاً - تبني أعضاء الجمعيات القومية المبادئ الماسونية:

إن كثيرًا من المبادئ التي دعت إليها الجمعيات القومية العربية تتفق مع
المبادئ الماسونية، وسوف أذكر ناجح من أوجه تأثير المبادئ الماسونية على
الجماعات القومية. فمن ذلك ما يلي:

(2) عبّرة وذكرى - سليمان البستاني - 50-طبعة الأزبكحال-أكتوبر-1908.
(3) السير المصون في شعبة الفرسون - لويس شيخر البسوي - 4/6/1443-وبلغ
عدد أعضائها 40 عضوًا.
الجمعيات القومية العربية وموقعها من الإسلام والمسلمين

196

أ- الدعوة للشعار الماسوني:
إن شعار الماسونية (حرية-عدالة-أخوة-مساواة) أصبح دارجًا على مبادئ وأنظمة الجمعيات القومية العربية(1)، يقول محمد عزة دروزة عن شعار الماسونية لقد أصبح شعارًا عامًا ترددته الأفواه وتوضع به الشعارات الحمراء والبيضاء على الصدور والحوانين والمؤسسات(3).

لقد أصبح الشعار الماسوني ضمن المبادئ القومية التي تنادي بها الجمعيات، فقد قال البارودي(7) في مذكراته: (المتطرفون من أبناء البلاد-العربية-مشوا مع أحرار الأتراك ينادون مثلهم، ويخطبون ويرشدون إلى تفسير (الحرية والمساواة والعدالة والأخوة) وجدت هذه الكلمات صدى في نفس الناس، وراح الاتحاديون-جمعية الاتحاد والترقي- ينادون بالإخاء، فيجمعون رجال الأديان المختلفة، ويطلبون منهم أن يتعانقو بعضهم مع بعض، ويخطبوا بعد العائدات تأييد هذا الإخاء... قام شبان الأتراك يخطبون باللغة التركية، وحريجو المدارس العالية من أبناءهم يخطبون باللغة العربية، ومنهم السادة: الإنجليزي(5)، والشهبند(6)، والخنوري(1). وكانوا يؤثرون على الجماهير بأقوالهم

(2) نشأة الحركة العربية الحديثة- محمد عزة دروزة-277.
(3) انظر الترجمة رقم (6).
(4) انظر الترجمة رقم (4).
(5) انظر: مذكرات عبد الرحمن الشهبندر-دار الإرشاد-بروت-الطبعة الأولى-1386هـ.
(6) انظر الترجمة رقم (6).
ويسترسلون في الحديث عن الحرية ومعانيها(1) وجميع من ذكرهم البارودي من أعضاء الجمعيات القومية.

وتفاصل أعضاء الجمعيات القومية مع هذه المبادئ الجديدة وفق المنهج الماسوني، فقد عالج أعضاء الجمعيات موضوع الحرية مثلاً، وكلهم مجمعون على أ🪄ضا الجلابة المشودة وعرفوها: أنه يباح للمرء عمل كل ما يريد شرط أن لا يؤدي غيره .. وكما سعت الثورة الفرنسية إلى حرية الرأي والعقيدة الدينية والطباعة والخطابة والانتخاَب، وحرية التصرف بالألمالك وتنظيم الجمعيات. فقد سعى أعضاء الجمعيات إلى هذه الحريات جميعها واعلموا قضية المساواة، وفهموها كما فهمتها الماسونية وأقرّما: أي: مساواة أمام قانون واحد يسري على جميع المواطنين، يمثلون كلهم أمامه لا فرق بين غني وفقر وأبناء مذهب ومذهب(2).

ب - الثناء على الثورة الفرنسية والتأثير منهجها الثوري:

إن أفكار الثورة الفرنسية ذات الفكر والمعتقد الماسوني(3) كان لها عظيم الأثر على الجمعيات القومية، وقد اعتبر أعضاء الجمعيات القومية من

(1) مذكرات البارودي-1/123.
(2) الفكر العربي الحديث وأثر الثورة الفرنسية في توجيهه السياسي والاجتماعي-RIEND الحوري-151 (نصت فسير).
(3) وقفل كثير من المؤرخين على العلاقة الوثيقة بين الماسونية وبين الثورة الفرنسية. وفي مقدمتهم المسير (فويلر) الذي نشر مذكراته التاريخية عام 1915، والذي أكد صراحة بأن الثورة الفرنسية كان ضبط أمتمها في أيدي الماسونية، وأفهم هم الذين دروا كل فصولها وعبروا كافة أدوارها. انظر: العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي-أنور الجندي-427-دار الكتاب اللبناني-بيروت-الطبعة الثانية-1983.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

أسباب الرقي وقالوا عنها: لولا الثورة الفرنسية لما ارتفى الإنسان وأصلح نوع الأحكام إلى ما هي عليه الآن، ليس في فرنسا وحدها، بل في أوروبا ككلها، بل في العالم قاطبة(1).

وأثناء انعقاد المؤتمر العربي الأول في باريس تحدث رئيس المؤتمر عبد الحميد الزهراوي عن موضوع (تربيتنا السياسية) مبينًا موقف الجمعيات القومية تجاه الأفكار الأوربية في مجال السياسة والاجتماع، وفما قاله الزهراوي: إنه حان للشرق أن يمشي في المسائل السياسية والاجتماعية مشية أخيه (الغرب)، والغرب اليوم مقيد بالشرق محمود أو نحن أن نقول يجب على الشرقي أن يحتاط فيما يريد أخذه من بدع الغرب فإننا لا نستطيع أن نتكر أن عدم اقتباس الشرقيين شيئاً من وسائل حرية الغربيين فيه من الخطر أضعاف أضعاف ما في الجمود على الحالات المعهودة فالاقتباس لا بد منه.

وبعد تقرير هذه التبعية للمبادئ الغربية قال الزهراوي: واجب علينا الشكر لأساتذتنا الذين لم يلغوا مكاناتهم في الاجتماع والسياسة بجانباً، ولهذا رأيت أن أعلن في مقدمته خطيبي أننا سنعرف بالجمل دائماً وأننا سنحتفظ لأوروبا ذكرى ما نقتبس من منها .. ولنا أوروبا ونريد أن نجيه كثيرون منا لتكبر عقولنا وهمنا برؤية آثار العقول والهضم، ولنا أوروبا ليزداد علمنا في حضارها وأساليب اجتماعها الراقي(2).

(1) الفكر العربي الحديث أثر الثورة الفرنسية في توجيه السياسى والاجتماعى-ريف الحورى-1972-دار المكتشفي-بيروت-لبنان-الطبعة الثانية 1973

(2) المؤتمر العربي الأول المنعقد في القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية في باريس -31.
الجمعيات القومية العربية وموقعها من الإسلام والمسلمين

كما قادت شبكة <الممثّلین> الناشطة في بيئة الكلمة العربية تأثيراً واسعًا على سائر نظم<br>المجالس، حيث شكلت جزءًا من جملة النظم السياسية، وقد حاولت فرنسا من تقديم <النزعات> نهجهم في فرنسا، وقد تلقتهم تقليدًا تامًا ورموزًا إلى ما نَصَمَّوه إليه من أهداف في الثورة الفرنسية الكبرى.

إن الدول الصليبية وثمة فرنسا أصبحت حامية ومشاركة للجمعيات القومية العربية، ولهذا كانت نشأة بعض الجمعيات القومية على أرض فرنسا في باريس (1) ولم يشترطا الجمعيات قد درسوا وخرجوا من جامعتها (2).

ولقد كان من نتائج انتساب أعضاء الجمعيات القومية العربية إلى المحاكم المسؤولة، أن تولدت كما يقول فليب هيكل: مبادئ القومية العربية الداخلية، واستمرت وحيها على الأغلب من النظريات السياسية الأمريكية، التي استمرت إلهامها من مبادئ الثورة الفرنسية، وكان ظهور متتاليات القومية العربية على يد رجال الفكر السورین، وغاليهم من اللبنانيين المسيحيين الذين تلقوا في المدارس الأمريكية في بلادهم.

(1) معروف الرصافي (دراسة أدبية لشاعر العراق وبيته السياسية والاجتماعية) - بدرى أحمد طباثة - القاهرة 1946.
(2) جمعية رابطة الوطن العربي، وجمعية العربية الفتاة، وحزب البعث. انظر: ص (50و171) من الرسالة.
(3) انتُشرت البعثات العلمية في تأسيس الجمعيات القومية العربية-ص (198) من الرسالة.
وبعد أن بين فيليب أثر انسداد أعضاء الجمعيات القومية إلى المحافل الماسونية قال فيليب: (وما لا ريب فيه أن القومية الحديثة إما هي بضاعة غربية استوردها العالم بما فيه الشرق العربي من أوربا الغربية). (1)

3- نشر المعتقدات العلمانية في واقع المسلمين:

من قرارات المؤتمر الماسوني، الذي عقدته المحافل الماسونية السورية اللبنانية في مدينة دمشق سنة 1924 وترأس القطب الأعظم صاحب الشوكة الأمير محمد سعيد الجزائري، ما يلي:

1- أن يكون التعليم علمانياً، مع المطالبة بتسلم الكليات التابعة لجامعة (ليون) إلى إدارة فرنسية غير مقيدة بواجبات مذهبية (كاتوليكية).

2- إزالة الطائفية في الوظائف الإدارية، وجعل الكفاءة أساس التوظيف (2).

ويذكر فؤاد الغصن (3) الماسوني في مذكراته عن هذا المؤتمر بأنه قد قامت مختلف الهيئات في سوريا ولبنان تدرس وتخطط في سبيل السير قدماً نحو التقدم والرفاه، وكان في طليعة هذه الهيئات البناؤون الأحرار - أو الماسونون إذا


(2) الماسونية والماسونون في الوطن العربي-حسن حماده-136-136(بتصرف).

(3) انظر الترجمة رقم (57).
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

شـتنت~ فعقدت ملافاتهم مؤتمراً تمهيدياً في سوريا العام 1924 أُنذرت فيه

مقررات لدرس الأمور التالية:

1. القانون الأساسي للبلد.
2. الحرية الشخصية في المسكن والقول والنشر.
3. التشريع الفردي وأنظمة القضاء، وضع القوانين.
4. مسائل التربية والتعليم (1).

ولنشر أفكار محافل الماسونية أصدروا عدداً من الصحف والمجلات في البلاد

العربية، مثل ذلك: جريدة الأحرار، فقد اتفقت جماعة البنّائيين الأحرار على

تأسيس جريدة كبرى تنتفخ بمساهمة وتعبر عن أمنياتهم بالاتحاد والتوازن في سبيل

دعم النهضة الجديدة، فكان أن استقر رأيهم على أن يؤسس لهذه الغاية شركة

مساهمة جريدة أطلقت عليها اسم (الأحرار)، وتولى جيران التوبيتي (2) الصحفى

ـ أحد أعضاء محافل الماسونية ~ إدارة الجريدة ورئاستها تحريرها، فكانت أورع

الجرائد انتشاراً إذ كانت تقرأ في كل مكان من البلاد العربية (3).

ومـن الصحف الماسونية في البلاد العربية، (مجلة اللطائف) وكان صدور

المجلة سنة ١٨٨٦(٣٠١ـهـ) أصدرها شاهين مكاريوس الماسوني وأحد أعضاء

جمعية بيروت السرية، وقد روجت المجلة لأفكار الماسونية، وتوقفت المجلة لوفاة

(1) مذكراتي خلال قرن-فؤاد غصن- ٢٤٠.
(2) انظر الترجمة رقم (١٣).
(3) مذكراتي خلال قرن-فؤاد غصن-١٤١ (بتصريف يسير).
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

شاحين مكاريوس سنة 1910 (1328 هـ) ثم استمر في النشر سنة 1915 (1333 هـ) على يد إسحاق بن شاهين مكاريوس(1).

ومن الصحف أيضاً مجلة (المقتنع) ومن مؤسسيها فارس غرر وكذلك صحيفة الهلال وجرير جيمي ميدان(2) الذي صور الماسونية بأنها حركة حرية وخير(3).

5- تمشيش الدين الإسلامي:

ومن المبادئ الماسونية التي تأثرت بها الجمعيات، تمشيش الدين وعدم الاهتمام به، حيث اعتبارت الماسونية الأديان كلها خرافه متساوية، قال كولفين: (إننا إذا سمحتا ليهود أو مسلم أو كاثوليك أو لبروتستانتي بالدخول في أحد هيكل الماسونية فإنما ذلك يتم على شروط أن الدخول يتجرد عن أضالله السابقة ويجرد خرافاته وأهوائه التي خدع بها في شبابه فيصير رجلاً جديداً فلو بقي على ما كان عليه لا يستفيد ألبه من محاذاتنا الماسونية(4).

ووهذا الموقف الماسوني من الدين تأثرت به الجمعيات القومية العربية، فقد أصبح مفهوم (الأخوة) عند رجال الحركة القومية العربية: هو كل من آمن بلاد العرب وطنًا له، وبالعربي إخوانًا له، دون اعتبار لديه أو مذهبه.

---

(1) الماسونية في منطقة 245-أبو إسلام أحمد عبدالله-44-444.
(2) انظر الترجمة رقم (4).
(4) السير المصون في شعبة الفروسمون-لويس شيخر اليسوعي-23.
وقررت الجمعيات القومية أن الحركة القومية الحديثة لم تقم على أي مبدأ عنصري أو تعصب أو ديني. ومنذ البداية قامت التشكيلات الحربية على اشتراك العرب المسلمين والمسيحيين(1). فكانت بمقتضى مناهجها قد قررت الجمعيات القومية أن يُترك كل إنسان معتقده، فلست على أحد مسيطر، والناس أحرار لهم أن يدينوا بما يشاؤون، ويتبعوا بما يريدون(2).

وقد ورد أعضاء الجمعيات القومية العربية، البعض الشديد للدين و القصيدة التالية التي قالها أحد أعضاء الجمعيات القومية والمؤثر بالمحافظ المسونية، تعبر عن ذلك:

الخير كأفضل الخير في
والشر كأس الخير ما
ما هم رجال الله فلما
هم من بين ظهوركم

فمن الدروس التي تعلمتها الجمعيات القومية العربية من المحافظ المسونية، أن تستحق جميع الملّ ولا يكفر بعضها البعض، لأن جميعهم يعبّدون إلهًا واحدًا ولا يقصد العبادة بمثابة الشامل فهذا غير حاصل، ويسكنون أرضًا واحدة، وبأكلون الطعام نفسه. وأن الفرق الأساسي بين المذهب ناشئ عن اختلاف

(1) الحركة العربية سيرة المرحلة الأولى للمنهضة العربية الحديثة- سليمان موسى- 63.
(2) حريدة المفيد برقم 1379 وتاريخ 1913/8/18 (نقا من كتاب العرب والترك- توفيق برو- 481.
(3) السر المصون في شيعة الفرسون- لويس شيخر- 24 والشاعر هو: إبراهيم اليازجي، وقيل إها لمكاريوس.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

في الإدراك، وتفاوت المشارب بإمكان التوافق بينها وجمعها على عتبة واحدة، فالأصل لازم والفرعوات ترك وحمل (1).

وإنطلاقاً من مبدأ إزالة التنافر من المجتمع يلزم تحقيق مبدأ: اتحاد عناصر المجتمع المؤلف من أجناس وأديان وعادات مختلفة (2).

رابعاً - التعاون مع الماسونية للقضاء على مفهوم الخلافة الشرعية في الإسلام:

لقد اتفقت المبادئ الماسونية مع مبادئ الجمعيات القومية في الفصل بين السلطة الدينية والسلطة المدنية، وقد قال أحد أعضاء الماسونية: الماسونيون هم الذين حرووا العالم من سلطان البابوية، وفرقوا بين السلطة الدينية والسلطة الدينية للبابا... وإن تركيا قد نالت دستورها بفضل محاورتها وحبا في سلانيك مدينة يهود الدوفة (3).

وهذا النهج الجاهلي كان من ضمن المبادئ التي اقتبستها الجمعيات القومية، من المحافل الماسونية، فقد أجمعت الجمعيات القومية على تأيد مطلب فصل الدين عن الدولة، وحصر نفوذ السلطات الروحية في نطاق خاص بما لا تعداه (4).

(2) نظرية العرب- أحد أعضاء الجمعيات القومية-58.
(3) جريدة السياسة الأسبوعية-11/12/11، كتابة/أعمر ميرهم.
(4) الفكر العربي الحديث وأثر الثورة الفرنسية في توجهه السياسي والاجتماعي- رفيق الجبوري 1956.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

ولتحقيق هذا المبدأ ناصر أعضاء الجمعيات القومية جمعية الاتحاد والترقي، وانتمسّب بعض الأعضاء فيها مثل رفيق العظم، وحقي العظم(1)، وعزير علي المصري، وسليمان البستاني(2)، وروشيد رضا، وسليم الجزائري(3). وهي جمعية أكثر أعضائها من الماسونين، وقدمت الماسونية الدولية كل المساعدات الممكنة لهذه الجمعية(4).

وانطلاقاً من مبدأ احتواء المحافل الماسونية للجمعيات المعارضة لحكم السلطان عبد الحميد، فقد دأب أعضاء الجمعيات على عقد اجتماعاتهم السرية في المحافل الماسونية، وفتحت السفارات الأجنبية أبوابها لكل مخطط عصبان على السلطان(5).

وهذا فقد كانت المحافل الماسونية وبناءً على توصيات محاصرها قد ضمت المحافل الماسونية القوميين العرب الذين يعيشون خارج حدود الدولة العثمانية — قبل إعلان الدستور —، مثل أمين أرسلان(6) وخليل غانم(7).

---

(1) انظر الترجمة رقم (27).
(2) انظر الترجمة رقم (42).
(3) نشأة الحركة العربية الحديثة- محمد عزة دروزة- (297). 
(4) انظر: أحمد نوري النجمي: آثر الأقليلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية باتجاه فلسطين- 132.
(5) موسوعة الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية- حسان علي حلاق- 288- جامعة بيروت- بيروت- 1398.
(6) انظر الترجمة رقم (7).
(7) انظر الترجمة رقم (23).
وكان خليل غانم يكتب في عدة صحف أوربية ذات نفوذ اتحادي وأجنبي وتقويل يهودي ضد السلطان عبدالخالق. ففي عام 1895 (1313 هـ) كتب مقالاً بالاشتراك مع أمين أرسلان في صحيفة (تركيا الفتاة) في سنواتها الأولى وعددها الأول عددًا في أهداف الجمعية وغاياتها في الحصول على حريات شخصية وحرية معتدلة. واستئصال الأرغاض والمعاناة الشخصية وتعديل الضرائب ومتساوية(1).

وعمومية الاتحاد والترقي أو (تركيا الفتاة) منذ إنشائها لم يظهر بين أدقادها وزعمائها عضو واحد من أصل تركي خالص، فأنور باشا -مثلا- هو ابن رجل بولندية، وكان جاويش من الطائفة اليهودية المعروفة بالدوامة، وقراضوه من اليهود الأسبان القاطنين في سلانيك(2). الخاخام الأكبر، وكان يسمى (ناعوم) القطب الأعظم لحفل سلانيك الماسوني(3)، وكان طلعت باشا بلغارياً من أصل غجري اعتنق الإسلام ظاهراً، أما أحمد رضا -أحد زعمائهم في تلك الفترة- فقد كان نصفه شركسيًا، والنصف الآخر بجرياً(4).

فاتفقت المبادئ الماسونية والمبادئ القومية العربية وتحالف أعضاء الجمعيات القومية مع جماعة الاتحاد والترقي لإسقاط السلطان عبدالخالق(5)، والقضاء على...

---

(1) موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية-حسان علي حلاق-288-289.
(2) المصدر السابق نفسه-300.
(3) الماسونية في العراة-محمد علي الرعي-220.
(4) موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية-حسان علي الخلاق-285.
(5) انظر: مذكراتي السياسية-السلطان عبدالخالق-73.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

مفهوم الخلافة الشرعية في الإسلام ثم إعلان الدستور (1)، وأخذ كثيرون من الشباب الطلبة - كما تقول مجلة هلال القومية - يشتركون مع الأتراك والعناصر الأخرى الحاكمة على حكم السلطان للإطاحة به (2)، ولم يتأخر بعض كبارهم عن الانتقال إلى جمعية الاتحاد والترقي، والظهور بлицه الداعين إلى التحرر (3).

وبعد تحقيق القضاء على الخلافة الشرعية والإطاحة بالسلطان عبد الحميد - كشف النطاق عن المحافظ والجمعيات الماسونية، كما قال أعضاء المحافل الماسونية: قد رأينا في أصقاعنا - الدولة العثمانية - فضاء الماسونية منذ أعلنة الدستور وما مر علينا بعض أشهر حتى ذهنا من ثور تلك الشجرة السيئة، فقام (ماسون) بلادنا وقعدوا لضبط أزمة السياسة وعلى الأقل لعقد الأحزاب السياسية وتغليب آرائهم الثورية بإلقاء الخطاب (4).

كما صرح أحد أعضاء جمعية الاتحاد عقب نجاح الانقلاب بالمساعدات التي حصلوا عليها، فقال: لقد كان للمساعدات المالية والمعنوية التي تلقيناها من الجمعية الماسونية الأثر الكبير في حركتنا، وجب ألا نستغرب ذلك لأننا

(1) انظر: الباب الثالث-الفصل الأول من الرسالة ص: (157).
(3) الشيخ طاهر الجزائري (رائد النهضة العلمية في بلاد الشام)- عدنان الخطيب-17-معهد البحوث والدراسات العربية-1971.
(4) السير المصون في شيعة الفرسون-لويس شيخو اليسوعي-34.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

ماسونيون أيضاً، وأورد أن أوجه شكري إلى الجمعية الماسونية الإيطالية التي أمدتنا بالعون العظيم نظراً لارتباطنا الوثيق بها

السبب الثاني: الدعوة إلى القومية التركية

يُعتبر القرن التاسع عشر المليادي عصر القوميات في القارة الأوروبية، فكانت عوامل التغيير والتبديل تنطلق من هذا الأساس الجاهلي، وتأثرت البلاد العثمانية بهذا الواقع، ونحو منتهى القرن التاسع عشر المليادي اجتاحت العصبية الجنسية حدود أوروبية وبلغت الأقطار الآسيوية وانتشرت فيها انتشاراً سريعاً فنشأت حركة (1) تركية الفتاة وعصر الفتاة (2) وحركات وطنية أخرى وما كاد يطلع القرن العشرون حتى بدأت صادات الأدلة وواقعات الحال تفيد أن العصبية الجنسية في آسيا.. قد اجتاحت فحشتها ودخلت في دورها الثاني أعني دور التناول العروقي وتألبها الجنسي، فنشأت جامعات جنسية عديدة (3).

وقبل ظهور المبدأ القومي عند الأثراك حيث بُدأ الوحدة الإسلامية هو الحاكم والفاصل ما كانت تُعرف كلمة "التركية" - في عرف رجال الدولة وكتاباً إلا مرادفة للعربية والبنداغية، فكانت لا تستعمل إلا للدلالة على السوقة والسندج من الناس.. واللغة الرسمية نفسها ما كانت تنسب إلى التركية بل كانت تنته بـ (العثمانية) فإذاً كانوا يقولون: (لساني عثماني). معيّة اللغة

(1) الأوضاع الثقافية في تركيا في القرن الرابع عشر الهجري- سهيل صبان- 167.
(2) جمعية الفتاة وهي التي تولت سلطة الحكم باسم جمعية الاتحاد والترقي.
(3) جمعية العربية الفتاة أنظر: الباب الأول- الباب الأول ص107.
(4) حاضر العالم الإسلامي- لوثروب ستارد- 27- 1832، دار الفكر- بيروت- الطبعة الرابعة 1394ه.
العثمانية و(صرف عثماني). بمعنى الصرف العثماني و(أدبيات عثمانية) ومعنى الآداب العثمانية.. ويشير من كل ما تقدم أن كل شيء في السلطة العثمانية كان ينعت تارة وطوراً بالإسلامية ولكنه ما كان ينسب إلى التركية أبداً(1).

وقد زار أحد المستشرقين القسطنطينية سنة 1856 (1272 هـ)، وذكر من ضمن ملحوظاته على الناس: أن كلمة (تركلك) - ترك - تُفهم وتُعد من مترادفات الظاظة والشكاسة والهمجية، فيقول: (لما كنت أقدم على تبنيه الناس إلى الخطورة العظمى التي يجب اعتبارها في شأن متحدر الجنس التركي، كانوا يجيبوني: [ولكن بالله عليكم لا تجعلنا في مصاف الكبير غير وجفاء التتر]. كدت لا أرى إلا أقل من القليل من الترك في القسطنطينية من يذهب مذهب الجد والاهتمام في شأن الجنسية التركية أو اللغة التركية)(2).

ولذا ظل الترك كما يصفهم - لوريوب ستوارز - حتى نصف القرن الذي خلا - التاسع عشر - يكادون لا يعرفون شيئاً من ماضيهم وتاريخهم وأصلهم ومنتمبهم ... وكانوا يشعرون خيالاً عن تصفح تاريخ بلادهم وصحف آبائهم وأجدادهم - ينطلق قومي جاهلي - إذ كانت تلاوة الكتب الدينية والسيرة النبوية والأحاديث عن مجمل ماضي الإسلام، أمرًا يلههم أكثر من تلاوة أبناء
انتشار الفتوح العثمانية في القارات الثلاث(3).

(2) حاضر العالم الإسلامي - لوروب - 111/4، 111/4.
(3) المصدر السابق نفسه - 49/4.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

إضافة إلى التأثير الأوروبي في الالتفاف على مبادئ قومية، فقد ظهرت مجموعة من الكتب، وفي أوقات متقاربة جداً دراسات أُوجدت عند (الأرثاك)
حوافز قومية أبدت الدعوة إلى القومية التركية، منها:

١- المؤرخ الفرنسي ج. دكيني: حيث وضع عام (١٧٥٦-١٤٤٩) كتاباً عن التاريخ العام للترك والمغول. وقد أصبح هذا الكتاب فيما بعد أحد أهم مصادر الفكر القومي التركي.

إن أهمية هذا الكتاب تكمن في كونه قد كشف عن الأسس التاريخية التي يمكن أن يقوم عليها المشروع القومي التركي.

٢- اليهودي الإنجليزي [دافيد لوملي]: وضع كتابه قواعد اللغة التركية، وهذا الكتاب أصبح واضحًا أن تتوفر تاريخ للترك ولغة يستدعيان بالضرورة الانتماء إلى أمة ووطن يشكلان القاعدة والهدف معاً لوحدة شعوب .. التتار والترك.

٣- ولتمثيل الشعور التركي وبلورة هوية الأمة وتأكيد خصوصيتها الثقافية والانتماء للوطن، بدأ المؤرخ [بونسن] عام (١٨٥٤) بالكتابة عن اللغة الطورانية التي اعتبرها تختلف عن اللغات السامية وهي غير أوربية أو هندية، بل لغة آسية الوسطى.. هياَت تلك المقدمات الباحثين الغربيين لاستخدام مصطلح الطورانية على نطاق واسع.

٤- اليهودي المجري [أرمنيوس فاميري]: فقد تنكر بلباس درويش تركي وطاف في أرجاء آسية الوسطى وخرج من رحلته هذه بكتاب (رحلة درويش
شُاب في آسيا الوسطى) أرسي من خلاله، ويعتقد نظريته الخاصية القائلة:

بضرورة قيام اتحاد قومي تركي، أطلق عليه (بان تور كيزم) وقد تبناه الإنكليز.

5 - المسيحيون كوهينين الفرنسي: وضع كتابًا تاريخيًا عن آسيا الأتراك في
منغولية، وأصبهن منذ عام 1405 (808هـ)، وقد صدر الكتاب سنة 1896
(413هـ)، وقد أفادت المسيا كوهينين في وصف المزايا العسكرية(1).

و عرى (لوثروب) أن لأرمينيون وكوهين يرجع إليها كبير الفضل في
كشف الحقائق المؤيدة لوحدة الأرمنية الأخرى الشرقية، وكان لأعمال هذين العالمين
القطبين أكبر دوي في أثري العالم، فطفت كتاب أرمينيون وزملائه تنتشر في
كل مبقة من بقاع العالم الملكي الجديد انتشارًا سريعاً، فأقبلت عليها العقول
الطورية المستعدة الاستعداد العجيب للأخذ منها والتقاسم منها(2).

وعن تأثير هذه الدراسات العربية على منظوري (جمعية تركيا الفتاة)، يقول
ساطع الخصري: (إن المؤلفات القومية العربية تلك كانت تركز دوماً على
الترك قبل الإسلام، فقد وجد بعض الكتاب في تلك المؤلفات مباحث عديدة
تثير على أن الأتراك كانوا متقدمين في الحضارة تقدماً بيناً قبل ظهور الإسلام
أيضاً، ولذلك صاروا يقتبسون منها ما يتعلق بتاريخ الأتراك السابق للإسلام
والمستقبل عن الإسلام(3).

(1) الدولة العثمانية قراءة جديدة لمواد الأخطاء - فيس جراد العزاوي - 127 (تضيهم بسير) - مركز
دراسات الإسلام والعالم - تابع - الولايات المتحدة الأمريكية - الطبعة الأولى 1414هـ.

(2) حضر المعلم الإسلامي - لوثروب - 111/4.

(3) محاضرات في نشو الفكرة القومية - ساطع الخصري - 103.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

فكان من الآثار الفكرية لهذه الدراسات الغربية، أن أول من تبنى هذه الأفكار القومية عمالان من علماء الترك وهما: أحمد وفيق باشا(1) وسليمان حسن باشا، ففي سنة 1876(1293 هـ) نشر أحمد وفيق باشا قاموسه (لمحة عثماني) وأثبت فيه أن اللهجة العثمانية فرع من اللغة التركية العامة. وأخرج سليمان باشا في تلك الفترة كتابه (صرف تركي) وحرص على وصف كتابه بكلمة الترك بدلاً من كلمة العثماني.

وكان سليمان باشا ناظراً - وزيراً - على المدارس العسكرية فقرر كتابه على هذه المدارس، وهكذا بدأ ضباط المستقبلي يدرسون مبادئ القومية التركية جنباً إلى جنب مع دراستهم العسكرية الفنية.

كما قام نجيب عاصم(2) بترجمة كتاب (ليون كوهين) عن تاريخ آسيا الوسطى، الأجزاء الخاصة بتاريخ الترك من هذا الكتاب، فقد بدأ الترك بعد هذه الترجمة يعملون القومية التركية في الكتب وفي الصحف، وكانت أولى هذه

---

(1) أحمد وفيق باشا: (1238-1289 هـ-1823-1879 هـ) كاتب ورحل الدولة العثمانية. درس ثانويس (سن لوي) في باريس. مناسبة وجود أبيه سفيراً للدولة العثمانية في باريس. وقد عين في مكتب الترجمة بعد تخرجه. ثم أصبح سفيراً للدولة في (طهران) وارتفع في السلك الوظيفي إلى أن أصبح صدرًا أعظم (1876-1880 هـ) يعتبر من أواكث دعاة الثقافة الغربية والقومية التركية في الدولة العثمانية. انظر: (قاموس المؤلفين-14-إحسان إشقت).

(2) نجيب عاصم: (1271-1350 هـ-1854-1931 هـ) كاتب لغوي خريج المدرسة الحربية في استنبول. درس بعد المشروطة مادة اللغة التركية والفرنسية في دار الفنون. ثم رشح عن ولاية (أريزوم) نائباً في البرلمان (1244-1272 هـ). بعد من أواكث المدافعين عن القومية التركية، وعرف بكتاباته ومقالاته الكثيرة. انظر: (قاموس المؤلفين-32-إحسان إشقت).
الصحف هي صحيفة (إقليم)، فقد تحوّلت على يد صاحبها أحمد جودت إلى أداة لنشر هذه القومية (1).

ومن تصريحاتي الكتب العالم التركي (ضياء كوك ألب)، فقد قرر في كتابه (تور كوكيلك أساسي) أن القومية التركية - أن كتاب كوفين كان أول كتاب تأثر به عند وصوله إلى استنبول قادماً من سالونيك (2) - وقد قرأ الدكتور ناظم المركزي المسؤول لجمعية الاتحاد - الكتاب المذكور - فكان كالجذوة أصابته هشيماً بإحساسه لأنه أوجد في نفسه نار الحماسة والحمية. وما أن الجمعية الفرنساوية قررت وقعتها بالعناية فقد حل عند الأتحاديين مكاناً رفيعاً فنقلت إلى التركية عبارات بالغوا فيها ما استطاعوا (3).

ومن تصريحاتي (كوفين)، الدكتور رضا نور، فقد نقل عنه كثيراً في كتابه (تاريخ الترك) الذي أراد أن يلقي به الأجيال القادمة أصول العقيدة التركية (4).

(1) التباثات القومية والدينية في تركيا المعاصرة - أحمد السعدي سليمان - 42 - دار المعرفة - القاهرة.
(2) أسس القومية التركية - ضياء كوك - 10 - استنبول - وزارة التعليم الوطنى - 190 - إعداد محمد قاسبان (باللغة التركية)، وذكر في نفس الصفحة: أن يجيب عاصم ترجم له الأقسام إلى اللغة التركية. وكان أحمد جودت يجل جريدة الأقدام عضواً حياً لنشر القومية التركية، فكان أمر الله أفندي - ولد شلي أفندي - يجيب عاصم بلوم من أوائل دعاء القومية التركية.
(3) المدار- رشيد رضا- المجلد 19 - الجزء 8- 45 - تاريخ 12/17/1917
(4) التباثات القومية والدينية في تركيا المعاصرة - أحمد السعدي سليمان - 24
الجموعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

القضية المعنية في حديثنا، هي أن هذه النزعة القومية التركية قد كانت
من أسباب نشأة الجمعيات القومية، حيث يرى أعضاء الجمعيات القومية، أن
الأمة العثمانية صارت كلها كتلة واحدة مع الاتحاديين- جمعية الاتحاد
والترقي- لما أظهروا أفهم معها. ولكن لما انفردوا عنها فارقهم وعادت إلى
الانقسام على نفسها. انفصل الاتحاديون عن الأمة وصاروا في شق وهي في
شقتان آخر، منذ تظاهرت بالنيرة القومية وأعلنوا ما كانوا يضرونهم من
الاستماساك. بدأ سيادة الترك لسائر العناصر العثمانية، فبهموا بذلك العصب
الحساس في العثمانيين كافة، فاتبعت قلوبهم عنهم وعادت روح القومية إلى
صدرهم. (1)

وعلى نداء الطورانية وترتيب تركيا ردت العناصر الأخرى ببدائل مماثلة،
وهي شعوب البلقان تسعى إلى التحرر والاستقلال، ثم تبعها الأرمن والعرب
والألبان. غير أن جماعة تركيا الفتاة سرعان ما تناسبوا الدوافع الدستورية
وراحوا ينعمون تلك الثورات. وأصاب العرب من هذا القمع أشدًا، لأهم
كلوا يشكلون أكبر أقلية في حجم الدولة العثمانية، ولكنهم لم يستسلموا، بل
لجروا إلى العمل السري، وأسسوا الجمعيات القومية في الداخل والخارج (2).

ويؤكد أن الدعوة إلى التركية، كانت من أسباب نشأة الجمعيات القومية،
قليل أحد مؤسسي الجمعيات القومية بعد إسقاط السلطان عبد الحميد وإعلان

(1) ثورة العرب - أحد أعضاء الجمعيات القومية العربية- الفصل الثاني.
(2) أعمدة الحكم السبعة- لورانس- 15-1916.
الدستور: (1) لفئة قوية من رجال الاتحاد والترقي أن يعلنوا بالعنصر التركي، وأن يركزاً الدولة فيه ويعملوا بقية العناصر بالطريقة التي تبعها فرنسا في الجزائر، وأسسوا لذلك الأندية التركية والجمعيات التركية (تورك بوردي). واحترعوا الشعر القومي الذي يحيي مأثر حنكيز وتيمور، وصاروا ينتصرون لتيمور لنك على السلطان بايزيد (1) ويدعون إلى الطورانية، ونظروا إلى العربية بعين العداء والارتباط.

فكان لذلك رد فعل مباشر من دعاة القومية العربية في المدارس العليا بالآستانة نفسها، وتأسس (المنتدى الأدبي) ثم تأسس من وراءه (الجمعية القحطانية) (2) (حرب العهد)، وكلاهما من ضباط الجيش، وتأسست في بيروت (العربية الفتاة) (3).

وقد رافق الدعوة إلى القومية التركية، تطبيق البلاد العربية بالحركة القومية التركية، فمن ذلك: أصبحت اللغة الرسمية في كل الولايات العثمانية هي اللغة التركية، وأصبحت معاهج التعليم تركية فقط. كما كان هذا الترتيق يعني مركزية في الحكم.

---

(1) السلطان بايزيد الأكبر للسلطان محمد الفاتح، ولد عام 1451، وتسلم مقاليد السلطة بعد وفاته وله غام عام 1468، وفي عصره ابتدا فتح علاقات مع الدول الأوروبية، وتناول في السلطة لابنه سليم عام 1498 وتوه في ذلك بعشرين يوماً في مدينة دوميرقا عن 27 سنة ونة حكمه 33 سنة. انظر: (تاريخ الدولة العثمانية- محمد فردين 139-178).
(3) الدولة العثمانية والشرق العربي- محمد أنيس-178.
ولقد أخذت صدر عن بعض رجالات الجمعية تصريحات وأقوال عجيبة في حق العنصر التركي في التماس على غيره في الدولة. من ذلك مثال كتب في جريدة (طين) بعد شهر قليل من إعلان الدستور: إن الأمة التركية كانت ومستظل هي الأمة الحاكمة، وأن لها الحق في التمتع بحقوق وامتيازات أكسبها إياها حق الفتح. وإنها ليس من إمكان ولا محل للاعتراف بحقوق مساوية في الدولة للعناصر الأخرى.

ولتحقيق مبدأ ترتيب الدولة العثمانية، فقد أنشئت جماعات قومية تركية، تسعى لتحقيق هذا الأمر، مما جعل ذلك مبرراً للعربية في إنشاء جماعات تتبين قوميتهم العربية. وقد أصدرت الحكومة التركية قانوناً حظرت به تسمية المنظمات والأندية بأسماء قومية، وأخذت تتتشذب في هذا الحظر بالنسبة للمنظمات التي ينشئها العرب، في حين تعاونت عما قام من منظمات ومنشآت قومية تركية كانت وظلت تحتفظ بالتسميات التركية وتنهج هجماً تركياً عنصرية.

و백استعراض لأسماء بعض الجمعيات التركية، وتاريخ نشأتها وجد النشابة بينها وبين الجمعيات القومية، فمن ذلك:

أولاً: جمعية تركيا الفتاة:

في سنة 1889 (106/1906) شكل جماعة من طلبة المدرسة الطبية العسكرية الإمبراطورية في استنبول منظمة ثورية هدفها الواضح عزل عبدالحميد الثاني.

(1) نشأة المركبة العربية الحديثة. ممّم غزعرة دروزة - 301-302.

والدعيد مهدد هدف مهدي مؤسس الجمعية إبراهيم تيموك الذي بحث ثلاثة
من زميلاته الطلاب الذين كان يعرف آراءهم، وهم أسعد سكوت، وشركه
محمد رشيد، وعبدالله جودت، واقترح عليهم أن يشكلوا جماعة وطنية سريّة
(1). وقد باشرت أعمالها منذ عام 1891 (1308 هـ) في جينيف أولا ثم
نقلوها إلى باريس، وكانوا يعملون على نشر دعوهم سراً (2).

وسكنت الجمعية بعد أن كشف أمرها، وأصبح عدد من الطلبة القادمين
الذين صاروا موضع شبهة، وجدوا من الخير لهم الآن أن يغادروا البلاد. وفي
سنة 1894 (1311 هـ) - 1895 (1312 هـ)، أخذ هؤلاء الأعضاء يهربون
باستمرار إلى أوربة، حيث تركز معظمهم في باريس. وقد ذهب القادرون على
السفر لغرضين، أحدهما: الهروب من انتقام السلطان، والثاني لإكمال
دراساتهم. وفي باريس وجد المتأمرون الشبان أن جماعة صغيرة من الأحرار
الأتراك قد اجتمعت بالفعل، ومنها خليل غام، وهو مسيحي من بوروت (3).

وجمعية تركيا الفتاة لم تخرج عن التنظيم الديموقراطي كغيرها من الجمعيات
التركية والعربية، فقد كانت على طراز جمعية (الكاربوناري) (4) لإيطالية ال

---

(1) تركية الفتاة وثورة 1908-1909-أرمستر-أراموز-111.
(2) موقف الدولة العثمانية من الصهيونية-حينس علي حلاق-287-287. انظر: تاريخ الدولة العالية-محم
فريد-141.
(3) تركية الفتاة وثورة 1908-1909-أرمستر-أراموز-111.
(4) جمعية الكاربوناري: جمعية سياسية سرية إيطالية يكتسب الغموض أصولها وبرناجها السياسي
نفسه. وواقع أن (بافلو) جمعية الكاربوناري الأولى ظهرت عند مطلع القرن التاسع عشر في
إيطاليا الجنوبية. وكانت من المفاهيم الماسونية من حيث رمزها وهيكلهما الماسوني. وعلى الجملة،
فقد نادي أعضاء هذه الجمعية فيحتجون بإيطالية من الحكم الأجنبي ودعوا إلى إقامة الحكم المستوري
فيها، من غير أن يكون لهم برنامج سياسي موحد. ولعب "مشروع الفتح" دوراً بارزاً في التمديد
لولادة الإيطالية. انظر: (الموسوعة العربية-ميتز البوليسي).
تتشكل في القسم الأول من القرن التاسع عشر، ففي العطلة الصيفية السنة السابقة لتشكيل الجمعية توقف إبراهيم تيمو في (برنديز) لما كان في طريقه إلى بلاده ألبانية، وزار خلال إقامته في (برنديز) ونابولي محفلاً ماسونياً برقة أحد أصدقائه، وتعلم شيئاً كافياً عن دور الكاربوناري في التاريخ الإيطالي. وقد تأثر بتنظيمها فيما بعد لما قرر أن ينشئ في تركية جمعية سرية تشبهها.

إن هذه الجمعية الأولى لتركية الفتاة... كان أثر الكاربوناري فيها واضحًا
من حيث أن المفروض في أعضائها أن يعرف بعضهم بعضاً بأرقام كسرية، وتتكون هذه الأرقام الكسرية من ترميز كل خليلاً جديدة في المنظمة، ثم بإعطاء رقم لكل عضو في تلك الجماعة، فكان رقم الخليلا أو الفرع هو المقام ورقم العضو البسط، وتوضيح ذلك نقول: إن العضو الخامس في الخليلا السابقة في قائمة الجمعية برقم (5/7) وكان رقم إبراهيم تيمو منشئ الحركة (1/1)1.

وقد كان لليهود تأثير في جمعية تركية الفتاة، فنسب روسي ونسبي مازلياح كانا من العناصر المؤسسة والفعالة فيها2. فكانت خليطاً من أجناس وأديان مختلفة، وكانت الكثرة الغالبة فيها من الأثراك ويلهم اليهود، واجذب إليهم بعض الرعايا العثمانيين من الأجناس الأخرى3.

1) تركية الفتاة وثورة 1908-1909 أرشنت أ.راموزر-500.
2) موقف الدولة العثمانية من الصهيونية- حسن علي حلاق-300.
3) يقظة العرب- جورج أنطونيوس-176.
لقد صرحت جمعية تركية الفتاة عنهمها من خلال نشرة (مشرور)
- وهي لسان حال تركية الفتاة - صدرت بتاريخ 3/ ديسمبر / 1895 (1312 هـ) - وبيت أهداف الجمعية وقدمتها إلى قراءها، (منها):

1- إننا نطالب بالإصلاحات، ولا نقصرها على هذه الولاية أو تلك، بل نطلبها للإمبراطورية كافة، لا لمصلحة قومية واحدة، بل لمصلحة العثمانيين كافة سواء كانوا يهوداً أو نصارى أو مسلمين.

2- لقد تأكدنا بأنفسنا من تعاون شخصيات معينة، رغمها القومية هي من ترى عودة الروابط السابقة من الانسجام والصداقة الطيبة مع العثمانيين.

3- إننا نعارض إحداث التدخل المباشر للدول الغربية محل السلطة العثمانية، وهذا ليس ناجماً عن التعصيب لأن المسألة الدينية عندنا أمر خاص، ولكنه منبعث من العاطفة المشروعة للكرامة المدنية والقومية (1).

وبعد هذا العرض الموجز عن جمعية تركية الفتاة، فقد سلكت الجمعيات القومية العربية، منهج جمعية تركية الفتاة، فتأسست جمعية في تونس سميت (تونس الفتاة) أنشئت بنفس تاريخ إعلان الدستور سنة 1908 وأنشئت جريدة (التوضي) بالفرنسية ناطقة لها، ودعت إلى إيجاد دولة تونسية عصرية متحركة، ولسو أقتضى ذلك دوام الاحتلال الفرنسي، شريطة أن يطرد البلاد (2)، ونظم

(1) تركية الفتاة وثورة 1908-فرنست أ.راموز-56.
الشبان ذو الثقافيّة الفرنسية أنفسهم في عام 1912 في جمعية الجزائر الفتاة، ودعوهم إلى الاندماج في المجموعة الفرنسية، على أساس المساواة. وأنشئت جمعية (العربية الفتاة). تأثرت بتركية الفتاة، ومن ثم (الفتاة) على بعض الجمعيات ظهر عند الأثرياء ثم عند العرب، وهذا ما يقوي اعتقاد بأنها سلسلة متعلقة بالثورات العربية، فقد ظهرت جمعية في إيطاليا عام 1832، باسم (إيطاليا الفتاة) وكانت هذه الجمعية لا تضم إلا رجالًا منهم دون الأربعين عامًا، وكانت جمعية سرية عملها ثوريًا وفي الوقت نفسه تربويًا.

ثانيًا: جمعية تركي درنكي (المتدي التركي):

وكان تأسيسه في ديسمبر 1908 في الأستانة، وهو أول ناد تركي أسس لغاية أدبية وعلمية، كي يكون في خدمة القومية التركية. وكان من مؤسسيه بعض من عرفوا بشدة تعصبهم للقومية التركية، أو الرابطة الطرانية: مثل زعيمه يوسف آقجور، وأحمد فريد بك. وكانت البحوث التي انصرف أعضاء هذا الخلل إلى دراستها هي كل ما يتعلق بالشعب التركي، من تاريخ ولغة وخصائص عرقية وحضارة وأدب، وحياة اجتماعية، وasticsearch تركيا القديمة، والعمل على إعادة الطابع الأصلي القدامى لغة التركية. وهذا المنتدي مقابل للمنتدى الأدبي العربي.

(1) العرب والعثمانيون-عبد الكريم رافق-472.
(2) تركية الفتاة وثورة 1908-أ.رامزور-33-من مقدم الكتاب نقولا زيادة.
(4) العرب والترك-توفيق برو-270.
ثالثًا: جمعية ترك يوروني جمعيّة (جمعية الوطن التركي):

 أسسها الترك في عام 1911، وكانت غاية الجمعية أداة اجتماعية قومية تشبع غاية المنتميّين الأدبي العربي (1). وهذه الجمعية التركية مقابل جمعية رابطة الوطن العربي.

السبب الثالث: تآمر الدول الغربية على الدولة العثمانية:

لقد أخبر رينا في كتابه عن تآمر أهل الأكیر على أهل الإسلام، فقد قال:

"وقد طأفت يكون من أهل الإسلام لو يبلشون، وسما بفضلهم، إلا أنفسهم وهم يشعرون" (2) وقال تعالى: "لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة ووالتيكم هم المعتدوري" (3).

هذا الختام الذي حدث على الأمة في القرن الرابع عشر الهجري، كان سبباً في نشأة الجمعيات القومية العربية، فقد بنت الدول الاستعمارية مقاصدها، وسعت هدف غلبة المبادئ القومية على التزعة الدينية، وغلبة الاعتقاد الوطني على المعتقدات الدينية، وأن تجل المثل العليا السياسية مكان الوعي والإلهام، وتستبدل سوريا (الطبيعية) مثلها الأعلى الدين، مثلها الأعلى الوطني؟ (4).

ويعتبر لورانس العقل المدبر في تسير ثورة فیصل بن الحسين، وقد ذكر كـ3 وتأمر الدول الاستعمارية على الأمّة الإسلامية، وحرصهم على تأسيس

(1) المصدر السابق- 273.
(2) سورة آل عمران- رقم الآية (96).
(3) سورة التوبة- رقم الآية (10).
(4) الثورة العربية- لورانس- 12.
الجمعيات القومية العربية ووقعها من الإسلام والمسلمين

الجمعيات القومية العربية، فقد قال لورانس: (كنت أؤمن بالحركة العربية إيماناً عميقاً، وكنت واقعاً قبل أن أحضر إلى الحجاز أنا هى الفكرة التي ستمرِ تركيًا شذر مذر).

كما اعتبر منظور السياسي البريطاني الجمعيات القومية حلفاء وأصدقاء لهم، حيث يقول: "إنا نعد الجمعيات والأحزاب العربية حلفاء لنا وأصدقاء. ونوليها ما تستحقه من الاحترام والتقدير.

وهذا التآمر الاستعماري على الأمة الإسلامية وتمزيقها قد جاء بأساليب متنوعة. ومن هذه الأساليب السعي من أجل إنشاء جمعيات قومية، فقد ورد في خطاب وزير المستعمرات (أرمستريغ غور) إلى رئيس الوزراء البريطاني (نيفيل تشمسيلن) بتاريخ 9/1938/8/11/1956 (1938-8-11). إن الحرب علمنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي ينبغي على الإمبراطورية أن تخده وتجاهله، وليس الإمبراطورية البريطانية وحدها بل فرنسا أيضاً. إن سياستنا تهدف أبداً إلى منع الوحدة الإسلامية والتضامن الإسلامي، وينبغي أن تكون كذلك، ففي السودان ونيجيريا كما هو الحال في مصر ودول إسلامية أخرى، شجعنا وبصواب نحو القوميات المحلية لكونها أقل خطراً من الوحدة والتضامن الإسلامي.

---

(1) أعمدة الحكم السبعة-لورانس-5 ولورانس يعتبر أحد رجال المخابرات الإنكليزية.
(2) أسرار الثورة العربية الكبرى وتأسيس الشريف حسين-أمين سعيد-244.
(3) بريطانيا والخلافة الإسلامية-وثيقة قانونية إسلامية-عبدالوهاب أحمد-مجلة الإمارات-العين.
1980.
ولتحقيق نشر القوميات أنشؤوا الجمعيات التي تدعو إلى القوميات، وكان السلطان عبدالحميد قد بين جهود ما تبذله الدول الاستعمارية في تأسيس الجمعيات القومية في البلاد العربية، والإنجليز بصفة خاصة، فقد قال في مذكراته عن الإنجليز: (استطاعوا بدعاؤهم المسموحة أن يثوا بذور القومية والعصبية) وقد تحرك القوميون في الجزيرة العربية وفي ألبانيا، وقد ظهرت في سوريا بوادر تحرك مماثل. وأن هؤلاء المستعمرين بذلوا جهودًا كبيرة في الدعاية للإقليمية في البلاد الإسلامية بغير إضعاف هويتهم، وقد لقيت هذه الدعاية قدرًا كبيرًا من الرواج).

ويمكن حصر وسائل الدول الاستعمارية في إنشاء الجمعيات القومية، بالأمور التالية:

١. القنصليات والسفارات للدول المستعمرة:

من منطقة مسار النزاعات الصناعي الذي تشهده الدول والأوروبية، وبغية تنظيم شؤون الدولة على غرار الدول الغربية وتقريب العالم الإسلامي من العالم الغربي الذي عاش بعيدًا عنه)، فقد خضعت الدولة العثمانية لعدة مراحل إصلاحية، أعطت الدول الاستعمارية فرصة التدخل في شؤونها، ومنحوا

١) مذكراتي السياسية- السلطان عبدالحميد-177.
٢) الأوضاع الاقتصادية في تركيا في القرن الرابع عشر الهجري- سهيل صبان-3.
٣) انظر: ١- البلاد العربية والدولة العثمانية- ساطع الخضري-150.
٣- مجلة الهلال- الجزء الثاني- السنة السابعة عشرة- 1326/1327- ص 89- القانون الأساسي.
٣- سوريا والعهد العثماني- يوسف الحكيم-192.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

امتيازات أصبحت حقوقاً شرعية لا يمكن التراجع عنها، بل إذا تعدت ذلك إلى أن أصبحت تطال فئات اجتماعية واسعة كانت تعتبر أصلاً من رعايا السلطان فاعتبرت فرنساً ممثلًا أن لها حق حماية الكاثوليك الأوروبيين والعثمانيين والإرساليات الأوروبية الكاثوليكية العاملة بينهم (1).

فكان تلك الامتيازات والتنظيمات العثمانية من أهم الوسائل التي استغلتها الدول الغربية فسارت بتأثير هذا التوجه الجديد إلى إقامة مؤسسات ترعى مصالحها وتعمل على تحقيق أهدافها (2).

ومن أهم هذه المؤسسات الحكومية، القنصليات والسفارات الصليبية، حيث لقيت الجمعيات القومية العربية تشيوعاً من بعض الدول الغربية وفي مقدمتها فرنسا، فقد وضعت هذه الدولة قنصلياتها تحت تصرف أعضاء هذه الجمعيات، وأخذ جل رؤسائها وأقطاها ينظران إلى فرنسا وبريطانيا بعين الصداقة والإخلاص (3).

ويؤكد جورج كيرك مؤلف (كتاب موجز تاريخ الشرق الأوسط) أن القومية العربية ولدت في دار المنذوب السامي البريطاني (4). ومن صور عناية قنصليات الدول الاستعمارية بالجمعيات القومية العربية، حينما ألغت جمعية

---

(1) أزمة الفكر ومشكلات السلطة السياسية في الشرق العربي في عصر النهضة- محمد فخزم- 21.
(2) معهد الإمام العربي- بيروت لبنان- الطبعة الأولى 1989.
(3) سوريا والعهد العثماني- يوسف الحكيم- 197.
(5) مذاهب فكرية معاصرة- محمد قطب- 586.
الاتحاد والترقي المطالب التي قدمتها جمعية بروت الإصلاحية(1) واعتبرها خيانة للدولة العثمانية وحالت الجمعية، وبعد ثلاثة أيام من اتخاذ هذا الإجراء، ذهب بعض أعضاء الجمعية إلى القنصلية البريطانية ومن ثم إلى القنصلية الفرنسية ليتحوا على عمل الوالي، وفي القنصلية البريطانية قبلهم إفيم يستطيعون أن يعقدوا اجتماعاً قباً في جمعية الكلية السورية الإنجيلية لأهم في تلك الحقبة من الزمن، كانوا يعتبرهم مجتمعين على أرض أجنبية حيث يكون لهم ملهوبة الحرية بعدد أي اجتماع من اجتماعات الجمعية هناك. وقد وافق القنصل الفرنسي على هذا التدبير ونصب لهم أن يتصرفوا بوجه(2). وعليه عقدت الجمعية العامة اجتماعاً في القاعة الكبرى في الكلية السورية - الجامعة الأمريكية - وقررت الدعوة للإضراب العام في 12 نيسان والاحتجاج على حل الجمعية(3).

وتمية هذا القرار، فقد أرسل بعض أعضاء الجمعية جميعهم من النصارى رسالة تغطية أقاليمها إلى القنصلية الفرنسية باسم أبناء طوائفهم، ووضعا بدقة أماً نصارى سوريا، وعلى تأكيد ارتباطهم بفرنسا. وبدل هذا على تأثير الدول الاستعمارية على الجمعيات القومية العربية(4).

وتستسير قنصليات دول البلدان المستعمرا معتبراً أمناً لشركات ومطبوعات الجمعيات القومية، إذ أن إدخال المنشورات السرية داخل البلد كان من رابع

(1) أنظر ص (93) من الرسالة.
(2) نشوء القومية العربية-زين نور الدين-زين-111-حاشية الفصل الخامس رقم 49.
(3) الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي-وجه كرثري-190.
(4) بلاد الشام (قراءة في الوثائق)-وجه كرثري-269-معهد الإمام العربي.
المستحيلات بسبب صرامة المراقبة الموضوعة على المطابع، صغيرة كانت أم كبيرة. فكان لا بد من أن يسافر بعض الأحرار إلى خارج المملكة لكي يطبع المنشورات هناك، وفي معظم المدن الرئيسية عدة دوائر بريد أجنبية تابعة لسفارات الدول (العظمى) وقنصلياتها، وكلها كانت موصولة في مراقبة الدولة بسبب الامتيازات الأجنبية المعلومة. فكانت هذه الامتيازات تقوم بحكم المعاهدات والامتيازات الأجنبية - من الخضوع لأوامر القبض التي يصدرها السلطان ومن تفتيش البوليس لمنازلهم، أو محاكمتهم أمام المحاكم التركية لأن لهم محاكمتهم القنصلية الخاصة.

وقد قضت الامتيازات الممنوحة للجاليات الأجنبية بتشكيل محاكم قنصلية خاصة ذات صلاحية تامة للنظر في الدعاوى بين الرعايا الذين يتمون إلى هذه القنصلية أو تلك. وكان رعايا الدول الأجنبية المقيمون في الدولة العثمانية من غير المسلمين لا يخضعون للقوانين العثمانية، بل كانوا يتمتعون بأحكام خاصة بهم، وكان القاضي في هذه المحاكم القنصلية القنصل نفسه، يعاونه مستشاران.

ويحدث عوني عبدالهادي — وهو أحد المؤسسين للجمعية — عن الوضع المريب الذي اتخذه فرنسا أثناء إعلان الحرب ضد مواطني الدولة العثمانية، ففيقول: لبنا ننتظر مصيرنا الذي لن يكون أقل من أن نرزق مع أمثالنا التابعين.

(1) البلاد العربية والدولة العثمانية- ساطع الخصري- 91.
(2) الذيل الأخر- مصطفى كمال- هـ. س. مسترونج- نشر دار الهلال.
(3) نشوء القومية العربية- زين نور الدين زين- 32.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

للـبلاد المعادية للحلفاء بالمعتقلات. ولكن لم يمض كثير وقت حتى وافنا الخبر العجيب غير المنظور، بأن الحكومة الفرنسية قررت زج الأتراك بالمعتقلات والسماح للسوريين في الإقامة أحراراً في باريس.(1)

وكانت الدول الاستعمارية تراقب تطورات نشأة الجمعيات القومية، فقد استدعى مكماهون - معتمد بريطانيا في مصر - الكولونيل لورانس، والسير رونالد ستورس - سكرتير الإدارة الشرقية في السفارة، وقال لهما: لقد تأكد لنا من أن فكرة ما أخذت تغلغل بين العرب في جميع الأقطار التي يسكنونها، وعرفنا بأن سوريا أصبحت البؤرة الأساسية لتلك الفكره.(2)

وتولى مسؤولو القنصل كتابة التقارير إلى حكوماتها مفصلة عن أوضاع الدولة العثمانية، مثل ذلك: التقرير الذي رفعه مدير الفصلية الفرنسية في بروت، حول توقيع معاهدة السلام الإيطالية التركية وحرب البلقان، وأثر ذلك في الاتجاهات السياسية في سوريا. وتقرير القنصلية الفرنسية عن الدعاية الموجهة للإنكليز في سوريا.(3)

وكانت تقارير قنصل الدول الاستعمارية تدل على الاتلاف النامل على أحوال وسير الجمعيات القومية العربية، فمن ذلك تقرير القنصل البريطاني، مما جاء فيه (إن جوهير الإصلاح كان يدور حول مطلب رئيس: [إدارة لامركرزية]. وأن أطراف مطلب من مطالب الإصلاح [استخدام خبراء ومستشارين ومتفشين من الأجانب].(4)

(1) عروي عبدالمهادي-أوراق خاصة- إعداد خريطة قاضية-41.
(2) معركة ميسلون- احسان هندي-12.
(3) بلاد الشام (قراءة في الوثائق)- جبرت كوراني-253-289.
(4) نشوء القومية العربية-زين نور الدين زين-98.
وكان هذا التقرير عن مطالب جمعية الإصلاح البيروتية، فقد جاء تقرير القنصل البريطاني مصرحاً بذلك، حيث يقول (كان أعضاء الجمعية الإصلاحية بدون نشاطاً سياسياً غبر مألوف في البلاد، وشجاعة في حملتهم الإصلاحية لا عهد للناس بما من قبل).

كمساعدت الدول الاستعمارية بالجمعيات القومية العربية، خارج الدولة العثمانية فقد احتوت أكثر تمثيل عربي للجمعيات القومية العربية من خلال المؤتمر العربي الأول، الذي أقيم في باريس (فرنسا).

وقدما سائل رئيس المؤتمر: عن سبب اختيار باريس ليعقد فيها المؤتمر؟ قال: (أن نسمع مطالبنا ونفهم رأينا لأوربا التي تزداد أهمية مصالحها في البلاد العثمانية يوماً بعد يوم)... ونستطيع أن نضع أساس تفاهم بين الشرق والغرب.

وهو مؤتمر لم يكن له صبغة دينية كما صرح رئيس المؤتمر بذلك).

٢- المدارس والكليات التنصرية:

نشأت في البلاد العربية مؤسسات تعليمية كثيرة، تبنت الدعاة إلى النصرانية(١)، وليس غرض الباحث في هذه القضية إلا بيان دور هذه المؤسسات التعليمية في نشأة الجماعات القومية العربية.

(١) المصدر السابق-٩٩.
(٢) المؤتمر العربي الأول-ص ١٩.
(٣) حول هذا الموضوع انظر:

١. التبشير والاستعمار في البلاد العربية-مصطفى الخالدي وعمر فروخ-٩١-١١٢.
٢. بقطة العرب-جورج انطونيوس-٩٨١.
٣. البلاد العربية والدولة العثمانية-ساعط الحبسي-٨١.
٤. حول الحركة العربية الحديثة-محمد عزرو دوزة-٢/١١١.
٥. الحركة الوطنية في لبنان-سعيد مراد-٨٣.
٦. واقعنا المعاصر-محمد قطب-٢١٧-٢٣٥.
ويظهر أن أبلغ تأثير للمؤسسات التعليمية في نشأة الجماعات القومية العربية، هو تأثير الجامعة الأمريكية في بيروت والتي تأسست أولاً باسم الكلية السورية الإنجيلية في سنة 1866(1283هـ) وتولى رئاستها دانيال بيلس(1).
وقصد ذكر القوميون عن دور الجامعة الأمريكية بأنها: أيقظت فيهم روح العزة العربية، وجمعت أبناء البلاد العربية في حظيرة هذه القومية. وإن طلاب الجامعة العربية نظرمهم أنتم (أرباب عقيدة عربية)(2).

ويقيل أحد أعضاء الجماعات القومية، عن دور هذه المؤسسات ومنها الجامعة الأمريكية، بأنها كانت ذات مأرب سياسية استعمارية. كما كان له أثر كبير في تنافذ أفكار الناشئة العربية التي كانت تؤمن وأهدافها فصارات الجامعة الأمريكية التي تخرج منها آلاف طلاب العرب حرة التزعة فكان خريجيها مساهمة فعالة في حركة الوعي القومي العربي(3).

طارحت الجامعة الأمريكية جائزة (هوردي بيلس)(4) -مأسس الجامعة— من بيرز في كتابة "أسباب النهضة العربية في القرن التاسع عشر"، فانتدب لذلك أنس الصوالي، كتب في ذلك بحثًا، فاز بالجائزة، وقد ذكر المؤلف أن من أسباب النهضة العربية مدارس المبشرين في بيروت، وفي مقدمتها الجامعة.

(1) انظر: بقية العربي، جورج انطونيوس، 106.
(2) التبشير والاستعمار، مصطفى الخالدي، وعمر فراخ، 92.
(3) نشأة الحركة العربية الحديثة، محمد عزة دروزة، 125 (يتصرف).
(4) انظر الإعلام، خيري الدين الزركلي، 230/2.
الأмерيكية، وقال: (إن الجامعة بلا جدال ركز متين من أركان النهضة العربية الحديثة وثورة طيبة من ثمرات الإرساليات). 

وبعد دور الجامعة في تأسيس الجمعيات قال: (عمر شبان الجامعة الأمريكية إلى تأسيس الجمعيات واتباع الأنظمة البرلمانية والخضوع لها). 

وـالدور السياسي الذي قامت به الجامعة الأمريكية في ذلك الوقت، يقول أحد الدارسين فيها: (حينما كنا طلاباً كنا نتخاذل القرار بالإضراب السياسي في قلب الجامعة الأمريكية، وكانت المظاهرات من الجامعة معقل الوطنية - ثم كان الطلاب يعودون من المظاهرات ويدخلون إلى صفوفهم في اليوم التالي كأجمل آتون من عطلة). 

وقد بين أعضاء الجمعيات القومية العربية دور الجامعة الأمريكية في نشأة الجمعيات القومية، بأنها كانت تربى تلامذة على حرية الفكر وحرية التفكير، وعودهم على الحرية الشخصية والمساواة في الحقوق... هذا الروح الذي تميز به هذه المدرسة من مدارس الشرق كان لها تأثير كبير في ترقية النفس في هذه النهضة. وخصوصاً منذ أن كانت تدرس العلوم بالعربية. 


(3) النشر والاستعمار- مصطفى الخالدي وعمر فروخ- 109. 


(5) القومية العربية- مصطفى الشهابي- 44.
وكان من نتائج الجامعة الأمريكية على أعضاء الجمعيات القومية العربية أن
التحقوا في جمعية شمس البر الماسونية وهي فرع من جمعية اتحاد الشبان
المسيحيين (1) إنكلترا، وكان من ضمن أعضاء جمعية شمس البر الماسونية من
أعضاء الجمعيات القومية، منهم: جرجي زيدان، أسكندر البارودي، وليم
جريدين، ويعقوب صروف (2)، وفارس نمر (3).

وقد صرح فارس نمر - أحد أعضاء جمعية بروت السريّة - بأن من قام
بتأسيسها، هم النخبة المفكّرة وجعلهم من النصارى الذين درسوا في الكلية
السورية الإنجيلية (4). وكان هؤلاء النخبة يتلقون دروسهم داخل الكلية من
عازيل جبال النصارى الماسوني، والذي يدرس اللغة الفرنسية، وكما يقول عنه
طلابه: كان تقدميًا وثوريًا في أفكاره، وكان يختصّ درس الفرنسية في صفوفه،
لبيعو إلى موضوع السياسة فيكلم الطلاب عن وجوه التحرر من الأتراك
والتحلل من حكومتهم الفاسدة الظالمة (5).

(1) جمعية الشبان الماسونيين رابطة دينية اجتماعية ألمها السير جورج ويليام في إنكلترا سنة
1844، وهي لا تشرّط على أعضائها اتباع مذهب معين من المذاهب الصرانية، ويباح الاشتراك فيها لكل
من يرتاحون إلى مبادئها وإن لم يكونوا نصارى. ويبلغ عدد فروعها 900 فرع تضم 150000
عضو بينهم النصارى واليهودي والمسلم، وفي تركيا وفلسطين فروع لها. انظر مجلة الهدل الجزر
السادس – السنة 35 بتاريخ 10/10/1946.
(2) انظر الترجمة رقم (72).
(3) لبنانات تاريخ وصور - نحلة زيادة - 149.
(4) نشوء القومية العربية - زين نور الدين زين - 60.
(5) المصدر السابق نفسه - 196 - هاشم الفصل الرابع برقم 16.
إن جمعية الآداب والعلوم، تعد من أوائل الجمعيات العلمية التي أنشئت في البلاد العربية، وقد كان من مؤسسيها (كورنيليوس فان دايك) (1)، وهو ممن أسس الجامعة الأمريكية في بيروت (2).

وتتأثر الجامعة الأمريكية على أعضاء الجمعيات القومية العربية، انطلق من المندف الأول لتأسيس الجامعة وهو (تنصير أبناء المسلمين) كما نص على ذلك الأعضاء المؤسسان للجامعة، فقد قالوا: "نحن نصر على الطابع التبشيري للكلية، وعلي أن يكون كل أستاذ فيها مبشراً مسيحياً" (3)، ولذا كان المنصر القس دانيسال بلس هو أول رئيس لها، والذي وصل إلى بيروت سنة 1856 (1272 هـ)، وظل في البلاد إلى حين وفاته سنة 1916 (1334 هـ) (أي ستين سنة).

وقد جاء مبشراً، وعمل في بيروت عيبياً.

ومن تولى العناية بالجامعة الأمريكية ويقوم بزيارقها: ثيودور ريالفليت (4)، الذي تولى فيما بعد رئاسة الولايات المتحدة. وكان بلس كثير الاتصال بأهل

(1) انظر: يعظة العرب- جورج انطونيوس- 117.
(2) التبشير والاستعمار في البلاد العربية- مصطفى الخالدي وعمر فروخ- 96.
(3) المصدر السابق- 77.
(4) انظر: يعظة العرب- جورج انطونيوس- 101 حاشية رقم (2).
(5) الرئيس الوحيد للولايات المتحدة الذي انتخب 4 مرات، استمرت لمدة 12 عاماً، ولد في نيويورك وفي عام 1900 التحق بجامعة هارفارد ودرس التاريخ وترجح فيها ثم التحق بكلية الحقوق بجامعة كولومبيا 1904 وبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى ودخول أميركا الحرب عمل رئيسيًا لوزير البحرية، وأقام عدة مشاريع حربية، انتخب حاكماً لولاية نيويورك عام 1928 وأعيد عام 1932 وأصبح رئيساً لأميركا عام 1933 وعمره 51 عاماً، تولى الرئاسة وأصدر عام 1941 الحقوق الأربعة وهي: حرية التعبير وحرية العبادة وحرية الحاجة والخوف، وأعلن أن جميع الناس يجب أن يتمتعوا بها وفي عام 1944 سافر ريالفليت للانعقاد ببرشلونة وستانين حيث اتفقوا على الهجوم النهائي على ألمانيا وفي عام 1945 اصب ببريف في الدماغ بينما كان يعمل في مكتب
وتوفي. انظر: (الموسوقة العربية- 11/11- حرف (الراء).
الفكر والعلم من العرب المقيمين في بيروت. ويذكر أن بطرس البستاني كان صديقاً له(1).

وعندما استقال هذا المنصر من رئاسة الجامعة سنة 1902، أقام أعضاء الجمعيات القومية العربية مثلاً له من الرخاء الأمين، وأقيم بهذه المناسبة احتفال باهرة، ألقى فيه بعض أعضاء الجمعيات كلمات وقصائد، فما قيل في الحفل: «إن أبناءك المتشرنين في هذا القطر السعيد يزرون ويتركون ويعملون ويطابقون وينشقون الصحف والمجلات... واجمعوا كلهام على أن تكون علامة الشكر لك مما يرى بالعين ويبقى راسحاً على كروز الأزمان... وقد لا يتصور أبناء المدرسة مقدار المصاب التي ذلتها حتى أنشئت هذه المدرسة وبلغت ما بلغته من السعة والشهرة، فإن المدارس الكلية تحتاج إلى نفقات كبيرة. فطرت أبواب قومك الأميركيين في موطانهم وما زلت تحت الأغنى وترغبهم في هذا العمل المبرور حتى جمعت ما يكفي من المال للمشروع في هذا العمل(2).

3 - الدعم المادي:

لقد أخبرنا رئيس إنفانت الذين كفروا ليصبوا عن سبيل الله كما في قوله تعالى: "إِنَّ الَّذينَ كَفَرُواْ بِنَفْقَتِ آمَنَّاهُمْ لَيَصْدِقُواْ عَن سِبيِّ اللَّهِ قَسَمَهُمْ فَلَمْ يَكُنَّ عَلَى هَمْهُمْ حَسَرَةً ثُمَّ يُغْلِبُونَ. وَالَّذينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ" (3).
الجمعيات القومية العربية و موقفها من الإسلام والسلمي

(1) سورة الأنفال-رقم الآية (36).
(2) في ظلال القرآن سيد قطب-1506/3-1506.
(3) أعمدة الحكم السبع-لورانس-114.
(4) مذكرات سليمان فيضي-208-26/2-27-تصدير ونقل (لورانس في العراق)-بغداد-1952.
وقد ألف جنبه(1). وقد طلب بعض أعضاء جمعية بيروت الإصلاحية مطلب
إلى القنصلية الفرنسية وتتضمن الدعم المادي ومد يد المساعدة والدعم
المعنوي(2).

ومن صور الدعم المالي الذي تقدمه الدول الاستعمارية للجمعيات القومية
العربية، شراء بعض صحف الجمعيات، فمن ذلك صحيفة المقتبس وهي جريدة
وطنية... وكانت إدارته مجمعًا للعلماء والأدباء من العرب على اختلاف
أقطارهم... فكانت الأولى التي نهت أذهان الناس... كما يقول عنها أعضاء
الجمعيات إلى واجبهم نحو وطنهم(3).

ويصف القنصل الفرنسي العام القيمة المعنوية لصحيفة المقتبس، بأنها أهم
جريدة دمشقية على الإطلاق، والمحددة التي تؤثر في السكان المسلمين تأثيرًا
شاملًا ونافذاً. ولذا قرر القنصل احتواء هذه الجريدة، يقول: لم يكن بإمكاني
مقابلة صاحب الجريدة(4) بنفس الرسوم البنفسية بسبب العادات المحلية حول العلاقات ما بين
القناصيل والأهالي فكان علي انتظار زيارته... وكان علي، فضلاً عن ذلك أن
ألحّأ إلى المواربة الشرقية حتى لا أفقد نفسي أمام الوسطاء الذين استخدمهم.
وقد أظهروا نحو عطفًا، وأذينا لهم خدمات إن في القسطنطينية أو في باريس وقد

(1) انظر: أسرار الثورة العربية الكبرى- أمين سعيد-37.
(2) بلاد الشام- وحيد كورثاني-271.
(3) مذكرات البارودي-1947/1.
(4) صاحب الجريدة محمد كرد علي. وانظر: محمد كرد علي (المثقف وقضية الولاء السياسي)- محمد
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

عاد يريري لنا أسمى عواطفه. وتوقفت المقتبس عن مهاجتنا. وإذا لم يقم بزيارتي فالأسباب، كما قال لي بعفوية، أنه لا يريد سماع من يردده أنه [باع نفسه للأجانب].

ولم تقف رغبة القنصل عند هذا الحد، فقد قال: إن حصولنا على حياذ المقتبس لا يمكن أن يكفيتنا بل علينا كسب هذه الجريدة كساباً ونافذة، دون أن تتظاهر بغير رأيها. وبعد أن حصل ما يريد القنصل من كسب صحيفة المقتبس، قال: لم يعد اليوم أمام عدو معلن ينبغي الإطاحة بمخططاته، بل صرنا أمام شبه صديق لا ينسى الخدمات التي قدمت له، ويسر إلينا حول الفوضى الحالية بأباء لا يباح بها إلا لأشخاص هم موضع الثقة.

وكأن خليل غام وعين رسلان، يكتبان في عدة صحف أوربية ذات نفوذ اتحادي وأجنبي وتمويل يهودي ضد السلطان عبد الحميد. كما في صحيفة تركيا الفتاة والتركيز على الخصوص على حرية شخصية وحرية معتدلة. واستنصال الأغراض والمنافع الشخصية وتعديل الضرائب ومساواه.

ومن أبرز المآخ الذي ذكرها جمال باشا على أعضاء الجمعيات القومية العربية، الإعانات المالية من الدول الغربية، فمن ذلك ما ذكره شكري بك الحسني في سيف الدين الخطيب أن أحد نصارى العرب المقيم في أمريكا بعث

---

(1) بلاد الشام، وجه كثريات، 289-282 (بتصريف). وقد كتب الرسالة بتاريخ 7 نيسان سنة 1913 (سري).

(2) موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية - حسان علي خلاق - 288-289.
السبب الرابع: الاستعمار العسكري:

خلال أواخر القرن الثالث عشر وخلال القرن الرابع عشر الهجري، استعمرت بعض البلدان العربية الواقعة تحت الحكم العثماني من قبل الدول الاستعمارية، فكانت استعمار لبنان في عام 1860 (1276 هـ) حيث قامت فرنسا بموافقة الدول الأوربية الكبرى وبناء على اتفاق بينهما وضع في باريس بإرسال حملة فرنسيّة عسكرية احتلت لبنان، وقد استمر الاحتلال الفرنسي للبنان سبع سنوات. وباء على مقترحات اللجنة الدولية أصدرت نظامًا إداريًا في حزيران سنة 1861 ووضع نظامًا خاصًاً لحكم لبنان على أن يكون في لبنان حاكم نصراوي مسؤول مباشرة أمام السلطان بضمانة الدول الأوربية.

ويساعد المتصرف مجلس إداري مركزي يمثل المذاهب المختلفة. وأقر نظام المتصرفية مساواة جميع المواطنين أمام القانون.

واحتلت فرنسا مدينة الجزائر في عام 1830 (1246 هـ)، كما استعمرت أيضًا مدينة تونس في عام 1881 (1298 هـ). ووضع مصر تحت حكم

1) الإيضاحات عن المسائل السياسية-جمال باشا-9.
3) العرب والعثمانيون-عبدالكريم رافق-432-8-438.
الاستعمار، فقد عقد مؤتمر في الآستانة بحضور كل من فرنسا وبريطانيا وألمانيا وروسيا والنمسا وإيطاليا، ولم تحضر الدولة العثمانية نفسها صاحبة القضية الأساسية. واحتفظ المندوب البريطاني في المؤتمر لدولته بحق التدخل(1). وقد دخل الجيش الإنجليزي القاهرة وبدأ الاحتلال البريطاني لمصر منذ خريف 1882 (1299 هـ)(2).

وفي سنة 1911 احتلت إيطاليا مدينة طرابلس الغرب، وأعلنت إلحاق كل الولاية إلى بلادها. وإقليم إيطاليا على الاحتلال طرابلس الغرب كان بمثابة اقطاع(3) جزء من البلاد العثمانية اقطاعاً مباشرةً، دون أي عذر ومثير(4).

فكان هذا التقسيم الاستعماري للبلاد العربية حافزاً للبلاد العربية إلى مقاومة الاستعمار بجميع معاناة ومظاهره المختلفة، ودفعت بهذة الشعوب إلى التسلح ببعض أسلحة الغرب المستمّر نفسه من أجل توفير القدرة على الصمود في وجهة والمقدرة على اللانصرة في المعركة، وكان التنظيم الحربي والسياسي في مقدمة تلك الأسلحة(5).

(1) تاريخ العرب الحديث-عبد الوهاب أحمد- 191.
(3) عن آخر الاعتداء الإيطالي على علاقة العرب والترك. انظر: العرب والترك- توفيق برو- 305.
(4) البلاد العربية والدولة العثمانية- ساطع الحصري- 101.
(5) جمعية العربية الفتاة السرية- مسيلة الجمهورية- 31.
ومع جانب آخر فقد كان استعمار بعض البلاد العربية مبناً من أساس
نشأة الجمعيات القومية، إذ أصبحت بعض البلاد المستعمرة كمصراً مثلاً مكاناً
آمناً لتأسيس الجمعيات القومية العربية، ورغم أن مصر كانت تتمتع باستقلال
شبيه ذاتي تحت حكم أسرة محمد علي منذ عام 1840 (1856 هـ) إلا أنما
بقت مرتبطة بحكم شبه مركزي، أي أن مصر بقيت عثمانية في عناوينها
الرسمي (1).

وـعندما بدأت الدعوة إلى ترسيخ الشعوب العثمانية، هرب مجموعة من
القوميين العرب إلى مصر حيث يجدون فيها المكان الأمان تحت حماية المستعمرة،
وكان أكثرهم من الشاميين.. وقد استقر بعضهم في مصر، حيث كان الإنجليز
يشجعون كل متمرد في الدولة العثمانية، ويجمون كل خيار عنها (2).

شجع المستعمر المتمرد على الدولة العثمانية تنفيذاً لقرارات وزير المستعمرات البريطاني، القائل: [...] إن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هي
الخطر الأعظم الذي ينبغي على الإمبراطورية أن تخذره وتخاربه، وليس
الإمبراطورية البريطانية وحدها بل فرنسا أيضاً. إن سياستنا قدف أبداً إلى مع
الوحدة الإسلامية والتضمن الإسلامي، وبينغي أن تكون كذلك... في مصر
и دول إسلامية أخرى، شجعنا ونصبنا مو القواميات المحلية لكوكبا أقل خطراً
من الوحدة والتضمن الإسلامي (3).

(1) العثمانيون وتكوين العرب الحديث - مسار الجميع - 179.
(2) الإنجازات الوطنية في الأدب المعاصر - محمد محمد حسين - 200.
(3) بريطانيا والخلافة الإسلامية -وثيقة تاريخية سياسية - عبد الوهاب أحمد.
ويرى بعض أعضاء الجمعيات القومية أن استقلال هذه البلاد عن الدولة العثمانية وأخذ الزمن بوسائل المدينة الغربية، واتباعه للعلوم الحديثة، وفتح أبوابه لأحراز العرب وأدابهم، كل ذلك أوجد في مصر خصبة فكرية وأدبية تقدمت وفاقت خصبة الأقطار العربية السائرة، حتى أمست مصر في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحاضر مباءة يأوي إليها ويستنج بها القوميون العرب.

وقد أدى انتفاح مصر على أوربا، وعودة المبعوثين المصريين من فرنسا وغيرهم من الدول الأوربية وهجرة بعض رجال الشام البارزين إلى مصر إلى خصبة ثقافية وسياسية مبكرة.

وقامت في مصر آنذاك خصبة صحفية واسعة ساهم فيها بعض رجال الشام البارزين الذين أنمو مصر لنشر أفكارهم وآرائهم السياسية والأدبية التي لم يتمكنوا من نشرها في بلاد الشام. وأنشأ بعض هؤلاء صحفاً ومجلات مهمة(1)، تمثل توجهات الجمعيات القومية، فمن هذه الصحف:

- جريدة الهلال ومحررة جرجي زيدان وجريدة المقطم وجريدة المنتفف
- ويدرسهما يعقوب صروف وفارس مر(2)، وصحيفة الأهرام التي هي فرنسية.

---

(1) القوميّة العربية- مصطفى الشهابي-40.
(2) تاريخ العرب الحديث- عزالدّه أحمد عبدالرحمن-346.
(3) البقية الإسلامية في مواجهة التغيير- أنور الجندى-1365. وانظر: الحلقه المقامة في تاريخ العرب- محمد جميل بيهم-1369- مكتبة مصطفى الباني الحلي-مصر- الطبعة الأولى-1369.
الجمعيات القومية العربية ومقولة من الإسلام والمسلم

الرعاية مارونية الهدف (1) والتي أنشأها سليم وبشارة نقلاً (2) ويقارب أن ثلث الجرائد التي يصدرها القوميون كانت تصدر من مصر (3).

وكان في مصر قد استقبلت أوائل أعضاة الجمعيات القومية، حيث جاء إلى القاهرة أبرز مؤسس (جمعية بيروت السرية) في عام 1883 (1202 هـ) وهم: فارس شهاب، وشاهر مكarios، ويعقوب صروف. ليؤسسوا هناك جريدة المقطم (لomenclature) و مجلة فكرية (المقنط)، وليتباعوا من خلالها نشر أفكارهم في خط (ليبرالي) الذي صلة أكيدة بتلك البداية التي نشأت في بيروت (4).

وفي مصر أسست جماعة من السورين من أهل الفكر والاعتباط السياسي حامياً سياسياً بمعنزة الحكومة التركية، أطلقوا عليه اسم (حزب الامركزية الإدارية العثمانية) (5) جمعية الامركزية وتبتنت (المنار) نشر قانون الجمعية.

وقد كانت الجمعية على صلة بكشتيت-وزير الخربة البريطاني-القنصل البريطاني في مصر، وقد تدخل كشتيت بناءً على رغبة الجمعية لدى الباب العالي للإيصال عن عزيز علي المصري، الذي كان من أبرز المناضلين العرب ضد الدولة العثمانية -ومؤسس جماعتي العهد والقحطانية- والذي كانت الدولة العثمانية قد قبضت عليه (6).

---

(1) عقبات في طريق النهضة-أنور الجندي،1888-1889-دار الاعتصام.
(2) تاريخ العرب الحديث-عبدالوهاب أحمد عبد الرحمن،1946.
(3) البلدان العربية والدولة العثمانية-ساطع المصري،1993.
(4) الانتفاضات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والشرق العربي-وجه كورتزاي،1993.
وقال لورانس عن عزيز علي المصري يعيش في مصر بحماية المثل الأعلى للضباط العرب، وقد اتصل به اللورد كشتر في الأيام الأولى للحرب، مؤملاً أن يستطيع بواسطةه كسب القوات العسكرية العربية في الجيش التركي إلى جانبنا.
وعن لقائه بعزيز علي قال لورانس: على ظهر السفينة -الباخرة الحربية (لاما-) التلقين بعزيز علي المصري الذي ترك الجيش التركي حيث كان يشغل رتبة كولونيل ليلتحق بالجيش العربي. لقد كان طريقه إلى مكة ليبحث وأميرها تسليح الجيش النظامي، فتعرفنا إلى بعضنا وشرع الضابط الشركسي يتكلم بلغة ألمانية طليقة.

السبب الخامس: التنظيمات الجاهلية في الدولة العثمانية:

قد يكون هذا السبب من أهم الأسباب في نشأة الجمعيات القومية العربية، وقد أخبر رينا عز وجل في كتابه ما أصاب الأمم السابقة بتقسيمهم أحزابًا وطوائف بكيد بعضهم لبعض، بعد أن استبدلا شريعة الرحمن وشرعوا للأمة ما لم يأذن به الله. فقد قال تعالى: "قلَّ هَوَّا الَّذِيَ قَدْ أَقَامُنَا فَأَنَّا يَسْتَيْعَبُونَ عَدَّادًا مِّنَ الْقُوَّةِ أَوْ مِنَ الْمُتَقَرِّبِينَ أَوَّلًا ثُمَّ يَسْكُمُونَ شَيْكًا وَيَلِدُونَ بَعْضَكُمْ بَعْضًا.

وعن سعد بن أبي وقاص قال أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى مرنا على مسجد بني أمية فدخل فصل قئتين فصلينا معه، فناجي ربه عز وجل طويلاً.

(1) أمعدة الحكمية السبعة-لورانس- 25.
(2) سورة الأعام-آية (36).
ثم قال: (سألت ربي ثلاثة سألته أن لا يهلك أمتي بالفرق فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأصحهم بينهم فمنعنيها).

إن إحداث هذه التشريعات الجاهلية، والتي تسمى (أنظمة) في الأمة، كانت سببًا لشقاء البشرية بظهور الأحزاب والشعيب، وعرفت البشرية في فترات كثيرة من تاريخها ذلك اللون من العذاب — والدولة العثمانية تعتبر من ضمن تاريخ البشرية — كنما أغرفت عن منهج الله، وتركت لأهواء البشر ونزواهم وشهواهم وجهالتهم وضعفهم وقصورهم. تصريف الحياة وفق تلك الأهواء والنزوات والشهوات والجهالة والضعف والقصور.

وكلما تخبط الناس وهم يضعون أنظمة للحياة وأوضاعًا وشرائع وقوانين وقيمة موازية بنعمة الله، يتعبد بما الناس بعضهم بعضاً، ويريد بعضهم أن يضع لأنظمته وأوضاعه وشرائعة وقوانينه البعض الآخر، والبعض الآخر يأتي ويعارض، وأولئك يبطشون بناب ويعارضون وتتصارعون رغباعهم وشهواهم وأطماعهم وتصوراتهم. فذوق بعضهم بأس بعض، ويخفف بعضهم على بعض، وينكر بعضهم بعضًا، لأنه لا يفيون جميعًا إلى ميزان واحد، يضعه لهم المعبد الذي يعنو له كل العبيد، حيث لا يجد أحدهم في نفسه استكباراً عن الحضور له، ولا يجلس في نفسه صغارًا حين يفتقده.

إن الفتنة الكبرى في الأرض هي أن يقوم من بين العباد من يدعو حق الألوهة عليهم، ثم يزاول هذا الحق فعلاً، إذا الفتنة التي يتجلل الناس شيعاً.

---

(1) صحيح مسلم – كتاب الفتنة وأشراف الساعة – باب هلاك هذه الأمة ببعضهم ببعض – رقم الحديث 5144.
المتبسة، لأنهم من ناحية المظهر يبدون أمة واحدة أو مجتمعاً واحداً، ولكن من ناحية الحقيقة يكون بعضهم عبباً لبعض، ويعود بعضهم في يده السلطة التي يبطش بها - لأنها غير مقيدة بشريعة من الله - ويعود بعضهم في نفسه الحقد والتبرض. ويُدوق الذين يتربضون والذين يبطشون بعضهم بأس بعض وهم شيع، ولكنها ليست متميزة ولا منفصلة ولا مفاصلة.

والدولة العثمانية كانت تعتبر دولة المسلمين من شرقها إلى غربها، وتُمثّل بعُض خلفائها الحاكم العادل، وأصبح لقب الخليفة يُنادي به المسلمون ويتلون إليه، ولكن حينما أدخلت الدولة العثمانية على مبادئها قوانين بشرية، وموثرات جاهلية حل بها كما حل من قبلها من الأمم فلا يُجد لِسَنَتِ آلِهِ تَبَدِّيَلاً وَلَن يَجِدَ لِسَنَتِ آلِهِ تَحَولًا في ذلك.

لقد عجزت الدولة العثمانية والشعوب الإسلامية عن مواصلة الإبادة، وآلا أمرها إلى السقوط. بسبب الألغاف المادي والعلمي والرحياني الذي أدى إلى تمزيق النشاط الاجتماعي... وسادت نزعة التشتائم والانسقاق، ومحاولة الفصل بين شؤون الدين والدنيا في أواخر عهدها وعندها فقد الإنسان المسلم العثماني التوازن وحل الإخراجات، وتكعرت مسيرة حركة التاريخ.

وسبقت الإشارة عن التنظيمات التي حدثت بالدولة العثمانية، وكان الغرض من التنظيمات، ما يلي:

(1) في ظلال القرآن- سيد قطب- 125/ 1125
(2) سورة فاطر- رقم الآية (43).
(3) تاريخ الدولة العثمانية- علي حسون/ المكتب الإسلامي- بيروت- الطبعة الثالثة- 1415 هـ.
1 - تقرير الهيئة الاجتماعية الإسلامية إلى الهيئات الاجتماعية المسيحية التي عاشت منذ قرون بعيدة عنها معينة وسياسة، وفي الحقيقة: إن الإسلام الذي قد كان مؤسس الدولة العثمانية بقية حاكماً مطلقاً فوق الحكومة ناظماً، فقد كان القانون المدني متحداً مع القرآن، ولكن تشكيكات الأمّة اشتبكت بالعوائد الدينية بحيث لا يمكن تفريق بعضها عن بعض، كانت تشكيكات الأمّة لا تقبل التغيير كالعوائد الدينية، فوجع له التالف الذي لا تستطيع تركيا الاستمرار على الاستغناء عنه، إما إزالة الحائط في بين البند، أو تخفيف وطانته، ومعناه إما أن تحوّل الحكومة من الروحانية إلى الدنيوية بتخليصها عن تأثير القوانين الدينية، وإما أن تخلي بالتدريج من الحدود والقيود الدينية من طريق تفسير العوائد الأساسية تفسيراً موسعاً، ولاحتراز من الحالات الموجبة للاستشارة. كنَّا الحكومة العثمانية احتارت الشق الثاني.

2 - ضغط الدول الأوربية ومطالبها بإصلاح أحوال التنصاري التابعين للدولة العثمانية. ويُعتبر الباحثون أن معاهدة (كوتش كلايننزي) عام 1678 (1481 هـ)، أساساً حقوقياً لتلك العلاقات، وتعتبر علامة مميزة في تاريخ العلاقات العثمانية الروسية، فأصبح من حق إنشاء قنصليات في ممتلكات الدولة العثمانية، وأصبح لرعاها حق التجارة في أملاك الدولة، ومن أهم المكاسب التي حصلت عليها روسيا مقتضى هذه المعاهدة أن أضحى لها حق إقامة كنيسة أرثوذكسية في القسطنطينية.

---
(1) موقف العمال والعمال والمسلمين من رب العالمين-مصفى صربي-1981-80-01، وانظر: تركيا والمنظمات في تاريخ إصلاحات الدولة العثمانية-د. إنكلهارد.
(2) الدولة العثمانية والشرق العربي-محمد أنيس-1991.
ويبين الشيخ مصطفى صبري، أن فصل المحاكم عن المشيخة الإسلامية في تركيا وفي حكومة الاتحاديين خاصة، حدث بعد مراجعات مزعجة من الدول الكبيرة النصرانية (1).

وصورة أخرى من الضغط الأوروبي على الدولة العثمانية، أن مصطفى رشيد باشا (2) يعتبر أبا التنظيمات - جمع مجلس العلماء، وقال: إن سفير إنجلترا قال لنا في مناسبات عديدة، إنكم لا تقبلون شهادة الدمى على المسلم، مع أنكم تحكمون بلاداً كثيرة جميع سكانها مسيحيون. ورشيد باشا، بعد أن عرض على المجلس هذه القضية بتفصيل وافية، وجه إلى العلماء هذا السؤال: ألا يمكن قبول شهادة غير المسلمين، على الأقل في المخلات التي لا يوجد فيها سكان مسلمون؟

ولكن مجلس العلماء قال - بإجماع آراء الخاضرين -: (لا مساس شرعي لذلك على الإطلاق) وأردف هذه الفتيوى (إلا أنه يجوز للحكومة أن تن複 ما نتراه من التبادل الإداري في أمثال هذه الحالات، إذا صدر أمر سلطان بذلك. لأن الأوامر السلطانية المبنية على المصلحة العامة، تكون مطاعة وواجبة التنفيذ) فاستند رجال التنظيمات على هذه الفتوى، وأخذوا يصدرن الأنظمة والقوانين على شكل أوامر سلطانية (3).

(1) موقف العقل والعالم من رب العالمين-مصطفى صبري-4/5/879هـ.
(2) مصطفى رشيد باشا (512-1264 هـ) - (1800-1844 م): من مواليد استنبول. تقلد وظائف عالية في الدولة العثمانية، منها: السفير فوق العادة في لندن وباريس، وأصبح وزيراً للخارجية ثم صدرأ أعظم، كان دوره كبيراً في إعلان حركة الإصلاح العثمانية عام (1255 هـ).
(3) البلاد العربية والدولة العثمانية-ساعط الحصري-79.
3 - مسأله الدول الأوربية في مبدأ التنظيم، وقد ورد هذا الغرض في قانون ما يسمى بـ (الإصلاحات الخيرية) والذي صدر سنة 1272 هـ (1856)، ونصه (تأييد وتوسيع نطاق النظامات الجديدة التي توفرنا إلى الآن لوضوعها وتدوينها بالموافقة للموقع العالي الحائزة له دولتنا العلية بين الدول الممتدنة مطلوبنا إضافتهما إلى درجة الكمال...فهذا العصر يعد بالنسبة للدولنا العلية مبدأ زمن الخير.)\(^1\).

وبالإشارة إلى بعض التنظيمات في الدولة العثمانية، والتي فيها مخالفات عقائدية، يظهر للدراس أجا أوجدت مبررات ساعدت في نشأة الجمعيات القومية العربية، وغيرها من الأفكار الملحة. ومن هذه التنظيمات ما يلي:

1. إبقاء الحقوق والامتيازات الممنوحة لرؤساء الملل غير المسلمة.

ومنح لرؤساء الدين سلطات خاصة على شؤون أبناء طباقهم.

2. جعل لكل طائفة دينية مجلس خاص بها، وحددت سلطات المجلس...

وترك جميع القضايا المتعلقة بالأحوال الشخصية لأبناء الطائفة إلى هؤلاء الرؤساء، وتلك المحاكم.

3. إحداث محاكم نظامية، تعمل بجانب المحاكم الشرعية القديمة، بموجب قوانين جديدة. وتحال كافة الدعاوى التجارية أو الجنائية التي تقع بين المسلمين والسيحيين وسائر الملل غير المسلمة، أو بين التسمية المسيحية وسائر التبعة غير المسلمة مع بعضهم، على هذه المحاكم\(^2\).

\(^1\) تاريخ الدولة العلية- محمد فريد بلك الحمامي- 484، وانظر: البلاد العربية والدولة العثمانية- ساطع الحصري- 79.

\(^2\) تاريخ الدولة العلية العثمانية- محمد فريد بلك الحمامي- 484-7، (نصوص مختارة).
4. وضع الأنظمة اللازمة لإصلاح شؤون المحاكم الشرعية، وجمع الأحكام الشرعية المتعلقة بالمعاملات في مجلة الأحكام العدلية(1).
وهكذا تتم تقييم الأحكام الشرعية، وحينما تحدد الأحكام الشرعية بشكل مواد تبين تطبيقها من كل أحد حتى لو لم يكن فقهاً، كما جاء في تبرير إعداد هذه المجلة(2).

5. تمكح وتران إلى الأبد من الخروقات الرسمية الديونية كافة التعبيرات والألغاز المنتشرة تحكيم جنس آخر في اليسان أو الجنسية أو المذهب من أفراد الدولة العثمانية.

6. لا يمنع أي شخص من أفراد الدولة العثمانية من إجراء رسوم الدين المتسمك به، ولا يؤذى بالنسبة لتمسكه به ولا يتيح على تبديل دينه ومذهب.

7. قبول أفراد الدولة العثمانية، من أي ملة كانت في خدماها وؤمنانياً وصبرهم في المدارس الملكية والعسكرية، بلا فرق ولا تميز بينهم وبين المسلمين(3).

وأصدر في الدولة العثمانية قراراً لمساراة الإصلاح العالمي - كما يسمى - نص فيه السلطان العثماني، بقوله: إنه لا أريد - ابتداء من

(1) انظر: البلاد العربية والدولة العثمانية- ساطع المصري- 76- 80 والتي صدرت في عام 1293 هـ. وقد اعتبرت هذه الجملة في وقتها القانون المدني للدولة العثمانية جميع أقاليمها. (2) أحكام المرأة في الفقه الإسلامي- أحمد الحكية الكردي- 131.
(2) تاريخ الدولة العثمانية- محمد فريد- 54- 54- 553.
(3) المصدر السابق نفسه- 487- 484 (نصوص مختارة)
الان – أن يميز المسلمون إلا في المسجد، والمسحيون إلا في الكنيسة، واليهود إلا في المعبد، إلا أريد ما دام يتوجه الجميع نحو الانتداب أن يتمتع الجميع بالمساواة في الحقوق ومحاميات الأمور. (1)

ويصف مصطفى صبري، شيخ الإسلام في الدولة العثمانية – حال الدولة العثمانية في آخر عمرها، فيقول: (تألب دول أعداء الإسلام عليها من الخارج ومشايعهم المناضلين في الداخل. وكان تجريد الدولة من دينها ومحاكمها الشرعية ومعاهدتها الدينية، استجواباً لمرضاة الدول الكبيرة الغالبة في الحرب العالمية الأولى، ثم أضافوا إلى ذلك تغيير كل شيء من مشاكلات الأمّة). (2)

لقد كانت هذه التنظيمات الجاهلية من أكبر عوامل تغيير واقع الأمّة الإسلامية، حيث تعذر على محدد التنظيمات وخاصة في عهد الحكومة الاستبدادية التفوق بين الدستور وبين الشرع الإسلامي، ولا يضمنون إلى أن يكون من الأوربيين ثقة بملم هذه الدولة المشروطة الإسلامية، إذ لا تستوعب عقولهم كعقول الأوربيين أنه كيف يمكن التفوقد بين الحرية وبين الدين المقيم وقيده مستثقلة عددهم من جهة عدم موافقته للحكومة الزمنية الأوربية، ومن جهة معارضة لأهوائهم وphantsهم في داخل المملكة. فالدائم يشب عليهم، ينقل أعقابهم دائماً، لأهم في تاراقم وتطوراهم إذا خضعوا لحكم الحرية، وحاولوا أن يسيروا بسيرها فالدائم لا يخليهم، لا أن الحرية والحضارة عندهم عبارة عما يري


(2) موقف العقل والعلم والعلم من رب العالمين – مصطفى صبري – 1387/1987. (مع الحاشية)
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

في أوروبا محايسنها ومساواتها حدو النحل بالفعل، وإذا خلوا إلى طباعهم الطاغية فـ والدين بكل قوة يمنعهم عن طغيانهم وعدواهم، فهو مانع يمنعهم في حريتهم واستبداتهم١.

لقد حَقَّقت هذه التنظيمات مبدأ الحريات، والتقرب لبعض مبادئ الكافرين فأضعفت مبدأ الولاء والبراء. وذلك حينما يكون النظام القائم المساواة في الحقوق بين جميع أبناء الشعب، دون النظر إلى أصولهم أو دينهم كان أول المتمتع بهذا النظام من غير المسلمين٢.

ومن منطلق هذه الحريات حصل نصارى لبنان على استقلالية٣ في التنظيم والحكم والحاكم. وأصبحت بعض الدول الاستعمارية تنفس في شؤون الدولة العثمانية بحجة حماية أتباعهم في الديانة٤.

كما أنشأت الدول الاستعمارية لنصارى العرب المدارس التي تدرس باللغة العربية جميع العلوم، وهذا يلاحظ في نشأة جمعيات القومية العربية أن النصارى العرب لعبوا دورًا كبيرًا في إثارة الوعي القومي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وقد أتيح لهم فرصة الاطلاع والبحث في تاريخ العرب ولغتهم

(1) السـنـكـي عـلى منكري النهضة من الدين والخلافة والأمة-مصطفى صبري-10- دار القادرين-بيروت-الطبعة الأولى-1411 هـ.
(2) انظر: المصدر السابق نفسه-٢١.
(4) انظر: الفكر العربي في عصر النهضة-البرت حوراني-٥٧.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

وآدأهم في هذه المدارس وما ساعد النصارى العرب على أن يلعبوا هذا الدور في تأسيس الجمعيات القومية العربية، أُهم كانوا يعيشون في مستوى اقتصادي مرفوع، ويشكلون عنصراً اقتصادياً في المجتمع العربي. وكانوا أوثق اتصالاً بأوروبا من العرب المسلمين.

وجينما يحصر نقد بعض نصوص التنظيمات، وهي المخالفة لكتاب الله وسنته رسوله محمد. يتفق مع بعض آراء الكتاب في تأييذ التنظيم والتجديد، حماية للدولة العثمانية من كيد وتآمر الدول الأوربية، مع عدم المساس بجانب الوجي الإلهي. ولا شك في جواز بدأ التجديد ولكن ليس على حساب الدين.

---

1) حركة البيقظة العربية في الشرق الآسيوي- محمود منسي-95. (بتصرف)
2) انظر: أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك- خير الدين التونسي-165.
المبحث الثاني:
الأسباب الفرعية في نشأة الجمعيات القومية

في المبحث الأول أوضحت الأسباب الأساسية في نشأة الجمعيات القومية العربية، وكانت تلك الأسباب قد رافقتها أسباب فرعية، وأعرضها على النحو التالي:

السبب الأول: البعثات العلمية:

بناءً على مبدأ التنظيمات والإصلاحات الذي حدث في الدولة العثمانية، فقد حرصت الدولة على أن تقتبس من الدول الصناعية مبادئ العلم، فأرسلت عدداً كبيراً من شباب العرب لتلقي العلوم في أوروبا. كان أول من نشأ المنهج العلمي في تلك المدارس هو محمد علي والذي بإرسال الطلبة الشبان إلى أوروبا ليتعلموا هناك وكان هذا أخطر ما فعله لأنه صياغة الخلاف (العلمانى) يدخل ساحة التعليم.

وبخاصة أن أفكار ومبادئ الثورة الفرنسية المنتشرة في أوروبا تجد قبولًا عند بعض أعضاء الجمعيات القومية العربية في مههجهم، لذا حاولوا أن يجعلوا حذو

(1) واقعنا المعاصر-محمد قطب-2002. وانظر: البعثات العلمية في عهد محمد علي-عمر طوسون-2
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

أدب فرنسا في القرن الثامن عشر، مثل مارك وولفير وفولتير، في تخطيط المبادئ الفيلسوفية للانتقال الاجتماعي والسياسي الذي ارتكب في أذهانهم، وقد صرح أحد أعضاء الجمعيات القومية بأنهم إذا عادوا إلى بلادهم سيحملون إليها معارف أوروبا وأمريكا، وسيحملون إليه آداب القوم من سياسة واجتماعية ومن علوم وفنون.

فكان من أوائل الدروس التي تعلмиها أعضاء الجمعيات القومية العربية من الثورة الفرنسية هي فكرة الثورة نفسها، لقد رأوا أن حياة الأمم رمها اعتزها المفاسد والظلمات في شؤون الحكومة والسياسة والاقتصاد، ورأوا أن الإصلاح ربما أصبح غير ممكن عن طريق الإنقاذ والتسويات السلمية، فأنتموا

(1) جان روسو (1712-1778) : كاتب وفيلسوف فرنسي، اعتبرت بعض النقاد الوصف الأبعد نفوذاً في الأدب الفرنسي الحديث، والفلسفة الفرنسية الحديثة، وليس من ريب أن مقالاته ورواياته قد مهدت السبيل لانطلاق الثورة الفرنسية، والثورة الرافضية في آن واحد.

(2) فولتير (1694-1778) : واحد من أشهر الكتاب، والفلسفة الفرنسية، وعُبّر كتبه (كانديد)، أشهر أعماله إذ ترجم إلى أكثر من لغة. دخل السجن بتهمة تأليف شعر تسخر من الحكومة، وأعد السجن لفترة، عام 1717، وخلال فترة سجنه استطاع إكمال مسرحيته الأساوية (أوديب)، التي جعل بنجاحاً من فولتير أشهر مؤلف مسرحي في فرنسا. نفي إلى بريطانيا وعاش فيها حتى وفاته 1778، وبعد صدور كتابه السراي الفيلسوفي الذي انتقد فيه الملك والنظم والموجودات الإنجيلية غضب عليه السلطات الفرنسية باعتبار أن ذلك الدخ يعرضها، وهاذا أدى الكتاب وفر مؤلف من باريس وعاش فولتير في سويسرا في قصر ريفي بالقرب من مدينة (جيجين)، وعندما بلغ عمره 83 عاماً، عاد إلى باريس حيث توفي فيها، انظر: (المسوسة العربية - 1795-096)، حرف الفاء.

(3) العرب والترك: التوفيق برو-39.

(4) المؤتمر العربي الأول - 88.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

بوجوب الثورة في بعض الأحوال، ورأوا بناءً على الانقلاب الفرنسي (العظيم)، أن الثورة إذا أجريت وكانت في موضعها أتت بخير كثير. وهذا الخطر من التفكير شديد الوضوح والجلاء عند أمين الريحاني، ولكنه ملموس عند المفكرين والأدباء من أعضاء الجمعيات القومية العربية.

فسيقول الريحاني عن الثورة: (من الحقائق الرائعة أن الثورة للأمة كاحتياج للإنسان، تشبه فيه الدم، وتوقف النشاط، ناهيك بالنظافة) وفي حكم منطقة الشرق من يقول: (إن الخمود الملائم لحكومات الشرق كلها، والفساد الذي اعتراها، والأقدار التي تراكمت عليها، لا يزيلها غير الحمّام حمّام الثورة الغالي).

ومن خلال تتبع دراسات أعضاء الجمعيات القومية التركية والعربية نجد أن الكثير منهم قد تلقوا العلم والمعارف في أوروبا، فكان الأعضاء البارزون في جمعية تركية الفتاة قد ذهبوا إلى أوربة، حيث تركز معظمهم في باريس. وقد ذهب القادرون على السفر للفتيين، أحدهما: الهروب من انتقام السلطان، وثانيهما: لإكمال دراستهم.

وجمعية العربية الفتاة كما يقول أحمد قذري - أحد المؤسسين لها - إن الهيئة الإدارية للجمعية تألفت في باريس، وكانت تضم سبعة أشخاص هم:

(1) الفكر العربي الحديث أثر الثورة الفرنسية في توجهه السياسي والإجتماعي- رضوان خوري-129.
(2) تركية الفتاة وثورة 1908-1908-أ.راموزر-94.
الجمعيات القومية العربية وموقفها عن الإسلام والمسلمين

عوين عبد الهادي، رفيق التميمي (1)، محمد رستم حيدر، محمد الخمصاني، عبد الله العربي، صبري الخوجة، توفيق الناطور، أحمد قدري، وجميعهم كانوا يواصلون دراساتهم العالية في العاصمة الفرنسية.

وغيرهم كثير من أعضاء الجمعيات القومية العربية، الذين تلقوا تعليمهم في أنحاء أوروبا وفرنسا خاصة، وعندما عادوا إلى بلادهم أخذوا يطالبون بإصلاح جذري يشمل جميع مراقب الإمبراطورية ومؤسسات، ويؤسسون هذه المطالب جمعيات وأحزاب تنبئ قضيتهم ومطالبهم.

وتحدث أحد أعضاء الجمعيات القومية عن حياهم في البعثة العلمية إلى باريس، فيقول: (إذا نحن السوريين، نعيش أحراراً في باريس، بينما زجت الحكومة الفرنسية بالأثراك في غيابهم السجون)، وقرر فرنسا أن تحاول استخدامنا في بث الدعاية لها في البلاد التي تقيم فيها جاليات سورية في أوربة وخاصة أمريكا، وكان من لي دعوهم هذه الحاجة الماسة جميل مردم بك ويوسف المناز. وقلت جميل مردم، أن يغتنم فرصة اجتماعه بإخواننا في المهجر ليحدثهم عن آمالنا وأمانينا في مستقبل العرب، وأن يعمل على ضم من يأنس هم الوطن والخلق الحسن إلى جمعية العربية الفتاة التي أنشأتيها في باريس سنة 1911 (1329 هـ). وكان جميل بك من أعضائها.

(1) انظر الترجمة رقم (27).
(2) مجلة العبري الجزء 5 - مقال بعنوان/العربية الفتاة- سليمان موسى- ص 52.
(3) جمعية العربية الفتاة السرية- سهيلة الرياحي- 35، وانظر: اتجاهات الفكر المعاصر في مصر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري- حميد الجمال- 39/1443.
(4) عوين عبد الهادي أوراق خاصة- إعداد: خيرية قاسمية- 17.
ويستمر أثر البعثات العلمية في نشأة الجمعيات القومية العربية، حتى بعد تقسيم البلدان العربية. فقد نشأ حزب البعث الذي يعد من أهم الأحزاب السياسية التي تنبت القومية العربية في تلك الفترة، وتولى تأسيسه وقيادة ميشيل عفلك وصلاح البيطار عن طريق البعثات التعليمية، حيث كان المؤسسين له وقد أفقيا دراستهما الجامعية في باريس، الأولى: حصل على إجازة في التاريخ، والثاني: على إجازة في العلوم، وهناك ما بالفعل تكوينهما الفكري ووعيهما السياسي (1).

وقد اطاطعا على مزيج من التيارات اليسارية التي نشأت في باريس، وتأثرا ببقايا الفكر القومي في أوروبا، وكتابات الثورة الفرنسية (2).

السبب الثاني: كتاتيب بعض دعاء الفكر القومي:

إن عملية التطور التي تصل بين ظهور الجمعيات العلمية ونشوء التنظيمات والجمعيات السياسية، عملية أسهمها بما إسهاماً خاصاً، الرواد من المفكرين والدعوة الذين دعا بعضهم بدعوات لفتت نظر كثير من شباب العرب، وقدحت في أذهانهم كثيراً من الأفكار مما كانت سبباً من أسباب نشأة الجمعيات القومية العربية، مع الملاحظة أن المبادئ القومية التي دعا إليها بعض المفكرين قبل نشأة الجمعيات القومية تركزت حول المطالبة بالإصلاح، إصلاح الحكم، والقضاء على الفساد فيه. وكانت تعني أيضاً مطالبة العرب بمساواتهم مع الأتراك في

(1) حزب البعث العربي الاشتراكي - مصطفى دندشلي - 19/11- الطبعة الأولى 1979.
(2) سياسي يتذكر - 51.
الجمعيات القومية العربية ومقترحها من الإسلام والمسلمين

الحقوق والواجبات، والمطالبة بقسط أوفر من الحرية السياسية والدنية(1). وبناء
على المساواة فقد أثاروا قضية علاقة المسلم العربي بالنصراني العربي، وأفادوا
أخوان على مبدأ العروبة، والوطنية. ويلزم من هذا تنسي النفرقة في الأديان.

أختار نموذجاً واحداً للدعوة والمفكرين القوميين، وهو: عبدالرحمن
الكواكبي، وسأحصر الحديث عن الموضوعات التي طرحها وكانت سبباً من
أسباب نشأة الجمعيات القومية.

يذكر أحد معاصريه بأن الكواكبي قد أكثر من الكتابة في أغراض سياسية
وراجية وحقوقية واقتصادية. وألف أربعة كتب لم يبق منها إلا (طائع
الاستبداد) وأم القرى). أما الكتابات الآخرين (صحائف قريش) (2) (العظمة
الله). وكانت كتابات الكواكبي تدور في دائرة لا تكاد تتبدل، وهي الإصلاح
السياسي والديني. وأنشأ في مصر حلقة واسعة ومتعدة تضم النصارى واليهود
إلى جانب المسلمين، وكان يطبق في حياته المبدأ الذي دعا إليه.

وُجِّه تأثير كتابات عبدالرحمن الكواكبي في تأسيس الجمعيات القومية
العربية، فقد قال عنه محمد كرد علي: بأن له الفضل بتبنيه الأفكار، ووصف

(1) نشوء القومية العربية-زين نور الدين زين-29.
(2) أشار إليه في أم القرى، فقال: (آخباره): من يظهر نسخة من هذا السجل فليحرص على إشاعته
بين الموحدين، وليحفظ نسخة منه ليضيف إليها ما سيتوله من نشرات الجمعية باسم (صحائف
قريش) التي سيكون لها شأن إن شاء الله في النهضة الإسلامية العلمية والأخلاقية-أم القرى-2.
ويتحدث أسعد الكواكبي عن هذا الكتاب، فيقول: إنه كان معداً لطبع ولكن حال دون ذلك
سياحته الطويلة ، ثم وضع الوفاة الفجائية، فصومع الأوراق المصادرية وأرسل هدية إلى
المسلمان، فلم أعثر له على آخر.-عبدالرحمن الكواكبي-أسعد الكواكبي-ملحق الحديث-حلب.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

شُقِّت الأمة فأبدع بدعائه بدعنة حسنة لم يسبق إليها. فأودي بعبده ليؤسس للعرب دولة ترعاه، وتزوّر على حمل النور إليهم (1).

قدّم الكواكبي كتابين عرض فيهما أطروحته الفكرية والتي أثرت في أعضاء الجمعيات القومية العربية، وهما كتابي: (طبعان الاستبداد) وكتاب (أم القرى) (2). وفي هذين الكتابين بيان لضعف العالم الإسلامي عامة وأقطاره العربية خاصة، وبيان أسباب هذا الضعف وأنواع علاجه الممكنة، وفيهما دعوة حارة إلى اقتسام العلاج الصحيح. وهذان الكتابان من حيث هما مشاركة في الحركة العربية، يتبنايان مكانة فريدة وحدهما في أصولهما، واتساب أفقهما وتوأهما (3).

ويؤكد محمد عزة دروزة أحد أعضاء الجمعيات القومية العربية أن ما قدمه الكواكبي من كتابات ومقالات كان لها أثر عظيم في أفكار ناشئة

(1) المعاصرون-محمد كرد علي-84 (بتصريف).
(2) بعض الدراسات عن عبدالرحمن الكواكبي، ما يلي:
أ- المعاصرون-محمد كرد علي-279.
ب- الكواكبي إحياء وآراءه-محمد أحمد خلف الله.
ت- عبدالرحمن الكواكبي الرحلة-عباس محمود العقاد.
ث- عبدالرحمن الكواكبي-سامي الدهان.
ج- مهرجان عبدالرحمن الكواكبي-الجمهورية العربية المتحدة.
ح- عبدالرحمن الكواكبي (شهد الحريه ومحمد الإسلام)-محمد عمارة.
خ- الإمام الكواكبي: فضل الدين عن الدولة-جان دايه.
د- الأعمال الكاملة للكواكبي-محمد جمال الطهان.
(3) يقظة العرب-جورج انطونيوس-170.
ال الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

العرب ووعيهم وrotchهم، مما جعلهم يعدونه من أبرز رجال النهضة القومية وموظفيها (1).

بل لقد قرر بعض القوميين أن آراء الكواكي لا تختلف عما ينادي به اليوم أعمق الوطنيين من زعماء العرب، فهو يدعو إلى التسامح الديني، واجتماع المسلمين والنصارى على حب الوطن والدفاع عنه، ويهاجم الاستعمار الغربي (2).

ويقول مصطفى الشهابي - أحد أعضاء الجمعيات القومية - لقد عُد الكواكي من كبار رجال النهضة الحديثة، وانتفع بكتاب (أم القرى) كثير من شبان الرعيل الأول وكانوا يطالعونه في دمشق، وينقلونه في السر من واحد إلى آخر (3).

وعن علاقة الكتابين وترابطهما الفكري القومي، يقول رشيد رضا: (إن سجل (أم القرى) يتطرق إلى الإصلاح الديني والاجتماعي، وكتاب طبائع الاستبداد يتطرق إلى الإصلاح السياسي) (4).

و لم تتقصر الجهود الفكرية التي قدمها الكواكي في هذين الكتابين، فقد كان له جهود في المجال الصحفي، فمن ذلك: تولى في شبابه تحرير جريدة

(1) نشأة الحركة العربية الحديثة-محمد عزة دروزة-142.
(3) القومية العربية-مصطفى الشهابي-58.
(4) المناـر-السنة العاشرة-العدد العاشر-1908-ص-727.
الفتـرات) الرسمية التي كانت تصدر باللغتين العربية والتركية، وأصدر خلال ذلك جريدة سماها (الشهباء) فأغلقتها الحكومة بعد مدة بدعوى أنها نشرت أفكارًا لا يجوز نشرها. ووافق مصر وأخذ ينشر في مصر جريدة (المؤيد) (1).
لم تكن معالجات الكواكبي لواقع مجتمعه مجرد أطروحتي فكرية فقط، وإنما قال عنه أعضاء الجمعيات القومية دخل إلى ميدان الوظائف الحكومية، وأعلن سخمه على الطغيان وندبه... وهرب إلى مصر لعيش في جوها الذي يتيح قسطًا أكبر من الحرية (2).
وباستعراض للموضوعات التي ناقشها الكواكبي في كتابه (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) نجد أنه يُعتبر من أجرًا من كتب في الدعوة إلى الحرية وإلى الحياة النيابية. وفي محاربة الاستبداد وبيان أثره السيِّء في شئ نواحي المجتمع، علميًا وخلقية ودينية واقتصادية وعمرانية (3).
وكتب طبائع الاستبداد، يحتوي على مقدمة وسبيعة فصول منها، الاستبداد والدين، الاستبداد والمجد، الاستبداد والتربية، الاستبداد والرقي، الاستبداد والتخلص منه (4).
وفي تفصيل أدق لبعض مباحث هذا الكتاب، نجد الكواكبي حينما يعالج موضوع الاستبداد في الحياة السياسية وأبعاد هذه المسألة يقول: (هذة خمسة

(1) المعاصرون-محمد كرد علي-800-2081.
(2) يقظة العرب-جورج أنطونيوس-18.
(3) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر-محمد محمد حسين-1-1266/1.
(4) انظر: طبائع الاستبداد-الكواكبي-7-مطبعة الدستور-مصر.
وعشرون مبحثاً كل منها يحتاج إلى تدقيق عميق، وتفصيل طويل، وتطبيق عن الأحوال والمقتضيات الخصوصية، وقد ذكرت هذه المباحث تذكرة لأولى الألباب وتشيطاً للنجباء. نذكر بعض هذه المباحث:

1 - مبحث ما هي الأمة أي الشعب.
2 - مبحث ما هي الحكومة.
3 - مبحث ما هي الحقوق العمومية.
4 - مبحث التساوي في الحقوق.
5 - مبحث الحقوق الشخصية.
6 - مبحث نوعية الحكومة.
7 - مبحث المراقبة على الحكومة.
8 - مبحث حفظ السلطة في القوانين.
9 - مبحث كيف توضع القوانين.
10 - مبحث توزيع الأعمال والوظائف.
11 - مبحث التفريق بين السلطات السياسية والدينية والتعليم(1).

وع تعرض الكواكب لبعض الأفكار والمبادئ عن موضوع الاستبداد التي ذكرها في كتابه. فقال: (الاستبداد ريح صبرص في إعصار يجعل الإنسان كل...

(1) طبائع الاستبداد-الكواكب-139-146-10.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلم

ساعة في شأنه، وهو مفسد للدين في أهم قسميه، أي الأخلاق. وما كان
ضبط أخلاق الطبقة العليا من الناس من أهم الأمور، أطلقت الأمم الحرة
حرية الخطابة والتأليف والمطبوعات(1).

ولما كانت الإرادة والاستبداد عنصران منافيان، قرر الكواكب قيمة
الإرادة، بأنها (لو جازت عبادة غير الله لا اختار العقلاء عبادة الإرادة، فهي تلك
الصفة التي تفصل الحيوان عن النباتات في تعريفها بأنه متحرك للإرادة. فأسير
الاستبداد الفاقد الإرادة هو مسلوب حق الحيوانية فضلاً عن الإنسانية)(2).

وبسبين الكواكب مفهوم الحرية، وأن أكثر المصائب جاءت بفقدانها، فقال:
(إن البلية فقدنا الحرية، وما أدرى ما الحرية، هي ما حرمها معنا حتى نسيناه،
وحرم علينا لفظه حتى استوحناه، وقد عرف الحرية من عرفها: بأن يكون
الإنسان مختاراً في قوله وفعله لا يتعرضه مانع ظالم). ومن فروع الحرية تساوي
الحقوق ومحاسبة الحكام باعتبار أهم وكراء، وعدم الرهبة في المطالبة وبدل
النصيحة. ومنها: حرية التعليم، وحرية الخطابة والمطبوعات، وحرية المباحثات
العلمية، ومنها العدالة بأسرها(3).

ومطلب الحرية أكثرت الجمعيات القومية في مطالبتها، حتى أصبح من
الشعارات التي نادت به، وأكد أعضاء الجمعيات القومية في المؤتمر العربي الأول،

(1) المصدر السابق نفسه-95.
(2) المصدر السابق نفسه-80.
(3) أم القرى-الكواكب-12.
أن من أماني العرب أن تكون صحافتهم مطلقة، وأقلاهم كناهم غير مقيدة، ومدارسهم تضاء بكهراء الوطنية السورية(1).

ويرى الكواكبي أن موضوع الاستبداد داء ينتشر في الأمة أجمع، فقال: (الحكومة المستبدة تكون طباعًا مستبدة في كل فروعها، من المستبد الأعظم إلى الشرطي إلى الفرّاش إلى كنّاس الشوارع) ويشير بعبارة موجزة إلى أن هذا التسلسل لا يكون في الحكومة الدستورية، حيث: (إن وزير المستبد هو وزير المستبد، لا وزير الدولة، كما هو في الحكومات الدستورية..) (2).

وللاستبداد دور مهم في قلب كثير من المفاهيم، فمن ذلك كما يقول: (وقتل الناس من الاستبداد ما سقهم إليه، من اعتقاد أن طالب الحق فاجر، وتارك حقه مطيع، والمشتكي النظام مفسد، والنبيه المدقق ملحد، والخامل المسكين هو الصالح الأمين. وقد أتبع الناس الاستبداد في تبنيته النصيح فضولًا، والغيرة عداوة، والشهامة عتوًا، والحمية جنونًا..) كما جاروه على اعتبار أن النفاق سياسة، والتحايل كياسة..) (3).

وهكذا صور الكواكبي في كتابه آثار السلطة المطلقة التي لا يجدها قيد في الحاكم والمحكومين على السواء، ليصل آخر الأمر إلى أن كل علنا يمكن أن ترد آخر الأمر إلى الاستبداد، وحينما حدد الداء قدم حلا لهذه المشاكل، وهو

(1) المؤتمر العربي الأول-28.
(2) طباع الاستبداد-الكواكبي-54-55.
(3) المصدر السابق نفسه-77.
التخلص من الاستبداد. ويكون ذلك بالطريقة التالية: (1) إن الوسيلة الوحيدة
المعالجة لقطع دابر الاستبداد هي ترقية الأمة في الإدراك والإحساس، وهذا لا يتأتي إلا بالتعليم والتحميس.. ومتبني قاعدة، وأنه يجب قبل مقاومة الاستبداد
قائمة مما يستبدل به(1).

لقد كانت هذه الكتبات من أبرز القضايا التي تبنتها الجمعيات القومية.
بكل قد يقال إن الجمعيات القومية العربية لم تؤسس إلا لتحقيق هذه القضايا.
ومتبارض القومية لموضوع الاستبداد قد يظهر عليه التأثر بالثورات الفرنسية،
حيث عرض في كتابه طبائع الاستبداد سبيلين من سبيل الإصلاح في نظره وأثنى
عليهما، فأولهما: (سبيل النبين) وثانيهما: (سبيل الفئة التي اتبعت أثرهم) يعني
فئة الحكماء الذين لم كانوا يدينون جديدا، ولا تمكنوا بمثابة كل دين، بل ارتفوا
فوق الدهر في دينهم بما تقاتوا وهذوا وسهلوا وقروبا) وضرب مثالاً لهذه الفئة
فذكر (مؤسسي جمهورية الفرنسية)(2).

والكتاب الآخر للكووكي هو كتاب (أم القرى) وهو عبارة عن أسلوب
محاضر جلسات مؤتمر تخيّل انعقاده في مكة لبحث شؤون المسلمين، وما ألم يحم
والإسلام وطرق معالجة ذلك، يحضره علماء وزوّام المسلمون، من أثنيين
وعشرين قطراً من أنظمة العالم الإسلامي، قد اجتمعوا في مكة للحج. وناقش

(1) المصدر السابق نفسه-147.
(2) الفكر العربي الحديث أثر الثورة الفرنسية في توجهه السياسي والاجتماعي-رئيف خوري-121.
(3) وانظر: طبائع الاستبداد-92.
المجتمعون أحوال المسلمين. ويدعون في سياق ذلك بالاستبادية والظلم وانتقاد الحرية.

وبعد أن تبادلوا الآراء في أكثر من اثني عشر اجتماعًا رسميًا، قرروا أن ينشئوا جمعية ترمي إلى إحياء الإسلام والنهوض به١، ونبذ سيادة الجهل والبدع والضلالات والتدجيل، ويرجون وجوب الرجوع إلى المبادئ الإسلامية من حق وعدل وحرية ومساواة وشورى وعلم وعمل، وإقامة خلافة عربية قروشية مستقلة للشروط الشرعية، وقائمة على أساس الشورى والحرية والحق، على أن يقوم في كل قطر حكم يقوم عليه الصالحون من أهلها بمصافحة الخليفة وعلى أساس الحرية والحق والشورى٢.

وكتاب أم القرى قد يكون أقوى صراحة في عباراته ومعانيه في مواجهة الدولة العثمانية، والحكم العثماني، حيث صرح الكواكي في أم القرى بأن الخلافة يجب أن تكون عربية، بل يجب إقامة خلافة عربية مقام الخلافة العثمانية، وألقى بذور الشك في صحة اعتبار السلاطين العثمانيين خلفاء المسلمين.٣

لقد أبرز الكواكي في (أم القرى) عدة قضايا فكرية هامة كانت سبباً في تأسيس الجماعات القومية العربية، وتمكن حصرها بالنقطة التالية:

١- تحقيق مطلب إقامة خلافة عربية قروشية:

١) يقظة العرب-جورج انطونيوس-١٧٠.
٢) نشأة الحركة العربية الحديثة-محمد عزة دروزة-١٤٢.
٣) الاتجاهات الفكرية عند العرب-علي المحافظة-١٣٢.
٤) واظر : أم القرى-عبد الرحمن الكواكي-٢٣٥١٢٥٢.
الجميلات القومية العربية وموقفها من الإسلام والسيادة

قال عبد الرحيم الكواكر: "الجميلات لا يعنيها غير أمر النهضة الدينية بناء
على رأي الجميات... أن يكون الخليفة، خليفة المسلمين، عربيًا قريشياً مستجمعًا
للشرايط في مكة".

وقد نادت الجميات القومية العربية بوجوب إقامة خلافة عربية قرشية
يكون مقرها مكة المكرمة، ويمتع الخليفة الديني باحترام الملك وملك سلطة
روحية فعلية على كافة مسلمي الأرض.

ولتحقيق هذا المطلب تبنّت الجميات القومية العربية قضية ومناصرة ثورة
الشرفي حسين بن علي، لإقامة خلافة عربية، فهو عريبي ينتهي نسبه بيبت
النبوة. كما تبنّت أن يكون مقر الخلافة في مكة. ويذكر نبيه العظمى أحد
أعضاء الجمعيات القومية العربية - في مذكراته أن الشرفي حسين كان يقول
لنا: "أنا خاتم في إصبعكم".

فسيكون طرح الكواكر لمسألة شروط اختيار الخليفة ومقر الخلافة، من
أبرز أسابيع اختيار الجمعيات القومية العربية للشرفي حسين قائدًا للثورة
العربية.

(1) أم القرى- الكواكر- 234.
(2) بقعة الأمالة العربية-جعفر عازوري- 202.
(3) انظر: التفاعلات الوطنية في الأدب المعاصر- محمد حسن- 1/1/184.
(4) الرفع العربي الأول (حياة وأوراق نبيه وعائشة العظمى)-جمع خبراء قاصية.
(5) من شروط الإمامة العظمى الفرضية: كما نضى على ذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله
و عن مسألة اشتراط الفرضية في الإمامة، انظر:
أ. مقدمة ابن خلدون- 247/1.
ب. الأحكام السلطانية-الموردي- 2.
ت. الفصل في اللمل، والألوار والباح- ابن حزم- 89/4.
ث. الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة-عبدالله الدميخي- 265.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

وتؤكد(1) لأحقية العرب بالخلافة بين الكواكب قيمة العرب وبالذات عرب الجزيرة ومكانة الجزيرة العربية، و مدى صلاحية أهلها أن يقوموا بالخلافة الدينية، لذا أصدرت الجمعية القرارات ومنها:

قرار عدد (2) إن الجمعية بعد الباحث الدقيق والنظر العميق في أحوال وخصائص الأمم المسلمين الموجودين، وخصائص مواضعهم، والظروف المحيطة بهم، واستعداداتهم، وجدت أن الجزيرة العربية وأهلها بالنظر إلى السياسة الدينية مجموعة خصائص وخصائص لم تتوفر في غيرهم، والتي منها:

1 - الجزيرة أنسب المواقع لأن تكون مركزاً للسياسة الدينية لتوسطها بين أقصى آسيا شرقاً وأقصى أوروبا غرباً.

2 - الجزيرة أسلم الأقاليم من الأخلاط الجنسية وأدباً ومذاهب.

3 - الجزيرة أبعد الأقاليم عن جحاورة الأجانب.

4 - عرب الجزيرة مستحكم فيهم التخلق بالذين لأنهم مناسب لطبائعهم الأهلية أكثر من مناسبته للغيرهم.

5 - عرب الجزيرة أحرص الأمم الإسلامية على الحرية والاستقلال(3).

(1) انظر:
(2) أم القرى- الكواكب- 18/1975.
وعلى منهج الكواكبي في قيمة الجنس العربي، قرر أعضاء الجمعيات القومية أن الدم العربي الأصلي ما زال حياً تمثلًا إلى الآن في جزيرة العرب، التي تشكل سكاًها بسائر مواطن العرب الأخرى... اتصالًا وثيقًا، والتي ظلت وما تزال تمدهم من أن آخر بحويتها المستمرة وموجاتها الكبيرة والصغرى الدائمة(1).

2 - الطعن في حكم الأتراك:
قد يكون هناك تلازم في الفكر القومي عند الكواكبي بين الثنائية على العرب، وبين القدح في الأتراك، وقد أكثر من ذم سلاطين الترك في كتابه أم القرى، من جوانب متعددة من أبرزها ما يلي:


وعن إعلان حكام الترك للإسلام وإقامة شرع الدين، بين الكواكبي أفهم يفعلون ذلك بقصد الرياء، فإذن لا يراءون بالدين إلا بقصد تمكن سلطتهم على البسطاء من الأمة، كما أن ظواهر عنقدهم وبواطنها تحكم عليهم بأهم مشركون ولو شركاً خفياً من حيث لا يشعرون(3). فاحترام الشعائر الدينية في

(1) نشأة الحركة العربية الحديثة-محمد عزة دروزة- 21.
(2) أم القرى-الكواكبي-171.
(3) المصدر نفسه-37.
أكثر ملوك آل عثمان هي ظواهر محضة، وليس من غرضهم، بل ولا من شأفهم أن يقدموا الاهتمام بالدين على مصلحة الملك (1).

ب - ضعف قدرة سلاطين الأتراك على سياسة البلاد: الترك قد تركوا الأمة أربعة قرون ولا خليفة، وتركوا الذين تعبث به الأهواء ولا مرجع، وتركوا المسلمين صماماً بكمياً عمياً ولا مرشد. أليس الترك قد تركوا الهند مساهلة، وتركوا الممالك الجسيمة الآسيوية للروسين، وتركوا قارة أفريقيا الإسلامية للطامعين... أفما آن لهم - الترك - أن يستيقظوا ويصبحوا من النادمين على ما فرطوا في القرون الخالية، فيتكون الخلافة لأهلها والدين لحماته (2).

ووقعت حوارات بعد إعلان الدستور، أظهرت عند أعضاء الجمعيات القومية حقيقة ضعف الأتراك على إدارة الدولة، فمن تلك: موقف حكومة الاتحاديين من غزو إيطاليا لطرابلس الغرب، وكتابة معاهدة بينها وبين إيطاليا في عام 1912 تقضي باعتراف تركيا بسيادة إيطاليا على طرابلس وأن تكون خاضعة خضوعاً تاماً للسيادة الملكية الإيطالية. فكان لهذا الصلح أثره السبئ على أعضاء الجمعيات القومية العربية، مما جعل عزيز علي المصري - مؤسس جمعية العهد - يترك طرابلس الغرب ويعود إلى الأستانة، وأصبح يقال ويشاع: (إن الترك قد سلموا العرب لأعدائهم) (3).

(1) المصدر نفسه-278.
(2) المصدر السابق-279.
ومن صور قدم الكواكبي في حكام الأتراك، قضية توزيع الزكوات، حيث قال: إن شريعتنا مبنية على أن في أموال الأغنياء حقاً معلوماً للبائس والمحتاج، فيؤخذ من الأغنياء ويوزع على الفقراء، وهذه الحكومات الإسلامية، قد قلبت الموضوع، فصارت تجري الأموال من الفقراء والمساكين وتذهب للأغنياء، وتخيب هما المسربين والسفهاء (1).

وعلى غرار ما أخذ الكواكبي على سلاطين الدولة العثمانية، سلكت الجمعيات القومية العربية هذا المسأله متأثرة بكتابات الكواكبي، فما قالوا: (لم يهم الترك منذ أن استولوا على البلاد العربية وعلى الخلافة بالتفاهم مع العناصر الأخرى التي يحكمونها، ولا سيما العنصر العربي، وقد جعل هذا العنصر بعد ثورة 1909 يشكو من سوء ما يعامل به، وكيف أن المراكز التي جعلت للعرب في الوزارات المختلفة كانت ثانوية لا تتكافأ مع أهميتها، ثم بينوا هضم حق العرب - وقالوا: كأن الترك يخفون منا، ومن عدنانا، ومن فكرتنا الاستقلالية (2).

ويعتبر أعضاء الجمعيات القومية الدولة العثمانية بأنها دولة مختلة للبلاد العربية، وأن اعتقادات المسلمين بالخلافة العثمانية، قوى نفوذ الدولة العثمانية وسهل حكمها تسهيلًا كبيرًا. بل إن فكرة (الخلافة العثمانية) ساعدت كثيرًا على استسلام العرب للحكم العثماني، وأثرت كثيرًا نشوء فكرة القومية العربية (3).

(1) أم القرى-الكواكبي- 360.
(2) العرب والترك- توفيق برو- 190.
(3) إنظر: البلاد العربية والدولة العثمانية- ساطع الحصري- 29 و 36.
وقد بين عبدالله العريسي أثناء انعقاد المؤتمر الأول الذي عقد في باريس، أن الحكومة العثمانية تعامل الجنسيات العثمانية معاملة الغالب للمغلوب على قاعدة (حق الفتح)، وأكد بأن الدولة العثمانية إذا استطاعت أن تدعو (حق الفتح) في بلاد البلقان مثلاً فلا تستطيع أن تدعه لا حقاً ولا حقيقة في البلاد العربية... فإنما نحن الرعاة لا الرعية.

3— العداء بين العرب والترك:

قد يكون إثارة موضوع الخلاف بين الترك والعرب من الموضوعات التي أثرت بعد إعلان الدستور، ومحاولة فرض سيطرة أعضاء تركية الفتاة على زمام الحكم ومن ثم الدعوة إلى تمويه الدولة، إلا أن في كتابات الكواكبي نجده طرح مسألة الخلاف بين الترك والعرب، مما يؤكد أن كتاباته تعد من أبرز أسباب تغيب العرب لعروبتهم.

وقد استعرض الكواكبي قضية عدم تطبيق الأخلاق بين الرعية والرعاة، وبسبب أن هناك أحماً مختلفاً قد تخللت بأخلاق الرعية، واتخذت معها في عوادها ومشاربها حتى ولو في العوائد غير المستحسنة في ذاكها(1).

وبعد هذا العرض لموقف الدولة العثمانية من رعاياها، قال: (فلم يشذ في هذا الباب غير المغول الأتراك أي العثمانيين، فإنه بالعكس يفتكرون بمحافظتهم على غيرية رعاياهم لهم، فلم يسعوا باستراكمهم كما أسف لم يقبلوا أن

(1) المؤتمر العربي الأول-44-44.
(2) أم القرى-الكواكبي-18.
لا يعقل لذلك سبب غير شديد بغضهم للعرب كما يستدل عليه من أقوالهم التي تجري على ألسنتهم مجرد الأمثال في حق العرب: كإطلاقهم على عرب الحجاز (دلمجي عرب) أي العرب الشحاذين.. وتعبيرهم بلفظة عرب عن الرقيق وعن كل حيوان أسود. وقوهم (بن عرب) أي عربي قذر..(1).

لقد كانت هذه الكلمات من المرات عند العرب للتحيز لعروبتهم، كما قال أحمد قدري: "أنه شاهدنا ضابطنا تركيا يخطب في جمهور غفير عن حسنت الدستور والعهد الجديد وعن مساورات العهد البائد، ويتناول أثناء ذلك على اثنين من كبير خاصية السلطان عبد الحميد، وما عزت العابد، والشيخ أبو الهدى الصيادي، فسارتهما بقوله "الخائن عرب عزة" و"الخائن عرب أبو الهدى" (2).

4 - فصل السياسة عن الدين:

من أبرز المسائل التي ناقشتها الجمعية في اجتماعها، مسألة علاقة السياسة بالدين، وما مدى علاقة الخليفة (الديني) تنظيم الدولة.

لقد كان من مبادئ جمعية أم القرى، كما في القضية (41): لا تداخل في الشؤون السياسية مطلاقا فيما عدا إرشادات أو إخطارات بمسائل أصول التعليم وتعيمه (3).

(1) المصدر نفسه-169-170-1956.
(2) مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى-أحمد قدري-6-13-دمشق-1956.
(3) أم القرى-الكواكبي-199.
وعن قرارات وأنشطة الجمعية ما ورد في القضية رقم (43): تتجول الجمعية في البلاد الإسلامية القريبة وال بعيدة، لاطلاع على أحوال البلاد وأهلها من حيث الدين والمعارف، وإرشادهم إلى ما يلزم إرشادهم إليه في ذلك حسبما تقتضيه الأخوة الدينية، بدون التعروض للأحوال السياسية قطعاً (1).

وهذا حدد مجال نظر الجمعية بأنه منحصر في النهضة الدينية فقط، وتؤمل أن يتأتي النظام السياسي تبعاً للدين، ولكن الأصل في قرار الجمعية: أن السلطان المعظم يصح أن يكون عضداً عظيماً في الأمر، أما إذا أراد أن يكون هو القائم به فلا يتم قطعاً، لأن الدين شيء والملك شيء آخر، والسلطان غير الدولة(2).

وبعد فصل السلطة السياسية عن الدين، أصل الكواكب قواعد ومهام الخلافة، في نظر الجمعية، فقال:

فقراة (2): يكون حكّم الخليفة سياسة مقتضأا على الخطة الحجازية، ومربوطاً بشورى خاصة حجازية.

فقراة (4): تتشكل هيئة الشورى العامة من نحو مائة عضو منتخبين، مندوبين من قبل جميع السلطات والإمارات الإسلامية، وتكون وظائفها منحصرة في شؤون السياسة العامة الدينية فقط.

فقراة (1): الخليفة لا يتداخل في شيء من الشؤون السياسية والإدارية في السلطات والإمارات قطعاً.

(1) المصدر نفسه-2009.
(2) المصدر نفسه-228-227.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

فترة (14): الخليفة لا يكون تحت أمره قوة عسكرية مطلقاً، ويذكر اسمه في الخطة قبل أسماء السلاطين ... أما وظائف ​​الشورى العامة فيقضي أن لا تخرج عن تمحيص أمهات المسائل الدينية التي لها تأثير مهم في سياسة الأمة، وتأثر قوياً في أخلاقها ونشاطها. ومن ذلك: فتح أبواب حسن الطاعة للحكومات العادلة والاستفادة من إرشادها وإن كانت غير مسلمة، وسد أبواب الانقياد المطلق ولو لثقل عمر بن الخطاب (1).

ولقد أكثر أعضاء الجمعيات القومية العربية من الحديث في مسألة الظلم والعدل، والطاعة المستنبة والطاعة المطلقة، وقرر أعضاء الجمعيات القومية العربية أن حكومة الآستانة غير مستوفية الشروط والأركان من وجهة العدل مادام حقناً غير محفوظ، لأن الحكومات في نظر (إعلان حقوق الإنسان) لا تكون مشروعة إلا إذا احترمت حق الأفراد فمن باب أولي حق الجماعات والشعوب (2).

5- الحكم المركزي واللامركزي عند الكواكري:

في تحديد مهام الملك عند الكواكري يظهر طرره لمبدأ الحكم المركزي واللامركزي، فقد قال: الملك وظيفته النظارة العامة وانتخاب وزير يتثق بأخلاقه، ويعتمد على خبرته... فالمملك إذا تغير وتبدل للتدخل في أمور السياسة أو الإدارة الملكية أو الأساليب الحربية أو القضاء، فلا شك أن يكون كرنب بيت

المصدر السابق: ٢٣٠
المؤتمر العربي الأول: ٤٩٤
يدخل طباخه في مهنته، ويشارك بسانتيه في صنعه، فيفسد طعامه وبيور بسانته، فيشتكى ولا يدرى أن آته في نفسه (1).

ويندرج هذا الحكم على الأمة، فتصال بالفتوحات الذي من أبرز أسبابه: السياسة المطلقة من السيطرة والمسؤولية. وحرص الأمة من حرية القول والعمل، وفقدان الأمن والأمل، وكذلك فقدان العدل والتساوي في الحقوق بين طبقات الأمة، وإبعاد الأمراء النبلاء والأحرار وتقييمهم المتقلدين والأشرار. وينتج من هذا فقدان قوة الرأي العام بالحجر والتفرقة (2).

لقد ركز الكواكبي على مطلب الحكم اللامركزي، وبين أن اللامركزية في الحكم، لا تتحقق بتوجيه القوانين في الدولة، مع اختلاف طبائع أطراف المملكة، واحتفاظ الأهلاني في الأجناس والعادات، وأكد الكواكبي ضرورة أن يحصل كل قوم من أهالي تركيا على استقلال نوعي إداري، يناسب عاداتهم وطابع بلادهم، كما هي الحالة في إمارات ألمانيا وولايات أمريكا الشمالية.

وبعد أن بين الكواكبي مفاسد الحكم المركزي، وحقوق الحكم اللامركزي، ذكر أن الدولة العثمانية تطبق الحكم المركزي، ذاكرًا بعض صور مركزية الحكم في ذلك، منها:

التمسك بأصول الإدارة المركزية مع بعد الأطراف عن العاصمة وعدم وقوف رؤساء الإدارة في المركز على أحوال تلك الأطراف المنبيرة وخصوص

سكانها.

(1) أم القرى-الكواكبي- 177.
(2) المصدر السابق- 160.
وكل ذلك: التزام المخالفات الجنسية في استخدام العمال بقصد تعسر التفاهم
بـ بين العمال والأهالي، وتعذر الامتناع بينهم لتأميم الإدارة غائلاً الاتفاق عليها.
والتمييز الفاضح بين أجناس الرعية في الغنم والغرم، وإدارة المصالح المهمة
السياسية الملكية بدون استشارة الرعية ولا قبول مناقشة فيها. وإن كانت إدارة
مشهودة المضرة في كل حركة وسكن.

وهـذا المسلك غير محمود في الحكم، كان من آثاره على الدولة العثمانية
كـما ذكر الكواكبيـ أن الدولة العثمانية وقعت في الغفلة أو التغافل عن
مقتضيات الزمان ومباراة الجيران وترقية السكان، بسبب عدم الاهتمام بالمستقبل
والضغط على الأفكار المبتهة بقصد منع نموها ونموها وإطالةها على مجارى
الإدارة، معانها ومعايبها(1).

إن قضية الحكم اللازمكري شغلت حيزًا كبيرًا من مطالب الجمعيات
القومية العربية، ولـذا أسس أعضاء الجمعيات القومية العربية جمعية باسم
(الجمعية اللازمكرية). وخلال المؤتمر العربي الأول تناول أعضاء الجمعيات
القومية العربية، قضية الحكومة اللازمكرية، وكان أكثر من تناولها بالتركيز،
مندوب الجمعية اللازمكرية (اسكندور عمون) (2).

ويتفق مفهوم الحكومة اللازمكريه عند الجمعيات القومية العربية، مع
مفهوم الكواكبي، بأنها توزع السلطة الإدارية على المراكز المحتلة التي يتألف

(1) أم القرى-الكواكبي-161-166.
(2) انظر الترجمة رقم (1).
(3) المؤتمر العربي الأول-98-104.
منها الجسم السياسي والاجتماعي، عوضًا عن حصرها في جزء واحد مركزي، لتيسير لكل جزء الاهتمام بتدبير شؤونه الخاصة به بنفسه عن علم، مع حفظ الصلة بالمركز حرصًا على مصلحة الكل.

وتعتبر مجلة (المنار) ما قدمته من كتابات حول موضوع فوائد الحكم اللازمي، تأسيسًا لهذه القضية، فقد قامت (المنار) بدراسة مقارنة عن فوائد الحكم اللازمي، وضرر المركزي، مبينة أن الحكومة العثمانية قد أعجزها تنائي أطراف المملكة، وخلاف لغات وأجناس ومشارب أهلها عن تنفيذ قوانينها في كل ولاية، فجاءت اللازمية توزع ال🎶 على أفراد الأمة بمقدار ما تعطيهم من السيطرة على مصالح الوطن... وتصل دراسة (المنار) إلى أن الحكومة المركزية غير قادرة على الدفاع عن أكثر البلاد العثمانية إذا هاجمت عدد أجنبي، ولذلك فإن المملكة ستكون عرضة لخطر الزوال، وبالتالي تكون الحكومة المركزية مهددة بفقد الاستقلال.

الولاية والبراء عند الكواكب:
إن ما كتبه الكواكب عن موضوع الولاية والبراء يمكن من حصر القضايا التي تناولها في المناقشة، بما يلي:

(1) مجلة دراسات تأسيسية-السنة الرابعة-العدد الحادي عشر-ربع الأول 1403هـ. مقال بعنوان تطور مفهوم اللازمي عند العرب العثمانين-سيلة الزياوي.
(2) مجلة المنار-المجلد السادس عشر-الجزء الثالث-8 مارس سنة 1913.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

أ— الرابطة القومية مقدمة على الرابطة الدينية: قال الكواكبي (يا قوم واعني بكم الناطقين بالضاد من غير المسلمين. أدعوكم إلى تناسي الإساءات والأحقاد، وما جناه الأباء والأجداد، فقد كفينا ما فعل ذلك على أيدي المثيرين، وأجلكم من أن لا تندوا لوسائل الاتخاذ وأنتم المتنورون السابقون. فهذه أمم أستراليا وأمريكا قد هدتها العلم لطرائق شرية، وأصول را система للاتحاد الوطني دون الديني، والوفاق الجنسي دون المذهبي، والارتباط السياسي دون الإداري...

ويستاء الكواكبي... فما لنا نحن إلا نفكير في أن نتبع إحدى تلك الطرق أو شبهها، فيقول عقلاً لنا لمثلي الشحناء من الأعاجم والأجانب: 

دعونا يا هؤلاء نحن ندير شأنا نتفاحب بالفصحة، وتراحم بالإخاء، وتتواسى في الضراء، وتتساوي في السراء، دعونا ندير حياتنا الدنيا ونجعل الأديان تحكم في الآخرة فقط، دعونا نجمع على كلمات سواء أو هي (فلتحيي الأمم، فليجي الوطن، فلنحيا طلقاء أعزاء).

لقد كانت هذه الكلمات ومشابهاً، من أبلغ الحجج عند أعضاء الجمعيات القومية، في تأسيس الجمعيات القومية العربية على أساس الرابطة القومية، وأن يقولوا: استطاعت المثل العليا المشتركة أن تجمع بين العقائد المتناحرة، وتوحدها في رابطة إيجابية فعالة، تعمل لتحقيق أهداف مشتركة، وأن يكون الحاكم لهم إلى العمل هو اهتمامهم بتقدم البلاد على أساس الوحدة الوطنية. كما أصبح الرابط الذي يؤلف بينهم هو اعتزازهم بالتراث العربي.

(1) طبائع الاستباد-الكواكبي-110-111.
(2) بقطة العرب-جورج انطونيؤس-119.
ب— معركة العرب للغرب: إن النهوض العلمي المادي في الدول الغربية كان من عوامل انهيار الكواكي بالدول الأوربية، ووجود الأخذ بما عندهم من الصغير والكبير. فهذا أن تطور العلوم الرياضية والطبيعية في أوربا: أخذت هذه العلوم تنمو في الغرب، وعلى مر القرون، ترقت وظهر لها ثمرات عظيمة في كافة الشؤون المادية والأدبية، حتى صارت كالشمس، لا حياة لذي حياة إلا بناورها، فأصبح المسلمون مع شاسع بعدهم عنها محتاجين إليها. جبراهيم، احتيالا يعم الجرائم والكليبات: من تربية الطفل إلى سياسة الممالك... بل أضحى المسلمون محتاجين للحكمة العقلية، التي كادت تجعل الغربيين أدري منا حتى في مباني ديننا. (1)

ويقرر الكواكي أن بدأ معركة المسلم للغرب، والأخذ عنهم من الشؤون المادية والأدبية، ويعم الجرائم والكليبات: من تربية الطفل إلى سياسة الممالك. أنه بدأ لا يجاهل الإسلام، حيث أن أصل الإسلام لا يستلزم الوحشة بين المسلمين وغيرهم، بل يستلزم الألفة، وذلك أن العرب أنفسهم حلووا من البلاد جذروا أهلها جحسن القدرة والمثال لديهم ولغتهم. ويشمل بدأ الألفة للغرب كما قرره الكواكي لو أن العرب استعمروا بلاد المسلمين، فيقول: إن المسلمين لم ينفرموا من الأمام التي حلت بلادهم وحكمتهم، فلم يهاجروا منها كعدد تونس ومصر بخلاف الأثراك، بل يعتبرون دخولهم تحت سلطنة غيرهم من حكم الله لأمهم بذعنون لكلمة رحم تعالى ´وَلَتَّكُنْ أَيْامُ نَذَّارُكُمْ بِيَدِ الْمَسِيحِ مَسِيْحٌ لِّلْعَلَامَاتِ´ (2).

---

(1) أم القرى-الكاواكي-3-54.

(2) المصدر السابق نفسه-243-244-244-244. وعن موقف الكواكي من الجهاد. انظر: أم القرى-242.
ج - تفضيل الحكم الأجنبي الكافر على حكم الأتراك: انطلاقاً من داعم مقاومة ما يسميه الكواكبي -ظلم واستبداد حكام الأتراك. فضل حكم من سماه الكافر العادل على حكم الأتراك، إذ أن حكام الترك حينما يضاف إلى شركتهم ما هم عليه من الظلم والجور، يحكم عليهم بالشرع والعقل بأن ملوك الأجانب أفضل منهم وأولى بحكم المسلمين، لأهم أقرب للعدل وإقامة المصالح العامة، وأقدر على إعمار البلاد وترقية العباد (1). قد يكون من أسباب تفضيل الكواكبي حكم الكفار أفظل: لا يخذرون من الخلافة العربية، بل يرون من صوالحهم الخصوصية، وصالح النصرانية، وصالح الإنسانية أن يؤيدوا قيام الخلافة العربية (2).

وينقم الكواكبي على من ينتقد طالبي الإصلاح وخاصة حينما يتعرضون لنقد أمراء المسلمين، فيقول عن معارضي الإصلاح: يعتبرون طالبي الإصلاح من المارقين من الدين، كأن مجرد كون الأمير مسلماً يغني عن كل شيء حتى عن العدل، وكأنه طاعته واجبة على المسلمين، وإن كان يخرب بلادهم ويقتل أولادهم ويفقودهم لسليمهم لحكومات أجنبية (3).

٧- التنظير في مسألة تأسيس الجمعيات:

في كتاب الكواكبي (أم القرى) إشارات وتصريحات في فضائل الجمعيات، وقد تعتبر بعض الآراء التي ذكرها الكواكبي، في مقام التنظير لتأسيس الجمعيات

(1) أ.م الفري - الكواكبي - ٣٧.
(2) المصدر نفسه - ٣٤ - ٤٤.
(3) المصدر نفسه - ٤٣.
الجمعيات القومية العربية وموقعها في الإسلام والمسلمين

القومية العربية، ومن تلك الآراء، قال الكواكبي: "إن الجمعيات المنظمة يتسبب لها البناء على مشروعها عمراً طويلاً.. وتأتي بأعمالها كلها بعزائم صادقة لا يفسدها التردد.. وهذا هو سر كون الجمعيات تقوم بالعظائم وتأتي بالعقوبات، وهذا لا يعد أن يتم لنا اتقاد جمعية منظمة تنعقد الآمال بناصيتها، ولا ينبغي الاستسجال مع الوفهم إلى أن الجمعيات معرضة في شرقنا ليتم السياسة فلا تعيش طويلًا، ولا سيما إذا كانت قهوة ولم تكن كغلاب الأكاديميات (أي المجتمع العلمي) تحت حماية رسمية، بل الألقاب بالحكمية والحرم الإقليمية والنبات وتوقع الخير إلى أن يتم مطلوب.. انظام جمعية يكون لها صوت جهوري، إذا نادي مؤذناً حي على الفلاح.. ووظيفتها الأساسية أن تنحى بالأمة من وهدة الجهالة وترقى بما في معارف المعرفة، متباعدة عن كل صيغة سياسية".

ويعتبر عبد الرحمن الكواكبي فقدان الجمعيات في بلاد المسلمين من أسباب انفجار المسلمين، يقول: "لا تربية قوية المبادئ، ينتج منها رأي عام لا يطرقه تنازل وانقسام، ولا جمعيات منظمة تسعي بالخير وتبني السير، ولذلك حل فينا الفتور.. فلا تفقد الجمعيات إلا بسبب فقد الإحساس".

إن ظهور الفتور في الأمة في رأي الكواكبي بسبب فقد قوة الجمعيات وشدة دوام قيامها. حيث أن دور الجمعيات عند الكواكبي أها تسعى إلى:

أولاً: لتنوير الأفكار بالتعليم، ثانياً: إيجاد شوق للترقي في رؤوس الناشئة.

---

1) أم القرى-الكواكبي- 18
2) المصدر نفسه- 59.
3) المصدر نفسه- 161.
4) المصدر نفسه- 192.
وهذا الاختلاف الذي حل بالمسلمين، لا يوجد بالأمة الغربية — كما يقول الكواكب — لاهتمامهم بوسائل الاتصالات والتعاون، فذكر من تلك الوسائل: إعدادهم في مدنهم ساحات ومنتديات، تسهيلًا للتعاون والذكارات وإلقاء الخطاب وإبداء التظاهرات. ومنها: نشرهم في الجرائد اليومية كل الوقائع والمطالعات الفكرية(1).

هذا بعض ما قدمه الكواكب من أطروحات قومية، كانت مع الأسباب الأخرى — سبباً من أسباب نشأة الجمعيات القومية العربية.

ومن خلال العرض السابق يلاحظ أن الكواكب قد وقع في خلافات عقائدية، وذلك في تحريره لجميع من المسائل القومية، وسترجي المناقشة في باب مستقبل إن شاء الله تعالى.

السبب الثالث: دور الصحافة في نشأة الجمعيات القومية:

والسبب الثالث من الأسباب الفرعية في نشأة الجمعيات القومية العربية الصحافة، كما يؤكد على دورها قول البازودي — أحد أعضاء الجمعيات القومية — في مذكراته: بدأت عيونا تفتح على الحقائق القومية حول السنة 5 1906-1924هـ). بدأت أطالع بعض الصحف المصرية التي كانت تسرع إلى دمشق، فقلعت الأهرام والمؤيد، ولا أدري كيف تصل إلى دمشق لأنها كانت متنوعة. وأذكر أن بعض أصدقاءي كمحم التريبة الخطيب وعثمان مردم بك، كانوا يأتون بعدد أو عددين من الجرائد المصرية

(1) المصدر السابق - 13.
ويتلقوا إلى عدد محدود من أصدقائهم من الشباب الناشئين، فيمر العدد من يد ليد بصورة خفية، دون أن يطلع على ذلك أحد(1).

فكان أعضاء الجمعيات القومية يقولون: ظالمًا شاقًا استطلاع الأخبار فتستقطبا من بريد أجنبي أو جريدة في سفارة أو دار قنصلية... وليس هذا كل البلاء إذ لو حرمنا علينا الكتابة في جرائدنا وأبيح لنا قراءة الصحف المنتشرة في سائر الأقطار لقلنا شر أهون من شرين ولكن هيهات. حظرت المراقبة قراءة كثير من الجرائد المنتشرة في كل بلاد الله ولا سيما ما صدر في مصر(2).

لقد ظهرت جهود فردية مبكرة في نشر المبدأ القومي بالجانب الصحفي. تمثلت بصحيفة (نفيز سوريا) وهي صحيفة أسبوعية سياسية. وكذلك صحيفة (السراج) وهي صحيفة سياسية أدبية تصدر كل أسبوعين وتولى إصدارهما بطرس البساتني(3)، وغيرها من الصحف. إلا أن هذه الصحف ركزت على قضية ما يسميه القوميون بالتسامح الديني، والدعوة إلى التوفيق بين العقائد المختلفة، وذلك تعايشًا مع النظام المقرر (الإصلاحات) التي قدمتها الدولة العثمانية على الأمة الإسلامية وكأن من أبرزها: عدم التفرقة بين المواطنين في الحقوق والواجبات، دون النظر إلى مذاهبهم أو أطماعهم القومي، وحرية الممارسة للشعائر الدينية لكل المذاهب، وعدم تطبيق عقوبة الإعدام على المرتدين(4).

---

(1) مذكرات البارودي-فخري البارودي-1965/1.
(2) الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده- سليمان البساتني-1989.
(3) بقية العرب- جورج إنتونيوس-1911.
لذلك جاءت أكثر المقالات مركزاً على الانتقاء القومي دون الديني;
مثال ذلك ما نشرته صحيفة الجنان عام 1970 (122 هـ) :(لا أمل لنا
بالعاصبة الدينية لأن زمان النبوة قد مضى وقد تركنا الدين. والتمسك بالعاصبة
الدينية في هذا العصر هو سبب الضعف والتأخر، ولا سبيل للنجاح إلا بتركي
والتمسك بالعاصبة الوطنية.)

ويشتر أعضاء الجمعيات القومية إعلان الدستور إعلاناً لحرية الصحافة،
وفتحت لباب الصحافة على مصراعيه، فصدرت في دمشق أول بريدة يومية
وطنية وهي بريدة (المقبس) محمد كرد علي، وكانت إدارتها جمعية للعلماء
على اختلاف أقطارهم، وما لاشك فيه أنها كانت الأولى التي نهجت أذهان
الناس إلى واجبهم نحو وطنهم وكان يصدر منها يومياً (1000) صحيفة.)

وعن دور هذه الصحف في نشأة الجمعيات القومية وإشاعة الفكر القومي,
يقول محمد كرد علي: إن الصحف قد علمتهم بسائط من التاريخ وحال الأمم
وسياست السياسيين وقوانين المشرعين واستعمار المستعمرين وتدليس
المدبرين ... ولا حياة للأحفاد بدون الأخذ من سيرة الأجداد، والاقبال من
المدنية الحديثة كل ما لا ينقطع منهم مشخصهم ومقداسهم. علمتهم أن لا
قيام لأمرهم إلا بالقومية العربية، وأن نغمة الدين وحدها لا تنجبهم بما هم فيه
لأن التساهل بأمور الدين والدنيا يذهب بالدين والسند معاً.)

(1) مجلة (الجنان) 1870 نقلاً عن سليم البستاني-سلسلة الأعمال المجهولة-ميشال حضا-116.
(2) تطور الصحافة السورية في مائة عام(1865-1965) وجوزيف الياس-181.
(3) خطط الشام-محمد كرد علي-482-مكتبة النوري-دمشق-الطبعة الثالثة-1403هـ.
وقد كانت بعض الصحف القومية تنص على أهدافها، فمن ذلك صحيفة
القبس التي قال عنها شكري العسيلي (١) أحد أعضاء الجمعية البارزة:
الغاية من إصدارها في هذه الآونة هي تنوير الفكر العام بث الحقائق العلمية
ونشر الأخبار الصحيحة وإحياء شعور الأمة ... فإن كانت الأمة جاهلة فيجب
عليها أن نعلمنها، وإن كانت غافلة فينغي لنا أن نوقظها، وإن كانت تائهة
فهـم علينا أن نرشدها، وإن كانت قانصة فالواجب يقضي علينا أن نغرس في
قلبها غرس الأمل الواسع (٢).

وقد صرحت صحيفة (الشعب) في عددها الأول والذي صدر عام ١٩٠٩,
بأن من مبادئ (الشعب): التهذيب، الانتقاد العادل، صدق الوطنية، تشجيع
الناشئة وترقيتها .. ومن أخص مبادئ الشعب: مساعدة الجمعيات والأندية
الأدبية والمدارس والمكاتب والسعي في نشر ما طويا من محسن اللغة العربية (٣).

لقد أصبحت الصحف العربية تبحث في المسائل التي تطلب بها الجمعيات
القومية، فمن ذلك الدفاع عن العنصر العربي، والتغني بأحادي العرب بمناسبة أو
غير مناسبة، وتمتد بالإجراءات المتخذة ضد العنصر العربي. كمثال أعني نوان
(المسألة العربية)، وما جاء فيه .. إن ظنمة عربي وتركي لا يسوغ أن تقال في
عصر الاستبداد، فهل يلبق أن يتلظف بما في عهد الدستور. وإن كان بعض

(١) انظر الترجمة رقم (٣٨).
(٢) تطور الصحافة السورية في مائة عام (١٨٦٥-١٩٦٥)- جوزيف الباس-٢٠ دار النضال- بروت-الطبعة الأولى-1٩٨٢، وانظر: القبس-العدد الأول-30 أيلول ١٩١٣.
(٣) تطور الصحافة السورية-١٢٤.
أفرادنا يشككون من حرمانا من الوظائف العالية، ثم دعني المقال إلى المساواة بين العرب والترك، وتعليم اللغة العربية (1).

وتشيّر الصحف الصادرة في مصر الصحف العربية الأخرى في إثارة القوميين في تأسيس الجماعات الخاصة بهم، فمن تلك الصحف صحفة (مصر)، ففي بِيان منهج الصحيفة قال محررها : (مسلكي أن أكتشف حقائق الأمور ملزماً جانباً التصريح متحفاً عن التعرض والتلميح وأن أجلو مبادئ الحرية وآراء ذوي النقد، وأن أبين ما يظهره البحث عن عواقب الحوادث ومقاصد أهل الحل والعقد... ومخصصًا أن أثير بقية الحماسة الشرقية، أهيج فصالة الدم العربي، ورفع الغشاعة عن أعين الساذجين، وأن يُغَيِّب في قلوب المارين، ليعلم قومي أن لهم حقًا مسلوبًا قيلمهم ومالًا مهنوًا فيطلبهم وليخرجوا من خطة الخساف ويبدوا عليهم كل مدرس يشترى حقوقهم مثناً قليلاً (2).

وكان شكري غانم يكتب في الصحف الباريسية وبين آراءه في السياسة العثمانية الخارجية والداخلية، وكان يحمل الحوادث، ويورد الأخبار عن تعصب الترك لعنصريتهم، ومحاولتهم تثري их العناصر غير التركية، وحكم الدولة حكماً مركزيًا، وحرمان تلك العناصر من حقوقها (3).

---

(2) صحيفة مصر-العدد الأول-24 كانون الأول عام 1879، نقبلاً من كتاب: الاتجاهات الفكرية عند العرب-علي المحافظة-20.3.
(3) العرب والترك-توقيع برو-150.1.
جميع مقالات شكري غامش الصحفية تركزت على مطالب الجماعات القومية العربية، ومن مقالات شكري غامش: لم يهتم الترك منذ أن استولوا على البلاد العربية وعلى الخلافة بالتفاهم مع العناصر التي يحكمها، ولا سيما العنصر العربي. وقد جعل هذا العنصر بعد ثورة 1909 1 يشكو من سوء ما يعامل به، وكيف أن المراكز التي جعلت للعرب في الوزارات المعاقبة كانت ثانوية لا تتكافأ مع أهميتها...\(^1\)

لقد حدثت بعد إعلان الدستور حرب بين الصحف التركية والصحف العربية، مما جعل بعض الصحف العربية تنسح المجال لكتاب العرب الذين يهجرون حكومة الاتحاد والترقي، ويطالبون بتأسيس الجماعات القومية. ومن تلك الصحف (مجلة المنار) والتي تصدرها رشيد رضا، وتعتبر الناشئة بلسان الجمعية الامركية. فأصدرت حكومة الاتحاديين مذكرة توقف يحق، نشرها في (المنار) بهذا النص: مذكرة أخذ وقبض بحق الشيخ محمد رشيد رضا. الفار إلى مصر، وصاحب ومحرر جريدة (المنار) الهذينة، والموظف عليه بالتاجر على نشر مواد الحكماة المعلنة في الورقة المذكورة\(^2\).

وقد صرحت بعض الصحف القوية بنقد حكومة الاتحاديين، كما في المقال الصادر في صحيفة (دليل حمص)، وما جاء فيه: ليس من عربي في سوريا يجري فيه دم آبائه وأجداده يتقاعس عن طلب الإصلاح، إن السوريين يريدون

---

\(^1\) معضلة الشرق، أو الأقطار العربية المحترقة- فير الله خير الله- 42.

\(^2\) المنار- مجلد 12- الجزء 9- أكتوبر 1909- ص 716.
أن يحيوا، وليس من حائل يقف في سبيل مطالبهم الحقة. بلاد العربية تنجذب أصداً رداً مرددة طلب الإصلاح.

وتؤكد صحفية (المقتبس) على حقوق العرب، ومن أمثلة ذلك مقالاتها بعنوان: (الترك والعرب) عام 1327هـ، وفيها مطالبة بمساواة العرب بالأعراق، وإعادة حقوقهم المتعاطبة في العهد البائد، وأتسع ذلك في عام 1328هـ. مقالة هي (الترك والعرب) وفيها يدعو المقال إلى وحدة العناصر وينبى إلى أن جرائد العاصمة الأسنانة تكتب ضد العرب.

ولتضمن الصحافة وتأييدها للجمعيات القومية، ما اتخذته بعض الصحف. من إجراءات حينما يعرض بعض أعضاء الجمعيات القومية، أو الجمعيات القومية نفسها لأدي، حينما رفضت حكومة الاتحاد والترقي مطالبة جمعية بيروت الإصلاحية، واعتبرت الجمعية غير قانونية، في عام 1321/1913هـ صدرت جميع الجرائد بيروت، وعلى صفحاتها الأولى قرار الوالي بإلغاء الجمعية وإقفال النادي، ضمن إطار أسوأ دلالة على الحداد، وتركت الصفحات الأخرى بيضاء.

ويؤكد أعضاء الجمعيات القومية في خلال حكم جمعية الاتحاد والترقي، بفتح باب الحرية أكثر في المجال الصحفي، وقد صدر قانون الصحافة العثماني في


(2) المقتبس-العدد 18- تاريخ 10 كانون الثاني- 1909.

(3) نشوء القومية العربية-زين نور الدين زين- 99.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

أواسب عام 1909 يقضي بأحكام مختلفة على كل صحفي يهين السلطان أو القنصل أو السفراء ... بمقدار من الحبس تختلف بين أسبوع أو 15 يومًا إلى ستة أشهر، مع غرامات نقدية، كما كان من مواد القانون مادة تقضي بالتعطيل لمدد مختلفة. وقد تكون لأجل غير مسمى.

لقد طالب أعضاء الجمعيات القومية العربية: بأن تباح لهم راوية الأخبار وترديد صدى الأفكار، والنظر في شؤون أنفسهم من إلقاء درس مفيد وعرض مقترح جديد ونقذ عامل وعمل، والبحث في كل ما من شأنه أن يلد ويهدب ويفيد. وعلى الجملة إطلاق الحرية إلى مالا يفضي بهما إلى الفوضى.

وفي الجانب الآخر اتخذت أكثر الصحف العربية في تأييد حزب (الحرية والاتحاد) المعارض لجمعية الاتحاد والترقي، فقد نشرت صحيفة المقتبس مقالة لـ شكري العسالي، بعنوان: (حزب الأحرار المعتدلين). وفي هذه المقالة يشرح شكري العسالي مواد نظام الحزب، ويعلق عليها. وفي مقالة أخرى بعنوان (الحزب الجديد) بقم حتى العظم... أحد مؤسس حزب الaml الكرة... وفيها تعرف وافي بحزب (الحرية والاتحاد) ودفاع عن خطته وسياساته، فكان مما قال: (قد يسر الله هذه الأمة حزب الحرية والوفاق أو حزب الأحرار الموتلف لتكون مخلصة للأمة والوطن من الاستبداد الذي خلف استبداد عبد الحميد).

(1) انظر: الأهرام، العدد 9548 9599 و9595 و9596 و9597 و9598 و1909/10/11. نقلًا من: العرب والترك. 155.
(2) الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده- سليمان البيستاني. 33.
ولبيان منهجية بعض الصحف المؤثرة في تأسيس الجمعيات القومية، أبين
فعودجاً منها وهي صحيفة (المقططف)، التي تعتبر من أبرز صحف الجمعيات
القومية العربية، وذكر محرروها سياسة الجلالة: الأوروبيون أنفسهم على كثرة
المتعلمين منهم ورواج الكتب العلمية عنهم رأوا أن لا بد لهم من إنشاء جرائد
علمية تذيع المعارف بين الخاصة والعامة، وتنشر أخبار العلماء وتحقيقهم حال
حدودها. وقالت مجلة المقططف: وقد اقتنينا هم في ذلك منذ 19 سنة فأنشأنا
المقططف واعتنى اعتمادًا خاصًا بنشر ما ليس في كتابنا العربية. فتجدد في كل
جزء منها المقططف شيء من نتائج ما حصلناه بالدرس والتدريس وما
حصلنا أشهر علماء الأرض في آسيا وأوروبا وأمريكا وما كتبوه وخلدوا به
ذكراهم (1).

لقد فتحت مجلة المقططف النهج القومي العلماني، حيث كانت أفكار
مؤسساتها الماسونين القوميين النصارى ظاهرة عليه، وهم شاهين مكاريوس،
وفارس غر، وتعتبر (المقططف) من أكثر الجертв الصادرة عن خارج سيطرة
الدولة العثمانية، تأثيرًا في تأسيس الجمعيات القومية العربية.

وحيثما تقدم (المقططف) في مقالاته عن الثورات الغربية، والثناء على
مؤسسي الثورات والجمعيات في الدول الغربية، فإنها تؤكد على مبدأ الائتداء
بهم والسير على منهجهم. كما تقول في أحد مقالاتها: ومن يطالع (المقططف)
وهو جالس في بيته وبين أهله يجد فيها مقالات غلادستون التاريخية، ثمرة ذلك

(1) المقططف-الجزء 12-من السنة 18-سبتمبر 1894-ص 792.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

العقل العظيم، الذي يدير الممالك كما يدير الربان السفينة، وقد أفرغ فيها نتائج درسه وبحت منه 700 عاماً.(1)

واتبعت الصحافة القومية أسلوب الترجمة للذين تخرج بهم نشرها في الصحف، مثل ذلك كتاب (التحفة الأدبية) للدبلوماسي المفكر الفرنسي هنري غيرو الذي ترجمه ونشره أعضاء الجمعية السرية، والكتاب من الغلاف إلى الغلاف يدعو إلى نظام سياسي مثمناً خصوصاً على الصعيد الديمقراطي.(2)

وتضفي مجلة المقتطف عبرة النهاء والمدح على علماء وقادة الشرق والغرب، من الملاحدة والكافرين كأرسطو طاليس وأفلاطون وكتن، ونيوتن وبونابرت.(3)

لقد أيضت الصحافة الأذهان، وحملت إلى قراءتها لواء الدعوات السياسية والفكرية المختلفة: التحرر والوحدة الوطنية والإقليمية... والقومية العربية.(4)

وغير ذلك من الموضوعات السياسية الحساسة، التي كانت تحتل الوضع السياسي والوطني السائد في ذلك العهد. ونشأ عن التفاعل بين الحركات الوطنية والتقدمية في العالم سلسلة من الكتب والأبحاث، نقلت إلى المجتمع العربي

المصدر نفسه.

(1) صحافة الكرواتي-حان داية-32.
(3) الإتجاهات الفكرية عند العرب في عصر الهضة-علي المحافظة-30.
الأفكار وما بعدها جديدا على(1). وهكذا كان المراقبون في الدولة العثمانية يهتمون
اهتمامهم خاصا بالصحافة والطباعة، ويخضعونها على الدوام لمراقبة دقيقة
وصاصرة. ما كان يضوع للجريمة نشر كلمة واحدة، ولو كانت في باب
الإعلانات، دون أن تحصل على موافقة الرقيب الدائم(2).

السبب الرابع: دور نصارى العرب في نشأة الجمعيات القومية:

بلاحظ في تاريخ تأسيس الجمعيات القومية العربية الدور البارز الذي قام
بـ(3) نصارى العرب، وقد كان النصراوي يشعر دوما بأنه واحد من (رعاية)
السلطان وأن الحكومة التركية لا يمكن لها أن تكون حكومته(4).

ما من صلة دينية، ولا صلة قومية تصل النصراوي العربي بالدولة العثمانية.
وتاريخ النصارى يعود إلى سنوات بعيدة. يتقدم تلاميذها النصارى عن تاريخ
تاريخ العثمانيين على السواء، وكانت توجه إليهم أن لا يبالوا بتاريخهم
المسلمين وحدهم(5).

وbecue مدیر القنصلية العامة الفرنسية في بيروت أن واقع نصارى العرب في
الدولة العثمانية كان من أبرز الدوافع لتأسيسهم جمعيات على أساس قومية

(2) البلد العربية والدولة العثمانية-ساعط الحضيري-88.
(3) عن دور نصارى العرب في تأسيس الجمعيات: إنكار: سقوط الدولة العثمانية-محمدي الصافوري-223-234.
(4) نشوء القومية العربية-زين نور الدين زين-60.
(5) القومية العربية-مصطفى الشهابي-43.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

الجمعيات القومية العربية، وذلك في رسالة لوزير الخارجية باريس، حيث يقول: (لقد تحمل المسيحيون دوماً، بناءً على الدير الفرنسي، فس Ebony تركي، التي بسبب روح التعصب وحب الاستفادة كانت تفضل دائماً فهم واستغلالهم، مضيطة عليهم الخناقات عوضاً عن كسبهم إلى قضيتها عن طريق إشرافهم بحكومتها، لم تكن لتقعهم بقبول فكرة وطن عربي، ويعتبر مسيحيون هذه البلاد أنفسهم في حالة عبودية كما يتمكن الاحتلال الأجنبي الذي يتضمن منه تحريرهم (1).

ويعتبر نصارى العرب أول من بدأ في تأسيس الجمعيات على أسس قومية، وأوضح برمان على ذلك دور بطرس البستاني وناصيف اليازجي، الذي قال عنه أعضاء الجمعيات القومية العربية بأحما: دعوا إلى التوافق بين العقائد المختلفة، وإلى الاتحاد والتعاون في طلب المعرفة. لأن المعرفة تؤدي إلى الاستنارة العقلية، والاستنارة العقلية تؤدي إلى القضاء على التعصب وتحل محله المثل العليا المشتركة بين الدينين (2).

لقد اتفق اليازجي والبستاني مع المنصرين في تأسيس الجمعيات القومية العربية، كجمعية الآداب والعلوم، (الجمعية الشرقية) (الجمعية العلمية السورية)، وشارك في ترجمة التوراة إلى العربية، وكان لهما جهود علمية تمثلت في تأليف الكتب المختصرة لاستعمل في المدارس التنصيرية، وإلقاء المحاضرات في الجمعية الأدبية الليبية حثا الأمريكيين على إنشائها، وكتابة النشرات لهذه

(1) بلاد الشام-وجه كورثاني-254.
(2) يقظة العرب-جورج انطوني-114.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

الجمعية (1). التي تضرب على وتر الوحدة الإسلامية والمسليحة من الوجهة الوطنية والقومية (2).

وعلى آثار البساتي واليازجي في تأسيس الجمعيات القومية العربية، سلك نصارى العرب، أمثال: نور الدين محمد، في المشاركة في تأسيس جمعية بيروت الإصلاحية، ونجيب عزوزي في تأسيس جمعية رابطة الوطن العربي، وأسعد داغر في المشاركة في تأسيس المنتدى الأولي، وإسكندر عمو ناباً ومشاركاً في تأسيس حزب الاعلام شروط ميشيل عفلق تأسيس حزب البعث. الخ.

وقد أكد أعضاء الجمعيات القومية العربية، على أن تأسيس جمعية بيروت السرية يعتبر أول حاوله لإثارة الفكر القومي، وكان الذي تولى نشأة جمعية بيروت السرية نصارى العرب الذين درسوا في الكلية السورية- الجامعة الأمريكية - (3).

ومن أبرز مساندي نصارى العرب، المطالب التي قدمها نصارى العرب في جمعية بيروت الإصلاحية، للقتلية الفرنسية العامة في بيروت، بعد أن بينوا كم في رسالتهم- ما معنا التعصب بين المسلمين (الأتراك) وبين النصارى. وهذا كان من أمالي النصارى في سوريا (إن نصارى سورية مرتبطة


(2) الفكر العربي في عصر النهضة- أ. م. حوراني- 127.

(3) نشأة الحركة العربية الحديثة- محمد عزة دروزة- 94.

(4) نشأة القومية العربية- زين نور الدين زين- 60.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

بفرنسا ارتباطاً فائياً، وهم لا يمكّنهم إلى الأبد أن ينسوا ما يدينون به من إكبار لعظمتتها وحضارتها ومن اعتراف لعظمتها عليهم أيام الشدة. إن "الأمنية الكبرى" لمسسيحي سورية هي بسط الحماية الفرنسية على سورية وإما الحكم الذاتي لولاية بيروت تحت حماية فرنسا ورقابتها الفعلية، من أمثلة التعبير الدينى الذي ذكره نصارى العرب ما وقع عليهم في حرب البلقان، حيث قالوا عن هذه الحرب: (إن الحرب البلقانية حرب دينية، حرب صليبية، حرب الصليب ضد الهلال، حرب المسيحية المتحالفة ضد الإسلام). من هنا، لا يتعادل المسلمون أن وجود المسيحيين في الإمبراطورية العثمانية هو السبب الرئيسي في انهازام وإفراز الأترك. وتصل عقلية المسلمين في الواقع إلى حد اعتبار المسيحيين المسؤولين الفعليين عن المصائب التي تحل بالإمبراطورية، إلى حد اعتبارهم الأعداء الحقيقيين.

وإضافة الصبغة الدينية في حرب البلقان، وأن المسلمين (الأترك) قد استغلو الحرب لإبادة النصارى عموماً ونساري العرب خصوصاً، كما في رسالة الأعضاء النصارى جمعية بيروت الإصلاحية، يخالف كتاتب من حضر الحرب وعاش الآثار المترتبة على الحرب البلقانية، الذين ذكروا أن منشورات

1) بلاد الشام- ويجه كورثاني- 271، وانظر: المارونية في لبنان قديماً وحديثاً - 368.
2) انظر: تاريح حرب البلقان الأولى والثانية- برسف البستاني- 332 وما بعدها- مطبعة الهلال- القاهرة
3) العرب والترك- توفيق برو- 338
4) تاريخ الدولة العثمانية- علي حسون- 284.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

رسمية ظهرت قبل الحرب، من قبل ملوك البلقان، تصف الحرب البلقانية بألم حرب صليبية.

وحينما دخلت الجيوش البلقانية إحدى الولايات العثمانية فاتحين مشي فيها كسائر رجاههم الدينيين بملابسهم المذهبة التي يتزينون بها في الحفلات الدينية الكبرى. وفي مقابل ذلك رفض السلطان العثماني إعلان الجهاد، وجندت الدولة العثمانية جنودًا من رعاياهم البلغارين والصربيين واليونانيين، فإنها ظنت أن وضعهم في مقدمة ألوان من المسلمين يضطهم إلى إطلاق النار على أعداء الدولة، ولكنهم كانوا يطلقون رصاصهم في الفضاء كما قال غير واحد منهم. ولما لاحت بارقة النصر في جانب إخوائهم في الجنسية والدين طاروا إلهم ورموا طرابيشهم ووضعوا القبعات على رؤوسهم.

وتقرر مبدأ أن الحرب البلقانية حرب صليبية، فقد نشر جماعة من القسس في مقدونيا رسالة قالوا فيها: إن الواجب المفرض على كل (مسلمي) أن يقدم روحًا إسلامية على هيئة الكنيسة، فكان لتلك الرسالة صدى عظيم فأخذ الجنود يعملون بهذه الوصية. فقال أحد الضباط: إن خير وسيلة لنشر لواء الرحمة والسلام في ألبانيا إذا هي إبادة المسلمين فيها، وإلزام عدد من المسلمين أن يدينوا بالنصرانية.

(1) تاريخ حرب البلقان الأولى والثانية- سليمان الباستاني- 194.
(2) المصدر نفسه- 25.
(3) المصدر السابق- 182.
(4) المصدر نفسه- 178 و 185.
فاستغلال الحرب البلقانية لمبدأ التعصيب الأديني — كما في رسالة أعضاء جمعية بيروت الإصلاحية — إنما كان من قبل نصارى البلقان، وليس المسلمين الأتراك.

لقد وجد نصارى العرب جمالاً لتميزهم الأمة الإسلامية، والقضاء على هذا الدين من خلال مشاركتهم في تأسيس الجمعيات القومية العربية، فكان من قال نـِدرة مطران وهو نصراني وأحد أعضاء جمعية بيروت الإصلاحية، وتربطه علاقات وثيقة مع أقطاب السياسة الفرنسية(1) قال خلال انعقاد المؤتمر العربي الأول: عُهد إلي أن أبحث عن الوسائل التي تكمل حفظ الحياة الوطنية ووقاية البلاد العربية العثمانية من المطامع. وربما قصد الذين اختاروا لهذا الموضوع خطيباً مسيحياً أن يصحوا معه مواضيع أخرى مهمة كبيان تضامن مسلمي ومسيحيي العرب... إن العرب متحمسون بالجنس قبل الدين، وهي قضية الشعوب الحية فضيلة الشعوب التي لا تريد أن تموت. وما زال هذا الولاء مستحكمًا بين المسلم والمسيحي.(2).

ومن المنطلق القومي رفض أعضاء الجمعيات القومية العربية من النصارى، مبدأ الوحدة على أساس الدين الإسلامي، فيقول أحد أعضاء الجمعيات القومية العربية، من النصارى: لم يكن بين أصدقائي الذين قامت النهضة على أكتافهم أم على جماجمهم، سواء في سوريا أم العراق أم فلسطين أم لبنان أم غيرها، من

---

يجل في الإتخاذ الفكره الإسلامية أساساً للوحدة والاستقلال، بل إقليم جمعاً يعملون على تعزيز الروح القومية البحتة وإحياء مجد العرب على أساس هذه الروح.

ومسأئرة لهذا المبدأ الجاهل، تبني بعض المسلمين من أعضاء الجماعات القومية العربية هذا المبدأ، فيقول أحد أعضاء الجماعات القومية، من المسلمين: (إننا لا نبني نظريتنا في القضية العربية على أساس وحدة الدم والجنس والدين فقط، وإننا نبنيها أيضاً على الأساس القومي.. وهو وحدة الوطن واللغة والمصلحة.. وظاهرة هذا الأساس أوصع شمولاً وأرحاب صدراً من نظرية الدم والجنس والدين. لأنه يعتبر به عربياً قومياً كل متكلم باللغة العربية وليس له لغة أم غيرها، ومستقر بالوطن العربي..).

---

(1) مذكرات على هامش القضية العربية- أسعد داغر- ٤٦.

(2) نشأة الحركة العربية الحديثة- محمد عزة دروزة- ٣٩. وانظر: القومية العربية- مصطفى الشهابي.
الفصل الثالث
الأهداف العامة للجمعيات القومية العربية

المبحث الأول:
1. الانفصال عن الدولة العثمانية واستقلال البلاد العربية
2. قيام خلافة عربية بدلاً عن الدولة العثمانية
3. فصل السلطنة الدينية عن السلطة السياسية
4. تحكيم الدستور

المبحث الثاني:
1. الولاء القومي مقدم على الولاء الديني
2. تقرير مبدأ الولاء للقومية العربية
3. نشر الأفكار الغربية النصرانية
4. تطبيق الحكم الديمقراطي في البلاد العربية
الفصل الثالث
الأهداف العامة للجمعيات القومية العربية

من خلال استعراض التعرف بالجمعيات القومية العربية، وبيان ظروف نشأتها في الأمة الإسلامية خلال القرن الرابع عشر الهجري، يتبين أنها نشأت أو أنشئت في البلاد العربية لأهداف معينة ومحددة، كما في بيانات بعض هذه الجمعيات أو تصريح الأعضاء المتسببين لها، وفي هذا الفصل سوف أبين أهم أهداف الجمعيات، وهي كما يلي:

المبحث الأول:
الهدف الأول: الانفصال عن الدولة العثمانية واستقلال البلاد العربية. (1)

يكاد يكون أبرز الأهداف العامة عند الجمعيات القومية، الانفصال النامي عن الدولة العثمانية، بل إن بعض الجمعيات القومية لم تؤسس إلا لهذا الهدف. إن علاقة الجمعيات القومية العربية بالدولة العثمانية وموقف الجمعيات منها، سواء في مرحلة إعلان الدستور، أم في مرحلة مشاركة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى ... وغيرها من المباحث المتعلقة بهذا الموضوع سأتناوله إن

(1) انظر: سقوط الدولة العثمانية وأثره على الدعوة الإسلامية-مجدي عبدالمجيد الصافوري-155.
الجمعيات القومية العربية ووفقها من الإسلام والمسلمين

شاء الله بالدراسة والبحث في الباب الثالث، ولكن في هذا البحث أستعرض بعض النصوص الورادة عن أعضاء الجمعيات القومية، التي تدل على أن من أهداف الجمعيات القومية العربية استقلال البلاد العربية عن سيادة وحكم الدولة العثمانية.

وقد قال محمد عزة دروزة — أحد أعضاء الجمعيات القومية العربية — عن خطط الجمعيات القومية العربية: كما نعمل بتحفظ وتحيا بسري في سبيل إيقاظ الروح العربية وتحريك الشعور العربي، والتذكير بأجداد العرب والتوجه لاستقلال العرب الذاتي أو التام بالكتابة والخطابة.

ولتحقيق الانفصال عن الدولة العثمانية ومستقلة البلد العربية، سلك أعضاء الجمعيات القومية العربية، ثلاثة محاور، وهي:

1. المطالبة بتعيين نواب من العرب في المجالس المختلفة:

بعد إسقاط السلطان عبد الحميد الثاني، تولت جمعية الاتحاد والترقي مقاليد الحكم وحدد سلطة السلطان العثماني بأعمال محددة كتعيين الصدر الأعظم وشيخ الإسلام، ومنح الصدر الأعظم حق اختيار الوزراء ورفع أسمائهم إلى السلطان للمصادقة عليها ... (1) الخ وأعلن ما يسمى بالدستور (2) الذي حدد فيه

(1) حول الحركة العربية الحديثة - 19/1/1926.
(2) نشأة الحركة العربية الحديثة - محمد عزة دروزة - 232.
(3) انظر مجلة الهلال-الجزء الأول من السنة السابعة عشرة - 1326/9/5- ص: 6.
تنظيم الدولة بحيث لا يكون للسلطان سلطة مطلقة. وكان الذي قام بهذا الانقلاب جمعية الاتحاد والترقي والجمعيات القومية العربية.

ويصف أعضاء الجمعيات القومية العربية، تسلط جمعية الاتحاد والترقي على السلطة بقولهم: قامت جمعية الاتحاد والترقي بتقسيم الدوائر الانتخابية وفرض عدد أعضاء مجلس النواب بتخطيط لضمان الأكثرة للعنصر التركي. وحرصوا على أن يكون المنتخبون من المتسنين إلى جماعتهم المتحمسين لما سواء أكانوا مسنًا الترك أم غيرهم. وحرصوا بقدر ما أمكنهم أن يكون من نواب البلاد العربية أتام من العنصر التركي.

وبالنسبة لأصحاب المناصب من العرب قبل إعلان الدستور، يقول أعضاء الجمعيات القومية العربية: قامت جمعية الاتحاد والترقي بتقسيم موظفي (العهد البائد)، وألفوا اللجان في الآستانة وعواصم الولايات، وأسفروا في عملية تنسيق موظفي العناصر غير التركية وبخاصة منها العرب. وكانت لجان التنسيق كي تفرق بين التركي والعبري تضع إلى جانب اسم العبري حرف (ع) في جداول التنسيق. ولم يبق عرب آخرون لهم من الأهمية والنفوذ من يذكر في مناصب الدولة.

---
(1) نشأة الحركة العربية الحديثة-298.
(2) مجلة المنار-مجلد 11 الجزء 12، يناير 1912، ص: 917، وانظر: مقالات رفيق العظم-132، العرب والترك-توافق برو-96.
كان لهذه الإجراءات الحزبية أثر عظيم على أعضاء الجمعيات القومية العربية، ولذا طالبوا المشاركة بمجالس الدولة، فكان مما قالوه: إن المراكز التي جعلت للعرب في الوزارات المتعاقبة كانت ثانوية لا تتكافأ مع أهميتها، وإن ما ناهلهم من الإجاح في مجلس النواب والأعيان(1) جعلهم يظنون بأن ثمة حركة ترمى إلى القضاء عليهم(2).

وأبرز مقصود جمعية الإخاء العربي العثمانية هو: معاونة جمعية الاتحاد والترقي في سبيل المحافظة على أحكام القانون الأساسي (الدستور) وجمع كلمة الململ المختلفة العثمانية بدون تفريق في الجنس والمذهب. وتمكن الرابطة الجامعة بينهم، وذلك لأجل خدمة الدولة العثمانية وإصلاح الشؤون المختلة. وسعى لإعلاء شأن الأمة العربية واتخاذ جميع الوسائط والتداريب لنشر أنوار العلوم والمعارف بين أبنائها كتأسيس مدارس وطبع جرائد .. وصيانة حقوق أبناء العرب جميعاً من الغدر والاعتداف وتبلغ شكاياهم، ومستدعياهم إلى مراجعة الرسمية(3).

ومن الموضوعات التي تم مناقشتها في المؤتمر العربي الأول موضوع (حقوق العرب في المملكة العثمانية)، وما جاء فيه غمثل العرب حقهم في المجالس

(1) في بداية عهد عبد الحميد ورغبته في مشاركة الجمع في شؤون الدولة أصدر قراراً بتنظيم مجلس عوامي يكون من مجلسين أحدهما ينتخب الأهالي أعضاؤه ويسمى مجلس المبوعون أو النواب، والآخر يعين أعضاؤه من طرف الدولة ويسمى مجلس الأعيان، وكان ذلك سنة 293 هـ. انظر:
(تاريخ الدولة العليإ- 55).
(2) معضلة الشرق أو الأقطار العربية الحررة- حب الله خير الله- 44. تعريب عارف النكدي.
(3) انظر: ص (75) من الرسالة.
المختلفة في الدولة العثمانية، وقال عبدالغني العربي: نحن أعضاء الجماعيات القومية (المؤتمر) نطلب تمثيلنا فيه المجالس على استحقاق حفظا لكرامتنا وممتلكتنا السياسية. ونساء الناس عن قلة نواب العرب في هذه المجالس مع أن عدد العرب يفوق غيرهم في هذه المملكة، فإذا عرفنا أن انتخاب النواب أصبح بين أيدي من احتكروا السلطة واستلموا الإدارة زال العجب. وما دام أقدام حق لهذه الأمة مغموطاً وهو حق التمثيل فإننا نشعر إذا صممنا على أن ننتدبر بالوسائط التي تصون حقوقنا في هذه المجالس سواء في زيادة نوابنا أم حرية تمثيلنا (1).

وـ نبـ أن تبتت الجماعات القومية العربية الدفاع عن دعوة حضم حقوق العرب، وعدم تمكينهم للمشاركة في المجالس، أو مشاركة العدد الذي لا يتناسب مع حجم أعداد العرب في الدولة العثمانية، رافق هذا الدفاع المطالبة باستقلال البلاد العربية عن الدولة العثمانية (2).

2. المطالبة بالحكم اللا مرزكي:

انفصال البلاد العربية عن الدولة العثمانية يعتبر مرحلة أخارية من أهداف الجمعيات القومية العربية، وقبل الوصول إلى هذه المرحلة مرت مطالبة الجمعيات بمرحلة الحكم اللا مرزكي، وقد صرح أعضاء الجمعيات القومية العربية بهذا الترتيب، ومن ذلك قول محمد عزة دروزة: إن الجمعيات القومية

(1) المؤتمر العربي الأول - ختامة عبدالغني العريسي- 45.
(2) انظر: عن واقع بعض المجالس المشتركة بين الاتراك والعرب والبعدة عن الصبغة الإسلامية: العرب والاترك- توفيق برو- 233-238.
المؤسسة للحركة العربية (كانت تهدف إلى قيام كيان عربي قومي يضم جميع بلاد العرب، ويعني له استقلال ذاتي تحت تأسيس السلطان العثماني المشترك، ثم تطورت إلى الانفصال عن الدولة العثمانية وإنشاء مملكة عربية كبرى تشتمل على أقطارهم المتعددة)... وكانت هذه المطالب نتيجة للاتصالات التي جرت بين الشريف وأولاده من ناحية، والجمعيات العربية العرية التي تطورت أهدافها، وغدت مركزا في الوحدة العربية الشاملة من ناحية أخرى (1). ويفترد هذا الأمر تشدد جمعية الاتحاد والترقي على الأعضاء المنتسبين للجمعية اللامركزية (2).

وقد اتفقت الجمعيات القومية العربية على المطالبة بالإدارة اللامركزية في السلطنة العثمانية المؤلفة من عناصر مختلفة الأجناس والأديان واللغات والعادات.. وكما كان للحزب اللامركزي تأثير في هذه الفترة، فقد كان المنتدى الأديبي أيضاً أقوى عامل في بث الفكرة الوطنية في نفوس العرب. وبث الدعوة إلى الانفصال عن الترك وإعلان الاستقلال العربي (3).

3. طلب الحماية والاستشارية من الدول الاستعمارية:

ما لا شك فيه تأثر أعضاء الجمعيات القومية العربية بالعالم المصري، والذي كان من أسباب نشأة الجمعيات القومية العربية، وقد صرح أعضاء الجمعيات القومية العربية بهذا التأثر. وأن فكرة الانفصال عن الدولة العثمانية

(1) مختارات قومية- محمد عزة دروزة- 684- 683.
(2) إيضاحات عن المسائل السياسية التي جرى تدقيقها بدوان الحرب العربي المشترك بالعربية- 44- 44.
(3) مذكراتي على هامش القضية العربية- أسعد داغر- 36.
كانت بسبب ما حدث في العالم الأوروبي من صراعات ومنازعات دينية وسياسية في ظل الحكم الإقطاعي وتسخير عليه قوميات عديدة، نتج عن هذه الصراعات حركة قومية تهدف التخلص من السيطرة الإمبراطورية وتحقيق الذات لكل قومية.

إن هذه النتيجة التي ظهرت في البلاد الأوروبية سرت إلى الشرق بقضايا قومية مختلفة تركية وكردية وبلغارية.. عربية، وكانت تعيش هذه القوميات في نطاق الإمبراطورية التركية العثمانية ولتأثر الشرق بما حدث في العالم الأوروبي فقد سعت هذه القوميات للتخلص من سيطرة هذه الإمبراطورية وتحقيق ذاتها وسلطاتها(1).

وقال عبد الحميد الزهراوي – رئيس المؤتمر العربي الأول المنعقد في باريس: (جتنا أوربا ونريد أن نجيها كثيرون منا لتكبر عقولنا وهمنا برؤية أثاث العقول والهمم، جتنا أوربا ليزادد علمنا في حضارتنا وأساليب اجتماعها الرافي)... إن أوربا ليست هي الغول وإنما الغول سوء الإدارة وفساد السياسة(2).

فكانت هذه مواقف بعض أعضاء الجمعيات القومية العربية من البلاد المستعمرة، وتحت شعار الحرية والعدل ومناصرة المظلومين، تقدم بعض أعضاء الجمعيات القومية العربية بطلب الحماية من البلاد الاستعمارية. حيث كتب الأعضاء النصارى في جمعية بيروت الإصلاحية فرنسا طالبين منها الحماية حيث

---

(1) نشأة الحركة العربية الحديثة - محمد عزة دروزة - 1990 (بتصرف).
(2) المؤتمر العربي الأول في باريس - 1938.
أن تصاري سوريية مرتبطون بفرنسا ارتباطاً غائياً وهم لا يمكّنهم إلى الأبد أن ينسوا ما يدينون به من إكبار لعممتها وحضارتها ومن اعتراف ل تعالىهم أيام الشديد. إن «الأمنية الكبرى» لمسحيي سورية هي سبسط الحماية الفرنسية على سورية، وإما الحكم الذاتي لولاية بيروت تحت حماية فرنسا ورقابتها الفعلية. (1)

وتتناول الكواكب حكم الكافر لبلاد المسلمين، وذلك ضمن قضية المساواة بين حكم الكافر الفادل وبين حكم الظلم المسلم، وقرر أنه يحكم عليهم بالشرع والعقل بأن ملك الأجانب أفضل منهم أي من الأتراك - وأولى بحكم المسلمين، لأهب أقرب للعدل وإقامة المصالح العامة، وأقدر على إعمار البلاد وتربية العباد. (2)

وسعياً لطلب الحماية فقد انبذ أعضاء الجمعيات القومية العربية كاملاً القصاب - عضو جمعية الفتاة للسفر إلى مصر من أجل إبلاغ أعضاء الحركة العربية في مصر أن أعضاء الجمعيات القومية العربية لا يرضون بما دون الاستقلال المتانت لبلاد العرب، (3) وذلك أثناء تمثيل الدولة العثمانية للدخول في الحرب الأولى.

(1) بلاد الشام - رحيفة كزهري - 272. وانظر: المارونية في لبنان قديماً وحديثاً - 368.
(2) أم القرى - الكواكب - 37.
(3) انظر الترجمة رقم (16).
(4) أسسار الثورة العربية الكبرى - أمين سعيد - 38. 
وأما عن قبول المست عمر في البلاد العربية، فيجع الاستشارة، ففي المؤتمر العربي الأول – الذي يعتبر أكبر تمثيل عربي لأعضاء الجمعيات القومية العربية – استعرض المؤتمرون موضوع الاستعانة بالأجانب فما جاء فيه: لا تكون ناجحين بآي طريقة من طريق الإدارة إلا إذا استعنا في تنفيذها بمعارف الاختصاصين من الأجانب يوم يكونون مستشارين لنا. وأن الاستعانة بمعارف الأجانب الاختصاصين ليس فيها ما يخشى منه على جامعتنا السورية.

واعتبر الأعضاء أن الاستعانة بالأجانب لا يتناقض مع الحكم الا مركزي، إذ ليس في النظام اللازم كيري ما يمنع الاستعانة لا بالقرب ولا بالبعد، بل هو قادر على أساس الحاجة الداخلية لكل ولاية من الولايات... فإن برنامج حزب اللازم كيري نص على أن اختيار موظفي كل ولاية من حقوق مجلس إدارة تلك الولاية... فهو مطلق الإرادة في أمر الموظفين وفي كل الأمور الداخلية للولاية.(1)

ومن خلال هذه المحاور الثلاث، أبرز أعضاء الجمعيات القومية العربية تحقيق هدفهم: استقلال البلاد العربية عن الدولة العثمانية.

الهدف الثاني: قيام خلافة عربية بدلاً عن الدولة العثمانية:

تبنى الجمعيات القومية العربية - من منطلق المبدأ القومي - قيام خلافة عربية، وسعى أعضاء الجمعيات القومية العربية لتحقيق هذا الهدف وخاصة بعد تربيع الوافق بين العرب من جهة أعضاء الجمعيات القومية، وبين الترك من جهة جمعية الاتحاد والترقي.

(1) المؤتمر العربي الأول - 105
ولتحقيق هذا الهدف — بعد إسقاط السلطان عبد الحميد خاصته — اتخذ أعضاء الجمعيات القومية العربية بعض الوسائل لتبرير تحقيق هذا الهدف، ومنها:

1. اشتراع الفرشية في تولي الإمامة العظمى:

لا شك أن من شروط تولي الإمامة العظمى أن يكون فرشيًا، كما ثبت في السنة الصحيحة، ولكن استغل بعض أعضاء الجمعيات القومية هذا الأمر من مبدأ قومي، كما استغالت كثير من المبادئ الشرعية كالوحدة ومناصرة المظالم والولاء.. الخ المبادئ القومية.

ولذا قرر أعضاء الجمعيات القومية العربية أن العرب هم أولى بالخلافة، وأكدوا أن الإجماع على اشتراع الفرشية ثبت بالنقل والفعل ورواية رفاعة المحدثين، واستدل به المتكلمون وقتهم، ومذاهب السنة كلهم، وجرى عليه العمل بتسليم الأنصار وإذاعتهم لدي قريش، ثم إذاع السواد الأعظم من الأمة عدة قرون.

لقد شكَّك أعضاء الجمعيات القومية في صحة اعتبار السلاطين العثمانيين، خلفاء للمسلمين، كما ذكر ذلك ساطع الحصري، لفقدان شرط (النسب الفرعى) في سلاطين آل عثمان.. وعلى هذا السلاطين آل عثمان ليسوا خلفاء شرعيين، وأن الخلافة الإسلامية من حق العرب، ففيجب أن تعود إلى العرب.

---

وبين أعضاء الجمعيات القومية العربية أن حكام الدولة العثمانية قد سطوا على لقب الخلافة، وأن الآتراك الأعراب القادمين من بلاد النتر أصبحوا خلفاء للنبي العربي القرشي محمد (1). واعتبرت الجمعيات القومية العربية تسمية حكام الدولة العثمانية بالخلفاء، كان لمطامح سياسية، وذلك من جانبين:

الجانب الأول: لقد كان اهتمام السلاطين العثمانيين بلقب الخلافة لمداها العظيم في العصور الأخيرة خاصةً التي تكابله فيها ملوك أوروبا النصارى على الدولة، حيث كانوا يذهبون إلى أن ذلك يجعل دولتهم ذات مكانة وأهمية عند جميع المسلمين وبالتالي يجعل هؤلاء الملوك يترددون كثيراً في الإقدام على تحقيق مطامعهم في بلاد الدولة (2).

الجانب الثاني: إن اعتماد المسلمين بالخلافة العثمانية، قوي نفوذ الدولة العثمانية وسهل حكمها تسهيلًا كبيراً، وساعدت كثيرًا على استسلام العرب للحكم العثماني وأجرت كثيرًا نشر فكرة القومية في البلاد العربية (3). وأدى في الوقت نفسه إلى تخدير شعور المسلمين العرب واستنامة جمهورهم إلى الحكم العثماني (4).

لقد أصبح لقب (الخلافة) كما يقول أعضاء الجمعيات القومية العربية، ذا أثر عظيم في جماهير المسلمين في بلاد الدولة وخارجها حتى صار هؤلاء خاصة

(1) الفكر العربي في عصر النهضة-البرت جوران-318.
(2) نشأة الحركة العربية الحديثة-محمد عزة دروزة-187.
(3) ما هي القومية-ساطع الحصري-224.
(4) نشأة الحركة العربية الحديثة-محمد عزة دروزة-187.
يعتبرون أنفسهم مرتبطين بالخلافة العثمانية، ويتحمسون لها، ويفرحون لما تصيبهم منه نجاح، ويحزنون لما يلم بما من ملثمات. وكان ذلك من أسباب ما لقيته الحركة العربية والثورة العربية من تجهم في أوساط وجامع المسلمين في بلاد الدولة وخارجها.

وقبل وقوع الخلاف بين العرب والترك كانت مبادئ (جمعية) الكواكي، قد قررت: أن يكون الخليفة، خليفة المسلمين، عربيًا ظاهريًا مستمتعاً للشرايط في مكة. وقد قال بعض أعضاء الجمعيات القومية العربية: لقد كان في مطاوي الحركة العربية القومية قبل الدستور أفكار عديدة منها الدعوة إلى خلافة عربية. ومنها الدعوة إلى انفصال البلاد العربية عن الدولة العثمانية واستقلاها.

ويقول محـمد عزـة دروزة: حينما اشتد الخلاف بين أعضاء الجمعيات القومية العربية والترك، طمحوا إلى إعادة مجدهم القومي في ظل سلطان عرـب وراية عربـة.

ويعتبر أعضاء الجمعيات القومية العربية انفراد جمعية الاتحاد والترقي بالسلطة، وتسلطها الظلم على العرب خاصة ظلماً وأن هذا الظلم جرح قلوب

---

(1) المصدر نفسه-182.
(2) أم القرى-الكواكي-234.
(3) نشأة الحركة العربية الحديثة-محمد عزة دروزة-289.
(4) المصدر نفسه-187.
العرب جرةً أليماً. فزادت كراهتهم للأتراك، وأصبحوا يعمون زوال حكمهم ودولتهم. وأن العرب أحق منهم بالملك والخلافة والاستقلال.)

وقد استعرض أعضاء الجمعيات القومية العربية حكم الدولة العثمانية بلاد السين، وبناء أن الدولة العثمانية أهل اليمن في عرب مستمر، وقائدة دائما مع الدولة، لأسباب، من أهمها: أن الإمامة واجبة عندهم (الزيدية) كوجودها عند سائر المسلمين، إلا أنها متغدة في آل البيت. 1.

(1) مختارات قومية- محمد مزة دروزة- 8.
(2) الزيدية: هي إحدى فرق الشيعة، وهي تتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم. ساقوا الإمامة في أولادها فاطمة نبوة الله علنيها، ولم يجروا ثوب الإمامة في غيرهم، إلا أنهم جروا أن يكون كل فاطمٍ عالم شجاع سخي. وقد تبنت الزيدية منهج الاعتراف في مسائل الأصول. 

انظر: 1. مقالات الإسلاميين- أبو الحسن الأشعري- 129/1- مكتبة النهضة المصرية- الطبعة الأولى.
3. رسائل العدل والتوحيد- يحي بن الحسين- 68/2- دار الشروق- القاهرة- الطبعة الأولى.

(3) عن موقف الزيدية من الإمامة انظر: 1. رسائل العدل والتوحيد- يحي بن الحسين- 68/2.
2. مقالات الإسلاميين- أبو الحسن الأشعري- 1/133.
3. أصول الدين-عبد القاهر البغدادي- 278.
4. منهاج السنة النبوية- ابن تيمية- 350/1.

(4) مؤلفات رفيق العظم- 145. وانظر: مختارات قومية- محمد مزة دروزة- 139- 0- 140.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

واستنادًا للمبدأ القومي فقد اعتبر أعضاء الجمعيات القومية العربية إقامة
حكم عربي زيدي في اليمن، من ملاحم البقطة أو الحركة العربية الحديثة. 

ولتحقيق مطلب إقامة خلافة عربية ناصر أعضاء الجمعيات القومية العربية
شُرُورَة الحسين بن علي بعد أن تم التنسيق بين أعضاء الجمعيات القومية العربية
وبين فصيل بن الحسين في مسألة تحديد نفوذ البلد العربية، ويعتبر أعضاء
الجمعيات القومية العربية مناصرة الإخضير للثورة العربية بسبب مكانة الشريف
الفرسية التي لا تعادلها مكانة شخص آخر في العالم الإسلامي، تلك المكانة التي
تستمد فوامها من نسبه، فهو حفيد النبي القائم على الأملاك المقدسة. 

فكانت ثورة العرب بقيادة الحسين بن علي ضد الدولة العثمانية.

وقد صرح الحسين بن علي عن هدف من ثورته حين قال: (إن القصد
الأساسي من النهضة هو وحدة العرب واستقلالهم ببلادهم المعروفة بهما
كافة حقوق أبنائها بتشريع بين نحلهم وململهم وحقوقي كلما العالم).

ويؤكد أعضاء الجمعيات القومية العربية على دور الجمعيات القومية
العربية في ثورة الشريف حسين، حيث قالوا: يخطئ من يظن أن الثورة العربية
قامت على أكتاف الحسين بن علي الهاشمي وآله وحدهم، فالحقيقة أن تلك
الثورة كانت ثورة الشعوب العربية التابعة للدولة العثمانية.

(1) نشأة الحركة العربية الحديثة-محمد عزة دروزة-270.
(2) انظر: يفظة العرب-جورج انطونيوس-243.
(3) المصدر نفسه-241.
(4) القبلة-السنة الثامنة-العدد 737-تاريخ 1347/6/4.
(5) القومية العربية-مصطفي الشهابي-114.
367

وفما بعد أشار فيصل إلى تأثير أعضاء الجمعيات في إعلان الثورة، في خطاب ألفاه في دمشق يوم 5 أيار 1919 (1337هـ) بقوله: "ولا شك أن المسؤول في الحركة الثورية العربية هو أولًا، والدي ثم الحجازيون الذين قاموا بها فعلاً، أمّا السوريون فإنهم مسؤولون عنها معيّنًا لأهمٍ شوقوا الحجازين هذه الحركة، لهذا قام والدي بالحركة بعد أن أتت إلى سورية وقابلت بعض الرجال"(1).

2- تقرير مبدأ استعمار الدولة العثمانية للبلاد العربية.

يعتبر أعضاء الجمعيات القومية العربية أن البلاد العربية قد حضعت لحكم استعمار في ظل الدولة العثمانية، فقول أعضاء الجمعيات القومية: استولت الدولة العثمانية على معظم البلاد العربية، خلال القرن السادس عشر في مدة لا تتجاوز الأربعين عامًا. وبعد ذلك أخذ العثمانيون يغفلون غربًا وشرقاً وجنوبًا، ويستوطنون على البلاد العربية، الواحدة بعد الأخرى. وما يلاحظ أن استيلاء العثمانيين على البلاد العربية، إذا حدث عندما قاربت دولتهم ذروة بحدها(2).

كما أن إجماع الجمعيات القومية العربية، على أن أهم أهدافها مبدأ (استقلال البلاد العربية)، سواء أكان داخلياً أم استقلالاً انفصاليًا تاماً، بجميع

(1) الخماركة العربية - سليمان موسى - 1337 وانظر: الثورة العربية الكبرى - أمين مجيد - 26/2-27.

(2) البلاد العربية والدولة العثمانية - ساطع المصري - 7-9.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

معانيه الحقوقية والسياسية، دليل على أن الجمعيات القومية العربية، تعتبر الدولة العثمانية مستعمرة البلاد العربية.

الهدف الثالث: فصل السلطة الدينية عن السلطة السياسية:

لقد سبق بيان تأثر بعض أعضاء الجمعيات القومية العربية، بمبادئ الثورة الفرنسية، والتي من أبرز مبادئها (فصل الدين عن الدنيا).

ويُعتبر الكواكب أول من دعا إلى هذا الهدف من القوميين العرب، وذلك من خلال جمعية أم القرى، حيث يقول: لقد كان من مبادئ جمعية أم القرى، كما في القضية (41): لا تتدخل في الشؤون السياسية مطلقًا فيما عدا إرشادات أو إخطارات بمسائل أصول التعليم وتعليمه (1). حسبما تقتضيه الأخوة الدينية، بدون التعرض للأحوال السياسية قطعاً (3).

ومن مهام الإمام الأعظم عند الكواكب: أن يكون عضداً عظيماً في الأمر، أما إذا أراد أن يكون هو القائم به فلا يتم قطعياً، لأن الدين شيء والملك شيء آخر، والسلطان غير الدولة (3).

وبعد فصل السلطة السياسية عن الدين، أصل الكواكب قواعد ومهام الخلافة، في نظر الجمعية، فقال: في فقرة (12): الخليفة لا يتدخل في شيء من الشؤون السياسية والإدارية في السلطات والإمارات قطعاً.

(1) أم القرى-الكواكب-199.
(2) المصدر نفسه-200.
(3) المصدر نفسه-227-228.
الجماعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

وقال في فقرة (14): الخليفة لا يكون تحت أمره قوة عسكرية مطلقة، ويذكر اسمه في الخطة قبل أسماء السلاطين ..)1).

وكتب هذا المبدأ دعوت الجمعيات القومية العربية، حيث قررت أن تؤلف ولاية الحجاز الحالية مع منطقة المدينة المنورة إمبراطورية مستقلة يكون حاكمها في الوقت نفسه الخليفة العثماني لجميع المسلمين.

وظنهما بهذا الفصل أهم قد وجدوا كما قالوا – حلاً لصعوبة كبيرة بفصل السلطة المدنية عن السلطة الدينية في الإسلام من أجل خير الجميع الأكبر)2).

وقد حرصت مهام الخليفة كذلك حديث مكان إقامتها، بأنه سيكون لهذه الخلافة الدينية دولة سياسية مستقلة تماماً ، تشمل ولاية الحجاز الحالية ومنطقة المدينة المنورة حتى العقبة، ويتمتع الخليفة الديني باحترام الملك وملك سلطة روحيّة فعلية على كافة مسلمي الأرض... إن خليفة نبي الله يجب أن يتمتع بنفوذ أو هيبة روحية بلا منازع، ويجيب أن يبقى محترمًا لا ينتقد طوال حياته ولا يرتقي إلى سلطته ويجب أن تبقى عظمته مستقلة.

هكذا تكّون سلطته شاملة ويجيب من مقره – حكماً روحياً – جميع مسلمي العالم الذين يخفون إلى مقامات محمد المقدسة لتأدية (فريضة) الحج .)3).

1) المصدر نفسه- 230.
2) بقعة الأمة العربية - 37- نجيب عزوري.
3) بقعة الأمة العربية - 220- نجيب عزوري.
انطلاقًا من هذا الهدف القومي، أبد أعضاء الجمعيات القومية العربية،
الكتبات التي نادت بفصل الدين عن الدولة، فقد قالوا عن كتابات علي
عبدالرازق (1): إن أحسن المؤلفات التي عالجت مسألة الخلافة معالجة علمية
رزينة، هو كتاب (الإسلام وأصول الحكم).
وأما إدوي فيه: قوله علي عبد الرؤف: إن الدين الإسلامي بريء من تلك
الخلافة التي يتعارف عليها المسلمون. وبريء من كل ما هُيَأوا حولها من رغبة
ورحمة، ومن عزة وقوة، والخلافة ليست في شيء من الخطط الدينية، ولا القضاء
ولا غيرهما من وظائف الحكم ومراكز الدولة، وإنما تلك كلها خطط سياسية
صرفًا لا شأن للدين بما، فهو لم يعرفها ولم يشاركها، لا أمرها ولا نهي لنا
لرجع فيها إلى أحكام العقل وتجارب الأمور، وقواعد السياسة (2).
إن رأي عبد الرؤف في فصل السلطة الدينية عن السلطة السياسية يتفق مع
رأي أعضاء الجمعيات القومية العربية، حينما قلوا: لقد أصبح من الأمور
المسلمة لدى جميع الدول، أن السياسة شيء، والديانة شيء آخر، فلا يمكن إقامة
السياسة على الدينية، بصورة من الصور (3).
كما واعتبرت الجمعيات القومية العربية، أن تحكم الدين في أمور الدنيا
صورة من صور خلط الدين بالدنيا، وفيه أخطاء بشأن السماويات بمرجعها في

1) انظر الترجمة رقم (50).
2) الإسلام وأصول الحكم- علي عبد الرؤف- 102.
3) ما هي القومية- ساطع المصري-1989-199.
الأرضيات. وهذا يجعل للاعتقادات دخلاً في الأعمال، فتؤثر اختلافاتنا الدينية في أعمالنا العالمية فينشأ عنها ذلك الشقاق الذي طالما دمر الأمم وأتأت بالحروب والويلات(1).

فالواحجب تزبيها لقائم الدين كما تعتمده الجمعيات القومية العربية أن يضعوا أدبهم جانباً في مكان مقدس محترم، ليتمكنوا من الاتحاد اتحاداً حقيقياً ومراجعة تيار التمدن الأوروبي الجديد لمراحة أهله، وإلا جرفهم جميعاً وجعلهم مسخرين لغيرهم (2).

وقرر أعضاء الجمعيات القومية العربية، أن الحكم الدیني والحكم الاستبدادي ليسا فاسدين فحسب، بل هما غير صحيحين، فالحكم الدیني يرفع بعض الناس فوق سواهم ويستخدم السلطة لمنع نمو العقل البشري نمواً صحيحاً... والأمم تقوى بمقدار ما يعف الدين، فهذه أوربا فهي لم تصبح قوية ومتمدنة فعلاً إلا عندما حزم الإصلاح (إصلاح لوثر) والثورة الفرنسية سلطة الأكليروس — سلطة رجال الكنيسة — على المجتمع، وهذا يصح أيضاً على المجتمعات الإسلامية(3).

ومن هذا المنطلق القومي العلماني، أصبحت عبارة (الدين الله والوطن للجميع) تنادي بما الجمعيات القومية العربية، وقد استفتح ما فصل بين الحسين

(1) سلسلة الأعمال الكاملة - سليم البستاني-122.
(2) الفكر العربي في عصر النهضة - ألبرت حوراني-304.
(3) المصدر السابق نفسه-299-302.
الحكومات العربية الأولى قالتاً: (الدين الله والوطن للجميع، خن عرب قبل موسى وعيسى وموحدين، إن محمدًا لعربي قبل أن يكون مسلماً). ووقف بعض شراء الجمعيات القومية العربية، أمام الملك فيصل بن الحسين خلال حكمه في سوريا، قائلًا: فابداً بفصل الدين عن شرع الورى تبع الإمام إذا يسير أمامه.

الهدف الرابع: تحكيم الدستور:

سارت الدولة العثمانية انطلاقاً من مبدأ تنظيم السلطة والإصلاح، إلى وضع دستور للبلاد يكون مرجعًا للحكم والتحاكم، ويرى أعضاء الجمعيات القومية العربية أن إنقاذ الدولة العثمانية من ضعفها لا يتم إلا بنقلها من الحكم الاستبدادي إلى الدستوري واقتفاء آثار أصحاب التمدن بنشر العلم والتسوية بين أئمتها الرعية...

وقبل الحديث عن هذا الهدف لدى الجمعيات القومية العربية، أتٍّ إلى أن الدستور العثماني يعود تأسيسًا إلى مديحة ميدان الذي يسمى (أبي الدستور) ويعده أعضاء الجمعيات القومية العربية، ممن كان له أعظم الأثر في...

(1) الشعر والوطنية في لبنان والبلاد العربية-ويلي الحاكم-80.
(2) المصدر السابق نفسه-327. قائل القصيدة: محبة الحريتي الشتراني. وهو من نصاري العرب.
(3) مجلة هلال-6/6/1226هـ (1 أكتوبر/1908م) الجزء الأول من السنة (11).
(4) نشوء القومية العربية-زين نور الدين زين-37.
تأسسي胚 الجمعيات القومية وخاصة بعد أن أصبح والياً على دمشق (1). كما أسس الجمعيات الماسونية كجمعية زهرة الإحسان، وهي إحدى الجمعيات الماسونية (2).

كما وصف أعضاء الجمعيات القومية العربية مدحت باشا بأنه ناهج من نهباء الدولة الأتراك، وزعيم من زعماء الفكر. وأنشأ منشآت عديدة عمانية وعلمية، ولمس مقدار الحاجة إلى إصلاحات جذرية في الدولة، ثم تولى رئاسة الوزراء فبذل جهده في تحقيق ذلك. وأصدر الدستور الذي تضمن كثيرًا من الأساس والقواعد والحوكمة المطلوبة (3).

وبعد انتقل مدحت باشا سائحًا لمدة سنة أشهر في أوروبا يتفقد أحوال دولها ويدرس نظام بعض الإدارة الأوروبية (4)، قدم للدولة العثمانية دستورًا (5) تسير عليه، وقال عن الدستور: إن الدستور سراج منير، سيرشداً ويهدينا إلى الكمال.

---

(1) الحلفقة المفقودة في تاريخ العرب- محمد جميل بهم- 1369ه- مكتبة المصطفي البابي الحليمي- مصر

(2) مدحت باشا أبو الدستور وحال السلاطين- قديري فلعمي- 1375ه.

(3) نشأة الحركة العربية الحديثة- محمد عزة دروزة- 1376ه.

(4) مجلة الهلال- الجزء الرابع من السنة السابعة عشرة- 1909ه/ 9/1- 1326ه/ 11/1- بعنوان: (الدستور مدحت باشا أبو الأخلاق) ص: 195.

(5) انظر عن نصوص الدستور:

1. مجلة الهلال- الجزء الأول من السنة السابعة عشرة- 1326ه/ 9/1- 1327ه/ 1- 1408ه/ 1 أكتوبر (2).
2. البلاد العربية والدولة العثمانية- ساطع الحصري- 1355ه.
3. العرب والترك في العهد العثماني- توفيق برو- 1350ه.
4. نشأة الحركة العربية الحديثة- محمد عزة دروزة- 1369ه.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

الحققي. وهكذا هذا السراج انتقلت دول أوروبا من ظلمة الجهل إلى عالم النور. ووفقًا للجامعين النابيات أصبحت هذه الدول مثلًا جميلاً وقدوة حسنة تستفيد منها الأمم، ويقتدي بها العالم، دولًا يعرف كل فرد من أفرادها ماله من الحقوق وما عليه من الواجبات.

ويعتبر الدستور عند أعضاء الجمعيات القومية العربية من ثمار التمدن الحديث. وأهم ما يمتاز به أنه مبني على إرادة الأمة أو هو خلاصة إرادتها وأساسه الإدارة؛ أي تنتخب الأمة من بينها عنفها في سن القوانين ومراقبة سير الحكومة.. والفضل الأكبر - كما يقول أعضاء الجمعيات القومية العربية - في إنشاء الحكم الدستوري على هذه القواعد للإنكليز. وكلما عند الأمم الأخرى من الأحكام الدستورية مبني على الأساس الذي وضعه الإنكليز، وكان تاريخهم قدوة الحكومات الدستورية في أثناء هذا التمدن.

ومن أبرز معالم الدستور علمنة الدولة العثمانية، وقضاء شريعة الرحمن، وتبني النظام الدستوري الغربي في الحكم، ذلك النظام الذي يقول مدحت باشا فيه: (إنه العامل الأول في تقدم الشعوب ورقيها) ويضيف قائلاً: (ولأن تركيا تعتبر في مصاف الدول العظمى، عليها، إذا أرادت أن تحتفظ بهذه المكانة وإذا رغبت في مباداة سائر الدول على قدم المساواة في مضمار التقدم العلمي، أن تتبع الأنظمة ذاتها التي تتبعها الدول العظمى).

1) مدحت باشا أبو الدستور العثماني وخلاف السلاطين - قدرى قلوعجي - 56.
2) مجلة الهلال - الجزء الأول من السنة (17) 1326/9/1-2 أكتوبر 1908 (عوانص: 143).
3) نشوء القومية العربية - زين نور الدين زين - 186.
ولذا لما أقر الدستور في الدولة العثمانية، عرض مدحت باشا على الحكومة تعيين بعض الولاة من المسيحيين علماً بالمساواة، وأصبحت مصالح الأمة في الدولة العثمانية تدار على مختلف المذاهب فكان فيهم المسلم، والمسيحي على اختلاف الطوائف، واليهودي والدرزي والنصيري... وغيرها.

وتناولت صحف نصارى العرب قضية تجنيد غير المسلمين، ذكر أن هذا الحدث هو جراء تطبيق الدستور، فكان ما قالوا: كل الذين يجدوا من المسيحيين يشكون نعمة الدستور، ويعدون أمر التجنيد، أكبر بركة لهم، ولم يروا من إخوائهم المسلمين إلا كل ولاء وحبة.

وقد قال شيخ الإسلام في عصره عن هذا المنهج في إدارة شؤون الأمة:
لا أعتبر للمؤمنين بعد نزع الأمر منه، وما آراء المسلمين إلا بأراء شرذمة أكثرهم لا يؤمنون باينة ورسوله، وله تدري كيف انعقد مجلسهم بأقرة، وكيف انتخبتهم الأمة، ولا تدري كيف الأناضول التي هي ميخيطهم الأدنى.

هذا تعريف موجز عن الدستور والهدف من تطبيقه، وأما عن مساعي الجمعيات القومية العربية في تحقيق تطبيق الدستور، فأكثر من أن تعد أو تصر، وقد أطلق أعضاء الجمعيات القومية العربية على مدحت باشا ومن ناصره في

---

(1) مجلة الهلال-الجزء الأول من السنة (17-12/6-1 آذار/1908) ص 9-10
(2) مجلة الإخاء-مدير النشر: جبران مسحوب-عدد 3-تاريخ 23/أيار/1910-السنة الأولى
(3) النكر على منكري النعمة من الدين والخلافة بالأمة-مصناف صبري-26.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

إعداد الدستور، في منزل شهداء الحرية، وكانت أجسادهم الطاهرة أول دفينة من دفائن الحرية وارها السلطان السابق (1).

وعرف أعضاء الجمعيات القومية العربية الدستور وهدفه، بمعنى تعرف هدف مؤسسية، حيث قال أعضاء الجمعيات القومية العربية: من طبيعة الدستور ربط أواصر الأخوة العامة بين الأمة، لأنه عبارة عن نزع السلطة من الأفراد، ووضعها بين يدي الجماعات، وأية جامعة تجمع بين عناصر الأمة على احتفال المشارب والمذاهب والآراء، وتجعلها في مستوى واحد بالحقوق والواجبات أقوى من حكم الأمة نفسها لنفسها، وأية رابطة تربط العناصر العثمانية أعظم من هذه الرابطة (2).

واقترعت الجمعيات القومية العربية إعلان الدستور في الدولة العثمانية رحمة لهذه الدولة، وإنقاها لها. وإن يوم (23 يوليو) الذي نودي فيه بالحكومة الدستورية وحول السلطة الاستبدادية في المملكة العثمانية، كان يوماً سعيداً على هذه الأمة، لِم يشهد مثله العثمانيون إلا اليوم الذي افتتح فيه السلطان محمد مدينة القسطنطينية، ويصف مؤسس حزب الامبراطورية، حال البلاد العربية بعد إعلان الدستور، قائلاً: ولم أر في سورية شاعراً أو خطيباً إلا وهو ينادي باسم الاتحاد، ويدعو إلى معاوضة الأحرار وتأييد الدستور بالنفس والمال، والناس كلهم صاغون منتصرون. وهكذا كانت الحال في سائر البلاد العربية.. (3)

(1) مؤلفات رفيق العظم-الجمعية العثمانية- 120.
(2) المصدر السابق نفسه- 120.
(3) المصدر السابق نفسه- 129 و 129.
ويُعَدّ أعضاء الجمعيات القومية العربية أنّ من آثار إعلان الدستور انطلاق روح الوئام بين النصارى والمسلمين في بلاد الشام، وتكرّرَ مشهد تعانق بعض المشايخ والقسيس والرهبان في بعض التجمعات .. وقال أحد نصارى بيروت:

تعانق الشيخ والقسيس واصحبا ورفرفت راية التوحيد فوقهما (1)

تأختا في حي الدستور واعتقا من بعد ما افترقا ضدين واختصما وحينما وقع الخلاف بين الترك والعرب، وذلك بظهور الدعوة إلى القوميات، وانفراذ جمعية الاتحاد والترقي بسياسة الدولة العثمانية (2)، يقول مؤسس الحزب اللامركزي: في إبان هذا السرور وفي مبدأ تلك النهضة الآخذة بنفوس العثمانيين إلى مرتفع السعادة والرفوق والحب، بدأ الاتحاديون باضطهاد العرب قبل كل الشعوب... ذلك أن العثمانيين هبوا بعد إعلان الدستور .. بتأليف الجمعيات وفتح المندليات. حيث قامت هذا العمل كل أبناء العناصر الموجودة، فألف الأرثوذخ جمعية وافتتحوا متندا، والشركاس مثل ذلك، ثم الأكراد والروم والأرمن وغيرهم والعرب كذلك، فإنه ألفوا جمعية سموها جمعية (الإخوان العربي العثماني) وافتتحوا متندا (3) بهذا الاسم أيضاً.

(1) نشأة الحركة العربية الحديثة-محمد عزة دروزة-278.
(2) انظر: نشأة الحركة العربية الحديثة-محمد عزة دروزة-296.
(2) انظر: القومية العربية-مصطفى الشهابي-123.
(3) انظر: الباب الأول-الفصل الأول-التعريف بالجمعيات القومية العربية- ص: (62) من الرسالة.
فما نوهض قوم من أولئك الأقوام بهذا العمل الجليل — كما يسميها — إلا العرب، وما زالوا ينافضون ويضايقون حتى حلا هذه الجمعية وأقبلوا ذلك المستند وغيره قائم. فكانت هذه أول بادرة من بوادر سوء الظن صدرت من الاتحاديين فسرت إلى العرب أيضاً، وأخذ هذا الخطاب يتفاقم إلى اليوم (1).

وحيّـنا بلغت هذه الحال مبلغها، تأكدت المطالبة بتنيفذ أحكام الدستور من قبل الجمعيات القومية العربية، وأصبح هدفًا بارزاً من أهدافها، بتحفة أن فيه ضمان حقوقهم، فقد قال أعضاء الجمعيات القومية: إذا كانت أحكام الدستور مطبقة اليوم عند الحكومة الجديدة (الاتحاد والترقي) تطبيقاً صحيحاً على مبادئ الحرية والمساواة، وسلطة الأمة هي الحكمة على الضمانات الحكيمة بطبيعتها لمعنّي التعاون والإخاء، فما هي الحاجة لدعوة العناصر كل يوم إلى الاتحاد والوقام والصلح والسلام، والحقيقة التي لا ريب فيها أن الاتحاديين قد انفصلوا عن الأمة انفصاليًا لا يرضاه لهم صديق للحرية، فأصبحوا في ضغ والأمة في شق آخر منذ تظاهروا بالنعرة الجنسية، وأعلنا ما كانوا يضرونونه من الاستياسا بمبادئ سيادة التركي على العناصر العثمانية كلها، فنفروا بذلك العصب الحساس من الشعوب العثمانية (2).

وبيّـن أعضاء الجمعيات القومية العربية أن للعرب حقًا في السلطنة، ولكن لا يرغبون المطالبة فيها ما دام الدستور جاريًا على معنى الدستور (3). لأن الحكم

---
(1) ملوكات رفيق العظم-الجامعة العثمانية-129-130.
(2) المصدر السابق نفسه-125.
(3) المؤتمر العربي الأول-خطبة عبدالغني العرسي-44.
الدستوري، كما يقول أعضاء الجمعيات القومية العربية، يقتضي أن تكون الأمة هي صاحبة النهوض والأمر في شؤونها وأن تكون الهيئة الحاكمة وكيلة عن الأمة في إدارة تلك الشؤون. ولأن الحكم الدستوري، يقتضي اشتراك أبناء الأمة جميعًا في كل حق وفي كل واجب.(1)

(1) المصدر السابق نفسه-خطبة اسكندر عمون-100.
المبحث الثاني

الهدف الأول: الولاء القومي مقدم على الولاء الديني:

سبق بيان دور وتأثير نصارى العرب في تأسيس الجماعات القومية، ولما لم
من تأثير فقد أصبح من أهداف الجماعات القومية العربية، أن الولاء للقومية
العربية عند أعضاء الجماعات مقدم على ولائه لغير العرب من المسلمين.
والانقلاب العثماني دليل على هذا حيث أتفق أعضاء الجماعات القومية
العربية، في مختلف عقائدهم ومذاهبهم للقضاء على الدولة العثمانية. وقررت
مبادئ الجماعات القومية تقسيم أعضاء الجماعات القومية إلى أخوة لغة وأخوة
دين، كما قال نائب رئيس المؤتمر العربي الأول وهو نصراني في كلمته خلال
انعقاد المؤتمر العربي: أنتم يا مسلمي سوريا إخوانا في اللغة والجنسية والوطنية،
وإخوان الترك في المذهب')

وأما عن بعض أقوال أعضاء الجماعات القومية العربية، للدعوة في تحقيق
هدف الولاء للقومية العربية مقدم على ولاء الدين، يقول عبدالرحمن الشهابي:
نحن معاشر المسلمين، الذين يؤمنون بأن الله واحد، مصدر الخير وفيه

(1) المؤتمر العربي الأول-1421
تجمعهم الكمالات، فتفتقن تمام الاتفاق مع إخوانا النصارى فيما يعتقدونه بِالله تعالى. فغبث وعبث حقيِّر أن يحاول أحد أن يضع مروفا بينا لاختلافات ثانوية لا شأن لها في الله، ولا شأن لها في الآخرة، ولا شأن لها في الوطنية).

لقد أصبح من معتقد الجمعيات القومية العربية أنه لا تفرض على أصحاها عقيدة دينية معلوَّمة كما يقول مصطفى الشهابي: بل تتسع لكل عربي مهما يكن دينه أو يكن مذهب الدين، وهي على هذا يتجل العقيدة الدينية القومية والتحلي بالأخلاق الدينية الفاضلة.

وليس هناك أي تباين بين النصارى والمسلمين في المصالح العامة، سواء أكاس في مجال السياسة والحكم والتنظيم والتشريع أم في مجال الحقوق والواجبات، أم في مجال الاقتصاد والاجتماع، أم في مفهوم وأهداف الفكرة العربية، وما يعود على الفريقين من منافع وعر وسُدود من تحقُّقها. وليس للدين والتمييز الدينِي أي دخل في كل ذلك، لأنه ممارسة وجدانية.

وقد تقريِّر هذا الهدف استدلال بعض أعضاء الجمعيات القومية، بالواقع التاريخية، حيث ذكرَوا أن النعرة الجنسية فضيلة الآن في النفس. وله قدم أبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد بِجيوش العرب المسلمين إلى الشام، وجدوا حارسَه على أبواها من الغساسين وهم عرب نصارى يتقدمهم ملكهم المسيحي جُمَّلّبَن الأبيهم، إلا أن هؤلاء بدلاً من قتال المسلمين والوقوف في وجههم.

---

1) عبد الرحمن الشهابي-حياته وجهاده-حسن الحكمي-153.
2) القومية العربية تاريخها وقوامها ومرايهم-مصطفى الشهابي-347.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

عطوفا عليهم عطفة الأخ، فتركوا الجامعة الدينية والرابطة السياسية اللتين كانتا تقضيان عليهم حما موالاة الروم وخطبوا ودً وولاء الناطقين بمسافهم بين أبيهم العرب، مهدوا لهم سبيل وفتحوا الطرق ومكونهم كل التمكين من فتح البلاد العربية، وما أبداه نصارى غسان من العصبية العربية في هذا الشأن الخطير لأعظمٌ شاهد على أن العرب متحمسون بالجنس قبل الدين. وهي فضيلة الشعوب الحية، فضيلة الشعوب التي لا تريد أن تموت (1).

لقد اعتبر المبدأ القومي عند الجمعيات القومية العربية عقيدة توحد جميع العقائد المختلفة، فأعضاء الجمعيات القومية العربية، يختلفون عقائدياً، ولكنهم يتفقون على المبدأ والعقيدة القومية، كما قال مصطفى الشهابي - أحد أعضاء الجمعيات القومية العربية - الإسلام دين سمح بأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، والنصرانية دين يأمر بالتعاطف والمحبة، فلا هذا يأمر بالتعصب والبغضاء ولا ذلك.

ويقول الشهابي: للمسلم أن يعبد الله جل وعلا في مسجده وللمسيحي أن يعبده في كنيسته، وفي وسع كليهما أن يؤمنا بالقومية العربية، وأن يعمل عمل واحد في خير العروبة (2)، والسبب في ذلك كما قره أعضاء الجمعيات: أن اختلاف المذاهب الدينية ليس من شأنه أن يكون ذا أثر في الصفة القومية في الحقيقة (3).

(1) المؤتمر العربي الأول-خطبة ندرة مطران-85.
(2) القومية العربية تاریخها وقومیها ورامیها - مصطفی الشهابی - 35.
(3) جماعة الحركة العربية الحديثة- محمد عزة دروزة-26. وانظر: ما هي القومية-ساعط الخصري-268.
الجمعيات القومية العربية و موقفها من الإسلام والمسلمين

ورقد قسم أعضاء الجمعيات القومية العربية الناس إلى قسمين، هما: قسم يؤمن بالله، وأخرون ملحدون لا يؤمنون بالله، هذا القسم قوي وذاك القسم قوي أيضاً.

لقد أصبح الإخوان مَنظَما تنويعا سياسياً اجتماعياً لعضده دولة مَعظَمة.

ثم صوروا الصراع بين المؤمنين بالله وبين الملاحة، يقولهم: وإننا نحن راكبون في سفينة واحدة وقد ركب معنا اليهود والبوذيون. جميع الذين يؤمنون أن دائرة الكون إنها تدار بإرادة الله، وإننا في سفينة واحدة، والآخرون يركبون في سفينة أخرى وهنا نتناطق في هذا البحر الحضري ونتصارب يرمي بعضنا بالقنابل، فإذا غرقساني نقتضا أن التصارع يغرقون ونحن نسلم.

كلاً ثم كلاً؟... خبر لنا أن نغرق ونحن متحدون من أن نعيش ونحن مشتلون.

وقد كان لشاعر الجمعيات القومية العربية دور في تحقيق هدف تقدم

الولاية القومي على الولاء في الدين، فقد أصبحت القصائد التي تتناول هذا

الهدف تعدد من مظاهر وأثار النهضة العربية والوعي القومي، وكان يرسلها

الشعراء والكتاب والأدباء من مسلمين ومسيحيين إلى بي قومهم بالدعوة إلى

الوئام ونبذ الخلاف والتخصص الطائفي اللذين كانا يثيران الفرقة والأحقاد بين

أبناء الوطن الواحد والأمة الواحدة ويؤديان إلى البلابلة والفتن، ويعودان بالبلاد

العظيم عليهم وعلى البلاد معاً(1) كما يقول أعضاء الجمعيات القومية.

ومن تلك القصائد:

(1) عبد الرحمان الشهابدري-حياته وجهاده-حسن الحكيم-55.
(2) نشأة الحركة العربية الحديثة-محمد عزة دروزة-1345.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

وأي ليوهني تقسم أميتي
مقيتين كهانًا وشيوخًا
فخلص من حياتهم والعقارب
يسقوونا كالعيس نحو المعاطب
يزخرفهما للناس أهواء كاذبًا
(1)

وهلاً وسهلاً بعده جهتهم
سلام على كفر يوح٣د بيننا
وكلوا أيضًا:
قالوا في الدين يوهن دون وحدنا
إلى متي باسم هذا الدين نقتسم
لا الذين يبقى ولا الدنيا ولا الشيم
(2)

فهذه القصائد وغيرها كثير، تبين منهج الجمعيات القومية العربية، في التعامل مع العقائد المختلفة، لتحقيق هدف الولاء للقومية العربية المقدم على الولاء الديني.

ومن آثار هذا الهدف عند الجمعيات القومية العربية أن جعل النصارى يندمجون في المرشرات الوطنية والديسالي التي قامت في مصر وفلسطين وسوريا... حتى ليصبح أن يقال: إن جمهور النصارى في مصر وسوريا وفلسطين والعراق، قد أخذ يندمج في المجتمع العربي العام اندماجاً صادقاً عاطفيًا وصلصة ووطنية وقومية.

(1) الآتيات الأدبية في العالم العربي الحديث-أنيس المقدسي- 81.
(2) الشعر والوطنية في لبنان والبلاد العربية-الاسم المخزن- 81.
(3) مختارات قومية-محمد عزة دروزة- 241-1443-2013.
وكان التطبيق الفعلي لما ترغب في تحقيقه الجمعيات القومية العربية تحققها
في إدارة الحكومة العربية الأولى في دمشق (1)، حيث أن الأقلية لم يكن لها أثر في
ذلك الزمن، كما يقول أعضاء الجمعيات القومية العربية.
وكان لكل عربي في الحكومة العربية الأولى الحق بأن يتولى عملاً في
الحكومة على حسب ما عنده من معرفة ومن خبرة بذلك العمل .. ولم يكن
للأديان ولا للطائفيات اعتبار في تولى مناصب الحكومة ، فقد كان في المناصب
الكبرى السنية والشيعية والعلوي والدرزي والماروني والأرثوذكسي والكاثوليكي
والبروتستانتي ، وجميعهم يخدمون في حكومة عربية وعملون لقضيّة العروبة (1).
إن تحقيق هدف تقدم الولاء القومي على الولاء في الدين، قد صرح به
محمد عرفة دروزة – أحد أعضاء الجمعيات القومية العربية – حيث ذكر أن
هذا المبدأ من المآخذ التي اتخذت على الجمعيات القومية العربية، فقد قال: يؤخذ
على القوميين العرب المتحدين في حركتهم أن فريقاً منهم غالي في الانتماء القومي
العربي، ونسبي في عرفة هذا الغلو ما كان للإسلام من الأثر الرئيسي والجوهري
في المجد العربي الحديث، فلو لم يكن الإسلام، ولو لم يكن القرآن لما كان العرب
أمة واحدة من الخليج إلى المحيط . (2).

---

(1) انظر: الحكومة العربية الأولى في دمشق- خيرية قاسمية.
(2) القومية العربية تاريخها وقومها ومراميها- مصطفى السهابي- 132.
(3) محمد عرفة دروزة نشأته وحياته ومؤلفاته- حسن حمادة- 95- دار قتيبة- دمشق- الطبعة الثانية- 1983
الهدف الثاني: تقرير مبدأ الولاء للقومية العربية:

انطلقنا في الجمعيات القومية العربية لتحقيق هذا الهدف، من مبدأ توحيد الكلمة، وأصلت أن الدين ليس الأصل الذي يجتمع عليه الجمعيات القومية.

إن أصل مبدأ توحيد الكلمة وجمع الصف من أساسيات الدين الإسلامي، كما قال تعالى: "ولأطيعوا الله ورسوله ولا تفرقوا وآذروا أنفسكم فلا تزغ بقلوبكم فَأَصْبِحُوا مَيْلًا ١" كما نرى عن التنزوع والشظاف في قوله تعالى: "وأطيعوا الله ورسوله ولا تذرعوا مفسدًا وتذهب ركعتهن وأصبروا". ٢ وعربية من آيات الكتاب الحكيم، التي تدل على هذا المعنى.

ولكن هدف الجمعيات القومية العربية، هو أن الولاء يكون للقومية العربية وليس للدين، والاجتماع والموالاة والنصرة للقومية العربية، وقد وردت عبارات تنص على هذا الهدف من أعضاء الجمعيات القومية من المسلمين وغيرهم.

وبدراسة أقوال أعضاء الجمعيات القومية، يتبين أنهما اتخذت مبدأ القومية العربية، محرورًا أساسياً ترتكت عليه في تقرير آدابها وبرامجها، ولها اعتبرت الجمعيات القومية العربية أن الجنسية العربية ديانة للعرب حديثة، وأن الجنسية العربية للعصور الآثية، وأدركنا على السعي منذ الآن لخلق إله للأمة هو الجنسية العربية، إذ يضحي كل من عباده حياته في سبيل نصرته. ٣

١ سورة آل عمران- رقم الآية (101).
٢ سورة الأنفال- رقم الآية (46).
لم تعتبر الجمعيات القومية العربية الدين هو أصل وحدة الأمم والشعوب، وإنما أصل الأمة هي وحدة اللغة، وقد قال أعضاء الجمعيات القومية العربية: إن أس الأسس في تكوين الأمتي وبناء القومية هو: وحدة اللغة ووحدة التاريخ.
وعلّموا في اختيارهم هذا بأن الوحدة في هذين الميدانين، هي التي تؤدي إلى وحدة المشاعر والمنازع، ووحدة الآلام والآمال، ووحدة الثقافة... وبكل ذلك، يجعل الناس يشعرون بأهم أبناء أمة واحدة، متميزة عن الأمم الأخرى (1).
وأما عن الرابطة الدينية فقد عجزت — كما يقول أعضاء الجمعيات القومية — دائما عن إيجاد الوحدة السياسية. وإن الرابطة الدينية لا توجد إلا حيث توجد حكومة إسلامية والعاطفة الإسلامية لم تقدر مرة من المرات أن تحمل أميرًا مسلمًا على التنزل عن حقوقه لأمير آخر من المتحددين بدينه حتى لو كان هذا خليفة (2). وإذا حدث أن الدين يجمع المتسببين إليه، فإن هذا الجمع يكون في العواطف دون الفعل، فقد يتمل مسلم الغرب لمسلم الشرق إذا أصيب بقصبة كبيرة، فلا يتعدى تأله هذا دائرة الشعور (3).
وقالوا: إننا لا نبني نظريتنا في القضية العربية على أساس وحدة الدم والجنس والدين فقط. وإنما نبنيها أيضًا على الأساسي القومي. وهو وحدة الوطن واللغة والمصلحة. وهذا الأساس أوعسع شمولًا وأرحب صدراً من نظرية

---
(1) ما هي القومية - ساطع الحصري - 210.
(2) المؤتمر العربي الأول - خطبة عبد الحميد الزهراوي - 200.
(3) مؤلفات رفيق العظم - رسالة الجامعة الإسلامية وأوربة - 49.
الدم والجنس والدين. لأنه يعتبر به عربياً قومياً كل متكلم باللغة العربية وليس له لغة أم أخرى.. مهما اختلفت الأصول والأديان والمذاهب(1). إذاً الأساس في وحدة الأمة هو اللغة، فلا الدين، ولا الدولة، ولا الحياة الاقتصادية تدخل بين مقومات الأمة الأساسية(2).

وبتبنى هدف الولاء القومي أصبح مقر الجمعيات القومية العربية مكاناً يجتمع فيه أهل العقائد المختلفة، كما وصف المنتدي الأدبي بأنه: كان طابع العروبة المميز له، فاجتمع في رحابه المسلم السني والشيعي والدرزي والمسيحي على اختلاف الطوائف إخواناً متحابين هدفهم مجد العروبة وبعثتها(3).

وفي المؤتمر العربي الأول، صرح رئيس المؤتمر - عبد الحميد الزهراوي- في إجابة سؤال عن حطة المؤتمر نحو العرب غير العثمانيين؟ فقال: يهمني أن أصرح لك قبل كل شيء بأن هذا المؤتمر ليس له صفة دينية، وكل أعماله تحصر في الدائرة المحدودة له من البحث في شؤوننا الاجتماعية والسياسية. ولذلك ترى عدد أعضائه المسلمين والمسيحيين متساوياً ..(4).

وبين نائب رئيس المؤتمر العربي الأول، بأن الجمعيات القومية العربية في عقدها لهذا المؤتمر، واختار فلنسا مكاناً لانعقاده، لتؤكد على تحقيق الرغبة بأن

---
(1)نشأة الحركة العربية الحديثة - محمد عزة دروزة - 28-39(بتصريف).
(2)ما هي القومية - ساطع الحصري - 21.
(3)نشأة الحركة العربية الحديثة - محمد عزة دروزة - 350.
(4)المؤتمر العربي الأول - 18.
الأمة العربية: أمة تطلب في الحياة حرية وعزةً، وتسعي وراء محو اختلافات جنسية ومذهبية كانت سبباً في شقائنا وشفاء تركيا معًا(1).

ولكنت هذا فقط في المؤتمر العربي الأول، وإذّا أكّد أعضاء الجمعيات القومية العربية بأن الذين قامت النهضة على أكتافهم أو على جماعتهم، سواء في سورية أم العراق أم فلسطين أم لبنان، لم يكن فيهم من يفكر في اتخاذ الفكرة الإسلامية أساساً للوحدة والاستقلال. بل إنهم جميعاً كانوا يعملون على تعزيز الروح القومية البهجة وإحياء الجسد العربي على أساس هذه الروح(2).

ولتحقيق هذا الهدف أكّدت الجمعيات القومية العربية، على نبذ ما سمته التتعصب الديني، واعتبرت التتعصب الديني ليس سوى تطور في المصلحة الشخصية. وأما عن التتعصب القومي، فقد اعتبرته الجمعيات القومية شعور عفويًا فطرياً مثل الشعور العائلي الذي يأخذ بعين الاعتبار كل سياسي(3).

الهدف الثالث: نشر الأفكار القومية النصرانية:

كان للاتصال بالعالم الغربي النصراني أثر عظيم على أعضاء الجمعيات القومية العربية، وأن العصر الذي أنشأت فيه الجمعيات العربية خاصة، يعتبر عصر بروز معالم الدعوة للقوميات المختلفة(4)، وعصر متغيرات في واقع العالم.

(1) المصدر السابق نفسه-143. 1
(2) مذكراتنا على هامش القضية العربية-أسعد داغر-94. 42.
(3) يقظة الأمة العربية-167-8. 168.
2- واقعنا المعاصر-محمد قطب-143. 32.
ال الجمعيات القومية العربية و موقفها من الإسلام والمسلمين

الغربي مـن تأثيرات الثورة الفرنسية، كما قال عنها أعضاء الجمعيات القومية العربية: ثورة أرقت بها الإنسان، واصطـلّح نوع الأحكام على ما هو عليه الآن، ليس في فرنسا وحدها، بل في أوربا كله، بل في العالم قاطبة (1).

لقد انعكست الـثارات الاستعمارية الفرنسية والإنجليزية، وتبارات الخداع الوطني على الجمعيات القومية العربية، ممثّلة في بعض الصحف العربية التي تكلم بلسان فرنسا يغذيها، قنصلها العام في بيروت... ويروجها ليفة من الكتبة والصحفيين، وقد وجدت لها أنصاراً أقوياء في أوساط حزب الـلادكرية، مصرف منهم إسكندر عمون، نائب رئيس هذا الحزب، وكانت جريدة الأهرام في القاهرة تتكلم بلساجرا (2).

وقد كان أصل معتقد القومية العربية، قد جاء من الغرب إلى الشرق فيما جاء من أفكار وتبارات. والتي تستهدف إنشاء كيان قومي موحد تنسب فنـه الكتل التي تُنـت إلى أصل واحد أو تقطن بلاداً واحداً وتكلمل بلغة واحدة وترتكب في المصالح والأهداف قد انبعثت في أوربا في القرون الأخيرة (3).

ومن خلال الوسائل المختلفة من وسائل نقل الفكر النصراوي لبعض البلاد العربية، كالبعثات العلمية، والإرساليات التنصيرية، ومدارس التنصير، الخ أثرت في كثير من أعضاء الجمعيات القومية، وقامت بعض الجمعيات بنشر هذه الأفكار.

---

(1) الفكر العربي الحديث أثر الثورة الفرنسية في توجهه السياسي والإجتماعي-ريفي خوري-1261.
(2) تاريخ الصحافة العربية-خمس الدين الرفاعي-1-248/8-دار المعارف-مصر.
(3) نشأة الحركة العربية الحديثة-محمد عزة دروزة-9.
ويحدث في خريج البارودي - أحد أعضاء الجماعات القومية العربية - عن دور أعضاء الجماعات القومية في نشر الفكر الغربي. بأنهم بدأ يقرون في دمشق جهودهم من الشباب العربي، ومن خريجي المدارس العالية. وكانوا يعقدون اجتماعات خاصة، ويستضيفون في أحداث جدیدة غير مألوفة عند الدمشقيين آنذاك. كان هؤلاء الشباب الناهميون يتحدثون عن أوروبا وتجربتها وعقولها، وعن فضائل الشعب، والشكوى من ظالم الحكومة. وسرد حكايات طويلة عريضة عن أعراق الأحرار ومن بينهم: شكري العسلي، عبد الوهاب الإنكليزي، ... الخ، من أعضاء الجماعات القومية العربية. 

ويذكر عبد الرحمن الشهبندر - أحد أعضاء الجماعات القومية عن أنواع العلم والمعارف التي يسعى مع غيره من أعضاء الجماعات العربية في نشرها. (أهلا نتيجة كتب قرأناها ككتاب (روح الشرائع) لموتيسكو، وكتاب (آصолов الشرائع) لينتمي، وكتاب (سر تقديم الإنكليزي) وغيرها. كم هي الكتب التي تغذينا بها.)

كما سلك أعضاء الجماعات القومية العربية، مسلك الترغيب للأخذ من آداب المجتمعات النصرانية، كفنون الشعر والأغاني والتاريخ والسياسة وغير ذلك. وقرر أعضاء الجماعات: أنه لا يكمل علم الأدب للمبهر فيه إلا بعد أن ينظر في أدب الأمم المتمدنة ولو نظرة عامة، يطلع بما على جمل تاريخ أدبهم.

(1) مذكرات البارودي-فخري البارودي-57/1
(2) عبد الرحمن الشهبندر (حياته وجهاده)-حسن الحكيم-1477
وعلى بعض ما ترجم من مؤلفات المشاهير من كتبهم، فيقف على ما عندهم من سعة الفكر ونمو الإدراك وبلازمة المعاني، ويعرف أساليبهم(1) واعتبر أعضاء الجمعيات القومية، العرب قبل فتحهم على الغرب، في بلبة من آمرهم وترفقة وجهل خيم عليهم، في ظل السلطة العثمانية التي استغلتها النعرة الدينية لتشتت سلطاتها على حساب المعرفة والقيم الوطنية(2).

وتم تصديق الجمعيات القومية العربية خلال المؤتمر العربي الأول على مبدأ اقتتال الشرق بالغرب، وأنه حان للشرق أن يمشي في المسائل السياسية والاجتماعية مشاهد أخيه (الغرب)، الغرب اليوم قوة الشرق (3).

ومن أمثلة تنفيذ واقع المسلمين بالمعتقدات النصرانية أن عبدالغني العربي صرح أمام مؤسسج وأعضاء الجمعيات القومية العربية أن الأمم النصرانية أسوة لنا في الصبر على الابتلاع والخن ومطالبة الحقوق، وذلك بعد أن وقع الخلاف بين العرب وجمعية الاتحاد والترقي، وإن التعذيب والاضطهاد الذي يقع على أعضاء الجمعيات القومية، كان لنا أسوة فيه كثير من الأحرار الذين ماتوا كرامًا من أجل الدفاع عن الحرية، وتأييد المذهب السياسية.

وذكر عبد الغني العربي أن أسوته وقدته في الصبر رموز الكفر، فقال:

هـا هو كميل دمولي، قد قتله الحكومة الاستبدادية، لأنه كان عاملًا في تحرير...
الأمة من الاستعباد والظلم.. وها هو بناء يقول إذ قتله الحكومة (إليك يا قومي جزاء ما صنعته لدعائم الحرية).  

وبعد ضرب الأمثلة بما سموهم (أعلام الحرية) بين أعضاء الجمعيات القومية العربية، بأن المدنية الأوَّلية العصرية هي التي انتشرت لنا من سبانيا العميقة. وإذا كانت ميولنا الماضية - العقائد الدينية في ظل الدولة العثمانية - هي التي خدنت أعضاءنا وكانت سبب خمولنا فإن لنا في ميولنا الجديدة دافعًا إلى الترقى واستئناف الكرة ..

وعلى فتح إبراز أعلام الكفر سارت مجلة (المقتطف) التي هي من أبرز المجلات ذات المناهج القومي العلماني، وصاحبة (المقتطف) يعقوب صروف وفأرس فيهما - من أوائل خريجي الكلية السورية الإنجيلية وهي (الجامعة الأمريكية في بيروت) - وقد عمل الاثنان، بعد تخرجهما، مدرسين في الكلية نفسها، وقد رأيا أثناء الدراسة والتدريب أن مجاهدة الأمم العربية في العلوم والمعارف مستحيلة إذا كانت الجماعة التي يعيشها بينما ستكتمل بترجمة الكتب. فلا بد من مجلة تقطف ثمار المعارف والباحث،شهرًا بعد شهر، وتذخيها في الأقطار العربية ..

(1) مختارات المفيد يُبَنُ ohioغ ي الأعرس - 8- دار الطبعة - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - 1981.

(2) المؤتمر العربي الأول - خطبة عبد الحميد الزهراني - 21.

الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

ولنشر المعتقدات النصرانية والعلمانية، قام بعض أعضاء الجمعيات القومية، بترجمة كتب النصارى وبخاصة الكتب التي تتعلق بالجوانب السياسية والاجتماعية. فقد قام أعضاء جمعية بروت السرية، بترجمة كتاب (التحفة الأدبية) للفرنسي هنري غيرو، والكتاب من الغلاف إلى الغلاف يدعو إلى نظام سياسي متقدم خصوصاً على الصعيد الديمقراطي. كما نشروا ما يرونه ضرورياً ومؤثراً.

وكان من نتاج نشر الفكر الغربي النصراني على العامة، كما يقول أعضاء الجمعيات القومية العربية، أن عالمتهم حال الأمم وسياسة السياسيين وقوانين المشرعين واستعمار المستعمرين ... والاقتباس من المدنية الحديثة وعلمهم أن لا قيام لأمرهم إلا بالقومية العربية، وأن نغمة الدين وحدها لا تنجبهم مما هم فيه.

وأما ينبغي بيانه عند الحديث عن هدف نشر الأفكار الغربية النصرانية، أن أبرز مصنى سعي في تحقيق هذا الهدف هم الأعضاء النصارى العرب المتمسكون للجمعيات القومية العربية، وقد سبق بيان دور نصارى العرب في تأسيس الجمعيات القومية.

ومن أمثلة هؤلاء النصارى: شهيل شيل الذي قال عنه محمد كرد علي: صورة رائعة لعالم مؤمن بعلمه، متفان في بنه والعمل به، كان فردًا في طبقة قل

(1) صحافة الكراكي- جان دايه- 32.
(2) خطط المناش- محمد كرد علي- 42/3.
(3) انظر: الفصل الثاني من الرسالة- ص: 232)
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

أن نشأ للعرب في العهد الأخير رجل مثله في رجاحة العقل، ولو قدر للشرق القريب أن يكثر فيه أمثال شهيل بعلمه ودأبه وإخلاصه لغيرا ووجه حضارته، وقضوا على خرافاته وضلالاته، ولصانوا الأديان عما يخط من مقامها(1).

وكتب رشيد رضا ترجمة موجزة عن شهيل قال فيها: كان هذا نادرا المثل في مجموعة علومه، وأعماله وأفكاره وأخلاقه، والذي يحملنا على تجربته أنه كان من طلاب الإصلاح المدني والتجديد الاجتماعي المخلصين وقليل ماهم.

وقد أقام أعضاء الجمعيات القومية حفل تأبين للدكتور شهيل، ومن حضوره رشيد رضا وألقى خطبة قال فيها: كان الدكتور شهيل متحليا بعيداً من الأخلاق الحميدة التي لا يرتفع العمران البشري إلا بكره المخلصين كما في الأمم كالصدق واستقلال الرأي والشجاعة والثبات والسخاء والوفاء والنجدة والمروءة والرأفة(2).

وبعد هذا الثناء والمدح، قال عنه محمد كرد علي: إن شهيل يعزم إليه نشر مذهب النشوة والارتقاء(3) في الشرق العربي، ولم يرض أرباب الأديان عن

(1) المعاصرون-محمد كرد علي-۲۴۵.
(3) وهي النظرية التي قال بها الباحث الإنجليزي تشاندلر داروين سنة ۱۸۵۹ (۱۲۳۵ هـ) ونشرها بكتابه أصل الأنواع، فقد افترض داروين أن أصل الكائنات العضوية ذات الملائين من الخلايا كان حقيق ذو خلية واحدة، وحسب قانون الانقسام الطبّي ويبقى النسب تحت الأنواع التي استطاعت التكسيف مع البيئة الطبيعية ومصارعة الكوارث المفاجئة وتدرجت في سلم الرقيق، وتعمد داروين وبقي بعض الكائنات عواصم البقاء ومؤهلات حفظ النوع بإضافة أعضاء أو صفات جديدة، وقد أدى ذلك إلى تحسين نوعي مستمر تجاه أحدهم جديدة رائقة كالفردة وت نوع أرقي وهو الإنسان، أنظر: (أصل الأنواع-ترجمة إسماعيل مظهر).
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

خطبة شيخ في تقله مذهب داروين، وتجاوز في إنكارهم عليه جماعة المقلدين أدعاء العلم، أما هو فقد ثبت وما حاد عن أثره، وما توقف عن نشر دعوته بالحكمة وطريق الإقناع(1).

كما قال عنه رشيد رضا: كان أول من نشر مذهب داروين باللغة العربية وانتصر له وناضل دونه، ولم يكتف الرجل بذلك بل كان يصرح قولاً وكتابة بالتعطيل والإلغاء.

وعن الموقف الذي اتخذه رشيد رضا من عقيدة شيخ، أنه قال: المسلمون لا يرون مروحة من عقائده التي نشأ عليها مبعداً له عنهم لأنها ليست عقيدةهم، فهمو في نظرهم طبيب عالم اجتماعي غير مسلم، ولكنه أقرب من غيره من المخالفين لهم إلى التساهل والإنصاف لحريته واستقلال فكره(2).

وبين أروقة الجامعة الأمريكية في بيروت، ناصر أعضاء الجمعيات القومية من دعا إلى نظرية الشوء والارتقاء من أعضاء هيئة التدريس، وعن موقف الطلبة، قال أحد الطلبة: إن الحركة التي قام بها طلاب الكلية مما يحق تدوينه لأنه بدء هضبة جديدة بين تلاميذ المدارس في الشرق لم hypocrisy لها مثل(3) وقالوا عن النظرية: إن العقل والدين الصحيح يمشيان جنبًا إلى جنب(4).

(1) العاصرن-محمد كردي علي-246.
(3) لينهارئ تاريي وصور-تقول زادة-149.واجهة عن تفصيل الحادثة: رواد النهضة الأدبية-كمال البازجي.
(4) عبدالرحمن الشهيدر-حياته وجهاه-حسن الحكم-151.
الهدف الرابع: تطبيق الحكم الديموقراطي في البلاد العربية

من منطلق تحقيق هدف الجمعيات القومية العربية، وهو استقلال البلاد العربية عن الدولة العثمانية، وتأثير أعضاء الجمعيات القومية العربية بالأفكار والمعتقدات الغربية، في كثير من المجالات وأهمها المجال السياسي، كان من ضمن أهداف الجمعيات القوميّة العربية أن يكون حكم البلاد العربية حكماً ديمقراطياً.

ولقد عرف أعضاء الجمعيات القوميّة السياسية بآخاً: ممارسة النظر في الحوادث من كل جهازا ليكون التصرف على حسبها. ودعت عادة رجال الحكومات أن يدعوا أجحاف هذه الممارسة فيهم وحدهم. وكان الناس يسلمون لهم هذه الدعوى، وإذا غاصهم عائب بالاستسلام المطلق للحاكم يقولون: نحن لا نفهم السياسة... وقولهم هذا يوقعون صك الاعتراف بأن ليس لهم أن ينتقدوا الحاكم في شيء ما.

هذا عن حال البلاد العربية في ظل الدولة العثمانية، وأما عن حال الغرب فقد قال عنها أعضاء الجمعيات القوميّة العربية: قد تخلص الغرب من هذا العيب

2. مذابة فكرة معاصرة- محمد قطب- 1978.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

الذي كان البشر المتحضرون كلهم مشتركون فيه... ويظهر أنه قد حان للشرق
أن يمشي في المسائل السياسية والإجتماعية مشية أخرى(1).

وتحقيق هدف الحكم الديمقراطي قد مر لدى أعضاء الجمعيات القومية
العربية بمراحل قال عنها أعضاء الجمعيات القومية: كانت أولى مظاهر المفكك
القومية عند العرب المسلمين أولا، كانت فكرة ممتزجة باعتقاد ديني، ومرتبطة
ب وغيرها دينية، وقالوا: إن الإسلام أول شريعة اعترضت على الاستبداد وقاومته
أشد المقاومة، وسارت بين أفراد الأمة ومهدت السبيل للحكومة الديمقراطية
ووضعت حق الحاكمة في الأمة(2).

إلا أن الفكرة كما قال ساطع الحصري: لم تقفز عند هذا الحد، بطبيعة
الحال، لأن بعض المنورين - أخذوا يفكورون في القومية العربية تفكيراً
مستقلاً عن الاعتبارات الدينية(3) حين وصلوا إلى فكرة طريقة حكم البلاد
العربية مع الدولة العثمانية، الذي يقول به فريق من رجالات الحركة العربية أن
يكون على طريقة اتحاد الجمر مع النمسة(4).

(3) معايير في نشو الفكر القومية-ساتع الحصري-122.
(4) مختارات قومية-محمد عزة دروزة-7-5. وهي ما تسمى ب-النظام الكونفدرالي، وتعريفه أنه
نظام مقضي يتكون أنواع من دول مختلفة تكون كل منها مستقلة داخلياً وخارجاً وتحتفل كل
منها بالشخصية الدولية ولكن يحكمها هيئة واحدة، وتوجد علاقات دستورية بين أفرادها. انظر:
النظام السياسي والقانون الدستوري-عودة العطار-172-دار النهضة العربية-القاهرة-الطبعة
الثانية-1962. وكتب الوجود في النظام السياسي والقانون الدستوري-عمرو حافظ-46-دار
وكأن من قرارات المؤتمر العربي الأول، يتعلق هذا الهدف: أن الحكم الدستوري يقتضي أن تكون الأمة هي صاحبة النهى والأمر في شؤونها وأن تكون الهيئة الحاكمة وكيلة عن الأمة في إدارة تلك الشؤون. ويفتضى اشتراك أبناء الأمة جميعًا في كل حق وفي كل واجب.

وقد نقل أعضاء المؤتمر العربي الأول شعور العرب المهاجرين ورغبتهم بالحكم الديمقراطي، فقد قال أعضاء المؤتمر: لقد أدرك المهاجرون فوائد الحكومات الشعبية الدستورية وحفظ حقوق الأفراد، أدركوا معاني المدينة في أوروبا وأميركا. فتموا لوطنجهم العريز الوصول إلى ما وصل إليه السويس بعد إجابة الدما والهند أبينة الظلم وذلك معاقبة الجهل ويتمون أن يقوم إجاومهم العرب العثمانيون بثورة أديبة تنهم فيها جيوش الجهل وفيالق الظلمة ويخرج الأحرار المتنورون من معتكما فقد كتب لهم النصر.

وبعد موافقة أعضاء الجمعيات القومية العربية، على هذا المنهج الديمقراطي في الحكم، قسم أعضاء الجمعيات القومية القوية المؤثرة في تسيير الدولة العثمانية، وذكروا نصيب البلاد العربية من كل قوة، فما قالوا عن القوة التشريعية: إن كله قانون لا يوضع بمشاركة أبناء العرب يكون غير مستوفي الشروط من حيث الحق والعدل. ونأتي أن يكون حظنا في تدببر أنفسنا موكلاً إلى رأي غيرنا.

(1) المؤتمر العربي الأول- 100
(2) المؤتمر العربي الأول- 80
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

وقالوا عن القوة الإجرائية (التنفيذية): إن حق الجماعات يتطلب من الأمة أن تؤلف الحكومة، وأن لا تتألف الحكومة إلا من الأمة، أما تأليف الوزارات في ممكننا فقط في غير هذا الحق، والوزارة في علم الحقوق العامة لا تكون وطنية إلا إذا مثلت كل أبناء الوطن، ولا تكون شرعية إلا إذا جمعت فيها إرادة المجتمع كله.

ورغبة في إضفاء الصبغة الشرعية على هذا الهدف، قال عبد الغني العربي أحد أعضاء الجمعيات القومية العربية وهكذا أثناء الاحتفال بذكرى مولد الرسول ﷺ الذي يقيم المنبر الأديبي: في مثل هذا اليوم يولد النبي العربي القروشي مقيم الأسـس الديمقراطية، حرية ومساواة وإخاء، مبادئ ثلاثة قام بها نبينا العظيم لخير هذه الأمة، كل ذلك على مبدأ الديمقراطية.

وحينما أعلن الدستور في الدولة العثمانية، رأى أعضاء الجمعيات القومية العربية، أن هذا العهد هو عهد إقامة حكم ديمقراطي صحيح في البلاد، تسوده الحرية والمساواة في ظل العدل والنظام.

وقد أكد نائب الحزبلامركزي، في أثناء جلسات المؤتمر العربي، بأن الجمعيات القومية العربية تريد حكومة عثمانية لا تركية ولا عربية حكومة تتساوى فيها جميع العثمانيين في الحقوق والواجبات فلا يستأثر فريق بحق من...

(1) المصدر السابق نفسه-45-49.
(2) مختارات المفيد-العدد 919 بتاريخ 29/12/1911، ص:227.
(3) مذكرات علي هامش القضية العربية-آسعد داغر-47-48.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

الحقوق ولا يحرم فريق من حق من الحقوق لا بداعي الجنس ولا بداعي الدين عربياً كان أو تركياً. مسلمًا أو مسيحيًا إسرائيلياً أو درزيًا.. هذه هي قاعدتنا السياسية الجامعة.(1)

(1) المؤتمر العربي الأول-1941.
الفصل الرابع

أبرز رجالات الجمعيات القومية العربية في القرن الرابع عشر

المبحث الأول: شخصيات المرحلة الأولى

1. بطرس التاسك
2. ناصيف اليازجي
3. طاهر الجزائري

المبحث الثاني: شخصيات المرحلة الثانية

1. رفيق العظم
2. ساطع الحصري
3. ميشيل عفلق
الفصل الرابع

أبرز رجالات الجمعيات القومية العربية في القرن الرابع عشر

من خلال دراسة تأسيس الجمعيات القومية، يجد الباحث بعض الشخصيات التي كان لها أثر واضح في التكوين الفكري، والنظري المهني، لتلك الجمعيات.

ولكي تتم التعريف بالجمعيات القومية لزم التعريف بأبرز الرجال الذين كان لهم دور فعال في تأسيسها، وذلك بإبرام تراجم لهم وسماح في تلك التراجم أنما كانت من مصادر أعضاء الجمعيات القومية أنفسهم أو المعاصرين لهم. وقد اخترت الشخصيات (1) التالية:

1- بطرس البستاني.
2- ناصيف اليازجي.
3- طاهر الجزائري.
4- رفيق العظم.

(1) رغبة في بيان مدى تأثير الترجم له على أعضاء الجمعيات، فقد نقلت نصوصهم كما هي مع ما تحمله من إطار وتبجيل لصاحب الترجمة.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

5 - ساطع المصري.

6 - ميشيل عفقي.

وستكون دراسة هذه الشخصيات من خلال:

1 - تعرف موجز بالشخصية الذاتية.

2 - اتجاهها العقدي.

3 - أهدافها وآراؤها القومية.

4 - آثارها العلمية والعملية في تأسيس الجمعيات القومية العربية.

لقد شهد القرن التاسع عشر روادًا من الأدباء والمفكرين الأوائل، كانوا خليطاً من النصارى والمسلمين في سورية الطبيعية، حملوا لواء الفكر القومي العربي.

والنظر إلى تاريخ تطور فكرة تأسيس الجمعيات القومية العربية، يلاحظ أنه ينقسم إلى مرحلتين:

المراحل الأولى: بداية الالتفاوت الثقافي بين الدول الاستعمارية النصرانية والدولة العثمانية، وذلك من خلال الحملات التنصيرية في الدولة العثمانية، وأبرز شخصيات هذه المرحلة ستتناوهم الدراسة في البحث الأول.

المراحل الثانية: تبدأ من إسقاط السلطان عبد الحميد وتولي جمعية الاتحاد والترقي مقاصد السلطة، وفي هذه المرحلة التاريخية أنشئت الجمعيات القومية العربية، وأبرز شخصيات هذه المرحلة ستتناوهم الدراسة في البحث الثاني.
المبحث الأول
شخصيات المرحلة الأولى

أولاً: بطرس الناسك:

أ- تعريف موجز بالشخصية الذاتية:

هو بطرس بن بولس بن عبدالله البستاني، ولد سنة 1234 هـ (1819 م) في قرية الدبية من قرى لبنان، والديه عدد سكافها خمسمائة نفس من طائفة الموارنة وقليل من البروتستانت فهو من نصارى العرب.

كان بطرس البستاني، كما يصفه أعضاء الجمعيات القومية، قد نبغ في سوريا والعلم لا يزال طفلاً في مهدته فأخذ في التعليم والتهذيب علمًا وعملاً. وقائلوا عنه: لوه شاء الكاتب أن يصف ما امتاز به البستاني الكبير وصفاً يصاحب به الحقيقة، ولبسه من خصائصه الأدبية ثوباً نسجته بد الإصابة... لا يسمع الكاتب إلا أن يلحمه بأولئك الذين ينتظهم بقادة الأفكار وحركة النهضات العلمية.. على أنه مع هذا كان من جبابرة الناهضين.

(1) مجلة الهلال-المجلد 4-الجزء 12-السنة الرابعة-1313 هـ- ص: 362-363

(2) أعيان لبنان من صبح القرن الثالث عشر الهجري إلى اليوم-حسن السندوبي-1362 المطبعة الجمالية-مصر-الطبعة الأولى-1362 هـ (1943 م)
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

وقد ذكر القوميون أن لبستاني مراتب الأولية في بعض المجالات العلمية، فهـو: أول من أسس مدرسة وطنية عالية، وأول من ألف قاموساً عربياً عصرياً مطولاً، وأول من أسس مجلة راقية، وأول من ابتداً مشروع دائرة معارف باللغة العربية (1)، وأول من أسس مجلة علمية وجريدة سياسية ومدرسة وطنية. وأول من أقدم على المشروعات الأدبية بعزم ثابت فألف الكتب وسهل طبعها ونشرها (2).

فهـو ركن النهضة الأدبية الثابت، ومحوركة الوطنية في عصره، وهو من صرف حياته كلها في سبيل العلم والوطن، وترك الآثار العديدة على أدبية واجتماعية، وأحدث التأثير البلغ في أبناء قومه خاصة، وفي الأدب العربي عاماً (3).

وعن تلقيه للعلم فقد أخذ بطرس البستاني - كما يقول مترجمه - مبادئ القراءة والكتابة من القسيسين الذين كانوا كما يقول المترجمون: يعلمون صبيان رعاياهم ببساطة معارفهم وقوة مثلهم، مبادئ العربية والسرائنية، مع خدمة الفلسفة، وأصول الفضائل المسيحية، في تلك المدرسة.

ومن أولئك القسيسين خوري ميخائيل البستاني، الذي كان يهدب صغار الضيعة، فلاحت ذكاء نادراً من بطرس البستاني، فأخبر به رئيس أساقفة صور

(1) الروائع- المعلم بطرس البستاني-فؤاد افرام البستاني-المقدمة.
(2) مجلة الهلال-المجلد4-الجزء العاشر من السنة الرابعة-1313هـ- ص:365.
(3) الروائع- المعلم بطرس البستاني-فؤاد افرام البستاني-المقدمة.
وصبداً، فاهل الرئيسي الأمير واستقدمه وبعد أن تحقق من ذكائه أرسله إلى عين ورقة(1)، فالتحق بكلية الدير في قرية عين ورقة وهو ابن عشرين سنة، وتعلم فيها العربية واللاتينية والإيطالية فضلاً عن العلوم اللاهوتية(2).

ومدرسة دار عين ورقة(3)، التي تلقى فيها بطرس البستاني العلوم كانت ديراً لأحد نصارى العرب، ثم حولت إلى مدرسة عامة للطائفة النصرانية. ويقول عنها نصارى العرب: كان لها تأثير كبير على أبناء النصارى، حيث نبغ من هذه المدرسة كثيراً من الرؤساء والعلماء، حتى كان في القرن التاسع عشر أكثر بطارقة الطائفة ومطاراتها وكهنتها المشهورة من تلامذة هذه المدرسة .. ومن هذه المدرسة خاصة بُنِّيت علوم اللغتين العربية والسريانية وغيرها من العلوم والفنون بين نصارى سوريا(4).

لقد قضى بطرس البستاني في هذه المدرسة عشر سنوات، أثرن فيها اللغة والمنطق والتاريخ والحساب .. ومبادئ الفلسفة واللاهوت والقانون، وخرج من المدرسة وهو في العشرين من عمره(5). وعين مدرساً فيها إلى سنة 1860م (1255 هـ)(6).

---

(1) الروائع-المعلم بطرس البستاني-فؤاد افрам البستاني-المقدمة-المطعمة الكاثوليكية-بيروت-1929.
(2) بقطة العرب-جورج انطونيوس-128. وانظر: الإعلام الزركلي-58/2.
(3) انظر: بطارقة الموارنة وأساقطهم في القرن التاسع عشر-بيطرس نيد-1990.
(5) تاريخ آداب اللغة العربية-جريج زيدان-186-1982-دار الهلال.
(6) الجمع المفصل في تاريخ الموارنة الموصل-يوسف الدبس-382.
النقي بطرس البستاني — خلال غزو الحملات التنصيرية للبلاد السورية — بدعَتْ المذهب الإنجيلي من الأمريكيين، الذين أقاموا ببيروت للتعليم ونشر مذهبهم، فتعرف بعضهم وجعل يختلف إليهم علمهم اللغة العربية ويعرب لهم بعض الكتب ككتاب: (الباب المفتوح في أعمال الروح) مؤلفه سميث، وقد طبع الكتاب في بيروت سنة 1843 ولم تتمكن علاقات المودة بينه وبينهم ووافقهم على مذهبهم.

أنشأ الدكتور فان ديك — الذي قال عنه القوميون العرب قد جاء إلى بلاد الشام مبشراً وطبيباً — في سنة 1846 (1262 هـ) مدرسة عربية بقبرص حاول من هيئة البشرين الأمريكيين، وساعد البستاني في إنشائها، وتأليف الكتب الدراسية، وعين البستاني أستاذًا في مدرسة عربية سنة 1860 (1276 هـ).

أقام بطرس البستاني سنتين في مرحلة التدريس والتعليم، ثم عين من قبل الحملة التنصيرية ترجمانًا في قنصلية أمريكا، وعكف على التأليف والترجمة.

وأعلن الدكتور سميث الأميركي على ترجمة الأسفار المقدسة إلى العربية.

---

(1) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق-الجزء 3-المجلد 4-ربيع الآخر سنة 1390 هـ-ص: 595.
(2) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق-الجزء 4-المجلد 4-ربيع الآخر من السنة الرابعة-30 رجب 1313 هـ-ص: 361-362.
(3) يقظة العرب-حورج انطونيوس-112.
(4) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق-الجزء 3-المجلد 4-ربيع الآخر سنة 1390 هـ-ص: 611.
(6) الجامع المفصل في تاريخ الموارنة الموسلي-يوفس الدبس-351-352.
إن سبب اهتمام المنصرين بقرية عبية، وإقامة مدرسة تنصيرية فيها، كونها بعيدة عن مراقبة الدولة العثمانية، ويوجد بها طوائف مختلفة ... وقد استطاعت المدرسة أن تساعد على تحقيق غاية المنصرين حتى تأسست الجامعة الأمريكية في بيروت(1)، وفي هذا الجو التنصيري نشأ بطرس البستاني.

و لم تقتصر علاقة بطرس البستاني مع المنصرين الأمريكيين بأعمال الترجمة والتدريس، أو الالتقاء بالعُتقد النصراني(2) فحسب، وإنما تأصلت أسباب الصداقة بين البستاني وبين الدكتور فان ديك، وظهر كل منهما صاحبًا على مشاريعه العلمية والأدبية، من تأسيس المدارس وبناء الكتب والصحائف وسواءًا، ولم يشغله ذلك عن وضع الكتب لتلاميذ المدارس وتعريف ما يرى فيه النفع للمنصرين. ثم صبت نفسه إلى التوسع في تأليف الكتب ونشر الآداب والمعارف فانكب على التصنيف ونشر الصحف ينفو بعضها بعضاً(3)

وإضافة إلى جهده العلمي فقد كان البستاني، مقصودًا بحاجات الناس مستشارةً في المهمات الدينية والأدبية والسياسية، مسؤولًا الإسعاف ذوي المصلحة لا يرخُ طالبًا إلا مسروبًا(4).

وتكدب تجمع مصادر ترجمة بطرس البستاني أن وفاته كانت في عام 1883م (300 هـ) وموت الفجأة بسبب هبوط في القلب، بينما كان يعمل في دائرة المعارف وعثروا عليه ملقى على أرض عرته(5).

---
(1) التبشير والاستعمار في البلاد العربية- عمر فرح ومصطفى الخالدي- 94.
(2) انظر: يقظة العرب- جورج انطونييوس- 111.
(3) أعيان البلاط من صبح القرن الثالث عشر الهجري إلى اليوم- حسن السنديني- 202-226.
(4) دائرة المعارف- بطرس البستاني- 592.
(5) يقظة العرب- جورج انطونييوس- 111.
وقال فان ديك في رئاته لبطرس: معلم ورفيقي، فكم من الليالي أحبينها معًا في الدروس والمطالعة والتأليف وحلاوة المعاشرة الصادرة عن أتحاد المقاصد والاغراض.  

وقد خصصت بعض مجلات الجمعيات القومية العربية ترجمة لحياته ومآثره. فلم تأت أيامها رثاءً، وسُوّدت صفحاتها حزنًا. وما ورد في افتتاحية مجلة المقنطف: إن مصابه أُنزل من الوطنيين من قبلة مصائب عامًا وخطب تامًا.  

كما أقام بعض صحف ومجلات الجمعيات القومية رثاءً لوفاته، فقد طرحت (مجلة الهلال) سؤالًا وجهته إلى القراء: اذكر أسماء الأشخاص السبعة من الكتاب والأدباء والشعراء الذين هم في نظر القارئ أصحاب الفضل الأكبر على النهضة الحديثة في الآداب والعلوم باروع معاينتها—أي من أبداء القرن الماضي إلى هذا اليوم—أحياءًا كانوا أم أمواتًا ومهمه تكن مواطنهم أو مذاهبهم؟  

وكان نتيجة هذا السؤال أن استحق البستاني ترتيبه الأول من الإجابات الواردة من مصر والسودان وسوريا وترتيبه الثاني من جميع الأصوات.  

(1) دائرة المعارف - بطرس البستاني-593. وأوردت مبحثًا حديث عنه، وذكر تفاصيل وفاته.  
(2) انظر: 1-مجلة المقنطف-الجزء الأول-من السنة الثالثة-آب سنة 1883 ص:5  
(3) الرؤاف-المعلم بطرس البستاني-فؤاد أفرام البستاني-المقدمه.  
(4) مجلة المقنطف-الجزء الأول-من السنة الثالثة-آب سنة 1883 ص:7  
(5) انظر:مجلة الهلال-الجزء السادس-السنة 1921 حمادي الأخيرة 1339 هـ-الموافق 1 مارس 1921.
وتَأَقَّم أعضاء الجمعيات القومية العربية حَفْلة تكريمية مِناسبة إِحدٍ ذكَرُياته(1) لِلَدِعَةَ الجَمْهُورِيَّةِ الفَجْرِيَّةَ من حملة الأفلام في العالم العربي، فأقيمت الخَلْقَة مِنّيس الجَمْهَةُ ٢٦ كانون الأول سنة ١٩١٩ م، في نادي المدرسة الكلية الأمريكية، واشترك فيها ٧٥ ختياماً بين عالم وَكاتب وشاعر ومهندِس وصحافي ومحامي وطبيب. وهكذا فقد اجتمع علماء وأدباء القرن العشرين يكرمون ويعظمون نابغة القرن التاسع عشر.(2) كما قال أعضاء الجمعيات القومية العربية.

ب - أهدافه وآثَاره العلمية والعملية في تأسيس الجمعيات القومية العربية:

يعتبر أعضاء الجمعيات القومية العربية بَطَرس البستاني من أوائل الشخصيات العربية، التي جاءت بفكرة تأسيس جمعيات لأهداف محددة في الجمعيات العربية وفي عصر كانت الأمية من أبرز معالمها. وقد تَعَدَّدت أشغال البستاني في الجمعيات المختلفة من دينية وخيرية وعلمية أدبية، وفي تعريب الرسائل الدينية والبشرية، وإلقاء الخطابات وتأليف الكتب.

وإذا ألقينا نظرة على حياته الاجتماعية وأعماله المختلفة، رأيناها رئيساً أو عضواً عاملاً في أكثر الجمعيات والمؤسسات التي عرفت في بلادنا على عهده...

(1) تراجم مشاهير القرن التاسع عشر-جريجي زيدان-٨١/٢.
(2) الروايات المعلم بطرس البستاني-فؤاد إفرام البستاني-المقدمه. وانظر: تاريخ الآداب العربية-ال الأب لويز شيخو-٥٢.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

فكان عضواً في عضوية الجمعية السورية الأولى ... وكان عضواً فخرياً في الجمعية العربية الشرقيّة، أخذ بمراسلة الكثيرين من علماء الشرق والغرب في الشؤون العلمية.

وقد بين البستاني في دائرة المعارف، تاريخ تأسيس الجمعيات، فقال: (قد وجدت الجمعيات في القرون الوسطى وصار لها أهمية بشرها المعارف المدرسية).

وعن الأهداف الخاصة لتأسيس الجمعيات في البلاد الأوروبية والغربية، قال:
(يوجد في الممالك المتحدة جمعيات لجميع فروع العلوم والآداب والمعارف الصناعية تقريباً). فمن تلك الجمعيات: الجمعية الجيولوجية، والجمعية الجغرافية الملكية، وهما أكبر المؤسسات لاكتشافات هذا العصر المهمة، وكذلك الجمعيات المشتغلة في الآثار القديمة. وهي ذات نشاط عظيم وقد بذلت الهمة في السفر والتفتيش.

ووجدت جمعيات علمية أخرى في بلدان أخرى من الشرق وفي كندا وستراليا وفي كل قسم تقريباً من الإمبراطورية البريطانية وجميع الجمعيات المهمة ممن عادتأها نشر أعمالها. وفي هذا القرن يوجد جمعيات مختلفة للعلوم السياسية والمعنوية (الاجتماعية) وتلك البلاد مملوكة جمعيات لكل فرع من فروع المعارف.

---
(1) الروائع-المعلم بطرس البستاني-فؤاد أفرام البستاني-المقدمه.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والسيسي...

(وأما آسيا وإفريقيا فقد أنشئ فيهاما في القرن الحالي جمعيات لمقاصد مختلفة ولكن ما بقي منها حياً لا يقس بشيء من الجمعيات المار ذكرها).

ففيقرر بطرس البستاني مبدأ تأسيس الجمعيات، وكوّها محددة لأهداف معينة، وذكر منها أهدافاً علمية، وسياسية، واجتماعية... إلى الأهداف.

ومن الآثار العملية والعلمية في تأسيس الجمعيات القومية العربية، ما يلي:

أولاً: اطلاع بطرس البستاني على تطور تاريخ تأسيس الجمعيات، واعتبار أن الجمعيات وسيلة مهمة في نشر المعارف والعلوم، فقد قدم اقتراحًا إلى البعثة الأمريكية التنصرية، بتأليف جمعية مهدف إلى بذل الجهد لمساعدة انتشار التعليم في المدارس وظهور العناية الحديثة بالعلوم.

وحقاق المشروع المقترح فأنشئت سنة 1847م (262 هـ) في بيروت باسم (جمعية الآداب والعلوم) وكان من أعضائها: البارجي والبستاني. وكذلك إيلي سميث وكورنيليوس فان ديك، وعدة أعضاء من الأمريكيين، وانتسب إليها رجل إنجليزي كان يقيم في بلاد الشام هو الكولونيل تشرشل. ولم يشترك فيها عضو مسلم فأكثرهم من النصارى السوريين المقيمين في بيروت.

وقد يُسجل في تاريخ البستاني بأنه من أوائل من أسس الجمعيات في البلاد العربية، فيدرك أحد مؤرخي نصارى العرب بأن سورية لم تغل من جمعيات

(1) دار المعرفة- بيروت 1963/260-جمعة 1945/260-جمعة
ص: (39)
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

علمية، وقال عن هذه الجمعيات: بأنها نفتض الآداب بأفكارها الراقية وممارساتها بطرق المحارف ومنشوارها الحسنة.

وكانت أولها جمعية أدبية سعي بعدها بعض مشاهير لبنان في بيروت سنة 1947 فلم تظل مدة، ثم الجمعية الشرقية التي أنشئت سنة 1850 (1266 هـ) في دير الآباء البسويين في بيروت.(1) ثم خلفتها سنة 1857 (1273 هـ) الجمعية السورية وضمت عدداً من الذوات.(2)

وكان كل أعضاء الجمعية السورية من العرب فلم تضم أحداً من الأجانب على الإطلاق، كما أنها كانت تضم أعضاء من العرب المسلمين إلى جانب المسيحيين، مما يدل على تطور الوعي القومي، والارتفاع فوق الخلافات الطائفية(3) كما يقول أعضاء الجمعيات القومية العربية، ثم اتسعت دائرة أعمالها ونالت من الدولة العلوية الرخصة بنشر أبحاثها فنشرت أولاً من حين إلى آخر دون وقت محدد(4).

ثانياً: لقد أسس بطرس البستاني (المدرسة الوطنية)، التي قدف كما يقول أعضاء الجمعيات القومية إلى أن ينثني فيها التلاميذ على اختلاف عقائدهم تعليماً أساسه التسامح الديني والمثل الوطنية. وجدت إليها التلاميذ من جميع

(2) تاريخ الآداب العربية-الأب لويس شيخو-75-النشرات دار المشرق- بيروت الطبعة الثالثة-1991.
(3) حركة البقطة العربية-محمد صالح منسي-66.
(4) تاريخ الآداب العربية-الأب لويس شيخو-75.
أنهاء بلاد الشام، كان بينهم من قدّم بعد ذلك أعملاً جليلة لبلاده (1)، وقد أعemic على الحضرة السلطانية بوسام الشرف مكافأة خدماته (2).

إن تأسيس المدرسة الوطنية على قاعدة الحرية الدينية، ومبادئ الجامعة الوطنية، ممثل لأهداف الجماعات القومية العربية، والتي تنص مبادئ الجمعيات على الرابطة القومية، وأواها أولى من الرابطة الدينية، كما سبق توضيح ذلك.

ومن أهم ما ينبغي التنبيه إليه أن هدف (المدرسة الوطنية) كان غريباً على المجتمعات العربية في ذلك الوقت، فإن الأثراك وغالبية العرب الساحقة كانوا يشعرون أحقاء أعضاء في أمة إسلامية عظيمة يربط بينهم دين واحد، وولاء لحاكم مسلم هو السلطان العثماني (3).

يصدق على بطرس البستاني ما ذكره القوميون، بأنه كان متورداً، ولكن لا على أشخاص بالذات، بل على فكرة دان بما أشخاص من الغرب، فتابعهم عليها أهورون من الشرق، هي فكرة الطائفية والتبعية لها وللدين أيضاً (4).

لقد كانت أهداف المدرسة الوطنية، كما يقول أعضاء الجمعيات القومية، أن تؤلف القلوب بين متغايري الأديان متبناي المذهب، وتذيع المبادئ الوطنية على صدق في جانب الدولة، وإخلاص في جانب الوطن، فانسل إليها الطلبة

(1) بقية العرب-جورج انطونيوس-115.
(2) الجامع الفصل في تاريخ الموازنة الموصل-يوسف الدبس-355.
(3) نشوء القومية العربية-زين نور الدين زين-26.
(4) دور العروبة في تراثنا اللبناني-زكي النقاش-1001-دار لبنان-بيروت-لبنان-الطبعة الثالثة-1400.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

من كل ناد وصوب من مصر والأستانة واليونانية والعراق من عرب وأعاجم، وقد بلغ عدد طلبتها مبلغًا كبيرًا وأرضاهم من لباني الآداب شيئاً كثيراً مما جعل ممثليها وصاحبها يداً بيداً في تقديم الأدباء وإذاعة المبادئ الوطنية، وقد جارت في تعاليمها بقية مدارس المدينة.

ووفي شؤون التعليم أساتذة من العرب والإفرنج لتعليم اللغات بجملتها والعلوم والفنون بضروها، وما جرت عليه عادة البستاني في المدرسة أنه كان يكتب في الطلبة مرتين في الأسبوع، يوم مذكرة علامات حال الطالب، وخطبة يوم الأحد فكان يضمها الحض على التقوى والصلاح وتقويم الممالك وحب الوطن وغير ذلك.

كان تأسيس المدرسة الوطنية قد جاء بعد أن وقعت حروب عدة في البلاد العربية، قال عنها القوميون: ذات صبغة طائفية. ومن أبرزها الحرب الأهلية التي وقعت في لبنان بين النصارى والدروز، سنة 1860، وقد سعى البستاني كما يقول نصارى العرب إلى تخفيف حدة مشاعر الحقد الديني، ووقف معظم جهوده على الدعوة إلى التوافق بين العقائد المختلفة، إلى الأتحاد والتعاون في طبب المعرفة...

---

(1) دائرة المعارف - بطرس البستاني-150 دار المعرفة- بيروت- لبنان- (دائرة).
(2) تاريخ الآداب العربية- الأب لويس شيخو-17-.
(3) دائرة المعارف - بطرس البستاني-150 دار المعرفة- بيروت- لبنان- (دائرة).
(5) بيظة العرب- جورج أنطونيوس-115.
فأنشأ البستاني بعد ثلاث سنوات من هذه الحروب المدرسة الوطنية، غايتها أن يلتقي فيها التلاميذ على اختلاف عقائدهم، تعليماً أساسه التسامح الديني والمثل الوطنية. وترك البستاني من مختلف الأديان تعليم قومي (1). فجذبت إليها التلاميذ من جميع أنحاء بلاد الشام، كان بينهم من قدم بعد ذلك أعمالاً جليلة لبلاده (2).

وقد وصفت دائرة المعارف، بأن من خلاله الحميده وخصائصه المشروعة، ترفعه عن التصب وإباؤه الانقلاب إلى هوى النفس، إذ لم يكن معتمساً إلا للوطن، ولا منقاداً إلا للمبادئ الوطنية، محتضناً مجدداً في ترقية مصلحة البلاد بالأديانات (3).

وأما عن الجانب التاريخي للمدرسة الوطنية، فيقول عنها مورخو النصراء: هي من جملة المدارس التي أنشئها الموارنة لأن منشئها ماروني أصلاً وهو المعلم بطرس البستاني، وقد افتتحها سنة 1863 (1279هـ)، وجعلها تحت إدارة ابنه سليم الذي كان يعلم بها العلوم والصف الأول الإنجليزية، وتخرج بس كثيرون من الموارنة أيضاً ولم تكن تتعرض للتلمذة في أمر دينهم بل كانت ترسلهم لقضاء فروضهم الدينية في كنائس طواقيفهم، ودامت خمس عشرة سنة، وقد أقفلت سنة 1875 (1291هـ) (4).

(1) حركة البقظة العربية- محمود صالح منسي- 65.
(2) قصيدة العرب- أنطون بيدور- 11. وانظر: التبشير والاستعمار في البلاد العربية- عمر فروخ- 137.
(3) دائرة المعارف- بطرس البستاني- 92.
الجمعيات القومية العربية وموقعها في الإسلام والمسلمين

وقد تخرج من المدرسة الوطنية كثيرون من الطلبة بعد أن تزود التلاميذ من مختلف الأديان بتعليم قومي. وارتفعت كثيرون منهم إلى وظائف معتبرة ومراتب سامية.

ويقول أحد نصارى العرب المنتسبين للجمعيات القومية العربية: كنت سنة 1865 (۱۲۸۱ هـ) تلميذاً بالمدرسة الوطنية التي أسسها في بيروت المعلم بطرس البستاني وهو أحد أصحاب النهضة العربية المجد المجتهدة. توفي سنة 1883. كنت يومئذ في بيروت وحضرت مشهده، حيث كان رئيساً ومعلماً.

إن المدرسة الوطنية تعتبر من أبرز آثار بطرس البستاني القومية، ولذا اعتبر القوميون بأنه أول من رفع راية التعليم (العلmani) والقائم على الوطنية، والحرية الدينية. وقالوا عنه: كفاه بذلك حقاً، أن يكون في الفئة الممتازة، من خدمتهم العروبة، فعرضوا لها فضلاً، وأعادوا لها بعض ذلك برفق جميلها.

ثالثاً: ومن مآثر القومية، الخطب التي كان يلقيها في الجمعيات، كما يقول أعضاء الجمعيات القومية العربية. له خطب عدة كان يلقيها في الجمعيات والأندية، اللي حث الأمريكان على إنشائها، كما كان يكتب لهذه الجمعية.

(1) دائرة المعارف - بطرس البستاني-696. وانظر: الجامع المفصل-ياسيف الديب-351. وانظر:
حركة البقظة العربية- محمود صلاح مينسي-76.
(2) مجمع المسرات-شاكر الخوري-28-مطابعة الاجتهاد-بيروت-1908. وقد رتب المؤلف بقصيدة طويلة-21.
الأدبية النشرات (1) وكان في عصره كما يقول جرجي زيدان: زعيم الحركة الأدبية في سوريا، من حيث المدارس والجمعيات والجرائد والمجلات، واللغة والعلم، والأدب (2).

لقد كانت خطبة وكلماته هدف لما قرره، من تحقيق المبدأ العلماني، والحرية الدينية، والبعد عن التعصب الديني، والمطالبة بنشر المعارف والعلوم في الأمة، وهكذا فألبغا المجهود الذي ذكرها بطرس البستاني -عند حديثه عن الخليفة العباسي هارون الرشيد-، لأن له شهرة عظيمة في الرغبة والوحدة والنشاط في إحياء العلوم والأدب ونشرها في مملكته المتسعة... وكان يعتبر العلم أينما وجد، والعلماء مهما كان مذهبهم، فلم يكن يردي بمعرفة من يخالفه في أمر المذهب، فإن رئيس مدارسه وأول مدير للعلوم في المدارس العالية في مملكته كان رجلاً نصارياً نسطورياً دمشقياً اسمه يحنا بن ماسوبيه (3).

والدور العظيم الذي قام به بطرس البستاني بحركة الترجمة مع الحملة التنصيرية، تحدث البستاني عن مناقب الأئم ومنه ودوره في ترجمة كتب اليونان، فهما قال بطرس البستاني عن الأئم: (4) كان منذ نعومة أزهاره مولعاً بالمطالعة والدروس وقد اتخذ في حياة والده صحابة له من مشاهير علماء اليونان والعجم والكلدان، ولم تبدو تحت السلطنة لم تلغه مهمتهما وعظامها عن الاعتناء بالعلوم.

(1) بقطة العرب-جورج انطونيوس-115.
(2) تاريخ آداب اللغة العربية-جريجي زيدان-دار الهلال-269.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

والقياس بحقها وحق أربابها، فكانت الشعراء والفلسفة والمهندسين تتوارد إليه إلى بغداد من كل بلاد وصلة.

وقد أمر سفراءه في أرمينيا وسوريا ومصر أن يجمعوا ما يمكن وجوده فيها من الكتب الأكثر اعتبارًا، ويعثروا بما إليه، فكانت ذخائر آداب الأقاليم التي تغلب عليها تجمع بكل اعتناء وتوضع أمام عرضه كأعظم جزية وأفخر التحف والهدايا عنه. من آداب اليونانين والعبرانيين والعجم، وقد دخل ملك الروم وسأله صيته ما لديهم من كتب الفلسفة فبعثوا إليه منها ما حضرهم فاستجاب لها مهارة الترجمة وكلفهم إحكام ترجمتها فترجمت له على غاية ما أمكن ثم حرض الناس على قراءتها ورغبهم في تعليمها.)

رابعًا: ومن آثار بطرس البستاني القومية إنشاء بعض الصحف العربية، وقد سبق بيان دور الصحافة في تأميم الجمعيات القومية العربية.)1(. لقد اعتبرت صحف الجمعيات القومية العربية عمل وتأسيس البستاني للصحف ذات النهج القومي - قد جاء مليًا لما ترغب النفوس.

وكما يقول أعضاء الجمعيات القومية العربية تاقت الناس إلى منشورات سياسية واقتضت مصلحة الأمة إذاعة المبادئ الوطنية الصحيحة. وإنشاء الجنة والجنة ومنشورات سياسية وحداث المدرسة الوطنية إذاعة المبادئ الوطنية من طرف التعليم والتثقيف.)2(.}

(1) أعيان البيان من صبح القرن الثالث عشر الهجري إلى اليوم- حسن السنودي - 1970. انظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية عن حركة الترجمة في بيان تلبيس الجمعية- 373/1273- مؤسسة قرطبة.
(2) انظر: الفصل الثالث من الرسالة. ص: (24).
(3) مجلة المحتفظة- الجزء الأول- من السنة الثامنة- آب سنة 1884. ص: 6.
 قال القوميون العرب: لقد سعى البستاني إلى تحقيق حدة مشاعر الحقد الدینی، بإصدار صحيفة أسبوعية صغيرة في بيروت باسم (نفير سورية). وكانت أول صحيفة سياسيّة أُنْقِبِحُ لها الصدور في تلك البلاد، وقد وقفت معظم جهدها على الدعوة إلى التوفيق بين العقائد المختلفة، وإلى الاتحاد والتعاون في طلب المعرفة). وصحيفة نفير سورية تعتبر أول نشرة عربية ظهرت في سوريا إذ أُنْقِبِحَت سنة ۱۸۶۰ (۱۲۸۱ هـ) ۱۲۸۲ وتكون صحيفة نفير سورية، من صفحتين، وتظهر على شكل رسائل وطنية، تتضمن نصائح مفيدة، لِشدّ عُرُق الألفة بين السكان، ولما أخذت الناس إلى السكنية أو قف نشأُها.

وصحيفة الجنان التي أسّسها البستاني سنة (۱۸۷۰-۱۸۷۶ هـ)، وهي مجلة علميّة أدبيّة سياسيّة عهد بإدارتها إلی ولده سليم، وكانت تصدر كل أسبوعين، وكانت الغاية منها محاربة التنصّب والدعوة إلى التفاهم والاتحاد لخير الوطن، وكان شعارها (حب الوطن من الإيمان) وكان يحرص على أن يبرز هذا الشعار على الصفحة الأولى مع العنوان في كل عدد، ويعتبر البستاني بأنه أول من خط على صفحات القلوب ورسم على صحف الجنان (حب الوطن من الإيمان) وکان يشارك في الكتابة فيها عدد من الكتب من البلاد العربية المجاورة ومن بلاد الشام نفسها.

---

(1) بقطة العرب-جورج انطونيوس-۱۴۱۱.
(2) أعيان اللبان من صبي القرن الثالث عشر الهجري إلى اليوم-حسن السندوي-۲۰۰۸.
(3) لبنانات-تفولا زيدة-۱۹۶۹.
(4) دائرة المعارف-بطرس البستاني-۱۹۵۴.
(5) بقطة العرب-جورج انطونيوس-۱۱۱۵.
الجمعيات القومية العربية ومشغولاتها من الإسلام والمسلمين

وللدور المؤثر التي تؤديه صحيفة (الجنيزة) نالت اهتمام والي سوريا مدحت باشا، حتى أنه كان يزور إدارتها في جميعه لبروت، ويث أفكاره الإصلاحية بواسطة(1) وكانت تتضمن عناية خاصة بعرض الآراء التي كان يدعو إليها مؤسسها، وأفكارًا كانت حافزة قويًا وجهة الأفكار إلى التسامح الديني والنظرة الواسعة إلى الأمور(2).

أما صحيفة الجنيزة، فهي صحيفة سياسية أنشأها بعد الجنيزة بضعة أشهر، وبالتحديد صدرت في حزيران 1870 مرة في الأسبوع، ثم مرتين في الأسبوع(3).

وصحيفة الجنيزة: جريدة أنشأها بعد الجنيزة بزمن قليل، صدرت سنة 1871 وكانت تصدر أربع مرات في الأسبوع، وولي زمامها سليمان أسفند البستاني(4).

وقد قيل عن دور البستاني في إنشاء الصحف: إنه أظهر من البراعة والاجتهاد ما جعله موضع إعجاب الحملة التنصيرية، ونشر الصحف يحلو بعضها بعضًا بحماية لا تعرف الملئ، وما يزال يكتب في خدمة البلاد بنشر الآداب بين طبقات أهلها(5).

(1) لبنانيات-نقولا زيادة- 71.
(2) بقية العرب-جورج الطليبوس- 115.
(3) مقدمة كتاب: سليم البستاني- ميشال حجا- 2.
(5) أعيان البيان من صبح القرن الثالث عشر الهجري إلى اليوم-حسن السنودي- 226- 1382هـ (1964م).

ومن الأمثلة على المقالات الصحفية التي نُشرت في مجلة الجانٍ: (عَلَمَاءٍ
نغلظ الدين بالدنيا وخط شان السماويات منهم في الأراضي، فنجعل
للاعتقادتنا دخلاً في أعمالنا، فتتوفر اختلافاتنا الدينية في أعمالنا العالمية، فنشأ
عنها ذلك الشقاق الذي طالما كرر الأمم وأتى بالحروب والويلات.
إن زمانا قد تغير فمن الحكمة أن تتبعه وقد تبدلت الأحوال، فالإصابة في
مجاعة ذلك التبدل، فما كنا نراه في الأمس لا نراه اليوم لأن نسبتنا إلى دولتنا
العلمية، ونسبتها إلينا وصلاتنا العربية وصلات الغرب عندنا قد أحذتنا غير
الخريج المعروف وأصبحنا جميعاً رعيًا واحدة لراع واحد عنده من الحلم ما يوافق
لسين عريكتنا ومن التأيي ما يناسب ارتباطنا الناجحة عن التعلق ببعض الماضي،
وتعلم بعض الأمور الجارية والتآهيب لقبول ما سوف يجري.
ولذلك لا بد من أن تكون في معابدنا إسلامًا وأومن ودروزاً وموارنة وغير
ذلك. وفي ميادين الأعمال عثمانيون لنا راية واحدة، استبداد الحال لنا إنما
يكون بالاجتماع حولاً بالفرصة والحمية والصداقة. (1).
وهي الدعوة التي ذكرها مجلة الجان، هي من ضمن الدعوات التي تنادي
بما الجمعيات القومية العربية، خلال إقرارها المعتقد القومي.
وجاء عن موقف الجملة من ارتبط الدين بالسياسة: (كثيراً ما مَرَّ الدين
بالسياسة، ونتج من ذلك أضرار لا تخلى.. لأهما ضدان، لأن أساس الدين هو

(1) مجلة الجان-الجزر 6-سنة 1874-ص: 181- نقلًا من كتاب: الأعمال المجهولة-سليم البستاني-
122
الاختيار بحسب الاقتضاء، وهو يتعلق بكل إنسان على حدة، وأما أساس السياسة الرضوان لما يستحسن أنه أكثر جمهور ارتبط أفراده بعضهم بعض برابطات الصوالح المدنية، وهذا الرضوان هو إرادي بخلاف الرضوان للدين فإنه اختياري ولا يوجد دين يمنع أهله من موافقة روح العصر في الأمور المدنية، لأن الدين لا ي تعرض للأمور المعاشية (1).

أبدت المجلة الثورة الفرنسية، إذ رأت فيها إعادة حق سلب منهم، جاء فيها: (إن الذي حمل الفرسانيون على إثارة الثورة هو ما كانوا يعتقدونه من التعدى الواقع على حقوقهم...فهاجمت الأمة وماحت وطالت ما كان يحق لها أن تطلب من الحقوق، ولو لم تتجاوز حدود الاعتدال في تثورما لتقرر في صدور التواريخ بدون ذكر الحوادث التي تسود بياض بعض اجتهدائها).

وأكدت مجلة الجنان على أن الثورة الفرنسية، هي بداية عصر الحقوق في أوروبا خاصة، وليس المقصود حقوقي كل أمة بالنمطية إلى غيرها، ولكن حقوق كل أمة بالنسبة إلى دولتها...وجمع الجنسيات بعضها لبعض، وأن تساعد كل أمة على أن تسوس نفسها، وحاح الحل الكامل: (إن الثورة الفرنساوية جمعت أمم أوروبا على طلب حقوقها والحفاظ عليها، ومنذ ذلك الزمان أخذت الدول العاقلة في الميل عن سبيل سياساتها الأولى، وفي إعطاء رعاياها حقوقها) (2).

(1) مسلسل الأعمال المجهولة - سليم البستاني - 150.
(2) الأعمال المجهولة - سليم البستاني - 174.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

خامسًا: لقد أخرج البستاني دائرة تسمى (دائرة المعارف) كتب نموذجًا
عنها ورفعه إلى ملك مصر الخديوي إسماعيل (1) والتمس من لديه الإعانة
فصدرت إرادته بإمداده بما يكفي لظهور هذا الكتاب إلى حيز الوجود، وأمدته
بمكتبة عظيمة حول أجمل الكتب وأنفعها للاستعانة بها على تحرير الدائرة (2).

وقد قال أعضاء الجمعيات القومية العربية، عن دائرة المعارف: إنها قاموس
شامل لسائر العلوم على اختلاف مواضعها وأزماتها وكان قد شرع فيه عام
1875 يعاونه ولده سليم وبعض الكتاب من التأدبين وطائفة من خريجي
مدرسة الوطن في بيروت وسماه (دائرة المعارف).

وهو كتب فريد لم ينسج على منواله في اللغة العربية، أصدر منه سنة
مجلدات وتوفي وهو في بداية المجلد السابع، فأتم السابع والثامن ابنه سليم وتوفي
قبل الشروع في التاسع فأصدر أبناءه الباقون الجزء التاسع بمعاوضة ابن عمهم
سليمان أفندى البستاني. ثم حالت موانع أدت إلى إيقاف العمل في بيروت
ومضت على ذلك بضع سنوات إلى أن قدم القاهرة سليمان وأخذ في إتمام
الدائرة. .. فصدر الجزء العاشر والحادي عشر سنة 1900 (1317 هـ) عند
كلمة عثمانية ثم توقف العمل (3).

---
(1) إسماعيل بن إبراهيم بن محمد على الكبير، ولد في القاهرة سنة 1245 هـ - ولي مصر سنة 1279 هـ وهو أول من أطلق عليه لقب الخديوي من رجال أمرته، عزل سنة 1296 هـ وقضى بقية
أيامه في أوروبا والآستانة. وتوفي في الآستانة سنة 1312 هـ ودفن بالقاهرة. (الإعلام -
ال وهب-، 108/2008).
(2) أعيان لبنان من صبح القرن الثالث عشر الهجري إلى اليوم - حسن السندوي - 2008.
(3) تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر - حريفي زيدان - 2/39-دار مكتبة الحياة- بيروت-
لبنان. وانظر الروائع المقدمة.
كما أن للبستاني كتاباً سماه محيط المحيط: وهو قاموس عربي جليل ..
أضاف إليه طائفة من الألفاظ العامية والكلمات الأعجمية الدائرة على الألسنة ورفعه إلى السلطان عبد العزيز (١) فأثبت عليه الوسام المجريد الثالث وجائزة من المال، وشاع هذا الكتاب شيوعاً عظيماً حتى أصبح الآن نادر الوجود (٢).

ثانياً: ناصيف اليازجي:

- تعريف موجز بالشخصية الذاتية:

هو: ناصيف بن عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط، الشهير باليازجي. ولد سنة ١٢١٤ (١٨٠٠)، وأصله من حمص بسوريا، مولده في (كفر شيماء) من قرى ساحل بيروت بليبان (٣).

هاجر جده من حمص مع جماعة من ذويه سنة ١٦٩٠ (١٠٠١ هـ) .. ف투وطن أئناس منهم في ساحل لبنان في الجهة المعروفة بالغرب، ولا تزال بقية أسيرهم في حمص (٤) ونواحيها. وهم عشيرة كبيرة من ذوي الوجاهة واليسار،

(١) السلطان عبد العزيز: ولد في شعبان سنة ١٢٤٥ هـ (١٨٢١ م)، تول السلطنة سنة ١٢٧٧ هـ (١٨٥٢ م) ويعد من أوائل السلاطين الذين أدخلوا العلمانية في الدولة العثمانية، كما اتسم عهده بالفتن والإسراف والسبذج مما أدى إلى خلعه بفتوى من شيخ الإسلام حسن خير الله أفندي، ليموت بعد ذلك منتحاً سنة ١٩٣ (١٢٩٣ هـ). انظر: (تاريخ الدولة للعلامة العثمانية-محمد فريد-٥٦-٥٨).

(٢) أعوان البيان من صبح القرن الثالث عشر الهجري إلى اليوم-حسن السندي-٢٠٨.

(٣) الإعلام-الزركلي-٧٥/٣٥.

(٤) ترجم مشاهير الشرق-حرجي زيدان-٢/١٦.
جتمعات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

وأكثرهم من طائفة الروم الأرثوذكس، أما فرع ناصيف فإنه ينتمي إلى الروم الكاثوليك.

يعتبر ناصيف اليازيجي الشخصية الثانية، من الشخصيات التي أثرت في تأسيس الجميات، والدعوة للفكر القومي. فقد قيل عنه عميد بيت اليازيجي، وركن من أركان النهضة العلمية في سوريا. وهو أشهر من أن نعرف به، لما كان له من القدر المعلى في اللغة والشعر والأدب.

وتأتي أهمية ناصيف اليازيجي من كونه ملازمًا لبطرس البسمني في الجانب التاريخي، وهذا نجد بعض القوميين الذين أرخوا للفكر القومي في تلك المرحلة، كتبوا عن الشخصياتين معاً، مع أن ناصيف أسر من بطرس.

وهو نصراوي المعتقد ألف قصيدة مطبوعة ضمن قصائد في ديوانه بعنوان (القول الصحيح في لاهوت المسح) وتبين عقيدته، قال فيها:

حسب التأسس للبترول مريم
فقلت ألا أقول الإله چتروحة
ولأب لاهوت أمر وكذا أدلة
عن آدم قد قال صار كواحد
خلق البشريتة وأنا في جوهر
لكن عصاة بلزلة لا تمحي

---

(1) تاريخ الصحافة العربية-فيليب دي طراز-1913-82-بيروت-المطبعة الأدبية-1324.
(2) تاريخ آداب اللغة العربية-جريج زيدان-1324-4.
(3) انظر: بطقة العرب-جورج انطونيوس-1324.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

فأقوى وخلصه وخلاص نسله داذ المخلص من عذاب جهنم
ومن معتقده في مسألة صلب المسيح وحمله خطاياهم، قال:
هذا المسيح، الله فادينا الذي
صلبه طائفته اليهود كمجروح وطبعه الله خولا قد ألمت
حتى تكون جرحنا كالرهب
والفى له يفذي به الجرح بالدم
قد كان منه طوعا وهو قد

الخ ما قال عن معتقده النصارى في الإنجيل وصدقة، وعدد طوائف النصارى. وبيان فضائل النصرانية.

تلقى ناصيف اليازجي بواكر علمه عن طريق الدراسة في الأديرة، حيث كانت وسائل التعليم إذ ذاك محصورة في جمعية الألكانوس، فلقي القراءة البسيطة على يدي القس مي من قرية بيت شبب. وما لست للكتاب ميسورة في ذلك العهد لقلة المطبوع منها، إذ لم يكن في البلاد السورية ولا المصرية إلا مطبوع نادرة وقدما كانت تشغله بطبع الكتب العلمية. كان جل إطلاع اليازجي كتب يستعمرها من بعض الأديرة واللكلاب القديمة، فمنها ما يقرؤه مرة
فيحفظ زبدته ومنها ما ينسخه بخطه.

ويقير ناصيف اليازجي من درس مستقلاً بهذته(1). وساعدته في تحصيل العلم والدNeal الإسلام الذي كان طبيباً على نهج ابن سينا، فعهده بإذابة ناصيف

(1) ديوان الشيخ ناصيف اليازجي (النذرة الثالثة وهي المعروفة (بثلاث القمرتين) - 77-78-المطبعة الأدبية - بيروت - سنة 1903.
(2) تراجم مشاهير الشرق - حريج زيدان - 2/16.
(3) بشير بين السلطان والعريز (1841-1841) - أسعد رستم - 234.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

إلى أحد القصص تلتقي عليه مبادئ القراءة والكتابة. فنال حظًا وافراً من فنون الآداب (1)

ومن هنا اللغة راسله كبار العلماء من مستشرقين ووطنيين في البلاد العربية ومدحوه بقصائد رائعة ومقالات شائقة عارفين مرتلهم العلمية (2).

وقد اقتصر في تلقية العلم على تعلم اللغة العربية وآدابها، فيما يذكره القوميون عنه أن أصبحت اللغة العربية هي غرامه الوحيد في حياته الفكرية. وكانت هي اللغة الوحيدة التي يعرفها، ولم تكن من أن يتعلم غيرها (3) ولعل مكانته في اللغة أصبح أحد أركان النهضة اللغوية في بلاد الشام (4).

كانت بدايات بروز ناصيف البازجي - كما يقول عنه مؤرخو نصرائه العرب - وهو في السادسة عشرة من عمره بما كان ينظمه من قصائد. وصل خبره إلى بطريرك الروم الملكيين الكاثوليك، فدعاه ليكتب له في دير (القرفة) الواقع على هضبة من هضبات كفر شيماء (5)، وكان ذلك سنة 1816 (1231 هـ). فلبث ناصيف هذه الوظيفة مدة ستين حتى نقل البطريرك إقامته إلى الزوق (6).

(1) آعيان البيان- حسن السنديوي- 106.
(2) المشايخ البازجيين عيسى إسكندر معلوف- 11- المطبعة المخلصة- لبنان- الطبعة الثانية- 1945.
(3) وانظر: آعيان البيان- حسن السنديوي- 106.
(4) يقظة العرب- جورج انطونيوس- 111.
(6) ناصيف البازجي- عيسى ميخائيل سابا- 11.
(7) تاريخ الصحافة العربية- فيليب دي طراز- 1/8/1968.
وقد يعتبر من المؤثرات الفكرية على حياة ناصيف اليازيجي مكونه في ديوان الأمير بشير الشهابي (1)، حيث بلغت شهرة ناصيف الأمير بشير حاكم لبنان فتحده من كتاب ديوانه بتدن من 1828 (1243 هـ) إلى 1840 (1255 هـ).

فلما زار الشاعر الفرنسي دي لامرتين — الذي يعتبر من مشاهير الشعراء الفرنسيين، وزعيم الحركة الرومانيقية — الأمير بشير في (بتدن) جالس الشيخ ناصيف وكتب عنه في رحلته (2) في كتابه رحلة الشرق (3).

ويصف اليازيجي دولة بشير الشهابي، بأن لها آثار حسنة في البلاد.. فهم الذين مهدا البلاذد وذلقو صعابا وكسرها عادية المردة والعصاة من أهلها، وقطعوا العداوات والفتن التي مرت عليها دول شئ وهي منتشرة بين الناس (4).

أمضى ناصيف اليازيجي في الديوان الأميري أثنا عشر عاماً في خدمة بشير الشهابي، وفي عام (1256 هـ-1840 م) نُرحّت حكومة لبنان من يد الأمير

(1) بشير بن قاسم بن عمر الشهابي؛ أكبر الأمراء الشهابيين النصارى، وكان لهم شأن في لبنان ولد سنة 1213 هـ، وانفصل بأسامة الجزار وتوّل إمارة لبنان، وناصر إبراهيم باشا ضد الدولة العثمانية، ففي إلى مالط، وطلب العودة إلى الأستانة ومات فيها سنة 1266 هـ. انظر: (الإعلام-الركيلي-27/7).

(2) المشايخ اليازيجيين- عيسى معلوف-10، وانظر: دائرة المعارف الماسونية- هنا أبي راشد-1/60.


تُفنّى إلى مالطة رداً من الزمن، ثم جاءه أمر سلطاني يسمح له بالإقامة في أي مكان في المملكة عدا سوريا.

وسُبِب نزع السلطة من يد الأمير بشير، أن الأمير بشير اتفق مع إبراهيم باشا (1)، قائد جيوش والده محمد علي باشا بالانفصال عن الدولة العثمانية، وذلك سنة 1247هـ (1831م) (2).

ولما في حركة إبراهيم باشا من تأدي مطلب الجمعيات القومية، وهو الانفصال عن الدولة العثمانية، فقد علق أعضاء الجمعيات على هذه الحركة آمالاً، وهم كما تتكرر حركة مصر الهادفة إلى سلب مصر والشام عن الدولة العثمانية وإقامة دولة مستقلة متحدة جديدة (3). واعتبر أعضاء الجمعيات إبراهيم باشا بذالك أقصى الجهد في نشر أفكاره عن فوضي العرب مفهومة قومية، وكان يحاول أن يقع سكان البلاد بأن فجر عهد جديد أشرق عليهم بتوالي محمد علي الحكم، واستطاع في زمن لم يتجاوز عاماً، أن يقيم نظاماً جديداً يعتمد على المساواة في الحقوق الدينية والمدنية (4).

كما وقد اهتم بشير الشهابي بالحملة الفرنسية التي جاءت إلى مصر وأرسل أحد مستشاريه ليشاهد عن كتب، مجرى الأحوال، وليرسل تقريراً عن تلك الحملة وما رافقها (5).

(2) إبراهيم باشا- بير كريتس- ترجمة: محمد بدوان- لجنة التأليف والترجمة- 1937.
(5) يقظة العرب- جورج انطونوس- 91.
(6) لبنانيات- نقولا زيادة- 106.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

لقد كانت هذه الأحداث والأفكار، في حكم الأمير بشير الشهابي، واليازجي من رجال الدولة، ومن المقربين في ديوانه.

ولكن بعد فشل حملة إبراهيم باشا، والقضاء على حكم الشهابي والقبض عليه، اتجه ناصيف اليازجي إلى بيروت وأقام بها مع ذويه، وعكف على المطالعة والتدريس، وتأليف الكتب للناشئين ونظم الأشعار، ومراسلة الأدباء في الأقطار، فذاذ صيته، وعلت مكانته، فكان نجمه أهل الأدب وشريعة أولي الفضل.(1)

وقد أصيب ناصيف اليازجي في عام 1869 (1285هـ)، بمرض عضال فانفجّر فاجعةً نصفاً عطّل نصفه الأيسر، ثم أصابته سكتة دماغية فتوت في فجأة بتاريخ 8 شباط 1871م (1287هـ) في منزله الكائن في زرقان البلاط بالقرب من المدرسة الوطنية. فجرى لمشهده احتفال عظيم جداً اشترك فيه العلماء والكبراء والتجار، وتمامة المدارس وجم غفير من الناس من النصارى والمسلمين واليهود.(2)

ونشرت بعض الصحف أقوالاً في رثائه، فهما قالوا: (إن الشيخ ناصيف اليازجي أشهر شعراء العرب في هذا العصر، قد توفي في بيروت عن إحدى وسبعين سنة... وقد مُدَحَّ تأليفه في المدرسة العربية في بلاد جرمانيا، وترجم منها شيء إلى اللغة الجرمانية، والحقيقة فإن الآداب العربية قد تكبدت بفقدانه

(1) أعيان البيان - حسن السندوي. 60.
(2) تاريخ الصحافة العربية - فيليب دي طزاز. 88/1.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلم

خسارة عظيمة لا تعوض، وقد ترك مؤلفات عديدة في كافة الفنون العربية تخلّد له ذكرىً مؤبذاً، وقد تأسف عليه جميع أهل الأدب من أبناء وطن وأجانب.

وقد واثبه ابنه إبراهيم اليازجي قائلاً:
فخر النصارى صاحب الفجر التي ضربت على ذكرى البديع وأهدها فأمال ركناً للعلوم مشيداً.

- أهدافه وآثاره العلمية والعملية في تأسيس الجمعيات القومية العربية:

يتنلى الدور الذي أداه اليازجي في قضية تأسيس الجمعيات القومية عبر ما كتبه في مؤلفاته وما قاله فيه غيره في الأمور التالية:

1. اعتبار مكانة العلمية: بلغ من كل علم من علوم العربية لبابه ودرس أشهر مصنفاته، ولد في جميعها تأليف مشهور، هي اليوم عمدة التدريس في أكثر المدارس المسيحية، ولد ثلاثة دواوين شعرية تعد من عيون الشعر وكثير منها محفوظ على الألسنة، ولا سيما الأبيات الحكمية منها وهي في شعره أكثر من أن يحصر، وله المقامات المشهورة باسم مجمع البحرين.

المراجع:
1. المختصر اليازجي عيسى اسكندر معلوف-43. وانظر: مجلة النجاح البصري-وقد نشرت ترجمة الريخان في المجلد 2- الجزء-تاريخ 22 أيار سنة 1871 الصفحة 586.
3. تراجم مشاهير الشرق-جريديا زيدان-2/6/12.
وقد اعتبر أعضاء الجمعيات القومية اليزاجي شاعر القرن التاسع عشر وهو مطلب النهضة الحديثة وعلاماً من أعلام البيان، وسيدةً من سادة العلم وأركان النهضة العلمية في لبنان(1).

أقبل أكثر الشعراء من جميع الأخوان العربية على مراسله ومدحه بما دل على وفور فضله وعلم كعبه في الشعر والأدب(2).

ولهذه المكانة العلمية التي وصف بها اليزاجي سعى إليه السعاة، وخرج على يديه الشباب، ولا سيما طلابه الذين أخذوا عنه العلم في مختلف المعاهد والمشاريع التي علم فيها، فخلّف بذلك أجيالاً من المتعلمين المثقفين كانوا نواة النهضة التي آنثت أكلها في الأجيال التي تلت جيله... وأصبحت كتبه منهل الورود يغترفون منها زلال الأدب ومعين العلم، فما من أدب ولا متأدب في عصره وبعد عصره إلا واستوى من ذلك النع القيا(3).

وقد طَبَق ما دار بينه وبين أكثر الشعراء من العراق ومصر وغيرهما في ديوانه مصوص عنوانه (فاكهة الندماء في مرسالات الأدب(4)، وعندما اطلع عليه أحد تلامذته، قال: قد غنيت باستقصائها فوجدت شيئاً كثيراً من تلك الرسائل – نثرية وشعرية – قد أَغْفَّلَت في الطبع فجميعها عندي(5).

(1) ناصيف اليزاجي-غيس ميخائيل سابا-1936.
(2) تراجم مشاهير الشرق-حجي زيدان-20/2/1900.
(3) ناصيف اليزاجي-غيس ميخائيل سابا-1918.
3. التعليم والتدريس: قال عنه أعضاء الجمعيات القومية، بعد عودته من خدمة الشهابي: مكتب في بيروت وتفرغ للمطالعة والتآليف والتعليم ومراسلة معاصره من الشعراء. وخرج عليه طبقة من الأدباء، نبغ كثيرون منهم في العلم أو التجارة أو السياسة أو غيرها. وكان حجة في اللغة والأدب وكثير من أشعاره جرى متجري الأمثال لشيوع مؤلفاته بين أيدي الطلاب ولا سيما في سوريا.(1)

ومن تلك المدارس التي أقام فيها منقطعًا للمطالعة والتآليف والتدريس، المدرسة البيطركية) للروم الكاثوليك سنة 1864 (1880 هـ) ثم (المدرسة الوطنية) للبستاني، وكذلك (المدرسة الكلية) للأمريكيين.(2) وهي التي تسمى الجامعة الأمريكية، فقد في فيها اللغة العربية وآدابها، وكان في جملة طلابه الدكتوران يعقوب صروف وفارس نمر وهم من أعضاء الجمعيات القومية العربية وغيرهم.(3)

وقد اتفق البستاني مع البستاني في العمل مع المدارس التنصورية الأمريكية، فأخذ البستاني في بيروت يختلف التعليم في مدارس الأمريكيين، ويصحح الكتب في مطبعتهم. وانقطع إلى المطالعة والتعليم، فكان يهيبة العلماء، ورجع

(1) تاريخ آداب اللغة- جرججي زيدان- 2/44
(2) تاريخ الصحافة العربية- فيليب دي طرابز- 2/87. وانظر: المشايخ البيزجيين- عيسى معلم- 11
(3) ناصيف البيزجي- عيسى ميخائيل سابا 12- 12
الفتوى الأدبية، وعكاظ الخباير العلمية والممارسات اللغوية١). كما قام
اليزجي بتعليم اللغة العربية للمنصرين الأمريكيين ومنهم الدكتور فانديك١).

ويعتبر أعضاء الجمعيات القومية العربية، أن تدريس اليزجي وغيره من
العرب في مدارس الحملات التنصيرية، فيه خروج للعلم والأدب في بلاد الشام
من نطاق البيئات الدينية إلى صفوف الشعب، وأصبح يشمل المرأة مربى الجيل
الجديد، كما يشمل الرجل٢).

3. تأليف الكتب: يعتبر أعضاء الجمعيات القومية أن اليزجي هو أول
نصراني راح تسجيل اللغة في المدارس العربية.. وهو بشهادة أبناء جيله، (كان
مثن أردن الدهر وأفراد رجال العصر الذين باختيم الأيام ونشرت مآثرهم
بأستان الأعلام)٣).

وكان تأليف الكتب التي ألفها في النحو والمنطق والبلاغة والعروض
من الكتب التي ألفها في النحو والمنطق والبلاغة والعروض
أن تدروس في المدارس، ولا سيما مدارس اللغة التبشيرية الأمريكية، وكانت
تأثر بك ما تدروس إليه الحركات والجماعات التنصيرية، فلم يملك اليزجي قط
عن دعوته إلى إحياء الأدب القديم، حتى يتح في إقناع عدد كبير من طلاب
العلم بأن ذلك هو سبيل الوحيد للنضادة.. وكانت دعوته تثير انتباه الناس على

المصدر نفسه-١١٠.
(١) تاريخ الصحافة العربية-فيليب دي طرابز-١٤٥/١١٤.
(٢) الجملة المفقودة في تاريخ العرب-محمد جليل بهم-١٣١/١١٢.
(٣) ناصيف اليزجي-عيسى ميخائيل سابا-٣٠٢/٣٦٣.
اختلاف عقائدهم (النصارى والمسلمين)، وكان يحبب فيهم.. أن يذكروا تراثهم المشترك وأن يشهدوا على أسسه مستقبلاً إجواناً متالفين(1).

ويرى مؤرخو نصارى العرب أن تأليف البيازجي للكتاب اللغوي أراد منه كمان مسيحي أن يضع لأبناء أمته مؤلفات على طراز المؤلفات الإسلامية التي وضعها علماؤهم، فشرع في وضع أرجوزتين في الصرف والنحو ونسج على غرار المقامات البديعية والفردية، وزاد عليها كثيراً من التفنيات في الشعر والنشر، وشرحها بقلمه فتضاعفت فائدة لما أظهره في الشرح من أخبار العرب وأمثالها وعاداته وأحوالها، وقد ألف البيازجي في جميع فنون اللغة العربية ما عدا الفقه، وضع أطول المؤلفات وأحقرها في أكثر القواعد اللسانية(2).

ومن تلك الكتب التي ألفها البيازجي:

أ – كتاب نظرة الطرف في أصول الصرف: أرجوزة في سبع عشرة صفحة، مشروحة بقلمه، ألفها سنة 1854 (1270 هـ) مقتصرة فيها على ما تقدم معرفته من هذا العلم. طبعت في المطبعة المخلصة للروم الكاثوليك ببيروت سنة 1870.

ب – كتاب طواف الحمامة: وهو مختصر نتري يقع في عشرين صفحة صغيرة طبع في المطبعة المخلصة سنة 1865.

(1) يقظة العرب: جورج انطونيوس- 111.
(2) المشايخ البيازجيين عيسى إسكندر معلوف-12-13.1.
γ - كتب نار القرى في شرح جوف النفا: أرجوزة مستفيضة في الأبحاث النحوية، ضم إليها ما تفرق في كتب أئمة النحو، خدم بما التأديين

الأخذين بعلم العربية خدمة تذكر فتشكر .. طبع في بيروت سنة 1863(1).

د - كتب جميع البحرين: وهو من أشهر تأليفها وأعظمها. وهي ستون مقامة ضمنها ممن بلاغة الإنشاء والفوائد اللغوية والعلمية وتاريخ العرب وأمثالهم ما دل على غزارة محفوظة وقوة عارضته في النظم والنثر (2)، كما تحتوي على حزول قول وجده، أودعها فنوناً من الآداب، وصنوفاً من بديع الإنشاء، وسائر الأمثال .. وهي مشهورة متناولة بين أيدي المت أدرين، وطعت مراراً (3).

ه - كتب مختارات اللغة: يذكر من ترجمة اليازجي أن له كتاباً في خزانة ديـر السرية في لبنان للسريان الكاثوليك بهذا العنوان، وصـف في برنامج المكتبة المطبوع في الصفحة 448 بما نصه: مؤلف هذا الكتاب أشهر من أن يوصف وكـتابه هذا يدل على تضلعه في العربية وهو من التصنيف المستحق باعتبار اللغويين (4).

و - ديوان شعر: في ثلاث نبذات طيبة الحجم، دعاها: النبضة الأولى، ونفحه الربيع، وثالث القمر، فيه جيد الشعر ما لا تكاد تجد بعضاً في أكثر شعر من عاصرته(5) كما قال عنه المرجمن.

(1) ناصيف اليازجي - عيسى ميخائيل سابا - 20.
(2) تاريخ الصحافة العربية - فيليب دي طراز - 84/10 - 1.
(3) أعيان البيان - حسن السنوبي - 12. وناظور: الشيخ ناصيف اليازجي - عيسى سابا - 12.
(4) المشايخ اليازجيين عيسى إسكندر معلم - 11.
(5) أعيان البيان - حسن السنوبي - 12.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

ز - كتب مدرسية: يرى أعضاء الجمعيات القومية العربية أن البازجي هو أول ممن راحب كتبه اللغوية في المدارس العربية،1) وهذه الكتب مختلفة فنونها ما بين منظم ومثير في النحو والصرف والبيان والعروض وجلتها مطبوع متدول.2) ومنها: (كتاب مطالع السعد لمطالع الجوهر الفرد)، و (كتاب فصل الخطاب في اللغة والإعراب).

وقد قبل عن أثر هذه الكتب المدرسية: إن البازجي بعث بما فضية أدبية عندما اختصر القواعد العربية بكتاب تدريسية، لم يتكفل في عبارته3)، ولذا أصبحت هذه الكتيب عمدة التدريس في أكثر المدارس السورية وبعض المدارس المصرية.4)

هذه بعض الكتب العلمية التي كتبها البازجي، وذكرها المترجمون في سيرته.

وعليه تعد من أعظم الخدمات العلمية التي قدمها للحملات التنصرية.

4) تأسيس الجمعيات: لقد سبقت الإشارة إلى دور البازجي مع الحملة التنصرية، ومشاركته لهم في التدريس، وأما عن دوره في تأسيس الجمعيات القومية، فيعتبر البازجي العضو العامي القوي الذي أيد الدكتور إيلي سيميث في

---
1) تاريخ آداب اللغة العربية - جرجي زيدان - 234/4.
2) أعيان البيان - حسن السنيدي - 26.
3) الشهيخ ناصيف البازجي - عيسى سابا - 24. وانتظر عن كتبه:
1 - تاريخ آداب اللغة - جرجي زيدان - 234/4.
2 - تاريخ الصحافة العربية - فيليب دي طراز - 1/84/1.
3 - تاريخ الصحافة العربية - فيليب دي طراز - 1/84/1.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

إنشاء الجمعية السورية سنة 1847م، ويرجع بعض الكتاب فكرة تأسيس الجمعية السورية إلى اليازجي (1).

وبعد أن تولى اليازجي تعليم المنصرين للغة العربية أصبح خطيباً، ويلقي القصائد الأدبية في الجمعية السورية، التي تعتبر جمعية علمية أدبية عقدت ثلاثين وخمسين جلسة قانونية، وأكثر من عشرين جلسة عمومية.

ومن خطب اليازجي في هذه الجمعية خطابه (في علم العرب ضمنه بحثًا مفصلًا في أدوار تطرق اللغة العربية وآدابها، كما ألقى في الجمعية مقامته (الحقيقة) التي طبعت في جمعية البحرين (2).

ومن خطبه: (كان الملوك ومن يليهم يعرفون كثيرًا من العلوم ويتمكنون منها. ولذلك كانوا يُعْمِنُون بشأن العلم والعلماء، وينعون حقهم. وكانوا يقيمون مدارس في علوم شيء فيما وجدوا لها موضعًا، ويغشرون المشايخ والطلبة بالعطاء) (3).

ومن صور تقدم المساعدات الأدبية للمنصرين، والمساهمة في نشر المعتقدات النصرانية، مساعدة اليازجي للمنصرين في ترجمة (الكتاب المقدس): ونظم المزامر وبعض الأغاني الدينية، وصحح مطبوعات المطبعة المختلبة الخاصة بجم، في بروت (4).

(2) المشايخ اليازجيين عيسى أسكدار مالوف-42.
(3) أعوان البيان-حسن السنوي-26.
(4) تاريخ الصحافة العربية-فيليب دي طرابز-1985/1.
ثالثاً: طاهر الجزائري:

أ- تعريف موجز بالشخصية الذاتية:

هو طاهر بن صالح بن أحمد بن موهوب الجزائري، ولد بدمشق سنة 268 هـ، ودعا والده بـ (الطاهر)، وكان قد هاجر والده من الجزائر إلى دمشق في سنة 273 هـ، وكان من بيت علم وشرف، وتولى بدمشق قضاء الملكية (1). وصار الشيخ صالح مفتي الملكية للجزائريين في دمشق، واشتهر بمعارفه وأخلاقه، وتوفي سنة (1865) عن ستين سنة وترك أولاداً أشتهروا منهم المترجم له، ابن شقيقه سليم الجزائري، الذي له في تدريسه اليد الطويل (2).

وقد بذل والده المرحوم عنايته تعليمه في بعض المكتبات السينطة ومكتب الرشدية، الذي نال فيه شهادته ودرس عليه بعض العلوم وعلى الشيخ عبدالغني الميداني (3). فنال في العربية وآدابها (4) وتفقه العلوم الطبيعية والرياضية من علمائها كنواب خريجي المدرسة الحربية (5).

(1) انظر ترجمته في الإعلام-الزركي-2/189.
(2) كنز الأخحاد-حمد كرد علي-9-دار الفكر-سورية-دمشق-1404 هـ.
(3) المعاصرون-حمد كرد علي-268. وتوفي: توير البصائر بسيرة الشيخ طاهر-حمد سعيد الباني-139.
(5) عبد الغني بن طالب بن حياء الغني الشهير باليجليان نسبه إلى مجلة البحار بدمشق، ولد بدمشق سنة 262 هـ وأخذ عن فضلائها الإمام المحدثين عبدالرحمن الكربري والمفسر الشهير محمد أمين عباس الدين السيد حسن اليمان، وكان جل انتفاعه منه أشتهى بالغته الحنيفية، وتفوق به وصف مصنفات حسنة ورسائل كثيرة وتوفي سنة 298 هـ-انظر: الإعلام-الزركي-2/32.
(7) توير البصائر بسيرة الشيخ طاهر-حمد سعيد الباني-73.
ويتحدث تلامذة الشيخ طاهر عن المراحل التعليمية الأولى من حياته بأنه التحق بالمدرسة الجموحية الاستعدادية فتخرج منها، بعد أن تطبع بطبع علومها ومن أبرزها الوجوه بالشريعة إلى أصولها، والأحز من آدابها، ومعاربة الخراكات التي استمرًا طبقات المتآخرين، و إنقاذ الدين من المبتدئين والوضائع (1).

وقد نزعت نفسه إلى جمع الكتب منذ كانت سن سبع سنوات (2)، ومنذ أن كان في المدرسة الابتدائية أخذ يرتاب (يشتري) الرسائل المخطوطة من دريمهم كأن يترضي بها لوالده خرجه... وكان كله أحرز الشيخ شئًا من الأوراق والأسفار طالعه بإمان وحب وحرص عليه، واجمتعت له بطول الزمن خزانة مهمة من الأوراق بلغت بضعفة آلاف مجلد فيها كثير من النواز المخطوطة (3)، واستمرت معه الرغبة في جمع المخطوطات والكتب النادرة إلى آخر حياته (4).

(1) مدرسة قديمة تقع قرب الباب الشمالي للمسجد الأموي بدمشق وفي الشرق من ضريح صلاح الدين الأيوبيين عدد بناءاً سيف الدين جمجمة الذي تولى نبابة دمشق سنة 822 هـ فنسبت إليه. أنظر: أشهر الأشبال - طاهر الجزائري (مقدمة الكتاب - مازن المبارك) - 9 - دار الفكر المعاصر - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - 1411 هـ.
(2) كنوز الأجداد - محمد كرم علي - 9.
(3) كنوز الأجداد - محمد كرم علي - 1 (تصرف).
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

ممات والده وهو ما يبلغ الثامنة عشرة من عمره، فاعتمد على نفسه في المطالعة والتنقيب والمراجعة والتحقيق، وتقاعد المكاتب والوقوف على نفسيها فتمكن فيها ملكة التأليف وجمع الكتب النادرة والمخطوطات النفيضة، فوقف إلى إحرار كثير منها في دمشق، وفي أسفاره، فصار مرجعا في فن وصف المخطوطات، ومعرفة مظاها والفيد منها(1).

ولما وصف به الشيخ طاهر من اتساع الصدر لجمع علوم المدينة الحدثنة(2)، فقد درس العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية والسياسية والأثرية، أخذها عمناء من الترك وغيرهم. ولم يبلغ الثلاثين من عمره حتي أتقن العربية والفارسية والتركية. وتعلم الفرنسية والسريانية والعبرانية. (3) وحق اللهجه الليبية وهي لهجة قبائل الجزائر المغربية(4).

وقرأ جميع ما طالت يده إليه من الكتب العربية التي طبعت في الشرق والغرب، أما المخطوطات التي طالهاها وлючها فعدد بالمئات. (5) وما ساعد عليه التحصيل العلمي، قوة حافظته التي لا تتكاد تنسى ما تعرّ به مهما طال العهد (6).

(1) مجلة الهلال-مجلد 2-الجزء 5-تاريخ 1328/6/11-المقال عيسى اسكندر المعلوف-ص:452.
(2) كنز الأجداد-محمد كرد علي-12.
(3) المصدر السابق-1 (بتصرف).
(5) كنز الأجداد-محمد كرد علي-15.
ولشدة شغف الشيخ بتحصيل العلم فقد كتب عنه طلابه بأنه لم يتزوج،
بجحة ألا يشغَّل ذهنه بِزوج وأولاد، ولكون أبداً مطلق العنان يسيح في الأرض
من أراد(۱)، مع علمه أن لا رهبانية في الإسلام، وكذلك إرضاً لوالدته(۲)
ولعلمه أن للزوجة حقوق شرعية يجب أداءها واستغراق أوقاته في العلم
والسياحة(۳).

ولم يكن الشيخ قد تجاوز الثانوية والعشرين من سني حياته يوم تولى أولى
وظائفه في الدولة، حين عين معلماً في المدرسة الظاهرة الابتدائية بدمشق سنة
۱۲۹۴ هـ(۴).

وأبين منهج الشيخ طاهر في دعوة الناس، ما ذكره طلابه عنه، بأنه لم يجد
عن الخطة التي اكتسبها لنفسه منذ نعومة أظفاره، ودعا الناس إلى انتهاجها حتى
آخر أيامه، وخطبته الإخلاص والعمل على النهوض بالأمة عن طريق العلم وثب
الملكات الصحيحة في أهل الإسلام، وثورته ثورة فكرية لا ماديه، ويقول إن
هذه الطريق يطول أمرها، ولكن يؤمن فيها العثار، والسلامة محققة ثابتة، وكان
يبذل جهده لدعم دعوته أهل الخضر والبادية، والأغنياء والفقراء(۵).

(۱) كنز الأجداد-محمد كرد علي-۱۸.
(۲) مجلة المقطف-الجزء الرابع-المجلد ۲۲ بتاريخ ۷/۱۲/۳۸ والمقابل ۱۹۲۰-ص:۳۰۳.
(۳) تورير الصائر بسيرة الشيخ طاهر-محمد سعيد الباني-۱۳۷۳.
(۴) الشيخ طاهر الجزائري رائد النهضة العلمية في بلاد الشام-عدنان الخطيب-۹۴.
(۵) كنز الأجداد-محمد كرد علي-۱۴.
وتنفيذاً هذا المنهج فقد عقد الشيخ صلات مستديمة مع علماء عصره، ومنهم صديقه العالم المجري غولد صهير اليهودي (1)، الذي ترجم إلى الألمانية كتاب (توجيه النظر إلى علم الأثر) لأساتذة طاهر الجزائري، وقد أرسل غولد صهير إلى طاهر الجزائري هذه الرسالة: سلام على صاحب الشرف الباذخ، والفضل الشامخ، من هو المرجع للأماثل والأفاضل، الحاوي لأقصى معنفاضات الفضائل والفواعض، العالم العلامة الشيخ طاهر. أرجو أن لا ينمحي من قلبكم خيال صاحبكم المجري الذي كان يستجير بشامكم في سنة 1290 هـ مقتبساً من أنوار علمائها، وصاحبكم يوماً فيهما مستائناً بمجارتكم ومداكتركم، وكما إذ ذاك في عفونان شبابنا متباحرين في العلوم الشريفة، مستغرفين في بحور الآداب الظريفة. حرح في 5 ذي الحجة سنة 1317 هـ / 904 م(2).

ويشير طلاب الشيخ طاهر علاقة الشيخ بالمستورفين بأفافاً باعته على تخفيف حملاهم على الإسلام وقوام على، وهذا ما كان يهمه له، ثم يهمه من أمر المستورفين من المستورفين توفرهم على خدمة آدابنا، نشر كتبنا النفيسة، وكان يعذم فيهما هم يسبيله إذا استرشدوه، ويفتتهم راضياً مختاراً إذا استفدوه، فيما يتعرد وقوفهم عليه(3).

(1) إجنساس كولد صهير وليفظ بالألمانية جو لدسته، مستشرق يهودي مجري، ولد بألمانيا سنة 1266 هـ، رحل إلى سورية سنة 1289 هـ وتنقل في البلاد الإسلامية ولزمة مجمعه من القوميين. فتنة طائفة كبيرة من المسلمين بأفكاره نحو السنة النبوية والفقه الإسلامي. توفي سنة 1340 هـ بألمانيا. انظر: (المؤلفون - محمد كرد علي - 132).


(3) كنز الأجداد - محمد كرد علي - 18.
فقد صنف الشيخ طاهر كتابًا في العقيدة، على طريقة السؤال والجواب، ويمكن أن تُستخلص من الكتاب عقيدته، فمما قال: مذهب السلف أرجح لأنه أسلم وأحكم، وأما مذهب الخلف فإما يسوق الأخذ به عند الضرورة.(1)

وبهين معتقده من صفات الله سبحانه وتعالى، بقوله عن صفة الاستواء:
المراد بالاستواء: استواء يليق بلجلال الرحمن جل وعلا، فالاستواء معلوم والكيف مجهول، واستواؤه على العرش ليس كاستواء الإنسان على السفينة أو ظهر الدابة أو السرير مثالًا، فمن تصور مثل ذلك فهو ممن غلب عليه الوهم لأنه شبه الخالق بالمخلوقات مع أنه قد ثبت في العقل والنقل أنه ليس كمثله شيء، فكما أن ذاته لا تشابه ذات شيء من المخلوقات كذلك لا ينسب إليه سبحانه ما يشابه شيئًا مما ينسب إليها(2).

وبنفس المعتقد فسر العين واليد.. الخ من الصفات ثم قال: ينسب هذا المعنى إلى جمهور السلف، وأما الخلف فأكثرهم يفسرون الاستواء بالاستياء، واليد بالنعمة أو القدرة، والأعين بالحفظ والرعاية، وذلك لتوهم كثير منهم أها إن لم تؤول وتصرف عن ظاهرها أوهمت التشبيه(3).

ثم بين معتقد في الكتب السماوية، وما قال عن الإخجل: إن الإخجل المتبادل الآن له أربع نسخ أثنا خمس أربعة، بعضهم لم ير المسيح عليه السلام أصلًا،

(1) الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية- الجزائر-1979-دار ابن حزم- بيروت- الطبعة الأولى- 410 هـ.
(2) المصدر السابق- 423.
(3) الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية- الجزائر- 1979. 25.
وهما مبسم ومرقص ولوقا ويوحنا، وإنجيل كل واحد من هؤلاء مناقض للآخر في كثير من المطالب.

وقال عن القرآن: أشرف كتاب أنزله الله سبحانه وتعالى على أشرف أنبيائه محمد، وهو آخر الكتب الإلهية نزولاً، وهو ناسخ لجميع الكتب قبله وحكمه باق إلى يوم القيامة (1).

وعن ختم الرسالة بينا محمد قال: إن حكم إرسال الأنبياء لدعوة الخلق إلى عبادة الحق، وارشادهم إلى طريق السداد في أمور المعاش والمعاد، وإعلامهم بالأمور الغائبة عن أبحارهم، والأحوال التي لا يصلون إليها بأفكارهم، وترميم الأدلة القطعية، وإزالة الشبه الباطلة، وقد تكفلت شريعته الغزاة ببيان جميع هذه الأشياء على وجه لا يتصور أبلغ منه في الكلام، بحيث توافق جميع الأمم في جميع الأزمات والأمكاني والأحوال، فلا حاجة للخلق إلى نبي بعده، لأن الكمال قد بلغ حده (2).

وهذا الإيضاح يتيح أن معنى الجزائر فيما ذكره، موافق لعقيدة أهل السنة والجماعة، وإنما الأخذ بمنهج الخلف فهو مرفوع عند السلف، ولا يسوغ الأخذ به لا عند الضرورة ولا غيرها، إذ أن طريقة السلف في بيان العقيدة هي طريقة الأنبياء والرسلين، ولا يجوز العدول عنها إلى غيرها، فقد قال تعالى: "أولئك الذين هدى الله في هديهم أقتديهم قل لا أستلمكم عليه أجرًا إن هَوْا إِلَّا ذُکُرَى لِّلْعَلَّمَيْنِ" (3).

---

(1) المصدر السابق-36.
(2) المصدر السابق-52.
(3) سورة الأنعام -آية (90).
وقد قال ابن تيمية: (كيف يجوز على الله تعالى، ثم على رسوله ﷺ، ثم على خير الأمة: أن نتكلم دائماً بما هو؟ إما نص، وإما ظاهر في خلاف الحق، ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يوجوه به قط، ولا يدلعون عليه إلا نصاً ولا ظاهراً، حتى يجاه أدباء الفرس والمغري، وفروع اليهود والنصارى والفلاسفة يبينون للأمة العقيدة الصحيحة، التي يجب على كل مكلف أو كل فاضل أن يعتقدها).

ب- أهدافه وآثاراته العلمية والعملية في تأسيس الجمعيات القومية:

بegan مساعي الشيخ طاهر الجزائري، في نشر المعارف والعلوم، بعد أن عُيّن مدحت باشا ولياً على ولاية سورية في سنة 1879 (1296 هـ)، فأسس الجمعية الخيرية، التي كان الاعتماد عليها في تأسيس الدمارس، فلم تسر

1) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، 1/5، 16.
2) انظر: الشيخ طاهر الجزائري رائد النهضة العلمية في بلاد الشام- عدنان الخطيب- 1/10.
3) جمعية المقاصد الخيرية: تأسست سنة 1294 هـ- الموافق 1879، وهي جمعية إصلاحية أساسية في دمشق، أيام ولاية باشا، وقد عقد عام (كماء بك مكوري- أمين سر- ولاية سورية)، محاولة الشيخ طاهر، على السعي لدى مدحت باشا، لإنشاء جمعية باسم (الجمعية الخيرية) يتضمن إلى أعضائها معظم الرجال والعلماء المشهورين يجمعهم للمشاريع الخيرية. فسعت هذه الجمعية سعياً صادقاً في تأسيس المدارس للذكور والإناث وفي مقدمة الساعين الجزائري الذي تفوق في خدمة وطنه. وكان هدفها أديباً اجتماعياً في الظاهر، وسياحياً في الباطن لإعادة العمل بالدستور المعطل، وجعل الحكم شريعةً، وكان اعتنعم أنشطة الجمعية على ما يجمع من المسنين في بلاد الشام، وكان رجاءً على أن تكون جمعية تجارية ثقة الفتاة، وقد أنهت الجمعية الخيرية في المعارف، وبقبول أعضاء الجمعيات: الجمعية الخيرية كانت مؤلفة في الظاهر من علماء دمشق وأعيافاً. ومن أبرز المؤسسين: طاهر الجزائري، ورفق العلم، وسليم البخاري، وجمال القاسمي، ومحمد كرد علي
4) وغيرهم. انظر: عالم ظفراء الخيرية: عمر النيبط- محمد أحمد طلمس- 52، والعرب والترك- توفيق برو- 35، والشيخ طاهر الجزائري- عدنان الخطيب- 10، ومجلة الهلال- مجلد 28- الجزء 4- 1387/6/1، ومجلة المقطف- المجلد 26- الجزء 4- 1387/6/1، ص- 298.
الجمعيات القومية العربية و موقفها من الإسلام والمسلمين

خطيئة الجمعية الخيرية بنشر العلم على الأساليب الحكومية، وإذا تجمع المال من الموسرين تنفقها في مشاريعها.

وقد قال الشيخ طاهر، عن منهج الجمعية: جرت منذ أسبوعين مذاكرة سرية في طريقة ترجمة إحدى دواوين المعارف الفرنسية، فإن الناس في احتياج لذلك... وقد كان بعض المحاضرين يريد أن يجعل زمام الأمر في يد الحكومة، فطلبنا أن يَكُمن ذلك عنها، فإنه لا يُمول أن تُقَدر عليه، فإن هذا الأمر يحتاج إلى الحكمة أكثر من احتيجه إلى الحكومة.

ومن خلال دراسة سيرة الشيخ طاهر الجزائري العلمية والعملية يلاحظ الباحث أن دور الشيخ طاهر الجزائري في تأسيس الجمعيات القومية العربية ينقسم إلى قسمين، القسم الأول: دوره في نشر العلوم والمعارف العامة، والقسم الثاني: دوره في تأسيس الجمعيات القومية، ونشر الفكر القومي.

القسم الأول:

أولاً: تولى التعليم لأول أمره في المدرسة الظاهرة الابتدائية، ولما أسست الجمعية الخيرية من علماء دمشق وأعيافها سنة 1941 هـ دخل في عدد أعضائها وكان من أكبر العلماء فيها، ثم استحالت هذه الجمعية (ديوان المعارف) فعين مفتشاً عاماً على المدارس الابتدائية التي أنشئت على عهد مدحت.

المجتمعات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

باشا والي سورية سنة 1295 هـ (1) وتولى الشيخ طاهر هذه الوظيفة منذ سنة 1316 هـ فقام على هذا التفتيش أربع سنوات سعى فيها سعياً مشكوراً في ترقيتها (2).

ثانيةً: أنشأ معاونة بضعة أصدقاء له (دار الكتب الظاهرية) بدمشق وجمع فيها سنة 1296 هـ ما تفرق من المخطوطات العظيمة في عشر مدارس تحت قبة الملك الظاهر بيبرس. وأنشأ مثلها (المكتبة الخالدية) (3) في القدس نسبة للشيخ راغب الخالدي، وغيرها من مكتبات سورية وفلسطين، وعمل برامج لها وطبعها لتعميم فئادها وتحويلها إلى مكتبات عامة (4).

ثالثاً: إنه مؤسس لكل المدارس الأميرية في سورية ولبنان وفلسطين زمن ولاية مدحت باشا، ولولاية حمدي باشا الذي جاء بعده. وقد تمكن بدهائه أن يجعل العربية لغة التعليم إلى أن غلب على أمره كفّته يده وجّه التعليم فيها بالتركية (5).

رابعاً: يقول أعضاء الجمعيات القومية: إن الشيخ طاهر الجزائري عمل بنبوغ وعبقرية على تأسيس المدارس تحت غطاء الجمعية الخيرية، ومعاونة

3. كنز الأجداد - محمد كرد علي - 11 (بتصريف)
5. الشيخ طاهر رائد النهضة العلمية في بلاد الشام - عدنان الخطيب - 42.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

مدحت باشا، ثم وضع البرنامج، وتولى الكتب اللازمة، وحمل الآباء على تعليم أولادهم، فقدفتح أبواب تسع مدارس للذكور جمعت في حلقاءاً نحو ثمانيثة طالب، ومدرستين للإناث جمعت نحو مائة طالبة، وكان منهج تعليمهم جميعاً حديثاً الأسلاوب، غزير الفائدة، وأسس مطبعةً لطبع الكتب المدرسية باسم الجمعية(1).

خامسًا: تأليف الكتب الدراسية، قال تلاميذه: (ببذل جهد المستطاع في إصلاح الكتايب الابتدائية والمدارس.. وصنف كثيراً من الرسائل الناجعة للمبتدئين، المختلفة باختلاف طبقاتهم على أسلاوب متبتكر لم يكن معهوداً في ذلك الوقت(2) ومنها:

1. الجواهر الكلامية في العقيدة الإسلامية على طريقة السؤال والجواب.
2. التقريب إلى أصول التعريب.
3. توجيه النظر إلى علم الأثر.
4. منية الأذكياء في قصص الأنبياء، عربية عن التركية.
5. الفوائد الجسمية في معرفة خواص الأجسام، وهو في الحكمة الطبيعية.
6. مدخل الطلاب إلى فن الحساب.

(2) تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر-محمد سعيد الباني-1391-الحكومة العربية السورية-1970.)
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

7. إرشاد الآباء إلى طريق تعليم أفراد باء: كتاب ضمنه الشيخ مباحث
لغوية عن حروف المهجة، وترتيبها ورسملتها(1).

القسم الثاني:

سبق بيان دور الشيخ طاهر الجزائر في المجالات العلمية، وأما عن دوره
في تأسيس الجمعيات القومية، فقد يلاحظ أن أعضاء الجمعيات القومية تمكنوا
من احتواء الشيخ طاهر الجزائر، والانطلاق حوله، وذلك للأسباب التالية:

1 - العلاقة الوثيقة بين الشيخ طاهر وبين مدحت باشا، الذي يعتبره
أعضاء الجمعيات القومية المصلح، وأبا الأحرار، ولذا لم تظهر مكانة الشيخ
طاهر عند أعضاء الجمعيات القومية، إلا بعد وجود هذه العلاقة(2).

يقول أعضاء الجمعيات القومية العربية: عندما كان مدحت باشا ولياً على
الشام، برز في دمشق رجل نابغة في علومه وتفكيره، ونشاطه وإخلاصه، وهو
الشيخ طاهر الجزائري(3).

2 - إطلاع الشيخ طاهر كما يقول أعضاء الجمعيات القومية
العربية - على العلوم العصرية، مع تضاعف العلم الشرعية، ووقوعه على أحوال
الأمم السائرة القديمة والحديثة، واطلاعه على كل ما يترجم عن مدينة الغرب

(1) مجلة الفلسفة، 1389/11/6/5-6/6/1389هـ، ص: 45. وانظر: هداية العارفين-البغدادي-
(2) انظر: الشيخ طاهر الجزائري رائد النهضة العلمية في بلاد الشام-عذان الخطيب-103.
(3) القومية العربية-مصطفي الشهابي-50.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين وسياساته واجتماعاته، واحتكاكه بعلمائه المستشرقين، وتبادل الاستفادة بينه وبينهم، حيث كان يقتبس منهم ما ينفع المسلمين، ويقبسهم ما يثبت سماحة الإسلام ومدنية وجد المسلمين وتمدهم.

كما أن كثيرًا من علماء المشرقيين - المستشرقين - في الغرب كانوا يستفترون فيما يتعلق بعلوم الشرق، وكان بينهم وبينهم صداقة براسهم ويراسلونه على اختلاف قوميهم، وكلهم من المعجبين به المغتنبين بصداقته ومراسله، وقد زار بعضهم في بعض رحلاته، وزاره كثير منهم أثناء رحلاتهم إلى الشرق.

ومن أبرز دعوات الشيخ ساهر - كما يقول طلبه - الأخذ بالنافع من التمدن الحديث مادياً كان أو إدماً، ونبيد الضار منه، ويدعو إلى التجد واقتطاف ما يصلح وما أبلغ ثمرة من كل جديد، ويدعو إلى الارتفاء الفكرى بدراسة العلوم الاجتماعية والمدنية والسياسية، ويدعو إلى تعلم لغات الأمم الحية ليتسنى فهي معنى الحياة لا للزهو والتفرنج والاندماج الأجنبي وتقليده على العموم، ويدعو إلى الوطنية والإنسانية على شرط أن لا ينحر فيما خشية انقلاب القضية إلى أثرة وأنانية.

1- تنوير المصائر بسيرة الشيخ طاهر - محمد سعيد البلاغي - 400. وذكر منهم: كولر المجري الأخصاي في الملك والعالم، وهرن الألماني أستاذ ألسنة الشرق بجامعة (بن) في الناجين، ومرغليوس وبروان الإنجليز، وكاينوكلو الفرنسي من كبار علماء الآثار.
2- تنوير المصائر بسيرة الشيخ طاهر - محمد سعيد البلاغي - 400. وانظر: كنز الأجادات - محمد كرد علي - 288.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

وقد أرسل الشيخ طاهر رسالة إلى أحد تلاميذه، قال فيها: وصلني كتابكم الكريم، مبناً بعودكم من بلاد أوربا، فسررت بذلك سرورًا شديداً، كنت أتمنى لكم هذه الرحلة من قندم، لما تبقت من الفائدة النافعة العامة في ذلك، فإن الاقتباس من الأمم المترقبة دليل على النbahه:(1)

إن إطلاع الشيخ طاهر على العلوم العصرية، والآداب العربية، كان من أبرز أسباب انتفاض أعضاء الجمعيات القومية العربية حوله، قال أحدهم:

ويشهد الله أن من أعظم العوامل تأثيرًا في مروق بعض خريجي المدارس العصرية وملصقهم من الدين هو جموع أمثال هؤلاء المعلمين السطحيين.. ولو قيض الله لناشئة المسلمين أساتذة مثل الشيخ طاهر، لما خسروا، دينهم وعرضا بكياغم القومي إلى خطر الانقراض والاندماج بعدهم غيرهم من الشعوب:(2)

ويأتي هذا السبب في عصر أصبح فيه البلاد الإسلامية مأوى للمعتقدات النصرانية، والحملات الاستشراقية، والصراع المحتدم بين الدول الصناعية والانفجار العلمي، وإن كان أكثر المعلمين في ذلك العصر بالعلم الحديث، ويفاف ذلك وجود خواف فكري يعبده العالم الإسلامي، وجمود في أكثر مجالات الحياة، وإغلاق باب الانتقاد مع وجود دواعيه:(3)

---

(1) كـنوز الأجداد-كـرد علي-34، وانظر: (طاهر الجزائري) رائد النهضة العلمية- عدنان الخطيب-161.
(2) توير البصائر بسير الشيخ طاهر- محمد سعيد الباجي-460، وانظر: *القومية العربية- مصطفى الشهابي-50.
(3) انظر: واقعنا المعاصر- محمد قطب-158، و201.
الجمو٦يات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسالمين

وقد أكد أعضاء الجمعيات القومية العربية أن أبرز مناقب الشيخ طاهر
نبد التعصـب وسعى في حل قيود التقليد الأعمى وحربه للتخصص الذّميم
ونقده للجمود، حتى قال معاصره: كان كثير الحديث عن علماء دمشق
وأعيانهم، وكثر الإسهاب فيما كان عليه معاصره(2).

3- الطعن في سياسة الأتراك للبلاد العربية، ومطالبتهم بالإصلاح، فقد
وصفه طالبه ومعاصره بأنه كان يعرف السياسة وما ينبغي لها وحالة العرب
واجتماعهم، والشرق وأمه وأمراضه معرفة احتضاني(3)، وقد صرف دقائق
عمره لإغراق الأمة باتباع طريق العلم والنهذيب(4).

ومن أمثلة طعن الشيخ طاهر بسياسة الأتراك اعتبار اقتراح الأتراك مستعمرين
للبلاد العربية، فقد قال: (إن استيلاء الترك على أرض العرب أضر بما وأزال
مدننا وغاب أخلاقنا(5). وتأكيداً على نقصة الشيخ طاهر على الحكم التركي،
فقال قال طالبه: هجر دمشق إلى القاهرة سنة 1365 هـ(6) فزراً من
ظلم العهد الحمدي وظلماً(1).

---

(2) مجلة المعارف-المجلد 22-12-13 والقواعد 1911-1912 ص:138.
(3) كنز الأجداد-محمد كرد علي-12.
(5) كنز الأجداد-محمد كرد علي-28.

يذكر بعض أعضاء الجمعيات القومية العربية سبب انتقال الشيخ طاهر إلى مصر، بأنه لقي من
الحكومة المصرية مما كان يلقاه كل حكومن تركي، وقد ضبطت الحكومة منزله وحظرت
حظره في مدرسة عبادة باشا العظم، وهي ملأها بالكتب والأوراق القديمة، فاستاء من هذه
المعاملة وأزعم السفر إلى القطر المصري تفادياً مثل هذه المصادمات.. فسافر سنة 1324 هـ-
ودام جزء الشيخ طاهر في القاهرة فترة ما بين سنة 1365هـ - (1947) إلى سنة 1388هـ (1970)، وظل فيها على هذه المدة. ولما نشر القانون الأساسي في المملكة العثمانية (1908)، رأى الشيخ بنظره الثاقب أن عهد الحرية الحقيقية دافىء، وكان لا يغتر بقوانين الترك ولا بثراء السياسيين، فانزوى في مصر.

ولما أعلنت الثورة العربية في الحجاز، أبدي الشيخ طاهر ابتهاله بها، وتمى ها النجاح في تحقيق الأماني العربية، وعندما بلغه خبر دخول الجيش العربي دمشق وإعلان الحكم العربي فيها سنة 1336هـ (1918) استراحته نفسه وبدا عليه السرور.

4- انفجاح الشيخ طاهر على جميع معتقدى المذاهب والملل، فمن عادة الشيخ كما يقول أعضاء الجمعيات القومية من تلامذته على سبيل الإعجاب والتقدير: إن الشيخ يصحب الفرق المختلفة، مهما كان لون طريقتهم وخلقتهم، حتى الملاحة وأرباب الطرق، ولقد كانت له صداقة أكيدة بالخطر يوفس داوود السرورى - رئيس أسفاقحة دمشق للسوريين - تسامران، ويتضمنان،

(1) كنز الأحاديث- محمد كرد علي- 18.

(2) الشيخ طاهر الجزائري رائد النهضة العلمية في بلاد الشام- عدنان الخطيب- 86.

(3) يوسف داوود بن خنوم الملبس (باقلايميس)، ولد عام 1450هـ في الموصل، ومات في دمشق عام 1379هـ- سرياني أصل مستعرب، انتخب مطراناً للكاثوليك السريان. انظر (الإعلام- الزركلي- 230/8).
ويتناولنا، ويأتي الثناء المستطاب على صديقه المطران، وقد طالت به صحبته وعشرته.

وهي كذا كان له اتصال بالأرمن واليهود، واليسوعيين الكاثوليك، والأمريكان البروتستانت، وكان يضحي عن كثير من النقد على رجال الدين من غير المسلمين، ويقول: هم أقرب الناس إلينا، يعتقدون بالله واليوم الآخر وخلود النفس، وكانت جميع الطوائف تستلطفه وتخب عشرته، على ما بينها وبينه من التحالف، ويطعونه من سرائرهم على ما لا يبنون به لأقرب الناس إليهم، وكان يقول عن هذا المنهج: الحمد لله لقد سالمنا كل الفرق.

5- تأييد الشيخ طاهر الجزائري الحكومة البريطانية في الحرب ضد الدولة العثمانية، فقد أرسل رسالة إلى صديقته المستشرفة (المستورة) أمينة سر حاكم العراق جاء فيها: لما كنت أعتقد أن أسس من يخليص العرب له الوحد هو دولة بريطانيا العظمى، لما خبرته من الأحوال، ومقدسيات الأمور، و군 ذلك، والمودة لما كانت واجبة أن تكون من الطرفين، اقتضى الأمر أن يقع التفاهم بينهما ليستممر هذا الأمر، فرأيت أنه ينبغي إنكلترا العظمى أن تعتني بأمور:

أ - أن تؤسس في كل بلدة كبيرة ديواناً بديعًا بالرغمي، لتأخذ الأخبار المتعلقة بما يجه العرب، لتساعد عليه بقدر الإمكان، والذين يعيون ينبغي أن يكونوا من أعظم الناس معرفة بأمرجة العرب، من ينقلوا ذلك مثل حضركهم الكريمة.

(1) كنوز الأجداد-محمد كرد علي-19. وقال تلمذته محمد كرد علي: وما أدرى إن كان المطران أثر في الشيخ، أو الشيخ أثر في المطران.
بـ أن تعني بأمر اللغة العربية، ويظهر منها السعي في نشرها على غرار ما يظهر منها ذلك في حق اللغة الإنجليزية.

جـ الاعتناء الزائد في المساعدة على نشر العلوم، على وجه يساعد عليه الحال والزمان.

دـ مراعاة عوائدهم وعدم الحط من كرامتهم، إلا اختلاف العادات، فقد بلغني وقوع تسلط من بعض الأمورين في البصرة والعراق وغيرها، وهذا مضر جداً لا يشعر بمضرته إلا بعد أن يشتد الحال، ويعسر زوال ما في النفس، تعمّ إن هذا الأمر دقيق يصعب القيام به كما ي ينبغي، إلا أن الاعتناء به كثيراً ممكن، والعربي أهم شيء عندنا عدم الهوان.

وإذا أرى أن هذه الأمور إذا مت هكذا تكون النتيجة حسنة جداً ويشتد التلاوّم بين الفريقين، فإن العرب أقرب الناس إلى شكر النعمة، فإن وجد من لا يشكر، فإن في ظهور النعمة ما يصممه عن إبراز ما ينويه من مغالطة الناس.

وقد ختم الشيخ طاهر الرسالة بقوله: المخلص للأمة العربية والدولة البريطانية العظمى/ طاهر الجزائري (1).

وبن الشيخ طاهر المختار من إبادة العطف والموالاة للحكومة البريطانية، فقال: (الناس الذين على ذكري من جهة توافق مصلحة الأمة العربية مع

(1) كـ نـوز الأجداد- محمد كرد علي- 48- 168. وانظر: (طاهر الجزائري)- عدنان الخطيب 167 -168. وانظر صورة الرسالة في كـ نـوز الأجداد.
مصَلَحة الدولة البريطانية العظمى ك ثيرون إلا أَفْم لا يقدرون على إظهار فكرهم إلا بعد أن يروا باعثاً على إظهاره، لَبَلا ينسب إليهم أَفْم خانون للأمة، فإنَّ هذه الجملة روى الناس كثيراً، وهي جملة اتخذها الشرقي لإرهاب غيره، سواء كان هو خلُصاً في نفسه أم غير خلُص. وَإِنَّ أَوَسِيَكِم بِبعض البلدان البي لا أُسمِيهَا، فَإنَّ فِيها كثيراً من الرجال المهمين، الذين يعرفون قدر النعمة ويشكرواها، ولكنهم غلوا على أمرهم، لأَفْم لم يُعرفوا في وقت الرخء، حتى ينفعهم وبرأَيهم في وقت الشدة، والبحث يجد كل شيء، فَينبغي الانتباه لذلك في الحال والمستقبل، وقد أن الأوان لمعرفتهم، وهذا لا يكون إلا تدريجًا، فليبادر إلى ذلك)\(^1\).

٦— دعوة الشيخ طاهر لتأسيس الصحف والمجلات ذات الصفة السياسية والأدبية، فَكم من جريدة أو مجلة أو كتاب أو رسالة نشرت في مصر والشام بإرشاده\(^2\) ويقول أعضاء الجمعيات القومية: كان ينشط الأكفاء على إنشاء الصحف السياسية والاجتماعية والمجلات العلمية والأدبية، فَكم من مجلة أو جريدة أنشئها في القطر السوري أو المصري بتنشيطه ومؤازرته، ويدعو المستبَررين إلى التبصر بالصحف النافعة والمجلات المفيدة وبيتهج بها. وكان له شغف بالاعطاء عليها وتبعها خصوصاً التي تكثر من الترجمة عن الغرب

---

١- قال محمد كرد علي: يقصد بالبلاد: الغالب أنه يقصد الديار الشامية.

٢- كنز الأجداد- محمد كرد علي- ٤٥ -٤٨. وانظر: (طاهر الجزائري) - عدنان الخطيب- ١٧١ - ١٧٠. 

٣- كنز الأجداد- محمد كرد علي- ٤٥ -٤٨.
واتقاطع ثمار علومه اليانعة... ويرى أن مطالعة مقالة علمية في مجلة أو جريدة أكثر فائدة من كثير من الدروس الحافلة بالمثاثات.

والأسباب سالفة الذكر كانت من أبرز دواعي التفاف أعضاء الجمعيات القومية العربية حول الشيخ طاهر الجزائري في المدة التي قضاها بالشام، في السنوات العشرين الأخيرة من القرن التاسع عشر، والسنوات الخمس الأولى من القرن العشرين (2)، حيث أتنيع أعضاء الجمعيات القومية العربية حول الشيخ حلقات متعددة مترابطة، تجمع فيها إحداها بالشيخ بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع، وتجتمع الثانية فيه في يوم آخر من أيام الأسبوع، بينما تجتمع الثالثة في مواعيد يحددها لهم.

وكان للشيخ مع كثير من هؤلاء الشباب ومع غيرهم من شباب دمشق المتعلم سهراً ليلة متواصلة، يتنقل فيها معهم بين مختلف أحياء المدينة، وهو يستخير المنازل التي يكثر زيارتها من النهباء والمقفوفين حتى إذا ما تجمعوا أخذ يستعرض أمامهم كل ما يقدر أنه يهمهم الاستماع إليه عن الحركات العلمية والفكرية والسياسية في خلال الأسبوع الذي اجتمعوا فيه (3)، وكان أعضاء الجمعيات القومية يصغون في انتباه وتواضع إلى ما كان يدور فيها من أحداث وعوامات في اللغة العربية وقواعدها وآدابها وفي الجهيل الضرائب أطنابه بالبلاد.

(1) توير البصائر بسيرة الشيخ طاهر- محمد سعيد الباني- 62.
(2) القومية العربية- الشهابي- 51.
(3) الشيخ طاهر الجزائري رائد النهضة العلمية- عدنان الخطيب- 24. وانظر: مذكرات محب الدين الخطيب.
الجمعيات القومية العربية وموقفيها من الإسلام والمسلمين

العربية، وفي الوسائل التي يجب التوسل بها لرفع مستوى التفكير والتعليم جميعًاً

ويضيف أعضاء الجمعيات القومية العربية بأن الحلقات كانت تدعو إلى تعلم العلوم العصرية ومدارسة تاريخ العرب وتراثهم العلمي وآداب اللغة العربية، والتمسك بمحاسن الأخلاق الدينية(1).

وللعمال المؤثرة المختلفة في نشر المعتقد القومي في البلاد العربية، فقد ظهرت أثاره على أعضاء حلقة الشيخ طاهر الجزائري، مما تجده عنه ظهور نزعة قومية عربية فيهم، وتأسيس حلقة سياسية سرية سميت بحلقة دمشق الصغرية، انتقل كثير من أعضائها إلى استنبول(2)، فراحوا يفكرون ويناقشون في الخفاء فيما كان للعرب من أوضاع سيئة في دولة تتنكر للغتهم ولقوميتهم.

كان الهدف الظاهر لؤلؤة الشبان في حلقاتهم مدارسة تاريخ العرب وقواعد اللغة العربية وأدابها، أما هدفهم الخفي فقد كان بعث العروبة من رقادها بتثقيف شباب العرب الوسائل المؤدية إلى هذا البعث(3).

ويصف أحد أعضاء الجمعيات القومية العربية بعض ما يدار في الحلقة السرية، من موضوعات، يقول: كان الشبان الناهضون يتحدثون عن أوربا

(1) القومية العربية-الشهيبي-52-53-54.
(2) المصدر السابق-51.
(3) الحكومة العربية الأولى في دمشق-عبيرية قاسميه-15.
(4) القومية العربية-الشهيبي-52-53.
وتقدمهما وعلومهما، وعن فضائل الشعوب، والشكو من ظلم الحكومة، واستبداد السلطان عبد الحميد، وسرد حكايات طويلة عن إغراق الأحرار في بحر مرميه، وتعذيب الألوف من الشبان المطالبين بالإصلاح... كانت هذه الأحاديث تذكر في مجالس الشبان وكان يحضر هذه المجالس شيخ الأحرار الشيخ طاهر، ولله أكبر فضل في تنوير الأبصار والبصائر، ودفع العرب في طريق التقدم(1).

وبعد بيان التفاف أعضاء الجمعيات القومية العربية حول الشيخ طاهر الجزائري، أنقل بعض النصوص التي ذكرها أولئك الأعضاء، والتي تؤكد مدى تأثير الشهيد طاهر فيهم، يقول أحدهم: كان له تأثير عظيم في تلاميذه، وإليه يرجع الفضل في ظهور كثير من أدبائها الأفضل فهو الذي ربي فيهم روح الإقدام والشجاعة الأدبية، وكان من أقواله وتوجهاته: إن العواطف الوطنية والدينية بطريقة الشعرية لها شأن عظيم في استماله الرأي العام(2).

وقرر تلاميذه بأن عدداً من اشتكوا بالآداب أو تعلموا التعليم الثانوي أو العالي في الديار الشامية إن لم يكونوا استفادوا منه مباشرة فبالوسطة، وتلاميذه ومريدوه من المسلمين يعدون بعشرات وأكثرهم اليوم يشغلون مهاماً سامية في دور العلم والحكم وفي التجارة والزراعة(3)، ولهذا يسoufl أن تعتبر أن أغلب

(1) مذكرات البارودي-فخري البارودي: 58/1.
(2) مجلة المثقف-الجزء الثاني- المجلد 26، سنة بتاريخ 1338/5/11 الموافق 1920- ص: 164.
(3) كنوز الأجداد-محمد كرد علي- 14.
المتعالمين والمتآقدين من الباحثين والكتاب في القطر السوري عالة عليه وإن لم يلتقوا منه مباشرةٍ.

ويقول فخري البارودي في مذكراته: إذا كان من فضل لأحد علم في توجيه من الناحية الوطنية فهو أولًا الشيخ طاهر الجزائري المغربي أستاذنا وإلى تلامذته الأحرار.

ويقول أحدهم أيضًا: من هذا الغريب الصابر الدائب الحكيم، الشيخ طاهر الجزائري عرفت عريبي وإسلامي.

وقد اعتبر أعضاء الجمعيات القومية الشيخ طاهراً من أركان النهضة العربية الحديثة الذين عملوا لرقيها عمل من طب لمن حبٍّ. كما عدوا الشيخ في عظماء أركان النهضة العلمية، والحركة الفكرية في البلاد السورية خصوصاً دمشق ونشأ على يديه جيل من أ فذاذ الرجال الذين تعتذرهم الشام كما يفرح العرب والمسلمون بجهادهم وسرهم.

علاقة الشيخ طاهر جمعية تركيا الفتاة:

سبق الحديث عن اتفاق أعضاء جمعية تركيا الفتاة مع جميع القوميات على نقد سياسة السلطان عبد المجيد، وسعهم للمطالبة بالحكم الدستوري، وهذا

(1) تموير البصائر بسير الشيخ طاهر-محمد سعيد الباني-23.
(2) مذكرات البارودي-فخري البارودي-1/1-79.
(3) الشيخ طاهر رائد النهضة العلمية في بلاد الشام-عدنان الخطيب-87.
(4) تموير البصائر بسير الشيخ طاهر-محمد سعيد الباني-29.
(5) تموير البصائر بسير الشيخ طاهر-محمد سعيد الباني-70.
كان الشيخ طاهر مؤثراً على أعضاء جمعية تركيا الفتاة من عرب وترك، حيث كان الشيخ يختص بحولاء وأولك ويتلمذ جميعهم عليه، وهو لا يشعر أحداً منهم بأنه يتحرب جمعية من الجمعيات أو ينتمي إليها.(1)

وقد ذكر بعض أعضاء الجمعيات القومية العربية أن حكومة السلطان عبدالله سيد قد أغنت وظيفة النشط — والتي كان يشغلها الشيخ طاهر — بالمدارس تخوفاً من شدته في بث أفكاره بين الأساتذة والتلاميذ، فزاد نشاط الشيخ(2) ثم اتهمته بالإشراك في إذاعة نشرات كانت (جمعية تركيا الفتاة) تذيعها للطعن باستبداد السلطان عبدالله، فنزع الشيخ إلى مصر.(3)

وبعد أن أُسقط السلطان عبدالله، وانفردت جمعية تركيا الفتاة بسياسة الدولة العثمانية، كان للشيخ طاهر الجزائري موقف يماثل موقف أعضاء الجمعيات القومية العربية من أعضاء جمعية تركيا الفتاة.

وهو مواجهة حركة التحريك التي قاما بها قال الشيخ: وقد نصحت كثيراً من المتحدثين من الأحرار (يقصد جمعية تركيا الفتاة) بأن يعدوا مشروعاً وحذرهم عواقب الأمر، غُلِوا أو غُلِوا، فأبوا إلا الإصرار على فكرهم، وما قلت لهم رأي إلا بعد أن ألحوا عليّ بيانه(4). وبعد الإعلان عن تطبيق الدستور،

(1) المصدر السابق-44.
(2) كنوز الأجداد-محمد كرد علي-16.
(3) القومية العربية-مصطفى الشهابي-50.
(4) كنوز الأجداد-محمد كرد علي-34.
قال محمد كرد علي عن رأي شيخه وموقفه: كان لا يغتر بقوانين الترك ولا بثررة السياسيين (1).

وكأن الشيخ طاهر يرشد أعضاء الجمعيات القومية العربية في خلال هذا الواقع، كما يقول طلابه: بأنه لا يرى أن يجابه صاحب القوة تفاديًا من بطشه بحل يحتل عليه لتلا تنسق القوة القليلة غير المنظمة أمام القوة الكبيرة المنظمة، وأن الأولي بالأمية الضعيفة التي تحاول تحريرها من قيود رقها أن تعد أسباب النهوض مسن علم وأخلاق ثم تفعيل بدأ من يد ظالمها. فهو صاحب ثورة فكرية لا صاحب ثورة دموية (2). وكان يقول: "إن سورية تخرج عن حكم العثمانيين في القريب العاجل" (3).

وأثناء فترة انتقال الشيخ طاهر إلى مصر كان يحضر جمعيات القومية العربية الفعالة، فمن ذلك ما ذكره طلابه عنه: بأنه في سنة 1331 هـ الموافق 1913 م) كان حزب اللامركزية قد دعا الناس إلى اجتماع كبير في فندق الكونتنتال في القاهرة، وقد ذهب مع الشيخ طاهر الجزائري لحضور ذلك الاجتماع (4).

____________________
(1) المصدر السابق ص: 18.
(2) مجلة المنططف-الجزء الرابع-المجلد 26 بتاريخ 1388/7/1 الموافق 1969-ص: 1960.
(3) المصدر السابق ص: 300.
(4) مجلة الزهراء-المجلد 3-الجزء 7-1345/7/1 الموافق 1965-ص: 465-466. مقال: معب الدين الخطيب.
وقد يكون اجتماع حزب اللافكره المذكور تميدلاً لانعقاد المؤتمر العربي الأول، الذي عقد في باريس سنة 1326 هـ الموافق 1913، ومن مقاصده إعلان التمرد العربي على حكم جمعية تركيا الفتاة(1).

قتل مجموعة من العرب على أثر تصاعد الخلاف بين أعضاء الجمعيات العربية وأعضاء جمعية الاتحاد والترقي كان منهم سليم بك الجزيري، وهو ابن شقيق الشيخ، الذي له في تهذيب اليد الطويل(2).

ولشدة نقمة الشيخ طاهر على أعضاء جمعية الاتحاد والترقي لم يقبل الشيخ طاهر العزاء في ابن أخيه، إلا بعد دخول الجيش العربي والفرنسي بلاد الشام وإعلان الحكم العربي فيها سنة 1918 فاسترحت نفسه وبدأ عليه السرور(3).

لقد توفي الشيخ طاهر بعد أن استحكم منه مرض البرو، فقد قفل راجعاً إلى مسقط رأسه قبل وفاته بأشهر قليلة، فعينته الحكومة العربية مدىراً عاماً لدار الكتب العربية — التي أسست بمساهمة من أربعين سنة وقت صباه(4) — وعضاً في المجامع العلمية العربي، ومات في ربيع الثاني سنة 1338 هـ (1920) ودفن في دمشق(5).

_________________________
(1) انظر: المؤتمر العربي الأول-محم الدين الخطيب-4.
(3) الشيخ طاهر الجزائري رائد النهضة العلمية في بلاد الشام-عدنان الخطيب-82.
(4) توير البصائر بسيرة الشيخ طاهر-محمد سعيد المهني-140.
وقال طالبه: عظِّم نعهُ في أندية العلم والأدب، واضطرب تلامذته ومِرتده وأحباه وعَمارو فضائله بخطبه الجليل، يكون ويرثون الذي كان الحركة الدائمة في بيث المدنية والعلم الصحيح(1) وبعد أربعين يومًا من وفاته أقيم حفل لذكر مآثره؛ على عادتهم في بدع الجنازة.

(1) مجلة الجمعية العلمية العربية-الجلد 1-الجزء 1-1339هـ-ص:17. مقال: محمد كرد علي.
المبحث الثاني

شخصيات المرحلة الثانية

تم التعريف في البحث الأول، بأبرز الشخصيات المؤثرة في تأسيس الجمعيات القومية، وذلك في فترة الالتقاء الثقافي بين الدول الاستعمارية النصرانية والدولة العثمانية. وذلك عن طريق الحملات التنصيرية في أيام الدولة العثمانية.

وفي هذا البحث ستأتي الشخصيات المؤثرة في تأسيس الجمعيات خلال المرحلة الثانية، التي تبدأ تقريباً من إسقاط السلطان عبد الحميد وتولي جمعية الاتحاد والترقي مقاليد السلطة، وهذه المرحلة التاريخية تعتبر بداية تأسيس الجمعيات القومية العربية.

أولا: رفيق العظم:

أ – تعريف مرجع بالشخصية الذاتية:
هو رفيق بن محمود بن خليل العظم (1)، ولد في دمشق حوالي سنة 1280 هـ (1867م) وعاش رفيق العظم في كنف والده في أحد قصور آل العظم بدمشق (2).

وكانış نشأة رفيق العظم في وقت نشاط النهضة العلمية التي شهدت بلاد الشام على يد الشيخ طاهر الجزائري، ولذا اتصل رفيق العظم بطاهر الجزائري وسهل بنخياري فأخذ عنهما - كما يقول أصحاب الجمعيات - ما استنار به عقله وأهله للنزول في مضمار الجهاد لث الأفكار الصحيحة وإنكار الظلم (3).

ويذكر أقرانه: أن رفيق العظم نشأ كما ينشأ أمثاله من أبناء الوجهاء والأعيان المترفين في ذلك العهد ليبدون من أجل خدمة الحكومة. فلم ينص بالده بتعليمه في مدارس العلم العربية، التي كانت من تأسيس الجمعية الحفورية؛ درس العظم التعليم الابتدائي في كتاب أهلى، ثم أخذ شيئاً من مبادئ اللغة العربية عن شيوخ عصره، وكان كل ما حصله بعد ذلك مطالعاته الشخصية (4).

ويذكر السبب في عدم انتظام العظم في تعليم المدارس العربية لأها خاصة برهال الدين، وأما عدم انضمامه لمدارس الحكومة العثمانية الإعدادية والعالية (5).

(1) الإعلام-الزركلي-3/02. وقال الزركلي: ولد سنة 1284 هـ.
(2) وقال رشيد رضا في ترجمته: ولد سنة 1282 هـ. انظر: مجموعة آثار رفيق العظم-المقدمة.
(3) مجلة الزهراء-الجلد الثاني-الجزء الأول-تاريخ 1944/1/15-ص: 262-266 (بتحرير بسيم).
(4) المعاصرون-محمد كرد علي-2/24.
(5) مجموعة آثار رفيق العظم-رشيد رضا-المقدمة.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

رماما يكون لعدم شعوره بالحاجة إلى تخرجته فيها، أو عدم رغبته بجعله من عماها وموظفها، الذين لا تكون قدرهم دار، ولا يقر لهم بين أهلهم قرار، أو فمحض الإهمال.

فعلى هذا يكون رفيق العظم غير متعلم تعليماً منظماً. وإذا أخذ بعض المبادئ عن بعض شيوخ عصره، وكان يعاشر العلماء والأدباء والمتصوفة، ويطالع الكتب ودواوين الشعر لأجل النسيلة (1).

ويصفه معاصره في بذل نشاطه مولعاً بقراءة السير والفتوح، وانتقل منها إلى قراءة الأهمات من كتب التاريخ (2) وكان مولعاً بكتب الأدب أيضاً (3).

ومع حرص رفيق العظم على العلم ومجالسة العلماء والأخذ منهم، انصف بأنه ذكي الفؤاد، ميالاً بفطرته إلى العلم والجد ومعالي الأمور، عزوفاً عن سفاهتها و صغرائها. صرفت الفطرة الذكية عن إنسلاخ أوقات صباه في اللهو واللعب مع أمثاله من أبناء الموسيرون، بل جذبته إلى معاشرة أهل العلم والأدب والافكار في الأمور العامة (4).

المصدر السابق نفسه - (1) بتصرف.

(2) مجلة الزهراء- المجلد الثاني- الجزء الأول- تاريخ 1/1/1345 هـ - ص: 226-227 (بتصرف).

(3) الإعلام- الزيتاني- 32/2.

(4) مجموعة آثار رفيق العظم- رشيد رضا- المقدمة (بتصرف).
هذا رفيق العظم في بلاد الشام، وأما حياته ونشأته في مصر التي هاجر إليها سنة 1894 هـ (1311 م) (1) — كما يقول أعضاء الجمعيات القومية — بعد أن اشتتَ مطاردة عبد الحميد للسياسيين العثمانيين طلاب الدستور. يقُول أعضاء الجمعيات القومية العربية: جاء رفيق العظم إلى مصر مقتناً بثلاثة مبادئ إصلاحية:

أ — الرجوع إلى ينابيع الشريعة الإسلامية الصافية.

ب — الأحكام من الحضارة العصرية بأسباب القوة.

ج — أن يكون الحكم في الدول الإسلامية قائماً على أساس النابية (2).

ظهر نشاط رفيق العظم السياسي والاجتماعي في مصر حينما اتصل بعض أعضاء الجمعيات القومية الساكنين في الدار المصرية، وانضم إلى مدرسة محمد عبده وأخذ يختلف إلى مجالس الأستاذ (3) ويحض دروسه التي كان يتناول فيها الكلام على المسائل الفلسفية (4).

ومن خلال نشاطه في مصر واعتقاده دار هجرة ومقامه قول رشيد رضا — أحد مؤسسي الجمعيات القومية العربية — عنه: (بعد استقرار رفيق العظم في

(1) المصدر السابق نفسه (بصرف) ويقول غيره: كانت هجرته في سنة 1315 هـ. أو في سنة 1311 هـ.
(3) مجموعة آثار رفيق العظم-رشيد رضا-المقدمة (بصرف).
(4) الإسلام والتجديد في مصر-تشايرز آدمس-02-مطبعة الاعتماد-مصر-1353 هـ (1935).
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والسياسي

مصر، طرف بنشر المقالات السياسية والاجتماعية في أشهر جرائدها اليومية:
(الأهرام، فالمؤتمر، فالفتوح، الفلاحت)، وفي أشهر مجلة (المكتف، والهلال والمنار
والموسوعة). وقد تم التأليف والتعارف بيننا وبين رفيق، ثم التعاون على
الإصلاح السياسي والاجتماعي، فالتآثر في الأحزاب والجمعيات السرية
والجهوية (1).

ومن أنشطة رفيق العظم في مصر أيام تولي الأشراف على إدارة (المدرسة
العثمانية) (2) تأليفه كتاب (الدروس الحكيمية للناشئة الإسلامية) لها وهو عبارة
عن دروس إصلاحية في الدين وال التربية والأخلاق والسياسة، وقد بلغت سبعة
عشرين درساً، وكل درس يفتحه بعنوانين، الأول: من عنده، والثاني: من
القرآن الكريم (3).

وقال في مقدمة الكتاب: لابد من تربية الأفكار الآن على مبادئ الشريعة،
بوضع كتب جديدة بين مرايا الدين الإسلامي للناشئة الإسلامية، من جهة ما
يُعَهَّد أود النموذج الناشئ عن خلط الاعتقاد الصحيح بالبدع التي أضعفت
النافذ من جهة، وأزالت ضمائر بعض الناشئة عن حقيقة الإسلام من جهة
أخرى، لترشد تلك الكتب النشء الإسلامي إلى الدين من طريق العلم والعقل،
وإلى العمل من طريق الدين... وقسمت هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام: في

(1) مجموعة آثار رفيق العظم- رشيد رضا- المقدمة.
(2) أسهمها ابن عم رفيق العظم، صلاح الدين بك العظم، النشر: مجلة الزهراء- المجلد 2- الجزء 1- ص:
268.
(3) الدروس الحكيمية- رفيق العظم- 5- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- 1409 هـ.
الجمعيات القومية العربية ووقوفها من الإسلام والمسلمين

الاجتماع؛ مبادئه وروابطه ومقوماته، ليكون أشبه برفقة، يرى فيها كيفية تدرج الإنسان في مراحل الحضارة والعمران، بما وهبه الله من قوة العقل والإرادة، وأرشده إليه من طريق السعادة، وجعلت تحت كل قسم منها دروساً مستمداً فيها مادة البيان من آي القرآن.(1)

تزوج رفيق العظم ولم يرزق ولداً (2)، يقول أحد معاصريه: (كان رفيق شديد الولوع بذخان التبغ والقهوة، على شدة تأثيرهما في مرضه الصدري، حتى ضعف جسمه وصار يتعب من الكتابة والمطالعة فاعتزل الناس ولزم داره حتى وافته أجله في اليوم التاسع من شهر ذي الحجة سنة 1343 هـ الموافق 2/4/1925، وتوفى بالقاهرة.(3)

ب- أهدافه وآثاره العلمية والعملية في تأسيس جمعيات القومية العربية:

سبقت الإشارة إلى أن رفيق العظم قد تلقى عن طاهر الجزائري ما استنار به عقله، وأهله للنزول إلى مضمار الجهاد بث الأفكار الصحيحة وإنكار الظلم، و كان سن رفيق العظم عند تأسيس الحركة الإصلاحية التي قام بها طاهر الجزائري الخامسة عشرة من عمره.(4)

________________________
(1) المصدر السابق نفسه 7-8.
(2) مجموعة آثار رفيق العظم-رشيد رضا-المقدمة.
(3) المصدر السابق-المقدمة. وانظر: المعاصرون-محمد كرد علي-226.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

كمما وافقت مبادئ الدعوة التي قام بها طاهر الجزيري، هو في نفس رفيق العظم الذي وصفه معاصروه بأنه كان ميلاً بطبعه إلى السياسة والأمور العامة(1).

ومن خلال الاطلاع على نشأة الجمعيات القومية العربية يلاحظ أن رفيق العظم كان له دور بارز في تأسيس الجمعيات القومية، سواء أكان الدور في التنظير والتأسيس أم المشورة وإبداء الرأي، وقد قال أحد أعضاء الجمعيات القومية العربية: (وما تألقت في القاهرة جمعية أُقامت فيها عمل ذو بال يتفق مع مبادئها الإصلاحية، إلا كان في مقدمة العاملين لإنجاحه)(2).

أول تنظيم حزبي قام به رفيق العظم هو الانضمام إلى جمعية تركيا الفتاة، وكان كغيره من أعضاء الجمعيات القومية العربية الذين ناصروها جمعية تركيا الفتاة، ثم افترقوا عنها. صحب رفيق العظم بعض أحرار الترك النازلين في بلده فأفادتهم روحًا جديدة وتلقت فكره بأيام حرة، ومن أيسرها مقاومة الاستبداد والمستبدين والتنبيه على فساد الإدارة العثمانية(3).

أخير رفيق العظم من نقد سياسة الدولة العثمانية، إما تصريحاً أو تلميحًا، ومثال ذلك، عند حديثه عن عدل عمر في تصريف أموال الدولة الإسلامية، وعن موقفه بعندما رفض الزيادة الفاحشة لمخصصات الخليفة خشية أن يكون فيها شيء من التبذير في الأمول.

(1) مجموعة آثار رفيق العظم- رشيد رضا المقدمة.
(2) مجلة الزهراء- المجلد الثاني -الجزء الأول - ص: 234.
(3) المعارجون- محمد كرد علي - 224-225.
قال رفيق العظم: (وجدًا لو نظر الخلفاء بعد هذا النظر، وراعوا في بيت المال أورام الشرعية وسنة السلف من الصحابة، فإن فيها كل الحكمة، ولقد بلغ تجاوز هذه الحدود المعقولة في دول الإسلام مبلغًا يدهش عقول الباحثين، وما نظن أن أكثر البلاء الذي حل بهذه الأمة والضعف الذي انتابها في العصور القديمة والحديثة إلا ناشأ عن إسراف أمرائها وسلطانها وتبديدهم للأموال في طريق الشهوات.)

وأشقى الأمم من هذا القبيل: الأمم التي لا حد لسلطة رؤسائها يُعرف، ولا غاية لسلطاتها توصف، وإنما أرباب اليد المشاركة في أمور الريف، يأخذون ما شاؤوا ويدعون من شاءوا، وليس عليهم من الأمة رقيق عتيق، ولا من العودان زاجر عتيق.

وبعد إسقاط السلطان عبد الحميد وإعلان الدستور، قال رفيق العظم: كانت الأمم العثمانية قبل إعلان الدستور العثماني في مستوى واحد من حيث الظلم الذي كان ينالها من الحكومة المطلقة، لا فرق بين مسلميها ومسيحيتها وتركيبها وعربيها. ومن شأن الحكومات المطلقة تساوي رعيتها في الظلم والظلم.

ويعتبر تأسيس الجمعيات القومية العربية هو التنظيم الآخر لرفيق العظم. وهذا العمل التنظيمي كان في مصر، وكانت تعتبر مهجر الأحرار آنذاك.

---

(1) أشهر مشاهير الإسلام- رفيق العظم- 29-429- د. الرائد العربي- بيروت- لبنان- الطبعة السادسة- 1401 هـ.
(2) مجموعة آثار رفيق العظم- رشيد رضا (الجامعة العثمانية)- 118.
(3) انظر: الفصل الثاني من الباب الأول من هذه الرسالة. ص: (268).
أول الجمعيات التي شارك في تأسيسها رفيق العظم (الجمعية الشورية العثمانية) ومؤسسها رجال من سائر الشعوب العثمانية الكبرى، وكان رفيق العظم أمين صندوقها. وأصدرت جمعية الشوري جريدة باسمها (الشورى العثمانية) وتولى رفيق العظم تحرير القسم العربي فيها.

يقول محب الدين الخطيب - أحد أعضاء الجمعيات القومية العربية:
لمّا مررت بالقاهرة إلى اليمين سنة 1325 هـ (1907 م) أطلعني رفيق العظم على نظام (جمعية الشوري العثمانية) التي كانت تأسست في القاهرة منذ عهد قريب، وأخبرني بما لها من الفروع في البلاد العثمانية وغيرها، واتفقت معه على إنشاء فرع لها في اليمين، وقد وافق الله لذلك بأقرب مدة، فتألف الفرع الرابع عشر للجمعية هناك.

ومن أبرز الجمعيات التي أسسها رفيق العظم حزب اللا مركزية الإدارية العثمانية (3)، وتولى رئاسة الجمعية، وقال في بيانه الذي وضعه عند التأسيس: (ما ثبت بالتجارب لهذه العهد أن أفضل أشكال الحكومات هو الدستوري، وأفضل أشكال الدستوري هو اللا مركزية، خصوصًا في الممالك التي تعددت فيها الفرق والذاماب واللغات).

(1) جمعية آثار رفيق العظم-رشيد رضا-المقدمة (بتصرف بسير). وانظر عن جمعية الشوري العثمانية.
(2) مجلة المدار-المجلد الثاني عشر-الجزء الحادي عشر-ص: 42.
(3) مجلة الزهاء-المجلد الثاني-الجزء الأول-ص: 130.
(4) انظر: الفصل الأول من الباب الأول من هذه الرسالة. ص: 71.
(5) مجلة الزهاء-المجلد الثاني-الجزء الأول-ص: 131.
وهما يلاحظ على الجمعيات السابقتين أن رفيق العظم كان يسعى — كما يقول أعضاء الجمعيات القومية — إلى إبقاء الدولة العثمانية، إذ أن العرب يحتاجون إلى زمن طويل لرفع ألقهم، وجمع كلمتهم، واستغلالهم عن الدولة إن زالت أو بقيت، وأن الخروج على الدولة ضار وخطره على العرب أشد من خطره على الترك(1).

وهذا المبدأ الذي دعى إليه رفيق العظم، لم يكن مجمعا عليه من قبل أعضاء الجمعيات القومية العربية(2). وسبق البيان إلى أن من أهداف الجمعيات القومية العربية: الانفصال عن الدولة العثمانية واستقلال البلاد العربية(3).

كان لرفيق العظم بعض الأفكار والتوجيهات التي ساعدت على تأسيس الجمعيات القومية العربية، وتضمنتها موافقه وآثره العلمية، وفيما يلي بيان ذلك:

أولا: نقد سياسة السلطان عبد الحميد الثاني: يعتبر كتاب (أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة) من الكتب التي أثني عليها أعضاء الجمعيات القومية العربية(4)، وحينما يذكر مواقف لبعض الخلفاء الراشدين مع الرعية،

(1) جموعة آثار رفيق العظم-رشيد رضا-المقدمة.
(2) المصدر السابق نفسه.
(3) انظر: الفصل الثالث من الباب الأول هذه الرسالة. ص: (239).
(6) 3-جلالة المقتطف-المجلد الثلاثون-الجزء التاسع- التاريخ 1323/7/16- المواقي (405). ص: 734.
يقارن هذه المواقف مع الخلافة القائمة في عصره، فمثال ذلك: عند تعليقه على قول أبي بكر الصديق (قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني) (1).

قال رفيق العظم في معرض التلميح ناقدًا السلطان عبد الحميد: (أين هذا مما اتخذوا بعد اسم الخلافة سلاحًا يضربون به وجوه المسلمين، ويزعون أحساء الإسلام، ولم يرضوا لأنفسهم من نماذج الخلافة التي ابتدعها التروج عن مخاطبة الناس والتحجب وراء الستور والأعتلاء على منصات العظم Они الكبرياء وحكموا الناس بالظلم والاستبداد، وساقوهم بعض الاستعباد، ففرقوا عليهم القلوب وشنتوا كلمة المسلمين. فخمدت من جراء ذلك جذوة العقول، وقتلت القوى، وانحوت الأخلاق وفقد العلم، وبارت الصائعين) (2).

ومما صرّح به رفيق العظم ناقدًا السلطان عبد الحميد قوله: (إن السلطان عبد الحميد المخلوع كان دائم الوجل، محاطًا بالدسائس من قومه الأتراك الذين يعلم مقدار توجيههم الخائفة على سيادة تمتعوا بها نحو سبعة قرون، وكاد بسوء إدارته وحرصه على الحكم المطلق بمزقتها تمزيقاً) (3).

ثانياً: رابطة اللغة ورابطة الدين: يقرر رفيق العظم ما قره أعضاء الجمعيات القومية العربية بأن رابطة اللغة أقوى تأثيرًا في تكاثف المجتمع من

(2) أشهر مشاهير الإسلام- رفيق العظم-1/91.
(3) مجموعة آثار رفيق العظم- (الجامعة العثمانية)- 120.
رابطة الدين، فقد قال رفيق العظم: للاجتماع نظامات وروابط، وهي العصبات، وتكاد تكون طبيعية بين البشر، وأهمها الرابطة العامة التي تجمع قوماً أو أقواماً كثيرة على كلمة واحدة، وهي رابطة العشيرة أو الجنس أو الوطن أو الدين.

ثم بين رفيق العظم أولوية هذه الروابط بقوله: إنّ رابطة الجنس والوطن إذا طبيعية الوجود، لا سبيل إلى إخلاها إلا بالانحلال القوم المنتسبين إليها، ويأتي هاتين في المنزلة العصبية الدينية، ويلغون تلهمها هذه العصبية لأها نادرة الظهور بين الأمم، ولا يلجأ إليها إلا حين الضرورة القصوى، وقلّ ما جمع الدين كلمة أهله بأجمعهم إلا في الشاذ النادر، اللهم في العواطف دون الفعل. إن أقل هذه الروابط تأثيرًا في المجتمعات رابطة الدين (1).

ثالثًا: التواء على الثورة الفرنسية: من منطلق طلب الإصلاح والترقي في الدولة العثمانية، تحدث عن تاريخ الدول النصرانية من جانب السلطة السياسية، وقال: إن الأمم المسيحية لما كانت مسورة في أوروبا بيد الكنة والملوك مأهولة الإرادة بقوة هاتين الثنتين لم يكن لها من الأمر إلا أن تدعى إلى عمل فتحي، وتساق إلى حرب فتسر. وبين رفيق العظم أن هذه الحال قد تغيرت حينما قيدت هذه الأمم قيود تلك السلطة وتمتعت بالحرية، وشارك الحكام بالرأي أصبح الحكم يبد الشعب لا الشعب بيد الحكم، وصار الساسة وأرباب الحق والعقد محاسبين على كل عمل يأتونه (2).

(1) مجموع آثار رفيق العظم، رسالة الجامعة الإسلامية، 49.
(2) المصادر السابق نفسه، 57.
هذا التغيير الذي حدث في الدول المصرية رافق ظهور النهضة الحديثة في أوربا، وعزا رفيق العظم إلى من سماه بالمصالح الدينية (لوثر)، وقال عنه: (لقد اشتهرت مقالته بعد مشروعا الرهبة والاعتراف (صيغة) وسيدة البابا الدينية، فكانت مقالته هذه أول خطوة خطاها الأوروبيون للتملص من أغلال السلطة الدينية، وسرت مقالته في أوربا سريان النار في المشيئ تلقتها العقول، بمزيد من القبول وأعقب هذا الإصلاح الدينى الإصلاح السياسي والمدني) (1).

ويؤكد العظيم، وهو من المؤسسين للمجموعات القومية العربية على أن الأسباب التي دعت الأمم الأوروبية إلى المطالبة بالحرية، وهم أركان الحكومات المطلقة عقب الثورة الفرنساوية، وسرت مبادئها يوماً يؤمن في نفوس الشعوب، تقليداً للفرنساويين وإقتداءً لهم، هي الأسباب نفسها التي تدعو المسلمين الآن إلى طلب الحرية، سواء كانوا محكومين بحكومات مسلمة أو مسيحية (2).

ومن تأييد الثورة الفرنسية أن أصبحت شعارات الثورة المتضمنة للحرية والعدالة والإخاء دارة في كلمات رفيق العظم (3)، وقد بين أن الشعار الماسوني قد أقام الرسول دعوته، فقد قال رفيق العظم: محمد أعظم البشر بلا مراء، ومؤسس الشريعة الإسلامية على دعائم الحرية والعدالة والإخاء (4).

وبعد إسقاط السلطان عبد الحميد وإعلان تطبيق الدستور ذكر رفيق العظم مدى سلطة الأمة، وبين أنها تربط أواصر الأحترمة الوطنية، وتثبت روح العزة في

(1) المصدر السابق نفسه (رسالة الجامعة الإسلامية وأوربة)- 59.
(2) المصدر السابق - 85.
(3) انظر: أشهر مشاهير الإسلام - رفيق العظم - 53/1- 55.
(4) المصدر السابق نفسه- 2/1- 55.
القوميات العربية والموقفها من الإسلام والمسالمين

النفوذ لتساق إلى مستوى التكافل العام القائم على أساس الحرية والإخاء والمساواة.

رابعًا: الدعوة لحكم الديموقراطي: لقد كانت المبادئ الماسونية، والدعوات العلمانية، التي ظهرت في عصر تأسيس الجمعيات القومية من أقوى المؤثرات على المنهج الدعوي عند رفيق العظم.

ومن أهدافه تأهله جزءًا من وأنشأ الإسلام وأسس الحكم الديموقراطي، وأن تقدم المسلمين منوط بتحقق الحياة الديمقراطية وتأسيس المجالس النابض، قال: إن نخبة المسلمين العلمية وحركتهم الفكرية، وتشريعهم روح الديموقراطية، ما يقرب أوان التوافق بين مصالح الشرق والغرب، ويدعو الدول إلى مساعدة الأمم الإسلامية.

ومنه المسوغات التي ذكرها رفيق العظم لتطبيق الحكم الديموقراطي في الدولة العلمانية، بأنه ما من أمة سارت فيها روح الديموقراطية الصحيحة إلا كانت أحر جهانها أشد ثباتًا، ورابعتها العامة أشد إحكاماً.

وحينما ذكر العظم خطبة أبي بكر الصديق عند توليه الخلافة، قال:

(1) مجموعة آثار رفيق العظم (الجمعية العلمانية) - 119.
(2) مجموعة آثار رفيق العظم (رسالة الجمعية الإسلامية وأوروبية) - 81.
(3) المصدر السابق نفسه (الجمعية العلمانية) - 119.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والsumer

منها.. وفي الجانب الآخر وبعد أن تغيرت سياسة الخلفاء من الحكم الدموقياطي إلى الحكم المطلق، وأصبحت الخلافة ملكاً عضواً وسلطة جائرة.. تدن نظام دولة الإسلام، ومن أبرز أسباب هذا التدني، اخلال عرى الحكومة الديمقراطية، فدخل الوهن على الحاكم والمحكم، وشقيظلم والظلم والمظلوم(1).

ولما كان مفهوم الديمقراطية تسليم سيادة الحكم للشعب وأنه يكون رقيباً على أعمال الحكام بواسطة المجالس النيابية(2)، قرر العظم أن الحياة السياسية لا تكون إلا بالحكومات النيابية، فهي التي ترفع شأن الأمم، وتحوط حياة الأقواق السياسية بسور القوة(3).

عرف العظم الحكم الدستوري الذي يطالب به بأنه: عبارة عن نزع السلطة من الأفراد، ووضعها بين يدي الجماعات، وأية جامعات تجمع بين عناصر الأمة على اختلاف المشارب والمذاهب والآراء، وتجعلها في مستوى واحد بالحقوق والواجبات أقوى من حكم الأمة نفسها لنفسها.

ومن هذا التصور للحكم أكد رفيق العظم على استبعاد الاعتقاد (الدين) من الحياة السياسية، فبعد أن استعرض أسباب ضعف الأمة ذكر منها: اصطباغ الدولة الإسلامية منذ نشأتها بصيغة دينية مهدت السبيل لأولئك أمر الأمة بعد الخلفاء الراشدين للأخذ على أيدي الرعية وأفواهها باسم الدين(4).

(1) أشهر مشاريع الإسلام- رفيق العظم-120-122 (تصرير)
(2) مذاهب فكرية معاصرة- محمد قطب- 12-18
(3) مجموعة آثار رفيق العظم- (رسالة الجامعة الإسلامية وأوروبية)- 129-79-81.
(4) أشهر مشاريع الإسلام في الحرب والسياسة- رفيق العظم- 126-126.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

أثنى رفيق العظم على واقع تطبيق الحكم النسائي بقوله: إن الحياة السياسية في أوربا قد صارت أو كانت تشير بمعزل عن الاعتقاد. فالغربي إذا حكم في الشرق مسيحياً مثل لا ينظر إلى ما بينهما من المشاركة في الاعتقاد، بل ينظر إلى المصلحة...

ولتعليم هذا المعتقد طالب العظم الدولة الكافرة مساعدة البلاد الإسلامية لتطبيق هذا المعتقد، يقول: وليتكافوا مع المسلمين على المضي في سبيل العلم والترقي والديمقراطية الصحيحة التي يسير إليها الشرق كما سار إليها الغرب، وليحققوا الدولة الكافرة – بذلك آمال الشرق في بنيه (1).

ويرى رفيق العظم كما هو منهج الجمعيات القومية العربية بأنه إذا كانت الحياة السياسية للأمة حياة دينية، كان لها آثار سلبية على الأمة منها:

1. أن لا سبيل معها – الحياة الدينية – لتوابع الأمة وعقلائهما للتنقل بما في مدارج الرمزي الطبيعي، الذي تقتضيه حالة كل عصر سواء كان في حياة الأمم السياسية أو حياتها الاجتماعية (2).

2. ومنها: أنه يؤدي إلى جمود الأفكار على مبدأ الخضوع المطلق للأمير باعتبار أن الأمير رئيس ديني يجب له الطاعة مع التغاضي عما يجب عليه في مقابلها من العدل (3).

(1) مجموعة آثار رفيق العظم (رسالة الجامعة الإسلامية وأوربة) - 83.
(2) أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة- رفيق العظم - 4/676.
(3) أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة- رفيق العظم - 4/678.
3. ومنها: تحول الأحزاب السياسية التي تقوم في الدول للخير الأمة ومصلحة الشعب إلى فرق دينية كانت في الإسلام آفة الدين، ومفرق شمل المسلمين.(1)

4. ومنها: ظهور أخرى على أعمال المسلمين وأخلاقهم وعقائدهم ووعائدتهم، حيث صاروا لا يقبلون أي جديد باسم الدين، ويرفضون كل أمر نافع إذا لم يعرف عن أصالفهم الميتين.(1)

وهذه المدارس التي ذكرها رفيق العظم، ودعى إليها على أساس أحاها الظلم في الأمة وسبأ في تشتيتها فالحكم لا يكون للأمة ولا للأفراد، إما الخاكمية لله تعالى: "إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا عِنْدَ اللَّهِ"$(3). وقال تعالى: "إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا بِالْعَلِيمِ الْحَقِّيْنَ"(4) وسوف أتناول إن شاء الله المخالفات العقائدية عند الجماعات في الباب الثاني.

خامسا: تعليم العلم المادي: انطلاقاً من مبادئ الإصلاح والترقي التي دعا إليها أعضاء الجمعيات القومية العربية، والرغبة في تقديم العلوم والصناعات، ومسايرة الدول الأوروبية، من هذه المنطلقات اهتم رفيق العظم بالعلم المادي

(1) المصدر السابق-4/4-616. في مجلة القلم الجزء السابع-الجزء الرابع عشر-سنة 16/7/622 ر.د على آراء رفيق العظم، في مسألة إقامة الخلافة على أساس الدين. وانظر: الخاكمية في تفسير أعضاء البيان-جمع: عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس-دار طبية-الطبعة الأولى-1412هـ.
(2) أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة-رفيق العظم-4/4/926.
(3) سورة يسوف-آية (4). (4) سورة الأعراف-آية (57).
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

والرغبة في تخصيصه، وهو هذا المنهج يمثل مدرسة شيخه محمد عبده، تلك المدرسة التي حاولت التوفيق بين الدين والعلم وبينت للناس أن الدين الإسلامي الحقيق لا يحارب العلم ولا ينافي العقل وأنه دين العقل والحرية والفكر، وذهب تبيين الناس ذلك المنهج وتقييم الدين الإسلامي على العقل الذي لا يقر أرباب الثقافة الغربية غيره حكماً وبيت أن ليس في الإسلام ما لا يقره العقل.

وقد وجه رفيق العظم نصيحته بلزوم تعلم الحياة الأدبية، والاتصال على طلب العلم وتأسيس المدارس، وخاطب أولياء أمور الطلبة بأن يعثوا أولادهم إلى دور العلم في أوروبا، ليستفيدوا خير ما في المدنية الغربية وهو العلم، وأن يهدموا كل حاجز يقوم في سبيل نشر العلم في بلادهم مهما كان.

ومن أجل نقل العلوم دعا رفيق إلى أن تقوم فئة - كما وصفهم - قد استنارتهم بنور العلم والمدنية، بيان فوائد العلوم الحديثة للأماقين الآخرين الذين عزلتهم حكومات الاستبداد عن عالم الحركة والعلم.. فأصبحوا يستنكرهم كل ما أتاه عن طريق الغرب.

ولتحقيق تخصص العلوم المادية بين العظم أن الأمة الإسلامية يجب أن تتصدى الدول الأوروبية مصافحة الصديق للصديق، وقال: إننا محتاجون إليها في تلقي دروس المدنية عنها، وفي أخذ العلوم النافعة منها.. ومن العدل والإنصاف يجب الاعتراف بفضل المدنية الأوروبية التي فضت بالإنسانية إلى منزلة سامية لم

---

(1) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير- فهد الرومي - 170.
(2) مجموعة آثار رفيق العظم- رسالة الجامعة الإسلامية وأوربة - 179.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمعاصر

تبلغها من قبل، وأن الاحتكاك بالأوربيين قد نقع الشرق نفعاً محسوساً. فنحن مدينون لهم بالرقي العقلي والصناعي.

ويعتقد رفيق العظم على أن العلم المادي هو رسول السلام في هذا العصر، والشرق على القلوب، وأنه ما دامت السيادة مؤكدة في المستقبل للعلم فلتغلبق من الآن بصدر رحيب.

سادسًا: تأليف الكتب: صنّف رفيق العظم في إطار تأسيس الجمعيات القومية العربية بعض الكتب، ومن أهمها:

1- كتاب أشهر مشاهير الإسلام: وهو كتاب يتضمن سيرة الخلفاء الراشدين دون علي بن أبي طالب، كما ترجم لبعض الرجال المعاصرين للخلفاء، وفي الكتاب يتعرض لمسائل كثيرة تعتبر تأصيلاً لبعض أفكار الجمعيات القومية. ووصفه أعضاؤها بأنه أعظم آثاره العلمية وطار به صبيته في الأطراف.

2- كتاب الدراسات الحكيمة، للناشئة الإسلامية: وقد قرر محمد عبده تدريس هذا الكتاب في مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية، ويحتوي الكتاب على دروس للطلاب، مما قال فيه: مبدأ التألف والاتحاد من أهم المبادئ التي تأسست على دعامتها سعداء البشر الدنيا وحياتهم القومية.

المصدر السابق نفسه-81-82، (نصري يسير).
(1) مجموعة آثار رفيق العظم-المقدمة.
(2) الدراسات الحكيمة للناشئة الإسلامية-رفيق العظم-15.
3 - كتاب تبيّن الأفهام إلى مطالب الحياة الاجتماعية والإسلام: تناول رفيق العظم في هذا الكتاب واقع الأمة وما أصابها من ضعف بسبب ضعف العلم وتخاذل بعض العلماء في نشره.(1)

5 - لرفيق العظم عدد من الخطابات في كتبها في كتاب (مجموعة رفيق العظم)، ومِن تلك الخطابات: خطبة ألقاها على أعضاء نادي دار العلوم سنة 1327 هـ بعنوان (أسباب سقوط الدولة الأموية) ومما جاء فيها: إن الخلافة صارت إلى أبي بكر ثم عمر ثم عثمان لم يقم بين العرب من أجلها أدنى نزاع باسم الدين بل كان العقل هو الحكم والمصلحة رائد جمهور العقلاء من الأمة، يقطع النظر عما إذا كان علي حقاً بالخلافة فإنها حقيقاً بما بلا شك، وإذا كانت هناك ظروف وأحوال إذا وصلنا خبر بعضها فإننا نجهل بعضها الآخر بساتاً، وقد راعى جمهور الصحابة تلك الظروف والأحوال مماشية للسنة الطبيعية والعقل فقدموا عليه الثلاثة الكرام، ولو كان للدين حكم في استخلاف علي لما عدلوا عنه إلى العقل.

وبعد أن قرر رفيق العظم هذا المبدأ تساهل: إذاً فمن أين دخلت السياسة في الدين؟ فجعلته الخلافة حقاً شرعياً من حقوق آل البيت؟ ومتى ظهر النزاع عليها باسم الدين؟ وظهرت مقالة الإمامية التي تلتها بدع كانت آفة المجتمع الإسلامي؟ الجواب على هذا يعرفه كل مطلع على التاريخ، دخلت السياسة في الدين، وظهرت مقالة الإمامية لما دخل الأعاجم في الإسلام(2).

---

(1) تبيّن الأفهام إلى مطالب الحياة الاجتماعية والإسلام- رفيق العظم- 1318 هـ (1900).

(2) مجموعة آثار رفيق العظم (مجموعة خطب رفيق العظم)- 15.
ثانياً: ساطع الحصري:

من خلال تباع الكتب القومية، وتقدم الفكر القومي للأمة، يلاحظ أن
ساطع الحصري قد شغل جانباً كبيراً في هذا الأمر وقد كتب عن الحضري
وفكره القومي، وفلسفته التربية، وآرائه الاجتماعية، كتب كثيرة وأطروحات
قدمت إلى الجامعات الأوروبية والأمريكية.

ويبدو سبب ذلك إلى أن ساطع الحصري قد سلك في نشر فكره طريق
التعليم والربية، سواء التدريس أو التأليف وقد قال عنه أعضاء الجمعيات
القومية العربية: صنف أكثر من (50) كتاباً، وقد عين معلماً أثناء حكم
السلطان عبد الحميد، وعين وزيراً للمعارف في الحكومة العربية الأولى في
دمشق.

واعتبر القوميون ساطع الحصري أول من أدرك – من المشتغلين بالقومية
العربية – قيمة الثقافة في البناء القومي، وأنه يعتبرها القومي الأول من مقومات
القومية، والأساس الأول في تحقيق الوحدة العربية الكبرى (3).

---

(1) خواطر وأحاديث في التاريخ- نجد فتحي صفوة- 170.
(2) انظر: 1- الحكومة العربية في دمشق- خيرية قاسمية- 234.
2- الإعلام الزركلي- 70.
3- مذكراتي في العراق- ساطع الحصري- 72.
الجمعيات القومية العربية و موقفها من الإسلام والمسلمين

أ - تعريف موجز بالشخصية الذاتية:

يعتبرد- بن- محمد بن هلال بن السيد مصطفى الحصري (1).

وـ: بـ: يذكر بعض الكتب نقلًا عنه أنه من حلب، قال عن نفسه:

ولدت في صنعاء من والدين عربين حلبين في تاريخ يضافه 5 من آب

(أغسطس) عام 1880 (1297هـ) (2).

قال عنه أعضاء الجمعيات القومية العربية: ترّك ثم ظهر، وقد أصبحت

اللغة التركية هي لغته الدارجة، وأصدر مجلة التربية باللغة التركية، قيل عنها:

أول ما صدر من نوعها بتلك اللغة. ووضع 2 كتابًا بالتركية (3).

وكان سبب ضعف ساطع الحصري باللغة العربية أن والده كان يكر

التنقل بين الولايات العثمانية لأنه كان يحمل منصب رئاسة محكمة الاستئناف.

وكان كثرة تنقلات والده وهو في المرحلة الأولى من حياته السبب في عدم

التحاصل مدرسة ابتدائية مغنية. وهذا تلقى تعليمه في البيت، باللغة التركية

المحكية. كما أنه درس الفرنسية على أخوه الكبيرين، وقد كان هذا التعليم غير


(3) الإعلام- الزركلي- 70.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

التقليدي بالنسبة لذلك العصر أثر كبير في احتفاظ ساطع الحصري، طول عمره، بموقف مبني أساساً على العلمانية (1).

وقال أحد معاصره: يحكم نشأة الحصري - في عاصمة الدولة العثمانية، ودراسته باللغة التركية - لم يكن يعرف اللغة العربية أو يعلم بها حتى مغادرته تركيا، وقد حدثني أنه كان في الأربعين من عمره حين بدأ بتعلمها (2).

وقد قال ساطع عن نفسه: قدر لي أن أنتقل خلال السنوات الثلاثين أو الثلاثين أو الثلاثين الستة عشرة الأولى من حياتي بين المدن التالية: من استنبول إلى أضنة، ومن أضنة إلى أنقرة، ومن أنقرة إلى استنبول، ثم من استنبول إلى طرابلس الغرب، ومن طرابلس الغرب إلى استنبول، ومن استنبول إلى صنعاء اليمن... ولقد تركت هذه الرحلات التي عمت خلال طفولي في نفسي آثراً من الانطباعات العميقة، والذكرى المتعددة (3).

ومع تلك الظروف التي مرّ بها الحصري في حياته الأولى، إلا أنه تلقى تعليمه في المدرسة الملكية بسياستبول مدة سبع سنوات، أربع منها بالتعليم المتوسط والثلاث الأخيرة بالقسم العالي، وبقي طوال هذه المدة بالقسطنطينية لم يغادرها.

وقد ساطع في نفسه ميلاً إلى دراسة العلوم الطبيعية وأخذ يقرأ الكتب المؤلفة باللغة الفرنسية في هذه العلوم، ووضع لنفسه أمنية عاش على أمل أن

(1) مجلة المستقبل العربي-العدد الأول-السنة الخامسة- ١٩٧٨-ص: ٧٧.
(2) خواطر وأحاديث في التاريخ-بجدة فتحي صفوة-١٦٨.
(3) ساطع الحصري-محمد عبدالرهم برج-١٤.
تتحقق وهي أن يصبح عالماً فيها، ومنضى ساطع في دراسته بالقسم العالي من المدرسة الملكية الشاهانية يدرس العلوم الإدارية والسياسية(1).

توضح التربية الأولى التي تلقاه ساطع الحصري في المدرسة الملكية، كثيرًا من المؤثرات الفكرية التي سيطرت على فكره، فالمدرسة الملكية هي من الجانب الإداري كلية رفيعة المستوى تأسست عام 1859م (1261هـ)، ثم خضعت للتحديث عام 1877م (1293هـ)، يخرج فيها الموظفون الإداريون(2).

وأما الجانب التعليمي والمهني للمدرسة فهو معهد علماني، وتدرس فيها مواجًا تجمع بين العلوم القانونية والسياسية والإدارية(3)، وقد تحوّل هذا المعهد تحت حكم السلطان عبدالمجيد الثاني إلى مركز احتكار ثقافي، حتى أن قادة (تركيا الفتاة) فتحوا أعينهم على تعاليم الحرة والوطنية، على يد أساتذة هذا المعهد(4).

مكث ساطع الحصري هذه المدة في القسطنطينية، وفي خلاها تربى ولقى في حداثته وشببه التربية المعهودة لدى جيل تركيا الفتاة، تلك التربية التي كانت تستند إلى الأفكار الوضعية الفرنسية والقومية الأوروبية(5).

أمضى الحصري سني الدراسة وتخرج من المدرسة الملكية عام 1900م (1317هـ)، وأختار وظيفة التدريس لأها المدخل الأول لبث أفكاره ومبادئه.

(1) المصدر السابق-15.
(3) خواطر وأحاديث في التاريخ-الجدة فتحي صوفا، 1989-ص:159.
(4) مجلة المستقبلي العربي-العدد الأول-السنة الخامسة-1978-ص:78.
(5) نقد الفكر القومي-الإلياس مرقص-12.
ويقول عنه أحد معاصريه: (ليس من الممكن نشر المعرفة بصورة نافعة ومؤثرة بدون معرفة جيدة لمبادئ التربية وعلم النفس، فاتهم بدراسة حتى أصبح من خبرائها المدعوين في الدولة العثمانية).

وقد عين الحصري مدرساً للعلوم الطبيعية في المدارس الثانوية، وكان تعيينه في ولاية (بانيا) وقع ساطع مدرساً في ولاية بانيا لمدة خمس سنوات، وله سهولة اتصال هذه الولاية بالمدن الأوروبية، فقد تمكن أن يحصل على كثير من الكتب الفرنسية التي نشرت في باريس، وأن يشارك في عدة جلسات علمية. ونظرًا لتخرجه من المدرسة الملكية عهد إليه المسؤولون عن التعليم في بانيا القيام بتدريس المعلومات القانونية التي كانت تدرس للتلاميذ، وعلم الاقتصاد والتاريخ.

انتقل ساطع الحصري من وظيفة التعليم إلى العمل الإداري، وذلك كما يقول القوميون - بسّبب من تدخل السلطان عبدالحليم في سياسة التعليم، ورغب أن يعمل في مقدونيا أو كما كانت تسمى بالولايات الثلاث إشارة إلى فصدر (Kosov, Monastir, Salonika) سالونيكي، وكوسوفا تعيينه من وزارة الداخلية، منصب (قائممقام).

وقد اختار ساطع الحصري، (مقدونيا) لأها بعيدة عن سلطة السلطان عبدالحليم، وفيها حركات ثورية ضد السلطان عبدالحليم. وكان الجيش الذي

---

(1) برقيات وأحاديث في التاريخ- نجدته فتحي صفوة- 161.
(2) ساطع الحصري- محمد عبدالرحمن برج- 15-16-18 (تتصرف).
التولى إرغام السلطان عبد الحميد على إعلان الدستور عام 1908، ثم إسقاطه عام 1909 وقد جاء من (مقدونيا)\(^{(1)}\).

بعد إعلان الدستور العثماني اعتزل الخصري الحياة السياسية، ورغب بالاستغلال بالتأليف والتعليم، فقد استقالته من وظيفته وعاد إلى عاصمة الدولة\(^{(2)}\).

وخلال الحرب العالمية الأولى انتقل سطاع الخصري إلى البلاد العربية وأقام فيها، وبدأ فترة مهتمة من حياته تناول ما يتعلق بتأسيس الجمعيات القومية العربية. فكان يقول عن نفسه: (أنا عربي، عندما انفصل العرب عن الإمبراطورية العثمانية، لم يكن أمامي خيار سوى الانضمام إليهم)\(^{(3)}\).

وتوفي الخصري فجأة، ودفن في العراق\(^{(4)}\) في 24/من ديسمبر سنة 1968 م الموافق (4/10/1388 هـ)\(^{(5)}\).

ب— أهدافه وآثاره العلمية والعملية في تأسيس الجمعيات القومية العربية

يمكن من خلال الإطلاع على الجهود العلمية القومية لساطع الخصري تقسيمها لمرحلتين:

---

\(^{(1)}\) انظر: مذكراتي علي هامش القضية العربية- أسعد داغر- 31.

\(^{(2)}\) ساطع الخصري- محمد عبد الرحمن برجه- 22.

\(^{(3)}\) مجلة المستقبلي العربي- العدد الأول- السنة الخامسة- 1978- ص: 80. نقلاً من كتاب:


\(^{(4)}\) حواطر وآدابي في التاريخ- بمدة فتحي صفوه- 124.

\(^{(5)}\) ساطع الخصري- محمد عبد الرحمن برجه- 92.
المراحل الأولى: خلال الحكم العثماني، وما ظهر فيه من أحداث كإسقاط السلطان عبد الحميد، وتزعم جمعية تركية الفتاة للسلطة وانضمام بعض أعضاء الجمعيات القومية لها. ثم وقوع الخلاف بين العرب والتركمان.

المراحل الثانية: خلال إقامة الحكومة العربية في بلاد الشام، وترفد بعض أعضاء الجمعيات القومية العربية بحكم بعض البلاد العربية. ثم تفرق أعضاء الجمعيات القومية العربية في البلاد العربية. تنتهي هذه المرحلة بوفاته.

وقد تكون المرحلة الأخيرة هي أكثر إيضاحًا للفكر القومي عند ساطع الحضري، إذ أن تأسيس الجمعيات القومية ينتهي بنهاية حكم الدولة العثمانية للبلاد العربية، إلا أن ما قدمه ساطع خلال تلك الفترة الأخيرة يعتبر منهجًا مؤصلا لدى جمعيات القومية العربية.

ويمكن حصر جهوده وآثاره خلال المرحلتين جميعًا بما يلي:

أولاً: انسابه إلى جمعية تركية الفتاة: كانت الفترة التي قضها في مقدونيا هي العبقرية التاريخية - حقًا - التي دخل منها ساطع الحضري ساحة المعركة السياسي الذي اشتهر عوده مع تراكم تناقضات ومعارك اقتسام الدول الاستعمارية لبلدان العالم المتحلف والمستعمر.

يقول الحضري في مذكراته عن أثر هذه الفترة في حياته: (أكسبتني بعض الخبرة في كيفية تدبير الأمور دون إفساح المجال إلى اعتراض هيئة المراقبة

(1) مجلة قضايا عربية-العدد (3/4)-السنة الثانية-1975-ص:120.
وتدخلها مع التغلب على الدسائس والمناورات التي كان يقوم بها البعض من المراقينين ولذلك استعرضت في ذهني كل تلك الوقائع والتجارب وقررت لنفسني الخطة التي يجب اتباعها في هذا الشأن: بحث الأمور والمشاريع بعناية دقيقة وشاملًا قبل إياها إلى مكتب المستشار والتسلح بسلاح قوي من العلم والمنطق في مناقشتها معه، العمل على الدوام بمدوار تام دون إثارة وضجيج من إخفاء الغرض الأصلي من ذلك العمل في بعض الأحيان إن المرتبة العليا من السياسة، أي سياسة التربية الوطنية القوية تدخل ويجب أن تدخل في صميم أعمال المدارس وأغراضها.

في أثناء قيام ساطع الحصري بوظيفة قائممقام في ولاية (مقدونيا) بدأت حركة الإخلاص والترقي في الاتصال بالعناصر المناوئة للسلطان عبداللهميد، وكان من اتصلت بهم ساطع الحصري، وبرغم أن مهمته كانت تقضي أن يبلغ المسؤولين عن هذه العناصر الوطنية بحكم عمله في الجهاز الإداري للدولة العثمانية، إلا أن ساطعاً أيد هذه الحركة الثورية وباركها وعمل بكل جهد لتأييدها، وبخاصة أنه قد اعتنقت مبادئها في الكلية الملكية.

لقد كان ولاء الحصري كما تقول الجملات القومية: (لم يكن متحجاً بحال نحو السلطان وشرطتها). بل كانت حماسة كلها حتى ذلك الوقت قد تركت في محاولة إصلاح المناهج التربوية والتعليمية المتخلفة والفاسدة... كانت عواطفه

---
(1) مذكراتي في العراق- ساطع الحصري- 1/37-38.
(2) ساطع الحصري- محمد عبد الرحمن برج- 21.
كلها مع الحركات الثورية المطالبة باستقلال مقدونيا ضد السلطان عبدالحليم، ولقد تحوّل التبعيد إلى مشاركة إيجابية نشطة في حركة التنظيمات الثورية، وخاصة عندما نجح الضباط الثوريون الأتراك في حمل السلطان عبدالحليم إلى إعادة المشروطية أي الدستور.

وحينما تم إسقاط السلطان عبدالحليم وأعلن الدستور العثماني أحد ساطع يلقي الحماية المطلبة، ونشرت كلماته في جريدة الثورة التي صارت باسم (نبر حقيقة) أي (شمس الحقيقة) 1. ونشرت كلماته المثيرة حول الإصلاح والديمقراطية في جريدة الثورة. كانت تلك الفترة من حياة ساطع وخصوصا من 1905-1908 في ولايات مقدونيا العثمانية، منعطفًا عظيمًا في حياة المصري الفكرية والاجتماعية 2.

ثانياً: نشاطه التعليمي والتربيتي، خلال حكم جماعة الاتحاد والترقى:

إن مسئول معلم وآثار الخصري على الجمعيات القومية العربية أن تولي مهمة التعليم، ووضع الأسس والمناهج المبنية على أسس قومية علمانية، وقد اعترف ساطع بعلمانيته؛ ففي أحد الاحتفالات تكريمه قدم للتكريم فقيل عنه: [مرحبًا بالمناضل الكبير في خدمة العربية والإسلام] فرد عليه بهذه العبارة (عربي نعم.. إسلام لا.. أنا لا) وكلمة (لايكي) تعني أن صاحبها علماني أو لا ديني 3.

(1) مجلة قضايا عربية-العدد (2)-السنة الثانية-1975-صف: 120
(2) ساطع الخصري-محمد عبد الرحمن برج-21
(3) مجلة قضايا عربية-العدد (3)-السنة الثانية-1975-صف: 120
(4) شخصيات اختطف فيها الرأي-آثر الجندي-27-دار الأنصار-مصر.
الجمعيات القومية العربية ووقعها من الإسلام والمسلمين

وكان تدابير نشر هذا الهدف منذ تخرجه من المدرسة الملكية، وتبيين فكر جمعية الاتحاد والترقي، وأصبح من أكثر المرهبين وال=fopen (2) في الإمبراطورية العثمانية، في الفترة التي تمت إعداد الحياة الدستورية، وقد قيل عنه أحد الأعلام المعدومين في التراث، وقد كان عميده هذا الفن في تركيا قبل الثورة العربية.

وقد عهد لمساطع المصري تولي إدارة مدرسة المعلمين في القسطنطينية، وأنشأ قسماً فيها لتخرج المدرسين للمدرسة ذاتها.

لقد أعد ساطع تأسيس هذه المدرسة على أسس جديدة تماماً كما يقول تلاميذه، دون أن يتقيد بمناهجها القديمة، أو بيئتها التعليمية. وأدخل في مناهجها لأول مرة علم النفس، وفن التربية والتدريس، وأنشأ مجلة سماها مجلة التدريسات الابتدائية التي كانت أول مجلة تربية تصدر باللغة التركية، وكانت تتألف من قسم نظري وآخر عملي، وكان ساطع يجمع فيها الكثير من نماذج الدروس.

كان ساطع ممن دعوة الانتقاء بالفكر الأوروبي، والسير على النظام العلماني، وقد قال عنه طلابه: ظل بعيداً كل البعد عن أن يتمثر في عمله بدين من الأديان، أو مذهب من المذاهب، وإذا كان يعد في عمله عن عقيدة قومية، وأسلوب علمي.

______________________________
(2) مجلة قضائب العربية-العدد-4/3-السنة الثانية-1970-صف:121.
(3) ساطع المصري-محمد عبد الرحمن برج-123.
(4) المصدر السابق-49.
لتطبيق التعليم هذه المعتقدات العلمانية، قام الخصري برحلات استطلاعية إلى بلاد أوربا سنة 1910 (1327 هـ)، حيث زار عدداً من المدن الأوربية، وقام خلال زيارته بدراسة أحوال التعليم فيها، ولا سيما دور المعلمين، والدراسة في المراحل الابتدائية وما تطبقه هذه الدول من نظم تعليمية جيدة بأن تُحتذى. وكان ساطع يصرف خلال رحلاته هذه بمشاهير رجال التربية والتعليم، وعندما تأسست معهد (جان جاك روسو) في جنيف تعرف ساطع إلى أهم مؤسساته، وأخذ يبحث وزارة المعارف العثمانية على أن تتوفر البعض من طلابها في بعثات تعليمية للدراسة في هذا المعهد، نظراً لما يطبقه هذا المعهد من نظم جديدة في التعليم، كما دعاه مؤسس المعهد أن يكون من أعضاء الهيئة الراعية له.

وبعد النزاع بين العرب والأتراك، ورغبة الترك في تحقيق المطالب العربية بعد المؤتمر العربي الأول عرض على ساطع الخصري أن يكون مستشاراً عربياً لوزارة المعارف. وتألف الخصري كتبًا باللغة التركية في المجال التعليمي، منها: في التربية وعلم الإنسان، وآخر في الإثنوغرافيا (علم الأقوام أو الأجناس البشرية) وكتب في الكيمياء وعلم الحيوان وعلم النبات، ومبادئ العلوم الطبيعية.

ومما ينبغي ذكره عن نشاط ساطع الخصري خلال فترة حكم جمعية الاتحاد والترقي للدولة العثمانية، كانت تربط ساطع الخصري صداقة شخصية

(1) ساطع الخصري- محمد عبد الرحمن برج-42.
(2) مجلة المستقبل العربي- العدد الأول- السنة الخامسة-1978- ص:79.
(3) حوارات وأحاديث في التاريخ- بحثي صفرة-167.
بعد وفاة الخليل أمين المؤتمر العربي في باريس، وكان يقبل دعوة الخليل للاجئ
خطاب في المنتدى الأدبي، وانضم إلى جمعية الفتاة.

ثالثًا: آثار الحرصي التعليمية في البلاد العربية: حينما أصبح للجمعيات
القومية العربية كيان سياسي متمثل في الدولة العربية الأولى انتقل الحرصي من
القسطنطينية إلى سورية، وـ: قال: لأن عربي، وعندما انفصل العرب عن
الإمبراطورية العثمانية، لم يكن أمامي خيار سوى الانضمام إليهم) (2). فذهب
إلى سورية للمساهمة في بناء الدولة العربية الجديدة، التي قبل عنها: خضعت
الحكومة لتوحيد الهيئات الوطنية السياسية) (3) وكانت تربط علاقة فكرية مع
فيصل بن أحمد، ولذا نراه في سوريا مصيّلاً عن التعليم كنمو في العراق.

لقد كان نصيب الحرصي في التقييم الوزاري أن أصبح وزيراً لل المعارف
في تلك الدولة الفتية (4) وقد تولى هذا المنصب الهام في توجيه الأمة مع وصف
القوميين له بأنه أشد المفكرين العرب تعاباً لعلمانيّة القومية العربية (5).

The making of an Arab Nationalist, Othomanism and Arabism in The Life and Thought of

ويبدو أن هذا الكتاب هو احتفال وأدبي دراسة صدرت حتى الآن، بأي لغة، عن حياة ساطع
الحرصي ففكر، فقد استندت مؤلفته على المؤلفات الأساسية للحرصي، بالتركية والعربية، ثم على
عشرات المراجع (أكثر من مائة وثلاثين) مؤلفًا بالعربية والتركية والإنجليزية والفرنسية، عن
الحرصي وعصره.
ويستمر ساطع الحصري في نشر مذهبه العلماني في التربية والتعليم، فيقول أعضاء الجمعيات القومية العربية عن دوره في تأسيس التعليم في المرحلة الجديدة من تاريخ البلاد السورية: لقد استدعته الحكومة السورية الحديثة الاستقلال عام 1944 (1363 هـ) ليعمل كمستشار في الشؤون التربيةية، وكانت تقاريره السبعة عشر التي وضعها حول هذا الموضوع هي أساس تطبيق التعليم في سوريا.

ومع أن البرلمان السوري وصف قانون المعارف الجديد (المعتمد على تقرير الحصري واقتراحاته) بمثابة [إعلان الاستقلال الثقافي] فإن النزعة العلمانية التي تميزت بها اقتراحات الحصري؛ قد دفعت بعض العناصر الطلابية المتزمنة بدينها، والعالمية بمعارك الحصري؛ وإنساده لعجبة المسلمين، فقاموا بمنكري له عن طريق مظاهرة تحت في شوارع دمشق (لا إله إلا الله، الحصري عدو الله). إلا أن الحكومة السورية صممت أمام الضغوط، واحتفظت بقوانين الإصلاح التعليمي - بحسب تعبيرهم - التي صممت بناء على اقتراحات الحصري (1) العلمانية.

وكان مما جاء في المادة الأولى لقانون المعارف وما يتعلق بواجب الوزارة: مهمته وزارة المعارف تربية الجيل الجديد تربية صالحة من جميع الوجوه البدنية والخلقية والفكرية، ليصبح كل فرد من أفراده قوي البدن حسن الخلق صحيح الفكر عبداً لوطنه، معتزًا بقوميته (2).

---
(1) مجلة المستقبلي العربي-العدد الأول-السنة الخامسة-1978-ص:20. وانظر عن هذه التقارير:
ويقول أحد طلاب الحصري والمتأثرين به خلال هذه الفترة: لقد تأثر الشهاب بكتابات ساطع الحصري بالدرجة الأولى. تلك الكتبات التي ركزت الاهتمام على وجود العوامل والمقومات الكافية لوجود أمة عربية واحدة، وكان أولئك الشهاب يجاورون ويردون على الأفكار التي أنكرت مثل تلك المقومات، وطرحت بدلًا من علاقات شعوب المنطقة العربية(1).

وأما آثاره في الجانب التعليمي في العراق فقد قيل عنه: أنه ولا شك ركن أساسي قوي من أركان النهضة العلمية في العراق(2).

وبناء على اتفاق بين الحصري والملك فيصل ارتحل الحصري إلى مصر وبدأ تعليم نفسه للأعمال التعليمية، فكتب إلى وزير المعارف المصري في ذلك الحين خطابًا يلتمس له التصريح بزيارة بعض المدارس المصرية، وجاءته الموافقة وقام بزيارات مختلفة، حتى جاءته الدعوة من فيصل بن الحسين للعمل في العراق 1921(3913 هـ)(3).

لقد تولى الحصري إدارة المعارف هناك، فوضع أساس التعليم للحكومة الجديدة على أساس الوحدة القومية وأحدث الطرق الفنية والنظريات التربية الحديثة، والاعتبارات القومية، ومتطلبات المرحلة الجديدة(4).

(1) سياسي يتذكر-جمال الشاعر-34.
(3) ساطع الحصري-محمد عبد الرحمن برج-44.
(4) حوارات وأحاديث في التاريخ-بجلة فتحي صفرة-132.
يُقول عنه طلابه في العراق: (كان الخصري قد ألب من حوله كثيرًا من العُدءاوات لعدها أسباب أهمها تطرفه وتشدد في صيغ مناهج التعليم العراقية بصيغة القومية العربية والعصرية من منطلقات ثقافته العلمانية)ً.

وهذا التأثير في الأمة، وإقرار المبادئ العلمانية في تعلٕى وتربيّة الجيل على يد ساطع الخصري بجد أعضاء الجمعيات القومية العربية يقولون عنه: لقد مضى على ساطع بك في إدارة المعارف ست سنوات، قام في خلالها بأجل الخدمات ولم يدخّل جهادًا في تنظيم المناهج وترقيّة المدارس وإيجاد روح علمية في البلاد هي أظهر أثر يذكر في فضائلها الحاضرة. وفي الحق إذا لم يكن لساطع غير مجلته التربية والتعليم هي الوحيدة من نوعها لكفاءة فخرًا في خدمة الناشئة الجديدة وقيمتها لمستقبل أحسنً.

وقالوا: أهم ما يسجل التاريخ لساطع أنه وضع للقومية العربية أسسًا علمية ووجه الأنظار وأشاع الروح فيها وقوى الإيمان بها، حين يعمل في مجال التربية والتعليم يسعى لبعث العامل القومي وتعزيزه ووضع المناهج الدراسية التي يراؤها كفيلة بتحقيق ذلك، وحين يضع تقارير الإصلاح لخطط التعليم يضع نصب عينيه الخطط الكفيلة بتقوية الشعور القومي وتغذيتهً.

فقد كانت خدماته بناءً، متعددة الجوانب، بعيدة الآثار، .. ويكفي أنه كان رائد الفكر القومية العربية وفيلسوفها، الذي كان له أكبر الأثر في تكوين

(3) ساطع الخصري-محمد عبد الرحمن بر-142.
وعلى قومي في المشرق العربي، وقد كانت الدعوة للقومية العربية محور عمله وحياته مدة نصف قرن تقريباً.

رابعاً: بعض أفكاره القومية: بعد إسقاط السلطان عبدالله يظهرت في الأمة ثلاث اتجاهات مختلفة، وهي:

1. الاتجاه الطورياني التركي، ويتزعمه جمعية الأتحاد والترقي.
2. الاتجاه العثماني، ويقصد به العلماني التجريبي، ويتزعمه الجمعيات العربية.
3. الاتجاه الإسلامي، والرابطة الإسلامية.

لقد كان ساطع الخصري يهجه النهج والاتجاه العثماني، وهذا كانت أفكاره التي نشرها في كتبه وظهرت بعد تفرق أعضاء الجمعيات القومية العربية في البلاد العربية تلتقى مع الأهداف العامة للجمعيات القومية.

ولاختلاف مبادئ الخصري مع مبادئ الجمعيات فقد أثر القوميون على أفكاره فقالوا: كانت آراؤه وأحاديثه في القومية والتربيبة والاجتماع قائمة على فهم عميق للتاريخ، وإيمان حقيقي بالمكان الذي يجب أن تستلبه الأمة العربية تحت الشمس، إلى جانب ثقافته الغزيرة.

ويمكن إيجاز أفكار ساطع الخصري بالأمور التالية:

(1) خواطر وأحاديث في التاريخ-بجدة-فتحي صوفة-196.
(2) انظر: مجلة المستقبل العربي-العدد الأول-السنة الخامسة-1978-ص72.
(3) خواطر وأحاديث في التاريخ-بجدة-فتحي صوفة-197.
الرابطة القومية والرابطة الإسلامية: ابتداع الحضري في الأمة الإسلامية ولاء جاهلياً هو الولاء القومي، فعد حديثه عن العوامل التي تربط الأفراد بعضهم ببعض، ذكر منها: الاعتقاد بوحدة الأصل والمنشأ، والاشتراك في اللغة والتاريخ، والتشابه في العواطف والعواطف، والتماثل في ذكريات الماضي ونزرات الحال والآمال المستقبل. كلها من جملة هذه الروابط المعنوية التي توفر التقارب والتعاون، وتكون الأمم والأوطان.

 وبين الحضري أقوى هذه الزيارات، فقال: (إذا لا حظنا أنواع الروابط التي تكوّن الجماعات السياسية على وجه أخص نجد أن أولا وأفعالا هي نزعة القومية المتولد من وحدة اللغة والتاريخ، لأن الوحدة في هذين العالمين، هي التي تؤدي إلى وحدة المشاعر والمناورة، ووحدة الآلام والآمال، ووحدة الثقافة.. وبكل ذلك تجعل الناس يشعرون بأنهم أبناء أمة واحدة متميزة عن الأمم الأخرى، ولكن لا وحدة الدين، ولا وحدة الدولة، ولا وحدة الحياة الاقتصادية تدخل بين مقومات الأمة الأساسية).

ويؤكد الحضري على أهمية اللغة بأن الأمة لا تقوم إلا بلغتها، يقول: (إن حياة الأمة تقوم بلغتها، بوحدة عام، أما الموت بالنسبة إلى الأمة فليس... في حقيقة الأمر... إلا في الخرومان من اللغة الخاصة بها.. إن الأمة تبقى حية، ما بقيت محافظًا على لغتها، فإذا تبقى مستعدة للحرية والاستقلال، ما دامت

(1) أبحاث مختارة في القومية العربية-سطح الحضري-١٠٢٥.
الجمعيات القومية العربية ومشوقتها من الإسلام والمسلمين

458

متمسكة بلغتها. أما إذا فقدت هذه اللغة، فتكون قد فقدت الحياة... إن اللغة تكون روح الأمة وحياتها وتتمثل أهم عنصر القومية وأثمن مقوماتها.

ومن هذا المنطلق الجاهلي، ينقد الحرصي بعض أدباء ومفكري عصره بأنهم لم يصلوا إلى مرحلة (رابطة القومية) بعد أن انتقلوا من (الرابطة الإسلامية العامة).

وبنفس المبدأ تناقل أعضاء الجمعيات القومية العربية فكرة ساطع الحرصي، قالوا: (عوامل التجانس في الأمة هي أن يكون لها (بقعة أرضية مُضَمَّنة) ووحدة في النسب والتقاليد العامة)، أما الوحدة الدينية فليس لها عنده أهمية في التجانس القومي.

والولاء للغة: أوسع شمولًا وأرحب صدراً من نظرية الدم والجنس والدين، لأنه يعتبر به عربياً قومياً كل متكلم باللغة العربية وليس له لغة أم غيرها .. مهما اختلفت الأصول والأديان والمذاهب.

٢- الثورة الفرنسية وتصنيد القومية العربية: اعتبر الحرصي الثورة الفرنسية هي مبدأ تاريخ القوميات، فقال: (طراً على أوضاع أوروبا السياسية من التطورات والانقلابات ما لم يسجل التاريخ مثلاً له، في أي عهد من العهود...

(1) مذكراتي في العراق- ساطع الحرصي-2/480، مقطع من خطابات ألقاه على طرف الكشافة العربي.
(2) مذكراتي في العراق- ساطع الحرصي- 2/478.
(3) الاستضافة لقاء ميشيل عفلق- زهير الماردين- 19-الريس- لندن.
(4) نشأة الحركة العربية الحديثة- محمد عزة دروزة- 39- بتصرف).
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

العابرة. والعمل الأساسي الذي أنتج هذه التحولات السياسية الخطيرة بهذه السرعةخارقة كان نشوء الفكرة القومية وتغلغلها في نفس الشعوب، تغلغلًا جعلها من القوى المؤثرة والمبادئ الفعالة في تكوين الدول وتوجه السياسة الدولية.

لقد أبعدت الثورة الفرنسية الدين عن واقع الحياة، وبالمنهج نفسه تعامل ساطع الحصري مع الدين الإسلامي، فهو يرى أن فكرة القومية العربية صادفت في طريق سيرها وانتشارها عراقيل كبيرة، وعقبات خطيرة قد تغلبت على الكثير منها منذ بداية القرن الحالي: فإنّا احتقت أولًا السد المنبع الذي تكون من امتزاج فكرة الجامعة العثمانية بمتعة الخلافة العثمانية الإسلامية. وهي فكرة القومية العربية على وشك الانتهاء من التغلب على العقبات التي تعترض طريقها باسم الرابطة الشرقية من ناحية والرابطه الإسلامية من ناحية أخرى.

وكما اقتحمت الثورة الفرنسية الدين التصري، فإن ساطع الحضري يقرر بشأن روح القومية الحقة على وشك أن تقتحم كل العراقيل وستنتصر في آخر الأمور انتصارًا حاسمًا، ولذا فإن نظرية وحدة الدين مستبعدة في الفكر الأوروبي ولم تلعب دورًا في نشوء النظريات القومية في أوروبا، وذلك لأن الأوروبيين كانوا قد انتهوا من حل قضية (علاقة السياسة بالدين). ولكن الذي حدث في العالم الإسلامي، اختلف عن ذلك اختلفًا كبيرًا، فإن الخلط بين الدين وبين

(1) أنظمة محترقة في القومية العربية- ساطع الحصري
(2) اللغة والأدب وعلاقاتهما بالقومية- ساطع الحصري
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

السياسة، فقد استمر في البلاد الإسلامية بوجه عام، والبلاد العربية بوجه خاص (1).

لقد كان أصل أهداف الثورة الفرنسية كمسلم يقول الحضري (الفكرة القومية وталحُرها في نفس الشعب)، فالنار للفضاءة القومية العربية، وهذا اعتبر الحضري القومية ديناً وعقيدة، فقال: (إن الكفاح القومي والجهاد في سبيل النهضة القومية، يحتاج إلى إيمان راسخ في النفس، يتطلب بذل المجهود لبث الإمام القومي في النفس، وتقوية هذا الإمام، وتعزيزه بكل الوسائل (2).

وبدع إقرار العقيدة القومية التي من أجلها يوالي وعليها يعادي، يقرر الحضري: إن رابطة الدين في الأمة، وبسبب وقائع التاريخ إما كانت روابط عاطفية، وهذا فإن الوحدة السياسية التي وجدت في صدر الإسلام لم تقو على تقلبات الأيام مدة طويلة، والخلافة العباسية نفسها لم تستطع أن تجمع كل المسلمين تحت رايتها السياسية (3).

وهذا المبدأ يلتقى الحضري بالفكرة التي قالتا رفيق العظم: (وقال ما جمع الدين كلمة أهله بأجمعهم إلا في الشاذ النادر، اللهم في العواطف دون الفعل، فإن أقل هذين الروابط تأثيراً في المجتمعات رابطة الدين (4). فاعتبار رابطة الدين (رابطة عاطفية) بدأ يقرر من لهم تأثير في تأسيس الجمعيات القومية العربية.

_____________________

(1) أبحاث مختارة ساطع الحضري-400.
(2) المصدر السابق-88.
(3) المصدر السابق-112.
(4) مجموعة آثار رفيق العظم-رسالة الجامعة الإسلامية-49. وانظر ص ( ) من الرسالة.
الجمعيات القومية العربية ووقفتها من الإسلام والمسلم

3- اعتبار الخلافة الإسلامية من عوائق مَحْضَة القومية: ذكر الخصري بعض العوائق التي وقفت في طريق مَحْضَة القومية العربية، ومن هذه العوائق السلطة المعنوية التي كانت تتمتع بها السلطنة العثمانية باعتبارها (دولة الخلافة الإسلامية).

وبِن الخصري الأثر المعنوي في الأمة كما -يعتقد- يقول: (هذه السلطة المعنوية القوية كانت تخدع فيها روح القومية العربية وتجعلنا لا نشعر بأننا أمة مغلوبة على أمرها، مستسلم لسلطان أجنبي عنها، نسينا أن لنا قومية خاصة متميزة عن الأثراك العثمانيين وعن سائر المسلمين).

إن مبدأ: (إن للعرب قومية تنصب تختلف عن الآخرين) كان من أسباب نشأة الجمعيات القومية العربية، يقول الخصري: (بدأت جماعة مستنيرة من المناطق بالضاد تنبه إلى ذلك - القومية الخاصة - وتطلب بحقوق العرب وتتكلم عن حقوق اللغة العربية، وقامت جماعات كبيرة تعارضهم معارضة شديدة، زاعمة بأن هذه المطالبات تسير إلى الرابطة (الإسلامية) العثمانية وتنافي الأَخْوَة الإسلامية)، في الباب الرابع -إن شاء الله- سأأخبر موقف العلماء المعاصرين من مبادئ الجمعيات القومية.

الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

لقد عرض الحصري أفكاره في أكثر من (50) كتابًا، وكلها مطبوعة(1). وقدم من خلالها أبرز معالم مبادئ الجمعيات القومية العربية، من بداية تأسيسها وحتى تفرق أعضائها.

 ولو تخطى هذه الكتب من أفكار ومبادئ تعتبر امتدادًا لأفكار الجمعيات القومية العربية، فالحصرى: إن الأبحاث المذكورة سارت في الاتجاه الذي كان منعّه إليه أعظم رجال الدين الإسلامي منذ قرن، فذكر منهم: عبد الرحمن الكوايكي، عبد الحليم الزهراوي. (2).

ولهذا اعتبر القوميون قاد anus من قادة الفكر العربي (3) وأكثر الناس إخلاصًا للفكرية العربية وتفانيًا في خدمتها، وأقوى الناس حجة في الدفاع عن القومية العربية وحيدة في سبيلها، يجادل في ذلك من تعرض لها بسوء ويحاج بذلك السياسيين، والأدباء (4).

ويضيف القوميون إلى مآثار الحصري على الفكر القومي إنشاء معهد للدراسات القومية، فقد قالوا عن دور الحصري: فحينما انتقل الحصري إلى

---

(1) الإعلام-الرركالي-ج3/708.
(2) أبحاث مختارة-ساطع الحصري-م4-294. انظر: المؤتمر العربي الأول-خطبة عبد الحليم الزهراوي-20.
(3) خواطر وأحاديث في التاريخ-مجلة فتحي صفوأ-170.
(4) مجلة الرسالة-العدد (373)-تاريخ 12/7/1383هـ-السنة الحادي والعشرون-ص:7.
مصائر مستشارًا للإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية(1) رأى ساطع أن الضرورة تقضي إنشاء معهد للدراسات العربية يخدم هذا الغرض، ويجعل هذه القيادة، وخرجت فكرة ساطع إلى حيز الوجود، فقرر إنشاء المعهد وافتتح للدراسة في العام (1954-1955م/1372-1373هـ) وعين ساطع مديرًا له وأستاذًا للقومية العربية فيه.

وفي حفل الافتتاح ألقى الحصري كلمة قال فيها: (باسم الله وباسم العربية أفتتح العام الدراسي الأول لهذا المعهد: معهد الدراسات العربية العليا، الذي أنشئ بناءً على قرار مجلس جامعة الدول العربية). وحدد النظام الأساسي الذي أقره مجلس جامعة الدول العربية أغراض المعهد في مادته الأولى بالعبارات التالية:

1. إعداد شباب عربي مثقف ثقافة عربية عالية.

2. نشر الثقافة العربية عن طريق التدريس والتأليف والنشر والمحاضرات العامة.

3. إقامة فكرة القومية العربية على أسس علمية صحيحة.

4. تكييف أسس الثقافة العربية بحيث تنتفع من تقدم المدنية الحديثة. وكان ساطع يقول لطلبته: إنه لا يكفي من هذا المعهد هذه الأغراض فحسب(2).

---

(1) خواطر وأحاديث في التاريخ- نجد فتحي صفوة- 163.
(2) أبحاث محلية- ساطع الحصري- 21. وننظر: "ساطع الحصري- محمد عبدالرحمن برج- 86".
و"خواطر وأحاديث في التاريخ- نجد فتحي صفوة- 163". و"ثقافتنا في جامعة الدول العربية- ساطع الحصري".
ثالثاً: ميشيل عفلق:

اختلقت الأحوال والظروف التي نشأ فيها ميشيل عفلق عن ظروف وأحوال الشخصيات الأخرى المؤثرة في تأسيس الجماعات القومية العربية سابقة الذكر.

فقد نشأ عفلق بعد أن ظهرت مؤامرة الدول النصرانية على البلاد الإسلامية، وأثارت الدولة العثمانية التي تعتبر حامية المسلمين، وتحولت إلى دولة عثمانية (1)، وأثار حلم زعماء الثورة العربية بإقامة دولة عربية (2)، وهو حلم مبني على وعود الدول الكافرة، وقد قال الله تعالى: "وَلَن تَرَضَى عَنْكَ أَهْلُ الْبَيْتِ وَلَا النَّصْرَى حَتَّى تَتَّبَعَ مِلَّتَهُمْ" (3).

والمقابل فقد ظهرت في المشرق العربي عدة دول خضعت لنظام الانتداب:
دخل العراق وفلسطين وشريقي الأردن في منطقة نفوذ بريطانيا، ودخلت سوريا ولبنان في منطقة نفوذ فرنسا (4).

وظهرت في المجتمع العربي مقاومة مستعمرة متنوعة مختلفة، فتعددت الحزب، وظهر حزب البروز والرئاسة عند بعض أعضاء الجماعات القومية العربية:
متمثلةً بالانقلابات والصراعات الدموية فيما بينهم (5).

(3) سورة البقرة-رقم الآية-120.
(4) حزب البث العربي الاشتراكي-مصطلح دندشلي-111.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

وسوف أترجم لمؤسس حزب البعث العربي، متناولاً جانباً معيناً من حياته، وهو أهدافه وآثاره العلمية والعملية في تأسيس جمعيات القومية العربية، مع تعريف موجز بالشخصية الذاتية. وعُقِل هو مؤسس حزب البعث العربي، والذي يعد من أهم الأحزاب القومية المؤثرة في حياة المسلمين.

أولاً: تعريف موجز بالشخصية الذاتية:

من خلال تبعي لكتاب بعض أعضاء مؤسس حزب البعث -من أجل استخراج معلومات تتناول شخصية ميشيل عفلق- لم أُعثر على كتاب يتناول سيرته(1) بال النقد والتحليل، وقد صُرح بندوة الكتب التي تناولت عفلق بالدراسة(2). وهكذا قال أحد تلاميذ عفلق بعد وفاته: ينها نهد العدة لدراسة منهجية شاملة تتناول كل مناحي تفكيره(3).

نشأ ميشيل عفلق إبان مرحلة الصراع التي عاشتها البلاد العربية بينها وبين المستعمر، فهو ولد في زقاق الموصلي في حي الميدان بدمشق عام 1909م، أي بعد إعلان دستور السلطان عبدالحميد بستين(4)، وكان هذا التاريخ بداية تأسيس جمعيات القومية العربية والأحزاب ذات المقاصد المعينة.

(1) إن كتاب: الأستاذ-زهير مارداني، يعتبر قراءة في فكر ومنهج عفلق في تأسيس حزب البعث، وانظر: عفّلق والبعث-جوزيف الياس.
(2) انظر: عرف معاصرون-محمود خدوري-380، (حاشية رقم 3).
ساعدة مهنة والده (يوسف عفلق) على العيش في المعارك الفكرية، حيث تُعَدّ مهنة والده في المهن الرفيعة، فقد كان تاجر حبوب يشتري محصول الفلاحين من الحبوب (القمح بصورة خاصة) (1). أُسَّرت عفلق من الأسر الغنية في ذلك الوقت، وهذا فقد أتسرب عفلق إلى المدارس المتعددة الطائفية، حيث تلقى تعليمه في مدرسة (الأسماء) الثانوية في القصّاع للروم الأرثوذكس (2).

وينتمي ميشيل عفلق عقلياً إلى المذهب الأرثوذكسي (3)، وهو بهذا يضاف إلى أعضاء الجمعيات القومية العربية، الذين كان لهم دور بارز في تأسيسها.

وقد سكنت هذه العائلة النصرانية في حي الميدان وهو حي للمسلمين.

ويُعتبر هذا الحي مركز الحركة الوطنية في دمشق (4).

وفي الجانب الأسري من حياة عفلق أظهر والدا عفلق اهتماماً كبيراً بالشؤون السياسية، وأثبّت عن والده اشتراكه في نشاط وطني واعتقاله لمعارضته الإندماج الفرنسي على سوريا، وهكذا شب عفلق في عائلة كانت تعيش بالقضايا الوطنية وتتناول بالشؤون السياسية (5). وأَمَّه من فرع آل زيدان في

(1) ميشيل عفلق الكتاتب الأول-ذوقان قرفروط-37.
(2) المصدر نفسه-37.
(3) المصدر نفسه-37.
(4) عرب معاصر ومحمد خدوري-274.
الجماعات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

دمشق ومنهم جورجي زيدان(1) الذي يعد من أبرز الشخصيات النصراوية التي خدمت الجمعيات.

تبدأ ترجمة عفلك الدراسية من المرحلة الثانوية حيث أتم دراسته الثانوية وحصل و هو في سن الثامنة عشرة على منحة ليل إجازة في التاريخ من السربون(2)، وقد قال عفلك عن نفسه: كنت تلميذاً في دمشق دون الثامنة عشرة، أقيماً لفحص البكالوريا(3).

لقدسبق الحديث عن أثر البعثات العلمية في نشأة الجمعيات القومية العربية، وبخاصة ابتعاث الطلاب من سورية إلى فرنسا والتي كانت مُستَعمرَة بلاد الشام، نجح عفلك في أول بعثة توفدها الحكومة إلى باريس للدراسة للحصول على إجازة لتدريس لغة التاريخ(4) وكان ذلك في عام (1928م - 1346هـ) وبعد دراسة الفترة اللازمة في السربون بباريس عاد عفلك يحمل شهادة (الليسانس) في التاريخ(5).

ومنذ عفلك قليلًا في بلاده عام (1933م - 1351هـ)، ثم قفل راجعاً وفي نيته متابعة دراسة التاريخ للحصول على الدكتوراه وكان قد قطع شوطًا فيها بحصوله على دبلوم في تاريخ الفن اليوناني، الذي كان معجبًا به وجعل

(1) ميشيل عفلك الكتبات الأولى- ذوقان فرقروط- 37.
(2) حزب البعث العربي الاشتراكي- مصطفى دندشلي- 29.
(3) ميشيل عفلك الكتبات الأولى- ذوقان فرقروط- 69.
(4) المصدر السابق- 37.
(5) المصدر السابق- 39.
الطريقه إلى فرنسا من اليونان للتعرف على آثارها، إلا أن وفاة والده أعادته هائياً والتحق بوظيفة التدريس حيث انخرط في العمل الأدبي وفي الحياة السياسية معاه. (1)

كانت بعثة عفّق العلمية من المؤثرات الأساسية على تكوينه الفكري، وتنظيمه الحركي، كما سأبى هناك الفكرة التالية، وبعد عودة عفّق من البعثة وحصوله على إجازة في التاريخ (2)، شغل منصب التعليم في تلك المادة، فعين سنة 1932 م في مدرسة (التجهيز) بدمشق (جودت الهاشمي الآن) وهى إحدى المدارس العليا في وطنه (3). وقد كانت الحكومة تختار من المحافظات عددًا من الطلاب السّناةنين وتوفدهم إلى المدرسة، معفونين من أساتذة التعليم الباهرة لتعلمهم، وتيبه لمتى علمهم الأكمل والنوم وتلزمهم بقيود المدارس الليلة الفرنسية لا يخرجون إلا أيام العطل (4).

وكان معظم الطلاب المعجبين بعّققة يتضبعون إلى القسم الدّاخلي في مدرسة التجهيز، وكان بعضهم من أبناء العائلات الكبيرة والأعيان ومن مختلف المناطق السورية. (5) وكان هؤلاء يفدون إلى دمشق بقصد التحصيل الدراسي، وعند التخرج كان يدخل هؤلاء سلك التعليم كمدرس، ومحتوؤون منهم

(1) المصدر السابق- 406.
(2) المصدر السابق- 406.
(3) عرب معاصرون- جهيد خدوري- 277. وقد قال المؤلف: لقد عرفت عفّق معرفة جيدة.
(4) ميشيل عفّق الكتابات الأولى- ذوقان- 394.
(396).
كُلما يتجهون إلى المهن المرة، وهكذا كانوا يحملون راية البعث، ويشرون أفكارهم في مناطقهم المختلفة.

وِمَا لاحظته خلال البحث عن حياة أعضاء جماعات القومية العربية، أن الكثير منهم، قد تولى منصب التعليم حتى وصل بعضهم إلى منصب وزارة وهم بـهذا استغلوه هذا العمل من أجل غرس المبادئ القومية في نفوس الطلاب، قال عفلق: ولا يجاهل أحد من تلاميذنا وأصدقائنا أنه كنا نسعى دائماً في تدريسنا وكتابتنا أن نلقح فكر النشئ العربي بأفكار الفيلسوف الألماني (نيتشه) عدم الاشتراكية).

ويقول أحد طلابه: إن طلاب عفلق، بل مرديه كانوا يريدون أفكار عفلق، وكان يتبغوا بعضنا على بعض وتفغى ما كي زارنا على اختلاف آدابنا وطقوسنا حيث لا فرق بيننا، ولا يضغنا أننا قلة وأنا هدو وحنا .. لقد كان تأمل (أستاذنا) عفلق يغمنا لقد أطلعنا عليه (محمود ميشيل).

وأستمر عفلق في منصب التدريس حتى كشفت بعض أفكاره ومبادئه وفصل من الوظيفة سنة (1361هـ- 1942م)، وكتب رسالة بين فيها مأخذه على طريقة التعليم وسبب إقائه، فما جاء فيها على لسانه وليس رقيق.

(1) حزب البعث العربي الاشتراكي- مصطفى دندلشي- 1936.
(2) حزب البعث العربي الاشتراكي- مصطفى دندلشي- 1977.
(3) ميشيل عفلق (الكتبات الأولى)- دوان قروط- 1324هـ.
(4) انظر: دولة البعث وإسلام عفلق- مطيع النوو- 1970 عن الحادثة التي كان فيها كشف أفكار ومبادئ عفلق، مما جعل من مسؤول التعليم في سوريا يقرر إقائه عن وظيفة التعليم.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

دربي صالح البطار: ( 1 ) ننتظر تعلية صحيحاً نزيهاً يحدث الانقلاب الفكري والأخلاقى العميق، وينبئ لنا الجيل العربي المشود. نعرف أستاذين أو ثلاثة استطاعوا أن يفعلوا من مدرستهم مركز إشعاع الفكرة العربية والبعث العربي، والعالم العربي يتطلع إلى كلماتهم، وشباب العرب يقدوسهم تقديساً. أما رئيس التعليم الثانوي فقد استطاع أن يجعل من أكبر مدرسة وطنية (تجهيز دمشق) عربية ملتقي الأشئات والأجناس من المعلمين، لا يخطر الواجب القومي للذين، على بال..( 2 ).

وأوسمار عفلك وهو خارج ميدان التعليم يجمع الطلاب من حوله، حتى تألفت حكومة هاشم الأساسي في شهر آب 1949 بعد القضاء على حكومة حسين الرعيم. وكان أن دخل ميشيل عفلك وزيراً للtrieve. وذكروا القوميون عن هاشم الأساسي بأنه كان عطوفاً على حزب البعث، وكانوا هم يبادلونه الود والاحترام. ومن البديهي أنه هو الذي أصر على إشراك البعث في وزارته رغم معارضة عناصر أخرى لهذا الاشتراع.( 3 ).

وقد يكون هذا المنصب الوزاري من أوائل الأعمال السياسية التي قام بها عفلك، وقد رافقت بدايات إعلان تأسيس حزب البعث العربي.

ولما نشأ الخلاف بين مؤسسي أعضاء حزب البعث وفقد عفلك السيطرة عليها سافر إلى البرازيل عام (1964م - 1383هـ) ولم يرجع إلا بعد أن تولى

( 1 ) ميشيل عفلك (الكتابات الأولى)-ذوفان قرفو-185-182(بصرف).
( 2 ) حزب البعث العربي-جلال السيد-75.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

حزب البعث مطالب الحكم في العراق في سنة (1968م/1387هـ) (1)، وذلك بناء على طلب من الرئيس العراقي أحمد حسن البكر، وانطلق عفلك منذ عودته في النشاط السياسي وحاول اجتذاب تأييد القوى الشعبية لتأييد حكومة البعث في العراق (2).

في عام 1989م صدر بيان رسمي عن قيادة الحكم في العراق يعلن وفاة ميشيل عفلك، مؤسس حزب البعث العربي. ودفن في العراق (3).

حدث رفقاء عفلك وطلابه، عن بعض صفاته الشخصية، مع اعتبار أن عفلك هو المؤسس والمنظر لحزب البعث، بل قد قيل عنه: (هل يمكن أن يكون هناك حزب عربي بدون ميشيل عفلك؟ أنا لا أتصور أن ذلك ممكن. إذن فإن وجود ميشيل عفلك في الحزب هو أمر لا بد منه ولا يمكن الاستغناء عنه) (4).

والصفات التي ذكرت عنه، تعتبر صفات نقص في شخصية الرجل القيادي والذي لا يمكن الاستغناء عنه في الحزب، ومن هذه الصفات:

(1) انظر عن وصول حزب البعث إلى سلطة الحكم العراقي:
1. دولة البعث وإسلام عفلك-مطبعة التوين-2006م.
2. حزب البعث تاريخه وعقائده-سعيد الغامدي-2004م.
(2) عرب معاصرون-محمود خدوري-1988م.
(3) ميشيل عفلك الكتابات الأولى-ذوقاب هارفوت-1979م.
(4) حزب البعث العربي-جلال السيد-1966م.
الأخطار من خاطبة الجمهور: لم يكن عفاؤ الخطب المفوه الذي يستطيع بفصحته تدفقه أن يؤثر في الجمهور ويلهم مشاعره. كان عفاؤه بطبيعته إنسانًا انغزاليًا منطويًا على نفسه، إذا تحدث فإما إلى فئات قليلة، وإذا مارس السلطة والنفوذ فمن وراء ستار. وقد قال الشيخ علي الطنجاوي وهو أحد زملاء عفاؤ في الدراسة: لم يكن بارزاً فيه سمة محددة، سوى الاعتدال بالمرور والمخايرة بخصائص العرب، وسواء تلك السمة لم يكن متميزًا بين الطلاب لا يتفوق كتابي ولا يحضر خطابي ولا بعمق فكري.

ب- ضعف التفكير وتحديد الأولويات: لأول وحلة مما يلفت الانتباه عند هؤلاء الكبار البناء في طريقهم بالتفكير والحياة، وهو كمفكر ومنظر لحركة البعث، لم يظهر أبداً كرجل عمل وممارسة. لأن ما ينصبه بالتحديد هو تلك الدينامية النضالية اللازمة لخصوصاً لقائد سياسي مثله.

ج- عدم القدرة على إدارة الاجتماعات والمناقشات العامة: نظراته بقلبيها تجهل، وحساسيته تبلغ حد الإفراط. ويلاحظ أنه كان ينجب قدر الإمكان الاجتماعات والمناقشات العامة، في داخل الحزب وضمن سلطاته العليا كاجتماعات القيادة القومية التي كان يتولى فيها دائماً منصب الأمين العام، كان يتضاعف لأقل الأسباب، خصوصاً عندما ي وضع خطه أو فكره السياسي موضع

(1) عرب معاصرون-محمود خدوري-385.
(2) مجلة المعرفة-العدد العشرون-العدد السابع لعام 1417هـ-ص 161.
(3) حزب البعث العربي الاشتراكي-مصطفى دندشلي-30.
السؤال، وكان يقاطع اجتماعات الحزب، وفي بعض الأحيان كان يلوذ بالسفر إلى الخارج.

١ - ضعف القراءة والإطلاع: لم يعرف عن عفلك بأنه كان مواطناً أو مكثراً في قراءته. وقد قيل عنه: فكر عفلك السياسي لم يعتَبأ بالقراءات المتواصلة والممتعة. كما أنه هو نفسه يصرح بأنه: ( فقد الصلة مع نتائج الفكر الغربي مع مطلع الحرب العالمية الثانية).

٢ - الكمنان والتردد في اتخاذ القرار: يلوذ بالكمنان إلى درجة يصعب فيها حتى أقرب المقربين إليه أن يدركوا حقيقة نواياه. وفي الفترات الصعبة، والأزمات السياسية، نادراً ما يأخذ موقفاً للهم إلا إذا دفع إلى ذلك أو أجبر عليه. وكذلك فإنه - فيما خلا كلمة الافتتاح التشريفية نادراً ما يتحدث في المؤتمرات القومية للحزب. وأحب شيء إلى نفسه أن يقف موقفاً وسطاً وأن يعود النقاط للمتخصصين.

٣ - الإهمال في العمل الإداري للحزب: لم تظهر على حزب البعث في شحص عفلك كفاءة الحكم وقابليات الإدارة... وعندما استلم حزب البعث الحكم بعد عام ١٩٦٣م كان عليه عفلك في وزارته، فقد كان عفلك مترددًا سادراً وكان مهماً لشؤون وزارته، لذلك كان (الديوان) هو

(١) حزب البعث العربي الاشتراكي - مصطفى دندشلي - ٣٠.
(٢) المصدر السابق - ١٣.
(٣) المصدر السابق - ٣٠.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

الذي يتصرف على هواه وتوقع توقع الوزير. وكم من مرة اكتشفنا مثل هذه الحوادث التي وقعت عليها الوزير ولم يكن يدري عنها شيئاً.

وييرى بعض أعضاء حزب البعث أن لاتصف عفلق بالصفات سابقة الذكر، ولأسباب أخرى غيرها، حصل بروز قضتيين في حزب البعث العربي:

أولاً: أن غالبية معارضي عفلق وألد خصومه كانوا في فترة من الفترات من أنصاره وأتباعه المقربين إليه، وأن انتقادهم العنيفة ضده اليوم، هي على قدر عباداقم الشخصية له بالأمس.

ثانياً: كما أبرزت صفاته السابقة أنه لم يخلل للمراكز التنفيذية، وأن دوره في المجال السياسي لا يتعذر إعداد الأهداف وتزويد قادة الحزب بالنصائح والتوجيه دون تحمل المسؤوليات المباشرة.

ب - أهدافه وآثاره العلمية والعملية في تأسيس جماعات القومية العربية:

إن الهدف الرئيس في الحديث عن شخصية ميشيل عفلق، هو بيان أهدافه ومآثره في تأسيس جماعات القومية العربية، ومن الناحية التاريخية فإن عفلق يعتبر من آخر مؤسسي جماعات القومية العربية.

(1) حزب البعث العربي-جلال السيد-77.
(2) حزب البعث العربي الاشتراكي-مصطفى دندشلي-31.
(3) عرب معاصرون-مغيج خدوري-380.
وحزب البعث، يسير على النهج الذي سلكته الجمعيات وفق متطلبات العصر الذي نشأ فيه. وعن هذا يقول أحد منظري حزب البعث العربي الاشتراكي (1): إن حزب البعث ولد استجابة حية لضرورات سياق التاريخ العربي، ولhtags عوامل التاريخ الفاعلة في المجتمع العربي.

ومن نهج مقاومة حزب البعث للمستعمر، ومدى اتفاقها أو اختلفها مع عقيدة المجتمعات الإسلامية، يقول (لقد حاولت الأقطار العربية... أن ترد على التحدي الاستعماري البارز وهو محظوظة أول أمراً ومعجمها التقليدي، المتضخم الراكد الذي استراحته إليه قرونًا من الزمن... وما فشلت في ذلك انتقلت إلى مرحلة جديدة تحاول أن تؤكد ذاكها فيما بالعكوف على تراث السلف وإحيائه وتطهيره، علها تجد في هذا العكوف طريق خلاصها، بما تبين أن الاستعمار العربي ليس مجرد عدوان، وإنما هو هجمة حضارة جديدة، وقيم جديدة، وعلم جديد، لا قبل للتراث وحده بأن يقف أمامها، انطلقت بزعمه بعض ثقافاته وزعماتها التقليدية، وواجهتها تريد أن تأخذ من الغرب كل ما يعطيه لتجاربه به، فولدت بذلك الحركات الوطنية التي أطلقت شعار الاستقلال) (2). وأكد بأنه يجب على الأمية أن تنطلق وتنبعث رسالة مستمرة من

(1) انظر: حزب البعث تاريخه وعقائده- سعيد بن ناصر العامدي- دار الوطن- الطبعة الأول- 1411 هـ.

حقيقة وجودها كأمة عربية، ومن تاريخها الذي جُبل مع طبيعتها، ومن موقعها الجغرافي كأمة وسط بين الشرق والغرب.(1)

إن حزب البعث سلك الأسس والمبادئ التي اتخذها جمعيات القومية العربية أثناء انفصال البلاد العربية عن الدولة العثمانية، فعقدة حزب البعث العربي: أمة عربية واحدة، آمن بوحدة الأمة، ووحدة اللغة والتاريخ والأرض وكانت الأساس الذي بنيت عليه وحدة الأمة العربية.(2)

ولتأكيد اتفاق حزب البعث مع منهج جمعيات القومية العربية دافع الحزب عن تنظيم وخطط ساطع الحصري العلماني الذي قدمه إلى التعليم السوري.

ورفضه المجتمع، فقد قال أحد مؤسسي حزب البعث منتقدا جريدة الحزب، التي ساربت شورة الطلاب ورجال التعليم في سوريا.(3)، وفي دمشق خاصة ضد الأستاذ ساطع الحصري: (كان المفروض أن الجريدة ستتبنى الدفاع عنه وتتولى هوي مخاصة التيار، لأن قيادة الحزب كانت متفقة مع آراء ساطع الحصري في القضايا القومية، والقيادة عمت على الحزبين في بلاغ لها خاص وجواب مطالعة كتب الأستاذ الحصري)(4).

(1) الأعمال الفكرية والسياسية-منير الرزاز-1/35.
(2) المصادر السابق نفسه-2/159.
(4) حزب البعث العربي-جلال السيد-3/52.

وتمكن حصر أبرز العوامل المؤثرة في التكوين النكوري لعفلك أثناء بعثته إلى فرنسا، وبيان دورها في تأسيس جمعيات القومية العربية. كالتالي:

1- انضمامه للجمعيات والحركة القومية الطلابية: سبق الحديث عن دور الثورة الفرنسية خاصة، والبلاد النصرانية عامة، في تأسيس جمعيات القومية العربية، كما نشأت من قبل في فرنسا جمعيات قومية، وقد ذكر طلاب عفلك بأنه أثناء ابتعاثه إلى باريس انضم إلى تلك الجمعيات، التي يقودها الطلاب في المهجر. قال أحد طلابه: (في باريس أثناء دراسته بالسوربون، لم يكن ميشيل منكباً على دراسته، منعزلًا كما قد يظن لخجله وانطوايته، إذ لم يعتبر الدراسة أبداً منفصلة عن العمل، ولا الفكر منفصلاً عن قضية بلاده... وبدافع انفعاله بـالأحداث بلاده حاول أن يقابل وهو في باريس، ولكن على غير موعد... الملك فيصل، فلم تنس له مقابلته.

(1) حزب البعث العربي الاشتراكي-مصطفى دندشلي-1977.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

لم يكن عفّلقة بعدها عن الحركات الطلابية العربية وجماعيه، فقد شارك في نشاط الأحزاب القومية 1، واندمج فيها وعاش أمامها: لأنه يقرر أن النظريات الغربية تكون لها خطة عظمى للقضية العربية، وقضية شعوبها، إذا تناولتها عقول مرتبطة بالقضية القومية، وتسترح خطاً كبيراً إذا تسلمها أشخاص فاقدوا الصلة الحية بالأرض والشعب... ومن هنا كان ميله وتعاطفه للعمل في صفوف الهلال والأخوات والحركات اليسارية في فرنسا وفي أوروبا. لذلك كان الحزب الشيوعي الفرنسي مناطق رجائه واحتجبه للعمل في صفوفه، وتستحق ما يصدر عن كتابه، منذ بداية، معاشه للاستعمار 2. ومن الجمعيات القومية في المهجر التي انضمت إليها عفّلقة، الجمعية العربية السوريا، وجمعية الثقافة العربية 3، وكلتاها تأسست في باريس.

2 - تأثر عفّلقة بأفكار ومبادئ جمعيات الغرب. وفي هذا المنحى يقرر ابن خلدون في مقدمته 4: أن المغربي مولعًا أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاعه ونخلته وسائر أحواله وعوائده.

كما أرجع ابن خلدون سبب الاقتداء إلى اعتقاد كمال الغالب في نظر المغلوب، وهذا السبب محقق في أكثر أعضاء جمعيات القومية العربية، مثل: ميشيل عفّلقة الذي قال: (1)... إذا أستنفقت أن أسمع صدى نفسى فالغريب أبي لا

2 ميشيل عفّلقة الكتابات الأولى - د. فوان فروتو - 1939.
3 مقدمة كتاب في سبيل البحث - 7 - عفّلقة.
4 المقدمة - ابن خلدون - 195/1.
أنشده في قصة عربية، بل في قصة روسية أو فرنسية. هكذا تصور لي كتب (دروستوفينسكي) (وندي) (1) نفسي بصدق وأمانة أكثر من الأدباء الذين أعيش وإياهم في بلد واحد وأشعر معهم بنفس الشعور (2).

ومن هذا المبدأ تأثر عفوق بطريقة وتنظر العرب في تأسيس جماعات ذات أهداف محددة، قال معاً عن أهدافه: (إنا عدنا إلى الوطن نحمل فكرة الاشتراكية كتعبير عن الغايتين اللتين وقفنا أنفسنا على تحقيقهما: مكافحة الاستعمار الأجنبي، ومكافحة الرجعة الداخلية بكل أشكالها). وقد (تأثر بالانضباط والتمسك الشيوعي اللذين علمهما عن كتب الأساليب العملية التي يتبعها حزب سياسي رائع التنظيم) كما قيل عنه (3).

ولا يعني عفوق بعبارة (مكافحة الرجعة) إلا المعتقد الذي ينادي بالعودة إلى كتاب الله وسنة نبيه. وقال أيضاً: (وقد فهمنا عن طريق تلك الفكرة أن النضال ضد المستعمر لن يكون صادقاً، شاملاً، جدياً إلا إذا كان نضالاً


(2) الاستاد (قصة حياة ميشيل عفوق) نديه المارديك-1932-الريس-لندن.

(3) نديه معاصرة-محج حيدري-376.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

شعبةاً... وفهمنا أيضاً أن هذا النضال مرتبطة أوثق الارتباط بحالة الأمة الفكرية والأخلاقية وأنه لا بد لنجوع النضال ضد المستعمير من قحية انقلاب فكري يغير المفاهيم القديمة العقيمة ويهز النفوس إلى الأعمق. ويخلق لها نظرة أخلاقية جديدة جدية(1) وكل هذه التقريرات هي محاربة لدين الله ولعباده الصالحين.

تبين عقلق المنهج الشيوعي في التنظيم الحركي، فقد أكد أحد رفقاء عقلق: (بأنه – وهو في باريس – قد تأثر بالملونة الشيوعية، وعمل مع الشيوعيين، ولكن هذا العمل كان نتيجة تصميم وتدير، ولم يكن نتيجة عقيدة وإيمان، وقد كان الحزب الشيوعي الفرنسي جديباً(2).

إن تاريخ عقلق الفكري يبدأ من تلقيه الأفكار الشيوعية في بلاد أوروبا، قال طلابه: (إن تاريخ عقلق الحقيقية هو تاريخ الفكري، لقد التقى فيه على الانسجام والوفاق لأحصب تيارات الفكر الإنساني من (ماركس) إلى (نيتشه) ومن (جيد) إلى (دستويفسكي وأهربورغ) مع أعمق الوعي للتراث العربي(3).

واعتبر عقلق هذه الأفكار والمعتقدات ديناً لحياته، قال: (إذا سعت عن تعريف الاشتراكية فلن أنشده في كتب (ماركس) و(لينين) وإنما أجيب أها دين الحياة، وتوفر الحياة على الموت(4).

(1) حزب البعث العربي الاشتراكي-مصفلي دندشي-27.
(2) حزب البعث العربي-جلال السيد-38.
(3) الأستاذ (قصة حياة ميشيل عقلق)-زهير المارددي-88.
(4) المصدر السابق-89.
3) نقل المبادئ والأفكار الملحة إلى الأمة المسلمة: يمثل عقلق أحد عوامل الإفساد في المجتمع الإسلامي، والقضاء على عقيدة أهله، وهذا يقول عقلق: (إن القومية العربية هي الدين الجديد الذي أفرزته الأمة العربية في الوقت الحاضر... وإذا كان الدين قدماً يقول كلمته في أوضاع الأمة جميعاً. فإن القومية العربية اليوم هي: نظرية متكاملة لحياة ونظام للمجتمع، لها رأيها الصريح في الاقتصاد والنظام والأخلاق والدين) (1).

وأثناء وصول قيادات حزب البعث للسلطة في العراق، قال أحد طلاب عقلق وأحد مؤسسي حزب البعث في العراق: (في طريقي إلى مراسلات الإذاعة كنت استمع إلى بيان الحزب الأول وهو يُبَلَّى، ولفت انتباهي عبارات وأفكار تضمنها البيان غريبة عن لغة الحزب السياسية وجديدة علينا، كـ(عذو الله وعذو كم) و(الترفع عن الضيافات والأحقاد). وبرغم أن مسألة الإمام بالله كانت محصومة في الحزب، ولم يطلها أي نقاش أو تساؤل، فإن خطاب الحزب السياسي كان ذا لغة علمانية ودين قومي (2).

لقد تأثر عقلق بالمعتقدات الإخاذية ونقلها إلى المجتمع الإسلامي، ويمكن حصر دور عقلق في نقل الأفكار الإخاذية، بما يلي:

أ – نقل وترجمة الأفكار إلى المجتمعات الإسلامية: إن عقلق معتقده النصري ألمح إلى تأثره بمعتقدات كتاب ملاحده أوربا، فمن ذلك تأثره بكتابات

(1) حزب البعث العربي الاشتراكي-مصطفى دندشلي-84.
(2) أوكار الهزيمة-هاني الفكيكي-267.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

(جديد)، يقول: (فُذفت في الصدفة إلى باريس، فاصطدم المستنقع الذي كنت
أحمله معي - حياتي القديمة - بإقياس حضام الحياة، أسلمت نفسي لأموجه,
عندما ذفت خلاوة لمسها و وخافة دعاعها. هناك على الشاطئ و قدماي ما تزالان
في تردد.. نحت ساحراً جديداً قوي الجسَّم طلق النجى.. صوت سحري جديد
استهواوني لأنه متصل بأعماق كيان و كان كل شاب .. أو عجب أن يلقى
صوت (جديد) ذلك الصدى في قلوب الشباب وهو أول كاتب خاطفهم..
وأتباه بين جديد، دين الحمضاء، بعد أن انقضى كل القرن التاسع عشر بين
نواح الرومانزيم وبرودة الكتبات العلمية والروايات الواقعة).

ويُعتبر طلاب عفْق تأثر (أصاذاهم) بأصحاب تلك الأفكار في المناقش
المحمودة له، قال أحدهم: (عندما كان يدرس في باريس كان (أندريه جيد) في
أوج تألقه، وراح يزيد من إشعاعه مَثَلَه إلى كفّةً لباسه. ولكن (أدب أندريه
جيد) نفسه يحمل نكهة جديدة وفُسحة من التجدُّد والصدق لم يشهد الأدب
الفرنسي مثيلاً لها. ففضلًا عن أن (جيد) نفسه كان محور استقطاب الجيل)
كما تأثر عفَّق تأثراً عميقاً بالكتاب الفرنسيين أثناء إقامتهم في باريس .. لقد
أمكننا أن نقرأ على غلاف أعداد كثيرة من (الطليعة) الأسبوعية مقاطع طويلة
مأخوذة من مختلف أعمال (رولان) و (جيد) و (نيتشه) مترجمة إلى العربية بقلم
عفَّق على الأرجح.

(1) ميشيل عفْق الكتابات الأولى - دوقان قرقروط - 169.
(2) المصدر السابق - 42.
(3) حزب البعث العربي الاشتراكي - مصطفى دندشلي - 20.
الجمعيات القومية العربية وموقعها من الإسلام والمسلم.

ب - الكتّابات الأدبية: إن من نهج جمعيات القومية العربية -في إبراز مسمى ومعقد الجمعية- الاهتمام بالجوانب الأدبية، وأخذ عفّلق ذلك النهج يقول طالب: (بعد عودته من فرنسا وأخراجه في مجمع الكتابة كانت صحف دمشق تقدمه كـ (أديب وشاعر يقدم رسالة إلى العربية لنيتشه ويجيد).

كانت جريدة الأيام من الجلالات القومية التي نشر فيها عفّلق أفكاره والتي تعد من كبرى الصحف الدمشقية التي كانت تقدّم النضال، والتي كانت تصدرها (الكتلة الوطنية)، وكان يرأس تحريرها المناضل العربي.

تلّدغ عفّلق عن آثر الآداب والقصص الفرنسية في نفسه، فيقول: (قلما أقرأ القصص العربية لأني لا أجد فيها ما يتجاوز مع نفس ويريؤي ظماً فكّري. فإذا ما قرأت قصة ليمور مثلًا أجد فيها أشخاصًا ظرفاء نادرين، يضحكوني تارة و يصرون دهشتي تارة أخرى، ولكنهم لا يستفرون حماسي ولا يدخلون إلى قلبي لأني لا أجد فيها الإنسان، أما إذا اشتكى أن أسمع صدى نفسي فالغيرب أني لا أنشده في قصة عربية بل في قصة روسية أو فرنسية، هكذا تصور لي كتب (دوستويفسكي) و (جبيد) نفسي بصدق وأمانة أكثر من الأدباء الذين أعيش وأناهم في بلد واحد وأشعر معهم بنفس الشعر.

---

(1) انظر: عبّرة وذكرى (الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده) سليمان البستاني - 55.

(2) ميشيل عفّلق الكتّابات الأولى- ذوقان فرقوط - 164.

(3) الإستاد (قصة حياة ميشيل عفّلق) - زهير المارديني - 115.
الجمعيات القومية العربية و مقترحاتها من الإسلام والسلم.

ثم يطالب عفلق أدباء عصره بإخلاص منهج القصص الأوروبية، فيقول: (ولا أعتقد أن القصص العربية تنجح إلا إذا بلطت تلك الفكرة السائدة بأنا نوع خاص من الأدب، وأصبحت شاملة لكل حياة الإنسان، تدخل في السياسة والاجتماع والفلسفة معاً فلا تعود تقرأ للذّة والطرفة، بل لاستشفاف الحياة الإنسانية العميقة).

كان لترجمة عفلق لقصص وأدبيات الغرب - وخاصة في فرنسا - أثر على تلاميذه، فقد تعرف في فرنسا على كتابيتها وفلسفتها، وكان هو وارء تأثر تلاميذه في سوريا وإقبالهم على ترجمة مؤلفاتهم حتى قبل أن يوفدوا في بعثات للدراسة في فرنسا.

ج - ترجمة حياة أدباء الغرب والثناء على سيرهم: لقد وصفت المجلات القومية عفلق في بدايات كتاباته الأدبية بأنه: أدب وشاعر يقدم رسالةً إلى العربية ليتشبه و يجد.

إن في نشر عفلق لتراجم وسير حياة أدباء فرنسا - وسورية خاضعة للاحتلال الفرنسي - تبيراً للاحتلال واستمرارته، وهذا أمرٌ من مقاض للشعارات التي تعلنها جماعات القومية العربية، أليس من أهداف مناهجها وبرامجها مكافحة الاستعمار؟!!

(1) المصدر السابق نفسه- 92.
(2) ميشيل عفلق كتابات أولى - دوكان فروروظ - 44.
(3) حزب البحث العربي الاشتراكي - مصطفى دندشلي - 101.
وعند استعراض عفلك لحياة الأديب الفرنسي (مارسيل بروست) قال:
(الأديب كاتبي، لابد أن يضطهد من أجل رسالته، لولا فرق بينهما يميز الأديب على النتيجة، وهو أن هذا يحمل في جديدهي بذور الموت، إذ أنه يجيه بجديد يفرضه على المستقبل، ويحرم عليه التجديد، في حين أن جوفر الأدب حرية لا غاية لها).

ومن أمثلة ثناء عفلك في إطار ونشر كتب مفكري فرنسا قوله عن مارسيل بروست وكتاباته: (أول صلب وتعلقي به لأني قرأت فيها حقيقة نفس مررة، وحقيقة كل نفس بين جوانحها وحشها هداماً، يجمع بين رقة الشاعر وقوس الجلد).

وقال أيضاً: (قد لقي بروست في فرنسا من المقاومة أشكالاً وألواناً، فلا أحسب حظه أن يكون أوفر في البلاد العربية، بل إنه أتوقع له فيها مقاومة أشد. لأن الأصنام التي نصبها أمامه ومنعت عنه معبد الأب حيناً، هي نفس الأصنام التي تقف في بلادنا حائلاً دون كل تجديد: عادات الفكر، وطرق الإنشاء).

وممن إشادة عفلك بعض أدباء روسيا، قوله: (منذ أشهر احتفلت بلاد السوفيات ومعهما ككل أوروبا بذكرى مرور خمسة وعشرين عاماً على وفاة تولستوي، وإنما لفرصة سانحة كيما تتوفر هنيهة عند هذا الفنان الكبير وحياته المفجعة).

(1) ميشيل عفلك (الكتابات الأولى)-ذوقان قرقوق-76.
(2) المصدر السابق-80.
(3) حزب البعث العربي الاشتراكي-مصطلحي دندشي-76.
(4) المصدر السابق-90.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

4 - طلاب المدارس نواة حزب البعث: بدأ عفلك في استغلال الطلاب لنشر الفكر السياسي وهو في باريس حيث شارك في نشاط الطلاب السياسي، وتمكن طلاباً عرباً من بلدان أخرى شاركهم اتحادًا للطلاب العرب، ينادي باستقلال الوطن العربي ووحدته (1).

ولما عاد عفلك إلى سورية وتم تعيينه في مجال التعليم استغل هذا الميدان الشريف في نشر أفكاره، حيث يقول: (ولا يجهل أحد من تلاميذنا وأصدقائنا أننا نسعى دائماً في تدريساً وكتاباتنا أن نلحظ فكر الشعاع العربي بفكار الفيلسوف الألماني (نيتشه) عدوّ الاشتراكية (2)).

ويؤكد أحد أعضاء حزب البعث على أن الذي كان يعني مؤسسي الحزب في الأصل أكثر من أي شيء آخر هو (الدعوة للفكرية العربية) لهذا السبب أخذوا على عاتقهم مهمة إيجاد حركة روحية قادرة على استقطاب النفوس الصافية والأخيرة (3).

لذلك بدأ عفلك في تكوين نواة الحزب من الطلاب وأطلق عليه رئيس جمهورية الاستقلال (شكري القوتلي) لقب: (معلم الأولاد الصغار) (4). قال أحد المؤسسين: (أول نشأة الحزب كننا من الطلاب. وكان وجود عفلك والبطار

(1) عرب معارضون-مجد خدوري-327.
(2) حزب البعث العربي الاشتراكي-مصفوي دندشي-27.
(3) المصدر السابق نفسه-57. وانظر: في سبيل البعث-ميشيل عفلك-88-89.
(4) الأستاذ (قصة حياة ميشيل عفلك)-زهير المارداني-85.
الجماعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

في الدراسة هو السبب في ذلك. وقد استهوي طلابهما وحذراهم إلى الصراع.
كما أن الطلاب يعدو بعضهم بعضاً وتستغرق فئة منهم الأخرى.

وأما ساعد غفلة على نشر أفكاره ومعتقداته البعيضة بين الطلاب؛ هو واقع
الأمة في محاولة المستعمرين بأي نهج، وقد كان النفوذ والسلطة في بلاد الشام
للمعتقد القومي، وهذا لم يستطع عقله التأثير إلا في الشبان المسلمين الذين طغى
ولاؤهم للوطن على ولائهم للدين، أما الكهول، الذين لا يزال المقام الأول
عندهم للدين، فإن تأثرهم بهذه الآراء لم يكن سهلاً.

وقد وجه عقله نداءً إلى إخوته النصارى داعياً إياهم إلى الأثراء في
حركة القومية العربية، وإلى اعتبار الإسلام قافلة قومية مرتبطة ببيوتهم الطبيعية
وتاريخهم.

وأما أن الطلبة جزء من كان يهمهم استقلال بلادهم، فانغمسوا في
السياسة إلى حد بعيد، وبعد الحرب العالمية الثانية خاصة. ووجد عقله في رقة
الطلبة ما يوافق هواه، لما لمسه فيهم من اندفاع لم يستنفروا معه الجلوس عند
قدميه والاستماع بشغف إلى شرح مفصل وواضح لأفكاره وآرائه الشخصية
عن أوضاع بلدهم... لا يفتأ التلاميذ أن يحملوا كلمات معلمهم لينشروها بين
عدد أكبر من الساعدين، ثم أخيراً بين الجماهير.

(1) حزب البعث العربي-جلال السيد-٢٩.
(2) عربي معاصرون-مجد خدوري-٣٨٥.
(3) نضال البعث-ميشيل عقل-٣٣/٣٣/٣٥.
أدى الطلاب والشباب الذين يشكلون نواة أنصاره - دور الطبيعة في حركته السياسية، والواقع أن قوته السياسية اعتمدت على هؤلاء متشددة منهم وسائل لنشر آرائه السياسية. وغدا هؤلاء الطلاب المؤيدين المرتدين لحزب البعث القادم (1).

ولعظيم تأثير عقله على الشباب، قال أحدهم: (قرأنا له في سن مبكرة، فأعجبنا به أيضاً إعجاباً، وتأثرنا بأفكاره وآرائه. ورأينا فيه قودة الشباب القومي المتحرر وضمير الشعب العربي) (2).

لقد كان عقله في نظر مريديه يوماً أستاذهم اليوم، بل كان أكثر من أستاذ، وكانوا له أكثر من تلاميذه، كانوا الظل الذي يتبوع خطاهم يتعلمون من أقواله ويرافقون حديثهم القصير والمنقطع، وصمتهم الطويل، وكانوا يعتقدون أنه إن لم يكن في نفوسهم إلا بعض الخبر فهو من صنعه (3).

وبعد أن بلغ تأثيره على الطلاب نحو ما ذكر أسس منهم نواة حزب البعث، وبدأ في الإعلان عن قيام الحزب قال أحد المؤسسين: (في خلال عام 1942م-1361هـ) قال عقله: ما دمنا متفقين إلى هذا الحد، وما دمنا قرنا أن الأحزاب السياسية في هذا البلد لا تستطيع في تركيبها الراهن أن تقوم بالواجبات القومية والوطنية، وما دمنا مؤمنين بضرورة إيجاد تكمل من نوع...

(2) عقله وابتهال-نصف قرن من النضال-جوزيف الياس-9.
(3) الأستاذ (قصة حياة ميشيل عقله)-زهر الماردین-85.
الجمعيات القومية العربية ومواقفها من الإسلام والمسلمين

جديد يحمل على عاته عبء القضية القومية على طراز أفضل مما نرى، فما قولك بتأسيس حزب جديد نكون نحن نواته والمشترفين على تنظيمه. فاجته بالإجابة فلا تردد ولا إعمال نظر لأن الفكرة كانت مختارة عندي من قبل وكنت أبحث عن العناصر الشريكة في هذا البناء الذي تصورته ضروريًا لهذا الوطن. وبعد اجتماعات أخرى اتفقنا على أن يكون اسم الحزب (البعث العربي).

5. موقف علني من الإسلام ومن حياة الرسول ﷺ: إن علقت لم يعَفَّل عند تأسيس حزب البعث بعض الأمور التي قد تكون مساعدته له في تقبل الناس لمبادئ الحزب، من أهمها:

أ. المجتمع الإسلامي الذي ما زال يشبه في الناس بقية خيرات، مع شدة الضغوط عليه بإبعاده عن الدين وإنزاله القومية العربية ديناً بديلاً.

ب. مآل الحركات والجماعيات سواء أكان العرب منها أم العرب التي صادمت الدين فأالت إلى الخسران، كان علقت على علم بتاريخها، قال: (إذا الفهم السطحي هو أن ننتج بسرعة بأنه ما دام مظهر الدين في هذا الوقت، وما دام ممثل الدين الرسميون هم في صف الواقع الفاسد، وليسوا في صف الثورة على الفاسد، فإذا الدين من أساسه فاسد ولا وجود له ولا خير فيه، ولذلك يجب التخلص من الدين لأنه سلاح بيد الظالمين والمفسدين. هذه هي النظرية السطحية والاستنتاج الخاطئ جداً وهذه هي النظرية التي توقفت عندها الشيوعية، ولذلك

(1) حزب البعث العربي-جلال السيد-17
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

فالشيوعية ليست عميقة في كل نواحيها ولو أدا في كثير من نواحيها جد عميقة(1).

من هذين الأمرين نقل عن مؤسس حزب البهت الحديث موقفه من الإسلام وسيرة الرسول ﷺ ومن ضمن الأهداف التي حددها المؤسس اعتباره الحزب ثورياً على كل قدم، ويدعو إلى الفضاء على الظلم والظالمين... فأخذ من الدين الإسلامي ما ينسب دعوة حزب ومبادئه.

كذلك: أكبر عفنق من البحث والحديث عن سيرة الرسول ﷺ، ليتخذ منها هدفًا لقبول المجتمع المسلم مبادئ الحزب.

أكد أحد مؤسسي الحزب على هذا الأمر، وأنا الحزب عندما يستخدم بعض العبارات الدينية مثل نظف (الروح، أو الإيمان، أو القدر، أو المصير)... فمن أجل أن يرفع من مستوى الحماس والاندفاع في سبيل الانبعاثات المشروط للأمة العربية(2).

ومن أقوال عفنق هذا الصد: (كل عربي يستطيع أن يحيا حياة الرسول ولو بصورة جزئية على الأقل، طالما هو على علاقة وثيقة بالأمة التي أنتجها محمد، من هنا كان الشعار البعثي الذي هز مشاعر جبل بأكمله خلال فترة طويلة من الزمن: (كان محمد كل العرب فليكن كل العرب اليوم محمدًا)).(3)

______________________________

(1) في سبيل البهت-ميشيل عفنق-119.
(3) انظر: في سبيل البهت-ميشيل عفنق-144. وانظر: حزب البهت العربي الاشتراكي-مصطفى دندشلي-62.
ويقرر أعضاء الحزب من طلاب عفلك هذا المبدأ الذي اتخذوه عفلك في تأسيس الحزب بقوته: (حيث تجسد أفكار عفلك السياسية في الواقع العملي، كان لا بد لها من مثل أو نموذج تستلمه، والحقيقة أن الإسلام وحياة النبي قد جذبا نفسه بقوة وعمق؛ ولكن ينبغي توضيح هذه الناحية، فأمر بالنسبة له لا يعني إطلاقاً لا على صعيد الفكر ولا على صعيد الممارسة، أنه يتطلب إلى تأسيس دولة إسلامية أو رؤية العالم العربي من الزاوية الدينية، فإسلام؛ خصوصاً خلال السَّنوات الأولى لظهوره، هو بالنسبة له، وبالنسبة للكثيرين غيره ممن تناولوا نظرية القومية العربية، ظاهرة ثقافية وروحية عربية صرفة، وحياة الرسول العربي هي تجربة أخلاقية وإنسانية، هذه الظاهرة العربية، ينبغي لها في عصرنا هذا أن تتحدد ثقافياً وروحياً، وتشع في حركة سياسية جديدة هي حركة البعث).

وخلاء عمق تأثير عفلك في استغلال مبادئ الدين الإسلامي للدعوة إلى حزب البعث، هذا أحد طلابه يقول: (عندما اقرأ كراسه (ذكري الرسول العربي) أفف مأخوذًا بلغته، وعندما أصل إلى نهانته حيث يقول: (إذا كان محمد كل العرب فليكون كل العرب محمدًا) تتتابَب قشعرية وسري في أوضالي برودة، وكأنني أسمع الوعي من جديد، وكان ذلك الغار الصغير، غار خراء، اتسعد ليكون كل هذا الوطن العربي، من أهالي الخليج، وتراثي في روحي صفات الكمال والعصمة والشموخ والقوة في كل بعيني).

(1) حزب البعث العربي الاشتراكي-مصطفى دندلشي-32.
(2) أركان المهزمة-هاي الفكري-79.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

لقد اعتبر البعثيون الإسلام مفصحاً عن عبقريَّة الأمة العربية، وأن تعريب الإسلام على هذا النحو، وما أثاره من ردود فعل، يعتبر حديثًا مهماً في تاريخ الحركة العربية (1).

ورغمَّة في احتواء مجموعة أكبر من أبناء المسلمين، فإن حزب البعث لا يفرض على أعضائه عقيدة دينيَّة معينة، ويؤكد دستوره على (أن حرية الرأي والاعتقاد لا يمكن لأي سلطة أن تنقصها)، وأن الرابطة القوميَّة هي الرابطة الوحيدة القائمة في الدولة العربية التي تتكفل الانسجام بين المواطنين وانصارهم في بوتقة واحدة (2).

وتحقيقًا لِما بُدأ التجميع الحزبي ألمع عقلًا - عند حدوثه عن الصراع بين الدين الإسلامي وأوروبا - إلى أن القومية العربية قد حلت محل الإسلام، قال عقل: (إنَّ أوروبا اليوم كما كانت في الماضي تخفف على نفسها من الإسلام، ولكنها تعلم الآن قوة الإسلام - التي كانت في الماضي معبأة عن قوة العرب - قد بُعثت وظهرت بمظهر جديد هو القومية العربية). لذلك فهي توجه إلى هذه القوة الجديدة كُل أسلحتها، بينما نراها تصادق الشكل العتيق للإسلام وتعارضه، الإسلام العام الذي يقتصر على العبادة السطحية والعالج العامة الباهتة آخذ في التفنج، وسوف يجيء يوم يجد فيه القوميون أنفسهم المدافعين الوحيدين عن الإسلام، ويبطرون لأن يبعثوا فيه معيَّ ناصِحاً إذا أرادوا أن يبقى للأمة العربية سبب وَجْه للبقاء (3).

(1) حزب البعث العربي الاشتراكي-مصفى دندشلي-139.
(2) رسالة الأمة العربية-شبلالي العبدي-98.
(3) حزب البعث العربي الاشتراكي-مصفى دندشلي-144. وانظر في سبيل البعث-عقل-22-22-49-49.
الفصل الأول: موقف الجمعيات من مصادر العقيدة الإسلامية

المبحث الأول: موقف جمعيات القومية العربية من القرآن الكريم
المبحث الثاني: موقف جمعيات القومية العربية من السنة النبوية
المبحث الثالث: موقف جمعيات القومية العربية من الإجماع
الباب الثاني

موقف جماعات القومية العربية من العقيدة الإسلامية

تمهيد:

أوضحـت في الباب الأول الجوامـب التاريخية والأسس العلمية للجمـميات القومية العربية، وفي هذا الباب سأبين أبرز مواقف جماعات القومية العربية من العقيدة الإسلامية.

وقبل بيان ومناقشة تلك المواقف أرى لزاماً عليّ التنبيه إلى:

أولاً: إن المواقـف التالية قد تصدر عن بعض أعضاء جماعات القومية العربية، فتنسب إلى الجمعيات القومية العربية نفسها، فتكون هذه المواقف موقف رسمي للجمعية، ما لم تصدر ما يعارضها.

ثانياً: سبقت الإشارة إلى وجود الأثر النصراي في تأسيس جماعات القومية العربية، وحينما يرود موقف مترتب على ذلك الأثر فإن مناقشته تكون لبيان تأثيره في حياة المسلمين، وإلا فليس بعد الكفر ذنب.
الفصل الأول
موقف جماعات القومية العربية من مصادر العقيدة

لقد بعث الله نبيه محمدًا ﷺ بالدين الحق، وأقام الدين كما أمره ربه وتركتا
على المهدية البيضاء؛ ليلهم كنهاً ما زاغ عنها إلا هالك، وحذر أمه أنه
تسلك سبيل المغضوب عليهم والضالين، وله من أهم سبيل العواية وطرق
الضلال، ما يلي:

أولاً: الإبتداع في الدين زيادة أو نقصان. بدلاً حديث عائشة رضي الله
عندها، قالت: قال رسول الله ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو
ردة).

ثانياً: إحداث مصدر آخر غير شرع الله يأخذ منه الحلال والحرام وأمر
الدين.

وهذا الذي حذر منه الرسول ﷺ كما في حديث العريّاض ﻟذي
يقول: وعظنا رسول الله ﷺ، موعظة دفعت من المغبون، ووجّلت من المغبون

(1) صحيح البخاري- كتاب الصلح- باب إذا اصطلحوا على صلح جور- رقم الحديث ٢٤٩٩.
فَقَلَّتْ أُمَّةُ رُسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّ هَذِهِ لَمُوعَظَةً مُّوَضَّعَةً فَمَا ذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا قَالَ: (قَدْ تَرْكَتْكُمُ ٱلْبِيْضَاءَ لَيْبَةً كَنْهَارًا لا يُرَى عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالَكُم مِّنْ يَعْشُ مِنْكُمْ فَسَبَّرَ اَلْحَيَاةَ كَثِيرًا فَعَلِيَّكُمْ بِمَا عَرَفَتُمْ مِنْ سُنْنِي وَسَنَةِ ٱلْخُلَفَاءِ ٱلرَّاشِدِينَ ٱلمَهْدِيَّينَ عَلَيْهَا بِتَواَجِدٍ وَعَلِيَّكُمْ بِالْطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبِّشَيْنَ فَإِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُ كَالْحُمَّلُ الْأَلْفِ ۚ حِيَّاثًَا فِيِّ أَقْلَدٍۢ).

لَقَدْ أَصْبَحَت الأَمَةُ تَنَّهِلُ مِنْ مُوَرِّدِينَ صَافِئينَ كَتَابُ ٱللَّهِ وَسَنَةٌ رَسُولٌ وَهُمْ مَصْدِرُ التَّشْرِيعِ الأساسيَّانَ لِهذٍّ يَدْنِ، وَلَا يُجُوزُ إِلَّا ٱلرَّحِيُّ يَدْعِي ٱلإِسْلَامِ وَيُدْعِي الإِيْمَانَ ٱنْسِيُّ أوُنَّ يَتَخَلَّى عَنْ هذَنَ ٱلْمَصْدِرِينَ بَيْنِهِمْ مَعَ حَالٍ مِّنَ ٱلْأَحْوَالِ، وَدَلَّلَ عَلَى ذَلِكَ كِتَابٌ كَثِيرٌۢ. وَقَدْ أَخْتَذَت جَمِيعَاتُ ٱلْقُوْمِيَّةِ ٱلْعَرَبِيَّةِ مَوَافِقَاتٍ مَعْدَةَ مِنْ مَصْدِرِ ٱلْعَقِيْدَةِ ٱلإِسْلَامِيَّةِ، تَمْتَمَّ بالآمِرَاتِ النَّالِئَةِ:

(٢) سنن المنسية-كتاب العلم-باب ما جاء في الآخرة بالسنة-إفتتاح البند-رقم الحديث (٢٦٠١). وسنن أبي داود-كتاب السنة-باب في نزوم السنة-رقم الحديث (١٣٩١).
المبحث الأول

 موقف جمعيات القومية العربية من القرآن الكريم

 لما كانت القومية العربية هدفاً سعى إليه الدسادوس وجدوا له الإمكانيات كلهما، وصارها هدفاً نبيلًا في الخلاص من استبداد واستعباد الأتراك، وأن أمَّة العرب هي الجديرة بقيادة نفسها، اتخذت هذا البريق كثير من الناس ومن بينهم -الأَسْفُ- عدد من علماء الإسلام، ولم تكن القضية في أسسها إلا تخطيط شيطاني لأعداء الله يزيد نصف الخلافة الإسلامية واستبعاد هذا المارد الجبار - الإسلام - عن ساحة قيادة العالم.

 ويقتضي هذه النوايا الباطنية الخبيثة التي تكيد للإسلام، كان لا بد من أن تظهر موقف الخاصين بوضع البدائل عن الإسلام ومصادر تشريعه عامة، والقرآن بوصفه الدستور الإلهي خاصة الذي كان يسيئ الأمية الإسلامية، ويمكن استجواب مواقف القوميين من القرآن الكريم بما يلي:

 الموقف الأول: ابتداع الدستاتير الوضعية بدلاً عن القرآن الكريم

 إن استبدال كتاب الله الكريم بدستور وضعي يكون المصدر للتشريعات الدنزيوية والمنهج الذي يرسمه الناس في سلوكيات حياتهم، هو الموقف الصراح بالكفر والعداء السافر للإسلام.
وهذا المصدر ما يسمونه —الدستور— هو في الظاهر من صنع مدحت باشا، الذي أكثر القوميون الثناء عليه والتمجيد به، والذي روجت له الدعاء الكافرة في أخلاق الشرق العربي والغربي على أنه البطل العظيم حامي لواء الإصلاح والحرية في السلطنة العثمانية، ومنه أبو الدستور وسخرت له أبواب دعايتهما من صحف ومجلات وإذاعات، فواصل مدحت بذلك إلى أعلى الرتب منها: باشوية سوريا والعراق، ومنصب الصدر الأعظم، الذي يعتبر أكبر الرتب في السلطنة العثمانية ثم بدأ بعد ذلك يجلس ويختر كما تألف عليه يهوديته وكان يغمر دائماً إلى مساوئ الحكم، وحكم السلطان عبد الحميد خاصية، ثم أسس مدحت باشا ويهود الدوغة —الماسونية— وجعل مقرها بسلانبك.

(1) الدوغة: كلمة تركية تعني: المرتد أو الزنديق، أو الكاذب فيما يزعم اعتقاده، وهي علم على جماعة من اليهود هاجرت من الأندلس بعد زوال حكم المسلمين فيها واستقرت في رروع الدولة العثمانية نعم بالحياة الآمنة المطمئنة، وهم أتباع اليهودي (ساباتي زي) المسيح المريض الذي ظهر في الدولة العثمانية في منتصف القرن السابع عشر وأدعى أنه المسيح المنتظر الذي سيأخذ يد اليهود ويؤسس لهم دولة في فلسطين، تظاهروا بالإسلام منذ عام 1831م وأجروا يهوديتهم واتخذوا أسماء إسلامية، ووصلوا إلى أعلى مناصب الدولة مما سهل عليهم التحريم والتمجيد على القضاء على الخلافة، ومن أشهر يهود الدوغة: مصطفى كمال ومدحت باشا.انظر: (يهود الدوغة- محمد عمر).

(2) اليهودية والماسونية—عبد الرحمن الدوسري—70-دار السنة- الخير-1414هـ—الطبعية الأولى. وسلانبات: مدينة رومية قديمة جداً، تقع جنوب بلاد مقدونية على بحر الأرخبيل، كانت تسمى (ترانا) ثم اطلق عليها اسم (باسالونيك) ثم حرف إلى (سلانبيك) أو (سلانبات). انظر (تاريخ الدولة العلي العثمانية- محمد فريد بك-133).
لقد جاءت المطالبة بمحاكم الدستور بعد أن ظهرت في الأمة ثلاث اتجاهات مختلفة. تبين كل اتجاه منهجًا محدداً في معتقده وتفكيره وطرحه الفكري، وهي:

1- الاتجاه الطوري التركي، ويتزعمه جمعية الاتحاد والترقي.

2- الاتجاه العلماني العثماني. ويتزعمه جمعيات القومية العربية.

3- الاتجاه الإسلامي، والرابطة الإسلامية.

وحمل الاتجاه التفجري العثماني الدعوة للحكم الدستوري، وعرفه أعضاء جمعيات القومية العربية بأنه: (عبارة عن نزع السلطة من الأفراد، ووضعها بين يدي الجماعات، وأيام جامعات تجمع بين عناصر الأمة على اختلاف المشارب والمذاهب والآراء، وتشجعها في مستوى واحد بالحقوق والواجبات أقوى من حكم الأمة نفسها لنفسها، وأية رابطة تربط العناصر العثمانية أعظم من هذه الرابطة)

وبرر أولئك الأعضاء الدعوة إلى الحكم الدستوري، والمحافظة على أحكام (هذا المصدر)، وهو القانون الأساسي (الدستور): أن من طبيعته ربط أواصر الأخوة العامة بين الأمة، وفيه جمع كلمة الملل العثمانية المختلفة بدون تفريق في الجنس والذهب، وتمكين الرابطة العامة بينهم، وذلك لأجل خدمة الدولة العثمانية وإصلاح الشؤون المختلطة، والسعى لإعلاء شأن الأمة العربية واتخاذ

(1) انظر: مجلة المستقبل العربي-العدد الأول-السنة الخامسة-1968-ص 78.
(2) مؤلفات رفيق العظم-الجامعة العثمانية-125.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

جمع الفسائط والتنافس لتشر أنوار العلوم والمعارف بين أبنائها، كتأسيس مدارات وطبع جرائد، وصيانة حقوق أبناء العرب جميعًا من الغدر والاعتداء، وتثبيغ شكاياهم، وتستدعيهم إلى مراجعها الرسمية(1).

نادت مبادئ جمعيات القومية بالتأليف والتأخى بين المسلمين والنصارى وأكد أعضائها على تساوي النصارى بالمسلمين في المصالح العامة، سواء أكان ذلك في مجال السياسة والحكم والتنظيم والتشريع، أم في مجال الحقوق والواجبات، أم في مجال الاقتصاد والاجتماع، أم في مفهوم وأهداف الفكرة العربية، وما يعود على الفريقين من منافع وعزر وسعود من تحققها. ولا اعتبار للدين لأنه من ممارسة وحدانية، والدين الإسلامي المؤثر في حياة المسلمين، يضمن كل الضمان حقوق المواطنين من غير المسلمين وحرياتهم(2).

وتنتهي آمال وأماني أعضاء جمعيات القومية، بإحداث مصدر للتلقي يجعل الأمة صاحبة التهى والأمر في شؤونها وأن تكون الهيئة الحاكمة وكيلة عن الأمة في إدارة تلك الشؤون(3).

ويتحقق الهدف الذي تنشده جمعيات القومية بتحقق هذه الأماني، بإعادة الأمم العربية إلى وضعها الصحي المتطور الذي يرفعها إلى مستوى الأمم الراقية ويعزز قدرها على العطاء والإشعاع الحضاري(4).

(1) الثورة العربية الكبرى - أمين سعيد - 7.
(2) مختارات فونية - محمد عزة دروزة - 141-142.
(3) المؤتمر العربي الأول - خطة اسكندر عيون - 100.
(4) رسالة الأمه العربية - شلبي العيسى - 99.
واعتبر أعضاء جمعيات القومية العربية الفرحة الغامرة التي حلت لهم
– عندما أعلن عن تطبيق مبادئ الدستور في حياة الأمة – مماثلة للفرحة في
فتح القسطنطينية، قالوا: (إن اليوم الذي نودي فيه بالحكومة الدستورية وино
السلطة الاستبدادية في المملكة العثمانية، كان يومًا سعيدًا على هذه الأمة، لم
يشهد مثله العثمانيون إلا اليوم الذي افتتح فيه السلطان محمد مدينة
القسطنطينية).

إن الفرحة بتطبيق مبادئ ونظم الجاهلية عندهم توازي فتح القسطنطينية
معقل الوثنية النصارائية، هذا الحدث العظيم الذي هو مبعث فخر وعزة
للمسلمين، الذي بشر به النبي ﷺ كما جاء في حديث عبادة الله بن عامر: (يُبنِم
تُحْصَنُ حَوَّالَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَكْبُتُ، إِذَا سُلِّمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيَّ المَدِينَتَينَ تَفْتَحُ
أوَلًا قُسطْنِيطِيَّةٌ أَوْ رُومِيَةٌ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا بَلْ مَدِينَتَاهَا هَرَقَلْ أَوْلَاءٍ) ً(1) لعمري
إن مقارنتهم هذه بتلك حادثة لا تُغتفر، شتان ما بين الثري والفراء، لأولى نصر
للاسلام وإطعام للمسلمين؛ بينما الثانية هدم للإسلام وخذلان للمسلمين حين
خيل بينهم وبين التحكم إلى شرعة رهيم عز وجل.

لقد عُلِم أن فتح القسطنطينية من المبادرات النبوية، وقد أثني النبي ﷺ على
من يتولى فتحها، روى عبد الله بن بشر الخزاعي ﷺ عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ:

(1) مؤلفات رفيق العظم (الجامعة العثمانية) - رقيق العظم - 123.
(2) سنن الدارمي - المقدمة - الحديث برقم (486).
(3) هو: عبد الله بن بشر الخزاعي، أبو عمر الكوفي الكاتب، وابن عمر بن عبد الله. من الطبقية الرابعة
عند ابن حجر. انظر: (تذبيب الكمال في أسماء الرجال-المري) - 1439/189/3، برقم (3183).
يقول: (لكن لا يفتح الله القسطنطينية. فلهما أمرهما. وللجبش ذلك الجبهة) قال: «قل: استغفِرْ الله وَسَلِيمَةٌ بِعَبْدِي ﺔُلْكُ»، فسألي فأحدثته فغزا القسطنطينية. فلا سبيل لموازنة فرحة نصر الإسلام والمسلمين بفتح القسطنطينية، ودعوة النبي للجيش الفاتح، بتطبيق القوانين والنظام الجاهلية.

كما أن تحدد أعضاء جمعيات القومية العربية لمصدر منه يوردون عنه يصدرون، فيه خلافة صريحة لنصوص الكتاب المتزلج، قال تعالى: «فَلَا وَلَكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُواْ فِي شَأْنِهِمْ بِمَا شَجَرُتُوهُمْ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يُسْلِمُواْ مَعَالِمًا قَضِيَّةً وَتَسْلُمُواْ تَسْلِيمًا» (2). وعند النظر في آيات الكتاب التي أُفرد الله سبحانه وتعالى بالحاكمة، يجد تلازم الحاكمية بالتوهيد ظاهراً في العديد من الآيات، منها:

١ - قوله تعالى: "فَمَّا رُدِّثَ إِلَىٰ أَلَّهِ مُؤْلِئُهُمْ أَلَّهُ أَلَّهُ حَكَمُ وَهُوَ أَسْرُرُ الْحَكِيمُينَ» (3).

(1) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي أبو سعيد، خير سليمان ويزيد بن عبد الملك، له آثار كثيرة في الحروب ونكاية في الروم، وحاصر القسطنطينية، وقد ولد العراق كما ولي الموسم في أيام الوليد، مات سنة عشرين ومائة في الحرم. انظر: (مذبب الكمال في أسماء الرجال-المزي-27/562، رقم 5959).


(3) سورة النساء-رقم الآية (65).

(4) سورة الأنعام-رقم الآية (26).
الجمعيات القومية العربية وموقعها من الإسلام والمسلمين

٢ - وقوله تعالى: { إنَّ الْحُكْمَ إِلَّا اللَّهُ أَمَّرَ أَلَّا تُتَعْبِدُوا إِلَّا إِيَاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَيْمُ وَلَبِينَ أَصْحَابُ النَّاسِ لَا يَعْمَمُونَ}٥٠٠(١).

٣ - وقوله تعالى: { وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأَوَّلِي وَالْآخِرِ وَهُوَ الْكَرِيمُ وَالْحَسَبُونَ}٥٠٠(٢).

الدلائل كلها تشير إلى أن جماعات القومية العربية قد بوأت الدستور الوضعية من حياتها مكانة لا تليق إلا بالقرآن الذي ارتضاه الله لعباده وأيضاً إلا أن تكون له الحاكمية وإليه المرجع، قال تعالى: { أَلَّا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَشَرُّ الْخَبِيسِينَ}٥٠٠(٣).

١ - إن مين أساسات عقيدة التوحيد أن يستيقن الناس بأن الله مصطبهم على أساس شريعته هو، لا شريعة العباد. وأفهم إن لم ينظموا حيائهم، ويقيموا معاملاتهم، كما يقيمون شعائرهم وعباداتهم - وفق شريعته الغراء في الدنيا، فإن هذا سيكون أول ما يحاسبون عليه بين يدي الله. وأفهم يومئذ سيحاسبون على أفهم لم يتخذوا الله - سبحانه وتعالى - إلاّ في الأرض، ولكنهم اتخذوا من دونه أرباباً متنفرة. وهما، واتباعهم شريعة غيره في النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وفي المعاملات والارتباطات.
صرح رئيس مؤتمر التجمع العربي في باريس — لا تصدّر قرار اجتماع مدى ارتباط البلاد العربية بالدولة العثمانية — في مقابلة صحفية أجريت معه باستعداد الدين من فقرات المؤتمر، قائلاً: (بهذه أن أصرح لك قبل كل شيء بأن هذا المؤتمر ليس له صفة دينية، وكل أعماله تنحصر في الدائرة المحدودة له من البحث في شؤوننا الاجتماعية والسياسية، ولذلك ترى عدد أعضائه المسلمين والمسيحيين متساوياً ..).

نجد أعضاء جمعيات القومية العربية في مقابل إقصاء الدين في المؤتمر العربي الأول يتحاكمون إلى الدستور ويطلبون به، وبالسير على آثار الأمم النصرانية في سياسة الأمم، فكان مما قال عن موضوع [تربيتنا السياسية] : (قد حان للشرق أن يمشي في المسائل السياسية والاجتماعية مشية أخيه العرب اليوم — مقنعت الشرق — ومناسبة أن تربيتنا السياسية التي سأنتكم منها الآن قد سبقنا الغربيون فيها، أولئك عرفوا كيف توضع أسم حقوق البشر، وكيف تنال وكيف تستثت النفس في سبيلها ..).

استعرضت جمعيات القومية العربية، في المؤتمر العربي كثيراً من الأمور المتعلقة بحياة المسلمين في الجوانب العقائدية والاجتماعية والسياسية، وقدمت الجمعيات الأحكام والقوانين فيها، كل هذا بعيداً عن تحكم الدين وشريعة رب العالمين.

(1) المؤتمر العربي الأول- 18

(2) المؤتمر العربي الأول- حكمة عبد الله الزهراوي- 31
وقد عزا أعضاء جمعيات القومية العربية سبب تخلف البلاد، وتفنير القلوب، وظهور المحن، إلى تعطيل مبادئ الدستور، كما جاء في خطة [الإصلاح على قاعدة الامركزية] (1).

أخبرنا ربا جل جلاله عن شقاء الأمم، نتيجة إقصاء الوعي الرباني، واستعباد البشر للبشر بقوله: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرْءَاءِ امْتَنُواْ وَأَنْتَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بِرَكَّةٍ مِنَ الْأَلْسَمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَيْكِن كَذَّبُواْ فَأَخْذَنَّهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» (2). وقوله: «وَنَزَّلَ الْقُرْآنَ أَهْلَكْنِيهِمْ لَمَّا ظَلَّمُواْ وَجَعَلْنَا لِمُهِيْكِهِمْ مُوَعِّدًا» (3) كما قال تعالى: «قُلْ هُوَ الَّذِي ثَابِرٌ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُم عَدَادًا مِنْ فَوْقَكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجَحِكُمْ أَوْ يَلِيسْكُمْ شَيْعًا وَيَذَّبَقُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بَاسُ بَعْضٍ» (4).

روى سعد بن أبي وقاص ﻣﺎ، قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى مرنا على مسجد بني أمية، فدخل فصل ركعتين، فصلينا معه، فنهاه ربه عز وجل طويلة، ثم قال: (سألك ربي ثلاثة: سأله أن لا يهلك أمي بالغرق؛ فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمي بالسنة؛ فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم؛ فمنعنيها) (5).

المصدر السابق-خطبة اسكندر عمون-99.
(2) سورة الأعراف-رقم الآية (96).
(3) سورة الكهف-رقم الآية (59).
(4) سورة الأنعام-رقم الآية (16).
(5) صحيح مسلم-كتاب الفتن-باب هناك هذه الليلة تبضعهم يبضعهم-رقم الحديث (441).
إن إحداث هذه التشريعات الجاهلية، والتي تسمى (أنظمة) في الأمة، صار سببًا لشقاء البشرية بظهور الأحزاب والشعية، ولقد عرفت البشرية في فترات كثيرة من تاريخها ذلك اللون من العذاب—والدولة العثمانية تعتبر من ضمن تاریخ البشرية—كلما أُخرفت عن منهج الله، وتركت لأهواء البشر ونزواقم وشهوؤقم وجهالاتهم وقضاهما، وفقد تلك الأهواء والنزوات والشهوؤمات والجهالة والضعف والقصور، وكلما تخطت الناس وهم يضعون أنظمة للحياة وأوضاعاً وشروط وقوانين وقيمة، وموازين من عند أنفسهم، يتعبد بها الناس بعضهم بعضاً، ويريد بعضهم أن يُخضع لأنظمتهم وأوضاعهم وشروطه وقوانينه البعض الآخر، والبعض الآخر يأتي ويُعارض، وأولئك يبطشون من يأتي ويُعارض، وتتصارع رغباؤهم وشهوؤهم وأطماعهم وتصوراقم، فيذوق بعضهم يأس بعض، ويُعذب بعضهم على بعض، ويَنكر بعضهم بعضًا، لأجمع ليفيرون جميعًا إلى ميزان واحد، يضعه لهم المعبود الذي يعنو له كل العبد، حيث لا يجد أحدهم في نفسه استكبارًا عن الخضوع له، ولا يحس في نفسه صغارًا حين يُخضع له.

(1) في ظلال القرآن-سيد قطب-2/1125.

(2) سورة النساء-رقم الآية (59).
آخر، ولا إلى أي تصور آخر، ولا إلى أي ميزان آخر.. فرد أي شأن من شئون الحياة الإنسانية إلى غير الله والرسول هو إقامة إله آخر، له حق الحاكمة، وله حق تعبيد الناس لما يشرعوا لهم في أمور الحياة المتجددة بغير إذن الله(1).

وقد تحدث علماء السلف في فترة زمنية من تاريخ الأمة - إبان حكم التتار - بعد إسقاطهم للدولة العباسية، عندما أحدثوا لهم مصداً شرعيًّا آخر يتحاكمون إليه، قال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: «أفحْمَ أَلْجَهْلِيّةَ يَتْبَغْونَ وَمَنْ أَحْسَنَ مِنِّي حُكْمًا لَّيْقُومُ يُوقُونَ» (1). ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المُحكّم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواء من الآراء والأهواء والإصلاحات، التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، مما يضعوها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم (جنكيز خان)، الذي وضع لهم البيساق: وهو عباره عن كتاب جمع من أحكام أقيسها من شرائع شنقي، من اليهودية، والنصرانية، والمملكة الإسلامية، وفيه كثير من الأحكام أخرى من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعاً متبعاً، يقذفون عليها الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله، حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم سواء في قليل ولا كثير(2).

(1) مقومات التصور الإسلامي- سيد قطب-33-دار الشرق- القاهرة- الطبعة الأولى-1406هـ.
(2) سورة المائدة - رقم الآية 50(3) تفسير القرآن العظيم- ابن كثير-13/3. واليساق: كلمة تركية يعبر بها عن وضع قانون المعاملة. انظر: الخطط-المفرزي.
الجماعيات القومية العربية ووقوعها في الإسلام والمسلمين

واليساق عند التأر دستورهم، يستخرجون منه الحلول والإجراءات، كما
دستور (مدحت باشا) بالضبط عند أعضاء الجمعيات القومية، وقد سُئل ابن
تيمية، عن حكم الشرع في الاحتكام إلى بعض الأنظمة والشرعات المحدثة في
زمانه؟

فقال: يجب على المسلمين أن يحكّموا الله ورسوله في كل ما شجر بينهم،
ومن حكم بحكم (البندق) وشرع البندق، أو غيّره ما يخالف شرع الله ورسوله،
وحكّم الله ورسوله، وهو يعلم ذلك: فهو من جنس التأر الذين يقدمون حكم
(اليساق) على حكم الله ورسوله(1).

وقد حكى الشيخ أحمد شاكر – أحد علماء القرن الرابع عشر
الهجري – حال الأمة في عصره بتطبيق الدستور، وبين الواقع بقوله: (اليوم هو
هُجّر لأحكام الله عامة بلا استثناء، وإيثار أحكام غير حكمه في كتابه وسنة
نبرة، وتعطيل لكل ما في شريعة الله، بل بلغ الأمر مبلغ الاحتجاج على تفضيل
أحكام القانون الموضوع على أحكام الله المنزلة، وإدعاء المحتجين لذلك بأن
أحكام الشريعة إما نزلت لزمان غير زماننا، ولعل أسباب انقضت، فسقطت
الأحكام كلياً بانقضائها)(2).

وهذئ السبب كانت من نتائج تخطيط مدبر ومُحكّم على الأمة المسلمة،
ومآن أبرز وسائله الغزو الفكري، ولو كان المسلمون يتعلمون كتاب الله وسنة

(1) مجموع الفتاوى-25/268.
(2) عمدة التفسير-ابن كثير-تلاقي أحمد شاكر-157/4.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

رسوله ويعملون بما فيهما لكذا حصنًا منيعًا لهم من تأثير الغزو الفكري في عقائدهم ودُوَنِيهم (1).

والمدستور الذي أومل الناس فيه الخير، والذي لم يصبووا من ورائه إلا الشر.

ما أصدق سؤالي حين يقول فيه:

لا تجلوه هوى وَخُلُقًا بينكم.

بِنَكَمَا جَهَرَ دُنْيَا للنفس وُمَتَجَراً

ما كان من خَبَرَ السبأة ضَرِمْ.

اليومُ صَرَّحَت الأمورُ فأظهرت

وُلِدَت ورءاءً جَوْدَها إنكِدْتُا.

قد كان وِجَّهُ الرأي أن نَبُقَّي يداً

فِي أذنًا بالصفوف كثيرة

جَنَّا بِصَغْفٍ واحدٌ لَن يَكَسَّراً

غَضَبَتْ فَغُضَتُ الطرفُ كلَّ مِكَابِرٍ (2).

ولقد احتتجت جمعيات القومية بوجه روجتها في الأمة من أجل أن يقبل

المجتمع مبادئ وقوانين الدستور، هي: أن أحكام الدستور تجمع بين عناصر الأمة

على اختلاف المشارب والمذاهب والآراء، وتجعلها في مستوى واحد بالحقوق

والواجبات (3).

ومن حجحهم أيضًا أن وثائق هذه الشريعة المحكم ظلّ حسنًا موافقًا ما

دامت أوضاع النبي ذات علاقة مكيفة مع حاجيات الأمة العربية. فلما

(1) أضواء البيان-الشنانطي-108/17.
(2) الإجتماعات الوطنية في الأدب المعاصر-محمد عبد حسين-326/2-471.
(3) انظر: ديوان شوقي: 1/611 من قصيدته في الأزهر-دار خضة مصر-القاهرة.
(4) مؤلفات رفيق العظم-الجامعة العثمانية-125.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

أصبحت ح적이ات الأمة العربية تبعًا لترقيات الخضارة محتاجة لأن تغير
كان نير التقاليد الموروثة ثقيلا جدا لا يتمكن من خلعه والتخلص من رقبته...
وأما أن هذا الكتاب كان شريعة دينية ومدنية وسياسية معا، يجعله منبعه الإلهي
ثابتًا لا يتغير، وأصبح مستحيلًا قلب الأساليب التي بني عليها.(1)

وقد تغالف أعضاء جمعيات القومية، عن كون أحكام الكتاب المنزل بأثنا
هي الجامعة لقلوب العباد. وحكم الله ورسوله لا يختلف في ذاته باختلاف
الأزمان، وتطور الأحوال، وتحديد الحوادث.(2)

ويشير الشيخ عبد الرحمن الدوسري— إلى خطر اختلاف أعضاء جمعيات
القومية العربية بتقلدهم الغرب، وتزييفهم لأفكارهم، حينما اتخذوا لهم دستورًا
يحكم في واقعهم غير القرآن الكريم— بقوله: (إن القرآن الكريم هو الذي صنع
من العرب تلك المعجزة بعد أن لم يكونوا شيئا مذكرًا، ولس ملء هؤلاء
برؤوسهم من جديد إلى بضاعة السماء، ورفضوا البضاعة الأرضيال المنتظرة من
المزابل اليهودية فحققوا عبادة الله واستعانتهم به بكل معانائها ومبانيها، لأعادوا
مجهدهم، وكانوا هم المعسكر الأول الصحيح الذي يبدع بناء ما هدمته اليهودية
العالمية، من مقومات الحياة الإنسانية، بدلاً من أن يتعاونوا معها على الهدم العام،
وعلى تغريب بيوتهم بأيديهم)(3).

(1) كيف ينهض العرب- 133- عمر فاخوري- دار الأفادات الجديدة- الطبعة الأولى- 1401هـ
(2) تحليل القرآن- محمد بن إبراهيم آل الشيخ- 1- دار المسلم- الرياض- الطبعة الأولى- 1411هـ.
(3) صوفة الآثار والمفاهيم- عبدالرحمن الدوسري- 1/2-266- دار الأفادات- الكويت- 1401هـ.
التجمعات القومية العربية ومقفها من الإسلام والمسلمين

إن استحداث الدستور ليكون مصدرًا للتوقي لدى جمعيات القومية العربية، فضلاً عن موافقتها لأنظمة الدول الكافيرة(1)، يجعله متفقاً مع الفرق التي ظهرت في تاريخ الأمة الإسلامية، وصارت مصادر تشريع فيها، ويوضح الشاطبي هذه القضية بقوله: (إن اتبعوا عقول البشر، واتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها، حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظورًا فيها من وراء ذلك. وصيروا العقل شارعاً جاء الشرع أولًا، بل إن جاء فهو كاشف لمقتضى ما حكم به العقل)(2).

ومن منطقة استحداث الدستور الجاهلي في واقع الأمة، قدمت جمعية (رابطة الوطن العربي) حلاً من أجل أن يقبل المسلمون تشريعات الدستور، وهذا الحال الذي ذكرته الجمعية، قد بني على قاعدة ذكرنا تلك الجمعية وهي: (إن سيادة خليفة الإسلام على كافة مسلمي الأرض المعنيين في دولة واحدة أمرًا يبدو مستحيلاً دائمًا، حتى بالنسبة للخلفاء الأوائل، وأما أن يكون ملكاً على بلد لا يضم إلا المسلمين)(3).

---

(1) بعد قيام الجمعية الوطنية الفرنسية بإنشال الثورة -الماسونية- في فرنسا، جرت الانتخابات لاختيار أعضاء المجلس الذي عقد سنة 1789 وطالب بمنح فرنسا دستورًا يقيد سلطه الملك المطلقة. انظر: تاريخ العلاقات الدولية منذ الثورة الفرنسية حتى الحرب العالمية الأولى -أحمد الخمساء- 13-الطبعة الأولى-1416 هـ.
(2) الإعتصام الشاطبي-176/2-دار المعرفة-بيروت- لبنان.
(3) يقظة الأمة العربية -تتيب عازوري- 221.
وهذا رأت الجمعية أن يقدم الوطن العربي الخلافة الإسلامية الدينية العامة للشريف المتحدر عن الرسول، والذي هو نفسه يضمن صراحةً إلى الحزب الذي يكبر نفسه لهذا العمل، وسيكون هذا الخليفة الدينية دولة سياسية مستقلة تمامًا، تشمل ولاية الحجاز الحالية ومنطقة المدينة المنورة حتى العقبة، ويتبع الخليفة الديني باحترام الملك ويمتلك سلطة روحية فعلية على كافة مسلمي الأرض...

وهكذا تكوّن سلطته شاملة ويجيب من مقره حكماً روحيًّا جميع مسلمي العالم الذين يفكون إلى مقامات محمد المقدسة لتأدية (فريضة) الحج (1).

إن هذا الحقل الذي قدمته جمعية رابطة الوطن العربي، ينقلق من الفكر النصري الذي يدعو إلى أن البابا يتخذ مقره في روما، مهد المسيحية الأولى في أوروبا، والذي يرأس الجماعة الدينية، ويتمحص الملك رعاية سلطان الدين (2).

وإذا ما صرح به أحد فلاسفة الغرب عن نظرية الحكم النصري، والفرق بينها وبين الخلافة الشرعية، فإن هناك فرقاً بين سلاسة البابا في العقيدة النصرانية، وسلطة الخليفة في الدولة الإسلامية، وذكر هذه المفارقة في سياق حديثه عن المقارنة بين الخلافة والنظام الإمبراطوري، فقال: (بجد في الغرب حاكمان أحدهما: زمبي وهو الإمبراطور، والآخر روحي وهو البابا... والخليفة حاكم سياسي، بمعنى إنه حاكم واحد يجمع بين السلطات الزمنية والروحية، ويستطيع

(1) يقظة الأمة العربية -لبيب عازوري- 220.
(2) الاتجاهات الوطنية في الأدب العاصر- محمد حسنين- 283/1.
باعتباره حامٍ الدين أن يعلن الحرب على الكفار، ويحارب الخارجين على الدين ويؤم الناس في الصلاة، ويلقي خطبة الجمعة، بخلاف البابا فإنه يعتبر قسيسًا أعظمٌ يستطيع أن يغفر خطايا المذنبين وهو المرجع الأعلى في الأمور الدينية.

وأما عن طعن جمعية رابطة الوطن بسياسة الخلافة الراشدة لأمور الأمة، فهو ينقض وصية النبي ﷺ الذي أمر بالإبداع بالخلافة الراشدة من بعدها كما في الحديث السابق الذي فيه: (فعليكم بسنَتِي وسنَتِ الخلفاء الراشدين تمسكون بها وعُصِبوا عليها بالتواجد...).

قال علماء الإسلام: إن في صيغة هذا الحديث أمره ﷺ بوجوب اتباع سنة الخلفاء الراشدين من بعده، وأمره بالسمع والطاعة لولاية الأموين عمومًا وهو دليل على أن سنة الخلفاء الراشدين متبعة كإتباع السنة بخلاف غيرهم من ولاة الأموين.

ومن لوازم الإيمان بمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً طاعته فيما أمر، ولم يرشدنا عليه أفضل الصلاة والسلام إلا ما فيه خير لنا، وقد أخبر بنيا عليه أفضل الصلاة والسلام أن سيرة الخلفاء الراشدين في سياق الدين والدنيا تسلك منهاج النبوة، منهج السنة في العلاقة بين الحاكم والمحكوم- يعني اسماعيل- 214- دار الوفاء- المنصورة- 1406 هـ.

(1) سبق تجريبه نظر: ص (460) هامش رقم 2.
(2) جامع العلوم والحكم- ابن رجب الحنابل- 249. انظر: مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية- 4/ 400.
فعن سعيد ابن جعفران (1) قال حدثني سفيان، قال: (قال رسول الله ﷺ: (الخلافة في أمتي ثلاثين سنة ثم ملك بعد ذلك). ثم قال لي سفيان: أمسك خلافة أبي بكر، ثم قال: وخلافة عمر، وخلافة عثمان، ثم قال لي: أمسك خلافة علي، قال فوجدناها ثلاثين سنة).  

ومن جانب آخر فإن الشواهد التاريخية لسيرة الخلفاء الراشدين، وسياستهم في أمور الدين والدنيا تدحض ما ذكرته (جمعية رابطة الوطن العربي)، مع الاعتقاد بعدم عصمة واحد منهم - فقد كان عصر الخلفاء الراشدين هو التطبيق العملي للإسلام كاملاً، وهم الذين جاهدوا مع الرسول ﷺ، وقدموا المهجة والأرواح في سبيل الله، وعاشوا مع التنزيل لحظة بلحظة).  

وفي خلافتهم رضي الله عنهم، كان السيف مسلولاً على الكفار، مكفوؤاً عن أهل الإسلام، وتعدم عدد خلافتهم تتمة لحكم رسول الله ﷺ، وبدأت تكون الدولة الإسلامية التي قامت في المدينة منذ أن وصل إليها رسول الله ﷺ في بداية الهجرة وإلى مقتتل علي بن أبي طالب سنة أربعين من الهجرة هي الصورة الصحيحة للحكم الإسلامي كمدة متصلة).  

(1) سعيد بن جعفران الأصلي، أبو حفص البصري، قال المري: له صحبة روى عن سفيان، مولى رسول الله ﷺ، من باب البصرة سنة ست وثلاثين ومانه. انظر: (كتاب الكمال في أسماء الرجال-المزي-10/376).  
(2) سنن الترمذي- رقم الحديث (521)-كتاب الفتن-باب ما جاء في الخلافة.  
(3) الإمام العظمى-عبدالله بن عمر البخاري-127.  
الجمعيات القومية العربية ووفقها من الإسلام والمسلمين

وقرر علماء السلف أن سياسة الخلافة الراشدة لأمور الأمة خير من غيرهم وأفضل وأن اتباعهم للنبي ﷺ وقيامهم بأمره أكمل، وقيامهم بالإسلام خير من قيام غيرهم، وظهورهم بمشارق الأرض ومغارها أعظم من ظهور غيرهم، وما فعلوه من الخير أعظم مما فعله غيرهم.

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن ترتيبهم في الفضل هو ترتيبهم في الخلافة، وأفهم رضى الله عنهم جميعًا، الذين أسلم الله بعمه الدين، وقهر، وقسر مكافأة الملحمين، وقوى مكافأة الإسلام ورفع في أيامهم للحق الأعلام ونور بضيائهم ونورهم وهمهم الظلام.

وإن الطعن في سياسة الخلافة الراشدة تضمن أيضًا تخصيص أحكام الله تعالى بحصرها في مدينة مكة والمدينة وهذا باطل بدليل قوله تعالى عن عاملية هذا الدين «وَمَا أُرْسِلْنَا إِلَّا مُخْتَلِفٌ لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَتَذِيرًا وَلِيَكُنِّي أَكْسِرُ أَلْتَابَاتِ الْإِنسَانِ لَا يُعْلَمَونَ مِثْلَهُ (١)». وقال تعالى: «ِنُبَارَكَ الَّذِي نُزِّلَ اللَّغُرَفَا عَلَى عَبْدِهِ لِيَوْمَ يُقَادَرُ لِلْعَلَّمَيْنِ تَذِيرًا (٢)». وقال تعالى: «إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرُ لِلْعَلَّمَيْنِ (٣)». 

(2) عقيدة السلف وأصحاب الحديث- الصابوني- ٩٠.
(3) سورة سبأ- رقم الآية (٢٨).
(4) سورة الفرقان- رقم الآية (١).
(5) سورة بوسف- رقم الآية (١٠٤).
قال ابن كثير رحمه الله تعالى: ﴿ لَيْكُونَ لِّلْعَلِيمِينَ تَذِيرًا ﴾ (أي: إنما خصص هذا الكتاب العظيم المبين المفصل الحكم الذي لا يأتيه البالغون من بني بني) ﴿ وَلَا مِنْ خَلِيفِهِ مَنْ حَكِيمٍ حَكِيمٌ ﴾ (1) - الذي جعله فرقانًا عظيماً - إنما خصه به ليخصه بالرسالة إلى من يستظل بالخضرة، ويستقل على الغباء(2).

الموقف الثاني: تأويل بعض آيات القرآن الكريم بما يوافق الهوية:

استشهد بعض أعضاء جماعات القومية العربية بالآيات القرآنية، ولكن المُستشهد له يخالف في مضمونه دلالة النص القرآني المستشهد به، وهذا من معاني التأويل الباطل، الذي ذمه السلف، حيث قالوا رحمهم الله: (من أنواع التأويل تأويل اللفظ معين لم يدل عليه دليل من السياق ولا قرينة تقتضيه، ومن معانيه أيضاً: تأويل النص إلى ما لم يختمه سياقه وتركيبه) (3).

ومن أمثلة تأويل أعضاء جماعات القومية العربية لآيات القرآن، ما يلي:

أولاً: قالوا: كل الأديان قد أنزلت لصلح البشر، فمن وقًر في نفسه أن يتخذ الدين أداة لآرائه السياسية وضييم الطوائف في شنها، ويقذف أهلها، فقد جُن على نفسه وأمته: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَلَّهُيَّ الْكَبَّارُ هُمْ هَادُوا وَالْتَّصَرِّئِ ﴾. 

(1) سورة فصلت- رقم الآية (42).
(2) تفسير ابن كثير-6/100. ومعن الحضراء (السماء) والغراء (الأرض).
إن الظاهرة من الاستشهاد بالأيات السابقة ألا يتعرض أفراد المجتمع الإسلامي لأي عقيدة من القواعد الأخرى أو مذهب من المذاهب المختلفة.

فقد قررت جماعات القومية العربية، أن العربي المسلم حسبه أن دينه دين سمح يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وحسبه في نظرته إلى مواطنه المسيحي أن يذكر الآية القرآنية الكريمة: "ولتجد أقربهم مؤدة للذين أمنوا الذين الذين قلوا إذا نصرئ 35 قالوا إننا نصرين ذلك بأن منهم قسمين ورهبانا وأنهم لا يشعكون.

---

(1) سورة البقرة- رقم الآية (22).
(2) سورة المائدة- رقم الآية (82).
(3) سورة الأنعام- رقم الآية (81).
(4) سورة المائدة- رقم الآية (48).
(5) مختارات المفيد- 74.
(6) القومية العربية تاريخها وقراها، وراميها- مصطفى الشهابي- 247.
وهذا يؤكد أعضاء الجمعيات على أن ما احتواه القرآن في حق النصارى، فجعل في صد عقائدهم، وفي بعضه أوصاف محيبة وثناء، وليس فيه على كل حال، ما يدل بصراحة على مواقف كيد ودس وتآمر وترهبه.

وهذا التقرير يؤكد على أن المعتقد الذي تبنى جمعيات القومية العربية، يقوم على أساس الولاء للقومية العربية دون العقيدة الربانية، كما ذكرت تلك الجمعيات في منشورات تنادي بهذا المعتقد، وجاء فيها: (1) ليكن المسلمون والنصارى واليهود منكم يبدأ واحدة وتتكلمون بلغة واحدة فكونوا أيضاً أمة واحدة ويداً واحدة، ولا تفترقوا تبعاً لفاسد وغيابات المفسدين الذين يتظاهرون بالإسلام، والإسلام بريء منهم. وقد انطبق عليهم قول الشاعر العربي:

إذا رام كيداً بالصلاة مقيماً
فثاركه منه إلى الله أقرب

فتساعدوا واتحدوا وتعاضدوا ولا تقولوا: أيها المسلمون هذا نصراني وهذا موسيى فكلكم عباد الله، والدين الله وحده.. فليكن رائد الطرفين التساهل والصريح في إزالة هذه التعصبات الدنيمة ..(2)

والتأويل المذكور صرف دلالات نصوص الآيات القرآنية عن ظاهرها، وأنزلها معان فاسدة، والتأويل الصحيح لهذه الآيات وما يحمله تفسيرها من دلالات عقدية صحيحة، ذكره السلف رحمهم الله في كتبهم وفيما تفسراؤكم لهذه الآيات:

الدستور القرآني في شئون الحياة-حمد عزة دروزة-125.
(2) إيضاحات عن المسائل السياسية- جمال باشا-24-28.
تفسير العلماء للآيات المستدله بها:

1 - قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ سَعىَّ بِالّذِي خَلَقَهُمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَلَكِنْ عَلَىٰ نَفْسِهِمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يُحَرُّونُ (1)».

قال العلماء: (من آمن بالله والله اليوم الآخر): من صدق وأقر بالبعث بعد الممات يوم القيامة، وعمل صالحًا فأطاع الله، فلهم أجرهم عند ربه، وقد عني بالإيمان من كان من أهل الكتاب على إيمانه بعيسى، وما جاء به، حتى أدرك محمدًا، فأمان به وصدقه (2).

ففيكون الشيء على أهل الكتاب باتباعهم أوامر الله، فاليهود يبنى على من تمسك منهم بالشريعة وسنة موسى عليه السلام، حتى جاء عيسى عليه السلام. فلما جاء عيسى عليه السلام كان من تمسك بالشريعة وأخذ سنة موسى عليه السلام، فلم يدعها ولم يتبين عيسى عليه السلام، كان هالكاً. وإيمان النصارى أن من تمسك بالإنجيل منهم وشريعة عيسى عليه السلام مؤمنًا مقبولا منه حتى جاء محمد ﷺ، فمن لم يتبع محمدًا، فمنهم ويدع ما كان عليه من سنة عيسى عليه السلام والإنجيل كان هالكاً (3).

هذا التأويل الذي ذكر عن السلف يؤكد الفهم الصحيح لهذه الآية الكريمة، وكيف أها مبينة وحدة العقيدة لجميع الطوائف على اختلاف أسمائهم.

---
(1) البقرة: (16). 
(2) تفسير الطبري-1/32-دار الفكر-بيروت-لبنان-1408 هـ (تنسيق يسير). 
(3) تفسير ابن كثير-1/147/19.
آخـِذهـُا باللباب الصحيح، لا بقـِشور الدـعـاوـى الزائفة، وإن كل مـَلِمة من المـَلِيم إذا
وصل بها إيمانًا إلى إسلام الوجه لله، والتصديق بجميع رسله وكتبه، والوفاء
بتعهد الفطري، من استعمال كل الجوارح والأحاسيس في طاعة الله ومرضاته،
ثم الوفاء بعهد الدين الشرعي من الإيمان بمحمد ﷺ، ونصره ميتاً باتباع سنته
وثمقيق جميع أنواع الفداء في حمل رسالته، والإيقان باليوم الآخر بالاستعداد
الصحيح له. فإن ألقىهم حينذ لا تبعدهم عن الله بل تصبح كالقشور، وإن
فضل الله وعفوه ليس محدودًا على جنس من الناس دون جنسٍ.

وهذا التصور الصحيح للآية تبين فسادًا تأويل جمعيات القومية العربية، وأن
العبرة والميزان الحق: هو اتباع ما جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، وقد ذكر
العلماء أن هذه الآية قد نسحت بقوله تعالى: «ومَن يَتَبَغَّ عَيْنَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنَّ
يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الأَخِرَةِ مِنَ الْخَسَرِينَ» (1).

إلا أن ابن كـُثر بين أنه لا تعارض بين الآتيين، فإن هذا الذي قاله
سـِبحانه وتعالى — إِخْبَار عن أنه لا يقبل من أحد طريقة ولا عملاً، إلا ما
كان موافقة لشريعة محمد ﷺ بعد أن بعثه بما بعث به، فلما قبل ذلك فظل من اتباع
الرسول في زمانه فهو على هدى و سبيل وبثجة. فلما بعث الله محمد ﷺ حائتمًا
للنبيين، ورسولاً إلى بني آدم على الإطلاق، وجب عليهم — أهل الكتاب —
تصديقه فيما أخباره، وطاعتنه فيما أمره، والإفكاف عما عنه زجر.

_____________________
(1) صفتاء الآثار والمفهوم من تفسير القرآن العظيم-عبد الرحمن الدوسي-2/104.
(2) سورة آل عمران-رقم الآية (85). ينظر عن أقوال العلماء في نسخ الآية: (نواصئ القرآن-ابن
الجوزي-129 والناسخ والمنسوخ-ابن سلامة أبي النصر-24).
(3) تفسير ابن كثير-148/1.
ويؤكد هذا المفهوم قول الرسول ﷺ: (ثلاثة يؤمنون أجرهم مرتين: الرجل تّكون له الأمية، فيبصّرها فيبصّر نعيّمها، ويؤديها فيبصّر نعيمها، ثم يعمّقها فينزوّجها فله أجران، وموئِم أهل الكتاب، الذي كان مؤمنًا ثم آمن بالنبي ﷺ، فله أجران؛ والعبد الذي يؤدي حق الله وينصح لسبيده) (1).

2- قوله تعالى: «ولتجد من أقربهم مودة للذين آمنوا الذين يذكرون» قالوا: إننا نصرى نبدأ الآية بقوله تعالى: «ولتجد من أشده الناس عداوة لذين آمنوا الذين يذكرون» وَأَشْرَكْوا وَلتجد من أقربهم مودة للذين آمنوا الذين يذكرون قالوا: إننا نصرى ذلك بأن منهم قيسير ورحبان وأنهم لا يستحقون وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترث أعينهم وفيفهم تفيفم والدموع ممآ عرفوا من الحقيقة يقولون ربى آمنًا فاكتبنا مع الشهدفين (2).

لقد اقطع المستدل عبدالفقي العرشي النص القرآني الذي يعتقد أنه يؤيد مذهبه، وبإعمال النظر في جميع آيات الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، نجد أن الآيات القرآنية، المتعلقة بموضوع الحديث عن النصارى، قد قسمتهم طائفتين:

الطائفة الأولى: من رفض هديا الله، وأعرض عن الوحي المنزل، وناصب المسلمين العداء، وفيهم قال تعالى: «وَمَرَّ النَّزِيرُ قَالُوا إِنَّا نَصَارِئَ أَحْذِرُنَا (3).

(1) صحيح البخاري-كتاب الجهاد والسير-باب فضل من أسلم من أهل الكتاب-رقم الحديث 2789.
(2) سورة المائدة-رقم الآية (82-83).
(3) مختارات المفيد-74.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

٥٢٤

ميشقهم فنسوا حظاً ما ذكرتموه فاغرين بينهم العداوة والبغضبة إلى يوم
القيامة (١).

ادعى هذا الصنم بأظهر نصارى يتبعون المسيح ابن مريم، وليس كذلك،
وأحد - عليه السلام - عليهم العهد والمواثيق على متابعة الرسول
ومناصرته ومؤازرته واكتفاء آثاره، والإيمان بكل شريعة الله إلى أهل الأرض،
ولكنهم خالفوا المواثيق ونقضوا الععود، كما قال: فنسوا حظاً ما ذكرتموه
(٢).

وأفراد هذه الطائفة من النصارى هم المعينون بتحريم مواهبهم والنهي عن
الاقتداء بهم بقوله تعالى: ٣. يتراقب الائذان ىذاتُو لا تتحذوا اليهود والنصارى
أولئك بغضهم أولئك بغض وعندن يتوهم مينكم فإنهم إن الله لا يهدى
القوم الظالمين (٤).

وقوله: ٤. ولن ترضى منك اليهود ولا النصارى حتى
تنبى ملتهم قال إن هدي الله هو أهدي ولي أتبع أهوائهم بعد الذي
جاءك من الظلم ما لك من الله من ولي ولا نصير (٥).

الطائفة الثانية: أخبر الله عنهم بقوله: ٥. لتجذبن آثاد الناس عداوة
لأ الذين ذاعت اليهود والنصارى اشتروا وتجذروا أفرههم مودة لأ الذين ذاعت
(١) سورة المائدة - رقم الآية (٤١).
(٢) تفسير ابن كثير -٣٦٧/٣ (بترصرف بسير).
(٣) سورة المائدة - رقم الآية (٥١).
(٤) سورة البقرة - رقم الآية (١٢٠).
قالوا إن تصرروا إن كان منهم قئيس بن رفاعة وإنهم لا يستقيصون وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى آعينهم تقيض من ألمهم بما عرفوا من الحق يقلون ربيتنا إمانًا فاكتبنا مع الأشهاد.

وقل الله عنهم أيضاً: "أئذنوا أئذنهم الكتاب من قتليهم هم يؤمنون وإذا بئث على عليه قالوا إمامنا به إله الحق من زينتانا إننا من قتليهم مسلمين أولئك يعسو أسرحهم مرةين بما ضربوا وبدرون بالحسنة السيفة ومما رزقتمهم ينفقون." (1)

هذه الطاعة من النصارى سمعوا ما أنزل على الرسول فآمنوا وصدقوا به وقد أخبر الله على لسانهم يقوله: "يقولون زينتانا إمانًا فاكتبنا مع الأشهاد." (2)

فتكون هذه الآيات قد نزلت في النصارى الذين آمنوا بمحمد كالناجش وغيره ممن أمم منهم. وكذلك لا يزال يوجد منهم من يختار دين الإسلام، ويتنين له بطلان ما كانوا عليه (3). وذلك لما كان فيهم من رهبة.

(1) سورة المائدة-رقم الآية (82).
(2) سورة التقصي-رقم الآية (64-54).
(3) انظر: تفسير الطرفي-7.
(4) تيسير الكرم الرحمي في تفسير كلام المنان-عبد الرحمن السعدي-3/24-الرؤية العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والإشراف-المملكة العربية السعودية-الرياض-2004 هـ.
وقد كبر كنوا أقرب إلى الهدى، فقال في حق المسلمين منهم: «وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول تر كأبينهم، تنفست من الدمع، مته طغوا من الحقي، يقولون ركناً واحدًا فأكثرون مع أنفسهم العشيدين» قال ابن عباس: مع محمد وأمه، وهم الأمة الشهداً.

أمَّا أن تكون دلالة الآيات عدم الطعن في عقيدة النصارى انطلاقاً من أن الدين الإسلامي سمح! فهذا خلاف دلالة نص الآية، وقد قال القاضي أبو يعلى: (وربما ظن جاهل أن هذه الآية مدح النصارى، وليس كذلك، لأنه إذا مدد من آمن منهم، وعلى ما بعد ذلك...)。

إن في جمعية ما ذكره العلماء في معنى الآيات التي احتجز بها أعضاء جمعيات القومية العربية لوقفهم يتبين خطأ استدلالهم، وأظهر قد اتخذوها للتأثير في مواقع المسلمين تجاه النصارى.

ويمكن الجزم بأنه ليس للآية من معنى صحيح إلا ما ذكر سابقاً، وأن جمعية الآيات تنص على حق وكرن النصارى، وقد حفظ لنا الواقع التاريخي حقائق عنهم، وبينت هذه الحقائق أن النصارى اتخذوا من الإسلام موقف العداء منذ وقعة البيروتك بين جيش المسلمين وجوش الروم فيما عدا حالات أخرى آثرت فيهما طوائف من النصارى أن تتخمي بعد الإسلام من ظلم طوائف...

---

(1) فتاوى ابن تيمية-767/7/626.
(2) زاد المسير في علم التفسير-2/2/609-المكتب الإسلامي-بيروت-الطبعة الثالثة-4/1/1404 هـ.
ظهرت أحقاد الصليبية على الإسلام وأهله في الحروب الصليبية المشهورة
طوال قرنين من الزمن، كما تجلت في حروب الإبادة التي شنتها الصليبية على
الإسلام والمسلمين في الأندلس، ثم حملات الاستعمار والتبتير على الممالك
الإسلامية في أفريقيا أولًا، ثم في العالم كله أخيرًا(1).

الموقف الثالث: من قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسَاءَلُوا أَلَّذِينَ يُدْعُونَ مِن
دُونِ اللَّهِ فَقَسَبَوا اللَّهَ عَدُوًا بِقَرَءَيْنِ أَكْثَرُهُمْ زَيْتًا لِّكُلِّ أَمْوَةٍ عَمَّلُوهُمْ ثُمَّ إِنَّ رَبَّهُمْ﴾ (2).

يرجعهُم فَيَبْعَلُونَ يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

استنباط أعضاء الجمعيات معنى من هذه الآية يفيد: عدم التعرض إلى
المذاهب المحالفة. والاستدلال بالآية المذكورة لا يستقيم لهم، فليس من معاني
واستدلالات الآية أن يقر الباطل، ويستكذب عن بيان الحق، وتلبس الحقائق على
الأمة كما فهموا.

و عند النظر في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ-وهما مصدر التشريع-
يجد نصوصًا ذكرت فيها ذم العقائد الباطلة كما فيها بيان عقائد الكافرين، قال
تعالي: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَلِينَ الْكَفَّارِينَ وَأَعَدَّ هُمْ سِعْيرًا﴾ (3).

(1) في ظلال القرآن-سيد قطب-9/66.
(2) سورة الأعام-رقم الآية (108).
(3) سورة الأحزاب-رقم الآية (14).
وأخبر الله تعالى عن محجّة أنيبيه لأممهم الكافرة، فيما أخبر عنهم أثناء دعوّهم للتواجد في وجه الشرك الذي كان عند أممهم، أقرّ أنّو ما كانت عليه أقوامهم من الباطل والضلالة، كما في قوله تعالى: "إذ قال لأبيه وقوميه: ما تعبّدون (2) قالوا تعبّد أصمّا فلمّا عسيّين (2) قال هَل يسمّعونكَ إذ تدعون (2) أو يشعكونكَ أو يضرّون (2) قالوا بل وجدنا إبائنا كذلِك يفعلون (3) قال أفرءيتما ما كنت تعبّدون (2) أنتم وابن أصحِّم الأقذامون (2) فلهم (3) عدوًّا إلّا رَبُّ العالِمِينَ (1)".

ففي هذه الآيات، وهي من السور المكية، إخبارٌ من الله تعالى عن محجّة عبده ورسوله وحليمه إبراهيم إمام الحنفاء لقومه. أمر الله رسوله محمدًا ﷺ أن يتولَّه علّى أمه، لينتدوا به في الإخلاص والتوكيل، وعبادة الله وحده لا شريك له، والبراء من الشرك وأهله.

وأما أخبر الله عنه قوله: "أَلَمْ نَرِيَهُمْ عِدُوًّا إلّا رَبُّ الْعَالَمِينَ (2)" أي: إن كانت هذه الأصنام شيئاً ولا تأثير، فتخلص إلى بالمساءة فإنّ عدو لها، لا أباليها، ولا أفكار فيها (1).

ومن أمثلة منهج الرسول في بيان بطلان الباطل وإحراق الحق في مسائل الاعتقاد ما جاء في قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ تَذَرُّونَ مِن دُونِ اللَّهَ عِبادُ أَمْثَالَ اللَّهِ فَادْعُوهُمُ فَلَيْسَ بِنَا حَقٌّ إِن كَنَّى صَدِيقُينَ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ (1)".

(1) سورة الشعراء-رقم الآية(20-77).
(2) تفسير ابن كثير-155/6.
في فصل هذه الآيات إنكار من الله على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الأنداد والأصنام والأوثان، وهي خلافة لله مربوطة مصنوعة، لا تملك شيئا من الأمر، ولا تضر ولا تفع، ولا تنصر لعبادتها، بل هي جماد لا تنحرك ولا تسمع ولا تبصر، وعابدوها أكمل منها بسمعهم وبصرهم وبتلشهم.

وذلك قد ثبت في سنة الرسول ﷺ بيان فساد مبادئ أصحاب المعتقدات الباطلة، وذمها، جاء في حديث عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ، قال في مرضه الذي مات فيه: "آلهة الله اليهود والنصارى اتبعوا قبور أبنائهم ممستجدًا". ووجاء عن ابن عباس إذا أكد النبي ﷺ قال: "آلهة الله اليهود حرم عليهم الشهود فجعلوها قباعوها".

كما أخبر النبي ﷺ أمته عن بنى إسرائيل كيف أفعالهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعملوه، فعن أبي عبيدة قال: قال رسول الله ﷺ: (إن بنى إسرائيل لم تقع فينهم النقص كان الرجل فيهم يرى أخاه على الذنب فينةه عندن فإذا كان الغد لم يسمعه ما رأى منه أن يكون أكبره وشريحة وخلية فضرب الله...

(1) سورة الأعراف-رقم الآية (164-165).
(2) تفسير ابن كثير-1/536.
(3) صحيح البخاري-كتاب الجناة-باب ما يكره من أثنا الخمسة على الغفور-رقم الحديث 1244.
(4) المصدر السابق-كتاب أحاديث الأنباء-باب ما دكر عن النبي ﷺ-رقم الحديث (3201).
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

قلوب بعضهم بعض ونزل فيهم القرآن فقال: "لَعَلَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بُني إسحٰق، علَى لسانَ داوَّد وعيسى أبِي مَزَمٌّ دَيْلُك بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يعْتَدُونَ" (63). فقاً حَتَّى بَلَغَهُ وَلَو كَانُوا يُؤُمِّنُونَ بِاللَّه وَالِلَّهِ وَمَا أنزل إليه ما أخذوه أولياء ولكن كَثِيرَا مِنْهُم فقَسَّمُونَ (64). قال: وَكَانَ بُني لَهِ مُكَتَّنا، فجَلَّس، فقال: لا، حَتَّى تَأخُذوا علَى يَدِ الظَّلَّام فَنُطْرُوْهُ عَلَى الحَقَّ أَطْرَأً. (1)

والنصوص الدالة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله على أن من عقيدة المسلم تبين الباطل من الحق، والتوحيد من الشرك كثيرًا جدًا، وهذا يختلف ما دعت إليه جمعيات القومية العربية؛ بالآن يتعرض أصحاب العقائد بعضهم لبعض إذا يتعابون سلماً ويوالي بعضهم بعضًا عروبة.

إن المعين الآية الصحيح في قوله تعالى: "وَلَوْ تَسْتَبِئُوا الْأَذْيَارَ يَدْعُونَ مِنْ ذُنوبِهِ عِلَامٍ عِلَامٍ وَقَبْلَكَ ذُنوبَ أَدْنَى ذُنوبَكَ إِنَّمَا أَذْيَارُكَ فَمَعَهُمۡ يَكُونُونَ" (65). هو كما بينه السلف بأنه من الآيات المقررة لبداً سد الذرائع، فقد حق الله المؤمنين بأن يسوا الذين يدعو المشركون من دون الله من الآلهة والأنداد، فيسب المشركون الله جهالًا منهم بركة واعتداء بغير علم. (2)

(1) سنن الترمذي-كتاب تفسير القرآن-باب ومن سورة المائدة-رقم الحديث (2974).
(2) سورة الأعام-رقم الآية (108).
(3) تفسير الطبري-7/2009.
ومع أن سبب آلهة المشركين في مصلحة وحماية الله وإهانة لآلهتهم، إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين، وهو الله لا إله إلا هو.(1)

وبهذا يكون المقصود التنيه، بل التصريح على المنع من الجائز لبلا يكون سببًا في فعل ما لا يجوز، وليس أن يكون الأصل: هو عدم ذم آلهة المشركين والامتناع عن إعلان بطلان العقائد الفاسدة، بل هذا هو الأصل، ولكن لبلا يكون ذلك ذريعة إلى أن يتطاول المشركين على الذات الإلهية، نهي عن سب آلهتهم.

وقد قال ابن تيمية: فهؤلاء لما سببت آلهتهم سبوا الله مقابلة، فجعلوه مماثلين لله وأعظمهم في قلوبهم، كما تجد كثيرًا من المشركين يحب ما اتخذه من دون الله أندادًا أكثر مما ينبغي الله تعالى.(2)

وفي استدلال جمعيات القومية بعدد كبير عن معنى الآية الكريمة: ﴿إِنَّ أَلَّهَّ الَّذِي قَدْ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ ﴾(4) عندما أقرت تلك الجمعيات مبدأ: (كل الأديان قد أنزلت لصلحة البشر) بناءً عليه، علماً أن المعين المراد من هذه التفسير

(1) تفسير ابن كثير-3/370.
(2) إعلام الموقعين عن رب العالمين-ابن القيم-3/37/137.
(3) منهاج السنة النبوية-2/395.
(4) سورة آل عمران-رقم الآية(19).
الآية هو: أن الله لا يقبل من عباده إلا الإسلام، بدليل قوله: عز من قائل: "ومن يبتغ غيرا للإسلام دينًا فإن يقتَبل منه". (1)

وأما قال بعض المفسرين: إن آية النهي عن سب أمة المشركين قد نسخت بتبيين الخطاب في آية السيف، لأنها تضمنت الأمر بقتلهم، والقتل أشاع من السب. (2)

الموقف الرابع: من قوله تعالى: "لكل جعلنا منكم شرعة ومتهاجج.» (3)

سبق أن أورل أعضاء جمعيات القومية العربية بعض آيات القرآن من أجل أن تتفق مع ما تقرر تنظيمات جمعياتهم وهذا يقولون في هذه الآية: لا يوجد هناك أمر مختلف فيه بين العقائد المتنوعة حيث لكل عقيدة شريعة ومنهاج، ومن هنا نفهم ما قرره أولئك الأعضاء في المنتدى الأديبي، أثناء وضع خطة مثلى - كما يجمعون - تتعلق بإصلاح المدارس الابتدائية، في البلاد العربية عام 1911م/1329هـ، إذ اقترح المنتدى عليهم برنامجا يرمي إلى تطوير البلاد العربية وينهض على دعمين:

1- توثيق عرى الإخاء بين العرب على اختلاف أدبياتهم وطقوسفهم حتى لا يذكر أحد منهم في السياسة الوطنية غير عريونته.

(1) سورة آل عمران-رقم الآية (85).
(3) سورة المائدة-رقم الآية (48).
2- توحيد التعليم في البلاد العربية ..

إن الدعامة الأولى قامت صياغتها استناداً على الآية السابعة. ولهذا كان في تصريحات الأعضاء (إننا عرب قبْل كل شيء، المسلم عرب، المسيحي عرب .. و .. وأهلنا عرب قبْل أن تكون مسلمين، والسيحي عرب قبل أن يكون مسيحيًا .. و ..) وقد تركنا مسألة الديانات والعبادات إلى الجامع والكنائس (1)، وأي ضر حينما يتعاطف المسلمون مع المسيحيين لأغَم يروهم يقتربون منهم من أجل السلام والخير العظيم للوطن المشترك، الوطن العربي (2).

ولبيان معنى الآية أقول: إنما أُوحِى الله على رسله عليهم أفضل الصلاة والسلام أجمعين: إما أن يكون أحكامًا عقائدية، أو أحكامًا تشريعية. فالأخلاقية العقائدية هي متفقة في التوحيد بدلالة قوله تعالى: "وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا ليُوحِي إليه أن نذكرون الله فإن لا إله إلا أنتَ أَنْ آمَنُواْ وَأَتِمُّواْ الصِّلَاةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَٰ لِلَّذِينَ يُحِينُونَ (3)." وقوله جل جلاله: "وَلَقَدْ بَعْثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أُنَبِيًا أَهْدَى أُمَّتهِ رِسْوَةَ اللهِ وَأُخْرِجَتْ مِن قَبْلِهَا أَطْلَعَتْ بِالْبُطْهَةِ (4)." وثبت عن النبي ﷺ في الحديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ (أَنَا أُولِي الْكَنَّاسِ يَسِيسِيِّبَيْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةَ وَاِنْبِيَاءٍ إِخْوَةٌ لَّعَلَّاتٍ أمِهَتَاهُمْ شَتَى، وَدِينَهُمْ وَاحِدٌ) (5).


(2) صحيحة البخاري-كتاب أحاديث الأنباء-باب قول الله (وأخذكم في الكتاب مرموم) - رقم الحديث (320).
ولقد كان كل نبي يرسله الله إلى أمة تكون الشريعة التي جاء بها. هذا النبي ناسخة لما كان قبله أو مفردة (1)، فقد قال تعالى عن عيسى: "فلم يصدق فلما بَشَرَ بِبَقِيَةِ مُّنُونَ أَنتُ الْعَلِيْمُ ۛ وَلَتَأْتِيَنَّكُمْ رِجْلًا مَّنْ يَتَّقُونَ أَنتُ اللَّهُ وَلَا يُضِلُّونَ ۛ (2) Toggle quote. لقد كان للتوراة شريعة، والإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة. يحي الله فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء ابتلاءً ليلعن من يطعه من عصبيه، ولكن الدين الواحد الذي لا يقبل غيره التوحيد والإخلاص لله الذي جاء به الرسل (3).

فيكون الفهم الصحيح للاية التي استدل بها أعضاء جمعيات القومية بعد النظر إلى سياقها، وسابقها مع الآيات هو أن الله ذكر ما كتب على بني إسرائيل في التوراة، وأمرهم بالعمل بما فيها، ثم ذكر أنه فقاً بيعيسى بن مريم عليه السلام على آثار الأنباء قبله، وأنزل عليه الإنجيل، وأمر من بعثه إليه بالعمل بما فيه، ثم ذكر نبينا محمد ﷺ، وأخبره أنه أنزل إليه الكتاب مصدقاً لما بين يديه من الكتاب، وأمره بالعمل بما فيه، والحكم بما أنزل إليه فيه دون ما في سائر الكتب غيره. وأعلمه أنه قد جعل له ولأمه شريعة غير شرائع الأنبياء والأمم قبله، الذين قصد عليهم قصصهم. وإن كان دينه ودينه في توحيد الله والإقرار بما جاءهم به من عهده، والانتهاء إلى أمره وقيمه واحد (4).

(2) سورة آل عمران-رقم الآية (5).
(3) تفسير الطبري-269.270.
(4) المصدر السابق-5/6.270.
الشريعة المتصلة والمتعبد الله بها، والمنهج المقتدى به هو ما جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين، وهو الوارد في الكتاب والثابت في السنة الصحيحة، حيث نسخ الجميع بما بعده ورسوله محمدًا، الذي ابتعته إلى أهل الأرض قاطبة، وجعله حاتم الأنبياء كلههم(١). وأمره أن يحكم بما أنزل الله، وحذره أن يفتينوه عن بعض ما أنزل الله، وأخبره أن ذلك هو حكم الله، ومن ابتغى غيره فقد ابتغى حكم الجاهلية(٢).

الموقف الخامس: تقرير مبدأ الدعوة إلى الولاء القومي دون النظر إلى خلاف العقائد:

إن مبدأ تقرير الدعوة إلى الولاء القومي دون النظر إلى الاختلاف في العقائد، قد استمر على أنه من أهم مبادئ جمعيات القومية العربية، حيث أُولِت آيات القرآن الكريم من قبل حزب البعث العربي الاشتراكي الذي يمثل تلك الجمعيات في مرحلة زمنية من نشأتها.

فقد قرر حزب البعث العربي الاشتراكي مبدأ الولاء القومي وطلب التعايش السلمي بين الأديان المختلفة وعدم اعتزاز وترفع أهل دين على دين، حتى ولو كان على حساب الدين الحق، وَبَيْن مؤسسَي الحزب خطأً منهجية من يستدل بعض نصوص القرآن التي يفهم منها تفضيل أمة على أمة، وأكدوا على أن المحاولات الرامية للإفادة من بعض النصوص التاريخية والدينية في إعطاء تقييم خاص متميز للأمة العربية، أو لغيرها، لا تكتسب قيمتها وتأثيرها ما لم تكن

(١) تفسير ابن كثير-٣/١٢١، وانظر:
١. جامع أحكام القرآن-القرطبي-٥/٢١١.
٢. تسير الكريم المختار-عبد الرحمن السعدى-٢/٣٠٠.

(٢) منهج السنة النبوية-٥/١٣٠.
المجتمعات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

مثناً إلى تفسير علمي بعيد عن الإنزلاق وراء التمييز والتفاخر والاستعلاء.

وهذا مثل على ذلك عند تفسير الآية الكريمة: كنتم حَرِّمواً أُحِرِّجْتُنَّ لِلنَّاسِ تَأْمُونَ بَالْمَعْرُوفِ وَتَتَهَوَّرُونَ عَنَّالمَنْصُورِ وَتَؤْمِينَ بِلَهَبِ

ولا شك في أن التفسير الظاهر للآية يقود إلى نوع من الخطاوة والوهب.

ومعروف أن التصرف على أساس التمييز والاستعلاء من أي أمة أو شعب

وبأيَّة ذريعة أو لافتة، يؤدي من حيث النتيجة إلى تخريب العلاقات الإنسانية

الطبيعية، ويشوه مبادئ الحق والعدل والمساواة بين الشعوب.

والذي يفهم من هذا التقرير البعثي، أن الحزب يرفض التحاور بين الأديان،

بประโยقة أن ذلك يفسد العلاقات الإنسانية ويوادي إلى الظلم بين الشعوب، وأن

الخيرية الواردة في الآية المستدلال بها، والذي يقصد بـ(الأمة) الولد ذكرها في

الأمة هي الأمة العربية، أو المسلمين عمومًا من عرب وغيرهم. وحينما توصف

الأمة العربية بصفة الخيرية فإن هذا الوصف يؤدي إلى الاستعلاء والخور

بأفرادها.

قبل تحديد من المقصود بكلمة (الأمة) في الآية السابقة،漂ين معنى كلمة
الأمة فإن هذه الكلمة لها معان يحسب ما وردت في سياقه من الآيات، والذي
اتفق عليه أهل اللغة أن معنى الأمة: كل جماعة يجمعهم أمر ما إما: دين واحده،

---

1. رسالة الأمة العربية-شيلي اليعسعي-26. أنظر:
2. مفردات القرآن-الرغب الأصفهاني-23.
3. دائرة المعارف الإسلامية-26/2-26/3-دار المعرفة-بيروت.

أو زمان واحد، أو مكان واحد، سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيراً أم اختياراً.

وهذا المعنى يظهر أن الأمة تطلق على من اتصف بصفة التفرد، فيكون مجموعة من الناس تفردوا بالمباشرة أو بالدين أو المكان. الخ. وقد ثبت أيضاً بالسنة دليل ذلك: فعن معاوية بن أبي سفيان قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (لا يزال من أمتي أمة قادمة بأمر الله ما يُصْرَحُ مِنْ كَذِبَتِهِمْ وَلَا مِنْ خَالفَتِهِمْ حَتَّى يَأتِي أَمَّرُ الله وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ) (2).

ومن أمثلة التفرد، أن أبا عبيدة أمين لهذه الأمة، يقول النبي ﷺ: (كَلَّا، أَمِينَ أَمِينَ، وَأَمِينُ هَذِهِ الأَمَةَ: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَاحَ) (3). ومن التفرد أيضاً أن فاطمة بنت النبي ﷺ هي سيدة نساء هذه الأمة، فهي حديث عائشة: قال:

(1) مفردات القرآن-الرازي الأصفهاني-32. انظر:
1- لسان العرب-ابن منظور-26/1-28/2.
2- غريب الحديث-أبي عبيد بن سلام الرومي-2/15.

3- الس نهية في غريب الحديث والأثر-ابن الأثير-1/68. وقد قال المستورقون في دائرة المعارف:
(كلمة أمة وجمعها أم في القرآن مختلفة المعنى بحيث لا يمكن تحديد معناها بالتدقيق على أنهما لا
مماثلة فيه أنه تدل دائما على فئة أو طائفة من الناس). وقول المستورقين هذا: من أنفقت لنصوص
القرآن الكريم والسنة الصحيحة. حيث تدل الكلمة على معان معينة ويمكن تحديدها بحسب ما
جاء فيها من كلام الله وكلام رسوله ﷺ. كما بين بطلان ما قاله المستورقون الشيخ محمود شاكر
رحمه الله تعالى. انظر: دائرة المعارف الإسلامية-2/63، 64.

(2) صحيح البخاري-كتاب التوحيد-باب قول الله تعالى {إِنَّا فَوْعَانَا لَيْسَيْ} إذا أردنا أن نقول له
كِنَّ يَكُونُ {رقم الحديث} 190.

(3) المصادر السابق-كتاب المغازي-باب قصة أهل نجران-رقم الحديث (3136).
الرسول ﷺ: (يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة).\(^{(1)}\)

ومن مجموع هذه المعاني يكون المعنى بالآية السابقة هو من صدق النبي ﷺ، وأمان بما جاء به وتبعته في. وهذا التحديد للآية يدل عليه سياق الآية.

وقد قال أبو عمرة رضي الله عنه: «كنتم خير أميّة أخرجت للناس» قال: خبير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام.\(^{(2)}\)

وقال مسعود: «كنتم خير أميّة أخرجت للناس تأتون بالمعرفة وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله.»\(^{(3)}\)

فالامة بالمعنى الإسلامي هي انتظام ديني عقدي، ليست انتماً عنصرياً بحسب من الأجناس أو عرق من الأعراق. ومن ثم فقد قامت الأمة الإسلامية خلال التاريخ من جميع العناصر التي استجبت لرسالة الإسلام، بغض النظر عن انتسامها بحسب من أجناس البشر.\(^{(4)}\)

---

(1) المصدر السابق- كتاب الاستاذان-باب من ناجي بين يدّي الناس ومن ثم يخير بسر صاحبه فإذا مات أخيره به- رقم الحديث (581).

(2) مذبب الأماماء واللغات-الرواي-1/2. وانظر: شرح صحيح مسلم-كتاب الإيمان: والذي نفس محمد بده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصارى...

(3) صحيح البخاري-كتاب التفسير-باب (كنتم خير أميّة أخرجت للناس)-رقم الحديث (191).

(4) تفسير الطبري-1/444.

(5) الأمة في دلالتها العربية والقرآنية-أحمد حسن فرخات-43-دار عمار-عمان-الطبعة الأولى-1403 هـ.
وهذا الانتقاء العقائدي لهذه الأمة الإسلامية مما ينبغي أن تدركه الأمة، لتعتبر حققته وقيمتها، وتعرف أنها أخرجت لتكون طيلة، ولتكون لها القيادة، بما أنها هي خير أمة. والله يريد أن تكون القيادة للخير لا للشر في الأرض.

ومن ثم لا ينبغي لها أن تتلقى من غيرها من أمم الجاهلية إلاما ينبغي دائماً أن تعطي هذه الأمم مما لديها، وأن يكون لديها دائماً ما تعطيه من الاعتقاد الصحيح والتصور الصحيح، والنظام الصحيح، والخلق الصحيح، والمعرفة الصحيحة، والعلم الصحيح... هذا واجبه الذي يحمله عليها مكافأة، وتعتمد عليها غاية وجودها، وواجبه أن تكون في الطيلة دائماً، وفي مركز القيادة دائماً.

ولهذا المركز تبعاته، فهو لا يُؤخذ ادعاء، ولا يسلم لها به إلا أن تكون هي أهلاً له. فهي خير أمة أخرجت للناس. لا عن محاملة أو محاباة، ولا عن مصادفة أو جرائ - تعالى الله عن ذلك كله عوالم كبيرة - وليس توسيع الاحتمالات والكرامات كما كان أهل الكتاب يقولون فيحن أبتؤأ أكَبَرَهُ وَأَحْسَنَهُ،... كلا إنا هو العمل الإيجابي لحفظ الحياة البشرية من المنكر، وإيقامتها على المعروف(1).

وفهم مدلول الآية على هذه المعاني ليس هو (ضرب من الغرور والاعتقاد بالتميز غير المربر علمياً)، الذي يدعيه حرب البعث، والذي قد (يؤدي من

(1) في ظلال القرآن- سيد قطب- ١٤٤٧/١-١٠.
الجمعيات القومية العربية ومواقفها من الإسلام والمسلمين

الحقيقة القائمة المُشاهدَة هي انقسام الناس إلى شعوب وقبائل ليتم بينها التعرف واللقاء، والحقيقة التي ينبغي أن تكون، والتي من أجلها أرسل الله رسوله، وأنزل عليهم كتبه هي التقاء الناس من القبائل والشعوب المختلفة على انتقاء ديين حلقي يتفاوتون فيه ويتفاضلون بمقدار قرور من الدين والالتزام بهم وأخلاقهم.

الموقف السادس: تأويل آيات في أحكام الرق:

في الفقرات السابقة من الرسالة، تبين التأثير النصراني على أفكار ومبادئ أعضاء جمعيات القومية، فكان من نتائجها ما بسبه من تأويل آيات القرآن الكريم. ويظهر من تأويل مؤسس الجمعيات القومية للآيات التالية المتعلقة بأحكام الرق، تأثير المطلقات الماسونية بدعوى تكريم الإنسانية، وأهم سياسته تحت شعار (مساواة).

(1) رسالة الأمة العربية-شبل العيسى-26.
(2) سورة الحجورات-رقم الآية (13).
(3) الأمة في دلالتها العربية والقرآنية-أحمد حسن فرحات-44.
قال مهمل عزة دروزة: عن الرق، (قد هنيا القرآن الوسائل العديدة التي تجعل الرق من أساسه آلياً للزوار في الأرمنة التالية لنزول الآية، وفي هذا توكل كذلك لكون المعالجة إنما كانت لأمر قائم آلي إلى الزوار ولقد زال أو كاد).

وبعد أن ذكر هذه المقدمات التي فيها جرأة واضحة على أحكام الشريعة، أورد تأويله للآيات التي توافق ما ذهب إليه، فقال: (لقد وضع القرآن أساساً لهذا الإلغاء في آية من سورة محمد هي: فلما دفعت أهل الحق الذين كفروا قصراً الرقاب حتى إذا أختتموه فشدوه في وثاق فإما من بعده أو إما فداء حتى نصع أحرب أوؤزها؟).

فقال: عن تأويل هذه الآية: الآية وضعت حلاً لأسرى الحرب الذين يعانون في أيدي المسلمين من أعدائهم الكفار المحاربين، وهو إما فداء أي إطلاق الأسرى مقابل فدية، وإما من أي إطلاقهم بدون فدية.

وأما عن الاسترقاق فقد قرر أعضاء جمعيات القومية بأنه ليس واجباً في الإسلام، ولكنه يباح إذا كان فيه المصلحة التي لا يعارضها مفسدة راجحة.

(1) المراة في القرآن والسنة-محمد عزة دروزة-17-المكتبة المصرية-صيدا-بيروت-الطبعة الثالثة-1944-1هـ.
(2) سورة محمد-رقم الآية (4).
(3) المراة في القرآن والسنة-محمد عزة دروزة-17-المكتبة المصرية-صيدا-بيروت-الطبعة الثالثة-1944-1هـ.
(4) حقوق النساء في الإسلام-محمد رشيد رضا-55-المكتب الإسلامي-بيروت-1440-1هـ.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

ولقد اتفقت دول العالم على إلغاء الرق (1) ومن جملتها الدول الإسلامية.
ومن هذا الاتفاق قال أعضاء جمعيات القومية: ولكل حكومة إسلامية أن تمنعه،
بل منعه من مقتضى الإسلام العامة (2).

إن أحكام الرق مرتبطة بشريعة الجهاد، وهي باقية ما بقي الجهاد في سبيل
الله، وقد قال البخاري في صحيحه: الجهاد ماض مع الْيَبُرُ وَالْفَاجِر لَقُوَّة الْبَيِّنَى
(3) : "الْحَسْبُ عَلَيْنَا فِي نَواصِيْهَا نَحْيٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" فِي أَرْبَعَ الرق
بِالجِهَاد فَمَا هَوْ كَبِيرَ أن تَقَفُّ الْدول النَّصَارَاَة مِنَ الْمَوْقِفِ الَّذِي ذَكَرَهُ أَعْضَاء
الجمعيات القومية العربية.

ومنا ذكر من موقف جمعيات القومية العربية من الآية - التي تنص على
مِشْروعية الرق - يتفق مع فكر المستغربين الذين أعجبوا بمبادئ الدول العربية
والشْرْقية من الدول الكافرة والملحة، ويعتذرون عن رب العالمين في تشريعة
للجهاد (4).

(1) انظر عن تأمر الدول النصارى: الإسلام والرق - محمد البهبي - 11- دار التراتب العربي-مصر
الطبعة الأولى - 1399 هـ. و "القانون الدولي العام" - أي هيف - 818.
(2) حقوق النساء في الإسلام - محمد رشيد رضا - 155. وانظر: المرأة في القرآن والسنة-عزة دروزة
120.
(3) صحيح البخاري/كتاب الجهاد والسير/باب الجهاد ماض مع الْيَبُرُ وَالْفَاجِر، رقم الحديث (2637).
(4) انظر عن هذه القضية:
1. الإسلام والرق- محمد البهبي - 11.
2. الإسلام في قفس الأقام- شورقي أبو خليل - 142- دار الفكر- دمشق- الطبعة الرابعة - 1400 هـ.
3. لا رق في القرآن - إبراهيم هاشم الفلاسي - دار القلم - القاهرة -.
4. آثار الحرب في الفقه الإسلامي- وهب الزهيلي - 16- 458- 4- دار الفكر- الطبعة الثالثة - 1401 هـ.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

والرق من أحكام الشريعة التي لم تتسع إما هي باقية ما بقي سببه، فقولهم (قد هما القرآن والعائلة التي تجعل الرق من أساسه آيلة للزوال في الأزمنة التالية لتزول الآية) إما هو قول من سلك همهم أيضاً مسكة سبيل إلى تمييز أحكام الرق، وقال: (إن للإسلام فلسفة في معالجة الشؤون التي ليست أساساً من أسسه. ففي معالجة هذه الشؤون تقسم فلسفة الإسلام أن تعالج برفق وأناة حتى يصل الإسلام إلى هدفه بدون أن يحدث اضطراباً بين معتنقيه. وذكر من هذه الأمور: شرب الخمر، والرق وتداع الزوجات ...)

فإن كل هذه التقديرات لم تبن على أصل شرعي صحيح معتمد على كتاب الله وسنة رسوله، إنما قد يكون معتمداً على الأفعال التي صدرت من الدول النصرانية في هذا الأمر. وإلا فمن ظواهر النصوص الشرعية التي بطلان ما قره أعضاء جمعيات القومية العربية، وقد بين علماء الأمة أن قوله تعالى: ﴿فإذا أُلْقَيْتُمْ أَلَّذِينَ كَفَّارًا فَسَعِيرُوْلْجَرَابِ حَتَّى إِذَا أَخْتَمُوهُ فَشُدوْا الْوَثَاقَ فَإِنَّمَا بَعْدُ وَإِنَّمَا فِيْدَاء حَتَّى تَضَعَّ أَحَبَّة أَوْزَارَهَا﴾(1) : بدل على ما يلي: أولاً — الخيار في المعن والفداء والقتل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم إلى القائمين بعده بأمر الأمة، وإن لم يكن قتل الأسرى مذكوراً في هذه الآية، فإنه قد أخذ فيه بآية أخرى، وذلك في قوله ﴿فَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يَخْلُدُوا﴾. وقد كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك كله فيما صار أسيراً في يده من أهل الحرب، فيقتل

(1) الإسلام في قصف الأغام-شوقي أبو خليل- 149.
(2) سورة محمد-رقم الآية (4).
بعضاً، ويفادي بعض، يمين على بعض ... ولم يزل ذلك ثابتاً في سيرته تجاه أهل الحرب من لدن آدن الله بهم، إلى أن قضىه إليه .

ثانيّـ: من دلالة الآية أن المسلمين لم يختلفوا في جواز الملك بالرق، ومعلوم أن سببه أسر المسلمين الكفار في الجهاد، والله تبارك وتعالى في كتابه يعمر عن الملك بالرق بعبارة هي أبلغ العبارة، في توكيد ثبوت ملك الرق، وهو ملك اليمين لأن ما ملكته يمين الإنسان فهو مملوك له تماماً وتحت تصرفه، كقوله تعالى: "فإِنَّ هَذِهِ أَلَا تَعْيِبُوا فَوْجَدَ أَوْ مَا مَلَّكَتُ أَيْمَانَكُمْ " (1) ... فالمراد بملك اليمين في هذه الآيات كلها الملك بالرق، فلا ينكر الرق في الإسلام، إلا مكابر أو ملحد أو من لا يؤمن بكتاب الله، ولا سنة رسوله .

كما ثبت الرق سنة رسوله فأغلب غزواته يحصل بها إما الفداء أو المن أو القسئل أو الرق، وهذا أورد الإمام البخاري في صحيحه أحاديث تدل على هذه المعاني الأربع جميعها، وقال: "باب من ملك من العرب رقيقاً فوهة وباع وجامع وفدى وسبي الذرية" .

---

(1) تفسير الطبري-13/2/42. وانظر:
1. الجامع لأحكام القرآن-الفرائي-12/78-1/228-4/77-57/457.
2. الدور المنثور في تفسير الأنوار-السوري-7/457.
(2) سورة النساء (43).
(3) أضواء البيان-الشقيطي-7/41/2/20-4/20.
فمن النصوص النبوية التي تدل على الرق: الحديث الثابت عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال لا أزال أحب بني تميم بعد ثلاث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيها منهم (هم أشده أتمنى عليهم الدهاء) وكانت فيهم سبعة عند عائشة، فقال: أعطيناه، فإنها من ولد إسماعيل، وجاين صدقاتهم فقال: هذه صدقات قومٍ أو قومٍ (1).

وقد جاء وقد هوازن مسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسببهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أحب الحديث إلي أصحفته، فاختاروا إحدى الطائفتين: إما السبي، وإما المال ... (2).

وَعَنْ عَمَّارَ بْنِ حُصَيْنٍ، أَنَّ رَجُلًا أَعْتَقَ سَبْتَه مَتَلَكَ كَيْنَ لَهُ عَنْدَ مَوْتِهِ، لَمْ يَكُنَّ لَهُ مَا لَهُ غَيْرُهُم، فَدَعَاهُ بِمَسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فجَرَاهُم أَتَلَانَا ثُمَّ أَفْرَعَ بِهِمْ فَأَعْتَقَ أَثِنَيْنَ، وَأَرَبَّةً أَرِبَّعَةً وَقَالَ لَهُ قَوْلًا شَدِيدًا (3).

يبدل جماعة هذه النصوص النبوية التي تناقلها الخلف عن السلف - على وقوع الاسترقاق في الخوارج، وبعد أن ذكر البعوض جملة من النصوص الدالة على مشروعية الرق قال: (فيه دليل على جواز الاستثناء من الأسير الكافر بالرباط، والجل والقيد إذا خيف انفلاته، ولم يؤمن شره، ومن وقع في الأسر من نساء أهل الحرب وذرائهم، صاروا أرقاء، وكانوا من جملة الغنائم،

(1) صحيح البخاري-كتاب المغازي-باب غزوة غزية بنسحرين رقم الحديث (18، 2142).
(2) المصدر نفسه-كتاب الوكالة-باب إذا وجب شببه لوكيل أو شفيع قوم جاز-رقم الحديث (154).
(3) صحيح مسلم-كتاب الأيمان-باب من أعتق شركاء الله في في عيد-رقم الحديث (31).
فأما الرجال العاقلون البالغون منهم إذا وقعوا في الأسر، فالإمام فيهم بالخير، فإن شاء قتلهم من غير أن يقتل بهم، وإن شاء استرقهم، وإن شاء من عليهم، وإن شاء فادهم بالمال، أو بأسرى المسلمين. وذهب إلى ما ذكرنا من التخير بين القتل والمن، والفداء والاسترقاق أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وأهل العلم بعدهم.

وعلى هذا القول سار من جاء بعد البغوي حيث قالوا: وأما ما يجوز من النكماة في العدود فإن النكماة لا تخلو أن تكون في الأموال أو النفوس أو في الرقبة أعنى الاستعباد والتملك، فالأمور التي هي الاستعباد فهي جائزة بطريق الإجماع في جميع أنواع المشركين.

وقالوا: والواجب الوقوف على ما دلت عليه الأدلة الكثيرة الصحيحة من التخير في كل مشرك بين القتل والمن والفداء والاسترقاق، فمن أدعى تخصيص نوع منهم أو فرد من أفرادهم فهو مطالب بالدليل.

وقال الشوكاني: قد ثبت في جنس أسارى الكفار جواز القتل والمن والفداء والاسترقاق، فمن ادعى أن بعض هذه الأمور تختص بعض الكفار دون بعض لم يقبل منه ذلك إلا بدليل ناهض يخصوص العمومات.

---

(1) شرح السنة البغوي 77-79
(2) بداية محمد وغاية المتقدم ابن رشد 68/1 الكتب المصرية- مصر 1975
(3) الروضة الفنية شرح الدور البهية في حسن سورة هـ 345-346 دار الندوة الجديدة بيروت لبنان
(4) نيل الأوطان الشوكاني 48/6 دار المعرفة بيروت لبنان
هذا في الرد على تأويل أعضاء جماعات القومية العربية للنص القرآني الدال على مشروعية واستمرارية الرق في الإسلام.

وأما عن قوتهم (لقد اتفقت دول العالم على إلغاء الرق ومن جملتها الدول الإسلامية.. وما قبله الدول الإسلامية من إلغاء الرق يعد سائغاً، نافذاً). (1)

ففي هذا النص التجزؤ على خصائص مالك الملك سبحةه و تعالى، فهو وحده المشرع في لله أَلَّهَ الَّذِي أَخْلَقَ الْأَلَّامَ) (2) فعلي أي وجه أساس سلم أعضاء جماعات القومية العربية لدول العالم أن تلغي حكماً شرعياً ثابتاً بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، وتناقله المسلمين جيلاً عن جيل، وعملوا بأحاكمه.

وهذا يظهر أن إلغاء الرق عمومًا وتحريه دولياً بضاعة مستوردة من أعداء الله اقتبسها العالم الإسلامي كما اقتبس غيرها من القوانين الوضعية. (3) وتبين أعضاء جماعات القومية العربية هذا الإلغاء كما سبق بيانه. وفي هذا العمل تقليد للكافرين، وقد حذر منه الرسول ﷺ جاء في حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ، قال: (لَتَبْعِثُنَّ سَنَنَّ مَنْ كَانَ قُبْلَكَ مُسْتَرًا صَباً وَذَرَاعًا بِذَرَاعِ حَتَّى لَهُ بِجَهْرٍ ضَبْطٍ يَعْتُمَّوْهُمُ قَلِيلًا يَأْسِرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قالَ: فَمَن (4).

(1) المرآة في القرآن والسنة-محمد عزة دروزة-120.
(2) سورة الإعراف: (54).
(3) أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية-علي العلياني-372.
(4) صحيح البخاري-كتاب الاعتصام بالكتب والسنة-باب قول النبي ﷺ لَتَبْعِثُنَّ سَنَنَّ مَنْ كَانَ قُبْلَكَ-رقم الحديث (1775).
المبحث الثاني

 موقف جماعيات القومية العربية من السنة النبوية

 أجمعوا الأمة على أن السنة النبوية هي المصدر الثاني للعقيدة والتشريع بعد القرآن الكريم.

 ووضح ذلك الشافعي قائلاً: (ولا أعلم من الصحابة ولا من التابعين أحداً أحب عن رسول الله ﷺ إلا قبل خبره، وانتهى إليه، وأثبت ذلك سنة، وصنع ذلك الذين بعد التابعين، والذين لقبناهم، كلهم يثبت الأجيب ويجلها سنة، يجمد من تبعها، ويعاب من خالفها، فمن فارق هذا المذهب كان عندنا مفارق سبيل أصحاب رسول الله ﷺ، وأهله العلم بعدهم إلى اليوم، وكان من الجهالة).

 ورأى عـبـدـ الرـحـمـن بـن يزـيد مرحماً عليه ثيابه، فنهاه، فقال: ابنتي بآية من كتاب الله تزرع ثيابي، فقرأ عليه فودعته ورفعته ﷺ.

---

(1) الرسالة- الشافعي- ٤٠٣-٤٣٠.
(2) سورة الحشر- رقم الآية (٧).
(3) الموالفات- الشاطبي- ٣٠٥٥.
الجمعايات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

وقد كانت آيات القرآن الكريم تربي أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم على طاعة الرسول ﷺ، وعدم مخالفته، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ لَذِينَ أَمَّنُوا بِالْقُرآنٍ وَرَسُولِهِ إِذَا صَنَعُوا مَعِهُ عَلَىٰ أُمَّةٍ جَامِعَةٍ لَّمْ يَدْهَبُوا حَتَّىٰ﴾

(1) سورة النساء-رقم الآية (85).
(2) تفسير الطبري-ـ177/5.
(3) سورة النساء-رقم الآية (59).
(4) أعلام الموقعين-ابن القيم-ـ48/1.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

(1) سورة النور-رقم الآية(92).
(2) فتح القدر-الشروكاني-57/5-دار المعرفة-بيروت-لبنان.
(3) سورة النساء-رقم الآية(59).
(4) أعلام الموقعين-ابن القيم-1/49/1-500.
(5) سورة التكوين-رقم الآية(24).
دلهم عليه، وأمرهم به، وحثهم عليه، ولا شيًا مما يقره إلى النار وإلى سخط
الله، إلا حذرهم منه، وتخابه، وذلك في العلم والعمل جميعًا.

وبعد البيان الموحول عن مكانة السنة، ووجود الرجوع إليها عند النقاد،
سأيرون في هذا المبحث موقف جمعيات القومية من السنة النبوية بوصفها مصدرًا
من مصادر العقيدة، كما سبق أن بنيت في المبحث السابق موقفهم من القرآن
الكريم، والذي يلخص في النتائج التالية:

أ. ابتداع الدستور الوضعية بدلاً عن القرآن الكريم.

ب. تأويل نصوص القرآن الكريم حسب ما تمليه عليهم المبادئ القومية.

ج. تأويل نصوص القرآن الكريم حسب ما تمليه عليهم أنظمة وقوانين
المجتمع الدولي العام. وفيما يلي تفصيل موقف الجمعيات القومية من السنة
النبوية:

الموقف الأول: تأويل نصوص السنة:

إن ما سلكته جمعيات القومية من منهج في تأويل بعض آيات القرآن
الكريم، تعاملت به مع نصوص السنة النبوية الصحيحة، كما تعامل ساطع
الخصري، الذي يعتبر أحد منظري الفكر القومي - مع الحديث الذي
رواه أناس بن مالك - "أن النبي ﷺ - مَرَّ بِثَيْبٍ يَلْقَحُونَ فَقَالَ: (أَلَّا لَمْ تَفْعَلُوا

(1) العواصم والقواسم في الجذب عن سنة أبي القاسم - ابن الوزير- 374/764-مؤسسة الرسالة-بيروت-
الطبعة الثانية-1412 هـ.
الجعيات القومية العربية وعوقيتها من الإسلام والمسلمين

لاقِ شجَّح، قال فخرج شجَّح، فخرج بهم فقال: ما لنجلكم؟ قالوا: قلنا كذا وكذا، قال: أنتم أعلم بأمور الدنياكم) (1).

قال ساطع الحصري في هذا الحديث: (إن دراسة القومية العربية دراسة علمية مستقلة عن المعتقدات الدينية لا يعني إهمال شأن الدين، بل إنما يعني ترك الأمور السياسية خارج نطاق الأبحاث الدينية، وذلك وفقاً لحداثة النبي العربي العظيم (أنتم أعلم بأمور الدنياكم).

ويتابع ساطع الحصري قائلًا: (أنا أعلم أن هناك من يدعي أن الحديث الشريف المذكور كان قد قيل في حادثة (تأثير النخل) ولا يُجري تعميمه على قضايا السياسة عامة، والسياسة القومية خاصة، ولكنُّي أتساءل: هذه القضايا، لم تكن أشد اتصالاً بأمور الدنيا وأكثر إيهامًا في مناطقها المعددة من عملية تأثير النخل، آلاف وآلاف المرات؟) (2).

إن المنقرر في مبادئ جمعيات القومية العربية مبدأ استبعاد الدين من شؤون السياسة وأمور الدنيا، وهذا ما سبق بياته عند الحديث عن أهداف تلك الجمعيات في الباب الأول، وساقت الجمعيات ذاكاً حججاً لدعم ذات المبدأ الجاهلي، وعلى أنهما استدللاً، كما أقولهم للحديث الصحيح سابق الذكر، مع أن الحديث المؤول ليس في ظاهره تحقيق مرادهم الجاهلي.

(1) صحيح مسلم-كتاب الفضائل-باب وجوب امتثال ما قاله شجَّح دون ما ذكره من بحث الدين
على سبيل الرأي--rule الحديث (8458)، وأخرج له ابن ماجة في السنن-كتاب الأحكام-باب تلقيح النحل-بorning (1462).

(2) أبحاث مختارة في القومية العربية-ساطع الحصري-293. (بتصرف بسيط.)
والحديث ليس فيه مراد الخصري وأتباعه بين هذا روايات الحديث التي ساؤوقتها قبل إيراد أقوال العلماء في ذلك، وأما عن الحديث المؤل فإن روايته في صحيح مسلم تبدأ بقول طلحة بن عبيد الله: مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسول النخل، فقال: (ما يصنع هؤلاء؟) فقالوا: يُقلِّعون الذكر في الأنثى، فلقيح. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما أظن يغنى ذلك شيئا؟) قال: فأخبروا بذلك، فتركوه، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، فقال: (إن كان ينفعهم ذلك، فليصنعونه، فإنما طننت طننا، فلتأخذوني بالظن، ولكن إذا حذرتكم عن الله شئًا فخذوا به، فإنني أكن أذكِّر على الله عز وجل).

وهذه رواية أخرى صحیحه للحديث روى رافع بن خدجي، قال: (قدم نبي الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وهم بأبرون النخل، يقلعون، يُقلِّعون النخل، فقال (ما تصنعون؟) قلنا: كنا نصنع، قال: (لا تصنعوا، لأنكم لو لم تفعلوا، كان خيرًا). فتركوه فنفسوا أو فنصوا، فقال: فذكروا ذلك له، فقال: (إذا أنتان أبشر، إذا أمرتمكم بشيء من رأي فأتنا أنا بشر).

هذا عن ألفاظ الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه، وبعد إيراد الروايات السابقة يمكن أن يرد على استدلال جماعات القومية العربية، بالأمور التالية:

أولاً: ذكر العلماء بعد النظر في ألفاظ الحديث أن أبا تدل على أن الرسول لم ينههم عن التلقيح لكن هم غلطوا ووقع في ظنهم أنه فاهمهم، كما غلط من

(1) صحيح مسلم-كتاب الفضائل-باب وجوب اعتناء ما قاله-رقم الحديث (4356).
الجماعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

غلط في ظنه أن (الخيط الأبيض) والمخطط الأسود هو الحبل الأبيض والأسود.) (1)

ثانياً: أن قول الرسول ﷺ (من رأيي) أي في أمر الدنيا ومعايشه لا على التشريع، فأما ما قاله باجتهاده ورأته شرعاً يجب العمل به. وليس تأثير النخل داخلاً في هذا النوع بل هو من النوع المذكور قبلاً، مع أن لفظة (الرأي) إذا أنيت بعكرمة (2) وعلى المعنى لقوله في آخر الحديث قال عكرمة: أو نحو هذا فلم يخبر بفظ الطبي محققًا.

فوصية الرسول ﷺ لأهل الزراعة لم تكن خيراً يقيناً وإنما كان ظناً كمبيته الروايات. ورأيته في أمور المعايش وظنه كغيره فلا يمتدع وقوع مثل هذا ولا نقص في ذلك (3).

ثالثاً: أن الحديث المستند به يدلنا على أن من أفعال الرسول ﷺ الدنيا، وما يكون مبناً على أساس الخبرة والتجربة، ولذا فقد يعتقد في أمور الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه، أو يكون منه على شك أو ظن، بخلاف أمور الشرع (4).

---

(1) فتاوى ابن تيمية- 18/12/1611.
(2) أحد رواة الحديث: عكرمة بن عمر العجلي البصري، من التابعين وكيث بأبي عمر، توفي سنة 159 هـ، انظر: ترقيم التهذيب- ابن حجر- 3/0/200 رقم (276).
(3) صحيح مسلم بشرح النووي- النروي- 15/0/1611 (يتصرف بسير).
(4) الشفاف بتعريف حقوق المصطفى- القاضي عياض- 2/70-مطبعة عيسى الباجي الحليبي- 1977.
فأمور الدنيا قد يوفق إلى الصواب فيها، وقد يكون منه خلاف ذلك وهذا في الأمور البنية على التجربة، كواجعة هذا الحديث (فإن الرسول ﷺ لم يكن ممن عيان أمور الفلافحة، فخفيت عليه تلك الحالة، ومسك بالقاعدة الكلية بأنه لا يؤثر ولا يغني إلا الله تعالى) (1) فقال لهم ﷺ: (ما أظن يُغني ذلك شيئاً).

فما أخير به الرسول ﷺ، في هذا المجال، وهي الأمور البنية على التجربة، ولم يستثن، فهو حق، وأما في حادثة تأبير النخل فإن الرسول ﷺ لم يقر على ظنه في تأبير النخل، ولأجل هذا استدرك وأمرهم بفعل التلقيح وإن كان ينفعهم (2).

رابعاً: لقد ورد عن الرسول ﷺ ما يلتقي بآحاده التي هي عادة جليلة لا مسنى جهة أن ذلك مشروع على ذلك النحو من العمل - (3) وكان مصيباً فيها لأنه عالم بما ومن واقع تجربته وخبرته، ومثال ذلك: قول جابر بن عياض: (كذا يُرِبُّ الرسول ﷺ بمرأة) (4) نجي الكتب فقال: (عليكم بالأسود منة فإنها أطيب) فقال: (أكلست ترعى الغنم) قال: (نعم وهل من نبي إلا رعاه) (5).

---

(1) اجتهاد الرسول ﷺ - نادية شريف العمري - 86 - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثالثة - 506 ـ.
(2) الرقى على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة - علي العلياني - 49 - دار الوطن - الرياض - الطبعة الأولى - 1411 ـ - (يتصرف بسرير). ونظر:
1 - المواقفات - الشاطبي - 4/6-7.
2 - الحديث والتحديث - محمد أبو زهرو - 120.
3 - مقدمة ابن خلدون - 2/1167 (يتصرف).
4 - مر الظهران - هو واد بني مكة وعسفان. أنظر النهاية في غريب الحديث والأثر - ابن الأثير - 12/117.
5 - صحيح البخاري - كتاب الأطباع - باب الكبك - وهو نمر الأرائك - رقم الحديث (23).
لقد أوصى النبي ﷺ أن يأكل من ثمر الكباث وهو ثمر الأراك، والذي لا يعرف جودته إلا رعاة الغنم لأنه يكثر ترددهم تحت الأشجار لطلب المرعى منها والاستظلال تحتها١، ولذا سأل الصحابة الرسول ﷺ: (أَكِنتَ تَرِّغَى الغَنْمِ؟). قال الله ﷺ: دخلت بابن لي على رسول الله ﷺ، وقد أعلقت عليه من القدرة، فقال: (عَلَيْكَ مَا تَذْعَرُ أَوْلَادُكُنَّ بِهذَا الْعَلَاة! عَلِينُكَ بِهذَا الْعُوْدَ الْهَـٰـسِنِيٌّ، فَإِنَّ فِيهِ سَبْعَةٌ أَشْفِقَةَٰ، مِنْهَا ذَاذِّ الْجَنْبِ، يُسْعَطُ مِنَ الْعَدْرَةٍ، وَبَلَدُّ مِنْ ذَاذِّ الْجَنْبِ).٢

ومعلوم أن الطب من علوم التجربة كذلك روى عن زيد بن أسلم أن رجلاً في زمان رسول الله ﷺ جرح، فاحتق أبوه للدم وأن الرجل دعا رجلين من بني أمية، فنظر أبوه إليه، فرمع أن رسول الله ﷺ قال لهما أيهما أطيب، فقالا أو في الطب خيرًا يا رسول الله، فرمع زيد أن رسول الله ﷺ قال: (أنزل الدواء الذي أنزل الأدواء).٣ والطب المنقول عن النبي ﷺ غالبه راجع إلى التجربة٤.

---

١) انظر: فتح الباري- ابن حجر- ٩٨٩/٨ 
٢) صحيح البخاري- كتاب الطب- باب اللدود- رقم الحديث (٦٤٧٥). وميقم: وعلاقته من الفحص الأول، الثاني: سنة رسول الله ﷺ وهو أعظم علاجًا بين مخصوصين. انظر صحيح البخاري رقم الحديث (٦٤٧٥). 
٣) موطن معلى- كتاب الراجع- رقم الحديث (١٤٨٢). وقال عنه ابن حجر في الفتح (حديث مرسِل). 
٤) فتح الباري- ابن حجر- ١٠٠/١٠- ١٤٠/١٤.
وثبت أن النبي ﷺ كان يقوم بعذارة إلهية مما تصاب به من الأمور التي يعرفها أهل مكة، روى أنس بن مالك، قال: ذهب了一َبِينِ اللَّهِ وَرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، في عبادة يَهُنَا بُعْرَةٌ ﷺ، (1) ﷺ(؟). ومعنى يهُنَا: يطليه بالقطران ويعالجه به، والهناء القطران. (2)

خامساً: ومع جميع ما ذكر حول ألفاظ الحديث، فليس هناك من مستند لدى جمعيات القومية العربية كي يشرعوا للأمة في جميع جوانبها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بحجة الاستدلال بقوله: (أتمَّ أعلمُ بأمورِ دنياكم) فإن واقع سيرته ﷺ بين تقرير مبدأ (وأن لا يعبد الله إلا بما شرع)، بدلاً من قوله تعالى: (فَلا وَرِبِّكَ لَ يُؤْمِنُونُ حَتَّى يُحَكُّمُوا ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ 

(1) صحيح مسلم-كتاب الآداب-باب استحباب تحتبك المولود عند ولادته-رقمه الحديث 3995.
(2) مذهب معالم السنين مختصر سنن أبي داود-باب في تغيير الأسماء-رقمه الحديث 4300.
(3) صحيح مسلم-كتاب الآداب-باب استحباب تحتبك المولود عند ولادته-رقمه الحديث 257-دار المعرفة-بيروت-لبنان.

(1) صحيح مسلم-كتاب الآداب-باب استحباب تحتبك المولود عند ولادته-رقمه الحديث 3995.
(2) مذهب معالم السنين مختصر سنن أبي داود-باب في تغيير الأسماء-رقمه الحديث 4300.
(3) صحيح مسلم-كتاب الآداب-باب استحباب تحتبك المولود عند ولادته-رقمه الحديث 257-دار المعرفة-بيروت-لبنان.
الموقف الثاني: التقدم بين يدي رسول الله ﷺ.

في كثير من مباحث أعضاء جمعيات القومية، يلاحظ الاعتراض على بعض الأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ بحجج ساذج، بعضاً منها فيما يأتي.

(1) سورة الأحزاب-رقم الآية (36).
إن موضوع السنة ومكانتها في التشريع من المباحث التي تناولها كثير من الدراسات العلمية المفيدة، وهي تعتبر المصدر الثاني من مصادر التشريع، وقد أمر ربا بتطاعة رسوله والرجوع إليه وبدم التقدم بين يديه، فقال تعالى: 

فَلَا وَرَبِّكَ لَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُواْ وَإِن يُحَكَّمُ لَيْسَ لَهُمْ ثُمَّ لاَ يُجَادِلُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مَّعَمًا فَضَيَّتْ وَتَسِلَّمُواْ تَسِلِيمًاٌ (٣). 

فلم يكتف سبحانه بحصول الإمام مجرد التحكيم، بل لا بد من استصحاب الرضا والتسليم ودفع الخرج والضيق والمنازعة.

وقال تعالى: 

فَيَبِينَ لِذِئَابٍ أَطْعَمْنَا أَطْعَمْوَآ أَطْعُمْوَآ الرَّسُولُ (٣) في هذه الآية أمر تعالى بطاعته، وتطاعة رسوله، وأعاد الفعل إعلامًا بأن طاعة الرسول تجب استقلالًا من غير عرض ما أمر به على الكتائب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقاً، سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه، فإنه أوجب الكتاب ومهله معه.

وقد فهم الصحابة رضي الله عنهم النبي ﷺ أن أمر الرسول هو أمر من الله تعالى، قال عبد الله بن مسعود: (لَعَنَ اللَّهُ الْوَاتِمَاتِ وَالْمُسْتَوْسِمَاتِ، والثَّمَامَاتِ، والمُتَمَّثَاتِ، والمُنْفَجَّاتِ لِلْحُسْنِ، المَعْيَنَاتِ خَلَقَ اللَّهُ، قَالَ: فَبَيْنَ ذَلِكَ أَمْرًا مِّنْ بَنِي آدَمْ يَقُولُ لَهَا أَمَّ مُعَلَّقَةٌ وَكَانَتْ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَأَتَهَّ) (4).

---

(1) سورة النساء-رقم الآية (٢٥). 
(2) انظر: مختصر الصواعق المرسلة-ابن القيم-2/252. 
(3) سورة النساء-رقم الآية (٥٩). 
(4) إعلام الموقعين-ابن القيم-٤٨/١.
فقالت: ما حديث بلغني عنك أنك لعتت الواشييات والمستوفيات والمسميات والمتبقيات (1) للحسيس المغريرات خلق الله فقال: عبد الله وما لي لا ألغين من لعن رسول الله ؟ وهو في كتاب الله، فقالت المرأة: لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فيما وجدته، فقال: لبئس قرأته لقد وجدته، قال الله غرر وجل: وما اتناكم رسلنا فجحدوا وما تبخكم عنه فانتبهوا (2).

ومن الأقوال التي أثرت عن أعضاء جمعيات القومية العربية في الطعن بالسنة النبوية الصحيحة، والتقدم بين يدي الرسول ﷺ، ما جرى نقله في البحث السابق عن ساطع الحجري. ومن مثل ذلك ما تجلى في مواقفهم تجاه هذه الأحاديث:

1. قال رسول الله ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فلا يؤدي جارة، واستوسطوا بالنساء خيراً، فإنهم خافين من ضلّع، وإن أغرى شيء في الصلب أغلاة، فإن ذهبت تقيمة كسرته، وإن تركته لم يؤل أغرى فاستوسطوا بالنساء خيراً) (3).


(3) صحيح البخاري-كتاب النكاح-رقم الحديث 7487.

561
ف»ـ قـال بـعض أـعضاء الجمعيـات الـقوميـة: تـساق بـعض الـآحاديـث في مـعرض نـقـص عـقلٍ الـمرأة ودـينها وـضعـف خـلقها، وـعلـقو على تـلك الـآحاديـث بـقولهـم: إن كـتب الله وسـنة رـسوله صلى الله عليه وسلم أـهلـية الـمرأة لـكل تكـليف إيمان واجتماعي وتعبيدي وأخلاقي كـالرجل بـدون أي ميزة، ورتبـا علـيا كـل ما رتبـ على الرجل، ونتيجة لـكل عمل تقوم به من ذلك تناول ثوابا أو عقابا وحدا في الدـنيا وآخرة بدون أي تميزة.

وـبـعد ما قـروـوا عـن أـهلـية الـمرأة، توجـهوا إـلـى الطعـن في الـحـديث ودـلالـته بـقولهـم: إن مسؤولـية ناـقـص العقل في الـواجـبات والـجرامـات لـا يـصح أن تكون مـثل ظام العقل. مـع أن الشريعة قد أعـطـت الـمرأة من الـحقوق، الـتي منـها: أن عـينت لها نـصيباً في الأـربـث وآمـر بـاداته لـها. وـقررـت لـها الحق المـطلق في الـصرف في كـل ما يـدخل فـي يـدهـا مـن مال مـهما كان عظيم المـقدار، وتدين ووصـب وتـقبل الـهـدية

(1) صحيح مسلم- كتاب الإمام- باب نقض العلماء بقضية الطاعة- رقم الحديث (114).
وتأخذ الوصية وتعتني وتكتب وتؤجر وتستأجر... ولا يصح كل هذا إلا مع فرض الأهلية التامة للمرأة ومساواة مع الرجل عقلًا وخلقًا وقابلية ومواقبه وجعلها... ويتحمل التوقف إزاء ما قرره الله ورسوله من كل ما تقدم. وحتى لو صح فإنه يستثنى من يطعم أزواجهم وهن عادة الأكرية الساحقة من النساء...

يأتي علينا إيماناً بحکمة الله ورسوله بأي التسليم للك النصوص والتلقيات بصدورها عن رسول الله بقصد وصف جميع النساء على اختلاف أوضاعهن بذلك.

ويأتي إيماناً التسليم بأن رسول الله قد قرر كوفن أكثر ألهم النار واقعاً لأيمن بكفرن العرش، ويكفرن اللعن، وهو يعلم من دون ريب أن هذا لا يكون عادة إلا من أقلية من النساء(1).

والتعليقاً على الفقرة الثانية من الحديث وهو (نقصان الدين)، أي التسليم بأن الله ورسوله يعتبران فطر الخائض وعدم صلاقاً دليلاً على نقص دين النساء، مع أن ذلك بترخيص منهما.. وكل ما يمكن التسليم به إذا صح الحديث أن يكون قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد قد ق
هـذا عـن موقف أعضاء الجمعيات من الحديث الدال على نقضان عقل ودين المرأة، أمّا موقفهم من الحديث الذي ينص على أن المرأة خثّت من ضلع أعوج فقد قالوا: والحديث الذي يذكر أن المرأة خلت من ضلع أعوج قد صدر على سبيل توصية الرجال بالنساء خيراً ورعايتهم والإغضاء عما قد يقع منهن من هنات، والأسلوب الذي جاء به متسبق مع ما كان في الأذهان من مركز المرأة قبل الإسلام، والذي جاء الإسلام بتعديله، وليس من شأة أن يساق على سبيل التعميم لكل النساء وإنما للقلة منهن فيما يتبادر لنا من روحه.

(1) تبسّط المواقف السابقة من الأحاديث التقدم بين يدي الله ورسوله
والطعن في دلاليات بعض أحاديث السنة النبوية، بناء على مقررات يقرروها.
وقد أورد السلف أحاديث تذرز من التقدم بين يدي رسول الله ﷺ منها: قوله ﷺ: (لا أنفّظ أهديكم متكاً على أريكة، يأتيه أمرٌ ممّا أمرت به، أو نهيت عنه، فقُول: لا أدرّي، ما وجدنا في كتاب الله التبعّتَا) (1).

(1) المصدر السابق-47.

(2) سنن الترمذي-كتاب العلم-باب ما تهي عنّه أن يقال عن حديث النبي ﷺ-رقم الحديث 6663. وقال الترمذي هذا حديث صحيح آخر
(3) مسند الإمام أحمد-4/122 عن عبيد بكر.
(4) سنن أبي داود-كتاب السنة-باب في نزوم السنة-رقم الحديث 9689.
(5) المسندري على الصحيحين-الحاكم-10/8-1. وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
وقد يكون هذا الموقف من رفض أحاديث الرسول ﷺ المتعلقة بأمر النساء وعدم التسليم لما ثبت فيها - متوافقاً مع المبدأ العام الذي ظهر في واقع المسلمين خلال نشأة جماعات القومية العربية من تبني بعض المسلمين الدعوة إلى تحرير المرأة والدفاع عن حقوقها.

وقد وقفت جماعات القومية العربية موقف المؤيد لهذه الدعوات من منطلق المساواة الإنسانية، ونبذ التقاليد (1). ولتأكيد ذلك أبين تلك المواقف من الدعوات التي تنادي بتحرير المرأة.

إضافة إلى ما سبق ذكره من رد أحاديث الرسول ﷺ، فقد تحدث أعضاء الجمعيات القومية العربية عن الجهود التي بذلت أبان الحرب العالمية الأولى في مجال تحرير المرأة والثناء عليها، قائلين: من حسن الحظ أن هذا التطور الذي أصاب نساءنا خلال الحرب لم يقف عند حد الأزاء والمظاهر، بل تعدد إلى الجوهر. لقد كانت هذه الجهود مخلصة في تحرير المرأة، راغبة في رفع مستوى المسلمات إلى مستوى غيرها من المواطنين. وكانت لا تفت نثر الحماس في أعيان البلاد لإشراك السيدات في الأعمال الاجتماعية. وقد أصابت نجاحاً مرموقاً حينما حملتهم في بروت على إنشاء ناد للمرأة المسلمة، وكان أول ناد من نوعه فقد تأسس عام 1914. فإذا بفتياتنا اللواتي كانن بالأساس على عزلة تامة عن الهيبة الاجتماعية، إذ لم يبرز نشطيات إلى الميدان في عقود الاتصالات في النادي، يحيين فيه الحفلات لسماع مشاهير الأدباء والعلماء (2).

(1) المراكز النسائية ووصلتها بالاستعمار- دار الأنصار- القاهرة.
(2) مجلة العربي- العدد 22- الكويت- كاتب المقال: محمد جمعة بيه.
ومن مساهمات أعضاء جماعات القومية العربية لهذا النادي النسائي أن تأسس ذلك النادي كان في بيـت بشارة الخوري (1) ويقول محمد جميل بيهـم: أحمد مؤسس جماعاتــ عن جهد هذا النادي النسائي: وأنا لا نذكر تلك الحقبة إلا ونذكر معها النشاط والإقبال والمثابة التي أظهرها العاملون في خدمة الإنسانية والعملات، وفي تشجيع الحركة النسائية (2).

و حينما وضعت الحرب أوزارها وحصدت بلاد الشام للاستعمار النصرا، خشى أعضاء جماعات القومية العربية أن تؤثر الحركة الداعية إلى تحرير المرأة، وهذا أخذهم: محمد جميل بيهـم: يقول عن واقع الحركة النسائي في نهابات الحرب: (لقد افتص حفو صوت أنصار المرأة مدة من الزمن إلى سكون الحركة النسائية) وبعد هذا العرض قال عضو الجمعية: غير أي مع ذلك لم أجد مبرراً للمسكوت عن بقاء المرأة في بلادنا عضواً أشل، فاستنجدت بقلامي الضعيف لتحيبر المقالات المتواصلة، وسلامي القاصر لإلقا الخطط، خصوصاً وأن ذلك الجمود الذي استحوذ علينا بعد الحرب لم يكن يتفق مع روح العصر، ولا يتفق مع المبادئ العالمية التي طورها سنون الحرب. وقد دعت إلى إقامة مؤتمر النساء في بيروت وقد أقيم المؤتمر سنة 1919 م(3).

(1) انظر الترجمة رقم (10). 
(2) الحركة النسائية اللبنانية-أمل إبراهيم-28-دار الثقافة-بيروت-لبنان. 
(3) فتحة الشرق في حضارة الغرب-محمد جميل بيهم-4. 
(4) فتحة الشرق في حضارة الغرب-محمد جميل بيهم-5-8.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

كما تناولت مجلات الجمعيات القومية، أفكار قاسم أمين(1) داعية تحرر المرأة من دينها، فمن ذلك، ما جاء في تقرير أحد المجلات على كتاب (تحرير المرأة): "أن غرض صاحب هذا الكتاب لا يمكن أن ينكره عليه عاقل عرف مكان أمته من الأمام، ووقف على حاجاتها وما يعيد إليها حياً، ألا وهو تربية المرأة لتكون كما قال — قاسم أمين — إنساناً يعقل ويريد، وتعليمها مقدارًا من العلوم الدينية والعقلية والأدبية(2).

وبعد الثناء على غرض صاحب الكتاب، تعرضت المجلة بالرد على من أنقص من قيمة الكتاب فقالت: هل الرد على قاسم بك أمين، والتنديد بكتابه (تحرير المرأة) من الانتصار للدين أم من الانتصار للهوى وحكم الوجدان؟(3).

انطلاقاً من هذا التأييد لكتاب قاسم أمين، يلاحظ أن مجلة المئار قد رحبت بكل الكتب والكتابات المذكورة بعمل الإسلام في مجال (تحرير المرأة) وسحر صاحبها مجلته للتعرف بها وتحليل معانيها ومؤازرة أصحابها لا سيما أن أهمها صدر عن أحد أصدقائه المقربين من الذين تلمذوا على أستاذية جمال الدين الأفغاني ومحمد عبيد وهو قاسم أمين... فاندفع رشيد رضا إلى تأليف بعض الفصول تقريباً بـهذا الكتاب، وأشاد به إلى حد المبالغة في قوله (وما رأيت في الأندام ما جعل الحكمة على طرف الشام مثل الذي رأيت في هذا الكتاب)(4).

_____________________
(1) انظر ترجمة رقم (57).
(2) انظر: تحرير المرأة-قاسم أمين-17.
(4) تفكير محمد رشيد رضا من خلال مجلة المئار-1898-1935-محمد صالح المراشي-244-الدار التونسية-تونس-1985-الطبعة الأولى.
وقد بارك محمد جميل بيهم واقع المرأة (الشرقية)، من جانب تطورها وتتأثرها بدعوات تحرير المرأة، حيث يقول المؤسس: حقاً إن المرأة الشرقية لم تبق على ما كانت عليه في عهد المصلح قاسم أمين، ولكنها مع ذلك ورغم المظاهر الخارجية التي تدل على التحرر، لا تزال إلا من رحم ربك تنظر بعين الرجل\(^1\).

كما أقامت مجلة الهلال — وهي من أشهر مجلات جمعيات القومية العربية — احتفالًا بالذكرى العشرين لوفاة الداعية الآخر لتحرير المرأة قاسم أمين\(^2\) الداعي إلى السفور ونبد الفضيلة.

وقالت المجلة عن قاسم أمين: المصلح الكبير صاحب كتابي (المراة الجديدة) وتُحرير المرأة)، ونقلت عن قاسم أمين في كتابه تحرير المرأة، قوله: يرى المطلع على ما أكتبه أي لست ممن يطماع في تحقيق آماله في وقت قريب لأن تحويل النفوذ إلى وجهة الكمال في شؤونها ما لا يسهل تحقيقه، وإذا ظهر أثر العاملين فيه ببطء شديد في أثناء حركته الحفيفة، وكل تغيير يحدث في أمة من الأسس وتدو مثمرًا في أحوالها ليس بالأمر البسيط وإنما هو مركب من ضروب من التغيير كثيرة تحصل بالتدرج في نفس كل واحد شيئًا فشيئًا... وقد طرأتُ

\(^1\) فناء الشرع في حضارة الغرب-محمد جميل بيهم-43-1371هـ.
\(^2\) مجلة الهلال-الجلد-8-السنة-36-بتاريخ: الاحتفال بالذكرى العشرين لوفاة قاسم أمين-بتاريخ 13\(^\circ\)/١٣٨٧/١-الموافق أول نوفمبر سنة ١٣٨٧-صب:٩٤-٢٩.

1. الاتهامات الوطنية في الأدب المعاصر-محمد حسن-١٩٣/١-٢٩ ومابعد.
2. قضية تحرير المرأة-محمد قطب.
بابًا من أبواق الإصلاح في أمتنا والتمسنت وجهًا من وجهه في قسم من أفراد الأمة له الأثر الطيب في مجموعتها (1).

وأيدهت مجلة (الهلال)، ما قدمه قاسم بن أحمد أمين في كتابه، وجاء في معرض تقويمها للردود الواردة على قاسم: كانت كتابات الحجابيين وأنصار القائم المقرب بأماني على التمسك برأيه والجراحة في إعلان ما ذهب إليه في كتابه الأول. فتناول أسئلة هؤلاء الخصوم وفحصها فحص قاض بارع خبير، فرأها في جانبه ومصلحته أكثر مما هي في جنبهم ومصلحتهم، فكان كتاب المرأة الجديدة خطام الدفاع في القضية الخطرة... وقد أبغ الذين ردوا على كتاب تحرير المرأة إلا أن بردوا على المرأة الجديدة، وجالت الأفكار في موضوع الحجاب وتعليم المرأة والطلاق وتعدد الزوجات، وهي المسائل التي خالف فيها قاسم في أحمد أمين جماعة الجامديين والعاملين على منع المرأة من التحوض والتقدم باسم الدين (2).

إن جميع ما ذكر من جهود أعضاء جمعيات القومية العربية في مجال الدعوة إلى تحرير المرأة، ونشر الكتب والكتبات في تأييدها، يرتبط بمواقفهم إزاء نصوص من الشرع تتحدث عن أحكام المرأة، وتتخذ منها أعضاء الجمعيات موقف الرد أو التردد أو التوقف والإعراض.

(1) امتنع: تحرير المرأة-قاسم أمين.
(2) مجلة الهلال-المجلد الثامن-السنة 36-عنوان: الاحتفال بالذكرى العشرين لوفاة قاسم أمين-947-948.
الرد على موقف الجمعيات القومية من الأحاديث:

أولاً: إن الأحاديث النبوية ثابتة في كتب الصحاح، وليس مسلم أن يعترض على حكم الرسول ﷺ بدليل قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنٍةٍ إِذا قَضَىَ الْقُضَىُّ ﷺ وَرُسُولُهُ ﷺ أَمَّرَ أن يُكَوِّنُ لَهُمْ أَحْيَاءٌ مِّنَ أَمْرِهِمْ﴾ (1) وهذا لا ينحصر في الأحاديث السابقة، بل في كل حديث ثبت عن رسول الله ﷺ، إذ يحذر من تفسير النص النبوي، ويعيده في القرآن (2). وعلينا العلم في أفكارنا وإدراكنا وتصوراتنا إذا خالفت السنة الصادقة.

ثانياً: قد يكون اتخاذ هذه المواقف من الأحاديث بعد أن فهم النص النبوي على أن فيه تقليل من شأن المرأة، وهذا خلاف لما يدل عليه النص النبوي، الذي جاء مبينًا حقيقة وصف طبيعة المرأة، وما يعتبرها مما هو من خصائصها. قالت عائشة في ذكر حجة مع رسول الله ﷺ (3): فلمَّا كَانَ بَلَغَ حَضْنًا فَدَخَلَ عَلَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكَيْ قَالَ مَا لَكَ أُنْفِسْتُ؟ قَلْتُ نَعْمَ قَالَ: إِنَّ هَذَا أُمُّ كَبِّيْهِ اللَّهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمٍ(4).

---

(1) سورة الأحزاب-رقم الآية(26).
(2) معلم السنن-المخططي-محمدي خان-سنن أبي داود-7/8.
(4) والنهائية في غريب الحديث والأثر(32/2).
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

فنقصان دينها - بترك الصلاة وقت الحيض - ليس عيبًا فيها، إنما هو
بيان عن العوارض الخلقية الطبيعية التي لا شأن للمرأة بها. وأن هذا النقص قد
يقع ضمنا لا تدفع(1).

وأي اعتراض عليها يكون اعتراضًا على خلق الله تعالى، (إن هذا أمر كتبه
اللَّهُ عَلَى بُنَاتِ آدمٍ) كالحيض والنفس اللذين يسقطان الصلاة ويؤخران
الصوم. فليس في هذا ما يعيب المرأة، ولو كان ذلك عيبًا لكان تأخير الصوم
بحق الرجل المريض أو المسافر أمرًا يعيبه كما ذلك(2).

وقد سألت امرأة عائشة رضي الله عنها: ما بال الحائض تَّقَضى الصُّوْمَ وَلا
تَّقَضَى الصَّلَاة؟ فقالت: أَخْرُوجِيَّةَ أَنتَ؟ قُلْتُ لَسْتُ بِخَرْجِيَّةٍ وَلَكِيْنَ أَسْأَلُ،
قَالَتْ: (كَانَ تُسِينَا ذُلُكَ فَوْمُرُ بِحَضْرَةِ الصُّوْمَ وَلَا تَوْمُرُ بِحَضْرَةِ الصَّلَاةِ)١.
فالذي أمرها بترك قضاء الصلاة هو الذي أخبر أن دينها ناقص.

وهو النقص الذي يعترف المرأة وهو من طبعة أنتها وخلقها، ويعتبر من
مقتضيات رسالة الأمم التي خلقه لها، ليس له أثر في تنفيذ أحد النوعين
على الآخر في مجال العمل الصالح والجزاء عليه، ولا فيقرب من الله أو بعد

(1) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد- ابن عباس- ابن عبدالم-326/2-المغرب-الأوقاف والشؤون
الإسلامية.
(2) المراة المسلمة بين اجتهادات الفقهاء وممارسات المسلمين- مروان القسي-150-195-111-المنظمة
الإسلامية للشريعة وللعلوم والثقافة- الرياض-المغرب-العربية الأول- 1418.
(3) صحيح مسلم- كتاب الحيض-باب جوهر قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة- رقم
المحدث(58).
عنة. فكل جزاءه، وكل ثوابه على ما عمل \( \text{ومين} \) يعمَّل من
الصَّلِحِيّاتِ من ذَكَرٍ أو أَمَّةٍ وَهُوَ مُؤِمٌ فَأَوَّلِيْكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُطَلُّمُونَ
تقُيرًا (1).

ثالثًا: إن بدأ التفضيل والتكريم يجب أن يكون فيما يتفق بين المُفاضِلَينهما، فليس من العدل أن يطعن في نصوص السنة بناء على المفاضلة بين الرجل والمرأة، وهما مختلفان مختلفان في الخصائص كما قال تعالى: \( \text{ومين} \) والذَّكَرُ كَالْأَنْثِيَةٌ وقال: \( \text{ومين} \) وأمّن يَبْتَغُوهَا في الْجَلِّيَةِ وَهُوَ في الْحَصَامِ غَيْرُ
مُبيِّنٍ (3).

وهذا يرجع اختلاف المرأة عن الرجل إلى عوامل ثلاثة:

1. إن خصائِص الأنوثة ومواهِبها كقانون الزوجية والأمومة وذكاء العاطفة ليست أسباباً للتكدس.

2. إن حظها من العقل الذي لم تبلغ به مبلغ الرجال، فصلى على قدر ما تفهم به نفسها وواجبها ومكان وظيفتها في الحياة.

3. ما يطرأ على قواها البدنية والنفسية والفكرية من ضعف بسبب عوارض الحيض والحمل والولادة (4).

(1) سورة النساء-رقم الآية (124).
(2) حقوق المرأة في الإسلام-محمد بن عبد الله عرفه-5-الطبعة الأولى-1398 هـ.
(3) سورة الزخرف-رقم الآية (18).
(4) المرأة المسلمة في وجه التحديات-أنور الجندي-1-1-دار الإفتاء-الطبعة الأولى-1399 هـ.
رابعًا: الأحاديث سابقة الذكر ما ذكر فيها انتقاص من المرأة، ولم تذكر لِيُقصِدَ بها الوصاع، والتحذير، كما يقول أعضاء جماعات القومية العربية، إلا أنها ذُكرت لدلالة سياق النص على الأمر والتوجيه بالاهتمام بالنساء، فقد بدأ النص بلفظ (استوصوا بالنساء) وحتم (استوصوا بالنساء).

وفهم هذا الأمر سلف الأمة حيث بوب البخاري لهذه الأحاديث وتترجم لها وقال: (باب الوصاع بالنساء) وقال (باب المداراة مع النساء، وقال النبي): (إِنِّي أَذَاعُ الرَّأْسَ كَالضَّلُّع) ففي هذه الأحاديث الندب إلى المداراة، لاستمالة النفس وتلائي القلوب. وفيها توجه إلى سياسة النساء بالufig على عوجاه، وأن من رام تقويمهن فإنه للانتفاع به، مع أنه لا غنى للإنسان عن امرأة يسكن إليها ويستعين بها على معاشه.  

فكون على ذلك المعنى من توجيه النبي: اقبلوا وصيفي فيه وعملوا بما وارفقوا شن وأحسنوا عشرون.

خامساً: وأما كون المرأة ناقصة عقل، فقد بين الرسول معنى هذا النقص بأن شهادة امرأتين بشهادة رجل واحد، وإذا بحثنا عن سبب جعل شهادة امرأتين بشهادة رجل، أدركنا أن ذلك يرجع إلى ما ركبه الله سبحانه وتعالى في طبيعة المرأة، فقد اقتضت حکمته البالغة أن تكون العاطفة في المرأة مرهفة، وأن يكون وجدانها أقوى مظاهر حيام النفسية، وذلك حتى يمكنها أداء أهم وظيفة من وظائفها، وهي وظيفة الحضانة والأمومة على خير وجه...وهذه

(1) فتح الباري-ابن حجر-163/9
(2) المصدر السابق-1/6/2424.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

صفة كمال في المرأة، وقد رغب الرسول ﷺ بنكاح الودود، وهي: المتوددة إلى زوجها (1)، فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إنى أصيبت امرأة ذات حسن، و كنت لا أئذى إلا أنها لا تلد فأكثرها فنهى ثم أنها الثانية فنهى ثم أنها الثالثة فنهى فقال: (تزوّجو الوُلُود الوُدود فإني مكاّر بكِم) (2).

وقد أخبر لنا العلماء الحكيم عن أمر الشهادة للمرأة، فقال: (وأَشْهَدُوا شهيدة من رجلين فَإِنَّمَا يَكُونَا رَجْلَيْنَ فَرَجْلٌ وأُرَادَانِ مَمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الأشهداء أن يُضَلِّل إِحْدَاهُمَا فَتَدْعَى إِحْدَاهُمَا الأَخَرَى) (3).

إن دلالة هذه الآية تبين أن النفاوات هنا في قضية الشهادة (الشهادة) لا علاقة له بالإنسانية، ولا بالكرامة، ولا بالأهلية، فما دامت المرأة إنساناً كالرجل، كريمة كالرجل، ذات أهلية كاملة لتحمل الالتزامات المالية كالرجل، لم يكن اشتراك اثنين مع رجل واحد إلا لأمر خارج عن كرامة المرأة واعتبارها واحترامها...

وقد قيلت الشريعة شهادة المرأة والدها فيما لا يطلع عليه غيرها، فقد قرؤوا أن شهادتها وحدها تقبل في إثبات الولادة، وفي الشهوة والبكارة، وفي العيوب الجنسية لدى المرأة (4).

---

(1) حقوق المرأة المسلمة في الإسلام- محمد بن عبدالله عرفة- 51.
(2) سنن النسائي- كتاب النكاح- باب كرامة تزووج اليعم- رقم الحديث (3175).
(3) سورة البقرة- رقم الآية (282).
(4) المرأة بين الفقه والقانون- مصطفى السباعي- 32- الكتب الإسلامي- بيروت- الطبعة السادسة- 1435 هـ.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

وقد ورد عن عقبة بن الجراح أنه تزوج أم يحيى بنت أبي إسحاق قال:
فنجاءت أمها سوداء، فقالت: قد أرضعتكمما، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأعرض، عني قائلًا: فتنجيتن، فذكرت ذلك له، قال: وكيف وقد زعمت أن قد أرضعتكمما فتهبها عنها؟

وقال السلف عن هذا الحديث: والعمل على هذا الحديث عند أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم أجازوا شهادة المرأة الواحدة في الرضاعة، وقد فرق عثمان بن عفان بين ناس تناكحوا بقول امرأة سوداء أقما أرضعتهم، وقال ابن عباس: (تنجز شهادة امرأة واحدة في الرضاعة ويؤخذ بمبندها).

وهناك العوارض الطبيعية التي تعرض للمرأة مثل الحمل والولادة والرضاعة. وقد سبقت أن أشرت إليها سابقا وهي ذات صلة باختلاف الطبيعة بين الجنسين. ومن الطبيعي أن تشغل هذه الوظائف جانبا من قوى البنية. وترك آثارا في قوى المرأة العقلية والنفسية، وسمى الله الحبيب أدى كما

(1) صحيح البخاري- كتاب الشهادات-باب شهادة الإيمان وألقيد- رقم الحديث 2465.

1. الإنسان ذلك الجهول- القسم كاريل-8- ترجمة شفيق سعيد- الطبعة الثالثة.
2. الحجاب- أم الباعث- المودوي-278-24-2.
قال: ﴿وَيَبْنِئُونَكَ عَنَّى الْمَجِيْضِ ﴿فَلَّٰ هُوَ أَذِىٰ فَأُعْتَزِلُوا آلِيُّسَاءٍ فِي الْمَجِيْضِ ﴿(١)﴾

سادسًا: أما قوله ﴿فِي الحدِيثِ أَن:﴾ (النساء أكثر أهل النار) فقال فيه أحد مؤسِّس الجمعيات بأنه (يأتي التسليمة بأن رسول الله قد أفرغ كوفن أكثر أهل النار) (٢). ففي هذا قول تقدم على قول رسول الله ﴿الذي لا ينطق عن الهوى﴾، وقد فهم العلماء أن هذا الحديث فيه الإغلاط في النص، بما يكون سببًا لإزالة الصفة التي تنبأ، حيث أن اللعن وكفر النعمة مما يظهر في أغلب النساء، وليس لأنهن نقصات عقل ودين، وقد رتب كوفن أكثر أهل النار لظهور ذلك عليهن، ولذا حظن بالدعوة إلى الصدقة (٣). كما في الحديث (يخرج رسول الله ﴿في أصحى، أو فطر، إلى المصلين، فمر على النساء، فقال: يا مغفرن النساء صدقن فإن أتيتكم أكثر أهل النار فقال ونم يا رسول الله قال تكنون اللعن وتكنون العشيرة) (٤).

ولو كانت الأحاديث السابقة تشير إلى نقصان في نِفْقَةِ دين وعقل المرأة لبادرت عائشة رضي الله عنها إلى الرد على رواية الأحاديث، والتي عرفت برضي الله عنِّها تفاوُقًا مختلفًا تنقد فيها بعض الصحابة، بناء على فهم منها، أو كان

(1) سورة البقرة-رقم الآية(٢٦٢).
(2) المرأة في القرآن والسنة-محمد عزة دوزرة-٤٦-٤٧.
(3) فتح الباري-٤٨٥/١ (بتصريف بيسير).
(4) صحيح البخاري-كتاب الحديث-باب تأكيد الحاكم الصوريم-رقم الحديث (١٩٣).
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

عندما في سنة بنيا، أو زيادة علم متقنة (1). فقد اعترضت حينما ذكر عندهما ما يُقطَعٌ الصلاة الكَلْبٌ والحمار والمرأة فقائلت: "شبَّهُمَا بالنَّمْضَجَة والكلاب والأَنْبئُهَا أَنَّهَا رَأْيَتُ النَّبِيِّ ﷺ يَصُلِّي وَإِنِّي عَلَى السَّرَّيْر بِيْنَهُ بين القبلة مصطلحة فَتَبَدَّلَ لي الحاجة فأُكَرِّهُ أن أَجَلُسُ فأوْدِي النَّبِيِّ ﷺ فأنسْلُ من عنده رجله (2).

(1) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة- بدر الدين الزركشي- 27- الكتب الإسلامية.

(2) صحيح البخاري- كتاب الصلاة- باب من قال لا يقطع الصلاة شيء- رقم الحديث (484).
المبحث الثالث
موقع جمعيات القومية من الإجماع

المصدر الثالث من مصادر التشريع الإسلامي هو: الإجماع، وهو الأصل الطليخ في العلم والدين (1). وما يهمنا في هذا المبحث هو الوقوف على الإجماع من حيث كونه حجة شرعيّة، ثابت بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وفي هذا المبحث سترد بعض مواقف جمعيات القومية العربية تجاه الإجماع.

من النصوص الدالة على حجية الإجماع قوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَمَن يُشاقِقُ الرسُولَ مِنَ الْمُتَّقِينَ مَثَلَهُ مَا تَبْنِئَهُ اللَّهُ فَلْيُتَّبِعُّوا غَيْرَ سَبِيلِ المُؤْمِنِينَ تَوْلِيَهُ وَنَصِيبُهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتَ مَصِيرًا ﴾ (2). ونص العلماء على أنّه دليل من أدلّة صحة الإجماع (3).

(1) فتاوى سيّد الإسلام- ابن نعيمة-157/3. وللمنوع في بحث الإجماع انظر كتب أصول الفقه، مثل:
   1. الإحكام-الأمدي-150/1.
   2. روضة الناصر-ابن قدامه.
   3. المنهج في أصول الفقه-أبو الخطاب الكلوذاني الحنفي.
(2) سورة النساء-رقم الآية(51).
(3) جامع أحكام القرآن-القرطبي-386/5.
فقد جمع الله بين مشاقة الرسول ﷺ وبين خلافة سبل المؤمنين في الوعيد، فله كأن اتباع غير سبل المؤمنين مباحاً لما جمع بينه وبين الخروع، ومتابعة غير سبلهم تقع بمخالفة أقوالهم أو أفعالهم(1) واتباع منهجاً غير منهجهم(2).

ومن النصوص أيضاً: قوله تعالى في وصف أمة محمد ﷺ، "وَكَذَلِكَ جَعَلْتُكُمْ أَمَّةً وَسَطًا لِتَسْتَحْزَأُوا شِهٰدَةً عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا (3)." وورد تفسير النبي ﷺ لهذه الآية في حديث أبي سعيد ﭼ، قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: (بِجَيْهُ نُوحٌ وَأَمْثَلٌ، فَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: هُلْ بَلَغَتَهُ؟ فَقَالُوا: نَعْمَ آيٌ رَبَّيٌ، فَقُولُوا: لَمَّا هُلْ بَلَغَهُ؟ فَقُولُوا: لَا، مَا جَاءَنَا مِنِّي، فَقُولُوا لَوْحٌ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ، فَقُولُوا: مَحْمَدُ ﷺ وَأَمْثَلُهُ، فَتَشْهَدُ أَنْهُ قَدْ بَلَغَ وَهُوَ فَوْلُهُ جَلْدٌ ذِكْرَةً، فَوَكَذَلِكَ جَعَلْتُكُمْ أَمَّةً وَسَطًا لِتَسْتَحْزَأُوا شِهٰدَةً عَلَى النَّاسِ (4) وَالْوُسطُ العَدُلِّ (5).

قال شرأح الحديث عن وصف الرسول ﷺ الأمة بألفا (وسط): إن مقتضى الأمر بلزوم الجمعية أنه يلزم المكلف متابعة ما أجمع عليه المجتهدون، وهم المراد بقول البخاري: (وهم أهل العلم)، والآية التي ترجح بها، احتج بما أهل الأصول.

---

(1) الرسالة-الشافعي-871.
(2) تفسير الطبري-5277.
(3) سورة البقرة-رقم الآية (143).
(4) صحيح البخاري-كتاب الأنبئاء-باب قول الله تعالى (إذَا أرسلنا نوحًا إلى فوهم) رقم الحديث (209)
(5)
لكون الإجماع حجة لأهم عدلوا بقوله تعالى: "فَجَعَلْنَكُمْ أُمَّةً وَسَطًا"، أي: عدولاً، ومقتضى ذلك أهم عُصموا من الخطأ فيما أجمعوا عليه قولاً وفعلاً.

وقد جعلهم الله شهداء، ولم يشهدوا ببطلان تركية الله هم، فإذا شهدوا أن الله أمر بشيء فقد أمر به، وإذا شهدوا أن الله هوى عن شيء فقد هوى عنه.

وأما دليل حجة الإجماع من السنة، فجميع النصوص التي تنص على لزوم الجماعة فيها دليل على حجية الإجماع، كقول الرسول ﷺ (بِنَصَرِ اللَّهِ امْرَأَةٌ سَمَعَ مَقَالَتَيْهِ، فَبَلَغَهَا، فَرَبَّ حَامِلَ فَقْهَهُ، غَيْرَ فَقِيهٍ، وَرَبَّ حَامِلَ فِهِ إِلَى مِنْ هَوٍّ أَفْقَهَ مَنْةَ سَلَاتٍ لَا يُفْلِعُ عَلَيْهِنَّ قَلِبٌ أَمْرَى مُسْلِمٍ إِخْلاَصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالْنُّصْحُ لَأَمْهَةِ المُسْلِمَيْنِ، وَلُزْوَمُ جَمَاعَتِهِمْ).

وكقول عمر حينما خطب الناس بالجبية، فقال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ فِي كَمْقَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِنَّا قُلْنَا (أُوصِيْكُمْ بِالصَّدَقَةِ، ثُمَّ لَدَنِي يَلْتَوْنُهُمْ، ثُمَّ اللَّدَنِي يَلْتَوْنُهُمْ ...). - إلى قوله-: (عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ...)

(1) فتح الباري-ابن حجر-1679/1269.
(2) مجموع فتاوى ابن تيمية-1671/1976.
(3) أخرجه ابن ماجة-المقدمة- رقم الحديث226. وانظر: 1- مسند الإمام أحمد-183/5.
(4) سنة الدارمي-المقدمة- رقم الحديث126.
(5) المستدرك-الحاكم-87/87- كتاب العلم، وصحيحه ووافقه الجاهلي.
(6) الجلالة: بكسر البناء، وياء مخففة، وأصله في اللغة الحوض الذي يجيء فيه الماء للإبل، وهي قسية مسن أعمال دمشق ثم من عمل الجيلود من ناحية الجولان قرب مرجع الصفر في شمالي حوران. انظر: معجم البلدان-يققوت الجموي-حرف الجيم).
والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ..(1).

وبدلالة هذه النصوص كان الإجماع مما هو متفق عليه بين عامة المسلمين في الجملة(2)، ولهذا لم يزل الصحابة والتابعون ومن بعدهم يستدلون بهذه النصوص على إثبات الإجماع(3) ومن ذلك ما أوردته البخاري في صحيحه في باب قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴿. ومَا أمر النبي ﷺ بلزم الجماعة؛ وهم أهل العلم(4).

وعن خطبة عمر رضي الله عنه قال الشافعي عن لزوم جماعة المسلمين، ويقول بقولهم: (ومن قال مما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم، ومن خالف ما تقول به جماعة المسلمين فقد خالف جماعتهم إلى أمر بلزمهم)(5).

(1) أخرجه الترمذي-كتاب الفتن-باب ما جاء في لزوم الجماعة-رقم الحديث (165). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح عن بني ساعدة. وانظر: مسند الإمام أحمد-97/1-98.

2. سنن ابن ماجة-كتاب الأحكام-رقم الحديث (1253).


(2) جماعة طاوة ابن تيمية-1461/11.

(3) انظر: المستصفى-الغرابي-175/16-176.

(4) صحيح البخاري-كتاب الاعتصام بالكتاب.

(5) الرسالة-الشافعي-476-477.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

وبعد بيان حجة الإجماع من الكتاب والسنة، واتفاق العلماء على وجوهه، يمكننا الآن عرض ومناقشة القضايا التي خالف فيها أعضاء الجمعيات القومية الإجماع، وهي كما يلي:

1- قبول شهادة المرأة في الحدود والدماء.
2- إنكار حد الرجم للزاني المحصن.

المطلب الأول: قبول شهادة النساء في الحدود وغيرها:

قال محمد عزة دروزة: (إن الجمهور حصر حق الشهادة في الحدود خاصة في الرجال، ولم نطلع في صدد ذلك على حديث نبوي وثيق).

وقد عقد أعضاء الجمعيات القومية العربية مؤثراً قومياً، مناقشة ما يسمونه بحقوق المرأة، والحقيقة هي الاعتراف على أحكام الشريعة وتأثير الشبهات والمطاعن في دين الله لرعاعة ثقة النفس به حتى يتقبل الناس تحكيم المبادئ العلمانية.

كما نادى أعضاء المؤتمر مساواة شهادة المرأة بشهادة الرجل في الحدود والدماء. قالوا: لقد أعطى للمرأة المعاصرة أن تتعلم، كما يجعل الرجل، وأن ترافق التطور في الحياة مراقبة تامة، فتحيط بصغائر الأمور وكبائرها، وهي إلى ذلك

(1) المرأة في القرآن والسنة- محمد عزة دروزة-128-129، وانظر: الدستور القرآني في شؤون الحياة-محمد عزة دروزة-175.
قد اعتمدتم على نفسها، وقد عرفت مكانتها الخاصة، فهل بوسها من بعد أن
ترضى بأن تبقى ناقصة في نظر المحاكم، وليس لشئ إلا أنها خلت أشي(1).
لا مجال هنا لإيراد أقوال وخلافات الفقهاء في مسألة الشهادة، وإنما الغرض
بيان موقف جمعيات القومية العربية من الإجماع وما نماثته في النقطة التالية:

إجماع العلماء على عدم قبول شهادة المرأة في الحدود والدماء:
ذكر علماء الحديث بعض أقوال السلف من الصحابة والتابعين تفيد عدم
قبول شهادة المرأة في الحدود والدماء، فمن ذلك:
1. ورد أثر عن عمر (1)، قال فيه: (لا تجوز شهادة النساء في الطلاق
والنكاف وحدود الدماء)(2).
2. ورد عن علي بن أبي طالب (2) قوله: (لا تجوز شهادة النساء في الحدود
والدماء)(3).
3. وقال الحسن: (لا تجوز شهادة النساء في الحدود)(4).
4. ومثله نقل الزهري: (مضت السنة من رسول الله والخلفتين بعد أن لا
قبول شهادة النساء في الحدود)(5).

References:
(1) كتاب الشهادات.
(2) كتاب الشهادات.
(3) المصدر السابق.
(4) مصنف عبد الرزاق.
(5) المصدر السابق.

(1) كتاب الشهادات.
(2) كتاب الشهادات.
(3) المصدر السابق.
(4) مصنف عبد الرزاق.
(5) المصدر السابق.
5. ومثل قول الحسن قال الشعبي: (لا تجوز شهادة امرأة في حد).

6. ونقل عن الضحاك قوله: (لا تجوز شهادة النساء في حد ولا دم).

فهذه الروايات عن الصحابة والتابعين، التي نقلها علماء الحديث في كتبهم توضح مدى معارضة منهج جماعات القومية للإجماع، في قبول شهادة المرأة في الحدود والدماء.

واستنادًا إلى الروايات السابقة فقد أجمع جمهور العلماء على عدم قبول شهادة النساء في الحدود، وبعد أن نقل المروزي اختلاف الفقهاء في شهادة النساء، قال: (أجمعوا أنه لا تجوز شهاداتن في الحدود).

كما نقل الإجماع ابن المنذر، بقوله: (وأجمعوا على أن شهادة النساء جائزة مع الرجال في الأموال). وأجمعوا على أن شهاداتن لا تقبل في الحدود.

(1) مصدر سابق- 10/9- كتاب الحدود-باب في شهادة النساء.
(2) مصدر سابق- 11/1- كتاب الحدود-باب في شهادة النساء، ملاحظ: نصب الراية-الزليبي-79/4- كتاب الشهادات.
(3) المصدر- 18/9- المغني- ابن قدامة.
(4) اختلاف العلماء- المروزي- باب الشهادات- 284-283- عالم الكتب- بيروت- الطبعة الثانية.
(5) الإجماع- ابن المنذر- 78- دار طبيبة- الرياض- الطبعة الأولى.
وأما قاله الفقهاء في عدم قبول شهادة النساء في الحدود: إن المسلمين اتفقوا على أنه لا يثبت الزن بأقل من أربعة عدول ذكور، واتفقوا على أنه تثبت جميع الحقوق ما عدا الزن في شاهدين عدلين ذكور، واتفقوا على أنه تثبت الأموالشاهد عدل ذكر وأمرأة لهما تعالي: "فإن لم يكُنَا رجلاً فرجل وآمنان ممّن ترضوا من الشهدين" (1) واختلفوا في قبولهن في الحدود، فلذا عليه الجمهور أنه لا تقبل شهادة النساء في الحدود إلا مع رجل ولا مفردات (2).

فاللهوم من قوله تعالى: "فإن لم يكُنَا رجلاً فرجل وآمنان ممّن ترضوا من الشهدين" الآية، أن شهادة المرأة موضع شبه، وهذا تحتاج إلى من يذكرها، وذلك لضعف الضبط والأداء عند المرأة فيما ليس من أهلتها (3).

وقال الفقهاء أيضاً: إن معنى (منكم) في قوله تعالى: "فإن أنت تأتي بفحشة من يسآياكم فاستشهدوا عليهن أربعة من منحكم" (4) فاستشهدوا عليهن ما أتين من الفاحشة أربعة رجال من رجالكم، يعني من المسلمين (5).

---

(1) سورة البقرة-رقم الآية (282).
(2) بداية المجاهد وغاية المقصد-ابن رشد-1029-1031. وانظر عن هذه المسألة:
1. المقدمة-شرح بداية المجاهد-المريخي-139.1, 113, 132.1.
3. مغني المختار-محمد الشربيني-1441-دار الفكر.
4. المغني-ابن عامر-143/1-مكتبة الرياض-المفاوضات-الشاطي-146.
(4) سورة النساء-رقم الآية (15).
(5) تفسير الطبري-296-3-296-3. وانظر:
1. تفسير ابن كثير-2006/4.
2. تفسير فتح القدر-الшуكاني-438/1.
3. أضواء البيان-الشنيطي-15/1.
4. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام النان-عبد الرحمن السعدي-27/37.
ف تكون (منكم) هم الشهود الذكور، وهذا لا خلاف فيه بعنه الأمة (1)، ولنقل هذا الاتفاق الشنقيطي، الذي قال: (أجمع العلماء على أن بيئة الزن لا يقبل فيها أقل من أربعة عدول ذكور، فإن شهد ثلاثة عدول، لم تقبل شهادتهم وحدوا، لأهم قدفة كاذبون، لأن الله تعالى يقول: "وَالنَّاسِينَ يَرْمُونَ الْمَحْصُونَ بِمَثْلِهِمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةٍ شَهَادَةَ فَآتَيْنَاهُمُ الْفَلَةَ" (2). ويقول جل وعلا: "وَأَلْقَى بِالْفِسْحَا مِن نَّاسِكُمْ أَثْبَتْنَاهُمْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مَّنْصُوبَةً" (3)) وكانوا الآثرين المذكورين صريحة في أن الشهود في الزن، لا يجوز أن يكونوا أقل من أربعة (3).

يظهر من موقف الجمعيات القومية العربية المطالبة بقبول شهادة المرأة في الدماء والحدود، تأثير المبادئ الماسوية، والتي منها: المساواة؛ فم قضاطيات المساواة، مساواة المرأة بالرجل في جميع مทาน الحياة (4).

وليس المراد هنا ذكر موقف جمعيات القومية العربية من قضايا المرأة إذ سبقت الإشارة إليه في مبحث موقف الجمعيات من السنة، وإنما غرفة للتأكيد على أن مواقفهم من قبول شهادة المرأة في جميع القضايا كان من آثار الفكر الماسوي، حيث جاءت هذه المطالبة ضمن مطالب أخرى كقول محمد عزة (5).

(1) الجامع لأحكام القرآن-الترطبي، 8/44، وانظر: رسالة ولاية المرأة في الفقه الإسلامي-فؤاد العبدالكريم، 1411-رسالة علمية مقدمة لقياس الدراسات الإسلامية بكلية التربية بجامعة الملك سعود، (لم تطبع).
(2) سورة البقرة-رقم الآية (4).
(3) أضواء البيان-الشنقيطي، 14/6.
(4) انظر: مذاهب فكرية معاصرة-محمد قطب، 123 وما بعدها من الصفحات.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

دروزة: (إن الشريعة قررت للمسلمة أسوة بالمسلم الأهلية التامة والحق الكامل في مختلف التصرفات المدنية. وإن كل هذا يتضمن إقراض مشاركة المسلمة للمسلم في كيان الدولة والمجتمع سواء بسماء. ويعلم لها بالتالي الحق (مثلاً) في النشاط السياسي والاجتماعي على مختلف أشكاله وأنواعه.. وكذلك الحياة النيابية وغير النيابية مما يتصلك بمشكلة الشعب ووضع النظام والقوانين التي تمس للجميع والإشراف على الشؤون العامة التي تتصل بمصلحة المجتمع، والجهود والحركة والدعوات والتنظيمات الوطنية والكافحة الاجتماعية والإصلاحات المناهضة.. مثل الرجل دون أي نقص. ينبغي أن يكون له الحق في ممارسة كل نشاط وسعي يمارسه الرجل والاستمتاع بالحقوق والمباديات والحقوق المشروعة التي يتمتع بها الرجل في مجالات الحياة العامة والخاصة سواء بسماء).

وعمل عدم مشاركة المرأة في القرون الإسلامية الأولى - في شؤون الدولة على نطاق واسع - بسبب من هذا إلى طبيعة الحياة الاجتماعية آنذاك (1).

وغـنـهـ هذه البداية، كتب منصور فهمي (2) أحد أعضاء الجمعيات القومية - أطروحة لنيل درجة الدكتوراه، في فرنسا، بعنوان: (حالة المرأة في التقاليد الإسلامية وتطوراتها) أشرف عليها المستشرق اليهودي (ليفي بريل).

(1) المـرأـة في القـرآن والسنـة-مـحمد عـزة دـروزة-44. وانظر: المرأة في التاريخ والشريعة-محمـد جمعـه،
(2) الدـستور القـرآنـي في شـؤون الحياة-مـحمد عـزة دـروزة-82-إحـياء الكتب العربية-1376 هـ ( tứcـرف).
(3) انظر الترجمة رقم (17).
لإظهار المؤثرات السعيدة التي أثرت على تفكيرنا العلمي فقد ودت مسلمًا، وقضيت شبابي في وسط إسلامي ثم رحلت إلى باريس وحصلت العلوم بإرشاد ورعاية العلامة (ليفي بيريل) وقد نشرت هذه الأطروحة بالفرنسية في باريس عام 1913، ونشأ حولها نزاع فكري(1).

وقد بالذكر أن محمد جميل بيهم وهو أحد مؤسسي الجمعيات القومية العربية يذكر أن رئيسة الاتحاد النسائي الدولي أثناء زيارته بلاد الشام سنة (1352هـ-1934م) قالت له: إنك لاستغرب كيف بوجز لكم إطلاق اسم الديمقراطية أو الجمهورية على البلدان التي لا يتمتع نساؤها حق الاقتراع. إن ديمقراطكم ناقصة، وستظل جمهوريكم مجرد تسمية إلى أن يتمتع الجنسان في الحقوق السياسية ويعملان معاً في سبيل الإنسانية.

عقب بيهم معقباً على كلامها قائلًا: القوانين المدنية المرعبة هي من وضع الرجل، وقد دعم فيها سيادته خلال العصور المظلمة، أما الآن ونحن في عصر النور. فهل غمة مسوم يبقى هذا الإجحاف قائمًا. وبخصوص أن دعائم الحكومات الدستورية على الحرية والمساواة والعدالة. فأين الحرية إذا ظلنا نحرم المرأة حق إبداء رأيها؟ وأين المساواة إذا ثابنا على الاستفتاء بامتيازات نقص أنفسنا بها دون المرأة(2).

(1) المعارك الأدبية في مصر-أنور الجندي-269-مكتبة الأفق المدنية-1983.
(2) فتاة الشرق في حضارة الغرب-محمد جميل بيهم-83.
المطلب الثاني: إنكار حد الرجم للنزائي المحصن.

والمثال الآخر—the who has been excluded from the community’s cultural norms for the purpose of marriage—is the case of rejection of divorce. In the case of the man who has been excluded, the hadith states: "If you divorce your wife, she is not divorced until she is divorced by a man other than you, even if he is a minor who is being held in prison until he is old enough to marry. And if she is already excluded from marriage, then she is not considered divorced until she is divorced by a non-excluded man who is old enough to marry."

(1) سورة النور-رفع الآية(2).

(2) آية الرجم من الآيات المنسوبة تلاوياً والثانية حكماً وقد روت كتب السنة أحاديث نسبيها، مثلاً قول عمر: (وَقَدَّرَ قَرْنَانِهَا "الشَّهِيْدُ وَالشَّيْخُ إِذَا زَيْتًا فَأَجَّلُوهُما الْبَيْحَةُ " رَجُمُ رَسُولِ اللَّهِ ﴿وَرَجَحْنَا بَعْدَهُ). سنن ابن ماجة-كتاب الحدود-باب الرجم-حكم الحديث(254). وقال زيد بن ثابت: (أَشَهِدَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْحَةِ وَهُمْ أَشْهَدُونَ بِالْشَّيْخِ وَالشَّهِيْدَ إِذَا زَيْتًا فَأَجَّلُوهُما الْبَيْحَة). سنن الدارمي-كتاب الحدود-باب في حد الحسينين بالزناد-حكم الحديث(262). وعند زر قال: (كَانَوْا تَقَوََّمُوا عَلَى نَفْسِهِمْ وَكَانُوا يَعْلَمُونَ هُمْ أَشْهَدُونَ بِالْشَّيْخِ وَالشَّهِيْدَ إِذَا زَيْتًا فَأَجَّلُوهُما الْبَيْحَةُ). رواه البخاري-اتهم البخاري-188/8 وصححه الحاكم وأقره الذهبي. المستدرك-4/359.

وأما أهل البدع فأخذهم ينكرون الرجم ويدفعون، ولا يقول به في شيء من الرنا نبيًا ولا غير نبيٍّ.

كما ثبت حدد رجم المحصن نصًا في السنة النبوية، وهي مصادر التشريع، وقد قرر علماء الأصول أن من أقسام منزلة السنة من القرآن زيادة السنة على ما في الكتاب من أحكام.

ومن هذه النصوص قول الرسول: (لا يحلُّ ذِمّ أمير مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنبي رسل الله إلا بإخْرَدَ ثلاث نفسه بالنفس والطيب الزاني والمحارق من الذين التأكد للجماعة).

ومنها أيضًا: حديث عبادة بن الصامت، قال كان نبي الله إذا أنزل عليه كرب لدلك وترتب له وجهه، قال فأنزل عليه ذات يوم فلقي كذلك، فلمَّا سرَّى علينا قال: (خذوا عني فقد جعل الله لهن سبيلاً الطيب بالطيب والثكير بالثكير الطيب جلده مائة ثم رجم بالحجارة والثكير جلده مائة ثم فنيه سنة).

(1) عن الإجماع، انظر:
1. موطأ الإمام مالك-كتاب الحدود-باب ما جاء في الرجم.
2. الأم-الشافعي-٨/٥٤.
3. صحيح البخاري-كتاب الحدود-باب رجم المحرض.
4. التمهيد لما في الموطأ من المعاني-الأسانيدي-ابن عبد الرزاق-٥/٧٨-٧٩.
5. معرفة السنن والآثار-البيهقي-١٠/٢٧٦.
(2) انظر: المواقف في أصول الشريعة-الشافعي-٤٤-٥٤.
(3) صحيح البخاري-كتاب اليديات-رقم الحديث (١٣٧٠).
(4) صحيح مسلم-كتاب الحدود-باب-رقم الحديث (٣٢٠). قال ابن عباس: (لهن سبيلاً) يعني الرجم للطيب والثكير للثكير. ينظر: صحيح البخاري-كتاب تفسير القرآن-تفسير سورة النساء.
وروي في حد الرجم حديث أبي هريرة، قال: كنت نحن النبي شهِّد، فقال رجل، فقال: أنشد الله إلا قضيت بيني كتاب الله، فقام خصمته، وكان脂肪 منه، فقال: قضيت بيني كتاب الله، وأذن لي، قال: قل، قال: إن النبي كان عسيفا على هذا فرنتي بامرئيه، فافتديت منه ب yansه شاة وخدم، ثم سألت رجالاً من أهل العلم، فأحبوني أن على النبي جلد مائة، وتعريغ عام وعلى أمراه الرجم، فقال النبي: (والذي نفسى بهد لأصحاب بينكم كتاب الله جل ذكره، المائة شاة والخدم رد عليه، وعلى ابنه جلد مائة، وتعريغ عام، واغد يا أئسة وعلى امرأه هذا، فإن اعترفت، فارجمها، فعدا عليها فاعترفت، فركمتها). (1)

ففي هذه الرواية الصحيحة أخبر الرجل الرسول، بأن بعض أهل العلم أفستوه بأن على المرأة المحصنة الرجم، فيفهم من هذا التفسير أن الرجم كان عندهم حكما ثابتاً، ولكنهم لم يكونوا يعلمون كيفية وجوهه على التفصيل.

كما روى عبد الله بن بريدة، عن أبيه، أن ماعز بن مالك الأسلمي أتي رسول الله فقال: يا رسول الله إن قدمت مسجدا، ورست، وأتي أريد أن تظهر، فقد، فلما كان من النعد أثناه، فقال: يا رسول الله إن قدمت رست، فردها الثانية، فأرسل رسول الله إلى قومه، فقال: أنعلمون بعقله بأيسا؟

(1) صحيح البخاري-كتاب الحدود-باب الاعتراف بالرذآء-رقم الحديث (1326). والعليمي: الأجر

تُكنَّون منّهُ شيءًا؟ فقالوا: ما تَعلَّمنِهُ إلا وَفِي الْعَقْلِ، مِنْ صَالِحِيْنًا فِيّما نُرِى، فَأَنَّهُ النَّاسُ، فَأَرَسَلُ إِلَيْهِمْ أَيضاً، فَسَأَلُ عَنْهُ فَأَحْرُوَهُ أَنَّهُ لا بَأْسُ بِهِ، وَلَا بَعْقُلُهُ، فَلَمّا كَانَ الْعَرَبِيّةُ، حَنَّى لَهُ حَنَّاءُ، ثُمَّ أُمَّرَ بِهِ فَرَجُمَ، قَالَ فَقَالَ مَنْ رَجُلٌ يَأْمُرَ مَا يَأْمُرُ وَهُوَ يَأْمُرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولُ اللَّهِ قَدْ زَيَتَتْ فَطَهْرِيّهِ، فَأَنَا رَدَّهَا، فَلَمّا كَانَ الْغَدُّ قَالُتُ: يَا رَسُولُ اللَّهِ لَمْ تُرْدُّنِي، لَعَلَّكَ أَنْ تُرْدُّنِي كَمَا رَدَّنِي مَا زَادَتْ مَا زَادَتْ، فَوَأَلْحَنِينَّ لَيْيَ لِحَلَّيْنِ، قَالَ: إِذَا لَا فَأْذَمُّكَ حَتَّى تَلْدَي، فَلَمّا وَلَدْتُ أُنَّثِيّ بِالْحَسَنِيّ، فِي خَرَفَةٍ، قَالَ: هَذَا قَدْ وَلَدْتُهُ، قَالَ: أَذْهَبْيْنَ فَأَرْضَعْيْهُ، حَتِّى فَقُطَطَهُ، فَلَمّا فَقُطَطَهُ، فَأَنْثُيّ بِالْحَسَنِيّ فِي يَدِهِ كَسْرَةَ خَيْرٍ، فَقَالَتْ: هَذَا يَا بُيُوتُ اللَّهِ قَدْ فَقُطَطَهُ، وَقَدْ أُكِلَ الطَّعَامُ فَدَخَّلَ الصَّبَّيْنِ إِلَى رَجَلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ أُمَّرَ بِهِ فَحَجَرُ لَهَا إِلَى صُدُورِهَا، وَأَمَّرَ النَّاسِ فَرَجَحْوَهَا، فَقَبَلَ خَالِدٌ بْنِ الْوَلِيدَ بِحَجَرٍ فَرَجَحَهُ فَسُجِّدَهَا فَتَصَبَّحَ الدُّمُ عَلَى وَجْهِهَا، فَقَالَ: مَهِلَّا يَا خَالِدُ وَقَالَ الَّذِي تَنْفَسُ يَبْيُداً، لَقَدْ نَافَتْ نَفَاتٌ لَّيْيَ لِحَلَّيْنِ، ثُمَّ أُمَّرَ بِهَا فَأَضَلَّ عَلَيْهَا وَدُفِّتْۚ(۱). وَتَنَاَلُ الصَّحَابَةِ هَذَا الْحَدِيثُ، قَالُ عُمَّرُ: (لَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ زَادَ عَمَّرُ فِي كِتَابِ اللَّهِ لَكُتِبَ آيَةٌ الرَّجُمِ يَبْيِدُ وَأَقْرَرَ مَا عَلَّمَ الْبَيْتُ بِالزَّنَبِ أَرِبَاعًا فَأَمَّرَ بِرَجُمُهُۚ(۲).}

(۱) صحيح مسلم-كتاب الحدود-باب مِنْ أعْرَفَ عَلَيْهِ نَفْسِهِ يَالِزَزِي-رقم الحديث (۸۲۸۲).
وروي الإمام البخاري في صحيحه، أن عمر بن الخطاب قال: (لقد حشيت أن يطول بالناس زمانًا حتى يقول قائل: لا تجد الرجل في كتاب الله فيضلاً بترك فيضته أنزلها الله، ألا وإن الرجل حق على من زنى وقد أحصن إذا قامت البيئة، أو كان الحبل أو الاكراف).

وجمع عمر بن الخطاب، أهل الفقه وأشراف الناس بعد حجته، جمعهم في المدينة، وكان مما قال هو على المنبر أمام الجمع المبارك: (أما بعد قل فافتراء قائل لكم مقالة، قد قرر لي أن أقولها، لا أذري لعلها بين يدي أهلها، فمن عقلكها ووعاهام فليحدث بهما حيث انتهت به راحلته، ومن حشيت أن لا يعملها، فلا أجل لأحد أن يكذب علي، إن الله بعث محمدًا بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان ممأ أنزل الله آية الرجل، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، رجح رسول الله ﷺ، ورحمتنا بعده، فأقصى إنا طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما تجد آية الرجل في كتاب الله، فضلاً بترك فيضته أنزلها الله، والرجل في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البيئة، أو كان الحبل، أو الاكراف، ثم إذا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله أن لا ترعىوا عن آبائكم، فإنه كفر بكم أن ترعوا عن آبائكم، أو إن كفر بكم أن ترعوا عن آبائكم).

---
(1) صحيح البخاري- كتاب الحدود-باب الاكراف بالزينة- رقم الحديث (1326). وانظر:
موطأ الإمام مالك- كتاب الحدود- باب ما جاء في الرجل- رقم الحديث (195).
(2) صحيح البخاري- كتاب الحدود- باب رجم الجاني من الزنا إذا أحصن- رقم الحديث (1328).
والم يعترض أحد من الصحابة عليه، على قول عمر وعستناله بآية الرجم.
وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالأخذ عن الخلفاء الراشدين وعمر بن الخطاب منهم، ومن جمعهم عمر هم أهل الفضل والعلم والفقه ولم يذكر أحدهم خلافًا في هذا الأمر.
وتناقل علماء الأمة هذا الحكم كقول مالك بن أنس رحمه الله: (إني رأي وقذ أحسن رجم).
وقال الشافعي رحمه الله: (دليل حد الشيب الزاني، في كتاب الله ثم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم فعل عمر تأخذ في هذا كله).
وقال ابن عبد البكير، بعد أن ذكر آية الرجم: (فهذا مما نسخ ورفع خطبه من المصحف، وحكمه باق في الشيب من الزنا إلى يوم القيامة إن شاء الله عند أهل السنة).
إن في النصوص السابقة من أحاديث الرسول والآثار الثابتة عن أصحاب النبي وأقوال علماء الأمة، بدأ على ما ذكره عزة دروزة، في حق حد الرجم، والمنهج الذي اتخذه الجمعيات القومية العربية من إنكار حد الرجم للمحسن هو الذي حذر منه عمر بن الخطاب بقوله: (إن الرجم حق فلا تخدعون

(1) موطأ الإمام مالك-كتاب الأفضية.
(2) الإمام الشافعي-6/415-دار المعرفة-بيروت-لبنان-الطبعة الثانية-1393هـ-وأنظر:
عـ، وإن آية ذلك أن رسول الله ﷺ، قد رجح وأن أبا بكر قد رجح، وإننا قد
رجحنا بعدهما، وسيكون قوم من هذه الأمة يكذبون بالرجم. (1)

وقال أحمد البنا: المعنى أنه يظهر قوم من بعد عصر الصحابة يكذبون بهذه
الأمور، وقد وقع ما أخبر به عمر رضي الله عنه، وبعضه باق إلى عصرنا هذا
نعود بالله من الريغ والزلزل، ونسألله لنا وفهم الهدية إلى الحق وخير العمل. (2)

(1) المصدر السابق 98/25-12/12-3/953.
(2) الفتح الرباني-أحمد البنا-16/82-دار إحياء التراث العربي-بيروت-لبنان.
<table>
<thead>
<tr>
<th>الموضوع</th>
<th>الصفحة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>المقدمة</td>
<td>7</td>
</tr>
<tr>
<td>خطة البحث</td>
<td>15</td>
</tr>
<tr>
<td>الدراسات حول موضوع الجمعيات القومية العربية</td>
<td>23</td>
</tr>
<tr>
<td>الحالة العقدية للأمة الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري</td>
<td>33</td>
</tr>
<tr>
<td>الباب الأول: التعريف بالجمعيات القومية وأبرز رجاليها ومبادئها</td>
<td>47</td>
</tr>
<tr>
<td>الفصل الأول: التعريف بالجمعيات القومية</td>
<td>49</td>
</tr>
<tr>
<td>المبحث الأول: الجمعيات القومية خلال المشروطة الأولى</td>
<td>60</td>
</tr>
<tr>
<td>الجغرافية العلمية السوریة</td>
<td>66</td>
</tr>
<tr>
<td>جمیعة بيروت السریة</td>
<td>68</td>
</tr>
<tr>
<td>رابطة الوطن العربي</td>
<td>75</td>
</tr>
<tr>
<td>المبحث الثاني: الجمعيات القومية خلال المشروطة الثانية</td>
<td>82</td>
</tr>
<tr>
<td>جمیعة الإخاء العربي العثمانی</td>
<td>83</td>
</tr>
<tr>
<td>جمیعة المندی الآدی</td>
<td>89</td>
</tr>
<tr>
<td>الجمعیة الفتحیة</td>
<td>96</td>
</tr>
<tr>
<td>الجمعیة اللامکریة</td>
<td>99</td>
</tr>
<tr>
<td>جمیعة العهد</td>
<td>115</td>
</tr>
<tr>
<td>هیئة بيروت الإصلاحیة</td>
<td>126</td>
</tr>
<tr>
<td>جمیعة العربية الفتاة السریة</td>
<td>137</td>
</tr>
<tr>
<td>حزب البعث العربي</td>
<td>154</td>
</tr>
<tr>
<td>الفصل الثاني: أهم أسباب نشأة الجمعيات القومية العربية</td>
<td>181</td>
</tr>
<tr>
<td>المبحث الأول: الأسباب الأساسية في نشأة الجمعيات القومية</td>
<td>183</td>
</tr>
</tbody>
</table>
المبحث الثاني: الأسباب الفرعية في نشأة الجمعيات القومية

الفصل الأول: الأهداف العامة للجمعيات القومية العربية

الهدف الأول: الانفصال عن الدولة العثمانية واستقلال البلاد العربية

الهدف الثاني: تحرير مبدأ الولاء للقومية العربية

الهدف الثالث: نشر الأفكار العربية الترابية

الهدف الرابع: تطبيق الحكم الديمقراطي في البلاد العربية

الفصل الرابع: أبرز رجلات الجمعيات القومية العربية في القرن الرابع عشر

المبحث الأول: شخصيات المرحلة الأول

1. بطرس البستاني
2. ناصيف البازجي
3. طاهر الحاجري
4. بخطي

المبحث الثاني: شخصيات المرحلة الثانية
المبحث الثاني: موقف جماعات القومية العربية من القرآن الكريم

1. انداع الدساتير الوضعية بدلاً عن القرآن الكريم
2. تأويل بعض آيات القرآن الكريم فيما يوافق الموى
3. موقفهم من قوله تعالى {وَلَا تَسْأَلُوا الَّذِينَ يُدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ}
4. موقفهم من قوله تعالى {لِيَكُنَّ خُلُقٌ مُّنْتَكَمِّلُ شَرْعَةَ وَمِتْهَاجًا}
5. تقرر مبدأ الدعوة إلى الولاء القومي دون النظر إلى اختلاف العقائد
6. تأويل آيات في أحكام الرق

المبحث الثالث: موقف جماعات القومية العربية من السنة النبوية

1. تأويل نصوص السنة
2. التقدم بين يدي رسول الله ﷺ

المبحث الرابع: موقف جماعات القومية العربية من الإجماع

1. قول شهداء النساء في الحدود وغيرها
2. إ越来越少 حد الرجم للزائفة المخطئة
جمعيات القومية العربية وموثوقتها من الإسلام والمسلمين في القرن الرابع عشر الهجري

إعداد
وجهازة أدلة يربط بين معاصرة للفاتن
مديرة وحدة الدراسات الإسلامية والدراسات
بكلية الملك فيصل الجامعية

الجزء الثاني

دار الميلم للنشر والترجمة
المبحث الأول
موقف الجمعيات من التوحيد

القسم الأول: موقف الجمعيات من توحيد العبادة

وقبل بيان ومناقشة موقف جمعيات القومية العربية من التوحيد، يلزم أن
أبِين معنى توحيد العبادة وأهميته بإيجاز، من أجل أن يتضح مقدار وعظم ما
وقعته به تلك الجمعيات من خلافات في الاعتقاد.

معنى توحيد العبادة: هو توحيد الله بأفعال العباد، ومعنى هذا أن يصرف
العباد إنسهم وجنهم جميع عبادهم الظاهرة والباطنة لله وحده.
قال ابن تيمية: (إن حقيقة التوحيد أن نعبد الله وحده فلا يدعى إلا هو،
ولا يخيص إلا هو، ولا يتولى إلا عليه، ولا يكون الدين إلا
له، لا لأحد من الخلق).

وكانت بعثة الرسول عليه السلام إلى الأمم لتحقيق العبودية لله تعالى،
والكفر بجميع العبادات الباطلة؛ قال تعالى: ﴿وَلِقَدْ بَعَثْنَا فِي هَٰذِهِ أَمْرًا رَسُولًا
أَبِدْ أَعْبَدُوا اللَّهَ وَأَجِدُوا أَلَٰٓطَغَوْتَ﴾ ﴿(7).

(1) منهج السنة النبوية-ابن تيمية-3/20.49.
(2) سورة النحل-رقم الآية (36).
وما يتضمن هذا التوحيد اعتقاد ألوهية الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: {شهد الله أن لا إله إلا هو والملاك والمشركون} (١).

ويتضمن توحيد العبادة إفراد الله بجميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، فالسجد والعبادة والتوبة والإنابة والتقوى والخشية والنحس والندى والحرج والنسج وتعلق التكبير والتهليل والتحميد والاستغفار وحلق الرأس خضوعًا وعبادة، والطواف بالبيت، والدعاء، كل ذلك محض حق الله لا يصلح، ولا ينبغي لسواه من ملك مقرب، ولا نبي مرسلاً (٢).

ويتضمن توحيد العبادة أن يعتقد العباد بأن الله لا يقبل منهم إلا ما جاء به النبي الحرام، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: إن الله تبارك وتعالى أرسل محمداً، إلينا على حين فترة من الرسل، فهدي الله به إلى الدين الكامل، والشرع الصحيح، وأعظم ذلك، وأكبره، وزيدته هو إخلاص الدين الله بعبادته وحده لا شريك له، والنهي عن الشرك. وجميع العبادة لا تصلح إلا له وحده لا شريك له، وهكذا معنى قول لا إله إلا الله فإن المألوه هو المقصود المتعبد عليه (٣).

---

(١) سورة آل عمران-رقم الآية (١٨).
(٢) الجواب الكافي- ممن سألك عن الدواء الشافي- ابن القيم- ١٨٠-١٨١.
ويلزم من هذا أن الدين الذي يقبله الله من العباد هو دين الإسلام كما أخبر الله عن نفسه في كتابه حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَتَّبِعِ غَيْرَ اِسْلَāمٍ دَيَّانًا فَلَنْ يَعْفَدَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْأَخْرَجِ مِنَ الْحَرَامِينَ﴾ (1).

ويتضمن توحيد العبادة البدع من الشرك والكفر وأهله، فلا يجتمع في عبد توحيد وكفر، كما لا يجتمع معاداة الكفر وموالاة أهله، وقد قال تعالى عن إبراهيم ﷺ: ﴿إِذْ قُلْنَا لَقَوْمِهِ إِنَّا بَرَءَوْا مِنْكُمْ وَمَمَّا تُعْبَدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كُفَّرْنَا بِكُرُوكَ وَبَنِي نَبِيّاً وَبَيِّنَتَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبِغْضَاءُ أَبْدًا حَتَّى نُؤْمِنَّوْا بِلَهَـٰدَآ وَحَدِيْشَةً﴾ (2).

والعبادة التي دعا إليها الرسول، هي اسم جامع لكل ما يعبده الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، فمفهوم العبادة أها شاملا للحياة كلها كما قال تعالى: ﴿لَقَلْ إِبَّانِي مُسَايِقًا وُسُئِيْكَ وَهْيَانَوْا وَمَمَّا رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ يَتَّخِدُونَ لَا شَرِيكَ لَهُ إِنْ هُدِيَتُكَ فَأَتَّمْ أَمْرَكَ وَأَنْتَ أَوَّلُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (3). فلم تكن العبادة محصورة في الشعائر التعبدية من صلاة وصوم وزكاة وحج، بل يعيش إنسان فيما بين الشعيرة والشاعرة بلا عبادة، إنما الحياة كلها عبادة (4).

(1) سورة آل عمران-رقم الآية (85).
(2) سورة المسددة-رقم الآية (4).
(3) العودية-ابن تيمية-38-المكتب الإسلامي-بيروت-الطبعة الخامسة-1399هـ.
(4) سورة الأنعام-رقم الآية (113-114).
(5) واقعنا المعاصر-محمد قطب-129.
ومما يجب الإشارة إليه أن تعريف العبودية يلاحظ عليه شمولية الكلمة لجميع ما يصدر عن العبد، وأيضاً جميع ما يبطنه ويخفى، ومن أبرز ما تفرضه هذه الكلمة أن يبتعد عن العمل المضاد لكلمة التوحيد، والعبودية لله تعالى ألا وهو إشراك الخالق سبحانه وتعالى في العبادة، فقد قال تعالى: "وَقَضَيْنِ رَبِّكَ أَلاَّ تُحْكَمُواْ إِلَّا بِإِيَانَّهَا وَيَقُولُوْلُونَ إِحْسَنًا كَيْفَ ۗۖ" (1) وقال تعالى: "وَأَعْبَدُواْ اللَّهَ وَلَا تُشْرُكُواْ بِهِ شِيَّأً ۗۖ" (2).

بعد بيان أهمية توحيد العبادة للبشرية، وما يتضمنه من أصول عقائدية، أذكر أبرز مواقف أعضاء الجمعيات القومية العربية في توحيد العبادة.

أولاً: اعتبارهم القومية دين العصر واعتناقهم لها:

لقد بلغت أقصى درجات الاختلاف في العقيدة عند جماعات القومية العربية، أُفَلْتْ أنزلت (القومية) مقام الدين الحق، وارتضت لها أن تكون ديناً جديداً، من أجله يكافحون، وبأمره يأمرون وعليه يواليون ويعادون. والجماعات القومية كلهها تنبت هذا المبدأ يقول أحد مؤسسي تلك الجمعيات القومية:

(...لقد تركنا مسألة الديانات والعبادات إلى الجوامع والكنائس) (3).

---

(1) سورة الإسراء- رقم الآية (123).
(2) سورة النساء- رقم الآية (36).
(3) الأهرام - 10682 10 يناير 1913م. نقلاً من كتاب العرب والترك- توفيق برو- 265.
ويؤكد مصطلح الشهابي أن (الحركات الوطنية فيها - أي البلدان العربية - بدأت على أساس القومية، لا أساس الدين، واشتركت في تلك الحركات المسلمون والنصارى من العرب على السواء) (1).

وكان تقرير هذا الوثن (القومية) صادراً عن بعض المسلمين والنصارى العرب مما ضاعف مصيبة المسلمين، حيث أصبح العرب المسلمون في ذلك فريسة سهلة لدهاء الأقلية غير المسلمين في الشرق العربي التي توقف مصيرها على انتشار فكرة القومية العربية، وحلوها محل الدين الإسلامي، والتي تستطيع أن تصل عن طريقها إلى مرتكز الزعامة والقيادة والتوجه في العالم العربي (2). وقد سبق في الباب الأول بيان تأثير أصحاب المعتقدات الباطلة على جماعات القومية العربية.

فمن مواقف الأعضاء التي نص على هذا الشريك، قول أحدهم: (إن المستقبل للشعوب القومية المتمسكة بقوميتها، فلتكن الجماعة العربية ديانة للعرب جديداً، إن الجمهوريات آلهة العصور الآتية، فمَّ لا نسعى منذ الآن خلق إله للأمة هـ هو الجماعة العربية، إنه يضحى كل من عباده حياته في سبيل نصرته) (3).

(1) القومية العربية تاريخها وقوامها ومراحيها - مصطلح الشهابي - 245.
(2) العرب والإسلام- أبو الحسن الندوي- 20- مكتبة المنارة- مكة المكرمة- الطبعة الثانية- 1408.
إن الاعتقاد بأن الله هو الإله الحق قضية مسلم بما لا تحتاج إلى نقاش،
وكان دعوة الرسول جمعاً إلى إبطال ألوهية غير الله، كما قال تعالى:
(1) "وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوجبه إلهي أنك لذات الإله إلا أنا فاعبدون"
(2) وهو حق من حقوق الله سبحانه وتعالى، كما قال الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: (ربا معتقد تذري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟ قال قلت: الله ورسوله أعلم قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شريئاً، وحق العباد على الله عز وجل أن لا يعذب من لا يشرك به شريئاً.) (3)

وقد أخبر ربا عز وجل عن إنكار الهدهد على أهل سبأ حينما أشردوا
عبادة الله، فقال تعالى: (وخرجتُها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) ورئين لهم الشيطان أعملهم فصدهم عن السبيل فهيم لا يهتدون (4) ألا يسجدوا لله الذي خرج المحبه في السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعللون (5).

لقد فطر الله سبحانه جميع خلقاته على توحيده وتمبيحه. فقل لَو كان
معه جلالة كم يقولون إذا لا يبتدؤون إلى ذي العرش سبحانه (6) سبحننا، وتعالى
عما يقولون علوه كبيراً (7) تسبح له السنواد السبع والآيات ومن في حين وإن

(1) سورة الأنيساء-رقم الآية (25).
(2) صحيح مسلم- كتاب الإيمان-باب الكليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة-رقم الحديث (44).
(3) سورة النمل-رقم الآية (26-27).
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

في شيء إذا يسبح بحمده وليكن لا يفقهون تسبيحهم إنه كان خليماً عفواً

(1) فهذا الطائر يدرك أفهم يسجدون للجنب من دون الله، ويدركن أن
السجود لا يكون إلا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض، وأنه هو
رب العرش العظيم (2).

ومن معاني كلمة (الله) بأنه هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالة
وبعده وخوفه ورجاء وتوكلاً عليه وسألاله منه ودعاء له (3). وبعدة عن هذه
المعاني التي دلت عليها الآيات تجعل إصرار جمعيات القومية العربية على المبدأ
القومي، حيث قالوا: (الجنسية العربية، إنه يضحى كل من عبادة حياته في سبيل
نصرته) (4)، وأن السيادة والرقي لا يتحققان للأمة العربية إلا إذا أصبح المبدأ
العربي دينانهم يفاجورون عليها كما يفاجي المسلمون على قران النبي الكريم،
والمسيحيون الكاثوليك على إنجيل المسيح الرحيم، البروتستانت على تعاليم
[لوثر] الإصلاحية) (5). وأن يجعلوا العربية إيماناً ديناً يضحي كل منهم في سبيله
مصالحة وسعادته، حتى حياته) (6).

(1) سورة الإسراء-رقم الآية 44-44.
(2) في ظلال القرآن-سيد خطب-2639/6.
(3) قرة عيون الموحدين-عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ-25-دار الإفتاء-الطبعة الثالثة-
4 حي.
(5) المصدر السابق-100.
(6) المصدر السابق-101.
وبيان الوثني الجديد هو قنتم في مضمونه فقد أخبر الله على لسان قوم نوح بقوله: "وَقَالُوا لَا تَذْرَنَّ الْهَيْثُمَّ وَلَا تَذْرَنَّ وَذَا لَا مَعْنَى وَلَا يُغْوَقُ وَيُغْوِقَ وَيَرْسَأَ" (1) فليس بين شرك قوم نوح وشرك الجمعيات اختلف إلا في المسميات أما مضمون الأمر فهو واحد.

إن اسم "الإله" الحق لا يوصف به إلا الله وحده قال تعالى: "فَأَعْلَمَ أَنْهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ اللَّهُ" (2). وبالنظر فيما نقل عليه هذه الكلمة نجد أنما مشتملة على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، فإنما تنيف الإلهية عن غير الله وتوجها لله (3).

كما اعتبر كفار قريش على دعوة الرسول ﷺ حينما دعاهم إلى (لا إله إلا الله) قالوا: "أَجْعَلْ الْأَلْلَهَ إِلَيهَا وَحِيدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَّابٌ " (4). وقال تعالى: "فَإِنَّهُمْ كَانُوا إِذا قَبَلُوا هَذِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ اللَّهُ يُشْكِبُونَ " (5) يَنْتَارُونَ أَنْفًا لِتَنْفَرُّوا إِلَى الْهَيْثُمَّ شَيَاطِينُ مُجَّنُونٌ (6).

إن هذا الشرك (اختلاط القومية إله) اعتنقه بعض أعيان جماعات القومية في الأمة، وجهروا بالدعوة إليه مما جعلهم يوالون ويعادون على أساسه، كيحب أحدهم أنباء ولد فيه ومنصرفهم على غيرهم حتى لو كان الغير من المسلمين وأبناء وطنهم من الكافرين... ويرون أن رابطة الوطن أقوى وأعظم من رابطة الدين (7).

(1) سورة نوح- رقم الآية (22).
(2) سورة محمد- رقم الآية (19).
(3) الإفصاح- الوزير أبو المظفر- انظر: قرة عيون الموحدين- عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ- 25.
(4) سورة ص- رقم الآية (5).
(5) سورة الصافات- رقم الآية (35-36).
(6) حقائق الكفر بالطاغوت- على ابن نفع العلياني- 59- دار التربية والتراث- مكة- الطبعة الأولى- 1416 هـ.
والدال تعالى: "فَلَأَنْجَعُرْنَا بِهِ النَّاسُ وَأَنَّمَنْ نَتَعْلِمُونَ" (1).
قال بعض الصحابة (أندادًا): أكفًا من الرجال تطيعهم في معصية الله، والأنداد هي الآلهة التي جعلوها معه، وجعلوا لها مثل ما جعلوا له. فهنأهم الله تعالى أن يشركون به شينا، وأن يعبدوا غيره، أو يتخذهما له نداً وعدلاً في الطاعة، فقال: كما لا شريك لي في خلقكم ويغيركم الذي أرزقكم، وملكني إياكم، ونعمتي التي أنعمتها عليكم، فذلكما فأدرموا في الطاعة، وأخلصوا إلى العبادة، ولا تجعلوا لي شريكًا ونداً من خلقى (1). سواء أكان شجراً أم حجرًا أم نظامًا جاهلًا.

وقد كان الرسول ﷺ في سيرته ودعوته للناس يدعوهم إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، فقد قال ربعة بن عبادة، وكان جاهلًا قال: رأيت النبي في الجاهلية في سوق ذي الحجار وهو يقول: (يا أيها الناس فولوا لا إله إلا الله تفلحوا) (2).

وكان تبلغ النبي ﷺ لكلمة التوحيد ودعا الناس لها إنها هو أمر من الله كما في حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويتبعوا الصلاة، ويتبعوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماؤهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله) (3).

(1) سورة البقرة- الرقم الآية (22).
(2) تفسير الطبري- 132.
(3) مسند الإمام أحمد- 492، والحاكم في المستدرك: 2/412. وقال: حديث صحيح الإسناد.
(4) صحيح البخاري- كتاب الإيمان- باب (ولكن تابوا وأقاموا الصلاة وأتموا الزكاة فخلكوا سبيله) - رقم الحديث (42).
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

وقد بعث الرسول ﷺ معاذ بن جبل إلى نحو أهلي اليمن، وقال له: (إني تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوه إني أن يوحِّدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ...)(1).

ثانيًا: الدعوة إلى أن (القومية العربية) دين:

لم يجهل أعضاء جمعيات القومية العربية قوة تأثير الدين في نفس معنئيه، ولذا أرادوا أن يتسوِّك المجتمُع الإسلامي بمبادئ ومعتقدات الجمعيات كمسكهم بدينهم الحق.

وقد رأت جمعية رابطة الوطن العربي، بأنه يجب إعادة صياغة المبدأ المدون من قبل بشكل آخر: التعصب الديني ليس سوى تطور في المصلحة الشخصية، وإن التعصب القومي شعور عفوي فطري تقريباً كمثل الشعور العائلي الذي يأخذ بين الاعتبار كل سياسي، والذي يجب إبعاد كل قضية دينية (2).

لم تصر الجمعية أن يتمسك المسلم بهديه فأوردو عبارة (تعصب)، ولكن يجب على المسلم أن يتمسك ويعصب لقوميته، والذي يأتي بدافع من الشعور الفطري العفوي، وتبني النبي ﷺ على وجوب تمسك المسلم بهديه عندما سأل كما جاء في حديث الربّيّ بساريّة، جاء فيه: فماذا تعبه إلينا يا رسول الله ... (3).

المصدر السابق - كتاب التوحيد - باب ما جاء في ذهاب النبي ﷺ أمه إلى توحيد الله، رقم الحديث 187.

(2) يقظة الأمة العربية - 167-168، 198.
الجمعيَّات القوميَّة العربيَّة وموقفها مِن الإسلام والمسلمين

الله قَالَ: (أوصِيكُم بِقُلوبِ الله والسمَع والطاعة وإن غَيدَ حِبشي فإنَّهُ من يعَش منْكُم يَرى اختلافًا كثيرًا ويُبَاكُ ويخذَّل الأمور فإنها صَلاةً فإنَّ أَدْرَك ذلك منْكُم فَعلَهَ بِسَبَتْ وسَبَتْ الخَلَفاء الرَّاشِدِين المُهديِّين عَضُوا عَلَيْهَا

(1) بالمُواجِدٍ

ومن هذا الأساس أرادت جماعيّات القوميَّة العربيَّة أن يدين الناس بدين آخر وهو (قوميَّة العربيَّة) وينطبق على هذا الدين الجديد ما ينطبق على الدين الإسلامي، من صدقة الإيمان، والدعوة إليه، والموالاة من أجله.

ثالثًا: قسم الانتماء إلى الجماعة:

أولاً ما يطلب ممن يريد الانتماء إلى الجماعة، قسم اليميني، والذي سماه محمد عزة دروزة - أحد مؤسسي الجماعيَّات (قسم يمين الإخلاص) (2).

وعـبارة هـي: (أقسم بالله، وبشرني أنني أسعى إلى تأييد غاية (الجمعيَّة) وهـي الاستقلال العربي النام، والسعي إلى جعل الأمة العربيَّة في مصاف الأمم الحية.

أقسم بالله وبشرني أنني أحافظ على أسرار (الجمعيَّة) وأفضل مصلحتها ومصلحة إخواني فيها على كل مصلحة سواها.


(2) نشأة الحركة العربيَّة الحديثة - محمد عزة دروزه - 489.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

أقسم بالله وبالله وبالله وكفى بهم أجمعين (الجمعية) وأوامرها. والله على ما أقول شهيد. وهذا القسم في مخالفات توحيد العبادة ما يوضحه التالي:

1. القسم بالشرف: وهو شريك لله تعالى، وقد سمى ابن عمر رجلاً يحلف: لا والجليلة، فقال له ابن عمر: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من حلف بغير الله فقد أشرك).

وجاءت النصوص الشرعية في النهي عن الحلف بغير الله تعالى، ومن هذه النصوص، قول النبي ﷺ: (لا من كان حالفًا فلا يحلف إلا بالله فكانت قرية تتحلف بأبيها فقال لا تحلفو بابانكم). وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن أدرك عمر بن الخطاب في ركب، وهو يحلف بأبيه، فناداهما رسول الله ﷺ وقال: (لا إن الله ينتهاكم أن تحلفو بابانكم فمن كان حالفًا فليحلف بالله وآلا فليصم) . وقال أيضاً: (لا تحلفو بالطرواغي ولا بابانكم).

(1) أوراق حم’d الدين الخطيب- حياته بقلمه تكشف لأول مرة-1399هـ. وانظر: جمعية العربية الفتنة السرية-سجدة الرماوي-ملحق رقم (2) ص 298 و "العراق في الوثائق البريطانية-ترجمة فؤاد قرانجي-171".
(2) سنن أبي داود-كتاب الأئمة والندور-باب في كرائمة الحلف بالله-رقم الحديث (2829).
(3) سنن ابن تميمي-كتاب الندور والأئمة-رقم الحديث (535).
(4) صحيح البخاري-كتاب المعايق-باب أمام الجاهلية-رقم الحديث (3549).
(5) صحيح البخاري-كتاب الأدب-باب من لم ير إكثار من قال ذلك مثلاً أو جاهلًا-رقم الحديث (543).
(6) صحيح مسلم-كتاب الأئمة-باب من حلف باللات والعري فليقل لا إله إلا الله-رقم الحديث (318).
وقد جعل البخاري في صحيحه باباً بعنوان: (لا يُحلّف باللائات والعرزى ولا بالطواغيت) (1). ومثله صنع الترمذي: (باب ما جاء في كرآية الحلف بغير الله) (2). وفي سنن النسائي باب: (التشديد في الحلف بغير الله تعالى) (3) وعقد النووي في ترجمة أبوواه صحيح مسلم: (باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى) (4).

وهكذا تناقل أئمة السلف هذا الحكم والتحذير من الوقوع في الشرك، وذكروا الحكمة من النهي عن الحلف بغير الله تعالى، بأن الحلف بالشيء يقتضي تعظيمه والعظمة في الحقيقة إنما هي لله وحده (5). وقد أجمع العلماء كذلك على أن الحلف بغير الله تعالى لا يجوز (6).

2. تنظيم قوانين الجمعية: ومن الأمور التي أراد مؤسس الجمعيات من الناس أن يعتنقوها بوجب اتخاذهم (القومية) دينيًا ما جاء في فقرات القسم وهو أن يقول العضو: (أنا أطيع قانون [الجمعية] وأوارمها).

(1) صحيح البخاري- كتاب الأمان والندور- باب رقم (32).
(2) سنن الترمذي- كتاب النذور والأمان- 677 (4). 
(3) سنن النسائي- كتاب الأمان والندور- 781 (3).
(4) صحيح مسلم- كتاب الأمان- 3266 (1).
(5) فتح الباري- ابن حجر- 10/411.
(6) انظر: إبطال التدريد باختصار شرح التوحيدين- حمد بن علي بن عنبي- 131- مكتبة التوفيق.

وظاهر ما في هذا القول من مخالفته لنصوص الكتاب والسنة التي تلزم أن الطاعة المطلقة لا تكون إلا لله والرسول ﷺ كما قال تعالى: ﴿يُتَّبِعُها الْذِّينَ أَطْبَعُوا أَنَّ اللَّهَ وَأَطْبَعُوا الرَّسُولَ وَأَوَّلِ الْأُمَّةِ مِنكُمْ﴾. 

أما الطاعة للبشر فهي الطاعة بالمعرفة كما قال النبي ﷺ: (إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ). وهذا التوجه النبوي كان بسبب الحادثة التي وقعت من بعض أمراء السرايا الذين أرسلهم النبي ﷺ للجهاد، وحاء فيها: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ جَيْشًا وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ رَجَالًا فَأَوْقَدَ نَارًا، وَقَالَ: أَذْخَلُوهَا، فَأَذْخَلُوهَا، وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا فَرَزْنَا مَنَهَا، فَذَكَرُوهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: لَلَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَذْخَلُوهَا لَوْ دَخَلُوهَا لَمْ يَزَالُوا فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَقَالَ لِلآخَرِينَ: لَا طَاعَةٌ فِي مَعْصِيَةٍ؛ إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ).

فمن فوائد هذا الحديث أن الأمر المطلق لا يعم جميع الأحوال، لأنه أمرهم أن يطيعوا الأمر، فحملوا ذلك على عموم الأحوال حتى في حال الغضب وفي حال الأمر بالمعصية، فبين لهم أن الأمر بطاعته—الأمر—مقصور على ما كان منه في غير معصية.

---

(1) سورة النساء-رقم الآية (95).
(2) صحيح البخاري-كتاب أخبار الاحترام-باب ما جاء في إجازة خبر الواحد-رقم الحديث 1716.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

ومن النصوص التي تدل على هذا المفهوم قول النبي ﷺ: (السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكير ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) (1).

وقد يكون قسم الجمعية الذي سبق ذكره يدخل بدلاته تحدماً تضمنه قول النبي ﷺ: (من قاتل تحت رأية عملية يغصب لمعصية أو يدفع إلى عصبية أو ينصر عصبة فقتل فقتله جاهلية) (2). وفي معنى (رئية عملية) قال أحمد بن حنبل: هو الأمر الأعم كالمصممة لا يستبين ما وجهه، وقيل: هو في الخارج القوم، وقتل بعضهم بعضًا، وأصله من التعمية، وهو التلبيس (3).

فما ذكره يؤكّد على أن جماعيات القومية العربية، تريد أن يدين الناس بالقومية دينًا آخر بكل ما تضمنه، وقد أثر عن أعضائها ما يدل على هذا، يقول أحدهم: (العروبة نفسها ديننا عندنا خن القومين العرب المؤمنين العربين من مسلمين ومسحيين، لأنها وجدت قبل الإسلام وقبل المسيحية في هذه الحياة الدنيا مع دعوتها أي العروبة إلى أسمى ما في الأديان السماوية من أخلاق ومعاملات، وفضائل وحسانات) (4).

(1) صحيح البخاري- كتاب الأحكام- باب السمع والطاعة للإمام ما لم يكن معصية- رقم الحديث 1111.
(2) صحيح مسلم- كتاب الأمة- باب وحروب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كلاً.
(3) شرح السنة- البغوي- 53/1. 1/1.
(4) قضية العرب- علي ناصر الدين- 138.
إن الدين المقبول عند الله تعالى هو الدين الذي ارتضاه سبحانه وتعالى لعباده، كما قال تعالى:
«وَلَيْتَنَّىٰ لَكُمُ الْإِسْلَامُ دِينًا »
(1) وقال:
«وَمَن يُبْتَغِ غَبِيرَ الْإِسْلَامِ ذَا ذَٰلِكَ فَلَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ الْخَسَسَارِينَ »
(2) وقال تعالى:
«إِنَّ الْذِّينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فَمَنْ أَمَرَهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنْتَهُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ »
(3).

إن هذه الآية ليست خاصة باليهود والنصارى وهي أليق بهم وأحق أن يوصفوا بهما، ولكن الظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله، وكان مخالفًا له، فـ إن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق، فمن اختلف فيه (وكانوا شيعًا) أي: فرقا كأهل الملل والنحل، وهي الأهواء والضلادات، فلهذا قد برأ رسوله مما هم فيه.

وهذه الآية في معنى قوله تعالى:
«فَمَنْ يَقْبِلَ لَكُمُ الْإِسْلَامَ يَقْبِلْهُ الَّذِينَ يَأْمُرُهُمْ إِنَّهُ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ »
(4) الآية. وفي الحديث: (من معاصر الأنباء أولاد علات، ديننا واحد) (5). فهذا هو الصراط.

---

(1) سورة المائدة-رقم الآية(3).
(2) سورة آل عمران-رقم الآية(85).
(3) سورة الأمعام-رقم الآية(59).
(4) سورة الشورى-رقم الآية(13).
(5) صحيح مسلم-كتاب الفضائل-باب فضائل عيسى عليه السلام-رقم الحديث(4362).
المستقيم، وهو ما جاءت به الرسول، من عبادة الله وحده لا شريك له،
والتمسك بشريعة الرسول المتأخر، وما خالف ذلك فضلالات وجهالات وآراء
واهواء، الرسول براء منها، كما قال تعالى: {لَبِنَتْ مِنْهُمْ فِي ضَيْقٍ} (1).

واعتناق دين القومية العربية، هي شبهة ما رَغِب به أبو طالب من قَبْلُ
زعماء الجاهلية العربية الأول، حينما حضرت آبا طالب الوفاة دَحْلٌ علیه التَّبَّيْنِ
وَعندَهُ أبو جَهْل، فقال: (أي: عَمْ قَلَّ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهَ، كَلِمَةٌ أَحَاجٌ لَكَ بِهَا
عَنْدَ اللَّهٖ). فقال: أبو جَهْل وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ آيَةٍ أَمْيَةٍ، يا آبا طَالِب! تَرَعَبُ عَنْ مَلَّة
عَبْدُ المُطَّلِبِ، فَقَالَ الَّذِينَ نَظَرُوا فَلا يَكُونَ أَنْ يَضَغَّفُوا عَلَى مَلَّةٍ
عَبْدُ المُطَّلِبِ، فقال النبي ﷺ: (لاَسَغَفَرُنَّ لَكَ مَا لَمْ آتِهِ عَنْهَا). فَتَرَتْ: {فَمَا
كَانَ لِلَّهِ وَلَدْ يَدْرِي} (2). (1)

وفي الدعوة إلى هذا الدين الجديد، يؤكد بعض أعضاء جمعيات القومية
العربية، على تعظيم مبادئ العروبة التي كانت قبل الإسلام، والدعاء بأنها أُسِمي
ما في الأديان السماوية من أخلاق ومعاملات، وفضائل وحسنات.

إِنْ أَوَلِيٌ مِنْ يَسَفُ مَا كَانَ عِلْهَ أَخْلَاقُ وَمَعَالَمَاتِ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ;
هم الذين عاشوا الجاهلية العربية جميع مبادئها وخصائصها ومعاملاها، ووصف
جعفر بن أبي طالب، المتحدث الرسمي باسم المهاجرين في الحبشة، قال له

(1) تفسير ابن كثير، 3/273.
(2) صحيح البخاري- كتاب المناقب-باب قصة أبي طالب- رقم الحديث 3595.
النداشي: ما هذا الدين الذي أثارك فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني، ولا في دين أحد من هذه الأمم؟ فقال له: إياها السلك كنا قوما أهل جاهلية تعبد الأصنام، وتأكل البدلاء، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسبى الحوار، وأكل القوي من الصعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا مائلا تعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فقدنا إلى الله لتوحده وتبعده وتخلع ما كنا نتعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة، والأونان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وهسان الحوار، والكلف عن المحارم، والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال القيتيم، وقذف المحتشية، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام.(1)


(1) مسنده الإمام أحمد بن حنبل 2:201/1.


(2) صحيح البخاري-كتاب المغازي-باب غزوة الطائف-رقم الحديث(3985).
ولقد ساوا أعضاء جماعات القومية أبرزًا مبدأً (الوحدة العربية) اجتمعوا عليه عند تأسيسه للجماعات بالإيمان بالله تعالى، فما قالوا: (الوحدة العربية يجب أن تنزل من قلوب العرب أينما كانوا منزل وحدة الله من قلوب قوم مؤمنين).

ولتعظيمهم لمبادئ القضية العربية جعلوها كالإيمان بالله، فقالوا: (قضية العربية لن تكون أبدًا عند العربي المؤمن الحرم العاقل، الشريف، الصالح، الخير، الأبد المرفع، إلا قضية إيمان إيمان بالولطن، قضية الإيمان بالله ليس غير).

وهذا من أحاديث الجمعيات المتعلقة بتوحيد العبادة لله تعالى، وقد ضرب الله لنا مثالًا بمن يساوي عبادة الله والإيمان به، العبادة غيره من الأصنام، فقال تعالى: {يتألقها أناس صرب مثل فاستمعوا له، إبتَ الدَّنيا تدعور من دون الله لينكثوا دبابة وله أجمعوا له، فإن يشترتهم الدواب شيا لا يشترطودون منه ضعف الطالب والطالب م ما قدروا الله حق قدره، إن الله لفوك عزيز}.

فهذا المثال الذي ضرب هو مثل عام يضرب، لا حالة خاصة ولا مناسبة حاضرة، {ضرب مثل فاستمعوا له} هذا المثل يضع قاعدة، ويقرر حقيقة:

(1) مجلة العربي-عدد يناير 1959.
(3) سورة الحج-رقم الآية (72-47).
أن كل من تدعون من دون الله من آلهة مدعىة. من أصنام وأوثان، ومن أشخاص وقيم وأوضاع، تستنصرون بها من دون الله، وتستعينون بقومًا وطابون منها النصر والجاه. كلهم هل تخلقو أذيابًا ولا أجتمعوا لَهُ؟ (1)

رابعًا: اعتبار الدين إنتاجاً عربياً وفرعة تاريخية:

إننا بلاحظ في صياغة مبادئ جماعات القومية العربية التهجم الواضح على الدين الإسلامي، فمن خلال مبادئ تنظيم الجمعيات لم يعثر على نصوص تقدح في نص أو نصيقت العقائد النصرانية أو الفرق المختلطة للدين الإسلامي بالقدر الذي وجد ضد الإسلام، وهذا يؤكد على أن مبادئ الجمعيات القومية قد قصد بها الغزو المباشر لهذا الدين.

ومن أمثلة الطعن بالدين أن أعضاء الجمعيات يعتبرون الإسلام وجهًا آخر للعربية، قالوا: (الإسلام والعروبة وجهان لمادة واحدة. والإسلام نبع من العرب وعبر عن حقيقتهم في طور من أطوار تأريخهم....) (2); ومن هذا المبدأ فهم يرون أن الاستهانة بالإسلام أسلوب ومدخل إلى الاستهانة بالعروبة، لأن الإسلام أعظم إنتاج عربي تفخر به الأمة العربية، فإذا كان الإنتاج الضخم فان المنتج يهم أيضًا (3).

ولكن يرضى مؤسس جماعات القومية عن حقيقة الأمة إلا إذا تفحّمت في أفرادها روح القومية، يقول أحدهم في تعريف الأمة: (الأمة التي نعنيها هي

---
(1) في ظلال القرآن - سيد قطب - 444/4.
(2) حزب البث العربي - حلال السيد - 34.
(3) المصدر السابق - 36.
الجماعات التي فيها روح القومية، وأما إذا طارت هذه الروح من الأشباح فإن
الأمر يكون كما ذكرنا من الشنات وعدم الجامع. فضالتنا التي ننشدها اليوم هي
تلك الروح التي صارت بها الأمم أمنًا، فهي ظفرنا بها صربنا أمة بأقرب من مح
البصر. وما دامت تلك الروح نائية عنا فما نحن إلا أشباح، لا يشغل جميعنا
حيرًا في هذا الوجود، ولا يأخذنا نصيبنا في نظر العالم السياسي.

إن اعتبار الإسلام تبع من العرب بمعنى بَعْث النبي فيهم وإنزال القرآن
على لغتهم، وقام من آمن منهم بالدعوة إليه، فهذه قضية مسلم بما، وقد قال
 تعالى: {إِنَّا نُتْنِيَهُ فَرَاءَةً عَرَبِيَّةً لِّلَّذِينَ تَعُظُّمُونَ} (2). وقال تعالى:
{كَذَٰلِكَ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ فَرَاءَةَ عَرَبِيَّةً لِتَبْيِنَ} (3). وقال تعالى:
{وَجَاءَكُمْ بِالْقُرْآنِ مَعْرِجًا عَبَّاسًا} (4).

فليس للعرب فضل بدون هذا الدين، وأما أن يعتبر الإسلام تعبيراً عن
حقيقة العرب لفترة تاريخية خصية بكم، فهذا غير صحيح إذ أن العرب
باجمعهم لا يعتبرون معبرين عن الإسلام، حيث أن من العرب من كفر
بالإسلام، وأعرض عن هديه وناصبه العداء، فنشبت حروب بين الرسول
وأتباعه من جهة وبين العرب الكافرين من جهة أخرى، كما قال أبو سفيان بن

(1) جريدة المؤيد رقم 370 بتاريخ 1913/9/8م (نقا من كتاب العرب والترك - توفيق برو-
(2) سورة يوسف-رقم الآية(2).
(3) سورة الشعراء-رقم الآية (195).
(4) سورة الشورى-رقم الآية (7).
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والسلم.

حرب — وكان كافراً — أثناء مقابلته له، وسأل من هو من له كفارة، فقال:

«قلت: نعم. قال: فكيف كان فتكتمكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال يبال منا وسنال منده.»

والإسلام قد بلغ به نبي الله محمد ﷺ من العرب، ولكنه ليس خاصةً بالعرب، وإنما هو دين للعالم جميعاً، كما قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾. ﴿وثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قلبي). وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصاً، ويعتبر إلى كل آخر.﴾ وفِي الحديث الآخر قال: (فُصِلت على الأنبياء جزاءً). ﴿منها — وأرسلت إلى الخلق كافة، وخصت بي النبّون﴾.

هذه النصوص تدل على أن الله أرسل نبيه محمد ﷺ رحمة للعالمين، ومؤمنهم وكافرهم، فأما مؤمنهم فإن الله هداه به، وأدخله بالإيمان به، وبالعمل بما جاء من عند الله، الجنة. وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاقب البلاء الذي كان ينزل بالأمم المكذبة رسلها من قبله.

---
(1) صحيح البخاري - باب بدء الوحي - رقم الحديث (67).
(2) سورة الأنبياء - رقم الآية (101).
(3) صحيح مسلم - كتاب المساجد ومواقع الصلاة - رقم الحديث (81).
(4) المصدر السابق - رقم الحديث (81).
(5) تفسير الطبري - 10/10، ونظر: شرح صحيح مسلم - النووي - 5/5.
ومن استقراء التاريخ نجد أن العرب لم يكن لهم أمة يتنتمون إليها إلا بعد اعتناصهم هذا الدين، كما قال تعالى: "واذكروا بعمى الله عليهم إذ كنتم أعداءً فألقو ببن قلوبكم فاصبحتم بنيتما إخوًا وكنتم على شفا حفرة من ألغار فانقدكم فيها" (1). وليس كما تدعى جماعات القومية، بأن الأمة التي تريدها الجمعيات، هي الجماعات التي فيها روح القومية.

لما كانت روح القومية موجودة في الناس، كان الناس في ضلال كما قال الرسول ﷺ في الحديث السابق (ألا أجدكم ضالاً فهذا كم أعنيكم الله بي وكنت مسترقوين فألقوك الله بي وعالة فأغناك الله بي...) فهذه الدعوة التي تبنى جماعات القومية، دعوة ضلال بعد هدى، ضلال في العقيدة والعمل والأخلاق والاجتماع، وفوضي فكرية هائلة، وتفسخ أخلاقي واجتماعي لا يقل في العواصم العربية الكبرى عن التفاس الخلفي الاجتماعي في الجاهلية الأولى، وقد يفوقه بالتنظيم والانتشار، وبأنه قد صار فناً وصناعة وتجارة (2).

خامساً: إقامة احتفالات بمناسبة مولد النبي ﷺ.

من المخالفات لتوحيد العبادة عند جماعات القومية، أنهم كانت تقيم احتفالات بمناسبة المولد النبوي، وكانت الجمعيات تستغل هذه الاحتفالات التي تدعو شرعيتها من أجل استقطاب بعض المسلمين والتأكد على مشروعية مبادئ جماعات القومية.

(1) سورة آل عمران- رقمة الآية (130).
(2) العرب والإسلام- أبو الحسن الندوي-82. وسبق الحديث في الفصل الأول التعريف بالأمة.
وقد سبق بيان تبني جمعيات القومية الدعوة إلى الرابطة العثمانية، خلال الإجتماعات العامة وحفلات الخطابة والاحتفالات في شتى المناسبات، وخاصة مسجدها ذكرى المولد النبوي السنوية التي كان يقيمها المنتدي، كان يدعو إليها أبناء الترك من رجالات السياسة والأدب والاجتماع.

ويتولى أعضاء جمعيات القومية العربية، الدعوة والحديث بهذه المناسبة عن مبادئ جمعيهم، فما قالوا في خطاب ذكرى المولد: في مثل هذا اليوم يولد النبي العربي القرشي مقيم الأسس الديمقراطية.

وذكرت صحيفة القبلة — وهي من الصحف القومية — أن من أدة عمق المتألف والناخبي بين أعضاء الجمعيات القومية، ما جاد به الأعضاء التصارى واستقبالهم المولد النبوي بالقصائد التي لا يكاد يضارعهم فيها كثير من شعراء المسلمين.

وسار عفلك في حزبه، على منهج الجمعيات التي سبقته، فقد ألقى عفلك محاضرة بذكرى الاحتفال بذكرى المولد، وكتب كراساً سماه (ذكرى الرسول العربي).

---

(1) العرب والترك في العهد الدستوري العثماني- توفيق برو- 244.
(3) جريدة القبلة- العدد 52-السنة الأولى- تاريخ 1330/4/19-ص: 2.
كما كان لأعضاء جمعيات القومية العربية، المشاركة الفعلية في حفلات أعياد الميلاد، فمن ذلك ما وصف أحد الحضور مراسم الاحتفال بالولد في عهد الملك فاروق (1)، فذكر من الحضور بعض أعضاء جمعيات القومية العربية، من أمثال: جميل مردم برك، يوسف ياسين (2)، حسين العسكري (3).

وقد تناقلت المجلات التي تبنت مبادئ جمعيات القومية العربية الدعوة إلى الاحتفال بالولد، فمن هذه المجلات مجلة المناور، والذي جاء فيها: هذا الاحتفال من المواسم الحادة في المملة.. وقد تقبل المسلمون كافة بقبول حسن، وتناقص الملوك والأمراء وسائر الطبقات بالاحتفال به.

وصار هذا الموسم الشريف في مصر ينوع المنكرات ومحط رحالة الفواحش، وأتسعت بذلك دائرة المؤمنين فصاروا يقيمون لكل شيخ معتقد من الأموات، مولدًا يحتفل به الأهلون.. وإذا نذكر رأينا في الاحتفال بالولد وما

(1) الملك فاروق بن أحمد فؤاد بن إسماعيل الخديوي ملك مصر، ولد عام 1338 هـ (1920).
(2) انظر الترجمة رقم (72).
(3) انظر الترجمة رقم (10).
ينبغي له وفيه، وهو: (يجب السعي في تطهير الاحتفال من الفواحش والمنكرات، إن قضى المولد النبوي الذي سمعناه ورأيناها كلها مشتملة على ما لا يصح وخلاصة عسن ما ينبغي أن يكون فيها وهو التنويه بالإصلاح العظيم الذي حصل في العالم على يد صاحب المولد، بانتداب طاعة تحسن الخطابة من مجتمعات الاحتفال فإن الخطاب أوقع في النفوس وأشهد تأثيراً في القلوب).

أولاً،INO أن هذا النص ليس فيه إنكار على أصل الاحتفال بالمولد، وإنما الإنكار على الأفعال المستقيحة التي تفعل فيه، مما يوجب تمذيب الاحتفال بالمولد من الأمور المذكورة.

ليس من شأن البحث أن يستمر في بيان نشأة بدعة الاحتفال بالمولد النبوي، والتفصيل في تاريخه والوقوف على حال الأمة عند الوقوع في حماة الجاهلية والابتداع، وجمع فتاوى علماء الأمة بتحريم هذه البدعة، كقول ابن تيمية: ...من البداع اتخاذ مولد النبي ﷺ عيداً. مع اختلاف الناس في مولد، فإن هذا لم يفعله السلف، مع قيام المقتضي له وعدم المانع فيه لو كان خيراً. ولو كان هذا خيراً محسناً، أو راجحاً لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منا، فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيمًا له منا، وهم على الخير أحرص.

(2) وردت نصوص في مجلة المدار تستنكر الاحتفال بالمولد، وقد وردت في الأعداد المتأخرة، كالعدد 29 في صفحة 224-228.
(3) اقتضاء الصراع المستقيم لمخالفه أصحاب الحجيم-ابن تيمية-2/165-161.
كثير من الدراسات والأبحاث التي تناولت هذه القضايا فأجادت وأفادت فيها، وإنما غابي هنا بيان موقف جمعيات القومية العربية من هذه البدعة، ودعوة المسلمين لها، ومسارى التخطيط الديني في استبدال الحق بالباطل وشغف الناس عن السنة بالبدعة، كما فعل المستعمرون الستي على احتلال مصر، فقد دعم نابليون إقامة هذا المولد بمبلغ ثلاثمائة فرنك فرنسى معونة منه، وأمر بتزويج البلد كالعادة، واجتمع الفرنسيون يوم المولد.

إن من ضرورات نقد جمعيات القومية العربية أن يتساءل الإنسان: أليس من الواجب أن تقوم جمعيات القومية بالدعوة إلى الإيمان الصادق بنبوة النبي وإحياء سنته، وترغيب الناس بالإقداء بهما، وندب البدع والاعتقام بفعل الله الذين من خلال هذه الندواوات والمحاضرات والأمينات التي تقيمها الجمعيات؟ ولا يكون هذا في وقت محدد أو زمن معين، إنما في كل شؤون بقائها.

(1) انظر: 1 - اقتصاد الثراث المستقيم للغة أصبة الجحيج - ابن تيمية - 2/51 1356
2 - الفصول الفصل في حكم الاحتفال بالمولد - خير الرسول - إسماعيل الأنصاري.
3 - السن والمنشآت المتعلقة بالآذكار والصلوات - محمد عبد السلام خضر الشقيري - 138 - 139.
4 - الأدبية البحت العلامة - بروت - لبنان - 140.
5 - المواقف والاعتقاد باذكرو الخطاب والآثار - أحمد المقري - 1/49 - 1/49 - دار صادر - بيبرت.
6 - السرد الفصوي على الرفاهي والجهاد وابن علوي وبيان أعظمهم في المولد البيروي - جموحد الترجي.

تاريخ الحركة القومية - عبد الرحمن الراقي - 1/250 - 1978.
القسم الثاني: موقف الجمعيات من توحيد الأديان:

تشابهًا مع المبدأ العام، الذي ظهر في فترة ما قبل تأسيس الجمعيات القومية، ب_PRINTF-48}(الحرية)، فإن أعضاءها قد عمّموا هذا المبدأ على العقيدة الدينية، وأصبحت عبارات (حرية الاعتقاد، والتسامح الديني، وتوحيد الأديان) تنطلق من مفترض الجمعيات، وتنادي بما يجلبها وتروج لها صفحاتهم اليومية داعية لهذا المبدأ بين المسلمين.

والقسم الأول مبن مبسط ب موقفهم من التوحيد، سيقتصر على مناقشة مواقف جمعيات القومية العربية بوجه ما أقسموه بالتسامح الديني، ونبذ التعصب المبني على أصول دينية، كما زعموا وقالوا بأنه يجب على العربي أن يبدع كل إنسان ومعتقده، فلست على أحد بسيط، والناس أحرار أن يدينوا بما يشاؤون، ويعصموا بما يريدون ..(1).

وقبل كل شيء لا بد من الإشارة إلى قضية منصوص عليها في كتاب الله، وهي: أن جميع الرسالات تدعو إلى العبادة الله كما قال جل جلاله: "وَلَقَدْ بَعِثْنا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَرِب أَعْبَدُوا اللَّهَ وَاجْتَبَارُوا الطَّغْوَاتُ فِيمَا مِنْ هَذَا اللَّهُ وَمِنْهُمْ مُّسْتَفْلِكُونَ"(2).

(1) جريدة المفيد رقم 179 بتاريخ ١٨/٩/١٩١٣م. مقال: مصطفى الغلاطي البيروني (نقلا من كتاب العرب والترك - توفي برو- ٤٨١).
(2) سورة النحل-رقم الآية (٣٦).
فكانَت دعوة الرسَّل إلى التوحيد قبل أن يدعوا إلى شيء قبله، فهم وإن اختلَفت شرائعهم في تعَديد بعض العبادات والخلال والحرام لم يختلفوا في الأصل الذي هو إفراد الله سبحانه بِتلك العبادات افرقة أو اتفقت.(1)


ففي هذه الآيات نبأ ربنا عن ولد بأنه قد أنزل الإنجيل إلى عيسى مصداقاً للكتب التي قبله، وبياناً لحكم الله الذي ارتضاه لمبادئ اللمبادئ في زمان عيسى وموعظة لهم.(4)

وما ورد ذكره أيضاً في القرآن أن الدين الذي ارتضاه الله هو الدين الإسلامي، قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَكْثَرَ مُؤْمِنًا ﴾ (الأحزاب: 64).

١٠٩٤/١ (1) معارج الفبل-حافظ بن أحمد الحكيمي.{
(2) سورة المائدة-رقم الآية (٤٤).
(3) سورة المائدة-رقم الآية (٤٦).
(4) تفسير الطبري-٢٦٤.
(5) سورة المائدة-رقم الآية(٣).}
وقد نسخ الله الكتب السابقة بكتابه الخاتم، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهْيِمًا عَلَىَّ﴾ (1). فأصبح دين أهل الكتاب وغيرهم من الأديان باطلة بمعبث رسول الله ﷺ.

وقد جاء عمر بن الخطاب ﷺ إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إني مرضتُ بما أن مبّني مريضًا، فكتب لي جوابًا من التوراة، ألا أعرضها علي؟ قال: فتعجّب وجه رسول الله ﷺ، قال: عبده الله فقلت له ألا ترى ما يوجه رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: رضني بالله و بالإسلام ذنبًا وبمحمد رسول الله ﷺ، قال: فسرى على النبي ﷺ، ثم قال: (والذي نفس بيده لو أصيح فكم موسى ثم بعثه، وترك كُنْمِي لضلُّتهم، إنكم حظيت من الأمم، وأنا حظكم من النبيين). (2)

وقد أجمع علماء الإسلام على أن دين الإسلام هو الدين الذي لا دين الله في الأرض سواه، وأنه نسخ لجميع الأديان قبله، وأنه لا ينسخ دين بعدة أبداً، وأن من خالفه ممن بلغه كافر مخلد في النار أبداً. (3)

وعدد هذه الإشارة المجرة، فمن منطلق المساءلة والتواضع السلمي في البلاد العربية، وتحقيقًا لجحية العدو المشترك (المستعمر)، نادت جمعيات القومية

(1) سورة المائدة- رقم الآية (47).
(2) انظر: أحكام أهل الذمة- ابن القيم- 1/171.
(3) مسند الإمام أحمد- 3/714 عن عبدالله بن ثابت.
(4) الإجماع- ابن حزم- 161/1- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

العربية الدعوة إلى حرية الدين وأن تعايش الأديان السماوية الثلاث بسلام، وهذا هو مفهوم (التسامح الديني).

إن أول جمعية من الجمعيات القومية العربية التي نادت بالتسامح الديني، هي: الجمعية العلمية؛ التي سعت إلى إبراز فكرته القومية العربية في إطار عام، أساس أن للعرب عامة - مسيحيين ومسلمين - تراثًا مشتركًا وحضارة عريقة، تمتد جذورها إلى مفاصلة الإسلام ولا بد من التنقيب عنها والكشف عنها.

وقد نشرت هذا المفهوم من خلال مجلتها، التي جاء فيها، (لا بد من أن تكون في معابدنا إسلامًا وأرمن ودروزاً ومورمون وروماً وكاثوليكًا ونصيرية وسريانًا، وغير ذلك وفي ميادين الأعمال لنا راية واحدة؛ استبداد الحال لنا إذا يكون بالاجتماع حولها بالغيرة والحمية والصداقة).

وعلى هذا النهج سار منظرو الجمعيات القومية العربية في الأمة الإسلامية، بالدعوة إلى إحلال العقيدة القومية محل الدين الإسلامي، فقالوا: لا تفترقوا فرقًا وطوانين.. بل الجميع عرب وفي العرب وللعرب.. وإن العصر الحاضر قام الجماعات على أسس القومية دون تفريق في الدين والمذهب.

---

(1) تاريخ العرب الحديث -عبدالوهاب أحمد عبدالوهاب-355-دار القلم -دي-الطبعه الأولى-1407

(2) افتتاحية ج- مجله الجنان1874-ص 181-183- نقلا عن كتاب سليم البستاني-126

(3) مختارات المفيد-مقال: عبدلاوي العربي -164 و167-257
واعتبر أعضاء الجمعيات القومية اجتماع المسلمين والنصارى على هذه المبادئ القومية، هو من دلائل الوفاق بين الفريقين. وقالوا: إن هذا الاتفاق سهل فإن دین الإنجيل علمنا التساهل إلى حد أن ينسى الإنسان نفسه في مصلحة قريه، ودين الإسلام يجعل الفقيه شريكًا للغني في ماله إذ يفرض له عليه نصيبًا منه (1).

وقد تولت الجمعيات القومية نشر هذا الأمر في الأمة، فقد نشرت الجمعية الثورية العربية منشورًا تحت عنوان (إلى العرب من أولاد قحطان) مما جاء فيه: «أيها العرب: ليكن المسلمون والنصارى وليهود منكم بدًا واحدة وتكلمون بلغة واحدة فكونوا أيضًا مكة واحدة وبدًا واحدة ولا تفرقوا تبعًا لمفاسد وعُيّانات المفسدين الذين يظهرون بالإسلام والإسلام برئ منهم. فكلكم عباد الله، والدين الله وحده ... وأنت أيها العرب من النصارى والموسوبيين ضعوا يدكم في يد إخوكم المسلمين العرب ... فإن العرب المسلمين إخوكم في الوطنية ... فليكن رائد الطرفين التساهل والسعي في إزالة هذه التعصبات الذميمة .. » (2).

ويُعتبر أعضاء جمعيات القومية العربية التسامح الديني والحرية الدينية من أهم مكاسب العرب، الذين هاجروا من الدولة العثمانية، حيث احتك المهاجرون بأقوم يوسفهم الجامعة الوطنية ويرفعوها فوق كل شيء ولا يرون في 

(2) إيضاحات-جمال باشا 28-مطبعة الطين - 1334.
اختلاف العقائد ما يجول دون تأليفهم في سبيل المصلحة القومية وتعاوفهم على ما فيه الخير العام، وقابلوا ذلك بخلق أوتاظم الأصلية وما يسودها من شقاق وتخاذل، فتحركت في نفوسهم عاطفة النفور المذهبي (1).

فمن أمثلة أقوال أهل المهاجر، قول الرجائي (2): أليس في وسع المرء أن يعيش في هذا العالم دون أن تطبع روحه بطابع الملة وتصبغ بصبغة الطائفية (3).

وجد استمرت الدعاة إلى التسامح الدينى عند أعضاء جمعيات القومية العربية، بعد أن قامت الحكومة العربية الأولى في دمشق، وتولى إدارتها أعضاء جمعيات القومية العربية، أعلن فيصل بن الحسين عن سياسة حكومته الأولى، فقال: لعلم جميع الناس أن حكومتنا قد تأسست على قاعدة العدالة والمساواة، فهي تنظر إلى جميع الناطقين بالضداد على اختلاف مذاهبهم وأديانهم نظرًا واحدًا. لا تفرق في الحقوق بين المسلم والمسيحي والموسوى (4).

فقامت هذه الدولة العربية على المبدأ العلماني ومن المنطلق الجاهلي، وقد قال عنها أعضاء الجمعيات: (كان لكل عربي الحق بأن يتوّل عمل في الحكومة على حسب ما عنته من معرفة ومن خبرة بذلك العمل. ولم يكن للأديان ولا للطائفيات اعتبار في تولى مناصب الحكومة، فقد كان في المناصب الكبرى

(1) الأفكار الإسلامية في العالم العربي الحديث-أنيس المقدسي-184.
(2) ظواهر الترجمة رقم (8).
(3) الرجائه-أنيس الرجائي-104، 277 و32.
(4) مؤسسة الشرق على العرب-باسين سويد- وانظر نص خطأه: فجر النهار من تاريخ حلب-3/262.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمشاريع

السياسي والشيعي والعلوي والدرزي والماروني والأرثوذكسي والكاثوليكي والبروتستانتي، وجميعهم يخدمون في حكومة عربية ويعملون لقضية العربية.

كما أعلن مؤسس حزب العدالة، مبادلة الدعوة إلى التسامح بين الأديان حيث قال: حزب البحث ينظر إلى جميع الأديان نظرة واحدة من حيث التكريم والاحترام، ويعتبر حرية الاعتقاد الدينية شغلاً مقدساً. فالتقدير الذي عناه ليس لذات الدين، وإنما للحرية الذي من خلالها يحصل التكريم والاحترام.

وهكذا يبدو أن جمعيات القومية العربية، بأن الانساب إليها وتبنى المبادئ القومية حق لكل عربي. لأنها كما يقول أعضاؤها: "لا تفرض على أصحابها عقيدة دينية معلومة، بل تسعى لكل عربي مهما يكن دينه أو يمكن مذهب الدين".

فالجمعيات القومية لا تفرض على أصحابها والمنتمين إليها مذهبًا دينيًا أو عقيدة معينة إلا العقيدة القومية الجاهلية، قال مصطفى الشهابي: "إن الجمعيات القومية تشمل كل عربي أياً كانت دينه أو طائفته أو عنصريته. وجميع العرب

(1) القومية العربية تارخها، وقوامها، ومراميها - مصطفى الشهابي - 122.
(2) حزب البحث العربي الديمقراطي - مصطفى دنديلي - 143. وانظر: في سبيل البحث – عمق - 143.
لا تزال دعوة التسامح الدينية من أساسيات مبادئ القوميين، فقد عقدوا مؤتمراً في لبنان سموه (المؤتمر القومي الإسلامي) وذلك عام 1994، وكان من أبرز مؤتمرات هذا المؤتمر الدعوة إلى التسامح، وإقامة حوار مسيحي إسلامي عربي، لمنع المواقف الناتجة لاختلاف الواحة العربية. انظر: مجلة المجتمع الكويتية - العدد 112 - 1410/5/27، 347.
(3) القومية العربية تاريخها، وقوامها، ومراميها - مصطفى الشهابي - 347.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

والمتعبرين سواءً في عقيدة القومية العربية، سواء أكانوا مسلمين من سنين وشيعة، ودروز وعلويين وعثمانيين، أم كانوا نصارى من موانع وأقباط. ولذلك بدأت الحركات الوطنية في البلاد العربية على أساس القومية، لا أساس الدين واشترك في تلك الحركات المسلمون والنصارى من العرب.

ومن أمثلة التسامح الدين الذي ذُعِوم لدى الجمعيات القومية في الانتساب إلى الجمعيات، أنه قد حدث في عام 1913م، أن رئيس فرع حزب اللامركزية في سوريا كتب إلى مركز الحزب في القاهرة يقول: إنه وزملاءه في الفرع قرروا أن لا يقبلوا انتساب أي شخص لا يدين بالإسلام.

و بتاريخ 25 آب 1913 بعث حفي العظم سكرتير حزب اللامركزية (مركز الحزب) رسالة جوابية معبراً فيها عن رأيه ورأي رئيس الحزب رفيق العظم، قائلاً في رسالته الجوابية: (إن المسيحيين هم إنحواننا في الجنسية واللغة والتابعة والمصالح... وإن حزنا مؤلف من المسلمين وغير المسلمين، وعليه أعيد رجائي موافقة الرئيس باسم الوطن والبلاد أن تسعى:

أولاً: لإدخال ممن تأمنون جانبه وتتقون بصفاء ضميرهم من المسيحيين والدروز والإسرائيليين أعضاء بالحزب، حتى يكون حزنا في سورية مؤلفاً من جميع العناصر. وقد سارت جميع فروع الحزب في بلادنا على نفس هذه الخطة.

(1) المصدر السابق - 345.
ثانياً: أن تسعوا للتالف بين قلوب المسيحيين والإسرائيليين والطوائف الإسلامية ..(1).

وقد احتج أعضاء جمعيات القومية، لتبنيهم دعوة التسامح الديني، بحجج منها:

1. إن الأديان كلها ترجع إلى أصل واحد، وتجتمع تحت لواء هدف واحد، وإذا اختلفت فإلا تختلف في الفروع، ويعود اختلافها إلى الاجهاد في التفسير، وما كان كذلك فلا ينبغي له أن يصرف البشر عن الوحدة الإنسانية، وما ينبغي له أن يجيد بكم عن مبدأ (الإنسان أخو الإنسان أحب أم كره) (2).

2. ومن حججهم على التسامح، أن معرفة الله من قبل جميع الطوائف يمكن أن تكون القاسم المشترك بينها، فيستطيع عن بقية التفاصيل مع الزمن ومع الرقي، وهذه الكيفية تتوحد الأديان واللغات (3).

3. وقد احتجوا لنجاح الدعوة إلى التسامح الديني، باستراك ومشاركة غير المسلمين في تأسيس الجمعيات، كما سبق ذكره.

قال محمد جميل بههم عن هذه التجربة: (من حسن الخلق أن العالمين الإسلامي والمسيحي قد أدركنا الآن أن زمن القول والقال في الشؤون الدينية قد ولى غير مأسوف عليه، وأنصرف الناس عنه إلى اكتشاف أسرار الكائنات على

(1) أوراق نبض الدين الخطيب-القاهرة.
(2) فلسفة تاريخ محمد عبد النور-3-الدار الجامعية-بيروت.
(3) العرب والترك-توقيع برو-450.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

رجاء أن يأتي اليوم السعيد الذي يعيشون فيه عامةً واحدًا تسوده الحبة والإحياء والسلام (1).

4. ككل الناس عباد الله، وكل سالك إليه سبيل، والسبيل اختفت والغاية واحدة. ولم يبق عاقل مفكر، يتمسك بحرية الفكر التي هي هيئة من هبات الله، إلا يقول دعوا الناس لتسلك إلى الله أي طريق تشاء (2).

5. وجدت الأديان جميعًا للتوفيق لا للتفرقة ولخير الوطن لا لشره، فالدين لله والوطن للجميع ودين الأكثرية من سكان البلاد العربية هو أشد الأديان تسامحًا وأكثرها عناية بخير المجتمع (3).

هذا غيظ من فيض عن موقف جمعيات القومية من وحدة الأديان والدعوة إلى التسامح الديني، وسيكون الرد على هذه المواقف من خلال النقاط التالية:

أولاً: لقد ثبت في كتاب الله تعالى، وفي سنة رسوله ﷺ، كفر اليهود والنصارى لما لا مجال للشك فيه، فقد قال العلماء: (واتفقوا على تسمية اليهود والنصارى كفارًا) (4).

---

(1) فلسفة تاريخ محمد ﷺ- محمد جميل بيهم-1993.
(3) ذكرات على هامش القضية العربية- 28- أنظر:
2. الحركة العربية سيرة المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة- 1967.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

وهؤلاء (اليهود والنصارى) من العرب، الذي يطلب أصحاب جماعات
القومية العربية معهم التعايش السلمي، قد وصلتهم رسالة الرسول ﷺ، كما
وصلت للعالمين جميعاً، فينطبق عليهم قول السلف: (قد ثبت في الكتاب والسنة
الإجماع أن من لم بلغته رسالة النبي ﷺ فلم يؤمن به فهو كافر لا يقبل منه
الاعتراف بالاجتهاد لظهور أدلّة الرسالة وأعلام النبوة). (1)

فقلنا يجب تكفير اليهود والنصارى من العرب وغير العرب، ودعوهم إلى
إتباع الدين الحق، لقول الرسول ﷺ: (والذي نفس مُحَمَّد بيه لا يسمع بي
أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصارى ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب الثائر). (2)

قال النووي عن هذا الحديث: (وقوله (لا يسمع بي أحد من هذه الأمة)
أي: ممن هو موجود في زمني وعدي إلى يوم القيامة، فكلهم يجب عليه الدخول
في طاعته، وإنما ذكر اليهودي والنصارى تبنيهما على من سواهما، وذلك لأن
اليهود والنصارى لهم كتاب فإذا كان هذا شأفهم مع أن هم كتاباً فغيرهم ممن لا
كتاب له أولى). (3)

ثانياً: أن الأصل ليس معرفة الله وأنه موجود فقط كما يزعم أعضاء
الجمعيات، وإنما معرفته وعبادته وفيما ثبت عن رسوله ﷺ، وتحقق فإنك
ن甪د وإياك نستعين.

(1) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية-12/96.
(2) صحيح مسلم-كتاب الإيمان-باب وجوهر الحفاظ ﷺ برسالة النبي محمد ﷺ، رقم الحديث (218).
(3) شرح صحيح مسلم-النوري-188/2.
فقد كان هذا منهج الرسول ﷺ في دعوته عندما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن موسيقاً يايى: ( قال الله ﷺ: إِنَّكَ تَقْتُمَ عَلَى قُوَّمٍ مِّن أُهُلِ الْكِتَابِ، فَلَيْكِنْ أَوَّلُ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُرِحُّوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذلِكَ فَأَخْرِجُوهُمْ أَنَّ اللَّهَ قد فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمسَ صُلُوُّاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَليلِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْرِجُوهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُوْخَى مِنْ غَيْبَهُمْ قَتَرَدَ عَلَى فُقَرَاهُمْ، فَإِذَا أَقْرَأُوا بَذلِكَ فِئَةٌ مِّنْهُمْ وَتُوقَّعُ كَرَامَةً أَفْوَامُ النَّاسِ) ¹.

ففسي هذا الحديث بيان أن أول واجب على المكلف هو التوحيد بالله والشهداء بالرسالة لنبيه، ووقعت البداية مما أظهرا أصل الدين الذي لا يصح شيء غيره إلا بما)²(. والنبي ﷺ لم يطلب من معاذ بن جبل أن يترك القوم بعد أن علمهم كلمة التوحيد للزمان والزمان كما يدعيه أعضاء الجمعيات، إما بين له ما يجب عليهم من أوامر الله تعالى.

وهذا أجمع أهل العلم على أن الكافر إذا قال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدُ عبده ورسوله، وأن كل ما جاء به محمد حق، وأبأ من كل دين خالف دين الإسلام، وهو بالغ صحيح يعقل، أنه مسلم.³

ثالثاً: إن دعوة التسامح الديني هي دعوة إلى تمييز الدين الإسلامي، وحل عرى الاعتراف به، والالتفات من حوله، وإطفاء حرارة الإمام الديني بدعوى

¹ صحيح البخاري-كتاب التوحيد-باب ما جاء في دعاية النبي ﷺ إلى توحيد الله ﷺ-رقم الحديث 824.
² فتح الباري شرح صحيح البخاري-ابن حجر-4/20.
³ الإجماع-ابن المندز النيسابوري-154.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

التسامح والوطنية أو القومية، أو غيرها من المفاهيم (1). وفي التسامح تحقيق للمبادئ الماسونية.

ومن الأمور المسلمة في مسألة التسامح الديني أن الذي ينال الخسارة العظمى من جراء هذا التسامح هو المسلم، لأن دين الإسلام هو الدين الحق فمماذا بعدُ الالتحاق إلا أضعفَمل (2) والمعتقدات الأخرى كلها معتقدات ومذاهب باطلة.

ويؤيد تحقيق هذه الخسارة للمسلم، وواقع جمعيات القومية العربية، فقد كتب النصارى من أعضاء جمعية بيروت الإصلاحية، القنصل العام لدولة فرنسا راجين إخوافهم في المعتقد طلب الحماية، قائلين للقنصل: (نحن الموقعين أثنا الأعضاء المسيحيون في اللجنة التنفيذية للجمعية العمومية المنتخبة. إنا إذ نعتبر فرنسا حامية المسيحيين العثمانيين ووطناً بالتبني لمسيحي سورية) (3).

وهذه المبادرة في المعتقد القومي قد ظهرت أيضاً لدى أعضاء الحزب اللامكزي، فقد صرح رفيق العظم: "أن الأعضاء المسيحيين يستدرجوننا إلى الرضا بالاحتلال الفرنسي والعمل له". ودلال على ما يقول بأنه أتي رجل مسلم غدير معروف إلى خليل أيوب – أحد أعضاء الحزب اللامكزي – وقال له:

(1) غير المسلمين في المجتمع الإسلامي- يوسف القرضاوي- 198-مؤسسة الرسالة- بيروت- الطبعة الثانية- 190-.
(2) سورة يونس- رقم الآية: 22.
(3) مذكرات سليم علي سلام- حسان حلاق- 205. وانظر: بلاد الشام- وجه كوثراي- 270.
لا أداركم تشتغلون مع رفيق العظم وأصحابه؟ فقال له: نحن نريد أن نتخذ هؤلاء المسلمين آلة للاحتلال الفرنسي (1).

فهذا هدف من دعوة التسامح عند الجمعيات القومية العربية، هو إزالة استنفراء المسلم الحق بإيمانه، الناشئ من إحساسه بالتميز عن الجاهلية المحيطة به في كل الأرض (2).

رابعاً: إن الدين الذي أنزله الله على عباده ليس أعمالاً تعبدية فقط، وإنما هو منهج حياة، فمن خلال توجيهات هذا الدين يقيم المسلم أمور دينه ودنياه.

وكان قائل تعلَّم: «يتأتىها الذبائح تأمتها آخذوا في السلم سكافة ولا تتبعون خطولات آل البيت فإن أحكم دعو ومين» (3).

ومعنى هذه الآية الكريمة: دعاء المؤمن محمد ﷺ، وما جاء به إلى الإسلام للعمل بجميع شرائعه، وإقامة جميع أحكامه وحدوده، دون تضييع بعضه والعمل ببعضه (4). وقال تعالى: «فَلِيُّنَّ إِنَّ صَلَاتِي وَنُشُوْكِي وَحَيَاي وَمَمَاتِي لَيْلَةٌ رَزْبٌ أَلَابِيْبِينَ» (5) وهذا النهج وحده أي بأداء تلك العبادة الشاملة المتكاملة، التي تحقق

(2) مذاهب فكرية معاصرة- محمد قطب- 593.
(3) سورة البقرة- رقم الآية (208).
(4) تفسير الطبري- 2/234.
(5) سورة الأنعام- رقم الآية (162-163).
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

غاية الوجود الإنساني، يلان الإنسان قد قام ـ قدر جهده ـ بالعبادة المطلوبة تجاه الله.

وقضاية التسامح الديني التي تدعو إليها جمعيات القومية، أهلت قضية الدين، وعززت قضية الانتهاء القومي، حيث أقرت أن للعرب الحق بأن يختلفوا عقائدياً وأن تعبد كل ملة منهم ما تشاء، ولكن لا يحق لهم أن يختلفوا في المبادئ القومية.

خامسةاً: من أي منطلق شرعي يقرر أعضاء جمعيات القومية العربية التسامح الديني، ودعوة المسلمين إلى نبذ الاعتراس بالدين، ومساواة المسلمين بغيرهم من الأديان والتحال الباطلة.

فإن دعوة التسامح من أبرز المخالفات الظاهرة إذ على المسلم أن يعرّ ما عليه أصحاب العقائد الباطلة، وذلك لتعابيش معهم. فليس من سلامة المنتهج الإرباني أن يكون المسلم على عقيدة واضحة العالم والجوانب، ثم يأتي ليوافق غيره على عقائدهم المتضاربة بمجرد كسب رضاهم، أو أن يكون مُتبعًا لمنهج خاص ودستور معين للحياة ثم يقول لدعاة المناهج والدساتير الأخرى إنكم جميعًا على الحق، فهذا هو النفاق الصريح، وليس هو التسامح الصحيح.


(2) الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة- الكويت- الطبعة الثالثة- 1998.
كما أن مبدأ جماعات القومية العربية في الدعوة إلى التسامح الديني وتوجيه الأديان، فيدعو إلى إبادة الردة عن الإسلام بطريقة لفيقة والخروج على منهج الله لكل من تسول له نفسه في ذلك (1).

وقد تسهل الردة في واقع المسلمين حينما ينشر في صحف المسلمين أمثال هذه الدعوات، ويتولى الدعوة إليها من يُضْنَّ في نظر المسلمين أهم الطبقة المثقفة (لا تفترقوا فراقًا وطواويف. فاليوم لا مسيحي ولا مسلم ولا يهودي ولا درزي ولا وثني، بل الجميع عرب وفي العرب للعرب. وإن العصر الحاضر عصر قيام الجماعات على أسس القومية دون تفريق في الدين والمذهب) (2).

ويتحدث شيخ الإسلام بن تيمية عن بعض الأفكار التي وجدت عند بعض الملز، فيقول: "وهؤلاء المتفلسفة، ومنصوصهم كابن سباع، وأتباعه يجوزون أن يكون الرجل يهودياً أو نصارياً أو مشكولاً. فليس الإسلام عِندَهِم واجبة، ولا التهمود والتنصر والشرك محرم، لكن قد يرجعون شريعة الإسلام على غيرها. وهذا من جنس جهل النتارت أول ما أسلموا، فإن الإسلام عِندَهِم خير من غيره، وإن كان غيره جائزًّا لا يوالون عليه ويعادون عليه.

وهذا أيضًا أكثر اعتقاد علماء النصارى، وكثير من اليهود، يرون دين المسلمين واليهود والنصارى مملكة المذاهب في دين المسلمين، فيجوز للرجل

(1) الموازاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية- محمود بن عبد الله الجلعود- 265
(2) مختارات المفيد- مقال: عبدالغني العريسي- 146 و 167
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

عندما ينتقل من هذه إلى تلك إما لرجحاؤها عنده في الدين، وإما لمصلحة دنياه". (1)

والم cui ينكر على جمعيات القومية العربية في دعوتها للتسامح الديني، مماثل لما أنكره شيخ الإسلام على أصحاب العقيدة الباطلة.

وفي ختام هذه الملاحظات على موقف جمعيات القومية من التسامح الديني، يجب التذكير بأمر مهم، وهو وجود الاتفاق بين ما دعت إليه جمعيات القومية العربية من قضية التسامح الديني، وبين ما أعلنه أعداء الإسلام والمسلمين لتحقيق هذا الأمر.

فقد اهتمت الدول الكافرة بقضية التسامح الديني، والعمل على احترام الحريات، التي تشتمل احترام المعتقدات الدينية المختلفة، وعدم التمييز بينهما، وعقدت العديد من المؤتمرات والقرارات القاضية بعدم تمييز قوم على قوم أو جمع جمع على جميع وفق أسس دينية، وإلغاء ما يوجب التفريق على أسس دينية. (2)

ومن تلك المؤتمرات ما صدر في تاريخ 25 نوفمبر 1981 م من الإعلان العالمي الخاص بالقضاء على جميع أنواع التعصب والتمييز القائمين على أساس

(1) الرد على المتطرفين-ابن تيمية-282
(2) انظر: التسامح الديني والتفاهم بين المعتقدات-وليم سليمان قلادة وآخرون-88-88-156-سلسلة حوارات الشهر-مركز آحاد المحامين العرب للبحوث والدراسات القانونية-القاهرة.
الجمعيات القومية العربية ومواقفها من الإسلام والمسلمين

الدين أو المعتقد. ووجوب التسامح بين الأديان والعمل في خير الإنسانية والمصلحة الوطنية.

وأما جاغ في الإعلان: القرار رقم 65/36: إن الجمعية العامة... إذ تضع في اعتبارها أن من الجوهر تعزيز التفاهم والتسامح والاحترام في الشؤون المتعلقة بحرية الدين والمعتقد. ومن قرارات هذا المؤتمر:

المادة رقم (1): لكل إنسان الحق في حرية التفكير والوجود والدين، ويشمل هذا الحق حرية الإيمان بدين أو بأي معتقد يختاره...

وفي المادة رقم (3): يشكل التمييز بين البشر على أساس الدين أو المعتقد إهانة للكرامة الإنسانية...

وفي المادة رقم (4) تتخذ جميع الدول تدابير فعالة لمنع واستئصال أي تمييز على أساس الدين أو المعتقد... وبذل جميع الدول كل ما في وسعها لسن التشريعات أو إلغائها حين يكون ضرورياً للحلول دون أي تمييز من هذا النوع، ولايجب جميع التدابير الملائمة لكافحة التعصب القائم على أساس الدين أو المعتقدات الأخرى في هذا الشأن.(1)

وجميع المواد لهذا القرار العالمي، تؤكد على الدعوة إلى التسامح الديني، والاعتراف بحرية المعتقدات، والوصاية باتخاذ جميع التدابير الفعالة لمنع واستئصال أي تمييز على أساس الدين أو المعتقد.(2)

(1) الإعلان العالمي للأمم المتحدة بشأن القضاء على التعصب الديني. 11-10-15

(2) المصدر السابق. 1-5-15
القسم الثالث: موقف الجمعيات القومية العربية من تحكيم الشريعة

عُرف أهل اللغة معنى كلمة الشريعة بأنهما ما قَضَّ الله للإنسان من الدين وأمره به ليتحرار اختيارًا مما تختلف فيه الشرائع ويعترضه النص، ودل على هذا المعنى قوله تعالى: "فَنَّذِرْ قَمَّةَ قَمَّةٍ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنْ أَلْقاَمْرِ قَائِمَهَا" (1). فكَلِّما شرعت فيه من شيء فهو شريعة، ومن ذلك قول لشريعة الماء: شريعة لأنه يشرع منها إلى الماء، ومنه سميت شرائع الإسلام شريعة، لشرع أهلها فيه (2).

والشريعة معناها الشرعي تطلق على معنين:

1 - الشريعة معنى الأحكام الفرعية: قيل تعالى: "لَكِنَّ جَعَلْنَا بِنْكَمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا" (3). وقد فسر ابن عباس هذه الآية بقوله: "سبيلًا وسنة" (4). وقال قتادة: "يقال (سبيلًا وسنة) والسنة مختلفة؛ هي في النوراة شريعة، وفي الإنجيل شريعة، وفي الفرقان شريعة، يجيِ الله فيها ما يشاء، ويجبر ما يشاء، ليعلم من بطعه، من يعاصيه، والدين الذي لا يقبل الله غيره التوحيد والإخلاص لله الذي جاء به جميع الرسل عليهم الصلاة وسلام" (5).

---

(1) سورة الجاثية، رقمة الآية: (18).
(2) الفردات - الرايغ الأصفهاني، (258) شرح.
(3) تفسير الطبري، (269/6).
(4) سورة المائدة، رقمة الآية: (48).
(5) تفسير ابن كثير، (120/3).
(6) تفسير الطبري، (269/6).
كما دلت السنة النبوية على هذا المعنى روى أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة والأئمة إخوة لعُلات أمهاتهم شتى ودينهم واحدٌ).

ففي الحديث (دينيا واحد): أي القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له وإن اختالفت شرائهم ومناهجهم كقوله جل جلاله: "لكل جعلنا مينكُ شرعَةً ومنهاجاً".

وقال السلف: "لم يبعث الله نبياً قد إلا أوصاه بإقامة الصلاة وإبتداء الزكاة والإقرار لله بالطاعة، وذلك دينه الذي شرع لهم".

وأما الشروائج فمختلفة في الأوامر والنواحي فقد يكون الشيء في هذه الشريعة حراماً ثم يحل في الشريعة الأخرى، وبالعكس وخفيفاً فيراد في الشدة في هذه دون هذه، وذلك لما تعالى في ذلك من الحكمة البالغة والصحة الدامغة.

2 - وتطلقة الشريعة ويراد بها المسائل العقائدية، قال تعالى: "شرككم من الدين ما وصَّيْهِ اللهُ نُوحًا وَالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْهِ وَمَا وَصَّيْتَ بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَيْمَنَ أَلَّدِينَ رَبٍّ ولا تُثْقَفُوا فِيهِ".

---

(1) صحيح البخاري-كتاب أحاديث الأنبياء-باب قولته (ر) أهل الكتاب لا تطيعوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق-رقم الحديث 3387.
(2) تفسير ابن كثير-3/121.
(3) الجامع لأحكام القرآن-القرطبي-1/11.
(4) تفسير ابن كثير-3/121 وانظر: فتح الباري-ابن حجر-6/245.
(5) سورة الشورى-رقم الآية 13).
قال تعالى: «شَرِعَ لَكُم مِّن أَيْلَم مَا وَصَّيْبَا نُوحًا وَالَّذِي أَوْحِيَ إِلَيْهِ إِلَّا أَنْ تَعْبُدُونَهُ وَلَّا تَفْرَقْوا فِيهِ» (1).

وهذى قال تعالى أيضاً: «أَن يَقُوا اللَّهُ وَلَا تَذْقَرُ فِيهِ» (3) أي أوصى الله تعالى جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالاتباع والجماعة ونهاهم عن الافتراء والاختلاف.

قال ابن تيمية عن حقيقة كلمة الشريعة: "اسم الشريعة والشرع والشرع فإنه ينظم كل ما شرعه الله من العقائد والأعمال، وقد صنف الشيخ أبو بكر الآجري (كتاب الشريعة) وصنف الشيخ أبو عبدالله بن بطة (كتاب الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية) وغير ذلك.

وإذا مقصود هؤلاء الأئمة في السنة باسم الشريعة: العقائد التي يعتقدها أهل السنة من الإيمان، فالسنة كشريعة هي: ما سنه الرسول وما شرعه فقد يراد به ما سنه وشرعه من العقائد، وقد يراد ما سنه وشرعه من العمل، وقد يراد به كلاهما (3).

وقد موضع آخر قال مؤكداً على شمول معنى الشريعة: "إن الشريعة جامعة لكل ولاية وعمل فيه صلاح الدين والدنيا، والشريعة إنها هي كتاب الله وسنة (3).

(1) سورة الأنبياء - رقم الآية: (25).
(2) تفسير ابن كثير - 183/7-8، وانظر: تفسير الطبري - 2/583-14.
(3) مجموع فتاوى ابن تيمية - 19/2006.
رسُوله، وما كان عليه سلف الأمة في العقائد والأحوال والعبادات والأعمال،
والسياسات والأحكام، والولايات والعطيات "(1).

وهذه الشريعة الواردة في الكتاب والسنة هي الحاكمة لأفعال المسلمين
والمرجع في جميع أحوالهم، كما قال تعالى: "فَمَرْ جِلْدَتْكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِن ٱلْأَمْرِ
قَاتِبِهَا وَلَا تَبِينَ مَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يُعْلَمُونَ (2)" فكان خطاب هذه الآية لبنيا
بأمر "قَاتِبِهَا"، فتابع تلك الشريعة التي جعلناها لك، فَوَلَا تَبِينَ مَآءَ ٱلَّذِينَ
لَا يُعْلَمُونَ (3)؛ ولاتتبع ما دعائك إليه الجاهلون بالله، الذين لا يعرفون الحق
من الباطل فتعمل به، فتهلك إن عملت به(4).

فلا يتجمع إيمان بدون التسليم والانقياد لشريعة رب الأرض والسماء،
قال ابن تيمية: "ليس للإنسان أن يخرج عن الشريعة في شيء من أموره، بل كل
ما يصلح له فهـو في الشرع من أصوله وفرعوه وأحواله وأعماله وسياسه
ومعاملته... وحقيقة الشريعة: اتباع الرسول والدخول تحت طاعته، كما أن
الخروج عنها خروج عن طاعة الرسول، وطاعة الرسول هي دين الله الذي أمر
بالقتال عليه، فقال: "وَقَالُوْهُمُ حَتَّى لَا تَكُونَ فَتَنَةً لِّيُكُونُ آخِرُ ٱلْيَوْمِ يَتَبَيَّنُ (5)" فعلى
كل من الرعاة والرعية والرؤوس والمؤرخين أن يطيع كل منهم الله ورسوله في
حاله، ويلتزم شريعة الله التي شرعها له(6).

(1) المصدر السابق-198/203.
(2) سورة الجاثية-رقم الآية(18).
(3) تفسير الطبري-146/25.
(4) سورة البقرة-رقم الآية (193).
(5) مجموعة فيناى ابن تيمية-19/12/2009-31.
(6)
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

ومن هذا المفهوم معيّن كلمة الشريعة ولأها شائعة للمعنيين جميعًا (العقائد والأحكام) وجوب تعدد الله بالعمل بما والتحاكم إليها، كانت ضمن مباحث التوحيد، سوف تكون مناقشة مواقف جمعيات القومية العربية من تحكيم الشريعة.

النوع الأول: استبعاد تحكيم الشريعة:

لدى البحث في كتب أعضاء جمعيات القومية العربية، لوحظ عدم الرجوع إلى الشريعة في صياغة مبادئ ونظام الجمعيات، وذلك لوجود أصحاب العقائد الباطلة فيها إما مؤسسين أو أعضاء.

وسبب آخر هو: أن أعضاء الجمعيات القومية ينظرون إلى الدين بالنظر الغربي وقد تشرروا مبادئ العلمانية التي تفصل بين الدين والحياة. وما زاد في تأثير أعضاء الجمعيات بلوثة العلمنة؛ أنه منذ أوائل القرن التاسع عشر — وهو وقت تأسيس الجمعيات — هبت موجة من الإصلاح بالنسخة الأوروبية، وشاهد تدوين القوانين فيها، لاسيما بعد تدوين القانون المدني الفرنسي.

كما تشرب أعضاء الجمعيات القومية مبادئ الديمقراطية التي تجعل المشروعة العلمية للمجاهير، وإذا رجعوا لحكومتهم فهو عند ضغط الواقع فرحعون إليه لتحقيق ما رغبوا، كما قال تعالى: "وإن يكن هم أحق بئنا على إله مدعين".

(2) سورة النور- رقم الآية 49.

مُدَعِّيَّين (٥)
وفي هذا المعنى صرح محمد جميل بيهم: "أن الاستدلال بالشريعة في قضية تنظير الجمعيات في كثير من المسائل كان تحت ضغط الاضطراب، مثل ذلك منهج الجمعيات فيتناول قضايا المرأة. يقول المؤسس في هذه القضية: نحن لا نريد أن ن تعرض لأحكام الدين، ولكن ما الحيلة ونحن نجد أنفسنا مقتراحين هنا لأن نبحث الموضوع على أساس ديني، لأن ما استقر في أذهان الناس على اعتبار أنه شرعي لا يزحزحه إلا البرهان الدیني. أما ما يلزم به الواقع الاجتماعي الذي يدين بالتسليم لشريعة رب العالمين، أن أحداً من أحكام الشريعة.

طالب مؤسس الجمعيات القومية العربية أن تكون سياسة الناس بعزل عن الدين، وواجهت هذه المطالبة بعد الاطلاع على سياسة الدول الكافرة لشعوبها، فقالوا: "إن العالم يسير إلى الديمقراطية الصحيحة سيراً حثيثًا. يفعل حياة الأمم السياسية بعزز عن الاعتقادات، بحيث لا يكون تباين اعتقادين في شعب واحد مانعاً من توقيع عرى القومية. وققد سبق الغرب الشرق بما عهدوه إلى هذه الديمقراطية، وبدأ الشرق يحس بما أو يشعر بالحاجة إليها. فليس المسيحي واليهودي وغيرهما بأقل حاجة من المسلم إلى الاعتقاد بالقومية وتوقيع وشائع الإخاء الوطني لدخول في تلك الديمقراطية.

ولتعليم هذا المعتقد طالب مؤسس الجمعيات من الدول الكافرة مساعدة البلاد الإسلامية لتطبيق هذا المعتقد، قالوا: "وليتكاتفوا المسلمين على المضي..."
في سبيل العلم والترقي والديمقراطية الصحيحة التي يسير إليها الشرق كما سار إليها الغرب، وليحققوا الدول الكافرة بذلك آمال الشرق في بنية"(1).

ويستمر مبدأ جماعات القومية العربية في إقصاء الشرعية من واقع المسلمين إذ أصدر حزب البيت القانون الذي سموه (قانون الأحوال الشخصية)، إنه يقـول مؤسس حزب البيت: (أصدر حزب البيت قانونًا للأحوال الشخصية أنصف المرأة وساواها في الإرث مع الرجل، مؤكدًا حقها الموازي للمرأة في الطلق، وحـدد سن الزواج بثمانية عشر عامًا. ومنع تعدد الزوجات إلا في الحالات الاستثنائية، الشيء الذي أثار حفيظة المرجعات الدينية السنية والشيعة على السواء باعتباره قانونًا مخالفاً للشرع.

وقرارت القيادة القطرية بعد مناقشات مطولة الإبقاء على القانون باعتباره منصفًا للمرأة حاميًا لها، فضلاً عن أنه ترك الحرية للمواطن في الأخذ به أو التزام الشرع الإسلامي(2).

في مباحث سابقة بنيت موقف الجمعيات العربية من الدين، وأن الأمر الذي اتفقت عليه الجمعيات أن يكون الدين حاكماً في أمور الآخرة وبعض الأحوال الشخصية، وأنه ممارسة وجدانية. وأصبح مستند الجمعيات العربية الذي اعتمد عليه أعضاؤها في تقرير وتنظيم مبادئها هو الاستناد إلى القومية الخالصة، وفصل الدين عن السياسة، التي يحرم على رجال الدين الاشتغال بها(3).

(1) مجموعة آثار رفيق العظم- رسالة الجامعة الإسلامية وأوروبـة) 82-85.
(2) أوكار الهزامة تجريبيًا في حزب البيت العراقي- هاي الفلكي- 119. وانظر: مجلة القضاء العراقية- السنة الثانية- العدد الأول والثاني- صفر سنة 1355 هـ.
(3) قضية العرب- علي ناصر الدين- 15.
إن استبعاد ما اسمه أعضاء الجمعيات بـ (رجال الدين) من الاشتغال في الأمور السياسية هو استبعاد للشريعة، وهذا كان من أبرز مبادئ جماعات القومية العربية فصل الدين عن السياسة.
وتنفذًا لهذا المبدأ رأت جمعية رابطة الوطن العربي أن يقتصر تطبيق الشريعة والحكومة السياسية الدينية على ولاية الحجاز ومنطقة المدينة المنورة حتى العقبة (1).
وـ(2) الرأي ظنت جموعية رابطة الوطن أضا حقًا تعقد مشكلة وهو الجمع بين السلطة الدينية والسلطة المدنية، فقال مؤسسها: "هكذا قد وـ (3) حلاً لصعوبة كبيرة بفصل السلطة المدنية عن السلطة الدينية في الإسلام من أجل خير الجمع الأكـ (4).
وـ(5) التقييم يريدون أن يجعلوا منطقة دينية كالفاتيكان في إيطاليا، وأما بقية العالم فيتحرر كما فعلت أوروبا بدينه المُحرم.
وبعدًا قبل الدين عن شؤون الحياة نادي علي عبدالرازق في كتابه (الإسلام وأصول الحكم) ملتزماً المبدأ العلماني، قال: "إن صلاح المسلمين في دنياهم لا يـ (6) توقف على شيء من أنواع السلطات، فليس لنا حاجة إلى تلك

---
(1) يقظة الأمة العربية - نجيب عازوري - 230.
(2) المصدر السابق - 37.
الجماعة القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

الخلافة لأمور ديننا ولا أمور ديننا. ولو شئنا لقلنا أكثر من ذلك، فإنا كانت الخلافة ولم تزل نكهة على الإسلام وعلى المسلمين، وينبوع شر وفساد“(1). أبْد أعضاء جمعيات القومية العربية ما جاء في هذا الكتاب من طروحات وأفكار تدل على بدء التوافق بين جمعيات القومية العربية وبين كتاب الإسلام وأصول الحكم (2) فيما يتعلق بمسألة علاقة السياسة بالدين.

إن مسألة تحكم الشريعة في كل شؤون الحياة هي من أساسيات العقيدة، والرجع إلى علامات الإيمان، كما قال تعالى: ۚ فَلَا وَرَبُّكَ لَآ إِلَّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْخَالِدُ ۚ وَإِلَىٰ هُمْ حَرَجٌ ۚ وَمَا قُضِّيَّتِهِمْ تُسَلِّمُونَ (3).

لقد أقسم سبحانه بنفسه، على نفي الإيمان عن العباد حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الدقيق إلى الجليل، ولم يكتم بمجرد إمكانه بهذا

(1) الإسلام وأصول الحكم- علي عبد الرازي-26-الطبعة الثانية-مِصر-1344هـ. وانظر في الرد عليه:

1. نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم-محمد الخضر حسين-المكتبة السلفية-القاهرة.
2. نظام الحكم في الإسلام-محمد يوسف موسى-دار المعرفة.
3. الإسلام وأصول الحكم نقد وتعليق-محمود حنفي.

(2) انضم علي عبد الرازي إلى حزب الأحزاب الدستوريين، وقد رفع الثقافة الأوروبية حيث تعلم في جامعة أكسفورد علوم السياسة وهي الفترة بين 1913-1914 وهى فترة تأسيس الجمعيات. انظر:

1. الإسلام والخلافة-ضياء الرفيق-36.
2. الإسلام والسيادة-الرازي-4/276.

(3) سورة النساء-قرن الآية(15).
التلكمـيم بل حتى ينتفي عن صدورهم الحرج والضيق من قضائه وحكمه، ولم يكـف منهم أيضاً بذلك حتى يسلموا تسليماً، وينقادوا انتياداً(1).

إن العباد ليس لهم من الشريعة إلا تحقيق العبودية لله تعالى، ولذا قال السلف: ما جاء الشرع إلا للتعدد، وهو المقصود من بعثة الأنبياء عليهم السلام، كقوله تعالى: (بِيَادِيَ الْنَّاسِ أَنْقُوا رَيْكَمْ) (2) وقاله: (الَّذِي كَبَّرَ أَحِكمَتُهُ) (3) فإنه يعتني بمن لدن حكمة خبيئة، ولذا تعبدها إلا الله (4) وقاله: لعَسَّكَ بِأَنْتَ لَهُمْ إِلَّا كَمَّ أَتَبِعْـْهُ وَيْلَكَ لِلْمُتَخْرِجِ الْقَدْسَ مِنَ الْأَلْسَمِ إِلَى الْنُورِ بِذَٰلِكَ رَٰبِهِمْ (5) إلى صبر الاعتراف بمقصرة، وقوله: (وَمَا أُرْسِلْتُ مِنْ قَلَّةٍ مِّنْ رَسُولِ إِلَّا ذُو حَكَمٍ فَأُعْبَدَ اللَّهُ مُحَلَّصًا لِلهُ اللَّدَى (6) وإنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ (7) أَلْحَكَمَ بِالْحَقِّ فَأَعْبَدْ اللَّهَ مُحَلَّصًا لِلهُ اللَّدَى (8) إلا الله اليوم أخالص(9).

وأما أشبه ذلك من الآيات التي لا تكاد تصيب، كلها دال على أن المقصود

من الشريعة — التعدد لله(10).

ولهذا ذكر الحافظ الإسحائي: "أن من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة,

قيل ما نطق الله به كتاب تعالى، وما صحت به الرواية عن رسول الله، لا

1) أعلام الموقعين- ابن القيم الجوزية- 5/10.
2) سورة النساء- رقم الآية (1).
3) سورة هود- رقم الآية (1-2).
4) سورة إبراهيم- رقم الآية (1).
5) سورة الأنساء- رقم الآية (2).
6) سورة الزمر- رقم الآية (2-3).
7) الاعتصام- الشاطبي- 61-62.
معدل عمدا وردا به، ولا سبيل إلى رده، إذ كانوا تاجورين باتباع الكتاب والسنة، مضمونا لهم الهيدي فيهما، مشهودا لهم بأن نبيهم يهدي إلى صراط مستقيم، مخذرين في خالفته الفتنة والعداء الأليم.

وبهذا كانت سيرة سلف الأمة من جانب تطبيق الشريعة، من أوضح الأمثلة للتسليم النطام لأوامر الوحي والانقيد للملحق، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أنه من أن يستروا خلاف مبادئ اليهود والنصارى حينما نبذوا كتاب الله تعالى، فقد قال رسول الله ﷺ: (إِنْمَا أُهْلَكَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَنْ هُمْ كَانُواْ إِذَا سَرَقُواْ فِي مَشْرِيقٍ تُرْكَوْاْ، وَإِذَا سَرَقُواْ فِي مَشْرِيقٍ الصَّعِيفُ أَقَامُواْ عَلَى الْحَدٍّ، وَأَيْمَ اللَّهَ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بُنتُ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا).

وسار أصحابه من بعده على التسلم النطام لشريعة الله وتحكيمها في كل شؤون الحياة، فلمو ظل الخلافة أبو بكر الصديق خطب قالاً: (عَظِيمٌ ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي.).

وكان هذا هو دين الصحابة كلهم ومنهجهم في تطبيق الكتاب والسنة واعتناصهم حاكمين على كل قول ورأي، ولما كان هذا منهج أصحاب رسول

____________________

(1) كما قال تعالى: (وَإِذَا تَأْهَدَى إِلَى صَرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) - سورة الشورى- قرآن الآية(52).
(2) كما قال تعالى: (فَلَبِحْظَرَ الَّذِينَ يَخَافُونَ عَنَّا أَنْ يُصِيبْهُمْ فَتْنَةٌ أَوْ يُصِيبْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) - سورة النور- قرآن الآية(12).
(3) كتاب اعتقاد أهل السنة والجماعة- أبو بكر الإحسائي- 31- دار الريان- الإمارات العربية المتحدة- الطبعة الأولى- 1411 هـ.
(4) صحيح البخاري- كتاب أحاديث الأنياب- باب حدوث ألغار- رقم الحديث(2116).
(5) البداية والنهاية- ابن كثير- 48/5. انظر: تاريخ الخلفاء- السريوطي- 84. 
الله ﷺ من تحكيم الشريعة، فقد قرر علماء السلف: (إن منهج السلف أظهر جعلوا الكتاب والسنة أسمائهم، وطلّبوا من قبلهما، وما وقع لهم من معقوفهم وخوفاطرهم، عرضهم على الكتاب والسنة فإن وجدوه موافقًا لهما قيلوه، وشددوا الله حيث أراه ذلك ووفقهم عليه، وإن وجدوه مخالفاً لهم تركوا ما وقع لهم، وأصلوا على الكتاب والسنة، ورجعوا بالنهمة على أنفسهم، فإن الكتاب والسنة لا يهديان إلا إلى الحق، وأرى الإنسان قد يرى الحق، وقد يرى الباطل).

ولذا لما أفق ابن عباس بوجود التمتع في الحج عارضه من عارضه باجتهد أبى بكر وعمر، فقال لهم ابن عباس: (يوشك أن تسول عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله ﷺ، وقولون: قال أبو بكر وعمر).

وقد علق ابن القيم على الآية قائلًا: (لم يكن أحد من الصحابة، ولا أحد من التابعين يرضى بهذا الجواب في دفع نص عن رسول الله ﷺ، وهم كانوا أعلم بالله ورسوله، وأتلى له من أن يقدموا على قول المعصوم رأي غير المعصوم).

(1) الحجحة في بيان المحمضة وشرح عقيدة أهل السنة والجماعة-244-2/42-دار الرايا-الرياض-الطبعة الأولى 1441هـ.

(2) معيّت التمتع: أي التحلل من الإحرام بعد العمرة. لقول جابر (قدمتًا مع رسول الله ﷺ، مهٌلٌ بالحج فأن سأل وجهها ﷺ، أن يُجعلها عمارة. وحبله قال: وكان معه الهدي فلم يستطع أن يُجعلها İkiيحشة). صحيح مسلم-كتاب الحج-باب بينون وجوز الإحرام، وأنتي يجوز إفراد الحج، والتمتع وإفراز وأن كناء إدخال الحج على العامي، وفني الحج الفارق من سنكر، لكم الحدث 134).

(3) مسند الإمام أحمد بن حنبل-37/767، وانظر: سنن النسائي-كتاب مناسك الحج-باب التمتع-رقم الحديث 1684).

1. زاد المعاد في هدي خير العباد-ابن القيم-2/6/206.
2. زاد المعاد في هدي خير العباد-ابن القيم الجزوية-2/196.

(4)
فمن خلال ما سبق يتبين أن من أبرز علامات السلف في تحكيم الشريعة، قوهم: (على الله البيان، وعلى الرسول البلاغ، وعليها التسليم).\\n
أما عن موقف الجمعيات القومية العربية من تحكيم الشريعة، يتبين أن الجريمة النكراء التي تولى كبرها أعضاء الجمعيات والأحزاب القومية هي تنحية الشريعة الإلهية عن الحكم واقتباس قوانين الكفار، وهذه الجريمة هي التي رفع علماء الإسلام أصوامهم بإنكارها، وبينما أنفسهم من أعظم وسائل هدم الدين، ابتليت بها المجتمعات المعاصرة، ومن هؤلاء العلماء:

قال الشيخ محمد بن إبراهيم: إن من الكفر الأكبر المستبين، تزيل القانون العصين، منزلة ما نزل به الروح الأمين، على قلب محمد ليكون من المنذرين بلساني عربي مبين، في الحكم به بين العالمين، والرد إليه عند تنازع المنازعين مناقضة ومعاندة لقول الله عز وجل: (فإن تنزَّهتم في شيء فردوه إلى الله ورسوله إن كنتم تؤمنون بِالله وَالَّذِي يَوْمَ الْآخِرَ ذَلِكَ خَيْرٌ وأَحْسُنُ تَأْوِيلاً) (1).

وبين الشيخ محمد بن إبراهيم أن بعض صور الحكم بغير ما نزل الله كفر أكبر مخرج من الملة: فقال "النوع الخامس: وهو أعظمها وأشنها وأظهرها معاندة للشريعة، ومكابرة لأحكامه، ومشاقة لله ورسوله، ومضاهة بالمحاكم الشرعية.

(1) صحيح البخاري- كتاب التوحيد-باب قول الله تعالى (بِأَيِّهَا الرَّسُولُ بَلْغُ ما أُتْوِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنَّمَا تَفْعَلْ فَما بَلَغْتِ رِسَالَتِكَ). وانظر:
1. عقيدة السلف وأصحاب الحديث-الصابوني-52-رقم (32).
2. حلية الأولياء-أبو نعيم-169/3.
3. فتح الباري-ابن حجر-13/12.
4. سورة النساء-رقم الآية (59).
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

٦٥٩

إعداداً وإمداداً وإرصاداً وتأصيلاً، وتحريراً وتشكيلاً وتنوعاً وحكماً وإزاماً، ومراجع ومُستندات، فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع مستندات، مرجعها كلها إلى كتاب الله وسنة رسوله، فهذه المحاكم مراجع، هي (القانون الملفق من شروائط شبه، وقوانين كثيرة، كالقانون الفرنسي، والقانون الأمريكي، والقانون البريطاني، وغيرها من القوانين، ومن مذاهب بعض البدعيين المتسببين إلى الشريعة).

فقد هذه المحاكم في كثير من أمصار الإسلام مهيأة مكملة مفتوحة الأبواب والناس إليها أسراب أثر أسراب، يحكم حكامها بينهم بما يتفاوت حكم السنة والكتاب، من أحكام ذلك القانون وترمهم به، وترغم عليه وتحتم عليه.

فيا معشر العقلاء ويا جماعة الأذكياء وأولي الله تعالى كيف ترضون أن تجري عليكم أحكام أمثالكم، وأفكار أشباهكم، أو من هم دونكم، ممن يجوز عليهم الخطأ، بل خطؤهم أكثر من صواعق بكثير، بل لا صواب في حكمهم إلا ما هو مستمد من حكم الله ورسوله، نصاً أو استنباطاً...“(١)

وقد أصل الشيخ مسألة التحكيم بنظرة العقيدة، فقال: "المحاكم إلى حكام الشرع المحاكمين بما يظهر لهم شرعًا ضروري لا غانه للمسلمين عنه، وهو دستور المسلمين وعقيدتهم، كما أنه مضمون شهادة أن محمدًا رسول الله، وقد أحكم الله لنا الدين أصولًا وفروعًا... ولا يجوز استبدال (الشريعة الإلهية بألف القوانين الوضعية) التي ما أنزل الله بها من سلطان، وإسناد المشاكل إلى أهل

(١) تجميع القوانين-محمد بن إبراهيم-١٧٠-١٨.
القوانين من إسناد الأمر إلى غير أهله، لأنه من التحاكم إلى الطاغوت الذي أمر
الله بالكفير به)\(^1\).

الشئيخ أحمد شاكر: ومن بين بطلان منهج تشريع القوانين واستبدالها
بشرع الحكم العليم، الشيخ أحمد شاكر، فبعد أن نقل أحمد شاكر كلمة ابن
كثير عن البابا وقاله فيه: (فمن ترك الشرع الحكم المنزل على محمد بن
عبدالله خاتم الأنبياء، وتحاكم إلى غيره من الشراع المنسوحة كفر، فكيف بمن
تحاكم إلى البابا وقدمها عليه؟ من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين)\(^2\).

قال أحمد شاكر: "أفيجوز مع هذا في شرع الله أن يحكم المسلمون في
بلادهم بتشريع مقتبس عن تشريعات أوربة الوثنية الملحمة؟ بل بتشريع تدخله
الأهواء والآراء الباطلية، يغيرونه ويدللونه كما يشاؤون، لا يبالوا واصعه أوافق
شرعة الإسلام أم خالفها؟

إن المسلمين لم يُبَلَوا بِهذا قط - فيما نعلم من تاريخهم - إلا في ذلك
العهد، عهد العتار، وكان من أسوء عهود الظلم والظلام. ومع هذا فإنه لم
يخضعوا له، بل غلب الإسلام العتار، ثم مرهم فأدخلهم في شرعته. وزال أثر ما
صنعوا بنشاط المسلمين على دينهم وشرعتهم، وبأن هذا الحكم السيء الجائر
كان مصدره الفريق الحاكم إذ ذاك، لم يدمج فيه أحد من أفراد الأمم الإسلامية
المكونة، ولم يتلمعوه ولم يعلموه أبناءهم. فما أسرع ما زال أثره.

(2) انظر: البداية والنهائية-1018/1993.
المجتمعات القومية العربية وموقعها في الإسلام والمسلمين

أوردوا هذا الوصف القوي من الحافظ ابن كثير - في القرن الثامن - لذاك القانون الوضعي، الذي صنعه العدو الإسلام جنكيز خان؟ ألم ترونه يصف حال المسلمين في هذا العصر، في القرن الرابع عشر، إلا في فرق واحد؟ أشرنا إليه آنذاك هو أن ذلك كان في طبقة خاصة من الحكم. أتي عليها الزمن سريعاً، فاندحرت في الأمة الإسلامية، وزال أثرما صنع.

ثم كان المسلمون الآن أسوأ حالاً وأشد ظلماً وظالماً منهم. لأن أكثر الأمم الإسلامية الآن تكاد تدين هذه في هذه القوانين المخالفة للشريعة، والتي هي أشبه شيء بذلك (الباقس) الذي اصطنعه رجل كافر ظاهر الكر، هذه القوانين التي يصفها لنا ناس يشتبون للإسلام، ثم يتعلموها أبناء المسلمين، ويفحرون بذلك أبناء وأبناء، ثم يجعلون مرّة آخرهم إلى معتقدي هذا (الباقس العصري) ويحقرون من يخالفهم في ذلك، ويسلمون من يدعوهم إلى الاستماساك بذينهم وشرعيتهم (رجعية) و (جامعاً) ..

بل إنهم أدخلوا أيديهم فيما بقي في الحكم من التشريع الإسلامي، يريدون تحويله إلى ياقفهم الجديد باقينا واللين تارة أخرى، وبالمرك والخدية تارة،وما ملكت أيديهم من السلطات أخرى، ويصرون - بدون حياء - بأهم يعملون على فصل الدولة عن الدين(1).

فبعد هذا الوصف الدقيق لحال الأمة في القرن الرابع عشر، وتعطيلهم لشريعة المرحم، وتحكيم القوانين الوضعية، قال ناصحاً للأمة ومبيناً الحكم

(1) عمدة التفسير- ابن كثير- تحقيق أحمد شاكر- 176 -174- تراث الإسلام.
الشريعي في تحكيم القوانين: "فيجوز إذاً مع هذا لأحد من المسلمين أن يعتنق هذان الدين الجديد أي التشريع الجديد، أو يجوز لأب أن يرسل أبناءه لتعلم هذا واعتناقه واعتقاده والعمل به، علماً كان الأب أو جاهلاً؟ أو يجوز لرجل مسلم أن يلي القضاء في ظل هذا (الياسق العصري) وأن يعمل به ويبعر عن شريعته البيئة؟ ما أظن أن رجلاً مسلمًا يعرف دينه ويؤمن به جملة وتفصيلاً، ويؤمن بأن هذا القرآن أنزله الله على رسوله كتاباً محكماً، لا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه، وأن طاعته وطاعة الرسول الذي جاء به واجبة قطعية الواجب في كل حال، ما أظن أنه يستطيع إلا أن يلزم غير متفرد ولا متأول، بأن ولاية القضاء في هذه الحال باطلة بطلاناً أصلياً، لا يلحقه التصديق ولا الإجازة.

إن الأمر في هذه القوانين الوضيعة واضح وضوح الشمس، هي كفر بواح، لا ضوء فيها ولا مداورة، ولا عذر لأحد من ينسب للإسلام كائناً من كان في العمل بما أو الخضوع لها أو إقرارها. ألا فليصعد العلماء بالحق غير هيابين، وليبلغوا ما أُمر به بثبيته، غير موانين ولا مقصرين.

الشيخ محمد الأمين الشنققشي: ويستمر إنكار العلماء على من يحكم القوانين الوضيعة، ويستبعد شريعة الرحمن في جميع شؤون الحياة، فمن هؤلاء العلماء محمد الأمين الشنققshi، قال: إن كل من اتبع تشريعاً غير التشريع الذي جاء به مسيد ولد أحمد بن عبد الله، فاتباعه لذلك التشريع الخالف كفر بواح، فخرج عن الملة الإسلامية.

(1) عمدة التفسير- ابن كثير- تحقق أحمد شاكر- 4/344.
ذكر الحديث الذي بروه ابن عباس قال: (يدعون ما دفع الله فلا تأكلوا وما لا شيرتن أكلهم فكلوه، فإن الله عزيز وجل: لا تأكلوا ولا تشركون إلا مالكمل يذكر اسم الله على وقنه. لفسق) وإن الشيطانيين ليوحون إلى أوليائيهم ليجحدواً欄ً وإن أطعنهم إنكم لنشركون (أ) إلى آخر الآية (١)، قال الشنقيطي: (إنكم لنشركون) فهو فسر من الله جل وعلا أقسم به على أن من اتبع الشيطان في تحليل البيعة أنه مشرك، وهذا الشرك خرج عن الملة بإجماع المسلمين، وسبوих الله مرتكبه يوم القيامة بقوله: (٥) أن تأعد الذين تعبدوا الشيطان إنهم لك عدو مبين) (٧). لأن طاعته في تشريع الخلاف للوحي هو عبادته (١).

وعند قوله تعالى: (ما له من ذويه من قول ولا يشركون في حكيمه) (٧). قال الشنقيطي: يفهم من هذه الآيات أن متبعي أحكام المشرعين غير ما شرعه الله أهم مشركون بالله. وهذا المفهوم جاء مبينًا في آيات أخرى.

(١) سورة الأنعام-رقم الآية (١١١).
(٢) سمن أبي داود-كتاب الضحايا-باب في ذبائح أهل الكتاب-رقم الحديث (٢٤٣). وأخرجه ابن معاجنة في السنن-كتاب الذبائح-باب السنة عند الذبح-رقم الحديث (٣٢١). وقال ابن كثير: هذا إسناده صحيح. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. وأقره الذهبي. انظر:
١. تفسير الطبري-٧/١٦.
٢. المستدرك على الصحيحين-الحاكم-١٣/٥١٠ و٦٣١.
(٣) سورة بس-رقم الآية (٢٠).
(٤) أضواء البيان-الشنقيطي-٣٠/٤٣٩-٤٤٤.
(٥) سورة الكهف-رقم الآية (٢٦).
ومن أكثر الأدلة صراحةً في هذا أن الله جل وعلا في سورة النساء بين أن من يريدون أن يتحاكموا إلى غير ما شرعه الله يتعجَّب من زعمهم أعظم مؤمنون، وما ذلك إلا لأن دعواهم الإيمان مع إرادة التحاكم إلى الطاغور بالغة من الكذب ما يحصل منه العجب، وذلك في قوله: ﴿فَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا ِبِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلْتَ مِنْ قَبَلِكَ يَرِيدُونَ أَنْ يَتَحاكَمُوا إِلَىِّ اللَّهِ وَقَدْ أَمْرُوهُ أَنْ يَكُفُّوا بِهَِّ وَيَرِيدُ أَنْ يُشْرِطُنَّ أَنْ يُضْلِلُهُمْ صَلِّيًا بَعْدًا﴾. (1)

وهي هذه النصوص السماوية التي ذكرناها يظهر غاية الظهور أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مختلفة لما شرعه الله جل وعلا على ألسنة رسوله، أنه لا يشكون في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته وأعماه عن نور الوقتي مثلهم. (2)

الفرع الثاني: الدعوة إلى سيادة الأمة في التشريع:

من مواقف جمعيات القومية من الشريعة الدعوة إلى أن يكون التشريع بيد الأمة أو مجموعة منها، لذلك تضمنت مبادئها: أن يكون التشريع بيد الأمة، وفي الخلاف الذي وقع بين العرب والترك، أجمع أعضاء الجمعيات القومية العربية على أن للعرب في الدولة العثمانية ثلاثة حقوق، هي: حق في السلطة، وحق في التشريع، وحق في التنفيذ.

(1) سورة النساء-رقم الآية(10).
(2) أضواء البيان-الشنقيطي-40/84-85.
الجمعيات القومية العربية ومواقفها من الإسلام والمسلمين

والسلطة التشريعية أراد بما أعضاء الجميات: أنها القوة التي تعني بوضع القوانين والأنظمة في الأمة. ولذا لم يرض أعضاء الجميات بالقوانين الصادرة من الدولة العثمانية لأنها صادرة بغية مشاركة أبناء العرب.

وعلى هذا الأساس فإن التشريع في مبادئ جميات القومية هو عبارة عن نزع السلطة من الأفراد، وضعها بين يدي الجماعات. وهذا المبدأ تكون الأمية هي صاحبة النهي والأمر في شؤونها، وتكون الهيئة الحاكمة وكيلة عن الأمية في إدارة تلك الشؤون.

إن هذا المبدأ يمثل أحد الاتجاهات العقائدية التي ظهرت في الأمة في القرن الرابع عشر الهجري، التي تنادي بمبدأ فصل السلطات، القاضي بإسند خصائص السيادة التي يختلف بعضها عن بعض، إلى أفراد أو هيئات مستقل بعضها عن بعض كذلك.

وقد يكون من أهم مبادئ نزوع أعضاء جميات القومية العربية إلى القول بسيادة الأمية في التشريع، هو تشريع بالعقيدة الديمقراطية، حتى قال في العظم: "إن تقدم المسلمين مناطق تحقيق الحياة الديمقراطية وتأسسة المجالس النيابية، وبنهضة المسلمين العلمية وحركتهم الفكرية، وتشريع روح..."
الديمقراطية، ما يقرب أوان التوفيق بين مصالح الشرق والغرب، ويدعو الدول إلى مصافحة الأمم الإسلامية" (1).

واعتبر رفيق العظم من أبرز أسباب تدن دولة الإسلام، انحلال عرى الحكومة الديمقراطية، فدخل الوهن على الحاكم والمحكوم، وشقي الظلم والمظلم (2).

ومن أجل تحقيق المبادئ الديمقراطية فقد سعت الجمعيات القومية إلى أن تتحرر من سلطة الخليفة العثماني، فقد صرح أعضاء الجمعيات، بقوة نفوذ وسلطة الخليفة، بقولهم: إن السلطان هو المرجع الأعلى لكل شأن مهم، فلا يعين وزيراً أو موظف كبير مدني أو عسكري، ولا يصدر قانون، ولا يجري ويستم أمر رئيسي إلا برفاقته الذي كان يعبر عنها تعبير (الإشراف السني)، بل كان يشمل أحياناً كثيرة شؤون ثانوية وتأفهة (3).

فككان السراب الذي سعت نحوه جموعات القومية العربية من سيادة الشعب — زيادة على محاولة التحرر من سلطة الخليفة — هو أن سيادة الشعب تجتمع بين عناصر الأمة على اختلاف المشارب والمذاهب والأراء، وتجعلها في مستوى واحد بالحقوق والواجبات (4).

(1) مجموعة آثار رفيق العظم - رسائل الجامعة الإسلامية وأوربة، 81.
(2) أشهر مشارب الإسلام - رفيق العظم - 120-122، (بتعثر).
(3) نشأة الحركة العربية الحديثة - محمد عزة دروزة، 189-189.
(4) مؤلفات رفيق العظم - الجامعة العثمانية، 125.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

فمن منطلق التساوي بالحقوق والواجبات بين أفراد الشعب، يتساوي رأي
النصارى واليهودي والباقي والدروز، ويتسارى رأي مفتي البلد ورأي رافقة
على المسرح، أو رأي كاتب صحفي ملحد.

وهكذا كان مبدأ الجمعيات أن إرادة الشعب باعتباره وحدة حرة ذات
كيان خاص، هي الحكم الأخير في تقرير مصيره والبت في أمره، بدلاً من جعله
سلسلة تشهده الأيدي الغاصبة، وبياعة تعرض في أسواق الاستعمار للمساومة
والقاipa.)

وإعطاء مجموعة من البشر أحقية التشريعة وسن الأحكام في الأمة من
الأفكار الوافدة على المجتمع الإسلامي، فهو ليس من مصطلحات علماء
المسلمين وإنما ورد إلى المجتمع الإسلامي بعد أن استباحت ديار الإسلام للغرب
بعد (ضعف ومن ثم) سقوط الخلافة العثمانية، فخاضوا خلال الدير وتبروا فيها
تنصير. . وطبقوا هذا القانون على بلاد المسلمين، وأوجدوا جيلاً من أبناء
المسلمين تربى على أعينهم وتعلم في جامعاتهم ليتبعون هذا القانون.

فكانت فكرة سيادة الأمة من مبادئ الثورة الفرنسية، وكان أول من نادى
بـ هذا المعتقد (جون لوك) وهو فيلسوف إنكليزي وقد تأثر بآرائه
التحرارية كثير من رجال الثورة الفرنسية.

(1) عبدالرحمن الشهابذ- حياته وجهاده- حسن الحكيم- 110
(2) الس núiة في الإسلام- عرف أبو عبد 24- مكتبة المناـر- الأردن- الزرقان- طبعة الأولى- 409 هـ.
الجمعيات القومية العربية وموقفها عن الإسلام والمسلمين

ودخلت بهذا المبدأ في مقابل النظرية المسماة (الحق الإلهي) وهي: نظرية سياسية تقول بأن الملك يحكم بموجب سلطة مطلقة منحها من الله مباشرة فهو غير مسؤول أمام أي سلطة أرضية (كالمبرنام مثلاً)، ولكنه مسؤول تجاه الخلق وحده، وبالتالي فإن أحدًا لا يستطيع أن يجرده من هذه السلطة مهما اشتفأ أو جار، وقد بقيت نظرية حق الملك الإلهي سائدة في إنجلترا حتى القرن السابع عشر، أما في فرنسا فقد بقيت هذه النظرية سائدة حتى نشوب الثورة الفرنسية، فقد صدر دستور الثورة الفرنسية عام (1789-1201هـ) وتما جاء في المادة الثالثة: الأمة مصدر السيادة ومستودعها، وكل هيئة وكل شخص يتولى الحكم إما يستمد سلطته منها.

وتمحصت الثورة عن نتائج اللغة الأممية، فقد ولدت لأول مرة في تاريخ أوروبا المسيحية دولة غربية لا دينية تقوم فلسفة على الحكم باسم الشعب وليس (باسم الله) وعلى حرية الدين بدلاً من الكنيسة، وعلى الحرية الشخصية بدلاً من التقييد بالأحكام الدينية، وعلى دستور وضعه بدلاً من قرارات الكنيسة.

الرد على موقف الجمعيات من سيادة الأمة في التشريعة:
إن جميع المبادرات التي ذكرها أعضاء جماعيات القومية بالدعوة إلى سيادة الأمة في التشريعة غير مقبولة في توطيد هذا الأمر وتحكيمه في واقع المسلمين.

---
(1) موسوعة المورد العربية-مينير البحتري.
(2) النظم السياسية-محمد كامل ليلة-420-437-450-574-00-450-460-00-470-00.
(3) أنظمة الحكم في الدول النامية-عبدالمجيد مطولي-00.
(4) العلمانية-سفر القوافي-169-169.
وقد سبقت الإشارة إلى أن فكرة سيادة الأمة في التشريع لم تكن معروفة عند سلف هذه الأمة ولا في خلفها إلا بعد الغزو الفكري في مجتمعات المسلمين.

وفي المباحث السابقة، أتضح أن من أهداف جماعات القومية إحلال الحكم المجتمعي بدلاً عن الشرع في واقع المسلمين، والقول بسيادة الأمة في التشريع من أبرز معايير الديمقراطية، حيث أن المثل الأعلى في الحكم المجتمعي هو أن يحكم الشعب نفسه بنفسه. ويسن القوانين التي تحكمه، ويسفر شؤون الإدارة الكبرى، ويقضي فيما يراد القضاء فيه.

ففيجنى الحكم المجتمعي أن السلطة - سيادة التشريع - ترجع إلى الشعب.

ونحن صاحب السيادة، وأن الديمقراطية في النهاية هي مبدأ السيادة الشعبية.

ولما كان الشعب لا يتصور أن يقوم بمجموعه في تنفيذ سيادة التشريع لذا ظهرت في الحكم المجتمعي المجالس النيابية وهي تعني أن الشعب يعهد إلى نواب عنه ينتخبهم لمدة معينة، وينيريهم عنه في ممارسة السلطة التشريعية باسمه، فالبرلمان في الديمقراطية هو الممثل للسياسة الشعبية وهو الذي يعبر عن إرادة الشعب من خلال ما يصدره من تشريعات أو قوانين.

وفيجب جماعات القومية العربية أن تنبه ذاكرتها حينما طالت بإيجاد المجالس النيابية ووجوب مشاركة العرب في هذه المجالس.

(1) انظر: الفصل الثالث- الباب الأول من الرسالة- ص: (275).
(2) دراسات في النظام الدستوري المعاصرة- محمد عبد الله العربي- 185.
(3) موسوعة السياسة- عبدالزهاب الكيالي- 2/186.
(4) المصدر السابق- 157/2.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

تبين أن معنى السيادة يلخص أساساً في الحق المطلق في التشريع الذي لا ي خضع لسلطة أخرى، كما عرفها أهل الاتحاص بقولهم: "الديمقراطية عبر عينها في الدستوير يبدا (سيادة الأمة) والسيادة طبقاً لتعريفها هي سلطة عليا لا يوجد أعلى منها"(1).

ومع ذلك، لا يوجد سلطة أخرى تملك صلاحية إعادة النظر في قراراتها، وهي سلطة لا يقيدها قانون(2).

ويمكن أن حصر النقد لدعوة الجمعيات إلى نظرية السيادة في التشريع – بما تدل عليه – في زاوية قولهم بسيادة الأمة بما تعني هذه العبارة من منح البشر – مهمة كانت ألقاهم أو أعدادهم – حق التحليل والتحريم (التشريع) وسن تشريعات في واقع الأمة دون الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله، وعرض ذلك فيما يلي:


(1) أنظمة الحكم في الدول النامية -عبدالحميد مطولي- 1985-265.
(2) العلاقات الدولية -جوزيف فرانكل- 1984-25 مطبوعات تامة.
(3) سورة البقرة- رقم الآية (313).
(4) سورة النساء- رقم الآية (105).
وكمما حدث الدين مصدر التشريع بأنه الكتاب المنزل، أبانت آيات أخرى أن صاحب السلطة المطلقة في التشريع هو الله كما جاء في الآية: "إنَّ الْحُكْمَ إِلَّا
ِّ اللهٍ يَقْضِي الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصْلِيْنَ (57)".(1)

وحكى الله تعالى حال من يتحاكم إلى غير حكم الله من أهل النفاقة، فقال تعالى: "ۖ يَرْعَمُونَ أَنْ هُمْ أَءَمَّنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَكَّمُوا إِلَى الْطَّغَوْتِ وَقَدْ أَمَرَّكَ أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الْشَّيْطَانُ أَن يَضْلِلَهُمْ ضَلَالًا بَعْدًا (58)".(2) قال ابن تيمية عن هذه الآيات: "ذَمَّ اللَّهُ عِر وَجَلَّ الْمَدِينَ الإِمَامَ بَالْكِتَابِ كَلَهَا، وَهُمْ يُتَكُّونُ الْبَحَكُمَ إِلَى الْكِتَابِ وَالسِّنَةَ، وَيَتَحَكَّمُونَ إِلَى بَعْضِ الْطَّوْغِيَّةِ الْمُزَضَّةَةِ مِنْ دُونِ اللَّهِ، كَمَا يَصِبُّ ذَلِكَ كُثِیرًا مِنْ يَدِي
ِّ الْإِسْلَامِ وَيَنْتَجُّهُ في تَحَكُّمِهِ إِلَى مَقَالَاتِ الصَّابِئِ الشَّرِيعَةِ أوِ غَيْرِهِ، أوِ إِلَى سَيَاسَةِ بَعْضِ الْمَلْكِ الْخَارِجِينِ عِنْ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ مِنْ مَلْوَكِ الْتَرْكِ وَغَيْرِهِمْ.

وإِذَا قَبَلَ هُمْ تَحَكُّمَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسَنَةِ رَسُولِهِ أَعْضَرَوْا عَن ذَلِكَ إِعْضَارًا، وَإِذَا أَصَابُوا مَسَّيَّةً فِي عَقْوَلِهِمْ وَدُعْيَمْهُمْ وَدُنْيَاهُمْ بِالْشَّهَابَاتِ وَالشَّهَابَاتِ، أَوْ فِي
ِّ نَفْوَرِهِمْ وَأَمْوَاهُمْ عَقْوَابًا عَلَى نَفَقَاتِهِمْ، قَالَوْا إِنَّمَا أَرَدا أنْ نَخْسَنُ بِتَحْقِيقِ الْعَلْمِ بالذِّلِقِّ، وَنَتَفَقُّ عَلَى الدَّلَّالَةِ الْشَّرِيعَةِ وَالْقَوَاعِدِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي هِيَ فِي الْحَقِيِّةِ ظَنُّون
ِّ وَشَهَابَاتِ(3).

(1) سورة الأنعام-رقم الآية(57).
(2) سورة النساء-رقم الآية (3).6.
(3) مجموع الفتاوى-27/37.
وسيادة التشريع من دون الله ارتشها لأنفسهم اليهود والنصارى قبل الإسلام، فهي ليست عليهم جديدة؛ قال تعالى: "أُحْنِدُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَّهُمْ أَرْبَابًا مَّنْ دُورَهُمُ اللَّهُ وَالَّذِينَ مُنَضِّقُونَ مَرَّمَ مَّا أَمَرَّوْا إِلَّا أَلَيْبَدَوْا إِلَيْهَا وَحِيدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ" (1).

وقد جاء في تفسير هذه الآية الكرية حديث عديٌّ بن حاتم قال: أنهُ النبي ﷺ وقَرَّرَهُ عَنْكَ عَنْكَ هَذَا الْوُسُفٌ وَسَمَّعَهُ يَقُرُّ، في سُورَةٍ بِرَاءَةٍ، "أُحْنِدُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَّهُمْ أَرْبَابًا مَّنْ دُورَهُمُ اللَّهُ" (2). قال: "أما إِنْ هُمْ لَمْ يَكُونُوا بِعَدْوَتِهِمْ وَلَكِنْ هُمْ كَانُوا إِذًا أَحْلَوْا لَهُمْ شَيْئًا استَحْلَوْهُ وإِذًا حَرَّمَوْا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمَهُوَأ".

قال أبو البختري: "أما إِنْ هُمْ لَمْ يَصِلُوا لَهُمْ، وَلَوْ أَمَرُوهُمْ أَنْ يَسْلُوُهُمْ مَنْ دُونَ اللهِ مَا أَطَاعُوْهُ، وَلَكِنْ أَمَرُوهُمْ فَجَعَلُوا حَالَةً لِلِّلَّهِ حَرَامًا، وَحَرَامَةَ حَالَةً، فَأَطَاعُوهُمْ فَكَانَتْ تَلكَ الْرُّبُوبَةُ" (3).

ويَعْتِبُ عَمَّوْرُ بَيْنِي مُوَذِّجَ مِنْ نَمَاذِجِ سِيَادَةِ التشريع عند مَشْرِكِي الْعَرَبِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "رَأَىْتُ عَمْرَوَ بْنَ غَامِرَ بْنَ لَحْيَةَ الْخَزَاعِيِّ يَجْعُرُ قُصْبَهُ فِي الْتَّانِ، وَكَانَ أَوْلَٰى مِنْ سِبْبِ السَّوْائِبِ" (4).

(1) سورة التوبة-رقم الآية (21).
(2) سنن النجاشي-كتاب التفسير-باب ومن سورة التوبة-رقم الحديث (1020)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا يُنفِّر إلا من حديث عبد السلام بن حرب وعُطِف بن اَعينَ بن يَعْفُر فِي الحديث.
(3) مجموع الفتاوى - 767.
(4) صحيح البخاري - كتاب المناقب - باب قصة خَرَاجَة - رقم الحديث (326).
ومن أمثلة تشريع الجاهلية التي ذكرها القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ما جعل الله من نعمة وله سلم وحة وحامية ولا حمار ولا سماية ولا خيرات فلا يفترون على الله الكذب وأكثروا الله عناً﴾ (1).

فكان التشريع أن البُحَرَة هي التي يُمنع ذرعها للطوَّاعين ولا يُحملها أحدٌ من السَّاكِنِين والسَّاكنة التي كانوا يستَبِعونَها لِأَلَهِتِهم فلا يُحْمَلُ عليها شيء(2)، والوصيلة السَّانِقة البَكَر في أول نتائج الإبل ثم تنبيه بعدُ بَبِئِي، وكانوا يُسَبِّبونَها لِطوَّاعِيهم إن وصلت إحاهاً بالأَحْرَى لِيسَ بَيْهُمَا ذَكَرً، والْحَامَ: فَحُلَ الإبل بِصَبَرِ الْضَّرَابِ المُعَدُودَ فِي أَقْصَى ضَرَابِهِ وَدُعْوَهُ لِلِّطَوَّاعِيَةَ وأغْفُوهُ من أَحْرَى، فَلَا يُحْمَلُ عَلَيْهَا شَيْئًا(3).

فهَذَا التشريعات الجاهلية قد صدرت عن عمرو بن جي، فهو أول من سبب السوائب وكان هذا الرجل أحد ملوك خزاعة، وهو أول من فعل هذه الأشياء وهو الذي حمل قريشًا على عبادة الأصنام لعن الله وقيمه(4).

وصفة السيادة هي من صفات التعظيم ولا يتصف بما إلا الله، ومن معاني قولَه تعالى: ﴿لله الحمد﴾ (5) أن العرب تسمَّي أشرافها الصماد. ومن معاني: السَّيِّدُ الَّذِي انتهى سوداءً(6).

(1) سورة المائدة-رقم الآية(103).
(2) صحيح البخاري-كتاب المناقب-باب قصة خزاعة-رقم الحديث(226).
(3) المصدر السابق-كتاب التفسير-باب (ما جعل الله من بحره) الآية-رقم الحديث(257).
(4) تفسير ابن كثير-7/186.
(5) صحيح البخاري-كتاب التفسير-باب قول الله (الله الصماد).
وهناك لم يرض الرسول ﷺ أن يوصف بها، فعَنْ مُطْرِف قول: قال: أبي ﺑـ ﺋــٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰ~

الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والسلمير

(1) سنن أبي داود-كتاب الأدب-باب في كرآهي النماذج-رقم الحديث (172) (وتأتي من مسند أحمد).

(2) نهاية في غريب الحديث والأثر- ابن الأثير-2/3-417.

(3) مختصر سنن أبي داود ومعالم السنن وتهذيب ابن القيم الجوزية-7/176.

(4) سورة العلق-رقم الآية (6-7).

(5) إعلام الموقعين-ابن القيم-1/53.
الحاكم الجائر المغير لأحكام الله تعالى، كما قال تعالى: «آلمَ تَرِيْلِيْ آلهِينَ يَزْعَمُونَ أنَّهمَّ إِنْذَا أُنُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ بَشَرُّ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الْطَّغْوَاتِ وَقَدْ أَمْرُوا أَنْ يَكُفُّوا بِهِ وَيَرَيدُ الَّذِينَ يُضَلُّهُمُ صَلَالَهُ بَعْيَدًا» (1).

الذي يحكم بغير ما أُنزل الله، والدليل قوله تعالى: «وَمَنْ لَمْ يَتَحكُّمِيْمَا أُنُزِّلَ آلهِينَ فَأَوَلَّيْكَ هُمُ الْكُفَّارُونَ» (2).

فلمسلم لا يدين بسلطة تشريع إلا الوحي المنزَّل المعصوم من الخيل والخاباة والنقضان، قال تعالى: «مَا قَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ» (3)، قال: «وَسَلَّلَ شَيْءًا فَصَلَّوْتُهُ فَنصَصِيَّةً» (4).

فمن عقيدة المسلم عند التنزاع أن يكون الحاكم هو الكتاب والسنة، لأنه من حق كل أحد أن يكون حاكمًا بما جاء به النبي فقط لا بخلافه، كما أن من حق كل أحد أن يحكم إلى ما جاء به النبي فمن حكم بخلافه أو حاكم إلى خلافه فقد طغى، وجاوز حده، حكماً أو تحكيمًا (1).

(1) سورة النساء-رقم الآية (160).
(2) سورة المائدة-رقم الآية (44).
(3) الجامع الفريد-271-طبع في مطبعة المدينة-الرياض.
(4) سورة الأعام-رقم الآية (38).
(5) سورة الإسراء-رقم الآية (12).
(6) تحكيم القوانيين-محمد بن إبراهيم آل الشيخ-9.
والجماعات التشريعية التي تطالب بإنشائها جمعيات القومية العربية في المجتمعات الإسلامية لا تقدم لهم إلا فساد الدين والدنياء، فقرارات وأنظمة البشر تحمل الصفات البشرية من الخطايا والجهل والظلم والنقص.

وقد صرح أهل القانون بعد الجهاد الذيبذلوا لملاحقة قوانينهم تعديلًا وتبديلًا، فقالوا: "أين الحق وأين الباطل في الآراء البشرية الخاصة بهذه الموضوعات؟

إذا لا يجد لدى البشرية مقياساً للحق والباطل، كل المقاييس التي حاولت الإنسانية أن تخترعها منذ الأزمنة القديمة أثبتت فشلها وبطلانها، وباقي اختلاف البشرية كما هو، ولمما لم تستطيع الجماعات البشرية أن تصل بعقلها إلى الحق، وأن تكشف الباطل كان لديها المجال المتسع الكبير لتزييف الآراء أو صناعة الآراء".

ثالثًا: سيادة تشريع الشعب من أجل القضاء على تفرد الخاكم:

يدعى أعضاء جمعيات القومية العربية، أن سبب دعوهم بسياسة التشريع للشعب، من أجل نزع سلطة الحاكم المطلقة.

إن السيادة المطلقة سواء كانت لفرد أو لجماعة مرفوضة، وممارسة التشريع من دون الله إذا كان يقوم بما فرد واحد، فهي شيبة للممارسة التشريع التي يقوم بها مجموعة.

(1) الشريعة الإسلامية-عبدالرحيم مصي-منشأة المعارف بالاسكندرية-الطبعة الأولى.
وكان الواجب على أعضاء الجمعيات القومية أن يعودوا إلى الله الحق، وأن يطلبوا نزع ممارسة التشريع من الحاكم الفرد المطلق وردها إلى الله، ولو طلبوا هذا لوقفوا للصواب، ولكنهم طلبو نزعها من فرد وردها إلى ممثل الشعب. وذلك لأن المحرك لم ينص الغيرة على الإسلام وعلى شريعة الله، وإنما المحرك لم تقلبههم الأعمى للغرب الذي ثار على سلطة الحاكم المطلق وردها إلى الشعب.

فقد كانت نتيجة الثورة الفرنسية تسلب الشعب على مكانة التشريع، والثورة على الحق الإلهي، وهي: نظرية سياسية تقول بأن الملك يحكم بموجب سلطة مطلقية. وهذه النتيجة مثل نتيجة ثورة الجمعيات القومية أن جعلت للشعب (أفادوا أنها أو جماعات) الحق في ممارسة التشريع.

قال الرسول ﷺ: "إنه يصنع من قلبكم، شرباً بشرب، وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحورة ضرب لسلكتهمو، فلتنا: يا رسول الله اليوهود والنصارى؟ قال: فمَن؟" (1).

والمنهج الإسلامي في سياسة الأمة هو التزام السلطة الإسلامية بإحكام الشريعة الإسلامية، وأن احترام السلطة أحكاماً تخلق شرع الله وجعل ذلك ديناً يعمل به الناس منقذة لنلك السلطة (2).

فلا يفعل الحكم إلا بما أنزل الله تعالى على لسان رسوله ﷺ وهو الحق وكل ما عدا ذلك فهو جور وظلم لا يفعل الحكم به، ويفسخ أبداً إذا حكم به حاكم، وبرهان ذلك «وأن أحكم بينهم بما أنزل الله» (3).

(1) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنباء، باب ما ذكر عن نبي إسْرَائِيل رَبِّهِ، رقم الحديث 3197.
(2) السعادة في الإسلام، غارف أبو عبد الله، 174.
(3) المخلص، ابن حزم، 262، كتاب الأقضية، رقم المسلة 1774، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
ومنهج جماعات القومية العربية في تقرير السيادة للشعب هو انتقال من سلطة الفرد إلى سلطة الجماعة، والأصل الانتقال من سلطة البشر وسيادتهم إلى سلطة وسادة رب البشر.

قال تعالى مختصرًا نبيه خاصًا، والأمة عامة: «تُمْ جَعَلْتَكُمْ عَلَى شَرِيعَةٍ مَّنْ أَلْلَهِ فَاتَّبَعْهَا وَلَا تَتَّبَعْ آهَوَاهُ أَلَّذِينَ لَا يُعَلُّمُونَ» (1) فإما شريعة الله وإما أهواء الذين لا يعلمون، وليس هناك من فرض ثالث، ولا طريق وسط بين الشريعة المستقيمة والأهواء المتقلبة، وما يترك أحد شريعة الله إلا ليحكم الأهواء فكل ما عداها هو يهجو إليه الذين لا يعلمون.

قال صاحب الظلال في تفسير قوله تعالى: "تُمْ جَعَلْتَكُمْ عَلَى شَرِيعَةٍ مَّنْ أَلْلَهِ فَاتَّبَعْهَا" "إِذَا شَرِيعَةٌ واحِدَةٌ هَيْ الَّيْ تَسْتَحِقُّ هذَا الْوُصْفُ، وَمَا عَنَا أَهْوَاءِ مِنْهَا الْجَهَلِ، وَعَلَى صَاحِبِ الْدُّعَاةِ أَنْ يَتَبَعَ الشَّرِيعَةَ وَحَدَّاهَا، وَيَدْعُ الأَهْوَاءِ كُلَّهَا، وَعَلَيهَا أَلا يَنْحَرَفَ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الشَّرِيعَةِ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الأَهْوَاءِ" (2).

وقد أجمع العلماء على أنه مذاك النبي ﷺ فقد انقطع الوعي وكم الدين واستقر، وأنه لا يجل لأحد أن يزيد شيئاً من رأيه بغير استدلال منه، ولا أن ينقص منه شيئاً ولا أن يبدل شيئاً مكان شيء، ولا يحدث شريعة. ولا يحل ترك ما صح من الكتاب والسنة (3).

---

(1) سورة الجاثية-رقم الآية(18).
(2) في طلال القرآن-سيد قطب-5،329/5.
(3) مراتب الإجماع-ابن حزم-174-175.
فمما ظهر من كتاب الله تعالى وسنة نبيه وأقوال سلف الأمة، تبين مخالفة منهج جماعات القومية العربية من الشريعة، في تبني قضية سيادة التشريع للشعب أو مجموعة منه.

الفرع الثالث: تحكيم الكفار في أحوال المسلمين:

إن تعاظم صورة الحياة الغربية في جميع مجالاتها لدى أعضاء جماعات القومية العربية، قضية لا تحتاج إلى برها، ومن جراء هذا التقدير والإعجاب بالحياة الغربية، لطالما طالب كثير من أعضائها بالاستعانة بالكافر والذين أطلقوا عليهم (مستشارين أجانب).

فكان من ضمن قرارات الجمعية الإصلاحية: تعين الحكومة المركزية مستشارين من الأجانب، على شرط معرفتهم إحدى اللغات الثلاث العربية أو التركية أو الفرنسية .. وتعين أيضاً مفتشاً أجنبياً عاماً لكل لواء من الألوية يخول حق تفتيش أية دائرة كانت من اللواء .. وبعدين المجلس العمومي من الدول التي ترضاها الحكومة المركزية، مستشارين لدوائر: مجلس الولاية العمومي، والعملية .. والمعارف .. والبوليس، وتكون مدة الاستشارة (15) سنة قابلة للتجديد (1).

وطرحت جماعات القومية العربية موضوع الاستعانة بالمستشارين الأجانب) أثناء اجتياز المؤتمر العربي الأول، وأجتمعت آراء أعضاء الجمعيات القومية على مبدأ استشارة الأجانب، فمن أقوال أعضاء الجمعيات:

(1) ثورة العرب-أحد أعضاء جماعات العربية-1676. وانظر:
1. مجلة المنار-رشيد رضا-المجلد 16-الجزء 4-سنة 1331-ص.275.
2. مذكرات على السلام-1331-1500.
يُقول أحد الأعضاء (1): "لا أرى أيًا ناجحين — أعضاء المؤتمر العربي — 
بأي طريقة من طرق الإدارة إلا إذا استعنا في تنفيذها بمعارف الاختصاصيين من 
الأجانب، يوم يكونون مستشارين لنا، وأن الاستعانة بمعارف الأجانب 
الاختصاصيين ليس فيها ما يخشى منه على جامعتنا السورية".

وقال سليم سلام — عضو وأحد المؤسسين للجمعية الإصلاحية —: "ليس 
في نظام اللامركزية ما يمنع الاستعانة لا بالقرب ولا بالبعد، بل هو قائم على 
أساس الحاجة الداخلية لكل ولاية من الولايات".

وعلى نفس المنهج سار حزب اللامركزية، فقد قال اسكندر عموم: "ليس 
بين برنامج حزب اللامركزية وبين اللوائح الأخرى الخاصة ببعض الولايات أي 
خلاف، فإن برنامج الحزب نص على أن اختيار موظفي كل ولاية من حقوق 
مجلس الإدارة تلك الولاية. فهو مطلق الإرادة في أمر الموظفين وفي كل الأمور 
الداخلية للولاية" (2).

ويؤكد موقف حزب اللامركزية أن محجة المنار قد كتبت ثناءً وشكرًا 
لأعضاء جمعية بيروت الإصلاحية بعد تأسيس نظام الجمعية، وقال صاحب 
المجلة: "كنت أود لو جروا — أعضاء جمعية بيروت الإصلاحية — على طريقة 
حزب اللامركزية. بمصر فلم يقيدوا أنفسهم بهذه القيود الثقيلة في مسألة 

(1) شارل أفندي دباس.
(2) المؤتمر العربي الأول - 15
المشتركون من الأجانب.. وحزب اللامركزية الإدارية في مصر لم يتعرض في برنامجه للتفصيل لأن الإنفاق عليه متعذر فعسى أن يكون هو الجامع للجميع(1). وقد بدر أعضاء الجمعيات الاستعانة بالمبتكرين الأجانب من أجل النهوض بالبلاد العربية(2). ويتضح موقف جمعيات القومية، من قضية استشارة الأجانب حينما حددت الجمعيات مجال مهام الأجانب، والتي تلخص فيما يلي:

1- تفسير مواد النظام الذي تضعه الحكومة المركزية ..

2- تفسير القرارات والأنظمة التي يضعها المجلس العمومي .

3- النظرة والحكم في وجب عزل الموظف أو عدمه .

4- النظر والحكم بناء على طلب الوالي أو أحد البتكرين في كل خلاف في الرأي يقع بين أحد المشتركين والمجلس العمومي أو إحدى لجانه أو أية دائرة كانت . ويكون حكمه مبرماً ..(3).

وهما تجب الإشارة إليه قبل مناقشة موقف الجمعيات من الاستعانة بالأجانب، نصارى العرب هم من أبرز من تولى مهمة تأسيس الجمعيات في البلاد العربية، وقد كانت لهم سلطة في صنع القرار وتوجيه الرأي العام. فهم والمستشارون الأجانب في حكم الشريعة واحد.

(1) مجلة التنار- رشيد رضا- المجلد 16- الجزء 4- سنة 1331- ص: 280.
(2) الحركة العربية- سليمان موسى- 85.
(3) العربي والترك في العهد الدستوري العثماني - 367- 368.
فليس هناك فرق بين الكافر (الأجنبي) أو الكافر العربي (عضوًا كان أم رئيس جمعية) فهم في الجانب الشرعي حكمهم واحد إذ يجمعهم الكفر، وقد قال تعالى: (وَلَنْ نَجِلِلْ أَلَهَّةَ لِكَانَ كُتُبَيْنَ عَلَيْهِمَا سَيِّئَاتٗ) (1)

وقد تناول علماء السلف حكم استشارة الكافر في هذا الجانب ففرقوا فقط بين الدمي والمحارب الكافرين فقط، دون النظر إلى لغته أو بلده. وأما عن مناقشة آراء الجمعيات في مسألة استشارة الأجانب، فيمكن القول فيها بما يلي:

أولاً: الاستفادة من حبرات الأمم الأخرى، مطلب شرعي: الظاهرة من نصوص الشريعة والتطبيق النبوي العملية، عدم الممانعة من الاستفادة من حبرات الأمم الأخرى، وقد قال تعالى عن الكفراء: (يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحِبُّوٍّ الْذِّينَ يُؤْمِنُونَ مَنْ أَخْرَجَهُمْ عَلَى الْآخِرَةِ هُمْ غَنِيفُونَ) (2). فعندما يكون لدى الأمم الكافرة علم من علوم الدنيا المباحة، فلا ممانعة من أخذ تحاريمهم، والأدلة على ذلك كثيرة منها:

1- عُنُن جُدَامَة بَنَتُ وَهْب الأَسْتِدْيَة أَنْهَا سَمَعَتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ﺑَيْوُلُ:

(لَقَدْ هُمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنِ الْفِيْلَةِ حَتَّى ذَكَرَتُ أَنَّ الرُّومَ وَفارِسَ يَصُنِّعُونَ)

(1) سورة النساء- رقم الآية (141) وانظر: تفسير الطبري- 337/5/ 419/ 5.

(2) نظر: أحكام أهل الذمة- ابن القيم- 208/1.

(3) سورة الروم- رقم الآية (7).

الغيلة: يكسر الغين، ويجوز الفتح، من الغيل، وهي كما قال الإمام مالك وغيره: أن يجمع الرجل زوجته وهي مرضع. نظر: موطأ مالك- كتاب الرضاع- رقم الحديث (111). نظر: النهاية في:

الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

ذلك فلا يصير أولادهم(1). قال الشقيطي: فأخذ منهم - يعني فارس والروم - تلك الخطة الطبية ولم يمنعه من ذلك لأن أصلها من الكفار(2).

2 - ثبت عند أهل السير أن حفر الخندق في غزوة الأحزاب كان من رأي سلمان الفارسي، الذي قال: (إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا) فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق حول المدينة(3). فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم الخطة العسكرية التي كانت عند الفرس ولم يمنعه من ذلك لأن أصلها للكفار(4).

فالموقف الطبيعي للإسلام والمسلمين من تجربة الأمم الكافرة هو أن يعتدوا المسلمون - في تحصيل ما أنجزته من النواحي المادية، ويجدروا بما جنته من التمرد على خلق الكون جل وعلا، فتصلح لهم الدنيا والآخرة(5).

ثانياً: الاستعانة بالكافر واستشارتهم: من خلال تحديد جمعيات القومية العربية لتوظيف المستشار الأجنبي يبين إبراز سلطة الكفار على المسلمين، وأن لهم السلطة المطلقة من عزل وتوظيف وتفتيش وتفسير الأنظمة.. الخ.

(1) صحيح مسلم- كتاب النكاح- باب جواز الغيبة وهي وطه المرضع- رقم الحديث(٢٦١٢).
(2) أضواء البيان- الشقيطي- ١٤٢ /٢٨٣.
(4) أضواء البيان- الشقيطي- ١٤٢ /٣٨٣.
(5) المصدر السابق- ١٤٢ /٣٨٣.
لم قد قُدِّمَت دراسات فقهية تبحث في مسألة الاستعانة بالمشاركين (1)، وليس هذا موضع إيراد تلك المباحث، وتستحضر مناقشة موقف الجمعيات في هذه المسألة من خلال مهام المستشار.

إن هذه الاستعانة المذكورة تختلف نصوص الشريعة فهي ضد منهج الجمعيات القومية، ولأن هذا النوع من الاستعانة يمثل تحديد مهام المستشارين، فيها تسليط الكفار على المسلمين، وقد قال تعالى: ۗ "وَلَنْ يَجْعَلُ اللَّهُ لِكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا". وقال تعالى: ۗ "يَتَبَيَّنَ لَهُمُ الْأَلَٰءَ هُمَا لاَ تُخْذِبَا بِطَآةَ مَنْ دُونَكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ حَيَآتَ (2)."

فقدّه في الله في هذه الآية المؤمنين أن يتخذوا أهل الكفر بطائفة من دون المؤمنين، وأن يستعينوا بهم في خواص أمورهم. وفي الآية دلالة على أنه لا تجوز الاستعانة بأهل الذمة في أمر المسلمين من العمالات والكتب (3).

وكان هذا فهم عمر بن الخطاب من هذه الآيات، فعندما قيل له: "إن هؤلاء علاماً من أهل الخمرة، لم يُرَ قطّ أحفظ منه ولا أكتب منه، فإن رأيت أن تتخذه.

(1) انظر: أحكام أهل الذمة- ابن القيم الجوزية- 208/1 وما بعدها.
(2) أحكام الذمين والمستأمنين في دار الإسلام- عبدالكريم زيدان.
(3) الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي- عبدالله الطريقي.
(4) الإسلام وأهل الذمة- علي حسني الخروطي.
(5) سورة آل عمران- رقم الآية (18).
(6) أحكام القرآن- الحصص- 2/376.
كتابًا بين يديك، إذا كانت لك الحاجة شهيدًا فقال عمر: "قد اتخذت إذن بطانة من دون المؤمنين"(1).
والآيات التي ورد فيها النهي عن موالاة الكفار، من النصوص التي تمنع من جعل ولاية الكافر على المسلمين، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿لا يتخذ ال۱۰۵۵۶۷۱۰۷۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷۱۰۵۸۷
قَالَ: "وَدُرِّجَ عَلَى ذَلِكَ الْخَلَفَاءُ الَّذِينَ هُمْ ثَمَانُ حَسَنٌ فِي الأَمَاً،
كَعْمَرُ بْنُ عَـبْدُ الرَّزَّاعِيُّ وَالْمَنْصُورِ وَالْرَشِيدِ وَالْمُهْدِيُّ وَالمَأْمُونُ...الْحُكَّامُ".
فَمَوْضِعُ ذَكْرِهِمْ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَـبْدُ الرَّزَّاعِيُّ، أَنَّهُ: "كَبَّرَ إِلَى جَمِيعِ عَمَالِهِ
فِي الْأَفَاقِ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ عَـبْدُ الرَّزَّاعِيُّ يَقْرُأُ عَلِيْكَ مِنْ كَتَابِ اللّهِ: "يُبْلِيَهَا".

(1) صحيح مسلم-كتاب الجهاد والسير-باب كرَاءة الاستعانة في الدُّؤْر بَكَافر-رقم الحديث (3388)
(2) سورة المائدة-رقم الآية (51).
(3) مصنف ابن أبي شيبة-8/470-رقم الأثر (5925)، وانظر: السنن الكبرى-المبقي-9/4، وانظر:
. أحكام أهل الذمة-القلم-1، 9، 10.
الذي كتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم: (1) جعلهم الله جزء آل البيت، (2) جعلهم جزء آل البيت وجعلهم الأحسرين أعمالهم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أهمهم يحسنون صنعاً.

واعلموا أنه لم يهلك من هلك من قبلكم إلا بمنعه الحق وبسطه يد الظلم، وقد بلغنيعن قوم من المسلمين فيما مضى أهم إذا قدموا بلداً أتاههم أهل الشرك فاستعانوا بهم في أعمالهم وكتابتهم لعلمهم بالكتابة والجباية والتدبير، ولا خيره ولا تدبير فيما يغضب الله ورسوله فلا أعلمن أن أحداً من أعمالهم يكنه من الأعمام كمحرو دينهم وأنزلوهم منزلتهم التي خصهم الله بها من الفجر والصغير... (3).

ولما سئل الإمام أحمد بن حنبل: أيستعمل اليهودي والنصراوي في أعمال المسلمين مثل الخراج؟ قال: "لا يستعان بهم في شيء" (4).

يظهر بعد هذا العرض أن اتفاق جماعات القومية العربية على توظيف المستشارين الأجانب وتمكينهم من الولاية على أحوال المسلمين، خالف لنصوص الشريعة ولما سار عليه ولاة المسلمين في هذا الأمر.

(1) سورة النبويهم: رقم الآية (28).
(2) سورة المجادلة: رقم الآية (19).
(3) أحكام أهل الذمة-ابن القيم- 21/1 وانظر: الكامل في التاريخ- ابن الأثير- 5/5.
(4) أحكام أهل الذمة- 208/1.
إن المنهج الشرعي الذي سار عليه ولاة المسلمين، ليس فيه تقليل لأمر الشورى، والتي تعتبر من الأمور المهمة في سياسة الرعية ولهذا قال أبو هريرة (لم يكن أحد أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله) وقد قيل: إن الله أمر بما نبه لتأليف قلوب أصحابه، وليقتدي به من بعده، ولستخرج منهم الرأي فيما لم ينزل فيه وحي من أمر الحروب والأمور الجزائية وغير ذلك، فغيره أول بالشوراة(1). ولهامه الشورى فقد ذكر الفقهاء رحمهم الله تعالى شروطًا ينصغ ان يتصف بما المستشار من المسلمين، وهي كما يلي:

١- العقل الكامل مع التجربة.
٢- أن يكون ذا دين وتقى.
٣- أن يكون ناصحاً ودوداً.
٤- أن يكون صافي الذهن والفكر حال الاستشارة.
٥- ألا يكون في الأمر المستشار فيه غرض يتابعه، ولا هو يساعده(2).

فإذا كانت هذه شروط من يستشار من المسلمين، فكيف بشورى الكافرين؟ وعند استعراض الماوردي للشروط التي يجب أن يتصف بها من يستشار من أهل الذمة بظهير تحديد وتقيد سلطته، والتي منها ما يلي:

(1) السياسة الشرعية-ابن نيمية-١٦٦
(2) أدب الدين والدين-الماوردي-١٩٠٩-الطبعة الثانية-٤٠٤٠٨
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

1- عدم مباشرة الحكم والنظر في المظالم.

2- ليس له سلطة أو تصرف في أمور بيت المال سواء كان قبضاً أم دفعاً.

وبعد أن ذكر الماوردي هذه التقييدات قال: "وليس فيما عدا هذه ما يمنع أهل الذمة منها إلا أن يستطيلوا فيكونوا ممنوعين من الاستطالة"(1).

فمن خلال الشروط والتقييدات التي أوردها الفقهاء في استشارة الكافر تبينت معارضتها لمهم المستشارين الأجانب والتي ذكرها جمعيات القومية.

ويؤكد بطلان رأي الجمعيات في استشارة الأجانب حرص الدول الصليبية الشديد وتفديرها كديماً لبلاد المسلمين، وتآمر الدول الصليبية على البلاد الإسلامية من أبرز أمثلة احتواء أعضاء جمعيات القومية العربية في الحرب العالمية الأولى، كما قال أحد المتآمرين: "كنت أؤمن بالحركة العربية إماً عميقاً، وكانت واقعاً قبل أن أحضر إلى الحجاز أني هما الفكرة التي ستمرزق تركيا شذر مذر"(2).

ويقول أحد منظري السياسة البريطانية: (إنا نعد الجمعيات والأحزاب العربية حلفاء لنا وأصدقاء، ونوليها ما تستحقه من الاحترام والتقدير)(3).

(1) الأحكام السلطانية- الماوردي- 31 (بتصرف).
(2) أعمدة الحكماء السبعة- لورانس- 55.
(3) أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين- أمين سعيد- 244.
وما جاء في خطاب وزير المستعمرات (أورمسي غور) إلى رئيس الوزارة البريطاني (نيفيل تشيمرلين) بتاريخ 9/1/1938، أن الحرب علمنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي ينبغي على الإمبراطورية أن تحميه وتحاربه، وليس الإمبراطورية البريطانية وحدها بل فرنسا أيضاً.

إن سياستنا تهدف وأبداً إلى منع الوحدة الإسلامية والتضامن الإسلامي، وينبغي أن تكون كذلك، ففي السودان ونيجيريا كما هو الحال في مصر ودول إسلامية أخرى، شجعنا وبصواريخ غير القوميات المحلية لكونها أقل خطراً من الوحدة والتضامن الإسلامي . .(1).

(1) بريطانيا والخلافة الإسلامية-وثيقة تاريخية سياسية-عبدالوهاب أحمد.
المبحث الثاني
موقف الجمعيات من عقيدة الولاء والبراء.

إن من أوثق عرى هذا الدين الحب والبغض في الله وأن يجمع القلوب على حب الله وطاعته. قال تعالى: «إِنَّا وَلَيْكُمْ اِلْلَّهُ وَرِسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَكِبُونَ» .{1}

وقد نفيت صفة الإمام عمَّن بوالي من حاد الله ورسوله، قال تعالى: «لَا يَجُدُّ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِيَبِيعَ وَالْبِيْعَ أَخَرَ يُوَادُونَ مَنْ حَادَّ اِلْلَّهَ وَرِسُولَهُ وَلَوْ هُمْ سَتَّأْتُوا اِبْنَاءَ هُمْ أَوْ إِبَانَاءَ هُمْ إِنْ هُمْ أُحْمَى وَأَشْرَىْهُمْ أَوْ شَأْنُهُمْ أَوْ أَيْتَاهُمْ هُمْ أَنْ تَكُن يَكْتُبَنَّ فِي قُلُوبِهِمْ أَيْمَانُ وَايْدَاهُمْ يَرْجُونَ مَنْ يُحَمِّلْهُ مَنْ أَيْمَانَهُ وَايْدَاهُ فَيَجْعَلُونَ رَجْمًا مِّنْ حَيَاةِ الأَحْيَاءِ حَيَانَةً فِي هَذَا رَضِيَ اِلْلَّهُ عَنْهُمْ وَرَضِىَ عَنْهُمْ مَنْ أَوْلَاهُ وَأَمَّهُ وَأَيْتَاهُ» .{2}

ففي هذه الآية يخبر ربنا بأنه لا يوجد قوم يصدقون الله، ويقررون باليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسله وشاقهما، وخالف أمر الله وفيه، «وَلَوْ سَتَّأْتُوا اِبْنَاءَ هُمْ» .{3}

---

{1} سورة المائدة-رقم الآية 55.
{2} سورة البقرة-رقم الآية 22.
{3} انظر: تفسير الطبري-26/28.
وقال ابن تيمية: من أحوال القلب وأعماله ما يكون من لوازم الإيمان
الثابتة فيه، بحيث إذا كان الإنسان مؤمناً لزم ذلك بغير قصد منه ولا تعمد له، وإذا لم يوجد دل على أن الإمام الواجب لم يحصل في القلب، ففي الآية السابقة، أخبر أنك لا تجد مؤمناً يوافق الخاددين لله ورسوله فإن نفس الإيمان ينافي موادته كما ينافي أحد الضنين الآخر، وإذا وجد الإمام انتهى ضده، وهو موالاة أعداء الله، فإذا كان الرجل يولي أعداء الله بقلبه كان ذلك دليلاً على أن قلبه ليس فيه الإمام الواجب.

(1) ذكر الله (جمعه شرطية) تقتضي أنه إذا وجد الشرط وجد المشترك بحرف (لو) التي تقتضي مع الشرط اتفاء المشروط، فقال: وَلَوْ صَكَّالَوْا يَوْمِئُونُوْبَ بِاللهِ وَالِدِينِ وَمَا أُنَزِّلَ إلَيْهِ مَا أَخْذُوهُمُ الْأَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ سَكَّالُا مِنْ هُمْ فَسِقُوْبُ (2). (2) سورة المائدة-رقم الآية (81-82).
(3) مجموع فتاوى ابن تيمية-7/17.
وقد بين أهل اللغة معنى كلمتي الولاء والبراء، بما تدلان عليه من معاني النصرة والإعانا، أو العداوة والبعد. فقالوا عن تعريف الولاء: أن الوالي هو التابع الحب، ومنه قول الرسول ﷺ: (من كنت مولاه فعلي مولاه) (1) يعني من أحبني وتولاني فليتوله. والولاية على الإيمان واجبة، المؤمنون بعضهم أولياء بعض (2).

وقال الشافعي عن حديث: (من كنت مولاه فعلي مولاه) يعني بذلك وراء الإسلام، كقوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ بَنَانِ الْأَلَّامِ مَا ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكُفَّارَ لَا مُوَلِّيَ هُمْ﴾ (33:42).

وقال أهل اللغة: إن الولاية تكون إقبالاً، ومنه قوله جل وعز: ﴿فَوَلَّى اِخْرَاجَهُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (4:6) أي وجه وجهك نحوه وتلقاه. وعن مدلول كلمة المولي، قال أهل اللغة: بأنه الخليفة، وهو من أنضم إليك فعزك وامتنع بمنعك (3).

---

(1) سنن الترمذي-كتاب المناقب-باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه- رقم الحديث 3146.
(3) سورة محمد-رقم الآية (11).
(4) لسان العرب-ابن منظور-986/3.
(5) سورة البقرة - رقم الآية (144).
وعلى هذا المعنى ضرب أهل اللغة مثالاً بالموالاة هو: أن يتشاجر اثنان
فيدخل الثالث بينهما للصلح، ويكون له في أحدهما هو في واليه أو يجابه(1).
والبراء يعني التخلص والتباعد، ومنه قوله تعالى: { قَوْلُكَ وَجَهَّاهُ سُقْطُ
الْمُسْجِدِ الْحَرَامِ } (2) أي إعداد وإنذار، ويقال ليلة البراء، وهي ليلة يتأilege القدر
من الشمس، وهي أول ليلة من الشهر (3). وبراء إذا تخلص، وبراء إذا تزه وتباعد (4).
فمن هذا التعرف لكلمتي البراء والبراء، تكون حقيقة الولاية وأصلها:
تعني ضد العداوة، وهي الحجة والقرب، وأصل العداوة: البغض والبعد (5).

منزلة الولاء والبراء من الدين:
أبيين منزلة عقيدة الولاء والبراء من الإيمان أولًا، لما لها من منزلة عظيمة,
وهي تعتبر من لوازم محبة عبد الله تعالى، فمن أحب الله تعالى أحب فيه، ووالى
أولاه، وعادى أهل معصيته وأبغضهم، وجادع أعداءه ونصر أنصاره. وكلما
قويَّت محبة العبد الله في قلبه قويت هذه الأعمال المرتبة عليها، وبكماها يكمل

(1) لسان العرب-ابن منصور-986/3/1
(2) سورة البقرة - رقم الآية (144). (1)
(3) المصدر نفسه-1-23/2/1-32
(4) قذيب اللغة-الزهراء-1-26/1/269
(5) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان-ابن تيمية-2-المكتب الإسلامي-بيروت-الطبعة الرابعة.
توحيد العبّد، ويكون ضعفهم على قدر حجة العبد لره، فمقل ومستكر ومحروم(1).

وردت نصوص في كتاب الله وسنة رسوله تفيد تقرير وتأصيل معتقد الولاء والبراء، وأنه لا يلتقى الإيمان والكفر، كما لا يوالي أهل الإيمان أهل الكفر،صدناها، وجّه سبب الولاية الإيمان، وسبب العداوة الكفر. ومن هذه النصوص:

قوله تعالى: «وَبَيِّنْتُ لِلذِّينَ آمَنُوا أَن تَتَخَذُواْ أَبَاكُمْ وَإِحْوَالَكُمْ أَوْلِيَاءً إِنَّ أَسْتَحْجَوْا الْكَفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمُنْ يَتَوَلَّهَا مِنْكُمْ فَأُولِيَأَكِهِمْ أَلْبَاطِيِّمُونِ (2)» (3). ووصف الله الذين عادوا ووافوا لغبر الله بأهم طالبون، لأموّم خالفوا أمر الله، فوضعوا الولاية في غير موضعها، وعصوا الله في أمرهم.

ومن النصوص القرآنية التي تنهي المؤمنين عن اتخاذ الكفار أولياء قوله تعالى: «وَبَيِّنْتُ لِلذِّينَ آمَنُوا أَن تَتَخَذُواْ أَبَاكُمْ وَإِحْوَالَكُمْ أَوْلِيَاءً وَبَعْضَهُمْ أَوْلِيَاءً بِغْضِي وَمَن يَتَوَلَّهَا مِنْكُمْ فَإِنَّهُ عَلَى الْآدَمَ وَالْآدَمُ عَلَى اللَّهِ وَمِنْهُ يَهْدَى أَلْقُومٍ آلِبَاطِيِّمُينَ (4)».

(1) سورة التوبة- رقم الآية(33).
(2) سورة اليمان- رقم الآية(41).
(3) فتح المجيد-عبد الرحمن آل الشيخ-297-دار الفيروز-دمشق-414111111.
(4) سورة البقرة- رقم الآية(41).
وقوله جل ثناؤه: «يَايَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَخَذُوا الَّذِينَ آتَخَذُوا دِينَكُمُ هُؤُلَاءِ وَلَعَبًا مِّنَ الْخَيْرِ إِنَّ الْخَيْرَ مِنْ فَتْحِ الْكَفَّارِ وَالْأَكْثَرُ إِلَى اللَّهِ أَتْبَعُوهُمَا» (1).

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: وهذا تغير من موالاة أعداء الإسلام وأهله من الكتابين والمشركين والذين يتخذون أفضل ما يعملون العاملون وهما شرائع الإسلام المطورة المحكمة المشتملة على كل خير دنيوي وأحري، يتخذوها هزواّ يستهرون بما، ولعباً يعتقدون أنها نوع من اللعب في نظرهم الفاسد. وقال تعالى: «مَنَ الْذِّكَرَى إِنْ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارُ» أي لا تتخذوا هؤلاء ولا هؤلاء أولياء والمراد بالكفار هؤلاء المشركون.

وقوله تعالى: «وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» أي اتقوا الله أن تتخذوا هؤلاء الأعداء لكم ولدينكم أولياء إن كنتم مؤمنين بشرع الله الذي اتخذه هؤلاء هزواً وعباً كما قال تعالى: «لَا يَتَخَذِّبُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ مِنْ ذُنُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ فَلِيُءْسِبَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مَنْ تُهْمِرْ تَقْنَةً وَيَحْذِرُوهُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصْرِيمُ» (2).

(1) سورة المائدة-رقم الآية (57).
(2) سورة آل عمران-رقم الآية (28).
(3) تفسير ابن كثير-رقم الآية 131-132 (بتصرف يسير).
وقد جاء ذكر نبي الله إبراهيم ﷺ بوصفه ومن اتباعه أسوة مسند يريد أن يتبع ملة إبراهيم ﷺ في براههم من المشركين، وذلك في قوله: "فَكَذَّبْتَكَ لِحَمْرَةَ أَسْوَةً حَسَنَةً فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِ إِنَّا بَرِيءُ مِنَكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَيَانًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِلاَّهِ وَحَدًّا. إِلَّا قُولُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهَا لَأَسْتَغْفِرْنَ لَكَ وَمَا أَمْلَكَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ (۱)."

أي جعل هذه الموالاة لله والبراءة من كل معبد سواء كلمة بقية في عقبه يتوارى الأنباء وأتباعهم بعضهم عن بعض، وهي كلمة لا إله إلا الله، وهي النبي ورثها إمام الحنفية لتباعه إلى يوم القيامة (۲).

والآيات أكثر من أن تحصى في كتاب الله مقررة معتقد الولاء والبراء في هذا الدين، وأما ما ورد في السنة فقد قال النبي ﷺ: "ثلاث مَنْ كُنَّا فِيهِ وُجُدَّ حَلاَرَةُ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أُحُبُّ إِلَيْهِ مَمَّا سَوَاهُمَا، وَأَنْ يَحْبَ المَرْءِ لَا يُحبِّهِ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ يَكُرَّهُ أَنْ يَعْقُدَ فِي النِّسَائِ (۳). وَفي لفظ آخر: (لا يَجِدُ أَحَدٌ حَلاَرَةُ الإِيمَانِ حَتَّى يَحْبَ المَرْءِ لَا يُحْبِهُ إِلَّا اللَّهُ) (۴).

(۱) سورة المائدة-مقطع الآية(۴۴).  
(۲) الجواب الكافي-ابن القيم-۱۱۳.  
(۳) صحيح البخاري-كتاب الإيمان-باب حلاوة الإيمان-رقم الحديث(۵).  
(۴) المصدر نفسه-كتاب الأدب-باب التحب في الله-رقم الحديث(۵۸۱).
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قد أذهب الله عنكُمْ غيبة الجاهلية وفتحها بالآباء مُؤمنين تُقي وفارج شقي والناس بِنُو آدم وآدم من نَارِ ثَوابٍ).

فمما سبق كله يتضح أن عقيدة الولاء والبراء مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله، وهذه العقيدة كانت العلاقة قائمة بين سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين، حتى أصبحوا كما وصفهم أبو الحسن الندوي: (لم يكونوا خدمة جنس، ورسِل شعب أو وطن، يسعون لرفاهيته ومصلحته وحده، ويؤمنون بفضله وشرفه على جميع الشعوب والأوطان، ولم يخرجوا ليؤسسوا إمبراطورية عربية ينعمون ويرجعون في ظلها). إنما قاموا ليَخرجوا الناس من عبادة العباد جمعاً إلى عبادة الله وحده.

وأما عن موقف الجمعيات القومية العربية من عقيدة الولاء والبراء، فقد كان للمبادئ المساوية والشعارات التي طرحتها وتُنمُّذها كالحرية والمساواة، أعظم تأثير في نقض هذه العقيدة.

---


(3) إذا خسر العالم بالمخطط المسلمين-أبو الحسن الندوي-126.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

إن الإطلاع على التنظيمات الحزبية للجمعيات، والإطلاع على تصريحات المؤسسين والمنتمين لها، يظهران اندماج عقيدة الولاء والبراء في مبادئ تأسيس الجمعيات ومناهجها، بل استبدال الولاء والبراء الشرعي وهو الذي يكون لله بولاء وبراء جاهلي.

وقد أخذت جمعيات القومية العربية موقفًا معينًا من عقيدة الولاء والبراء، فيما يلي استعراضًا:

الموقف الأول: الولاء والبراء على أساس اللغة:

لقد أجمعت جمعيات القومية على أن أساس اجتماع العرب ووحدتهم هو على أساس اللغة، فكان ولاء وبراء أعضاء الجمعيات القومية من أجل اللغة.

وقد علّى أعضاء الجمعيات اختيار الولاء والبراء لمبادئ القومية، بأن ذلك يؤدي إلى وحدة المشاعر والمنازع، ووحدة الآلام والآمال، ووحدة الثقافة و بكل ذلك تجعل الناس يشعرون أنهم أبناء أمة واحدة، متميزة عن الأمم الأخرى(1).

كما صرح أعضاء جمعيات القومية العربية أن هذا الأساس أوسع شمولًا وأرحَّب صدراً من نظرية الدم والجنس والدين، لأنه يعتبر به عربيًا قوميًا كل متكلٌ باللغة العربية وليس له لغة أم غيرها(2).

---

(1) ما هي القومية- ساطع الحصري- 210.
(2) حول الحركة العربية الحديثة- محمد عزة دروزة- 18/1-18-المكتبة العصرية للطباعة والنشر- بيروت.
ويتى بعض منظري الفكر القومي، أن لم كانت العلاقات بين العرب
بعضهم لبعض علاقة دينية لتساوي المسلمين في الدنيا جميعًا، وليس الأمر
كذلك إذ الوشائج الدينية لا تغني في مثل هذا الأمر الخطير. ولا تقوم على أسس
دينية قضية أمة دون أمة، وعلاقات دولة بدولة.(1)

ومن هذا المنطلق اعتبار أعضاء جماعيات القومية العربية، نجاح تحقيق الولاء
والبراء على أسس قومية بأن اجتمع المسلمُ السني والشيعي والدرزي والمسيحي
في رحب الجماعات إخوانا متحابين هدفهم بجد العروبة وعبيدها.(2)

وكان من أبرز مطالب جماعيات القومية العربية في المؤتمر العربي الأول:
إقامة حكومة تساواولا فيها جميع العثمانيين في الحقوق والواجبات فلا يستأثر
فريق بحق من الحقوق ولا يحرم فريق من حق من الحقوق، لا بداعي الجنس ولا
بداعي الدين، عربياً كان أو تركياً . أو مسلمًا أو مسيحيًا أو إسرائيلياً أو
درزيًا.(3)

وفي تقرير هذا الهدف والدفاع عنه استدل بعض أعضاء جماعيات القومية،
بالوقائع التاريخية، حيث ذكروا أن النعرة الجنسية فضيلة آلية في النفس ..وأما
قدم أبو بيداء بن الجراح وخالد بن الوليد بجيوش العرب المسلمين إلى الشام،
وجددوا حارساً على أبواءها الغسانين وهم عرب نصارى يتقدمهم ملكهم

(1) قضية العرب-علي ناصر الدين-152.
(2) نشأة الحركة العربية الحديثة-محمد عزة دروزة-35.
(3) المؤتمر العربي الأول-40-خطبة استكردر عون.
المسيحي حُبّة بن الأعيم. إلا أن هؤلاء بدلاً من قتال المسلمين والوقوف في
وجههم عطفوا عليهم عطفة الأخ، فتركوا الجامعة الدينية والرابطة السياسية
التي كنا تقضيان عليهم موالاة الروم، وخطبوا ود وولاء الناطقين بسهامهم بين
أبيهم العرب، مهداً لهم السبل وفتحوا الطرق ومكنوه كل التمكين من فتح
البلاد العربية، وما أبداه نصارى غسان من العصبية العربية في هذا الشأن الخطير
لأعظم شاهد على أن العرب متحمسون بالجنس قبل الدين. وهي فضيلة
الشعوب الحية، فضيلة الشعوب التي لا تريد أن تموت (1)

وقد كانت المدرسة الوطنية (2)، التي أسسها بطرس البستاني، كما يقول
أعضاء جمعيات القومية العربية، تسعى لكي تؤلف القلوب بين متناحري الأديان
متباني المذهب، وتذيع المبادئ الوطنية على صدق في جانب الدولة، وإخلاص
في جانب الوطن. فانسل إليها الطلبة من كل ناحية وصوب (3)

ولدعم تحقيق الولاء والبراء على الأسس القومية تم عقد المؤتمر العربي الأول
وأعلن فيه: (إن الأمة العربية أمة تطلب في الحياة حرية وعزة، وتسعي وراء محو
اختلافات جنسية ومذهبية كانت سبباً في شقائنا وشفاء تركباً معًا) (4)

(1) المصادر السسبان-خطبة ندرة مطران-58. ولم أعثر في كتب السير على النص المذكور خلال
فحوات المسلمين بلاد النصارى، وإيراد هذا الموقف.
(2) انظر الفصل الرابع من الباب الأول من الرسالة-ص: (289).
(3) دائرة المعارف -طرس البستاني- 50-50 دار المعرفة-بروت-لبنان- (دائرة)
(4) المؤتمر العربي الأول-143
أما الولاء الشرعي الذي يكون فيه الولاء لله والبراء مما سواء، فقد نبذته الجمعيات القومية العربية، إذ يرى أعضاؤها أن الاحتكام إلى الدين في أمور الدنيا صورة من صور خلط الدين بالدنيا، وفيه أخطاء بشأن السماويات بمرجعها في الأراضي.

ولتقرر مبدأ المعتقدات الماسونية قالوا عن الولاء الشرعي: هذا يجعل للاعتقادات دخل في الأعمال، فتسبب اختلافاتنا الدينية في أعمالنا العالمية فيما. عنها ذلك الشقاق الذي طالما كرر الأمين وأتى بالحروب والويلات (1).

وتثير آخر يؤكد عداء المعتقد الماسوني للولاء الشرعي: بأن الدين قل ما جمع كلمة أهله بأعجابهم إلا في الشاذ النادر، اللهم في العواطف دون الفعل. إن أقل هذه الروابط تأثيرًا في المجتمعات رابطة الدين (2).

ولذا أصبحت عبارات (الدين الله والوطن للجميع) و (نحن عرب قبل موسى وعيسى ومحمد) وإن محمدًا لعربي قبل أن يكون مسلماً (3) شعارات ينادي بها أعضاء الجمعيات القومية العربية.

مضى القول أن أسوة الولاء الشرعي كان إبراهيم عليه السلام، وأما الولاء البدعي الجاهل فقد بنيت الجمعيات القومية أن الأمم النصرانية هي أسوهم فيهم.

---

(1) سلسلة الأعمال الكاملة-سليم البستاني-124.
(2) مجموعة آثار زيد العظم-رسالة الجامعة الإسلامية)-49.
(3) الشعر والوطنية في لبنان والبلاد العربية-وليم الحاوز-80.
أعلن أثناء انعقاد المؤتمر العربي الأول عن استبعاد الدين من مقررات المؤتمر، والتبعية تكون للبلاد الكافرة، هذا البيان: "إن قان للشرق أن يمشي في المسائل السياسية والاجتماعية مشية أخيه (الغرب)، الغرب اليوم مقتدى الشرق. وأن عدم اقتسام الشرقيين شيئاً من وسائل حرية الغربية في من الخطر أضعاف أضعاف ما في الجمود على الحالات المعهودة فالاقتباس لا بد منه، وبذلك يكون واجباً علينا الشكر لأساتذتنا الذين لم يبلغوا مكانتهم في الاجتماع والسياسة بجمالا". وقال رئيس المؤتمر: "إنه نستعرف بالجميل دائماً وأننا سنحفظ لأوربا ذكرى ما نقتبس منها... وقد جننا أوربا ونريد أن يجيء كثيرون منا لتكون عقولنا وهمنا بروية أثار العقول والهمم، جننا أوربا لزيادة علمنا في حضارتها وأساليب اجتماعها الراقي". 

وأمّن أن تأثير المؤتمر في عقيدة الولاء والبراء، قال أعضاء الجمعيات: "لقد اتفق السوريون، وصاحب المسلم النصراوي على ما به خير الوطن، ورفع شأنه وإعلاء كلمته بين الأمم، وما أصول توقيع الصديق الفاضل الشاعر المجيد شكري أفندي غانم – نصراوي – شقيقه الوطن جليل مردم بك، وتوقيع عزيزي ندرة نصراني – بإذاء مواطنين محمد محصاني وهلهم جرا. وإذا دام هذا الإخاء والانتفاق ولم يعثره تحاسم ولا تضاغن ولا تنافس ولا تفريق فإنه سيكون حينئذ عنوان الخير لبلادنا التامة التي بقيت في مؤخرة البلاد في النهضة والتقدم". 

---

(1) المؤتمر العربي الأول-31.
(2) مذكرات سليم علي سلام-251-ملحق رقم (7).
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

وبعد تأكيد هذه التبعية التي قال عنها الرسول ﷺ محدراً منها: (تَبَيَّنَنَّ)
ستين من كان قَبَلَكُم، شهيداً شهيراً، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جُحر صبَب
تَبَيَّنَهُم، فلنَا يا رَسُولِ اللَّهِ: الْيَهُودُ وَالْنصارى؟ قال: فَمَنْ(1).

وغيرر أعضاء جمعيات القومية العربية بالأمة، قائلين: "بأنه من الواجب
tَنْزِيَهَا لمُقَامِ الدِّينِ - كما تعتقد الجمعيات القومية العربية - أن يضعوا
أديانهم جانباً في مكان مقدس محرم، ليتمكنوا من الاتحاذ اتحاداً حقياً ويحارب
تبار التمدن الأوروبي الجديد لمزاحمة أهله، وإلا جرفهم جميعاً وجعلهم مسخرين
لغيرهم"(2).

الموقف الثاني: الزعم بعدم وجود خلاف بين المسلمين والنصارى:

إن حقيقة الولاء والبراء هي معاملة الناس بناء على قريهم أو بعدهم من
اللَّهِ(3)، وهذا قال تعالى: ﴿يَتَّبِعُونَ الْيَهُودَ إِثْمًا لَا نَخْبِشُوا أَلْبَأَءًا إِنَّهُمْ أُولُوْيَاهُمْ إِن استُحْفَرُوا الْحَكِيمُ عَلَى الْإِيَمَّةِ وَمِنْ يَتَّخِذُونَ هُمْ أَوَّلِيَّاهُمْ هُمُ
الْظَّلِيمُونَ(4).﴾

--

(1) صحيح البخاري- كتاب الاعتصام بالكتاب-باب قول النبي ﷺ تَبَيَّنَنَّ ستين من كان قَبَلَكُم - رقم الحديث (1775)
(2) الفكر العربي في عصر النهضة-ألبرت هواري-304.
(4) سورة النذور-رقم الآية(23).
وقد حكم الله بتحريم موالاة من كان على غير الإيمان بقوله جل جلاله:

«فَإِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَنفُدُونَ الْيَهُودَ وَالْمَسْرِقَيْنَ أَوْلِيَاءَ بَعْضٍ أَوْلِيَاءَ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ يَتَوَلَّ فَإِنَّمَا يَتَوَلَّ لِيُلُودُواْ مَعَ ِاللَّهِ لَا يَهْدِي الْقُوَّمَ الْأَظَالِمَيْنَ».

هـذا ما ينص عليه الولاء الشرعي، وأما الولاء الجاهلي الذي اعتقدته الجمعيات القومية العربية فقد تبنت فيه مبدأ ما تسميه النساج الدين، وألغت جميع الفوارق الدينية بين العرب، وهكذا الأمر أكد مؤسس الجمعيات على وجوه التقاء وتأكدي المسلم والنصاري، وقالوا: "نحن معاشر المسلمين الذين يؤمنون بأن الله واحد، مصدر الخير، وفيه تجتمع الكمالات، فتفتق تمام الاتفاق مع إخواننا النصارى فيما يعتقدونه بالله تعالى".

وأكدوا على أنه عبث حقيق أن يجعل أحد أن يضع فروقاً بينهما لاختلافات ثانوية لا شأن لها في الله، ولا شأن لها في الآخرة، ولا شأن لها في الوطنية.

وبعد أن أكد الأعضاء القوميون على عدم وجود خلاف بين الإسلام والنصارية، قرووا تحققياً لهذا الولاء الجاهلي، بأن الدم العربي الصريح في كثير من النصارى من ناحية، والتاريخ واللغة من ناحية أخرى، يجمعان بين مسلمي العرب ونصاراهم، ويجلان وجود النصارى بين أكثرية سكان الوطن العربي الكبير غير مؤثر في توفير أسباب الوحدة عامة، وغير معيق لصفة توفير الوحدة الروحية خاصة.

(1) سورة المائدة-رقم الآية (51).
(2) عبد الرحمن الشهباندر-حياته وجهاده-حسن الحكيم-153.
ووفقًّا لعَرَفُ أسس الولاء الفعلى بأنّه التاريخ واللغة، أكَّد أعضاء الجمعيات على أن ليس هناك أي داعٍ حقيقي لتبادل روحي بين النصارى والمسلمين العرب، بسبب اختلاف الدين وطبيعته الذاتية، من شأنه أن يعكر على ما يتوفر بين سكان الوطن العربي من أركان الوحدة الجنسية واللغوية والتاريخية.

ومن منطلق هذا الولاء: فليس بين الإسلام والنصرانية تنافض في الأهداف والدعوة بالنسبة للحياة ومثلها. وكلاهما نابعان من نبع واحد، والإسلام يعترف بقداسة السيد المسيح ونبيه وإنجيله.

ومن منطلق هذا الولاء: ليس هناك أي تباين بين النصارى والمسلمين في المصالح العامة، سواء أكان في مجال السياسة والحكم والتنظيم والتشريع، أم في مجال الحقوق والواجبات، أم في مجال الاقتصاد والاجتماع، أم في مفهوم وأهداف الفكر العربية، وما يعود على الفريقين من منافع وعز وسُؤُد نتائج تحققها.

وليس للدين والتمايز الدينى أي دخل في كل ذلك، لأنه ممارسة وحدانية، ولأن الدين الإسلامي المؤثر في حياة المسلمين، يضمن كل ضمان حقوق المواطنين من غير المسلمين وحرياتهم، والمسيحية الثقافة تبشر بالحب والسلاج وتحارب الأحقاد والآثاب الشخصية...

وإذا كان هناك شيء من أعراض الخجر والانقباض والتعرض، فإن ذلك لا يمت إلى الدين بسبب، وأسبابه تاريخية.
فقد اكتشفت للنصارى نيات المستعمرين السائدة المرية نحو العرب، مسلمهم ونصارهم على السواء، واستناراً الأفكار، وأخذت تدرك وتلمس وهـن الأسس التي ترجع إليها تلك الأغراض، وعدم صلتها بالمبادئ والتعاليم الدينية والمصلحة القومية والوطنية.

كما أخذت تُلمس قوة التشارك بين المسلمين والنصارى في القومية الوطنية والمصلحة الخاصة والعامة، فقرب كل هذا بين الطرفين، وأزال كثيرًا من آثار تلك الأغراض، وجعل النصارى يندفعون في الحركات الوطنية والناضجية التي قامت في البلاد العربية.. حتى ليصبح أن يقال: إن جمهور النصارى في البلاد العربية قد أخذ يندمج في المجموع العربي العام انذاماً صادقاً عاطفياً ومصلحة ووطنية وقومية(1).

فمن منطلق دعوة التقارب بين المسلمين والنصارى، وإنكار وجود خلاف بينهما فقد طمحت جمعيات القومية العربية إلى خلق مذهب القومي عربي تنلي بموجه الصلوات كلها بالعربية..

وقالوا: وأي ضر يتأتي من أن تصبح اللغة العربيةـ لغة القرآن والإسلام العـالتيـ لغة المذهب كاثوليكي؟ وأن تؤسس بطريركية خاصة لهذه الكنيسة الجديدة تحتوي كل المذاهب الأخرى في سنوات معدودة .. وتعاطف المسلمون مع المسيحين أيضاً لأيمن يروهم يقتربون منهم من أجل السلام والخير العظيم للوطن المشترك، الوطن العربي (2).

(*) مختارات قومية-محمد عزة دروزة- 143-241.
(2) بقعة الأمة العربية- نجيب عازوري- 176.
ومن هذا المبدأ ربط محمد عزة دروزة — وهو أحد مؤسسي جمعيات القومية — بين حكم الشريعة في طعام أهل الكتب وبين عقيدة الوالدة في قوله تعالى: "فَأَلْيَوْمَ أَحْلَٓا لَّكُمُ الْقَهْرُ وَعَمَّامٌ لَّذِينَ أُوتُوْا الْكِتَابِ حَيْلًا لَّكُمْ وَعَمَّامٌ لَّذِينَ أُوتُوْا الْمُؤْمِنَةُ وَالْمُؤْمِنَاتُ مِنَ الْأَرْضِ أُوتُوْا الْكِتَابُ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا ءَايَتُ هُمُّ أَجْوَرُهُمُّ" (1).

قال دروزة: القرآن قرر في آيات ومواضع كثيرة وحدة المبنع والهدف التي تجمع بين المسلمين وأهل الكتب وتجعلهم بمثابة جبهة واحدة وأمرت المسلمين باحترام كتبهم وأنبائاتهم، ف噘اء هذا التشريع المستمد من تلك الوحدة التي ينطوي فيها تقرر كون الكتابيون مؤمنين بالله على كل حال ولا يشبون المشركين والوثنيين، حكمة جديدة قوية في سبيل إزالة الجفوة وتوطيد التآن والتوافق والتفاهم والتمارب عملياً بينهم، ووسيلة لإظهار مكايان الإسلام ورحابة صدره... والحكمة الملوحة في النص على تبادل حل الطعام بين المسلمين والكتابيين هي التأنيس وقصد التواصل والتعابيش بين الذين يجمعهم في العقيدة والمبادئ مصدر واحد هو الله تعالى (2).

وقال الحب الدين المطبيب بمثل هذا المبدأ، حيث ذكر أن الله أحل طعام أهل الكتب وذبيحهم ترغيباً في التواصل والتألف والتفاهم والتعراف (3).

-----------------------------
(1) سورة المائدة- رقم الآية5.
(2) المرأة في القرآن والسنة- محمد عزة دروزة- 163و171.
الموقف الثالث: يختلفون في العقيدة ويتفقون في المعتقد القومي:

هذا موقف من مواقف الجمعيات القومية من عقيدة الولاء والبراء، ويلاحظ تقريرهم لبدأ عدم اختلاف المتمكنين لل الجمعيات في العقائد الدينية، ولكن لا يقبل الاختلاف في المبادئ القومية.

ويعتبر كُتِب (يقظة العرب) (1) من أهم كتب الجمعيات القومية، الذي تناول التقسيم الجغرافي للبلاد العربية، والنظر من خلال هذا التقسيم إلى المعتقدات الدينية.

ففكا من نتائج هذه الدراسة: "أنه لا يوجد بين دجلة وبرزخ السويس وـ مـ بـ هـ الرـ مـ تـ وـ ضـ طـ حـ حتى بـ حـ عـ مـ أنـ سـ وـ يـ أـ مـة وـ حـ وـ وـ يـ اـ دـ ةـ هي الأمة العربية، التي تتحدث بلغة واحدة، ومثل كل تقاليد تاريخية واحدة وتدرس الأدب ذاته، وكل فرد من هذه الكنائس العنصرية يفتخر بالاتحاد إلى الوطن العربي.

إن قاطني هذه البلدان الشاسعة لا يتميز بعضهم عن البعض الآخر إلا بالأديان والطوائف والمذاهب التي لا تقصى. مثل ذلك: مسلمين سنين، ومسلمين شيعة، ونصيرين، ودروز، ومانعة .... الخ والاختلافات بين المسلمين والمسيحيين وبين الكاثوليك والأرثوذكس هي أقل بما لا نهاية له من الاختلافات بين مختلف المذاهب ... إما حقيقة شائنة".

قرر مؤلف الكتاب بعد هذا التقسيم والإحصاء: أن التعصب الدين غريب تماماً عن هذه الأحقاد الجهنية، والشعب الفقير لا يفهم شيئاً ولا يقيم أي أهمية

(1) مؤلفه: يُجيب عازوري مؤسس جمعية رابطة الوطن العربي.
هذه الاختلافات المذهبية... وهنا يجب ترديد المبدأ المدون عن قبل بشكل آخر:
التخصص الديني ليس سوى تطور في المصلحة الشخصية.

هذا عما سماه (بالتعصب الديني)، وقال عن التعصب القومي: إن التعصب القومي شعور عفوي فطري تقريباً كمثل الشعور العائلي الذي يأخذ بعين الاعتبار كل سياسي، والذي يوجب إبعاد كل قضية دينية، هكذا لا يتبعض المسلمون والأقباط في مصر المسلمة).

فالاعتبار في النهاية عن جمعيات القومية العربية يكون بالإخوة القومية، كما قال أحد منظري الفكر القومي: إنني أعترف كل عربي، مهما يكن منشئ، ومهما تكون عقيدته الدينية، أخاً لي، وإنني أفهم المصلحة العامة وأحميها وأعمل لها، وإنني أقدس الحق والبطولة).

اعتبرت جمعيات القومية العربية التمسك بالذين أصل أسباب الانقسام والفرق، قال أحد أعضاء الجمعيات: "لقد تعبت الأمة العربية تماماً من الانقسامات التي اتبعت من مسائل مذهبية تافهة، وسرت المتافي في أحدن أول آت شريرة أن يوفر لها الاتحاد والوذام الذين تحتاج إليهما حاجة ماسة".

وإضافة الصيغة الشرعية على تقرير الولاء القومي، أكد محمد عزة دروزة على أن تعاليم القرآن لا تحتوي أي منع من اعتبار غير المسلمين من العرب.

---
(1) يقطة الأمة العربية - عزيز عزاوري - 167-168.
(2) قضية العرب - علي ناصر الدين - 14.
(3) يقطة الأمة العربية - عزيز عزاوري - 177.
المسلمين والمتضامنين مع مسلميهم، إخواناً لمسلميهم في القومية، ومن التعامل معهم على هذا الاعتبار في نطاق الدولة والكيان الاجتماعي معاً(1).

ومن منطلق الولاء القومي ألغى أعضاء جماعيات القومية العربية المسلم أن ينظر إلى مواطنهم المسيحي وأن يذكر الآية القرآنية الكرمة (ولتتجدروا أقربهم مودةٌ لِلذين ءامنوا الذين يذكرونَ أنا نَنصَرُهُمْ إذاً نصْرًا حقًا) بأنَّهم فِيَسِيرونَ وْرُهبانًا وأنَّهم لا يُسْتَصَبِّرونَ(2).

ومن أبرز دلائل تحقيق التسامح في الخلاف العقلي لا الخلاف القومي، أن أعضاء الجمعيات القومية قالوا: كان القوميون العرب من مسلمين ومسيحيين يطمئنون إلى إنشاء دولة عربية مستقلة يتمتع فيها جميع سكان البلاد - بغض النظر عن دينهم وعقيدتهم - بالمساواة التامة في الحقوق والواجبات(3).

يتبين من خلال دراسة كتاب (بيظة العرب) وتقريرات مؤسسي وأعضاء الجمعيات، أن جماعيات القومية العربية قد أهلت عقيدة الولاء والبراء في الدين ولم تعتبرها أصلاً في تحديد علاقاتها مع الآخرين؛ بل حاربها.

وفي الجانب الآخر لم ترض الجمعيات الولاء والبراء إلا على أسس المبادئ القومية. كما قال عزت الجندي: "إذا عرب قبل كل شيء، المسلم عربي والمسيحي عربي، إذا عرب قبل أن تكون مسلمين، والمسيحي عربي قبل أن (1) الدستور القرآني في شتى الحياة-محمد عزة دروزة-13.
(2) القومية العربية تاريخها وقوماتها ومراحلها-عمر فياض-247. (3) وانظر الرد على تأويل الآية في الفصل الأول-موقفهم من القرآن الكريم-ص(1:40).
(3) أوراق ضرب الدين الخطيب-القاهرة.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

يكون مسيحياً ... وقد تركنا مسألة الديانات والعبادات إلى الجوامع والكنائس"(1).

وهذا المبدأ لا يرغب أعضاء جمعيات القومية العربية أن يكون مشاعراً بين أعضاء الجمعيات فقط، بل يكون هو الأمر الظاهر بين العرب جمعياً، فقد صرح مؤسس جمعيات بقلمهم: نود أن تكون هذه الوطنية مشاعراً بين المسلمين والمسيحيين فالناس يختلفون في عقائدهم الدينية، ولكن حياتهم الاجتماعية تسوقهم إلى الاشتراك في مثل أعلى يجتمعون على حب وإنكاره(2).

كان تبني إشاعة هذه المبادئ في الناس كي يعتقد المجتمع مبادئ الجمعيات، لتحقيق أمة يتخلل أفرادها عن مبادئ دينهم ويعتنقو الفكاهات الجاهلية، كما صرح هذا الأمر في المؤتمر العربي الأول، فقد قال عبد الحميد الزهراوي: الأمة التي تعنيها هي الجماعات التي فيها روح القومية، وأما إذا طارت هذه الروح من الأشباح فإن الأمر يكون كما ذكرنا من الشتات وعدم الجمع.

فضالتنا التي ننشدها اليوم هي تلك الروح التي صارت بها الأمم أسام، فصيغة نظرنا بما صرتنا أمة بأقرب من ملح البحر. وما دامت تلك الروح غائبةعنا فما نحن إلا أشباح لا تشكل جموعنا حيزة في هذا الوجود، ولا نأخذ نصيبنا في نظر العالم(3).

(2) عباد الرحمن الشهابي - حياتنا وجهاده- حسن الحكيم- 389.
(3) جريدة المفيد رقم 1370 - بتاريخ 1913/9/8م (نقلًا من كتاب: العرب والترك- توفيق برو- 481).
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

بعد عرض مواقف الجمعيات القومية العربية من عقيدة الولاء والبراء، وقبل مناقشة تلك المواقف أرى الإشارة إلى حقيقتين ظهرتا من خلال عرض مواقفهم من عقيدة الولاء والبراء. وهما الحقيقتان هما:

1. إن الجمعيات القومية العربية، لم تأسس على أصول من العقيدة محددة، لذا فهي لا تعتبر المعتقد شرطًا في اكتساب عضوية الجمعية.

2. الثناء والإطراء على ملاحةة الشرق والغرب والإعجاب بهم.

تُرتب على الحقيقة الأولى أن أعضاء وبعض المؤسسين للجمعيات القومية العربية كانوا أخلاقاً من اليهود والنصارى والنصبريين والمسيحيين. وتقرر جمعيات القومية العربية في هذا الأمر أبرز عوامل تحقيق الوحدة الوطنية، فقد قال أعضاء الجمعيات القومية: هذه المنظمات التي أنشأها شباب وكهول مسلمون ومسيحيون اشتكاكا أو انفراداً.

كان هذا الخلق العقائدي من برامج الجمعيات، ومثال ذلك: كان من ضمن برامج المنتدي الأديبي أن يتباخد أعضاء جمعيات القومية العربية حول خطة مثلى تتعلق بإصلاح المدارس الابتدائية في البلاد العربية، وذلك في عام 1911م، واقتُرح أن يكون هناك برنامجاً يرمي إلى إفاعل البلاد العربية على دعامتين:

(1) حول الحركة العربية الحديثة-محمد عزة دروزة-19/1.
الجمعيات القومية العربية ومقفها من الإسلام والمسلمين

1- توثيق عرى الإخاء بين العرب على اختلاف أدائهم وظروفهم حتى لا يذكر منهم في السياسة والوطنية غير عروبيته.

2- توحيد التعليم في البلاد العربية.(1)

ويذكر أعضاء الجمعيات في مذكراتهم انتساب أصحاب المعتقدات الباطلة إلى الجمعيات، فمن ذلك انتساب الدكتور نسيم ملول أحد سكان يافا اليهود وصار عضواً عاملاً في تشكيلات حزب الامبراطورية منذ 1913م.

قال مؤسس حزب الامبراطورية: لما أسسنا حزب الامبراطورية وقمنا بالحركة العربية، بادر اليهود فأرسلوا إلى مصر أحد زعمائهم ليختبر حالنا، وهو الذي حضر مؤتمر باريس، وقابلنا وتفاوض معنا في مركز اليهود بزوار الحركة العربية، فأفهمتنا أنها جماعة مبدؤنا الديمقراطية وعندنا أن كل أبناء الوطن السوري سواء في الحقوق والواجبات، وأن اليهود إذا تجنسوا بالجنسية الوطنية كانوا كغيرهم من أبناء هذا الوطن، على شرط أن تحدد هجرة الصهيونيين إلى البلاد، وأن لا يبقى منهم شخص أجنبي لا يتجنس بالجنسية العثمانية، وأن يتعلموا في مدارسهم اللغة العربية ويعلموا أبناء البلاد في هذه المدارس إلى غير ذلك من الشروط.(2)

كما تم عقد لقاء بين أعضاء جمعيات القومية العربية، وبين رئيس اللجنة التنفيذية الصهيونية، وتم الاتفاق على مناقشة النقاط التالية:

__________________________
(1) أوراق عب الدین الخطيب-القاهرة,
(2) العرب والترك في العهد الدستوري العثماني - 266
أولاً: أن العرب واليهود من جنس واحد ولكل منهما مزايا متكاملة.

الآخر: فالتفويق بينهما يكون خصوصاً وفتوح الشرق كله.

ثانياً: يستقبل العرب اليهود في البلاد العربية كأخوان لهم على أن يتبنّيس اليهود بالجنسية العثمانية وأن لا تكون فلسطين خاصّةً بكم.

ثالثاً: أن مقابل ذلك يتعهد اليهود بوضع قواهم الأدبية والمادية في خدمة القضية العربية ويتزامن الأحزاب العربية ويضعون تحت تصرفها ثلاثة ملايين من الجنويات.

رابعاً: يعقد مؤتمر عربي يهودي في مصر أثناء عودة نواب سورية والعراق من استنبول إلى بلادهم ...

وقد تمّ عقد هذا الاجتماع بين رئيس اللجنة التنفيذية الصهيونية، ونواب العرب وبعض رجال الجمعية الإصلاحية بيروت وكانوا عائدين حينئذ من باريس - أي في عام 1913 - فقرر قرارهم على أن يعقد مؤتمر في القاهرة يحضره نواب سورية وفلسطين والعراق والحدود مع بعض زعيماء اليهود للنظر في الاقتراحات المتقدمة ذكراها ..

وأما عن انتماء النصارى فإن أصل القضية العربية هو من تأسيس النصارى العرب كما بنيته وهذا كانوا رؤساء لبعض الجمعيات، التي من آخرها حزب البعث الذي تولى رئاسته النصارى ميشيل عقلق. وتفرع هذا الأمر 

(1) مذكّراتي على هامش القضية العربية - أسعد داغر - 44 34 - 44. واسم رئيس اللجنة التنفيذية: الصهيونية هو (جاكسون).
في بقية فروع حرب البعث فكانت معظم الكوادر القيادية دون القيادة القطرية مسيحية(1).

هذا ما يتعلق بالحقيقة الأولى، أمّا ما يتعلق بالحقيقة الثانية وهي الشيء والمثل لآفكار الملاحدة والكفرة وما قدموه من مبادئ ضالة.

فمثلاً ذلك: قول محمد عزة دروزة عند حديثه عن أهمية وجود الزعيم في الحركات السياسية المنظمة وعن الصفات التي يجب أن يتحلى به، قال: (والمدقق في الحركات القومية النضالية في الغرب يرى مصداق هذا في تاريخ بلدان كثيرة كأيرلندا وبولندا وإيطاليا وألمانيا).

وقد كان في الشرق امثولان عظيمتان من ذلك، تمثلت في (كمال آتاتورك) والحركة الوطنية الاستقلالية في تركيا الحديثة، وفي (غاندي(2)) والحركة الوطنية الاستقلالية في الهند.

(1) سياسي يذكر تجربة في العمل السياسي-جمال الشاعر-14. وانظر:

1. المؤتمر العربي الأول-14.
2. أسرار الثورة العربية الكبرى-أمين سعيد-242-دار الكتب العربي.

(2) غاندي: موهانداس كارمندرب(1879-1948) زعيم سياسي وروحي هندي. لقب بـ(المهاتما) أي النفس الكبيرة. نادى باللاعنف، والمقاومة السلبية. عمل على تحرير الهند من نير الاستعمار البريطاني فدعى (منهج الاستقلال الهندي). دعا إلى إزالة الحواجز بين الطبقات الاجتماعية، وإلى الوحدة بين الهندوس والمسلمين والسيخ. كتب هندوي معصب. أشهر أعماله سيرته الذاتية التي دعاها (قصة تخاري مع الحقبة) (عام 1927) وقد نقلها إلى العربية منبر البعثي. انظر: (روح عظيم "المهاتما غاندي"-عباس محمود العفادي).
قال الورعبا عن هذين الشخصين: لقد تمت على يدي هذين الزعينين العظيمين المسرين معاينة خارقة ما كانت لتتم لولا اتصافهما بصفات الزعيم القوّي في إيمانه وقلبه وروحه وإقدامه ودأبه وتجزده وتضحيتهما(1). كما مدح أعضاء جمعيات القومية البارزين من رجال الثورة الفرنسية وأهم الدعاء إليها(2).

مناقشة مواقف جمعيات القومية العربية:

بعد بيان موقف جمعيات القومية العربية، من عقيدة الولاء والبراء، التي سبق في بداية البحث الإشارة إلى مكاناتها من الدين، انكشفت المخالبات الشرعية عند الجمعيات ودعوا إلى العودة الجاهلية التي نبذتها الإسلام، وحذر منها، كما في قول الرسول ﷺ: (ليس من لم يعلم الشرك وشظى الجنوب ودعا بدعوته الجاهلية)(3).

ودعوى الجاهلية هي التناصر والولاء على الباطل والظلم(4)، كما ترجم البخاري في صحيحه: باب ما ينهى من دعوى الجاهلية(5)، وذكر الحديث الذي ورد فيه تشارك المهاجرين والأنصار: وقال الأنصارُ يَا للأنصار وقائلاً المهاجريُ يَا للمهاجرين فخرج النبي ﷺ فقال: (ما بال دعوى أهل الجاهلية(6)

---
(1) حول الحركة العربية الحديثة - محمد عزة دروزة - 94/1.
(2) انظر: مجموعة آثار رفقة العظم - (رسالة الجامعة الإسلامية وأوربة)- 59.
(3) صحيح البخاري- كتاب الجنائز-باب ليس من شظى الجنوب- رقم الحديث (1212).
(4) انظر: فتح البماري- ابن حجر- 6/2.
(5) صحيح البخاري- كتاب المناقش-باب ما ينهي من دعوى الجاهلية.
الجماعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

تم قال ما شاءهم فأخبر بكسعة(1) المهاجري الأنصار قال فقال النبي ﷺ:
دعوه فإنها خيبة(2).

والولاء الشرعي لا يكون للغة أو لعشرة، إنما الولاء يكون للمؤمنين مهما
كانت لغاتهم وأوطنهم، والبراكة من الكافرين تكون دون النظر للغاقم أو
أنسابهم، وفي الحديث سئل النبي ﷺ: (من أكرم الناس؟) قال: أثقاههم، فقالوا:
ليس عن هذا تسألوا، قال: فوسوف نبي الله يبني الله ابن النبي الله ابن
خليل الله، قالوا: ليس عن هذا تسألوا، قال: فعن عادن العرب تسألون!
خيارهم في الجاهلي خيارهم في الإسلام إذا فقهوا(3).

فأراد النبي ﷺ في هذا الحديث أن من كانت له مأثرة وشرف، فإذا أسلم
وفقه، فقد جاز إلى ذلك ما استفاده بحق الدين، ومن لم يسلم فقد هدم شره
وضيده(4).

(1) كسعة: يعنى ضرب الديبر باليد أو الرجل. وفي رواية الطبري: أن رجلاً من المهاجرين كسع رجلاً
من الأنصار برجله. وذلك في أهل اليمن شديد.انظر:
1. القاموس المصطفي-باب الدين-فصل الكافي.
2. النهاية في غريب الحديث-ابن الأثير-4/173.
3. فتح الباري-ابن حجر-8/517.

(2) صحيح البخاري-كتاب الوقف-باب ما ينفي من دعوى الجاهلية-رمم الحديث(257).

(3) صحيح البخاري-كتاب أحاديث الأنباء-باب فوؤد الله تعالى (وأحلان الله إبراهيم خليلاً)
وقوله (إن إبراهيم كان أمأه قانثة لله) وقوله (إن إبراهيم فأولده خليماً) -رمم الحديث(4/31).

(4) شرح السنة-البغوي-14/58/1.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

وسوف ينحصر الرد على موقف جماعيات القومية العربية من عقيدة الولاء والبراء في النقاط التالية:

الأمر الأول: دعوى أنه لا خلاف بين الإسلام والنصرانية ولا بين النصارى والمسلمين؛ من أشع الباطل في عقيدة الولاء الجاهلي عند جماعات القومية العربية، ويمكن تلخيص منهجهم المنحرف بالنقاط التالية، بعد أن بسط القول فيه من قبل معاوياً لأصحابه:

١. إن الجمعية – الإسلام والنصرانية – يتفقون فيما يعتقدونه في الله تعالى. والفرق الذي بين الإسلام والنصرانية فروق واختلافات ثانوية لا شأن لها في الله، ولا شأن لها في الآخرة، ولا شأن لها في الوطنية(1).

٢. ليس بين الإسلام والنصرانية تنافس في الأهداف والدعوة إلى الحياة ومُمَثِّلِها. وكلاهما صادر عن نبع واحد. والإسلام يعرف بقداسة السيد المسيح وشبيته ونبيته وإخليه.

٣. وليس هناك أي تباين بين النصارى والمسلمين في المصالح العامة، سواء أكان في مجال السياسة والحكمة والتنظيم والتشريع أم في مجال الحقوق والواجبات، أم في مجال الاقتصاد والاجتماع.

٤. ليس هناك أي داع حقيقى لتداعب روحي بين النصارى والمسلمين العرب، بسبب اختلاف الدين وطبيعته الذاتية، من شأنه أن يعكر على ما يتوفر بين سكان الوطن العربي من أركان الوحدة الجنسية واللغوية والتاريخية.

(1) انظر: عبدالله بن الشيخ، حياة وجهاده، حسن الحكيم، 153.
الجمعيات القومية العربية ومشغبة من الإسلام والمسلمين

ليس للدين والتمايز الدیني أي دخل في كل ذلك، لأنه ممارسة وجدانية، ولأن الدین الإسلامي المؤثر في حياة المسلمين، يضمن كل الضمان حقوق المواطنيين من غير المسلمين وحرياتهم... والسياسة النقاة تبشر بالمنح والسلام وتعارض الأحقاد والآرائ الشخصية. وإذا كان هناك شيء من أعراض الحذر والتقصب، فإن ذلك لا يثبت إلى الدین بسبب (1).

من هذه المفاهيم الجاهلية قررت جمعيات القومية العربية عدم وجود خلاف بين الإسلام والنصراني، وقد سبق الحديث عن تأويل جمعيات القومية العربية لآيات القرآن الكريم المتعلقة بعلاقات المسلم بالنصراني. ومما لا شك فيه حينما تنشر هذه المفاهيم في واقع المسلمين ويلزم الواقع العمل مقتضياً، فإنه يؤدي إلى نقض عقيدة الولاء والبراء.

ومن المقرر في كتاب الله وسنة رسوله وكلام أهل الإسلام أنه ليس بين الإسلام والنصرانية التقاء في جميع ما ذكر، وذلك أن عقيدة النصارى الشرقية باطلة، ابتدأوا بعد المسيح عليه السلام، وحرفوها عما جاء به الدين الحنيف، فضل منهم من عمل عن شريعة المسيح إلى ما أبتدأوهما. ثم لما بعث الله محمدًا كفروا به، فصار كفرهم وضلالهم من هذين الوجهين: تبديل دين الرسول الأول، وتكذيب الرسول الثاني (2).

---

(1) مختارات قومية-محمد عزة دوزة-1432

(2) الجواب الصحيح إلى بدل دين المسيح-ابن تيمية-1011-1100 (بصرف يسير).
الجمعيات القومية العربية و موقفها من الإسلام والمسلمين

والحروق بين الإسلام والنصرانية في كتاب الله وسنة رسوله أكثر من أن تعد وتقصي، بل إن الاختلاف في العقائد وواقع بين النصارى أنفسهم، فلما رفع عيسى عليه السلام اختلف الحواريون وغيرهم فيه، وافترقوا إلى اثنين وسبعين فرقة، كما ورد في الحديث (تفرق اليهود على إحدى وسبعين أو اثنين وسبعين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك وتكفر أمتي على ثلاث وسبعين فرقة).

فكيف تزعم جماعات القومية العربية أن الاختلاف بين الإسلام والنصرانية احتفال ثانوي، وقد قال السلف عن طوائف النصارى، يتكلمون بكلام لا يعقلون معناه ليس منقولا عن الأنباء، حتى يسلم لقائه بل هم ابتدوا، وإذا سألتهم عن معناه قالوا: هذا لا يعرف بالعقول فيتدعون كلاما يعرفون بأفام لا يعقلونه، وهو كلام متناقض ينقض أولاه آخره، وللهذا لا يجدهم يتفقون على قول واحد في معبودهم حتى قال بعض الناس: لو اجتمع عشرة نصارى، افترقوا على أحد عشرة قولاً ولا سألت قساً من قساوستهم عن مذهبهم في المسيح.

---

1. الملل والنحل-الشعرانية-1/220.22.


3. سنن أبي داود- كتاب السنة-باب شرح السنة-رقم الحديث(3980).


وسألت أباه وأمه لا اختلفوا عليك الثلاثة، ولقال كلا واحد منهم قولًا لا يشبه قول الآخر. وإذا طلبوها تفسير قول من أقوالهم فسره كلا منهم بتفسير يكفر به الآخر. لاختلافهم في التوحيد

(1)

فإذا كان بين أنفسهم هذا الاختلاف، فمن باب أولي أن يكون بينهم وبين المسلمين، فهم أمة الضلال وعباد الصليب الذين سوا الله الخالق مسبة ما سبه إياه أحد من البشر، ولم يقوا بأنه الواحد فرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد.

فكيف ينادي أعضاء الجمعيات بأنه لا خلاف بين الإسلام والنصرانية إلا خلاف شانوي، مع أن أصل عقيدة النصرانية أن الله ثالث ثلاثة، وأن مريم صاحبته وأن المسيح ابنه (2) الحم من الأفكار العقدية التي اتفقت عليها طوائف النصارى.

ومن الآيات التي ذكرت عقائد النصارى، قوله تعالى: لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق وإنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وسلك منه آصفها إلى مريم وروح منه فتآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة أنتونوا خيرا لحكم وإنما الله إله واحد سبحته أن يكون

(1) الجواب الصحيح لم بدل دين المسيح - ابن نعمة - 167-166
(2) هداية الخياري في السرد على اليهود والنصارى - ابن القيم - 19-19 مكتبة الحياة - بيروت

الجواب الصحيح لم بدل دين المسيح - ابن نعمة - 167-166
اللهُ وَلَدَّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفِى بِاللهِ وَحْيًا (۱). وقال تعالى: ﴿لَقَدْ صَفَّرَ الْأَرْضِ وَمَا فِيهَا وَلَقَدْ صَفَّرَ الْجَهَّالَةِ وَمَا فِيهَا إِلَّا إِلَيْهِ وَحْيًا وَاحِدًا﴾ (۲). وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ﷺ ﴿إِنِّي بِاللّهِ يَعِينُي إِبْنَ مَرْيَمَ أَنتَ قَلْتُ اللَّهُ وَحْيًا وَحْيًا أَنتَ أَنتُ الْقَرَآَنُ الْكَرَّ﴾ (۳). وقال تعالى: ﴿فَلَمْ يُؤْنِبَ الْمُجَالِمُونَ لَهُ وَأَمُّهُ إِلَّا مَنْ فِي نَفْسِهِ مُّرْتَهْبٌ وَأَتَّمَّ الْكَامِلَةِ الْأَلْبَارَةَ وَلَمْ يُؤْنِبَ الْمُجَالِمُونَ لَهُ وَأَمُّهِ وَهُمْ آخِرُ اسْتِحْيَاءٍ﴾ (۴). وقال تعالى: ﴿وَقَالَتْ الْيَهُودُ ﴿فِي أَيْنَ أَنْتُ الْقَهَرُ وَإِنْ كُنتُ فَيْتَرَكْتُ مَا خَافُتُ بِهِ﴾ (۵).

وَمَا يَكَفِّهِ النَّاسِ لِلْمُسْلِمِينَ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ عِنْهُمْ بِقِوْلِهِ: ﴿وَلَنْ تَرَضَى عَنَّكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّسَارِيُّونَ حَتَّى تَنْتَفَعُ مِنْهُمْ قَلْ إِبْرَاهِيمُ هَدَى اللَّهُ هُوَ أُهْدَىٰ وَلَنَا أَكْبَرُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ جَآءَكَ مِنَ الْعَلَّمِ مَا لَكَ مِنِّ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (۶).
إن الله عز وجل يخبرنا في هذه الآية على جهة التأكيد والدراو أن اليهود والنصارى لن يستحيوا معنا، ولن يسلمونا أو يرضوا علينا، حتى يتبعوا باطلهم، وتحذوا حذوهم في شركهم وكفرهم وأخلاهم (1).
وليس خافياً على أحد ما آلت إليه أمور المسلمين في كثير من البلدان العربية، حاكى النصارى الصليبيون مؤامرة القومية العربية فأجازوها بما الخلافة الإسلامية، وابتدعوا أحزاباً قومية فمسخت تعاليم الإسلام من العقول تارة بما تدعه من علمية، وأخرى بما تثيره من شبكات حول الإسلام، وإذا وقف شيء من الحق في وجهها بلغ إلى الحد والنار حتى إذا آلت أجيال المسلمين إلى فوضى وضياع في المفاهيم والتصورات، قدموا لهم النموذج العبري النصري في الأكل والملبس والسلوك، وخلق بعض أبناء المسلمين سلال الصليب الذهبية في أعقابهم، ولم يعد يحتاج النصارى من الكافرين أن يسمعوا أبناء المسلمين ليقولوا الآن أفواههم لكنهم سطاليون بما في المستقبل القريب. ويأبون إلا أن تتبع مثليهم وتبني أهواءهم.

الأمر الثاني: جاء بيان في كتاب الله يستنثب بأنه من الناس أولى، وأن للشيطان من الناس أولى، قال تعالى: "لا إله إلا الله * لا وارث * لا حليف * خلف علَهُم ولا أرض يجرون " (2) وقال: "allesti bi l-*bi bi m* bi *m* bi *m*

(1) توابع وفاء في الشريعة الإسلامية - محمود بن عبد الله الجلعود - 1879/1.3
(2) سورة يونس - قسم الآية (72).
اللهُ رَبُّكُمُ الْعَالَمِينَ أُولِيَايْكُمْ أُسْتَيْعَبُ أَنَّكُمْ هُمْ فِي حَيَاةٍ خَلِيْقَةٌ (٤٤). وَقَالَ تَابَارَكَ اسْمُهُ: "إِنَّمَا وَلَيِّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا عَلَّمُونَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَكِيِّونَ (٤٥)."

وَمِنَ الْآبَاتِ الَّتِي وَرَدَّ فِيهَا ذِكْرٌ لِلْأَوَّلِيَاءِ الْشِّيْطَانَ، قُولَهُ تَعَالَى: "إِنَّمَا قُرَّتْ آيَتُهُ قُرْنَٰٰءٌ فَآتِي لَكُمْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٤٦). إِنَّهُ لَسْتَ لَهُ سُلَطَانٌ عَلَى الزَّحِيدِ. أَمَّنْوَاهُ وَأَعَلِّنَهُ رَبِّكُمْ لِيَأْتِنَّهُمُّ إِنَّمَا سُلَطَانُهُ عَلَى الزَّحِيدِ يُؤْتُونَهُ وَالَّذِينَ بَعْضُهُمْ مُشَارِكُونَ (٤٧)." وَقُولُهُ تَعَالَى: "وَمَن يَتَخَذِّى الشَّيْطَانَ وَلِيَ مِنَ الْخُلُقِ فَلَا يَشْرَأَ حَسَنَاتُ مَنْ يَتَوَّهُمْ (٤٨). وَقُولُهُ تَعَالَى: "وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَيْوَحُونَ إِلَى أُولِيَّةِ الْقُرُوبِ لِيَجِدُ لَوْمَكُمْ (٤٩)."

فَلَمَّا كَانَ اللَّهُ أُولِيَاءَ وَلِلشَّيْطَانِ أُولِيَاءَ فَقُدْ كَانَ لَمَّا أَنْ يَوْلِيُهُ الرَّسُولُ الَّذِينَ أَمَّنُوا لَهُمْ أَمَّنُوا لَا يَتَخَذِّهِمْ أَئِنْ تَيْمَهُمْ وَأَؤَلَّفُ قَرْنَٰٰءٍ أُولِيَاءَ بَعْضُهُمْ أُولِيَاءً بَعْضٍ وَمَن يَتَوَّهُمْ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَوَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْظَّلَّامِينَ (٥٠)."

(١) سُورَةُ البقرة-رقم الآية (٢٥٧).
(٢) سُورَةُ المائدة-رقم الآية (٥٥).
(٣) النحل-رقم الآية (٩٨-١٠٠).
(٤) سُورَةُ النساء-رقم الآية (١١٩).
(٥) سُورَةُ الأنعام-رقم الآية (١٢١).
(٦) سُورَةُ المائدة-رقم الآية (٥١).
وبحقيق الولاء والبراء يستكمل المسلم إيمانه، لقول رسول الله ﷺ: (من أعطى لله تعالى وَمُتَّع لله وأحب لله وأبغض لله وانكَح لله فقد استكمل إيمانه).

إن الإيمان بالله والكفر بالطاغوت، وموالاة المؤمنين والبراءة من المشركين هو سبيل الأنبياء والمرسلين، فقد قال تعالى عن إبراهيم: (قد كانت لقومك أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه، إذ قالوا لقومهم إنا برهوا وَمِمَّا تعبدون من دون الله كفرنا بهُم وبدأنا بينهم وَبِنَكُم المَعْدُونَ) (4). وقال تعالى عن هود: (قال إني آمِنُ أنَّ الله وأَسْتَهْدَى أَيْنآ بِرَأْيِ) (5). فمَثَّل كُونهم مِن دونه، فكَيَدُون عَجَمًا وَلَا نَظُورٌ.

وقد أخبر الله تعالى عن طلب نبيه نوح ﷺ بنجاة ابنه من الغرق ورد الله تعالى عليه، بقوله جل جلاله: (قال يَنْبُوْحٌ إِنِّي لَيْسَ مِن أَهْلِكَ إِنَّمَا غُرِبَ صَلَحًا فَلَا تَسْتَلِينَ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ يَقِيمُ إِبْنِ أعطاك أن تكون من الجاهلين) (6).

---

(2) سورة البقرة-رقم الآية (4).
(3) سورة هود-رقم الآية (54-55).
(4) سورة هود-رقم الآية (46).
فنبي الله نوح ﷺ الذي مكث في قومه يدعو لربه ألف سنة إلا خمسين عامًا، كان الحكم الإلهي القاطع معه في مسألة الولاء والبراء فابتُعَلِّمَ أن تكون من الحَجَّالين ﴿ۚ﴾ وذلك حينما سأل الله ما ليس له علم، لأن الوشيعة التي يجمع عليها الناس في هذا الدين وشيعة فريدة تتميز بما طبيعة هذا الدين، وتعلق بأفكار وآمال وأهداف يختص بها ذلك المنهج الربياني الكريم.

إن هذه الوشيعة ليست وشيعة الدم والنسب، ليست وشيعة الأراضي والمملكة، ليست وشيعة القوم والعشيرة، وليس وشيعة الناس واللغة، وليس وشيعة الجنس والعنصر... إن هذه الوشائج جميعها قد توجد ثم تقطع العلاقة بين الفرد والفرد، كما قال تعالى لعبدو نوح: «إنَّهم ليسَ من أهلِّكِ﴾.

ووهذا هو المعلم الواضح البارز على مفترق الطريق بين نظرة هذا الدين إلى الوشائج والروابط، وبين نظرة الجاهلية المتفرقة... إن الجاهلية تجعل الرابطة آنذاً هي الدم والنسب، وآنذاً هي الأرض والوطن، وآنذاً هي القوم والعشيرة، وآنذاً اللغة وآنذاً المسألة المشتركة أو التأريخ المشترك... وكلها تصورات جاهلية على تفرقها أو تجمعها - تخلّف مخالفة أصلية عميقة عن أصل التصور الإسلامي (1).

(1) في ظلال القرآن - سيد قطب - ١٤٨٦/٤.
وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ رَوَى السُّؤْلُ اللَّهُ ﷺ قَالَ: "فَأَذْهَبَ اللَّهُ عَنْكُمْ غَيْبَاهُ الْجَاهِلِيَةِ وَفَخُرُّهَا بِالآبَاءِ مِؤْنِمًا بَيِّنًا وَفَاجَرُ شَقِّيٌّ وَالنَّاسُ بِنَوْ آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ". 

الأمر الثالث: من ميرات أعضاء جمعيات القومية، لاعتناق الولاء الجاهلي قوهم: إقصاء هيمنة الدين واعتباره كما قالوا: (مارسة وجدانية). هذا التصور عسن قيمة الدين في واقع الحياة عند جمعيات القومية العربية، تعتمد أساسيات العقيدة وأحكام الشرعية. فقد أرادت الجمعيات القومية أن يعتقد المسلم في دينه ما يعتقد الكفار في فهم دينهم. (أعط ما لقيصر لقيصر وما لله الله)، هذا الشعور الذي ترفعه أوروبا كلما ألمع عليها—I هو أن تختلف منهج الله وتتمرد على شرعه، وبفضل هذا الشعور أخذ الدين ينكمش ويحسر عليه من القرون حتى لم يبق له في أحسن الأحوال إلا ساعة في الأسبوع خاوة من كل معين.

والذي يدل عليه كلام الله وكلام رسوله أن الدين ليس فقط في القلوب والوجدان، وإنما هو ممارسات قلبية وعملية ولفظية، قال تعالى: "ليس آليز أن تولوا وجوههم قبيل الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنْ آليز من عِمَّانِ بَلَدِي وَأَليؤُمُ الآخِرِ وَالمَلِدِّيَةَ وَالْكِتَابِ وَالْبَيْنِيَّ وَءَايَ اللَّهِ عَلَى حُجَيَةٍ ذِوي أَلْفَرْقَ نَوَاتِي وَأَلْيَنْسُي وَأَلْسَمِي وَأَنَّ أَسْبَيْلُ وَأَنَّ أَسْبَيْلُ وَأَفاقُ وَأَفِاقُ وَأَفِاقُ وَأَفِاقُ".


(2) العلمانية-سفر الحواري-95. 
في آية واحدة يضع القرآن الكريم قواعد التصور الإسلامي الصحيح، وقواعد المسلمون الإيماني الصحيح، ويحدد صفة الصادقين المنقين. آية واحدة تجمع بين أصول الاعتقاد، وتكاليف النفس والمال، وتجعلها كلاً لا يتجزأ، ووحدة لا تنفصم. وتضع على هذا كله عنواناً واحداً هو (البر) .. والحق أها خلاصة كاملة للتصور الإسلامي وليبئيج المنهج الإسلامي المتكامل لا يستقيم بدونها الإسلام (1).

ومعنى الآية شرع لكم ولمن قبلكم إقامة الدين وترك الفرقة، وشرع الاجتماع على اتباع الرسول (4). دون التفات إلى أهواء المختلفين. ومن هيئة

(1) سورة البقرة-رقم الآية(177).
(2) في ظلال القرآن-سيد قطب-161/1.
(3) سورة الشورى-رقم الآية(13).
(4) زاد المسير-ابن الجوزي-7/277.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

هـذَا الدِين الواضح المستقيم، ودحض حجة الذين يحاجون في الله، وإنذارهم بالغضب والعذاب الشديد۱.

وِهِذَا المفهوم الشرعي كان إقامة الدِين في واقع الناس من أسباب اجتماع الكلمة لقول الرسول ﷺ: (إِن هَذَا الْأَمْرُ فِي هُذِهِ الْقُوَّةِ، لَيَعَادُونَهُ أَحَدٌ إِلاَّ كُلُّهُ اللَّهُ ﴿۳:۳۹﴾) فقوله ﷺ: (ما أَقَامُوا الَّذِينَ) تأكيدًا للله ﷺ: (٣:۳۹).

أي: مدة إقامتهم أمور الدين، وإذا لم يقموا الدين خرج الأمر عليهم۳.

فمما سبق يتبين بطلان ما قرره جماعات القومية العربية، في واقع الأمة من قميش قضية الدين، وعدم اعتباره الأساس والمرجع والآلة.

الأمر الرابع: الاجتماع على الأسس الدينية هو العاصم من الضلال، قال تعالى: {وَأُعْتَصِمُوا بِيَدَٰلِلَّهِ جَمِيعًا وَلَا تُفَرَّقوٰا} ۴. لقد كان العرب قبل جمعهم على دين الله ﷺ آمة متفرقة كما قال تعالى - تمام الآية السابقة - {وَأَذَّكِرُوا مَعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أُعِدَاءَ فَأَفَلَّهُ بَيْنَ فَلَوْكَيْنَمْ فَأَصِبْحُوٰمْ بِبَعْضٍ اٰتَّخَذْنَاهَا} ۵.

وجمل الآية: اذكرنا أُبيها المؤمنون نعمة الله علَيكم التي أنعم بها عليكم حين كنتم أعداءً بشركم، يقتل بعضكم بعضاً، عصبية في غير طاعة الله ولا

۱) في ظلال القرآن - سيد قطب - 47/5، 48/31.
۲) صحيح البخاري - كتاب الأحكام - باب الأجراء من قُرَش - رقم الحديث (۱۶۰۶).
۳) فتح الباري - ابن حجر - ۱۲۰/۱۵.
۴) سورة آل عمران - رقم الآية (۷۳).
الطاعة رسوله، فألْف النَّبى بالإِسلام بين قُلوبكم، فجعل بعضكم لبعض إخوانًا، بعد إذ كنتم أعادًا تواصلون باللغة الإِسلام واجتماعكم كلمكم عليه(۱).

وأما زعمه جماعات القومية العربية— حينما استبعدت الدين الذي يكون الولاء والبراء من أجله— قد خالفت نص هذه الآية الكريمة، فالتمسك بوحي الله العزيز توحي الوحدة الصحيح، لما يكون التجمع الصحيح والشعور الصحيح عن ميزة ووضوعاً، وهو تجمع على التصور الديني لجميع مناهج الحياة، لا تجمع على شيء سواه من التصورات الجاهلية، فإنه لا يمكن أن تتحقق منها الوحدة الكاملة المشروعة إما هي خلافات جذرية عقائدية تزيد في أحقادهم، وعذاء بعضهم لبعض، خلاف الأخوة الدينية فإما رأسة في القلوب.

وليس من الولاء الشرعي الدعوة إلى الوحدة، أو الاتحاد باسم جبل الله أو سماحة الدين— كما يدعه أعضاء الجمعيات— مع من يذكروا كتاب الله وراء ظهورهم، فإن هذا غش للمسلمين إذ لا يجوز اتحادهم إلا مع المعتصم بجلب الله، ولـيُعمَل عَلـم اليمين أنه لا يحصل على وحدة أو اتحاد بهذه المبادئ والمذاهب القومية والمادية، ولا يحصل على الوحدة المبنية على المودة والحنان، إلا بإضافة الإسلام الصحيح(۲).

لقد ذكرت الآية السابقة نعمة الله على العرب بعد أن جمعتهم بعد تفرق وآلف بين قلوبهم بعد عداوات، وكله من آثار الولاء الشرعي.

(۱) تفسير الطبري-۴/۳۲۳.
(۲) صفوة الآثار والمفاهم-عبد الرحمن الدوسري-۴/۲۶۲-۲۶۵(تصرِف).
الأعمال بجمعيات الأجهزة، والانتباه بالاستعمار العسكري، ثم الاستعمار الفكري
الذي مزهم شر ممزق (1).

وقبل ضياع الملك والاستعمار العسكري، ظهر كثير من الخلافات بين
أعضاء الجمعيات حين تأسيسها، مثل ذلك ما يذكره أعضاء جمعية بروت
الإصلاحية، فبعد أن وضعت الجمعية الإصلاحية لائحة نظامها، التي منها:
وجوب انتخاب أعضاء المجلس العمومي مناصفة بين المسلمين وغير المسلمين (2)
إلا أن أعضاء الجمعية من غير المسلمين طلبا أن يكون النصيب الأعظم لهم،
وأصروا على أن يكون لأعضائهم أكثر من النصف. فيقول سليم علي سلام
أحد المؤسسين للجمعية: وجب بعد عقد الاتفاق ارتأينا أن لا تداخل
بالإنتخاب (3).

وهذا تقدم بالشكر القائد العام للحملة المصرية "الشارش اللنبي" للجمعيات
القومية العربية التي تقرر مبدأ الولاء الجاهلي على ما قدمته ليوش
التحالف بقوله: (إن المساعدات التي قدمها لنا العرب لا تنمن).

(1) المصدر السابق - 265.

(2) قال رشيد رضا عن هذا الاتفاق: إنني أشكر إخواني أهل بروت هذا العمل الإصلاحي الذي
أقيم على أساس الاتفاق بين مسلميه ونصاراه، وإن أول لغة في استمالة الآخرين ما لم
يposable عبرهم من الناس وهو أمين رضا أن تكون قلة التصريح في الولاية مساوية لكتبة المسلمين
في الآشراك بإدارة حكومتهم، فهذا برهم عملي قاطع على تساهم من بعدن أشد المسلمين
عصب في سورية. ونعد في ظل المسلمين من المزية سماحهم بعض حقوقهم لأنهن وطنهم وشكي

(3) مذكرات سليم علي سلام-قدم لها وحقها/حسن على ملال-14-11-1941-1461 هـ.
وبعد الحرب العالمية الأولى سلم أمين سر رئاسة وزارة فرنسا للأمير فيصل وسام الصليب الخريبي، وشارة سعف النخل، مع كتاب هذا نصه: إنه أمير يشار إليه بالبنان، ملؤه حكمة ونخبة، أبد بعزم وطليد قضية أبيه ملك الحجاز سنة 1916، خلع النور التركي وتأييد قضية الحلفاء...الح(1).

والأمير فيصل بن الحسين هو من أهل ودعاة الولاء الجاهلي، حيث يقول: (الذين الله والوطن للجميع، خن عرب قبل موسي وعيسى ومحمد، إن محمدًا لعبري قبل أن يكون مسلمًا)(2).

ويذكر أعضاء جمعيات القومية المتأسية التي حلت بالأمة بسبب هذا الولاء الجاهلي، يقول ساطع الخصري وهو من أبرز منظري فكر جمعيات القومية العربية: "خرج فيصل من حدود المملكة التي كان يحكمها ما يقارب من سنتين وتلقت الحركة القومية التي ثار العرب من أجلها ضد الترك ضربة قومية، وزالت بذلك الدولة العربية في دمشق إثر حملة عسكرية شنت عليها بعد سلسلة طويلة من المناورات السياسية كانت ميسلون حداً فاصلاً، وتعثر على إثرها رجال الثورة العربية ودعاة القومية في مختلف الأقطار ليجاهوا حياة كفاح جديدة شاقة ومتشعبة(3).

(1) أسرار الثورة العربية الكبرى- أمين سعيد-293.
(2) الشعبي والوطنية في لبنان والبلاد العربية- وليم الحاكم-80. وانظر: الأبحاث القومي- عم دبقب-352.
ويصف خير الدين الزركلي(1) — أحد أعضاء جماعيات القومية العربية — ما شاهده من أحداث في تلك الفترة، فيقول: (بعد إعلان ملكية الأمير فيصل الأول: بعد البيعة بعشرة أيام أبلغت فرنسا وإنجيلترا الأمير فيصل بأنها لا تعتقدان بصحة بيعته ملكاً، ودعيا للحضور إلى أوروبا لعرض قضيته أمام مجلس عالٍ، فاعتذر بأن أعمال مملكته الجديدة لا تسمح له بمغادرة البلاد، ثم وقعت حوادث شغب واعتداء بين الطوائف في الشام، وتكونت عصابات. وكانت الحكومة العربية في أدي عامة والhhhأهلين من أثرياء جيشها، وخطط الأحزاب المتضاربة، وأعضاء كل حزب متعادلون متشاكسين بينهم).

وفي نهاية الحرب واحتلال البلاد العربية، علق (الورانس) على هذه الأحداث قائلاً: إن العرب قد ثاروا ضد الترك لا لأن الحكومة التركية فاسدة فسادًا خاصاً بل لأهم يريدون الاستقلال. ولم يغامروا بجياعم في المعركة حبا بتغيير الأسياد كي يصبحوا رعايا بريطانيين أو مواطنين فرنسيين، بل ليكسبوا المظهر الخاص بهم (2).

الأمر الخامس: لقد أهل الله طعام الذين أوتوا الكتاب وهو نص الكتاب المنزل، وقد أجمع العلماء على حل ذبائحهم (3). وهذا الشرع الحكيم ليس ولاةً

(1) انظر الترجمة رقم (22).
(2) ما رأيت وما سمعت-خير الدين الزركلي-132-3- sakity المعاصر-الطائف.
(3) مجلة المقتطف-الجزء 1-المجلد 97-في تاريخ 1933-بعنوان: لورانس في الميزان-عبدالرحمن الشهيدر.
(4) الإجماع-ابن المنذر-كتاب الضحايا والذبالح-رقم فقرة الإجماع (222)-دار طبكة-1402 هـ.
لهم كما يقول أعضاء جمعيات القومية العربية، ولا عجب لمعتقدهم ومذهبهم، وإنما العلة في ذلك لوجود التذكية في ذبائحهم (1)، ولا يفوقون القاذورات (2).

وهذا قال السلف عن فهم هذه الآية: لا يسأ بذبيحة أهل الكتاب إذا أهلوا الله وسموا عليها، قال تعالى: "ولَا تُنْظَرُوا بِمَا لَمْ يُذَكَّرْ أَسْمَ اِنْطَقَ اِلَّهُ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِي شَقِّيٍّ" (3). والمسلم في قلب اسم الله، وما أهل لغير الله به ما ذبحوا لكنائسهم وأعيادهم يبتذل ذلك (4).

استنبطت جمعيات القومية العربية من حكم جواز أكل ذبائح أهل الكتاب دلالات سائدة بناها عليها مبدأً من مبادئهم، واتخذوا في مناهج دعوتهم إلى القومية العربية ضد الدين، قالوا: "وذلك لإزالة الجفوة وتوطيد التآنس والتوافق والتعامل والتقارب عمليًا بين المسلمين والنصارى، يخالف النصوص الأخرى التي تنص على وجوه بعضهم ومخالفتهم الذي هو أصل التعامل مع أهل الكتاب".

لقد أهمل أعضاء جمعيات القومية العربية النصوص الأخرى الواردة في الكتاب والسنة التي تدعو إلى خلافة أهل الكتاب، ومنها قوله تعالى: "يُسَبِّبُ بِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَتَّخَذُوا الْبَيْدُودَ وَالْحَكَّارَةَ أَوْلِيَاءٍ، بَعْضِهِمْ أُولِيَاءٌ بَعْضٌ وَمَن يَتَوَفَّهُ مَعَكُمْ فَإِنَّهُ مَيْتٌ إِنَّ اِلْلَهَ لَا يُهْدِي الْقَوْمَ الْظَّالِمِينَ" (5). وقوله (6)
 تعالى شأنه: «靥ُبِّ النَّاسِ آمَنُوا لَا تَتَخَذُوا عَدُوِّي وَعَدُودُكُمْ أُوْلَيْاءَ تَفْلِقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوْعِدَةَ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَهُمْ مِنْ الْحَقِّ» (1). وقوله تعالى: «靥ُبِّ النَّاسِ آمَنُوا آمَنُوا وَصَابِرُوا وَصَامِرُوا وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ» (2). وقوله تعالى: «靥ُبِّ النَّاسِ آمَنُوا لَا تَتَخَذُوا النَّاسِ أُوْلَيْاءَ» (3). هُنَّ وَلَعْبًا مِّنُ الْجَاثِرِيَّينَ أُوْلَوْا الْكِتَابِ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارُ أُوْلَيْاءَ» (4).

هـذا بعض ما ورد في كتاب الله ﷺ في وجوب مالية ومعاداة أهل الكتاب، وأمّا ما ورد في السنة من النهي عن التنبيه بأهل الكتاب، فقد أخبر به عموّاً فقـال الله ﷺ: (لَتَشْتَهَى سَنَنَ مِنْ قَبْلُكُمْ شَخْصٌ بَشْرٌ وَدَرَّاهَا بَذَرَاعٌ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جَزِّ صَبَّ لِسَلَكَتُوهَا، فَلَنَا: يَا رَسُولُ اللَّهِ أَيُّهَا الْبَيْتُ وَالْمَتَّى؟ قَالَ: فَمَنْ) (5).

وكان النبي ﷺ طوال دعوته يذكر الأمة بأن تنتهج شيخ أهل الكتاب مع أُنبيائهم، كما روي عن أبي وافد الذي قـوله: حينما خرج الصحابة عن مكة مع رَسُولِ الله ﷺ إلى خِيْر، وكان للنكفّار سدّرة يعكّون عنيها، ويعتّلون بها. أسلمتهم، فقال لها ذات أوّمات، قال: فَمَرْنَا بِسِدْرَةَ صَخْرِاءَ عَظِيمَةً، قال: فَقَلَّتْهُ وَالَّذِي تَفْسِيرُ بِهِ كَمَا قَالُ فَقِيْهُ مُوسَى: «فَقَالُوا يَنِمُوسَى أَجِلَّ لَنَا إِلَى هَٰؤُلَآٰهَا كَمَا لَهُمْ» (6).

(1) سورة المنحنة-رقم الآية (٢١).
(2) سورة آل عمران-رقم الآية (١٠٠).
(3) سورة المائدة-رقم الآية (٥٧).
(4) صحيح البخاري-كتاب-باب ما ذُكر عن بني إسرائيل-رقم الحديث (٣١٧).
الهيئة فقال إنكم قولًا جعلون (١) إنها السنن لتركين سنن من كان قبلكم سنة سنة (٢).

ولما حرف أهل الكتاب كتابهم قال تعالى في حقهم: قول شديد يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هؤلاء من عين الله ليشيروا به ثمما قليلًا قول لهم ممّا كتبنا ملكًا ووليت لههم ممّا يكتبون (٣).

وقد حذر النبي ﷺ أمته من الاختلاف في كتاب الله، فحينما سمع أصوات رجلي اختلفا في آية، فخرج عليهم رسول الله ﷺ يعرف في وجهه العصب فقال: إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب (٤).

ولما كان السلام يدل على المودة والولاء كما قال رسول الله ﷺ: لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أذلكم على شيء إذا فعلتموه تحابتم، أففسوا السلام بينكم (٥).

لما يحمل هذا الأدب الإسلامي (السلام) من المعاني فإن الشريعة تحققها لست الولاء والبراء فحت أن يبدأ المسلم أهل الكتاب بالسلام بدبليل قول رسول الله ﷺ: لا تعذروا اليهود ولا النصارى بالسلام فإذا قيتم أحدهم في طريق فاضطرة إلى أضيقه (٦).

---

(١) سورة الأعراف - رقم الآية (١٣٨).
(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل - ٢١٨/٥-٠٥.
(٣) سورة البقرة - رقم الآية (٧٩).
(٤) صحيح مسلم - كتاب-باب النبي عن أبي معاذ مثقبة النفلان - رقم الحديث (٤٨١٨).
(٥) صحيح مسلم - كتاب الإمام-باب يمن أن لا يدلي الحجة إلا المؤمنون - رقم الحديث (٨١).
(٦) المصدر السابق - كتاب السلام-باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام/رقم الحديث (٤٠٣).
ويستمر نبينا ﷺ مأخراً أمسى من مشاهدة أهل الكتاب، وهو على فراش الموت، قالت عائشة: لما نزل رسول الله ﷺ، طفق يطرب حميسة على وجهه فإذا أعظم كشفها عن وجهه، قال وقد كذلك: (لعن الله على اليهود والنصارى، أخذوا قبور أليافهم مساجدة يحذرون ما صنعوا)

فهذه بعض النصوص الواردة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ تحدد علاقات المسلمين بأهل الكتاب على أساس الولاء والبراء، وهي تنقض ما قرره جماعات القومية العربية من مبادئ الولاء الجاهلي.

الأمر السادس: إن موالية اليهود والنصارى وإشراكهم في تقرير مصر الأمة، كما حل في الثورة العربية، التي قال عنها أعضاء الجمعيات: "إن الثورة العربية قد أشعلت نحو أربعين ألف جندي تركي بين المدينة وعمان، وأها كانت عاملاً كبيراً في انحراف تركية وانتشار الخلفاء عليها". كل هذا في خلافة لقوله تعالى: (فَأَمَّنَّا لِلنَّارِ مَنْ مَكَّنَّاهُ اشْرَكَ بِيَدِ وَرَأْيَةٍ مِنْ ذُو يَوْمِكَ) (6). قد بينما لَكُمُ الْاَيَةِ وَإِنْ كُنتُمْ تَعْقَلُونَ. 

في الله في هذه الآية المؤمنين به أن يتخذوا من الكفار به إخلاص، ثم عرفهم ما هم عليهم لهم من الغش والخيانة، وبلغهم إيامهم من الغوائل، فحذروا بذلك منهم من خالفتهم.

(1) صحيح البخاري-كتاب-باب ما ذكر عن النبي ﷺ إسرائيل-الحديث (195).
(2) القومية العربية تاريخها وقوامها ومواقفها-مصطفى الشهابي-120.
(3) سورة آل عمران-رقم الآية (118).
(4) تفسير الطبري-4/106.
إن هذه الآية وغيرها من الآيات التي تنهاية عن موالاة الكفار، واتخاذ الغريب عن اللملة بطاعة لمن يقوم بأمر اللملة، وإن كانت له صلة النسب، فإن خالقته في الدين تجعله غريباً، والغريب عن الدولة لا يجوز إتخاذه بطاعة لرجال الدولة... فهم يقذفون الغش والتلبس، كما جرى للمستعصم آخر خلفاء العباسيين، حين استوزر ابن العلقمي الرافضي، ركيزة التنار، حتى خدعه، وصار فرصة لهما فكانت نكبة على المسلمين(1).

ولم يرض النبي ﷺ أثناء تلبيه رسالته أن يدعو أحد من المسلمين ينتمي إلى عصبة جاهلية، فحينما قال الصحابة من المهاجرين والأنصار الذكر: فالأنصاريُّ: يا للانصار! وقال المهاجرين: يا للمهاجرين. قال: النبي ﷺ: (ما بسال دعوى أهل الجاهلية... دعواها فإنها خبيئة)(2). فإذا كان من دعا إلى المسلمين واستنصرهم على إخوائهم في الدين، أو إلى الأنصار واستنصرهم على إخوائهم في الدين يكون قد دعا بدعاى الجاهلية، مع كونهما أسمين محببين لله سبحانه، وقد أثنا الله عليهم ثناءً عظيماً. فكيف تكون حال من انتسب إلى القومية واستنصر بها وغضب لها؟ أفلا يكون أولى بأن يكون قد دعا بدعاً الباين الجاهلية(3).

(1) صفوحة الآثار والمفاهيم-عبد الرحمن الدوسري-297/4.
(2) صحيح البخاري-كتاب المنافق باب ما ينهي من دعوى الجاهلية: رقم الحديث 226-325.
(3) مجموع فتاوى الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله بن باز-295/1-296-297.
المبحث الثالث

 موقف الجماعيات من نبوة الرسول وسيرته

 اعترف سلف الأمة بسيرة الرسول ، فقاموا بتلخيصها والتصنيف في سنه وأيامه وغزواته بيانًا للناس لأها سيرة النبي ﷺ والرسول المصطفى ﷺ المقتدى به فذكروا تفصيلاً أحواله وقصصه وأخباره، وشؤون حياته.

 وهذا ناجم عن عمق فهم السلف لمدلول كلمة (شهادة أن محمدًا رسول الله) قائلة ابن بطة: "إن الله جل ثناؤه وتفقدست أسماؤه قد جعل في كل زمان فترة من الرسول ودروساً للأثر، لطفاً بعبادته ورفقة بأهل عنايته، ومن سبقت له الرحمة في كتابه، لا يخلو زمان من بقاباً من أهل العلم وحملة الحجة، يدعون من ضل إلى الهذى ويهذوهما عن الرد، يصرون منهم على الأذى ويحيون بكتاب الله الموتى ويصرون بعون الله أهل العمى، ويسنة رسول الله أهل الجهالة والغباء"(1).

(1) الإبانة عن شريعة الفرق الناجية- ابن بطة-197-دار الراية-الرياض-الطبعة الأولى-1409 هـ
وروى أهل الحديث حرص السلف من الصحابة والتابعين على معرفة ونشر سنة النبي ﷺ ممثلين قوله: (ألا ليبلغ الشاهد الألباب فكلّ يبلغ أن يكون أوّليه من بعض من سمعته) (1).

فمن روا في هذا الباب ما حدث به عمر بن الخطاب عن نفسه أنه قال:

(كسنت أنا وحاسَر لي من الأنصار في بنى أمية بن زيد – وهي من عوالي المدينة – وكسنت نناوب النور على رسول الله ﷺ، ينزل يومًا، وأنزل يومًا، فإذا نزلت جنته يبخبر ذلك اليوم من الوحي وغيروه وإذا نزل فعل مثل ذلك) (1).

وقد نقل السلف السيرة النبوية، التي شملت جميع جوانب حياته ﷺ، بدقة وأمانة قسيل لسلمان الفارسي ﷺ: (قد علمكم ﷺ أنّ كُل شيء حثى الجراحه، فقال: أجل، لقد نهانا أن تستقبل القبالة لفاتاة أو بول أو أن تستنجي بالسيم، أو أن تستنجي بقلة من ثلاثة حجارة، أو أن تستنجي برفع أو بعصم) (1).

ومن أدق ما روى الصحابة – رضي الله عنهم – عدد الشعراء البيضاء في وجهه، فقد حدث وهب أبي جهينة السواني، قال: "رأيت النبي ﷺ ورآيت بيضاً من تحت شفته السفلي، العنقفة" (4).

---

(1) صحيح البخاري - كتاب المغازي -باب حجة الزكاة - رقم الحديث (54). (87).
(2) المصدر السابق - كتاب العلم -باب الطهارة في العلم - رقم الحديث (385).
(3) صحيح مسلم - كتاب الطهارة - باب الاستطالة - رقم الحديث (381).
فكان نهج السلف في بيان سيرة الرسول للناس من أجل الاقتداء به، ولزوم
سته، كما قال القاضي عياض في بيان مقصده من الكتابة في سيرة الرسول
"هو التعرف بقدرته الجسم، وخُلقه العظيم، وبيان خصائصه التي لم تجتمع قبل
في مخلوق، وما يدان الله تعالى به من حقه الذي هو أرفع الحقوق، ليستقن الذين
أوتوا الكتب، ويُزداد الذين آمنوا إيمانًا، وما أخذ الله تعالى على الذين أُوتوا
الكتب ليُتبيّنّه للناس ولا يكتمونه(1).

وإذ كُتب كتاب السيرة النبوية ودراستها لغرض الاهتداء والاقتداء بها، وهو ما
ُُّنِجح العلماء السلف المتأخرين أيضًا، وكان المسلم اليوم بأشد الحاجة لدراسة
وفهم سيرته ﷺ، ليخرج بها من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى،
ومن ألم إلى الرشد، ومن السفه إلى الحكمة(2).

ومما يجب الإشارة إليه في بداية هذا البحث، أن القضية ليست مسألة
إنكار أعضاء الجمعيات القومية للأدوات الكونية، أو الجرائز المتعلقة بصفاتها
، وإنما القضية بحث مواقف أولئك الأعضاء الذين تشربت معتقداتهم بالمبادئ
الباطلة والمذاهب المجردة، كعدم إيمانهم ببعثة المصطفى، وعدم اعتقادهم بأن الله
قد أنزل القرآن على عبده ورسوله محمد ﷺ، ولا يرون أن الله جلّ جلاله قد
خصص نبيه بشيء من المعجزات وخوارق العادات.

(1) التعرف حقوق المصطفى-القاضي عياض-1/1.
(2) مختصر سيرة الرسول-عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب-2-مكتبة الرياض الحديثة-الرياض.
لذلك لا غرابة في وصف عمق البعيث النصراوي النبيّ، بقوله: "الأديب كاذبي، لا بد أن يضطهد من أجل رسالته، ولا فرق بينهما يميز الأديب على النبي
وهو أن هذا يحمل في جديده بذور الموت، إذ أنه يجري بجديد يفرضه على المستقبل ويحرم عليه التجديد، في حين أن جوهر الأدب حرية لا نهاية لها" (1).

وقد أشار إلى هذا الأمر شيخ الإسلام في عصره مصطفى صبري مبيناً
التحرك في هذه المسألة من الجرح في ثقات الرواة، حتى إنكار المسلمين من
الأمور العبية (2).

وقد اتخذ أعضاء الجمعيات موقفاً من سيرة النبي ﷺ وما ظهر من دلائل
نهبهته، تتوافق مع المنهج الذي سمي بالمنهج العقلي، الذي ظهر في بدايات
القرن التاسع عشر الهجري، وهو ما يسمى "بالعلم التجريبي" أي المادي.

وischen أعضاء الجمعيات هذا المنهج بأنه من مميزات القرن التاسع عشر،
وجعلوه مسألة الروح العلمية التي عمّت دوائر الحياة البشرية جمعاً، أتخذت
العلوم والمعارف فيه وجهة يصح أن تسمى جديدة، ووضعت على أساس رايخ
بفضل البحث العلمي المبني على الملاحظة والتجربة بخلاف ما كانت عليه قبلاً
من الاعتماد على آثار السلف والاكتفاء بما تركوه من العقائد والآراء.

فلما برغ فجر العصر الحديث قال أعضاء الجمعيات: تحررت الشعوب من
القيود القديمة على اختلافها، خلق تلك الروح جميع العلوم والمعارف فترك

(1) ميشيل عفانق (الكتابات الأولى)-دروكان قرقوط- 76.
(2) موقف العقل والعلم والعلوم من رب العالمين وعبادة المرسلين-مصطفى صبري-19/1-19/12-20.
المفكرون سلطة الأقدمين جانبًا لأن الخضوع الأعمى لها كان حاجرًا ثمرة في سبيل التقدم المادي والأدبي واتجهوا طريقًا جدًا كان راينهم فيه الوقف على الحقيقة المجردة عن كل غرض 

فقدت أعضاء الجمعيات القومية في مجازها انطلاقاً مما تقدم ذكره وبعد تخللهم من الدين دراسات عن سيرة الرسول مطلقة من منهج (النهاية العلمية) ومن أهم مقاصدها كما قالوا: "إعادة الحياة إلى الأفراد وثب روح الاستقلال فيهم وانتشارهم من عبودية الجماهير التي كانوا رازحين تحت أقناعا والسعي للإفراج عن أرواحهم المثلقة بالعقبات الدينية". وبسبب من ذلك تناولوا السيرة النبوية وما وقع على يدي الرسول من آيات سالكين المنهج العقلي المجرد عن القبول والانقياد.

ويمكن بعد دراسة مجموعة ما كتبها أعضاء الجمعيات القومية العربية، في السيرة النبوية أن أقسم منهجية كتاباتهم في سيرة الرسول إلى قسمين:

القسم الأول: كتابة الأعضاء ذوي الاعتقادات الباطلة، والمذهب الفاسدة من نصارى وغيرهم فقد كتبوا في السيرة النبوية وألقوها المحاضرات عنها تسيء إلى مقام النبوة، وبعدها في مقاصدها عن الهدي والإلتقاء.

ذكر رشيد رضا بأن شيلي شيل، وهو نصري من مؤسس الجمعيات كتب إليه كتابًا قال فيه: "أنت تنظري إلى محمد كنبي فجعله

(1) مجلة الهلال- مجلد (25) سنة- ص: 233.
(2) المصدر السابق- ص: 320.
عظيمةً، وأنا أنظر إليه كرجل وأجعله أعظم، ونحن وإن كنا في الاعتقاد (الدين أو المبدأ الديني) على طريقي نمضي فالأجسام بيننا العقل الواسع والإخلاص في القول، وذلك أوطق بيننا لعرى المودة" (1).

وقال الشيخ الإسلام في عصره: الشيخ مصطفى صبري عن شهلي شميل:

"بأنه ناصر فكرة الإخوان في البلاد العربية بمحمد ومعارضة" (2).

ومع أبرز هؤلاء الكتاب جرحي زيدان النصراوي الذي استمر بقراءة العربية، وتوارى خلف شعارات القومية، ومهد له الإعلام العربي ليلعب دوره الطبيعية في كتابة التاريخ الإسلامي مشهواراً مبتوراً (3).

فمن أبرز كتب جرحي زيدان: كتاب (تاريخ التمدن الإسلامي)، وسلسلة ممن (الروايات التاريخية)، وأصبحت كتبه في هذا المجال منهما أستاً يستلقي منها القوميون العرب (4).

(1) مجلة المنار-المجلد (19)-الجزء (1)-تاريخ 29/6/1335هـ-ص: 276.
(2) موقف العقل والعلم والعلم من رب العالمين-مصطفى صبري-4/9.
(3) نشأة الحفاظ من تاريخ جرحي زيدان-أمين بن حسن الحلواني-تقدم محمد السيد الوكيل-من المقدمة.
(4) انظر على سبيل المثال:
1. فلسفة تاريخ محمد جمع-محمد جميل بيه.
2. أضواء على السنة المصرية-محمد أبو ريد.
3. محمد عبد الفيقي حسن-الهيئة المصرية العامة للكتاب ونشر سلسلة أعلام العرب- الجزء 90.
الاجتماعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

وأصبح عددٌ من تولوا نشر المعتقدات والأفكار المنحرفة في المجتمعات الإسلامية من الأدباء والكتاب يردون ادعاءات جرجي زيدان على تراجعا وتاريخنا كثرة حسين، وسلامة موسى، ولويس عوض، ولطفي السيد، ومحمد عزمي، وحسين فوزي...الخ.

القسم الثاني: كتابة أعضاء الجمعيات القومية الذين فنوا منهج المدرسة العلمية، وأرادوا أن يوقروا بين منهجية السلف في كتابتهم للسيرة النبوية، وبين منهج أعضاء الجمعيات من النصارى وغيرهم، وقد ضلوا سواء السبيل في محاولة التوافق.

إذا اتفق الفريقان من أعضاء الجمعيات القومية العربية على كتابة السيرة النبوية بالمنهج العقلاني والتزامي. ورأوا أن العقل وقواعد العلم الإنساني قد بلغها رشدهما مع بداية القرن التاسع عشر فلم تعد تجيدها فيهما معجزة، ولا تنفع فيها غريبة لأن الشكوك قد كثرت مع كثرة المواد العلمية، وقد صرح كلا الفريقين في كتاباتهم عن السيرة النبوية باتباع هذا المنهج.

قال فريد وحدي عن منهج كتاب السيرة وفق روايات الإسناد: إن الكثرين ممن تناولوا منها السيرة المحمدية بالكتابة جعلوا معتمديهم الأساليب الخطابية والأفاح العائية، ولم يعنوا أقل عناية بحاجة العقول القوية الجبلية على

---

(1) جرجي زيدان في الميزان-شوفي أبو خليل-7-دار الفكر-دمشق-الطبعة الثالثة-1904 م.
(2) انظر دراسات في السيرة النبوية-محمد سرور-1818-دار الأركم-الطبعة الأولى-1904 م.
(3) المدنية والإسلام-محمد فريد وجدي-1972-الكتبة التجارية الكبرى-مصري-1353 م.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

التشفّك والتنبيه، فأسرفاً في إهالل الناحية الإقناعية، وغاوا على الناحية التسليمة، وقد تناول التأليف في السيرة في العهد الأخير رجال من أهل الثقافة الحديثة، فوافوا بمحااجات في نفس الناس (1).

وكتب فريد وجدل ذاته السيرة بنفسمنهج المدرسة العقلية، قال: "إننا نحرص فيما نكتبه في هذه السيرة على مسيرة مذهب المبالغين في الشتت، والمحافظين على إقامة الدستور العلمي، ثقة منا بأن بيئة لا تحتره النخبة المثقفة ولا تجد فيه صورة صحيحة إلا في عرض المسائل وتحليلها، لا يمكن أن يؤدي إلى ما قصد منه من الخدمة العامة" (2).

وقال محمد جميل بيهيم: "إن الحديث عن المعجزات - عند الحديث عن المعجزات - "إن فريقًا من الأعاجم كانوا يشتهون أن لا تبقى سيرة النبي مجردة عن الخوارج والمعجزات التي تخفى مما سير أنبيائهم في أديانهم السابقة، فراحوا ينسون لحمد معجزات لم يرد ذكرها في القرآن، ولم يشير إليها الحديث" (3).

وعلى النهج نفسه سار محمد حسين هيكل في كتابه (حياة محمد) قال: "إنني أجري في هذا البحث على الطريقة العلمية الحديثة وأكتبه بأسلوب العصر، إنني أفضل ذلك لأنه الوسيلة الصالحة في نظر المعاصرين لكتابة التاريخ وغير التاريخ من العلوم والفنون.

(1) السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة - 40.
(2) السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة - 184.
(3) فلسفة تاريخ محمد بيهيم - 244.
وما كان لي وذلك شائي، أن أتيقند بنهج الكتب القديمة وأساليبها، وبين هذين وبين النهج والأساليب في عصرنا الحاضر بون عظيم، أيسره أن النقد في الكتب القديمة لم يكن مباحاً بالقدر الذي يباح به اليوم، وأن كثرة الكتب القديمة كانت تكتب لغاية دينية تعبدية، على حين يتقيد كتاب العصر الحاضر بالمنهج العلمي والندق العلمي.

لكننا رأيت من الخير أن أتسبع بعض الشيء في بيان الأسباب التي دعت المفكرين من أئمة المسلمين — كما تدعو كل باحث مدقق — إلى عدم الأخذ جزافاً بكل ما ورد في كتب السيرة وفي كتب الحديث وإلى التقيد بقواعد النقد العلمي (١).

وما اكتسب أعضاء الجمعيات القومية العربية بالأخذ بالمنهج العقلاني في دراسة السيرة، بل طعنوا في النهج الذي كتب به سيرة الرسول ﷺ والتاريخ الإسلامي، وهو منهج الرواية والإسناد.

وتنقد أعضاء الجمعيات القومية العربية ينحصرون في مسألة الأسانيد واعتبارها حجة في الرواية، قال حرجي زيدان: إنما يعاب المؤرخون المسلمون لاقتراحهم في الخطأ على إيراد الحوادث على عواونها كما بلغت إليهم، وقد يسندوها

(١) حياة محمد محسن هيكل-٤١-دار المعارف-القاهرة-الطبعة السادسة عشر. وما ينبغي تسويفه أن رشيد رضا قال مؤيداً للكتاب هيكل: أحسن ما ينكره الأزهر والطريقون على هيكل أو أكثر من مسألة المجزرات أو خوارق العادات. وقد حررها في كتاب الوفي المحمدي... مما أثبت به أن القرآن ورد هو حجة الله القطعية على ثبوت نبوة محمد بالذات. مجله التراث ٣٤-الجزء العاشر-في ٣ مايو ١٩٣٥ ص:٧٩٣. وذكر هيكل هذا التأثيد في كتابه حياة محمد-٦٩.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

إلى رأو أو عدة رواة بل انتقد ولا محيص ولا قياس اكتفاء بالإسناد، وقد فاقهم أن بعض الأخبار المسندة موضوع في الصدر الأول أو ما بعده لأغراض سياسية.

ويندر أن ترى مؤرخ منهم رأيهم في حادثة أو انتقادًا. وهذا هو السبب فيما نقاسميه من العناوين في استخراج حقائق التمدن الإسلامي من كتب التاريخ (1).

وهذا الحكم خلاف الحقيقة، ويكفي في الرد على ما زعموه إشارة موجزة إلى منهج السلف في الرواية، الذين اعتبروا الأسانيد من الدين، فقاموا بنقد وتمحيص الروايات.

وأوضح السلف دقيقة وصرامة منهجهم بقولهم: (إن الإسناد من الدين، وأن الرواية لا تكُن إلا عن الثقات، وأن جرح الرواية بما هو فيهم حائز، بل واجب، وأنه ليس من الغيبة المحرومة، بل من الذب عن الشريعة المكرمة) (2).

أما أهل البديع فلا تقبل رواياتهم، كما قال ابن سيرين: "ينظر إلى أهل السنة كيف نخذ حديثهم وينظر إلى أهل البديع فلا يوحذ حديثهم" (3). لما لأهل السنة من الأمانة والصدق والمراقبة الذاتية في القول والفعل، بخلاف المبتدع.

(1) تاريخ التمدن الإسلامي-جريجي زيدان-10/2-مكتبة الحياة-بيروت لبنان.
(2) صحيح مسلم-المقدمة.
(3) المصدر السابق-المقدمة.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

ولذلك كان قبول الرواية أو ردها قائماً على السند، لأنه أصل الرواية.

كما قال عبد الله بن المبارك: "لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء". وقال:

"بينا وثني القوم الجواب يعني: الإسناد".

كان سائر الذين كتبوا في السيرة قد اهتموا بجمع ما أمكنهم من الروايات

ودونوها دون أن يشترطوا فيما يكتبونه، وأحالوا القارئ إلى الأسانيدين التي

أوردوها ليعرف الصحيح من الضعيف. وتميز البخاري ومسلم باشترطهما

الصحة فيما خرجاه من روایات السيرة في كتابهما الصحيحين. وكان

المختصون في القرون الأولى يعرفون الرواية وأحواضهم والأسانيد وشرط

صحتها، فكان يبسطهم الحكم على الروايات وتمييزها.

أهم ما يميز الروايات التاريخية وجود الأسانيدين التي تتقدم الرواية عادة،

والتي يعتمد منهج الحديثين عليها بالدرجة الأولى في الحكم على الرواية بالقبول

أو الرد. مما أدى إلى ظهور مكتبة ضخمة مليئة بمؤلفات تُعنى بتراجع الرواية

وبهتان أحوالهم وإمكان التقليل بينهم أو عددهم، والحكم عليهم من خلال

استقراء مروياهم بالإضافة إلى رأي معاصرهم فيهم. وصار ما يعرف "بعلم

الجرح والتعديل".

(1) المصدر السابق - المقدمة.

(2) السيرة النبوية الصحيحة - أكرم ضياء العمرى - 1/1.
إن الذي ينادي به أعضاء الجمعيات القومية من عدم الاعتذار بالاستناد، فيهما خسارةً عظيمةً، ونسف جهود المتاع من كبار العلماء الذين قدموا لنا هذه الخدمة الجليلة الخاصة بالتعامل مع الروائية التاريخية الإسلامية (1).

**توظيف السيرة النبوية لخدمة مبادئ الجمعيات القومية:**

إن كتابة أعضاء الجمعيات القومية العربية للسيرة النبوية، والاحتفال بذكرى المولد النبوي، كان لتحقيق أهداف ومبادئ جماعيّة في الدعوة إلى الولاء القومي الجاهلي.

بعد أن استعرض مصطفى الشهابي - أحد أعضاء الجمعيات - سيرة النبي موسى، قال: "المسيحية التي تأمر بالمحبة والتعاطف والتسامح تتطلبت من العربي الذي يدينه ما أن ينسى المنازعات الدينية في الماضي، وأن يعتز كمسلم بأنه ظهر في بني قومه رسول عربي جمع القبائل العربية في أمة واحدة، ونشرها في الأرض، وأوجّه على المسلمين حب العرب، ويفرض على كل من دان بدينه حبة العرب، ويجعل ذل العرب ذالًا لديه، لا يسع العربي المسيحي المتحلي بجب قومه إلا أن يجله، وأن يكر ب فيه تلك العاطفة القومية الأصيلة، وإن لم يعرف ببنته (2).

سّخر أعضاء الجمعيات القومية سيرة الرسول لخدمة المعتقد القومي، وقرروا أن السيرة النبوية هي سيرة عربية، فقال أمين بك خلّة (3) - نصراً من

---

(1) السيرة النبوية الصحيحة-أكرم ضياء العمري-12/1 (بتصرف يسير).
(2) القومية العربية تاريخياً وقوامها ومراميها - مصطفى الشهابي - 246-247-347.
(3) انظر الترجمة رقم (9).
أسماء الجمعيات: "لقد جعل محمد الدين لقومية العرب، وجعل الأخرى للغتهم"، ثم خاف أن ينتشر القوم، فتوجه الرسالة، إلى فريق مؤمن به، وفريق مؤمن بغيرها، فجمع (من أعحب العرب فقد أحبني) حيث المحافة على الفرقة، وحيث المحافة من الشنات.

كأنما الشرط عند الحب للعرب، والندب عليهم، والأخذ بنصرهم، لا الدخول في دينهم. فعجبا لرسول هيو في الأرض أمر الله، وجر الخلاف إليه، من كل جنس كيف يعنى هذا العفاء من أجل قوميته ويبث هذا البث".

ويستمر التأكيد على أن أبرز مبادئ الجمعيات القومية، هو طابع الولاة القومي بين العرب، يقول عفلق، عن علاقة العربي بالسيرة النبوية: "كل عربي

(1) مما ينقله أعضاء الجمعيات القومية في تقديس القومية العربية بأن العربية هي لغة أهل الجنة، وقد وردت نصوص في هذا كحديث بن عباس مرفوعاً (لسان أهل الجنة عربي)، و (أحب العرب لثلاث)، وكلام أهل الجنة، وحديث أبي هريرة مرفوع (كلم أهل الجنة العربية)، وقد أخرج هذه الآثار أبو نعم الأصبهاني في صفة الجنة، رقم 269، وأخرجها الحاكم في المستدرك، والبيهقي في مناقب، والشافعي، والطبراني في الكبير، 3/38-49، والخزاعي في الموضوعات، 2/41. وقد حكم علماء الحديث بأن هذه الأحاديث موضوعة، انظر:

1. العلل-ابن أبي حاتم/276.
3. المستدرك على الصحيحين-الحاكم/74-87-87-87-87-87-87-87-87-87-87-87-87-87-87-87-87.
4. جمع الروايات-المحيطي/10-6.
5. اقتضاء الصراط المستقيم-ابن تيمية/1-139-199.

(2) مقدمة أمين بك نخلة على كتاب: نفسي الرسول العربي، لبيب الراشي/22.
يعتبر أن حياة الرسول وله بصورة جزئية على الأقل، طالما هو على علاقة وثيقة بالأمة التي أنجبت محمدًا.

من هنا كان الشعر البهذي الذي هز مشاعر جيل بأكمله خلال فترة طويلة من الزمن: كان محمد كل العرب فليكن كل العرب اليوم محمدًا"(1).

بل لقد اعتبر أعضاء الجمعيات القومية أن الإسلام كان في أول أمره فضية عربية، والمسلمون هم العرب، حتى أصبح اللفظان مترافقين في كثير من الأحوال، وكان العرب أقرب الأمم للدخول في الإسلام لما اختصهم به دون غيرهم من الافتخاء، وتمكّن ذلك من الأذهان حسوساً لتأمر عمر بإخراج غير المسلمين من جزيرة العرب(2).

وتغافلوا عن أن أوائل الحروب التي وقعت كان طرفها الكافر من العرب، روى البخاري في سؤال هرقل لأبي سفيان وما جاء فيها (قال: فهل قاتلون سمعوا؟ قلت: بل، قال: فكيف كان تقاتلكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينهم، سجال يتنال منا ونتنال منا)(3).

وأما عن إخراج عمر بن الخطاب غير المسلمين من جزيرة العرب فقد كان لأمر النبي قال: (أخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ)...(4).

(1) حزب البعث العربي الاشتراكي -مصففي دندللي- 66.
(2) تاريخ التمدن الإسلامي -جريج زيدان- 18/1- 26.
(3) صحيح البخاري -كتاب بدء الولحى-باب بدء الولحى-رقم الحديث(2).
(4) المصدر السابق -كتاب الجهاد والسير-باب هل يستعفف إلى أهل الذمة ومعاصتهم-رقم الحديث 2825.
قال أبو نصر شهاب: "ففحص عن ذلك عمر بن الخطاب حتى أنت لهُ، والغَيْفُ أن رسول الله ساء قال: (لا يجمع دينان في جزيرة العرب) فأجابه يهود خبير".(1)

وتضحِّيًا لِأَبِي النسياب الدينى - كما يُسمى أعضاء الجمعيات القومية العربية - أكد محمد جميل بيهام، من خلال كتابته في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، بأن النبي (النبي) كان على اتصال بالمعاصرين، على غرار سائر مواطنيه، وقد حافظ محمد على ولائه للنصاري بعد البعثة وكان يجلس بعض أعيامهم في مكة.(2)

ويسَبِّحُ أمين بك نخلة من وفاغ سيرة الرسول ودعوته بأنه لا حرج في الدين من أن يتلاقى ملتا العرب: ملة القرآن وملة الإنجيل، حتى كأَمَا الإسلام إسلامان، واحد بالديانة، وواحد بالقومية واللغة، أو كأَمَا العرب مسلمون جميعًا حين يكون الإسلام هكذا هو محمد، وتمسك بقوميته.(3)

ويورد محمد عزة دروزة مقوله بِتَناَقِلَهَا أُعْضَاءَ الجمعيات القومية العربية، وهي: "إن الرسالة المحمدية هي رسالة قومية، أي أنها استهدفت النهوض بالأمة العربية وإصلاحها وتكوينها وتوحيدها".(4)

---

(1) موطأ الإمام مالك-كتاب الجامع-باب ما جاء في إجتاء اليهود من المدينة-رقم الحديث 1388.
(2) فلسفة تاريخ محمد بيهام-محمد جميل بيهام-147.
(4) سيرة الرسول-محمد عزة دروزة-1/16-المكتبة المصرية-بيروت.
وأجمع أعضاء الجمعيات القومية العربية في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم على هذا المبدأ: "إن الرسول صلى الله عليه وسلم خلال دعوته قد جمع إليه بفضل العربية في رسالته، والعروبة في نعرته، هذه القلوب العربية من كل ديانة"(1).

فلن يكون في مقاصد الجمعيات القومية العربية حين الاحتفال بالموالد النبووي، أو الكتابة وإلقاء الخطاب والمحاضرات عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلا تعزيز المبدأ القومي الجاهلي، قال أمين بك خلدة: "إن ليغلم المسلم في أرض العرب، أن لا يدين بدين (ابن عبد الله) وأن يخلب له، مثلًا، كتاب (لاين مريم) كل حرف منه يقطرّ رفقًا وصليب قعدته به دنيا وقامت دنيا. وأما أن يكون فينا عربي، ومن لحسننا ومن دمنا، ثم يغفو لا يمت إلى محمد بعصبيه، ولا إلى لغة محمد، وقومية محمد، فهو ضيف ثقيل علينا، غريب الوجه بين بيوتنا"(2).

إن ما سبق كله يعزّ توظيف أعضاء الجمعيات القومية العربية كتابة السيرة النبوية لتحقيق أهداف ومقاصد المبادئ القومية.

من خلال استعراض ما كتبه أعضاء جمعيات القومية العربية عن نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، يمكن أن يقسم البحث في مواقفهم عن التالي:

القسم الأول: وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بصفات لا تليق بمقام النبوة.

القسم الثاني: موقف الجمعيات من آيات النبي.

القسم الثالث: موقف الجمعيات من سيرة الرسول.

(1) مقدمة أمين بك خلدة على كتاب: نسخة الرسول العربي-ليب الرياشي-22.
(2) المصدر السابق-ليب الرياشي-20.
القسم الأول: وصف الرسول بصفات لا تليق بمقام النبوة:

لقد وصف الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ، بما يليق بمقام الرسالة والنبي، قال تعالى: { "يتَّبَعُ الرَّسُولُ بَلَغَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ} (١)، وقال تعالى: { "يَتَّبَعُ النَّبِيُّ أَنْتِ اللَّهُ وَلَا تَطْعِمُ الْكَفِيرِينَ وَالْمُشْرِكِينَ"} (٢).

أمر الله المؤمنين بالتأدب الراقى مع نبيه حين مناداه، فقال جل جلاله: { "لا يَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَ هَامِمٍ وَبَعْضِكُمْ بَعْضًا"} (٣)، فمن معاني هذه الآية: فيهم من الله للمؤمنين أن يدعوا رسول الله بغضتة وحفاء، وأمرهم أن يدعوه بليه وتوافع. قال ماجاهد: "أمرهم أن يدعوا: يا رسول الله، في لين وتواتع، ولا يقولوا: يا محمد، في بحيم" (٤).

وقال قنادة: "أمر الله أن يهاب نبيه ﷺ وأن يُجِدْ وأن يُظَمَّ وأن يَسْوَدَ، وفي قوله تعالى: { "لا يَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَ هَامِمٍ وَبَعْضِكُمْ بَعْضًا"} قال مقاتل: "لا تسموه إذا دعوتموه يا محمد ولا تقولوا يا ابن عبد الله ولكن شرفوه فقولوا يا نبي الله يا رسول الله" (٥).

قال ابن كثير: "فهذا كله من باب الأدب في مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم والكلام معه وعنده" (٦).

(١) سورة المائدة - رقم الآية (٢٧).
(٢) سورة الأحزاب - رقم الآية (١٠).
(٣) سورة النور - رقم الآية (٣٣).
(٤) تفسير الطبري - ١٧٧/١٥.
(٥) تفسير ابن كثير - ٦٧/٦.
(٦) تفسير ابن كثير - ٦٥/٦.
ومما التزمت الجمعيات القومية العربية الأدب مع النبي ﷺ عندما وصفه أعضاؤها بصفات لا تليق مقام البنوة، وصفوه بأنه مؤسس الديمقراطية.
وكان المستند الأدبي يقيم احتفالًا بذكرى المولد النبي، ومن مقاصده إقامة هذا الحفل بهذا اليوم – كما يقول الأعضاء – أن تنضوي جميع العناصر والأديان تحت جناحي القومية في نظام ديمقراطي حر، وفي جو من الإخاء والمساواة. وكان يُدعى لهذا الحفل السنوي رجالات السياسة والأدب والاجتماع(1).

وفي الاحتفال بالمولد النبي، قال عبدالله العربي، في مثل هذا اليوم: يولد النبي العربي القرشي مقيم الأسس الديمقراطية(2).
كما ذكر أعضاء الجمعيات القومية أن المبدأ الديمقراطي كان يطبقه الرسول ﷺ أثناء دعوته وسيرته، وقال محمد جميل بيههم عن الرسول ﷺ: الداعي إلى مبادئ الديمقراطية لم يكن يقتصر عمله على الدعوة المجردة فحسب، بل كان يعمل على تطبيق تلك المبادئ مبتداً بنفسه، وبالإضافة إلى أنه جاء مصدقاً لـ كـ ان قبله من الرسـ الـ/anbـ كان يقول: (لا تفضلوا على يونس بن متي) (3).

(1) العرب والترك في العهد الدستوري العثماني - 524.
(2) مختارات المفيد-العدد 919-91-شباط-1911-ص:67.
(3) فلسفة تاريخ محمد ﷺ-محمد جميل بيههم- 192.
(4) الثابت في الصحيحين بلفظ (أنا بُيِّنُي لِعَيْبَةٍ أُنْتِيَلَ، أَنْ بَيْعَةُ أَنْتِيَلَ) صحيح البخاري.
كتاب-باب قول الله تعالى (وَغُلِّيُّ أَنَا حَدِيثٌ مُوسَى) رقم الحديث (441).
يقرر أعضاء الجمعيات القومية بأن الرسول كان في ديمقراطية مع أصحابه يحرص على أن لا يعاملوه معاملة السيد، فكان إذا أطرفوه يقول لهم: (لا تطروفي كما أطرت النصارى ابن مريم، أنا عبد الله، فقالوا عبد الله ورسوله)\(^1\).

فهم علماء الإسلام من قول الرسول: (لا يلبغي ليعبد أن يقول أنا خير من يووسن بن متي) وما ورد في معناه: أن هذه الأحاديث تحمل ما يلي:

1- أنه قال هذا قبل أن يعلم أنه أفضل من يونس فلما علم ذلك قال: (أنا سيد ولد آدم)\(^1\)، ولم يقل هنا أن يونس أفضل منه أو من غيره من الأنبياء.

2- أنه قال هذا زجراً عن أن يتخيل أحد من الجاهلين شيئًا من حظ مرتبة يونس، من أجل ما في القرآن العزيز من قصته، كقوله تعالى: (إذ أبشر إلى أهل فلكلّ الظلمة وشكون) فساهم فكان من ألمدحهم (فالْمَظْهَرُ حوْتُ)

----

\(^{1}\) فلسفة تاريخ محمد بنهم-168.

\(^{2}\) صحيح البخاري-كتاب أحاديث الأنبياء-باب قول الله (اذكرني في الكتاب مريم)-رقم الحديث 346.

\(^{3}\) سنن الترمذي-كتاب تفسير القرآن-باب ومن سورة بني إسرائيل-رقم الحديث 773 (وأنظر: سنن ابن ماجة-كتاب الزهد-باب ذكر الشفاعة-رقم الحديث 298).
وَهُوَ يُلمِمُ ١(١) . وقُولُهُ تعالى: "وَذَا الْأَلْبَنَٰرِ ۖ ذُهِبَ مَعْنِيَ فَظَنُّ أَنْ لَنْ نَقْبَرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الْأَلْبَنَٰرِ ۖ أَلَّا إِلَّا أَنْ أَتْ سُبْحَانَكَ إِلَيْهِ صَبَحَتُ مِنَ الْأَلْبَنَٰرِ ۖ" ٢(٢) ।

٣ الذئاب في هذه الأحاديث تبيّنها على أن غيره أولى أن لا يفضل أحد نفسه عليه، فهو في عام ٣(٣) ．

وأما فيه، بقوله: (لا تُظرفوني كم أطرت التصLAY برَمٍ، فإنما أنا عَبَدُهُ، فقولوا: ْعَبَدَ اللَّهَ وَرَسُولُهُ) فليس في الحديث ما ذكره أعضاء الجمعيات القومية من أن النبي كان من أمثلة ممارسة الرسول للديمقراطية، وإنما النبي بأن لا يُمدد كان مُذهن الصلاة حتى غالي بعضهم في عيسى فجعله إلا مع الله، وبعضهم ادعى أنه هو الله، ثم أدرف النبي بقوله (أنا مسلم). ٤(٤) ．

وقد قال ابن تيمية: "كان قصد النماذج حسب مادة الشرك وتحقيق التوحيد الله وحده. لما سجده له معاذ رضي الله عنه فما. وقال (إنه لا يصلح السجود إلا لله)، فهذا شأن النبي وأوليائه" ٥(٥) ．

١ سورة الصافات- رقم الآيات (١٤٢ - ١٤١)
٢ سورة النور- رقم الآية (٢٧).
٣ شرح صحيح مسلم- النوري- ١٥/١٤٧. وانظر:
٤. الفتاوى لشيخ الإسلام- ابن تيمية- ٢/٢٤٠- ٢٣١.
٥. فتح الباري- ابن حجر- ١٥/١٤٢.
٦. فتح الباري- ابن حجر- ١٥/١٤٣.
٧. فتح الباري- ابن حجر- ١٥/١٤٤.
٨. فتح الباري- ابن حجر- ١٥/١٤٥.
ولا علاقة لأخلاقيته الكريمة بديمقراطية القوميين التي استوردوها من الغرب والتي تجعل التحليل والتحريم من شأن الأكثرية، كما سبق بيانه.

ومما وصف أعضاء الجمعيات القومية العربية به الرسول الذي أقام دعوته على مبادئ الحرية والمساواة والاتراك، قال عبدالغني العريسي: "مبادئ ثلاثة قام بها نبينا العظيم خير هذه الأمة، كل ذلك على مبدأ الديمقراطية".

ويقول رفيق العظم - من مؤسسي الجمعيات القومية العربية - "إن الرسول هو مؤسس الشريعة الإسلامية، وأسسها على دعائم الحرية والعدالة والاخاء".

وأخيراً، في المؤتمر الذي عقد في باريس أثناء اجتماع مؤسسي وأعضاء الجمعيات القومية العربية، قال عبدالغني العريسي في خطبته: إن النبي محمد عليه الصلاة وسلم لم يخضع العرب بضغط ولا قوة، إنما استطاع استمالتهم بمعقول القرآن وتحقيق مبدأ العدل والمساواة والاخاء.

وهذه المبادئ الثلاث التي يدندن بها القوميون هي مبادئ الماسونية، وهي شعار الثورة الفرنسية على الإقطاع الأوربي، والدين النصراوي المخرب، والتي فتحت الجمعيات القومية العربية موجها وسلكت سبيلها، فزعم أعضاء الجمعيات القومية العربية أن الدعوة النبوية قد أقيمت على مبادئ الماسونية.

(1) مختارات المفيد-العدد 919-29-شباط-1912-ص:72.
(2) أشهر مشاهير الإسلام- رفيق العظم-2/1.
(3) القومية العربية تاريخها وقائمة ومراميها-مصطفى الشهابي-96. وانظر المؤتمر العربي الأول-50.
والثابت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أن المبدأ الذي قامت عليه الدعوة النبوية ودعوة الأنبياء جميعًا، هو ما أحذر الله تعالى عنه بقوله: ﴿قل إنما أمرت أن أعبدو الله ولا أشرك بهما إذ أدعوا وإذ ماتبون﴾ (1). وقال تعالى: ﴿لَا تُعْبِدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنَّهُ لَكُمْ مَلِكُ مَّنْ تَشَيِّرُونَ﴾ (2). 

وهذا الأمر هو الذي دعا إليه المرسلون جميعًا، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعْثُنَا فِي كُلِّ عَمَّا رَسَّلُوا أُمَّةً آبَا آبِيَّةً آبَا آبِيَّةً أَلْتَبْعَثُونَ إِلَىٰ أَبِي عُمَّانَةِ عِنْدَهُمْ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الْقُلُوبُ﴾ (3).

وكان الرسول ﷺ في سيرته بأمر من يدعوهم لتحقيق التوحيد واجتناب الطاغوت، كما قال ففد عبد الله السبحة: ﴿مُرَتْنَا بِأَمْرٍ نَعْمَلُ بِهِ وَنَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ وَرَائِهَا قَالَ أَمَرْكُم بِأَرْيَعٍ وأنْهَاكُم بِعَنْ أَرْيَعٍ الإِيمَانَ بِاللَّهِ، ثُمَّ فَسَرَّهَا لِهِمْ فَقَالُوا شَهَادَةَ أنَّ لَهَا إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ﴾ (4). 

وقد بين الرسول ﷺ أن دعوة الناس للتوحيد، هو ما أمر به، قال ﷺ: ﴿أَمَرَتْ أَنْ أَقُلَّ النَّاسَ حَتَّى يَشُهَّدُوا أنَّ لَهَا إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ﴾ (5).

---

(1) سورة الرعد-رقم الآية۲۶۱.
(2) سورة هود-رقم الآية۲۴.
(3) سورة النحل-رقم الآية۳۶.
(4) صحيح مسلم-كتاب الإيمان-باب الأمر بأليمن بالنバラ تعاوني ورسوله ﷺ وشرائط الدين والدعاء.
(5) إظهار السؤال عنه وحفظه وتبليغه من نم بثّ النبرة-رقم الحديث۲۳۱.
الله وَيُظْهِرُوا الصَّلاة وَيُؤْمِنُوا الرَّكَّة فَإِذَا فُعِلَوَّا ذَلِكَ عَصَمو مَنْيَ دِمَاء هُمُّ وَأَمْوَالهُم إِلَّا يُحْقَنُ الإِسْلَام وَحَسَبُهُم عَلَى اللَّهِ (١).

وَمَنَ الصَّفَات الَّذِي وَصَفُ أَعْضَاءَ الجَمِيعَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، الرَّسُولُ ﷺ بِأَنَّهُ مُؤْسِسُ الشَّرِيعَةِ، أَوْ صَاحِبَ الشَّرِيعَةِ، قَالَ جَرِيجي زِيَادٌ: عَلَيْهِ الْيَدُ صَاحِبَ الشَّرِيعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ (٢). وَقَالَ أَيْضًا: وَسَنَّ دِينًا جَدِيدًا وَتَبَعَهُ جَمِيعٌ غَفِيرٌ (٣).

إِنْ وَصَفَ أَعْضَاءَ الجَمِيعَاتِ للرَّسُولُ ﷺ مِنْهَ الصَّفَات، يَجَعَلُهَا شَيَّهَا بِرَجَالِ الدِّعَوَاتِ الَّذِينَ ظُهِرواْ خَلَالِ النَّارِيْخِ، وَقَدْ ذَكَرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الشَّهِنْدِرٌ وَهُوَ أَحْدُ أَعْضَاءِ الجَمِيعَاتِ أَنْ ثُوْرَةَ الجَمِيعَاتِ الْعَرَبِيَّةِ، قَدْ تَعْلَمُهَا أَعْضَاءَ الجَمِيعَاتٍ، كَمَا قَالَ: "مِنَ النَّائِرِ مُؤْسِسُ مَجَدِ العرب سِيدَاً محَمَّدٍ..." (٤).

وَشَهِبَ أَعْضَاءَ الجَمِيعَاتِ مِبْدَأَ الجَمِيعَاتِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الدِّعْوَةِ النَّبِوِيَّةِ، قَالَ مُحَمَّدٌ تَمِمُّرٌ (٥): لَكَنْ كَانَ لِكُلِّ عَصرٍ نَبُوَتُهُ المَقْدُسَةَ، إِنَّ الْقَوْمِيَّةَ الْعَرَبِيَّةِ لَيِبَنَ نُبُوَّةَ هَذَا العَصِرَ فِي مَجِيِّمَنا العَرَبِيِّ.

(١) صحيح البخاري- كتاب الإيمان-باب (فأَنَّا نَابَرُوتأفَأْمَوْنا الصَّلَاةَ)-رقم الحديث١٤٢.
(٢) تاريخ التمدن الإسلامي-جرجي زيدان١٣٥٢/١٨٠٠، وَانظُرُ أَشْهَرُ مُشَاهِدُ الإِسْلَامُ- رَفِيق العَظُمٌ١٩٨/١.
(٣) أَرْماَناَوْةُ المَصْرِيَّة*-جرجي زيدان١٣٥٢.
(٤) غَبْرَالْحَمْدٌ الشَّهِنْدِرُ- حَيَاتُهُ وَجَهَادُهُ- حَسَنُ الحَكِيمٌ١٤١-الدَّارُ الْمُنَحَّةُ لِلْبُسْرُ-بيروت-لبنان-الطبعة الأولى-١٤٠٠.
(٥) انظر الترجمة رقم١٤٢).
ورسالة هذه النبوة _ القومية العربية _ هي تجميع القوة وتكثيل الجبهة والانطلاق بالطاقة البشرية في كيان المجتمع العربي نحو كسب الحياة. وإن كتاب العرب في أعناقهم أمانة، هي أن يكونوا حواريين لتلك النبوة الصادقة، زكوها بأقلاهم، وينفخون فيها من أرواحهم ويعملون على أن تتكثل لها أسباب النماء والإزدهار (١). ولا يخفى أن هذا استبدال دين بدين، والله يقول: ۚ إنَّ الَّذِينَ يُبِرُّونَ ۚ ۚ عِندَ اللَّهِ ٱلسَّلَامُ (٢).

(١) مجلة العالم العربي-عدد ٢٧١ بعنوان (النثر والقومية العربية)- محمود تيمور.
(٢) سورة آل عمران-رقم الآية (١٩).
القسم الثاني: موقف الجماعيات من آيات النبي ﷺ:

في هذه الدراسة عن موقف الجماعيات القومية من آيات النبي ﷺ، تظهر مواقف أصحاب الأنظمة العقلية من أعضاء الجماعيات، الذين سلكوا منهج التوفيق بين نصوص الشرع في إثبات المعجزات، وبين آراء ومواقف أعضاء الجماعيات من النصارى وغيرهم.

بين السلف أن آيات الأنبياء هي أفعال يفعلها الله مع الرسل، يخصهم بما ولا يوجد لغيرهم، فيعلم العباد لاختصاصهم بما أن ذلك إعلام منه للعباد وإخبار لهم أن هؤلاء رسله، كما يعلمهم بكلامه المسموع منه ومن رسله.

فآيات الأنبياء هي: "علامات وبراهين من الله تضمن إعلام الله لعباده وإخباره لهم" (1).

ولا ينقص تقرر نبوة نبي من الأنبياء بالآية تظهر على يديه، وإنما هي أحد علامات النبوة، وليس كل من ظهر على يديه علامة فهو نبي، وقد ثبت في الصحيح أن الدجال يجري الله على يديه أمورًا يبتلي بها الناس، كما ثبت في الحديث: (فكان عليهم القول فتدعوهم طبدون كان به ويستجيبون له، فأحار السماء، وأرض فتنين، فترح على أسرهم، وأمامه خواصر ثم يأتي القول فتدعوهم، فتدرون عليه قوا ته فينصر فعنهم يصبحون مماليك ليس بأيديهم شيء من أمواتهم ويتها.)

(1)النبوات ابن تيمية-284-دار القلم-بيروت.
بالخربة فيقول لها أخرى جحي كنوزك فتبتغة كنوزها كي تاسب النحل ثم يدعو
رهجلا ممتليل شبابا فيشربه بالسيف فيقطعه جزئين رمية الفرض ثم يدعوه
فيفيل وتهلل وجهه يضحك...}

وكان من هديه كما تقول عائشة دعاها بهذه الدعاء:
(1) وأعود بك من شر فتنة المسيح الدجال.
(2) ومع ما يخرج على يديه من أمور تفت الناس إلا إنه دجال وذلك بمعرفة حاله، لأن الكاذب يعرف وميز عن الصادق، فقرائن أحوالا تعلم عنها، وتعلم بمها، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة.

وعرفت خديجة بنت خويلد أن ما حصل للرسول عند نزول الوعي ليس فيه أذى عليه. كما قال الرسول لها: (القد خشيت على نفسك) قالت خديجة: (كلا والله ما يحريك الله أبدا إنك لتصلى الرحم وتحمل الكال، وتكسب المعصوم وتقرى الصييف وتعين على نوايث الحق..)

وهاقل بعد مساعية أبي سفيان فيما يأمر به وينهى عنه الرسول قال:
"إنا كان ما تقول حقا فسيرملك موضوع قدمي هاتين وقد كنت أعلم أنه خارج.

(1) صحيح مسلم-كتاب الفتن وأشراط الساعة-باب ذكر الدجال وصفته وما معه-رقم الحديث 5228.
(2) المصدر السابق-كتاب الذكر والدعاء-باب الثروة من شر الفتن وعيرها-رقم الحديث 4877.
(3) شرح العقدة الطغوية-ابن أبي العز-140/1.
(4) صحيح البخاري-كتاب بدء الوعي-باب بدء الوعي-رقم الحديث 45.
لم أكن أظن أنتم منكم، فلو أنني أعلم أنني أخلص إليك محتشمت لقاءه ولو كنت عندها مسلمًا.

لقد ذكر ربي في كتابه آيات كثيرة لنبيه، مثل ذلك: ما قاله عن نبي الله صالح: (wo) وإلي نموذ أهلك صلحب، قال ينقومن أعبدهم في الله ما تصل عقلهم من إلههم غبره، قد جاءتم تصحكم بنيته من زكيم هذين، ناقة الله ليصيبها إذا فذرها تأمل في منربه الله ولا تمسها فينحوها بسوء فبأخذكم عذاب أليم.

وعن جابر قال: لما رست رسول الله بالحجر، قال: لا تسلوا الآيات وقعد سألاها قوم سلبح، فكانت تردد من هذا الفح، وتصدر من هذه الفح، فعسوا عن أمر ربيهم، فعقرها فكانت تصرب ماءهم يوما، ويشرون لينها يوما، فعقرها، فأخذتهم صحة أهمل الله عز وجل من نحت أدبي السماء.

قال المفسرون عن قوله تعالى: قد جاءتم تصحكم بنيته من زكيم هذين، ناقة الله ليصيبها آية، أي قد جاءتم حجة من الله على صدق ما جئتكم به، وكانوا قوما فسألاها صالحا أن يأتيهم آية، واقترحوا عليه بأن تتخرج لهم من صخرة صماء عنوها بأنفسهم، وهي صخرة منفردة في ناحية الحجر، يقال لها الكاتبة، فطلبوا منه أن تتخرج لهم منا ثانية عشرة عجز، فأخذ عليهم صالح.

(1) المصدر السابق- كتاب بدء الوفي- كتاب الوعي- رقم الحديث (1).
(2) سورة الأعراف- رقم الآية (73).
(3) مسند الإمام أحمد- حديث 296. قال ابن كثير: هذا الحديث ليس في شيء من الكتب الستة وهو على شرط مسلم. انظر: تفسير ابن كثير- حديث 436.
العهد والمواثيق لعن أجاهم الله إلى سواهم وأناهم إلى طلبتهم ليؤمنن به وليتبعنه، فلما أعطوه على ذلك عهودهم وموانئهم، قام صالح عليه السلام إلى صلاته ودعا الله عز وجل، فتحركت تلك الصخرة ثم انصدعت عن ناقة جوفاء وبراء يتحرك جنبيها بين جنبيها كما سألوا(1).

و حينما كاد فرعون وصد عن دعوةنبي الله موسى، قال موسى لفرعون: "فألا óأولَوُّ أَوْلِيَاءَ يَشَاءُ مَعِينَ(2)، قال فأتينك إني صنعت برَّ الصادقين(3)، فألقى عصاً فإذا هي نعبان مبين(4)، وترفع يدك، فإذا هي بضاء للنظرين(5)"(1)، فطلب فرعون من بني الله موسى أن يأتي بالشيء المبين حقيقة ما يقول(3) ويدعو إليه.

وأخير الله في القرآن الكريم عن بعض الآيات الكونية التي حصلت للرسول ﷺ ومنها، حادثة الإسراء في قوله تعالى: "فَسَبَّحَ الَّذِي أَشْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَشْجِبِ الْأَحْزَامِ إِلَى الْمَشْجِبِ الأَقْصَى الَّذِى بَرَكُنا حَوْلَهُ، لَيْتَهُ مِنْ َءَايَيْنَا(4)"، وانشقت القمر كما في قوله تعالى: "فَأَقْرَبْتُ الْأَشَاعَةَ وَأَنْشَقَ الْقُمْرُ(5)"، وثبت في السنة آيات حسية تدل على نبوته ﷺ، وفي أثناء مناقشة أعضاء الجمعيات القومية أشير إلى بعضها.

---
(1) تفسير ابن كثير-3/435-436.
(2) سورة الشراراء-رقم الآيات(30-33).
(3) تفسير الطبري-19.
(4) سورة الإسراء-رقم الآية(1).
(5) سورة القمر-رقم الآية(1).
الموقف العام للجمعيات من آيات النبي ﷺ الحسية:

مما يتبين أن الآيات (الحسية) لأنبياء الله جميعًا ثابتة بالكتاب والسنة، والجمعيات القومية العربية اتخذت موقف الرد والإنكار لجميع الآيات الحسية التي ظهرت على يدي الرسول ﷺ.

لقـد رد أعضاء الجمعيات القومية العربية آيات النبي ﷺ الحسية، يرعهم أثنا تناقض منهج العلمي المادي، وهو العلم المبني على التجربة.

وقرروا أن المعجزات الحسية لا رصيد لها في ساحة العلم، قال فريد وحّدّي: "العلم الذي اتفق قادة الفكر الإنساني على تسميتها بهذا الاسم، وهو جملة المقررات اليقينية على الوجود وكائناته مما سرت عليه أصول الدستور العلمي، فكل قـول لا يحصل على تأييد هذا العلم أو على القليل لا يماشي أسلوبه، ويترسم حدوده، لا ينال من العقلية العصرية المكانة التي يراد أن تكون له".

ومن هذا المنطلق ذاته، قال محمد عزة دروزة: "إـن دعوة الرسول جاءت بأسلوب جديد، وهو أسلوب خاطئ العقل والقلب في الحـث على الفضائل والتنفير من الرذائل، واعتبار الدعوة التي تقوم على هذه التقارير هي في غي من معجزات خارقة للعادة لا تصل بها بالذات".

(1) السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة-محمد فريد وحّدّي-2004.
(2) سيرة النبي-محمد عزة دروزة-1499/1-1450/2000.
وأكد رشيد رضا على هذا المبدأ، بقوله: "إن أساس نبوة ورسالة الرسول
قد جعلها الله قائمة على قواعد العلم والعقل في ثبوتها وفي موضوعها، لأن
البشر قد بدأوا يدخلون في سن الرشد والاستقلال النفسي الذي لا يخضع عقل
صاحبه فيه لتباع من تصدر عنهم أمور عربية خلافة للنظام المألوف في سن
الكون، بل لا يكمل ارتفاعهم واستعدادهم بذلك، بل هو من موانع"(1).

بالشبيحة (إدعاع العلمية) ردت الآيات والأحاديث الصحيحة التي تنص على
آيات حسية لرسولنا ﷺ، قال فريد وحدي عن القرن الذي ظهرت فيه
الجموعات بأنه قرن: "لا تروج فيها مسائل المعجزات. ولها كذب علماء
أوروبا بكل المعجزات السابقة، لأننا في زمان لا يجدي فيه للإعتقاد إلا النور
العقلي والدليل العلمي"(2).

لقد اعتبر أعضاء الجمعيات رد الأوروبيين لآيات الأنبياء دليلاً على التنور
العقلي، وتفاغلوا عن أن هؤلاء الأوروبيين هم من سلالة من قال تعالى عنهم:
"فَإِذْ قَالَتُ الْمَلَائِكَةُ ﴿أَتُبَيِّنُونَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مَّن أَسْحَمْثَا ﴾ فَقَدْ سَأَلَوْا مُوسَى أَكْثَرَ
من ذاك فقلوا أرأيت الله جهوة فأخذتهم الصعبة يظلمهم "(3).

وطالما إنكار أعضاء الجمعيات القومية، جميع الآيات الحسية من السيرة
النبوية، وعن تعريفهم بالسيرة النبوية، قال حسين هيكيل: "إن حياة محمد كانت

(1) الوجي المحمدي-رشيد رضا-97-الكتب الإسلامي-بيروت-الطبعة العاشرة-404ـهـ.
(2) المدنة والإسلام- محمد فريد وحدي-21-72.
(3) سورة النساء-رقم الآية(153).
كلها إنسانية سامية، وأنه لم يلجأ في إثبات رسالته إلى ما جاء إليه من سبقه من أصحاب الخوارق(1).

إن هذا الإقرار الذي ذكره هيكل في مقدمة كتابه السيرة عن النبي ﷺ، يتفق مع الفرق الكلامية التي جعلت الطريقة في إثبات الهوية محصورة في المعجزات وخصور العادات(2). ويجب هيكل منهج الفرق الكلامية في انتقادهم لمقام الهوية، بأفهم عمدا إلى الخوارق من - باب اللجوء - لإثبات رسالته.

ولا ريب أن المعجزة ثابتة وصحيحة، ورد عن أبي هريرة قوله: قال النبي ﷺ: (ما من الأثنياء تأتي إلا أعطيت ما مثله آمن على البشّر. وإنما كان الذي أخرى وحياً أوحاء لله، إذ فارجو أن يكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة(3).)

ولكن الدليل غير محصور في المعجزات، فهناك الدليل النصي وهو ما استدل به النجاشي على نبوة الرسول ﷺ، فإنه لما استخبرهم عما يخبر به واستنكرهم القرآن فقرؤوه عليه، قال: "إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشاكل واحدة"(4).

(1) حياة محمد-محمد حسين هيكل-129-الطبعة السادسة عشر-دار المعارف.
(2) انتظر على سبيل المثال: 1- شرح الأصول الحسنة-القاضي عبد الجبار-598.
2- الإرشاد-الجويني-272-278.
3- دليل إثبات الهوية-القاضي عياض.
4- صحيح البخاري-كتاب فضائل القرآن-باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل-رقم الحديث 498.
وهيذا تواطأ أعضاء الجمعيات القومية العربية على هذا المبدأ، الذي ينهج
ـزعهم ـ إلى وضع السيرة النبوية على حقيقتها البشرية، دون زيادة أو
نقصان، أو استناد إلى الصور الملائمة بالخوارق (1).

قال رشّيد رضا: "انتهى بذلك زمن المعجزات ودخل الإنسان بدين
الإسلام في سن الرشد، فلم تعد مدهشات الخوارق هي الجاذبة له إلى الإسلام
وتقوم مـا يعرض للفطرة مـن الميل عن الاعتدال في الفكر والأخلاق
والآعمال" (2).

إن إنكار أعضاء الجمعيات القومية العربية، للآيات الحسية يتمشى مع نمط
التفكير العقلي المادي الحديث. ولذا قال محمد جميل بيهم: إن المعجزات لا
تقبلها الفلسفات الحديثة، ولا مناهج البحث المعاصرة (3).

ومن رأى مـن أعضاء الجمعيات في الآيات الحسية (المعجزات) مثار
شبهات لينكرها، رشّيد رضا قال فيها: "مثار شبهات وتأويلات كثيرة، في
روايتها وفي صحتها وفي دلالتها، وأمثال هذه الأمور تقع من أئناس كثيرين في
كل زمان، والمنقول منها عن صوفية الهندود والمسلمين أكثر من المنقول عن

(1) فلسفة تاريخ محمد جميل بيهم-20.
(2) تفسير المنار-رشيد رضا-11-12/1920-1314-315-160-7-316-4-7-70.
(3) السيرة النبوية الصحيحة-أكرم ضياء العمري-2/2-633-6-مكتبة العبيكان-الرياض-الطبعة الثانية-1417هـ.
الجهات القومية العربية ومؤالفاتها من الإسلام والمسلمين

العهدان العتيق والجديد وعن مناقب القديسين وهي من منفقات العلماء عن الدين في هذا العصر" (1).

وقد تلازام - في منهج الجمعيات القومية - رد الآيات الكونية (المعجزات) الثابتة بأحاديث صحيحة، مع الطعن بكتب السيرة الوثيقة، قال محمد جميل بيهم: "إن فريقاً من الأعجام كانوا يشتهون أن لا تبقى سيرة النبي مجزدة عن الخوارق والمعجزات، التي تخلفها سير أنياؤهم في أديانهم السابقة، فراحوا ينسبون محمد معجزات لم يرد ذكرها في القرآن، وينكر - بيهم - على أمثال البهمي وأبي نعيم والقاضي عياس تكديسهم المعجزات فيما وضعوه من أسفار" (2).

وقال عن جهود علماء السلف في نقل ونقد الروايات: "إن بعض رجال الأديان يجيزون لأنفسهم الأخذ بذلك التزويق - المعجزات - بgba حمل الناس على الإيمان بذويهم من أصحاب الرسالة على اعتبار أن الغاية تبرر الواسطة، واستناداً على علمهم بأن الشعوب هم كالأطفال يستطيعون السير بقدر ما فيها من عجائب" (3).

(1) تفسير المنار - 155/11.
(2) فلسفة تاريخ محمد جمعه - محمد جميل بيهم - 224. ونظر:
1. محمد رسول البشر - عبد الله السمان - 124.
2. حياة محمد - محمد حسين هيكل - 8-29.
(3) فلسفة تاريخ محمد جمعه - محمد جميل بيهم - 224.
لقد تناقل أعضاء الجمعيات القومية مبادئ الثورات المتحدة، وقرروا أصولاً ومبادئاً في واقع المسلمين تختلف نصوص الكتاب والسنة. وهذا هو الذي يجب إنكاره وإبطاله. وأما نقل السلف ما ثبت بطرق صحيح من المعجزات الحسية فالإنسان عليهم منكر.

إن إنكار ما ثبت من معجزات حسية فيه فضلاً عن الإنكار على رسول الله والطعن في الدين إجماع لشهود العيان من الصحابة رضوان الله عليهم بالكذب أو بضعف العقل وخلال التصور، بحيث نقلوا أخباراً تصوروها صحيحة، وليست كذلك، ولا يُفضل ما في الإاقمين من إبحار وتناول، فقد قبلنا من شهود العيان أنفسهم ما يتعلق بالعقيدة والشريعة. وأنكرنا عليهم عندما تعرضوا لأحبار المعجزات الحسية، وإذا كانت الأعبل أن العقيدة المادي يرفض المعجزات، فإنه هذا يقضي برفض الوعي كله، وبرفض الإيمان بالله ورسلاله، فلا مناص للمؤمن بالغيب من قبول الروايات الصحيحة المتعلقة بالمعجزات الحسية(1).

وليس مرادي من إبراد هذه الشبهة مناقشة أعضاء الجمعيات القومية في منهجهم يجعل العقل والعلم التجريبي حاكمة على نصوص الشريعة، لأن هذه الشبهة قد تولى الرد عليها شيخ الإسلام في عصره الشيخ مصطفى صبري، الذي قال عن أصحاب المدرسة العقلية: (إن آثار العلم الفائقة أثرت في العقول أبلغ تأثير، لكن هذه العقول لا قيمة لها عندنا، بل عند أصحابها أيضاً، لكثيراً عقول الذين يقولون: ليس للمناطق سلطان على الإنسان) ويعقون: (إن مجرد النظر

(1) السيرة النبوية الصحيحة-أكرم ضياء العمري-2/623.
العقول يكون دليل الأخطاء) فهي عقول الذين خرجوا على سلطان العقل والمنطق.

وهله يعرف أصحاب تلك العقول أن عدم كون الدين مؤيدًا بالتجربة لا يجعل العيب في الدين، بل في التجربة نفسها لكوها ميزانا قاضًا على الماديات، والدين أرفع شأنًا من أن يدخل في متناول هذا الميزان.

وإذا لزمت التجربة للدين فلا يجريه إلا العقل الذي هو أيضًا مثج للإنسان من العالم العلوي كالدين، والذي يسمو به العلم ويقوم على التجربة فإنما يكون نفعه في الماديات لا في المعنوات)1.

وقال أيضاً: "ما لا يخفي على ذوى الأعين الساهرة، بعد أن سادت المادة في الغرب، وأخذ الشرق يهتدي هذي الغرب، ما طرأ على القلوب ضعيفة من إنكار العقولات والمغيبات. وأبرز مميزات هؤلاء الكتاب والعلماء المتفقين معهم أنهم ينكرن المعجزات الكونية، ويعتبروها من المستحيلاً")2.

(1) موقف العقل والعلم، والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين-مصطفي صبري- 21/1.
(2) المصدر السابق-33/27. ونظر عن منهج هذه المدرسة:
1. منهج المدرسة الحديثة في التفسير-فهد الرومي.
2. الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر-محمد عبد حسين.
3. جهود المفكرين المسلمين المdırسين في مقاومة التيار الإلحادي-محمود عبد الحكيم عمران.
4. اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر-محمد بن صادق الجمال.
الموقف التنسيقي للجمعيات من الآيات الحسية الخشبة

برسول الله ﷺ:

لقد بنيت أن الموقف العام للجمعيات القومية هو رد جميع الآيات الحسية. ولنكن نذكروا البيان الذي ذكر بعض أقوالهم عن الآيات الحسية الثالثة بكتاب الله وسنة نبيه، ومنها:

1. حادثة انشقاق القمر:

وردت حادثة انشقاق القمر في كتاب الله تعالى كما قال تعالى: ﴿اقْبِرْتِ الْسَّاعَةَ وَانْشَقَّ الْقُمْرُ﴾، وثبت في كتاب الأحاديث الصحيحة حادثة انشقاق القمر، فمن ذلك:

ما ثبت عن أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن أهل مكة سلوا رسول الله ﷺ، وأن يريهم آية فأراهم القمر شظيتين حتى رأوا حراً بينهما). (1)

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ، شظيتين، فقال النبي ﷺ: اشهدوا). (2)

فهذه النصوص الصحيحة تثبت أن القمر قد انشق حقيقة، ورد على فريد وجدي القائل عن انشقاق القمر، "⋯⋯ما لا يمكن إثباته بدليل محسوس، أو مما يتأتي توجيهه إلى غير ما فهم منه". (3)

(1) صحيح البخاري - كتاب المناقب - باب انشقاق القمر - رقم الحديث 2579.
(2) المصدر السابق - كتاب المناقب - باب سؤال المشركون - لأن يريهم آية - رقم الحديث 3364.
(3) السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة - محمد فريد وجدلي - 184 و 185، وانظر: تفسير الطبري - 27/26.
إن حادثة انشقاق القمر في مكة كانت السبب في نزول آيات سورة القمر.

روى أنس بن مالك قال: "سأل أهل مكة النبي ﷺ بخصوص انشقاق القمر بـ "ما رأيتم، أنتم ما رأتم". فقالوا: "نحن نسمع ما تسمعون". فقال: "أنا أريد حلمني". فقال: "لا، إن الله يقول "أقتربت الساعة وأنشق القمر". رأوا شغني في أنفسهم من ذلك."

(1)

وهذا تفسير بعض الصحابة، منهم:

أ - حذيفة بن اليمان: عن أبي عبدالله السلمي قال: نزلنا الدائن فكتنا منها على فرسخ، فجاءت الجماعة، فحضرت أبي وحضرت معه، فخطبنا حذيفة فقال ألا إن الله يقول "أقتربت الساعة وأنشق القمر". ألا وإن الساعة قد اقتربت ألا وإن القمر قد انشق على عهد نبيكم ﷺ.

ب - ابن عباس: في قوله: "أقتربت الساعة وأنشق القمر".

قال: "قد مضى ذلك، كان قبل الهجرة، انشق القمر حتى رأوا شقيه".

ج - عبد الله بن عمر: في قوله تعالى: "أقتربت الساعة وأنشق القمر".

قال: "وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ، انشق فلقتين فلقتين، دون الجيل، وفلك من خلف الجيل، فقال النبي ﷺ: (اللهم اشهد)" (1)

(1) من هو السعيد-كتاب التفسير-باب وسورة القمر-رقم الحديث (320). وقال: حسن صحيح.
(2) انظر: تفسير الطبري-27/88-88.

1. دلائل النبوة-البيهقي-262-دار الكتب العلمية/بيروت-الطبعة الأولى-1400هـ.
2. تفسير ابن كثير-748-440-450.
3. فتح الباري-ابن حجر-27/7-225.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

وأما سابق نقله من كلام الله وأحاديث رسول الله ﷺ وأقوال الصحابة يتضح أن من آيات الرسول ﷺ الكونية انشقاق القمر، وأن كفار أهل مكة سألوه آية، فأراهم انشقاق القمر، آية حجة على صدق قوله، وحقيقة نبوته، فلما أراهم أذعوا، وكذبوا، وقالوا: هذا سحر مستمر، سحرنا محمد. وإن ير المشروكون علامة تدلهم على حقيقة نبوة محمد، ودلالة تدلهم على صدقه فيما جاءهم به عن ربه، يعرضوا عنها، فبولوا مكذبين بما منكرين أن يكون حقاً يقيناً. ويقولوا تكذيباً منهم بما، وإنكاراً لها أن تكون حقاً: هذا سحر سحرنا به محمد(1).

وقال ابن كثير: قد اتفق العلماء مع بقية الأئمة على أن انشقاق القمر كان على عهد رسول الله ﷺ. وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ. وأنه كان إحدى المعجزات الباهتات(2).

وأما عن موقف الجمعيات القومية من آية انشقاق القمر، فقد كان رد الأحاديث الصحيحة الثابتة، ولم يسلم بها الأعضاء، والآية المثبتة للحادثة أولوها.

(1) تفسير الطبري-27/8487. وانظر:
1. الشفاعة بتعريف حقوق المصلحت -القاضي عياض-1397/1.
2. الشمايل المحمدية-ابن كثير-1450.
3. فتح البراء- ابن حجر-7220/6.
4. فتح القدير-الشوكاتي-12/1-دار المعرفة-بيروت-لبنان.
(2) الشمايل المحمدية-ابن كثير-1450. وانظر: تفسير ابن كثير-7/447.448.
قال رشيد رضا: "لا يشك عاقل من المؤمنين وغيرهم أن خلقه تعال إلى السماوات وأجرامها في غاية الإبداع والنظان لا تفوت فيه ولا خلل، وأن سنته تصارف في الخلق لا تتبول ولا تتحول، فلا يصدق خبير وقوع تغير فيها إلا يخبر قطعية ثابت مثل ثيوقا وثباقاً كآيات الرسول الذي أخبر الله تعالى بها. وعن سندها وروايتها، قال رضا: "لو وقع لتوفر الدواعي على نقله بالتوارث لشدة غرابته عند جميع الناس في جميع البلاد ومن جميع الأمم"(1).

ويستند الزميل الذي قال به رشيد رضا، يسرق وفق المنهج الذي قرره بأن محمد لم يدع أحداً من الناس، ولا أمة من الأمم إلى الإمام برسالة، بأن قدم بين يدي دعاوته خارقةً من خوارق الأفعال مثل قلب عين من الأعيان إلى عين أخرى(2).

ويستند محمد فريد وحدي على منهج رشيد رضا وغزره، يقول: "إننا نحرص فيما نكتب في هذه السيرة، على أن لا نسرف في صرف كل حادثة إلى ناحية الإعجاز، ما دام يمكن تعليلها بالأسباب العادية، حتى ولو شيء من التكلف، مسألة لمذهب المبالغين في التثبت، والمحافظين على إقامة الدستور العلمي، ثقة منا بأن هذا لا يخترب النخبة الثقافة، ولا يجد فيه صورة صحيحة لمثلها الأعلى.

(1) مجلة المناجر-الجلد 30-الجزء الرابع-ص:376 و-الجلد 31-الجزء الخامس-ص:363. وقد استدل رشيد رضا بما استندت به الفلسفة في إكرار الحادثة-إنظر: فتح الباري-ابن حجر-7/244.
(2) الوحي الحمدي-رشيد رضا. وإنظر: فلسفة سيرة محمد-جميل بيه-245. قال ابن كثير: شوك الوثوق في كثير من بقاع الأرض، ويقال: إنه أرخ لذلك في بعض بلاد الهند... البداية والنهاية-3/120.
في عرض المسائل وتحليلها، لا يمكن أن يؤدي إلى ما قصد منه من الخدمة العامة".(1)

وقد تناول محمد عزة دروزة حادثة انشقاق القمر، بعد أن قرر مبدأ إنكار المعجزات الحسية، وقال: إن الله عز وجل امتنع عن إظهار المعجزة على يد النبي إجابة على تهدي الكفار، وتعليلًا صريحاً لذلك وهو أن الأمر السابقة قد كذبت بالآيات التي أظهرها الله على أبدي أنيابه، وأنا لم تحق المقصود منها.(2)

وقال: إن حكمة الله اقتضت ألا تكون الخوارج دعامة لنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولا برهاماً على صحة رسالته، وصدق دعوته، التي جاءت بأسلوب جديد، هو أسلوب لفت النظر إلى الكون وما فيه من آيات باهرة، واعتبار الدعوة التي تقوم على هذه التقارير هي في غيظ عن معجزات خارقة للعادة لا تنصل بها بالذات.(3)

بعد عرض ما سبق تقريره عن الآيات الكونية عامة عند دروزة، قال عن انشقاق القمر: "إن الحادث لم يشر إليه ثانية في السور والفصوص القرآنية الملكية التي نزلت بعد سورة القمر، وهي أكثر مما نزل قبلها، فهذا السكون عن الحادث على حضوره، وخاصة إزاء تكرار تهدي الكفار قد يلهم وجهة توجه الذين لم يأخذوا بالروايات، وصرفوا العبارة القرآنية إلى أشراط الساعة كما هو المتبادر".(4)

---

(1) السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة-محمد فريد وجيدي- 184.
(2) سيرة النبي-محمد عزة دروزة-1/255.
(3) المصادر نفسه-1/449-240.
(4) المصادر نفسه-1/250-453.
لقد بنت في بداية البحث اتفاق علماء الأمة على إثبات وقوع انشقاق القمر في عهد رسول الله ﷺ بناء على طلب الكفار، كما ثبت هذا في الأحاديث الصحيحة، وهو ظاهر التنزيل، ولا يلزم أن يستوي الناس فيها، لأنها كانت آية ليلية. وأما كانت بطلب النبي ﷺ من الله تعالى عند التحدي.

وقد تقدم في الصحيح أن أهل مكة هم الذين سألوا وطلبوا أن يرغمهم آية، فأراهم انشقاق القمر ففلؤين، وعن حديثه أنه خطب بالمذاتين ثم قال: "ألا إن الساعة قد اقتربت، وأن القمر قد انشق على عهد نبيكم ﷺ". (1)

وذكر السلف أن الذين أنكروا انشقاق القمر، قوم لم يسلموا تسليماً لنصوص الشريعة، وهم طوائف من الفلاسفة وغيرهم.

قال الفاسي عياض: انشقاق القمر، فالقرآن نص بوقوعه، وأخبر عن وجوده، ولا يعدل عن ظاهر إلا بدليل، وجاء برفع احتماله صحيح الأخبار من طرق كثيرة، ولا يوه نعمة خلاف أاخر منحل عرى الدين، ولا ينتمي إلى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين، بل ن('=' بأنه ونذد بالعرف سخفه). (2)

وأصل الـدا الذي وقع فيه أعضاء الجمعيات القومية في مسألة رد آية انشقاق القمر، هو تحكيم العقل في نصوص النقل الحكيم، والقبح في النقل.

(1) جامع أحكام القرآن-القرطبي-١٢٦/١٧٦.
(2) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى -الفاسي عياض-١٢٥/١٥٣. ونظر:
1. شرح صحيح مسلم-النوري-١٤٣/١٧٠.
2. فتح القدير- الشوكاني-٩٠/١٢٥.
المتوافر، فوقعوا في ضلالتين؛ رد النص القرآني بالتأويل، وعدم قبول النقل الثابت
من أحاديث الرسول ﷺ.

إن أعضاء الجمعيات لم يحكموا العقل السليم في تدبير هذه الحادثة، إذ ليس
القمر في مطلعه واحدًا جمعي آل الأرض فقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على
الآخرين، وقد يكون من قوم بصد ما هو من مقاتليهم من أقطار، أو يحلون بين
قوم وبينه ساحب أو جبال، ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض،
وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها إلا المدعون لعلهمها،
ذلك تقدير العزيز العلم.

ثم آية القمر كانت ليلةً والعادة من الناس بالليل الهدوء وإيجاب الأبواب
وقطع التصرف، ولا يكاد يعرف من أمور السماء شيئًا إلا من رصد ذلك(1).

وقال محمد حسن الذهبي عن الجمعيات القومية المغالية في قيمة العقل
ودوره: "أعطت لعقلها حريّة واسعة فتأولت بعض الحقائق الشرعية التي جاء بها
القرآن الكريم، وعدلت بما عن الحقيقة إلى المجاز أو التمثيل، وليس هناك ما
يدعو لذللك إلا مجرد الاستبعاد والاستغراب، استبعاد بالنسبة لقدرة البشر
القاسرة، واستغراب لا يكون إلا مجرى جهل قدرة الله وصلاحيتها لكل
ممكن.. وحملت بعض ألفاظ القرآن من المعاني ما لم يكن معهودًا عند العرب في

(1) الشفاء بتصرف حقوق المصطفى ﷺ، الفاضلي عباس-1400هـ. وانظر: النووي-ابن تيمية-
 زمن نزول القرآن، وطعت في بعض الحديث تارة بالضعف وتارة بالوضع، مع أها أحاديث صحيفة رواها البخاري ومسلم 

٢. موقفهم من حادثة شق صدر الرسول ﷺ:

إذا حادثة شق الصدر ثابتة بالأحاديث الصحيحة، روى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أمر جبريل ﷺ وهو يلعب مع العلماء فأخذ قصره، فشق عقده، فاستخرج قلب فاستخرج منه عفقة، فقال: هذة حكمة الشيطان منك، نشأ عفقة في طسست من ذهب بعثتم زمرته، ثم لا أعتادهم في مكانه. وقال أنس بن مالك وهو راوي الحديث: "وقد كنت أرأي أمر ذلك المخيط في صدره".

وثبتت حادثة شق الصدر أيضاً في ليلة الإسراء، قال أنس بن مالك:

- ليلة أسرى برسلول الله ﷺ من مسجد الكعبة: أنه جاءه ثلاثة لفائف قبل أن يخرج إليه، وهو نائم في المسجد الحرام، فقال: أولهم: أيهما هو، فقال: أوسطهما هو خبرهم، فقال آخرهم: خذوا خبرهم، فكانت تلك الليلة، فلم يرهم حتى آتى القبلة أخرى فيما يرى قلبها وتنامها حتى لا يمام قلبه، وكذلك الآتياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، ولم يكلموا حتى احتمام فوضعه عند برف زمرته فقويلة منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحوره إلى أبيه حتى تركه في رغ من صدره ووجوهه عفالة من ماء زمرته يبدده حتى أنقى جوفه ثم أتي بفضول من

(1) التفسير والمفسرون-الذهبي- ٥٥٥-٥٥٤٩/د-دار الكتب الحديثة/مصر-الطبعة الثانية/١٣٩٦
(2) صحيح مسلم-كتاب الإيمان-باب الإمارة-برسلول الله ﷺ- رقم الحديث(٢٣٦).
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

ذهب فيه تور من ذهب محشوا بإكانا وحكمته فحضا به صدره وليغدده
يغطي عروق خلقه — ثم أطبه ثم عرجه إلى السماء الدنيا — (1).

قال ابن حجر: "إن جميع ما ورد من شق الصدر، واستخرج القلب، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة، مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقتها لصلاحية القدرة، فلا يستحسن شيء من ذلك" (2).

قال القرطبي: "لا يتفت إنجكار الشق — ليلة الإسراء والمعراج — لأن روته ثقات مشاهير" (3).

أما أعضاء الجماعيات القومية فمنهم من لم يتعرض لذكرها أصلاً، ومن قال عنها: "لا يمكن إثباته (الشق) بدليل محسوس، أو مما يتأتي توجيهه إلى غير ماهم منه" (4). وقال فيليب حبي: "إنها من الروايات الشعبية التي أُهاجمت حياة محمد وزينتها بالعجب" (5).

---

(1) صحيح البخاري-كتاب التوحيد-باب قوله (وكلم الله موسى تكلمًا)-رقم الحديث (263).
(2) فتح الباري-ابن حجر-116-وانظر: السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة-محمد أبو شهيلة-192.
(3) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم-القرطبي-1/1782-دار ابن كثير-دمشق-الطبعة الأولى-1418.
(4) السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة-محمد فريد وحدي-1484.
(5) صائغوا التاريخ-فيليپ حبي-16-دار الثقافة-بيروت. وهي دراسة قدمها فيليب حبي النصراوي، عام 1968، مقدمة برستون وهي الجامعة المشهورة في ميدان الدراسات الاستشراقية والعداء للإسلام والمسلمين. وقد تراجعت الدراسة إلى العربية.
وتؤكد على مبدأ الاتفاق بين المنهج الاستشراقي والمبدأ القومي، يقرر حسين هickey أن حادثة شق الصدر لا يفهم المستشرقون ولا جماعة من المسلمين — أصحاب المدرسة العقلية — كذلك إليها ويروها ضعيفة السنود.

لقد سبق بيان أن حادثة شق صدر الرسول ﷺ مروية في صحيح البخاري ومسلم. وفيه يتفق مع المستشرقين في رد الحادثة، ويرفض شهادة الصحابي الجليل؛ أنفس بن مالك بأنه قد رأى أثر شق الصدر. ومن المقرر في عقيدة أهل السنة والجماعة أن الصحابة عدول.

وما ينتج عن أعضاء الجمعيات في إنكار حادثة الشق أثناً تعتمد على رواية طفلين لا يصح الأخذ بقولهما. ومن المسلمات الأمور أن رواية الأطفال كثيراً ما تكون بعيدة عن الكذب والاختلاف أكثر من رواية الرجال، ومع ذلك فقد تحتمت الرسول ﷺ عن هذه الحادثة بعد البعثة حينما كان يسترجع ذكريات الطفولة ويعقدها على أصحابه، وأخير عن المرآة الثانية التي وقعت له في ليلة الإسراء والمعراج.

(1) مثال: درمنغم—حياة محمد-848.
(2) حياة محمد—محمد حسين هickey-128.
(3) انظر: المصدر السابق-128.
(4) القول المبين في سيرة سيد المرسلين—محمد الطيب النجار-71-دار اللواء-الرياض-1401هـ. وانظر:
1. السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة—محمد أبو شهية-199/1-199/2.
2. السيرة النبوية الصحيحة—أكرم ضياء العمري-104/1.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

3. موقفهم من نزول المسيح عيسى عليه السلام:
ومن آيات نبوة محمد ﷺ إخباره بما سيقع من أمور مستقبلية(1)، ومن ذلك نزول المسيح عيسى بن مريم رسول الله ﷺ.

وقد ثبت أن المسيح سينزل في آخر الزمان بالآحاديث المنسوبة، ونقلها الخلف عن السلف، وقال الطبري: (توحيرت الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: ينزل عيسى بن مريم، فيقتل الدجال، ثم يمكث في الأرض مدة(2).

ومع هذه الأحاديث الصحيحة، قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حسنت ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقطعاً فيكسر الصليب، ويقتل الخبيث).

ويفيض المال حتى لا يقبلها أحد(3).

رد أعضاء الجمعيات هذه الأحاديث وفي جملتهم رشيد رضا قال: "ليس في القرآن نص صريح بأنه ينزل من السماء، وإنما هذه عقيدة أكثر الصاريين، وقد حاولوا في كل زمان منذ ظهور الإسلام إلى الآن يثبتها في المسلمين"(4).

---
(1) شاهيل الرسول- ابن كثير-272-دار القبلة-المملكة العربية السعودية- جدة- الطبعة الثانية-1409هـ.
(2) تفسير الطبري-6/408-458. ومن نقل الترازات:
1. ابن كثير- تفسير ابن كثير-6/110-111.
2. ابن حجر-فتح الباري-9/493.
(3) صحيح البخاري/كتاب المظلم والغصب وتاب كسر الصليب وقاتل الخبيث(رقم الحديث-296).
(4) تفسير المدار- رشيد رضا-28/1957.
إن هذا الرأي يعتبر من أمثلة أقوالهم في رد الأحاديث الصحيحة المتوترة، ولذا أنكر الشيخ أحمد شاكر، على أصحاب هذه المناهج العقلية، يقوله: "لقد لعب المتعددون، أو المجردون، في عصرنا الذي نحيا فيه، بهذه الأحاديث الدالة صراحة على نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، في آخر الزمان، قبل انقضاء الحياة الدنيا، بالتأويل المنطقي على الإنكار تارة، وبالإمكاني الصريح أخرى، وذلك أقوم - في حقيقة أمرهم - لا يؤمنون بالغيب، أو لا يؤكدون يؤمنون وهي أحاديث متوترة المعنى في مجموعها، يعلم ما فيها من الدين بالضرورة. فلا يجدون الإنكار ولا التأويل".(1)

4. موقفهم من حنين الجذع، ونوع الماء من بين يديه:

انطلاقاً من إنكار كل ما لا يتضمن للعلم التجريبي، قرر محمد فريد وحدي أن بدءة العقل وقواعد العلم، صارفة النظر عن المعجزات وإظهار المدهشات(2).

وهذا لا يلغي في العقل المعجزة، ولا تنفع فيه غريبة.

ومن هذه المعجزات التي ردها أعضاء الجمعيات القومية العربية، حنين الجذع ونوع الماء بين يديه.(3)

__________________________
(1) مسند الإمام أحمد-تحقيق أحمد شاكر-1257/1-التعليق على الحديث رقم (267).
(2) المدنية والإسلام-محمد فريد وحدي-21-المكتبة التجارية الكبرى-مصر-1353هـ.
(3) المصدر السابق-27-2.
(4) فلسفة تاريخ محمد جبريل بيه-242، وانظر.
1. محمد رسول البشر-محمد عبد الله البسام-124.
2. حياة محمد-محمد حسين هيك-74.
لقد اعتبر رشيد رضا أن ما أكرم الله تعالى به نبيه من الآيات الكونية لم يكن إقامة الحجنة على نبوته ورسالته، بل كان من رحمة الله تعالى وعنايةه به وأصحابه في الشهداد. وضرب مثالاً على هذه الآيات لإتباع العدد الكثير من الطعام القليل، والإرواء عند نفاد ماء الجيش في الصحراء والحر الشديد.

وقال محمد عزة دروزة: إن كثيراً من الروايات المختوية أخبار المعجزات النبوية ما يحتل التوقف ويدعو إلى التحفظ، وإلى القول: "إن أقول بعض المؤلفين فيها تتضمن تكلفاً لا ضرورة له ولا طائل من ورائه".

قال مصطفى صبري رداً على أصحاب هذا المنهج: "ما أعجب عقلية الكتب العصرية إلا مور في أنفسهم - مهم صفوه الشرق - ولا في كتاب الغرب - بهم قادتهم - معجزة، فيكون معجزات الأنبياء، ولا مور في أنفسهم قدرة وحماسة في حفظ أحاديث نبيهم. فيكون صحة الأحاديث المحفوظة، ويحتذون من قيمة الداعي الديني ويعملون أنفسهم بدعوّة الطريقة العلمية في تأليف الكتب - من غير دليل لهم على هذه الدعوى غير تقليد الغربيين.

 لما كان المجال هو الحديث عن الروايات وصدق الأخبار، فإنني أنقل كلام ابن حجر، وهو من علماء الحديث، وذلك عند حداثه عن آيات النبوة، قال:

(1) الولي المجتم - رشيد رضا - 1881-90.
(2) سيرة النبي - محمد عزة دروزة - 1954/1956.
إن مجموعة الروايات يفيد القطع بأنه ظهر على يده من خوارق العادات شيء كبير، كما يُقطع بحور حام وشجاعة علي، وإن كانت أفراد ذلك ظننة وردت مورد الآحاد، مع أن كثيرًا من المعجزات النبوية قد انتشرت ورواها العديد الكثير والجمر الغفير، وأفاد الكثير منه القطع عند أهل العلم بالآثار، والعناية بالسير والأخبار، وإن لم يصل عند غيرهم إلى هذه الرتبة لعدم عنايتهم بذلك، بل لو ادعى مدعٌ أن غالب هذه الوقائع مفيدة للقطع طريق نظري لما كان مستبناً وهو أنه لا مرية أن رواة الأخبار في كل طبقة قد حدثوا بهذه الأخبار في الجملة، ولا يخفّض عن أحد من الصحابة ولا من بعدهم خلافة الراوي فيما حكاه من ذلك ولا الإكراه عليه فيما هناك فيكون الساكت منهم كالناطق.

إن الآيات التي ردها أعضاء الجمعيات قد رويت بأحاديث ثابتة عن رسول الله ﷺ، وفيما يلي تفصيلها:

أحاديث حين الجذع للرسول ﷺ:

ثبت في صحيح البخاري: "كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المبتكر، تحول إليه، فحن الجذع. فأنا، فمسح يده عليه" (1). قال البيهقي: "قصة حين الجذع من الأمور الظاهرة التي حملها الخلف عن السلف، ورواية الأخبار الخاصة فيها كالتكليف.

(1) فتح الباري-ابن حجر-١٥٨/٦٨٤.
(2) صحيح البخاري-كتاب المناقب-باب علامات النبوّة في الإسلام-رقم الحديث (١٣٩).
(3) فتح الباري-ابن حجر-١٥٩/٦٨٨.
قال ابن كثير: "حين الجذع شوق إلى رسول الله ﷺ وشفقاً من فراقه وود ورد من حديث جماعة من الصحابة بطرق متعددة تفيد القطع عن أنثى هذا الشأن وفرسان هذا الميدان، بوقوع ذلك عند أئمة هذا الفن، وكذا من تأملها وتعين فيها النظر والتأمل مع معرفته بأحوال الرجال"(1).

أحاديث نبوء الماء من بين يديه

روي أنس بن مالك ﭘ، قال: "رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر فقلتُ: أما الله ورسوله فلم يجدوا، فأتي رسول الله ﷺ بوضوء، فوضع رأسه ﷺ في ذلك الإناة، فأمر الناس أن يتوضؤوا منه فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عين آخرهم"(2). ولما يتوافر في هذه الحادثة من أسباب القبول من جانب ثوبًا في كتب الصحاح، ومشاهدة الجمع الغفير من الصحابة لها، قال القاضي عياض: "ومن هذا في هذه المواطن العقلية والجمع الكثيرة لا تتطرق آمالها إلى المحدث بله لأقوم كانوا أسرع شيء إلى تكذيبها، لما جهلت عليه النفوس من ذلك، ولأقوم كانوا من لا يسكت على باطل، فهؤلاء قد روا هذا، وأشاعوه، ونسوا حضور الجامع الفضيل له، ولم ينكر أحدهم من الناس عليهم، ما حدثوا به منهم، أقوم فعلوا وشاهدوه، فصار كتصديق جميعهم له"(3).

(1) الشمائل الخضدية-ابن كثير-243-254.
(2) صحيح البخاري-كتاب المنافقين-باب علامات النبوة في الإسلام-رقم الحديث (3308).
(3) الشفا بتعريف حقوق المصطفى-1/405.
القسم الثالث: موقف الجمعيات من سيرة الرسول

لقد كتب السلف سيرة الرسول منذ ولادته وحتى وفاته، ونقلت إليًا بطرق منها: الصحيح كما في كتابي صحيح البخاري ومسلم، ومنها الحسن والضعيف كما في كتاب السير والمغازي.

وتناولت هذه الكتب بيان السيرة النبوية إما في جميع جوانبها أو في جانب منها، كمثل الكتب التي تتم بالشمال المحمدي، أو المغازي. الخ

ومن الملاحظ أن الكتابة في السيرة لم توافق من العصر الأول حتى القرن الخامس عشر الهجري، وإنما الذي اختلف فيه منهج الكاتب، والهدف من الكتابة.

وفي هذا القسم أذكر مواقف متفرقة لبعض أعضاء الجمعيات القومية العربية، من السيرة النبوية، تدل على التزيف العلمي للحقائق التاريخية المسندة:

أولاً: قبل البعثة:

اً- الحالة الأدبية عند العرب قبل البعثة:

انطلاقاً من مبدأ تمجيد مآثر العرب، وذكر محامدهم عند بعض أعضاء الجمعيات القومية رأوا أن البعثة المحمدية لم تتأت بمجرد من أسباب النهضة والتقدم، إذ ظهرت النهضة قبل البعثة المحمدية، وكان نصيب البعثة هو التمهيد لقبول الدين أو لإكمال النهضة والتقدم.
قال جرجي زيدان النصراوي في كتابه "تاريخ التمدن الإسلامي":

(إن بلاد العرب كانت قبل الإسلام في غصة أدبية دينية تمهيدًا لقبول الدعوة الإسلامية والقيام بنصرة) (1). وكرر هذا القول ميشيل عفلق النصراوي - في محاضرة له بمناسبة مولد الرسول العربي، عندما تحدث عن النهضة العربية التي سبقت ولادة الرسول وبعثته (2).

وقال محمد جميل بيهم عن هذا الأمر: (أصيبت الجاهلية بظهور بعض المفكرين على الجزء بآرائهم ضد الوثنية، ومنشطاً لغبرهم إلى التفكير بحرية في أمر صحتها، هذا إلى أنه شجع أيضا اليهود والنصارى وغيرهم ليس على المزيد من حرية تسفيه عبادة الأوثان فقط، وإنما شجعهم كذلك على تعبير العرب بها فإذا بقدسية الأصنام، وقد هزت من كل صوب تمزج في نفس القوم حينما كانوا، وإذا بأهل مكة يفسرون المجال للشكوك في صحة الوثنية، وإذا بمحمد يأتي في الوقت المناسب ويدعوهم إلى ما كانت تدعوهم إليه اليهودية والنصارية من عبادة إله واحد) (3).

ومعلوم أن اليهود والنصارى ما كانوا يدعون إلى إله واحد، وإنما دعاهم الرسول إلى عبادة إله واحد كما قال تعالى: "وما أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُحْلِصِينَ لِهُ آلِيَنَ حَنَّافًا وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْمِنُوا بِالْأَرْزَقَةِ وَذَلِكَ دَيْنَ الْقِيَمَةِ" (4).

(1) تاريخ التمدن الإسلامي- جرجي زيدان- 34/1- 52- 42 - 42. وانظر: دراسات في السيرة النبوية- محمد سرور- 200- 200.
(2) فلسفة تاريخ محمد محمد- محمد جميل بينهم- 92.
(3) سورة البيئة- رقم الآية (5).
(4)
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والسلم.

إن هذا القول عن حالة الجاهلية ينكر فضل الله على عباده بالرسالة الإسلامية، وأُما مندحة للعالم من الجهل والشرك والفساد وهذا خلاف ما هو ثابت في السير. حيث أتى على العالم حين من الدهر فسدت فيه العقائد، وانتشرت الوثنية، وانتكست فيه الأخلاق، وسادت فيه الجهالات والخرافات.

وقد يطول الحديث عن هذه الخرافات، ويكون الإشارة إلى ما جاء في كتاب الله تعالى وفي سنة نبيه عن هذه الخرافات. وسأوحص بالذكر بلاد الحجاز والمغرب أن تكون أبعد بلاد العرب عن الخرافات.

قبل بعثة الرسول ﷺ عم الفساد وطم، كما قال تعالى: "⁴٠ ظهر الفساد في اليم والبحر، كما كسبت أبدى الناس ليذيقهم بعض من التل عما عملوا لعلهم يرجعون" (٤٠). فمن أنواع هذا الفساد الذي ظهر: إشراك الله بالعبادة فعلى تعالى: "⁴١ أفريم آلته وآلهته ومنتز أبا الخصيب الأخرى أنكم ذكر وله الأمين. تلك إذا قسمت صغيرين إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطنة إن يبتغون إلا ألطين وما تخورى الأنفس ولقد جاءهم من ريب الهداى (٤١) " وقال تعالى: "⁴٢ وجعلوا له من عباده جزءاً فإن الإنسان لكبر من مين ⁴٢ (٤٢)."}

(١) السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة-محمد أبو شهبة-٢٤١/١١.
(٢) سورة الروم- رقم الآيات(٤١).
(٣) سورة النحل- رقم الآيات(١٩-٢٣).
(٤) سورة الزخرف- رقم الآية(١٥).
فما كان من القبائل العربية إلا أن أخذت أصناماً لها بيوت معظمة وسدنة وحجاج، ويهدي لها، ويُطاف بها، فكان لقريش وبني كنانة (العرزي) بنخلة، وكائنات (النلات) لثقيف بالطائف، وكان (منها) للأوس والخزرج ومن دان بدينهم (1). ويكفي ما ذكره ابن مسعود عن عددها بقوله: (دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَّكَّةٍ يَوْمَ الْفِتْحِ، وَحَرَّبَ الْبَيْتِ سَتُّونَ وَثَلَاثُ مَائَةٍ نَصْبٍ فَجَعَلَ يُطْعَنُهَا بِعَدُودٍ فِي يَدِهِ وَيَقُولُ: (جَآءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ) (جَآءَ الْحَقُّ وَمَا يَبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ) (2).

ومن الاعترافات التحريج على حق من حقوق الخالق وهي مسألة التحليل والتحريم، كما قال تعالى منكراً عليهم هذا الفعل: (لَا يَعْقِلُونَ) (3).

وقال تعالى: (وَلَا تَعْقِلُوا لَمَّا تَصِفُ الْيَسِتَّهَمُ الْكَذِبُ هَذَا حَلَّلَ وَهَذَا حَرَامٌ لَّيْفَتُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبِّ وَإِنَّ الَّذِينَ يَفْتُروْنَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفَلِّجُونَ) (4).

---

(1) انظر عن هذا الموضوع: تاريخ الإيجوني، أحمد بن أي عقوبة، 255/1.
(2) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي، الربانية يوم الافتتاح، رقم الحديث (950).
(3) سورة المائدة، رقم الآية (102).
(4) سورة النحل، رقم الآية (116).
فثبت في السنة ذكر أول من سيب السوائب، قال الرسول ﷺ في حديثه:

"وعند صلاة الكسوف: (ولقد رأيت جهني يهدي بعضها بعضًا - رأيت أموي تأخذ و رأيت فيها عمرو بن لحي وهو الذي سبب السوائب)."

لقد ظهرت في المجتمع الجاهلي نفوس لم ترض عن واقعها فسعت للبحث عن الدين الحق - مما يؤكد اختطاف المجتمع الجاهلي قبل البعثة - ومن هذه النفوس زيد بن نفيل، فقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهم: أن النبي ﷺ لقي زيد بن عمرو بن نفيل ببلد بذドラマ. قيل أن نزل على النبي ﷺ الوحي، فقدمت إلى النبي ﷺ سفرًا، فأجاب أن يأكل منها، ثم قال زيد: إني لست أحدًا مما تذبحون على أصابكم، ولا أكل إلا ما ذكر اسم الله عليه، وآن زيد بن عمرو كان يعجب على قريش ذبائحهم، ويقول: "الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماك الماء، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله، إنكاري لذلك واعظة الله".

ويصف ابن عباس ما كانت عليه الجاهلية يقول: (إذا سرك أن تعليم جهل العرب فأقاربا ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام - قد حي بادئ الذين قتلوا، أولدهم سفها يعير علمه إلى قولهم قد صلوا وما سكنوا مهدين).

(1) صحيح البخاري - كتاب الجمعة - باب إذا ألقى الذائه في الصلاة - رقم الحديث (136).
(2) المصدر السابق - كتاب المناقب - باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل - رقم الحديث (354).
(3) المصدر السابق - كتاب المناقب - باب جهل العرب - رقم الحديث (326).
ومن تشريعات الجاهلية وأحكامها فيما يتعلق بالمراة، ما أورده ابن عباس في تفسير قوله تعالى: "بَلْ مَا أَدْرَاكُمَا لَجَنَّةٌ لَا تَجِلُّونَهَا إِنْ تُزَوَّجُوهَا،ِ وإنْ شَاءُواْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، كَانَ أَوْلَاهُمَا أَحَقَّ بِأَمَرٍّ يَأْسِرُوهَا،ِ بِعَدْاءٍ وَسَيْفٍ".

ويذكرهم القرآن بطبعية علاقاتهم الاجتماعية قبل البلعمة بقوله تعالى: "أَذَّنُواْ بِحُكْمَ السَّمْوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِنسَانٍ نَفْسِهِ وَأَذَّنْنَا لَهُ بِالْمَلَائِكَةِ إِنَّا لَغَنِيُّ نَعْمَهُ وَلَن نَّزَلَ لَهُ مِثْلَهُ إِلَّا مِثْلَ مَعْنِيَتِهِ وَلَا نُجِيبُ عَلَيْهِ كَيْفَ نَجِبَ حُقُّنَا وَغَفَّرْنَا عَلَى نَادِرٍ فَأَنْتَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَذَٰلِكَ يَبْنِيُّ اللَّهِ لِكَمَانَ إِلَّا هوَ ابْنُ اللَّهِ ابْنُ الْمَلَائِكَةِ مِثْلُهُ وَهُوَ أَحَدٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ".

وأما وقف المتحدث الرسمي – جعفر بن أبي طالب – باسم المهاجرين أمام النجاشي في الحبشة، استعرض ما كان عليه أهل الجاهلية، فكان مما قال: (أَبَاهَا الْمَلَكَ كُنَّا فَوَّامِي أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ تَعْبُدُونَ الْأَصِئَامَ، وَنَائِلُ العَيْنَةِ، وَنَائِلُ الْفُواشِحَ، وَنَقْطَعُ الأَرْحَامَ، وَنُسِئُ الْحَوَارِيَّ، يَلْتَوَّى الْقُوَّى مِنَ الصَّعِيفَ، فَلَمْ تَعْلَمُوْ عَلَيْ ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مَّنْ تَعَارَفُ نَسْبَهُ وَصِدَاقَهُ وَأَمْنَاهُ وَعَفَافُهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لَنْ وَحْدَةٍ، وَنَعْبَدُهُ وَنَجْعَلُ مَا كَانَ عَبْدًا نَّحْنَ وَآبائُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ اْلْحُجَّاجَةِ بأُولِيُّ الْأَمَانَ، وَأَمَّنَّا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَهَمَّةَ الْأَمَانَةِّ وَصَلَّةَ الْرَّحْمِ وَحُسْنِ الْحُجَّاَرِ، وَالْكَفْرِ عَنِ الْمَحْرَجِ، وَنَهَاةَا عَنِ الْفُواشِحِ، وَقُولِ)}

(1) سورة النساء-رقم الآية(19).
(2) صحيح البخاري- كتاب-باب (لا يَحْلُّ لَكُمُ أنْ تَزَوَّجُوهَا)-رقم الحديث(4213).
(3) سورة آل عمران-رقم الآية(101).
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

الزور، وأكمل مال البيت، وقذف المُختصِّة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شريكًا، وأمرنا بالصلاة والركاة والصيام ... (1).

فبعد هذه النصوص المثبتة من كتاب الله ومن سنة رسوله، أière أن العرب كانوا في غضبة أدبية؟ وإن تقرر مبدأ (غضب العرب) قبل البعثة، يعني إنكار نعمة الله على العالم بالرسالة الخائمة، وفي مقابل هذا الحجود والإشكراء بعد أعضاء الجمعيات يصفون المبادئ الماسونية بأنها سبب رقي وتقدم العرب في العصر الحديث، كما قال رفيق العظم: "إذ الأمر المسيحية لما كانت مسؤولة في أوروبا بيد الكهنة والمملوك مأخوذة الإرادة بقوة هاينين الفتيين، كانت ليس لها من الأمر إلا أن تدعى إلى عمل فتحيب، وتساق إلى حرب فنسير".

وتبين رفيق العظم أن هذه الحال قد تغيرت، حينما قيدت هذه الأمم قبود تلك السلطة، وتمتعت بالحرية، وشاركت الحكام بالرأي، وأصبح الحكام بيد الشعب لا الشعب بيد الحكام، وصار الساسة وآراض الحل والعقد محاسبين على كل عمل يأتونه (2).

ب - موقفهم من حادثة الفيل والطير الأباني:

أخبر القرآن عن حادثة الفيل وإرسال الطير على الجيش حتى أهلكهم، بقوله تعالى: "أَلْمَ تُرَبِّكَ قُلُوبُ بِأَصْحَابِ الْفِيْلِ أَلْمَ تُجَعَلُ كَيْدُهُ فِي (1) مسند الإمام أحمد-1/2-2016.

(2) مجموعة آثار رفيق العظم (رسالة الجامعة الإسلامية)-57.
قال ابن كثير: "هذه من النعم التي أمتن الله بها على قريش فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل، الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة وهو أثرها من الوجود، فأبادهم الله، وأرغم أنفحيهم، وخير سعيهم، وأضل عملهم، وردهم بشري خبيثة. وكان هذا من باب الإرهام والتوطئة لبعث رسول الله ﷺ، فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال".

أشار النبي ﷺ إلى حادثة الفيل، كما في حديث أبى هريرة رضي الله عنه قال:

"لما فتح الله على رسوله ﷺ مكة فقام في الناس، فحمد الله وانتهى عليه، ثم قال: (إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله ﷺ والمؤمنين)."

ومعنى ما ذكره المفسرون عن هذه الحادثة: "لما أراد أبها هدم بيت الله الحرام في عهد يهود يكرههم في الهمزة، أرسل الله عليهم طيراً من البحر، مع كل طائر منهم ثلاث أحجار: حجر في منقاره، وحجران في رجله، أمثال الحمص والعدس، لا تصيب منهم أحدا إلا هلك؛ وليس كلهم أصابت. وخرجوا"

(1) سورة الفيل.


(3) صحيح البخاري-كتاب اللقمة-باب كيف تعرف لقطة أهل مكة-رقم الحديث (2754).
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

هَارِين يَمْتَدَرُون الطريق التي جاءوا منها. فخروجوا يتساقطون بكل طريق، ويهلكْون بكل مهلك على كل سهل، وأصاب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم يسقط أغلة أملها، كلما سقطت منه أغلة أنبثتها منه مدة قيحاً ودماً، حتى قدموا به صنعا وهو مثل فرح الطائر.

إن النص القرآني يقدم أدق تصوير لما حدث لجيش أبرهة، ولا تكاد الروايات التاريخية تخرج عن الوصف القرآني، إلا في تحديد جزئيات وتفاصيل يسيرة.

وقد تناول أعضاء الجمعيات القومية العربية هذه الحادثة، من منطلق النهج العقلاوي والاقتصادي ببعض المستشرقين، فأثابروا وجود تلك الطيور، فقد قال محمد جميل بيهم: "أبرهة لم ينجح في محاولته في هدم الكعبة، وعاد عن مكة خائبة لوباء انتشر بين جنده".

وفي محمد حسين بيكل هذا النهج فقال: "أن لأبرهة أن يوجه جيشه ليتم ما اعتزم فيهم البيت ويعود أدراجه إلى اليمن، كان وفاء الجدري قد تفضى بالجيش وبدأ يفتتح به، وكان فتكه ذرياً لم يعهد من قبل قط، ولعل جراحهم

(1) الجوامع لأحكام القرآن-القرطبي- 190/195.
(2) السيرة النبوية الصحيحة-أكرم ضياء العمري- 97/1.
(3) انظر: حياة محمد Midi-لدمراغ-3-ترجمة عادل زعتر.
(4) فلسفة تاريخ محمد Midi-محمد جمил بيهم-157.

وقال الكواكبي: كشفوا وجود المكروب وتأثيره الجدري وغيره من المرض، والقرآن يقول:

{أرسل عليهم طيراً أبايل} أي مجتمعه محتوية {ترمهم بحباء من سجيل} أي من طين المستنقعات اليابسة. انظر: طبقات الاستباد-الكواكبي-31-32.
الوباء جاءت مع الريح من ناحية البحر، وأصابت العدوى أبرهة نفسه، فأخذت السروع وأمر قومه بالعودة إلى اليمن. وكان الوباء يزداد كل يوم شدة وجمال الجيش يموت منهم من يوم إلى يوم بغير حساب، وبلغ أبرهة صنعاء و🍎 ينثر حسمه من المرض، فلم يقم إلا قليلاً حتى لحق بمن مات من جيشه"(1).

وفي الكلام عن هذه الحادثة يريف جرجي زيدان حقائق التاريخ، يقول: "اختص الإسلام برجال توفرت فيهم خصال النصر، وقد امتاز ذلك العصر بنوع رجال العظام كما امتاز عصر نابلسون الكبير بقواد لم تلد فرنسا مثلهم.

وقد نبغ قواد نابلسون على أثر الثورة الفرنسية، كما نبغ قواد الصدر الأول للإسلام على أثر واقعة الفيل التي سقط بها الأحباب على الكعبة كانت وراء بروز قادة من العرب كخالد وأبي عبيدة وأبي بكر وعمر، وحركت ساكن العرب فأظهرت قواعهم بالضغط والاحتكاك"(2).

الملاحظ على قوله زيدان كأن قريشاً قاومت الجيش، حتى كان من نتائج هذه الحادثة بروز القادة، ولكن ما أخبرته به كتب السير عن موقف أهل مكة تجاه غزو أبرهة للكعبة كان موقف العجز، ولم تقم حروب أو معارك في أثمانها، ليعرف من خلال زيدان بروز القادة، مع العلم أن من ذكرهم باتفاق أهل السير ما كانوا قد ولدوا عند الغزو، وبعضهم الآخر كان دون سن المميز.

---

(1) حياة محمد-حسن هيكل-119-120، وانظر: دائرة معارف القرن العشرين- فريد وجدي-6/256.

(2) تاريخ التمدن الإسلامي-جري-17/1/67.
أما ربطه بين واقعة الفيل والثورة الفرنسية التي أنتجت بونابرت ورحالة، فليس مستغرباً على النصارى العرب مثل هذه الأقوال والمفاهيم لأهم لا يبقون إلا بعيون قادة فرنسا، ولا يفكرون إلا بعقوتهم (1).

ثانياً: المعهد الملكي:

أ- نزول الوحي:

لقد وصف حرجي زيدان تحت الرسول في غار حراء، وزنول الوحي عليه بصفات مليئة بالمغالطات التاريخية والحقائق الصنعي، قال على لسان أبي سفيان وهو يخارب هرقل: "وبقينا نتحدث بحسانته ونعجب بأحلاه حتى بلغ الأربعين، فسمعنا بانقطاعه عن الناس واعترزاله في شعب الجبال، حين صار يأوي إلى الكهوف، وذكر أن الملك جبرائيل ظهر له وعليم الصلاة" (2).

ثابت في سؤال هرقل لأبي سفيان عن حال الرسول قبل البيعة كان عن صدقة، كما ثبت في صحيحي البخاري ومسلم (3)، ولم يذكر ما ذكره زيدان. والثابت أن عائشة أخبرت عن تحنطه في غار حراء كما قالت: "كان يخلو بعقار حراء فيتحنث فيه، وهو التعبد النبي دوات العددين قيل أن ينزع إلى

(1) دراسات في السيرة النبوية- محمد سرور- 198.
(2) فتاوى غسان (1)- حرجي زيدان- 73. وانظر: تاريخ التمدن الإسلامي- حرجي زيدان- 36/1.
(3) انظر: صحيح البخاري- كتاب بدء الوحي- باب بدء الوحي- رقم الحديث (1). وصحيح مسلم- كتاب الجهاد والسير- باب كتاب النبي إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام- رقم الحديث (322).
لا يمكنني قراءة النص العربي من الصورة. يرجى كتابة النص العربي بشكل طبيعي للمساعدة في قراءته.
راجعْ رَبّكِ فَإِنّي أَمْكِنُ لَا تُطِبْ "فَرَاعِجَتْ فَوْضُعًا شَطْرًا فَرَاعِجَتْ إِلَيْهِ،
فَقَالَ "راجِعْ إِلَيْهِ رَبّكِ فَإِنّي أَمْكِنُ لَا تُطِبْ ذَلِكَ "فَرَاعِجَتْهُ، فَقَالَ (هَيْ خَمْسُ
وَهَيْ خَمْسُونَ لَا يُبِدَّلُ القُولُ لَدِي) فَرَاعِجَتْ إِلَيْ مُوسَى فَقَالَ "راجِعْ رَبّكّ
فَقَلَتْ: اسْتَخْبِيتُ مِنْ رَبِّيٍّ[١].

والذي علم جبريل محمدًا أثناء نزول الوعي في غار حراء—كما ثبت—
أنه قال له: "أَقُرًا" قال: (ما أَنَا بِقَارِئٍ قَالَ فَأْخَذَنِي فَقَطَنِي حَتَّى بَلَغْتُ مَنِي
الجَهَّةَ فَأَرْسَلْتِي، فَقَالَ: "أَقُرًا" قَلَتْ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأْخَذَنِي فَقَطَنِي النَّائِثةَا
حَتَّى بَلَغْتُ مَنِي الجَهَّةَ فَأَرْسَلْتِي، فَقَالَ: "أَقُرًا" قَلَتْ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأْخَذَنِي
فَقَطَنِي النَّائِثةَا فَأَرْسَلْتِي، فَقَالَ: (أَقُرًا بَاسِمُ رَبّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإنسَانَ
مِن عَلَقٍ أَقُرًا وَرَبِّكَ الْأَكْرِمُ[٢].

ب— الأذى الجسدي على الرسول:

إن الروايات الدالة على وقوع الأذى على الرسول أكثر من أن
تعصى، وهي سنة واقعة على المرسلين وأتباع المرسلين، كما قال تعالى: "وَلَقَدْ
كَذَبَتُ رُسُلُنَا مِنْ قِبَلِكَ فَصِبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبْتُوا وَأُوذُوْا حَتَّى أَتَنَمَّ النَّصَرُ أَوْ
مُبَدِّلٌ لَكُلِّمَتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ بَنَائِ الرُّسُلِيْنِ[٣].

(١) صحيح البخاري-كتاب الصلاة-باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء-رقم الحديث (٢٣٦) .
(٢) المصدر السابق-كتاب بدء الوعي-باب بدء الوعي-رقم الحديث (٣) .
(٣) سورة الأنعام-رقم الآية (٣٤).
وقال سعد بن أبي وقاص: قلت: يا رسول الله أي الناس أشدُ بلاة؟ قال: (الأنواعين نم الأمثال فلا أمثال، ينتلَ الفعلُ على حسب دينه، فإن كان في دينه صلى الله عليه وسلم بلا-tone، وإن كان في دينه رقفة، إبتلي على حسب دينه)...

في كتبات أعضاء الجمعيات القومية عن السيرة، لم يأخذوا بالروايات التي تنص على وقوع الأذى على النبي صلى الله عليه وسلم في مكة أم في المدينة، قال محمد عزة دروزة: "إن عدم ذكر القرآن شيئاً ما يدل على ذلك مع ذكره محاولات الرفع أو فريق منهم التقرب إليه والتفاهم معه، وما يستفاد من الآيات القرآنية الكثيرة من وقوفه دائماً موقف القوي المستعلبي فيما كان يتوه من آيات فيها عنف وصفعات ويراهين دامغات. وتهديدات لاذعات يجعلنا ميل إلى التوقف في هذه الوقائع".

إن ممنهج رد السنة وعهد الأخذ بما من المبادئ الظاهرة لدى الجمعيات القومية العربية، وعن موضوع وقوع الأذى الجنسي على الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد سجلت عائشة عن بعض ما لاقاه الرسول صلى الله عليه وسلم من أذى المشركن أثناء تبليغ رسالة ربه، فقالت: "يا رسول الله! هل أتي عليك يوماً كان أشد من يوم أحد"! فقال: (لقد لقيت من قومك، وكان أشد مما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرست نفسك على ابن عبَّاد ياليل بن عبيد كلال، فلم يعجبي إلى ما أردت،...

---

(1) سنن ابن ماجة-كتاب الفتنة-باب الصغر على البناء-رقم الحديث(1314). وانظر:

مسن드 الإمام أحمد-1/174.

(2) سيرة النبي-محمد عزة دروزة-1/296.
فانطلقنا وآنا مهتمون على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن التغلب، فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أطلشني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناناني فقال إن الله عز وجل قد سمع قول ملكك لى وما رذؤا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأموري بما شئت فيها، قال فناناني ملك الجبال ورسول الله علي، فقل يا محمش إن الله قد سمع قول ملكك لى وآنا ملك الجبال وقل يا إبليس لتأموري بأمرك فإما شئت أن أطبق عليهم الأحسيتين، فقال له رسول الله عليه السلام بلى أرجو أن يخرج الله من أصنامهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شياً.

ويحدث عبد الله بن مسعود، عما شاهده من وقائع الأذى على الرسول عليه السلام:
فيقول: (بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن بيته وأبو جهل وأصحابه جلوسون، وفجأ نحرت جوز وابن أم سقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جوز. فنال فعلي وقصده في كتاب محمش إذا سجد. فاستعث الله ثم قال: نحن على سجدة النبي ووضعه بين كتابه، قال: فاستضحكوا وجعل بعضهم يحمل على بعض وآنا قائموم عبد الله بن مسعود، أنظر أو كنت لي منعة طرحت عن ظهر رسول الله عليه السلام. ساجد مما يرفع رأسه).

قرن المنازل وهو لقاء العالم، يسكنون الراة: ميقات أهل يغادرون مكان علما يوم وليلة. انظر:
معجم البلدان-يقوت الحموي-باب القراء مع النور.
(1) صحيح مسلم-كتاب الجهاد والسير-باب ما ألقى النبي صلى الله عليه وسلم من أدى المشكرين والمتوافقين-رقم الحديث 325.
(2) المصدر السابق-رقم الحديث 3249.)
وتتمشياً مع هذا المبدأ لم يقبل محمد عزة دروزة، الحديث الوارد في سبب نزول سورة (المسد)، فقد قال دروزة: من الغريب أن أكثر الرواة والمفسرين، بل نكاد نقول جميعهم، روا وقالوا: إن هذه السورة (المسد) نزلت بمناسبة قول أبي هب للنبي (تابا لكي أهذى دعوتنا) وذلك حينما نزلت آية الشعراء (وأنذر عشيرتك الأقربيين) (4). وأن ذلك القول مدعو إلى أبي هب والسورة قد جمعت أمرته معه، وهذا ما يجعلنا نتوقف في الرواية المشهورة عن سبب نزول السورة. لما تذكر الروايات أن الصلات بين النبي وعمة قبل البعثة كانت حسنة، وأن بيتهم كأنها متجاورين (1).

إن سبب نزول سورة (تبث) ثبت في صحيح البخاري ومسلم. فقد قال
بن عباس (4): (لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربيين) (5) صعد النبي (تابا) على الصفا فجعل ينادي: يا بني عادي، لبطن قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولًا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وفريض فقال: أعاليكم لم تخبرتم أن نزلت في بيت؟ فقال أبو لهب: دفعت الله جمعيتنا فنزلت (6) (تبث) يدا أبي لهب وتب (5) ما أغنى عنه ماله، وما حكبه (2).

(1) سيرة النبي-محمد عزة دروزة-1/16/1
(2) صحيح البخاري-كتاب تفسير القرآن-باب (وأنذر عشيرتك الأقربيين، ونفضح جناحك) -رقم الحديث (697)، ونظر:
(3) صحيح مسلم/كتاب الإيمان-باب في قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربيين) -رقم الحديث (702).
إن عدادة أبي لهب وزوجه للرسول ﷺ ما هو معروف ومشهور، ورد الروايات الصحيحة لسبب أنه مجاور للرسول ﷺ، وأن الصلات بينهما قبل البعثة كانت حسنة مبدأ غير سليم، وقد ظهر العداء بين الأبين وأبيه، كما ذكر القرآن عن نبي الله إبراهيم حينما كان ولاء الأب لغير الله يفرض عليه معاداة ولده.

وانتقلابة الألفة والمحبة إلى عداوات وبغضاء بعد البعثة، ليس خصيصًا بأبي لهب وزوجه بل هو عام لجميع مشركين قريش.

ج) إعراض المشركين عن الدين لأسباب اقتصادية:

إن سبب عدم دخول كفار قريش في الدين الإسلامي هو وقوعهم أمام دعوة التوحيد، بسبب من عبادتهم وتقديسمهم للأصنام، والحجة التي كان يمسك بها الكفار ساقها الله على ألسنتهم بقوله: ﴿قالوا أو أهجمنا إلَّا أن نعمَّدْ أباوائنا فأبانا إلَّا ما تعددنا إن كنَّا من الصادقين﴾. 

ويصف القرآن الكريم حال المشركين عند دعوتهم إلى التوحيد، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يُسَتَّكِينُونَ﴾. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا نُزِّلَ عَلَيْهِمْ عَذَابُنَا بَيْنَ يَدَيْنَا قَالُوا مَا هَدَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يُصَدِّقَ عِنْيَ أَنْ يُّبِدِّي مَثَلَهُ مَثَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَحَيْثُ لَمَّا﴾.

(1) سورة الأعراف-رقم الآية (70).
(2) سورة الصافات-رقم الآية (25).
الجمعيات القومية العربية ومشغلفها من الإسلام والمسيحي

(1) وقال تعالى: {وَجَاءُواْ أَنْ يَجَاءُوهُمْ سَيْحُورُ مُعْتَبِرُ} {الأنبياء (9) 15}.
(2) وقال الامام أحمد: {هَذَا أَنَاْ لَيْسَ عَجَابًا} {الهود (12)}.
(3) {وَانْتَقِلْ أَمْلَا مِنْهُ وَأَمُشْ وَأَصْبِرْ وَأَهْيَـكُرْ إِنَّ هَـذَا لَيْسَ بُرَّ} {الشعراء (67) 3}.
(4) {وَمَنْ عَرَضَ الْأَرْضَ إِلَى الأَنْعَامِ وَهُمْ لَا يَذْكَرُونَهنَّ.} {الصلح (62) 1}

والمناقشات الكثيرة التي ذكرها كتاب السير عن إعراض المشركين، بسبب تصميمه بعicide الشرك وعبادة الأصنام، أكثر من أن تخص، مثل ذلك ما ذكره عمرو بن عمرو، يقوله: {حَضَرُهُمْ وَقَدْ اجتَمَعَ أَشْرَافُهُمْ يُؤُمُّونَ فِي الْحَجْرِ} {النساء (11) 23}.
(5) {فَذَكَرُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا:} {وَأَمْرُكَ أَمْرُ عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ قَطْ} {الأنبياء (5) 43}.
(6) {سَفَهَةٌ أَحْلَامَنَا وَشَتَّمُ آبَائِنَا وَعَابَ دِينَانَا وَفَرَقَ جَمَاعَتَنَا وَسُبُبَ آلِهَتَنَا لَقَدْ صَبَرْنَا مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ} {الأنبياء (5) 43}.

إذن أعضاء الجمعيات القومية العربية عززوا سبب إعراض المشركين لما الخوف على المكاسب الاقتصادية التي كانت تردهم عندما تؤم القبائل العربية مكة حيث الأصنام الثلاثمائة والستون المحطة بالكعبة، وينجم عن ذلك حركة بيع وشراء تحقق الأرباح الوفيرة للملاك.

ويقرر محمد جميل بهم أن سبب العداء والحرب بين الرسول والمشركين كان بسبب الأمور الاقتصادية، فقال: {إِنَّ الَّذِينَ كَانُوا يَجَارِبُونَ مَعَهُمْ لَا مَعَكَ} {الأنبياء (5) 43}.

---
(1) سورة سبأ: سورة البقرة: (43).
(2) سورة ص: سورة البقرة: (43).
(3) مسنود الإمام أحمد: مسنود المكترين من الصحابة: (1739).
(4) السيرة النبوية الصحيحة: أكرم ضياء العمري: 147/1.
يكونون يحاربونه استنكارًا لدينه، وإنما كانوا يفعلون ذلك خوفًا على منافعهم التي كانوا يجنيها من قيام الوثنية. بعثة وهي منافع اقتصادية ومعنوية.

و لم يكن هذا الإعراض من المشاركين في بداية الدعوة، وإنما كان هذا في جميع أحوال السيرة، ف يقول بهم: إن قريشا قد ناصبتها العداء وظللت تؤذيه وتم بقعته حتى اضطررة للجلاء عن مكة والهجرة إلى يثرب. لماذا؟ لأنه كانوا لا يزالون يؤمنون بصحة عبادة الأوثان؟ كلا.

وإذا لأن الغرض مرضي: بسبب الامتيازات فكانوا لا يؤدون إتاوة، ولا يتكلمون دفاعًا. يحكمون على الناس، ولا يحكمهم أحد فكان من الطبيعى أن ينامضوا نضال المستميت عن سيادهم الروحية.

--- بيعة العقبة:

لقد اعترض محمد فريد وجدي على أن تكون سرعة استجابة أهل المدينة لدعوة النبي، بسبع من مجاورهم لأهل الكتاب، يقول: "علّه كتاب السيرة المسلمون هذا الأمر الجليل بأن اليهود الذين كانوا مجاورين لأهل يثرب كانوا يتحدونهم بقوتهم لهم: إن نبيًا يرسل آخر الزمان من بلاد العرب، فإذا ما ظهر اتبعنا وانتمينا معه عليك وقهرناكم، فلما بعث النبي ودعا للإسلام تذكر أهل يثرب ما كان يهددهم به أعداؤهم، وقال بعضهم لبعض هلمنا إليه، لا يسبقنا الإسرائيليون إلى اتباعه. ثم ما كان منهم إلا أن تسارعوا إلى تلبية نذائه."

---

(1) فلسفة تاريخ محمد، محمد جميل بيتم، 1971.
وهذا يُعتبر عليه بحجة آفة: "لا تقنع الخبيرين بعوامل التطورات النفسية والاجتماعية، ولا تبين من حقيقة هذا الأمر الجلل ما يجب أن يعرف، وخاصة في هذا العصر الذي لا يندفع أهله بالخلابات الكلامية".

وبين فريد وجدي أن أهل يرب لم يدخلوا في الإسلام، ولم ينتدبوا للاضطلاع بالدفاع عنه، إلا بعد أن مضى على إعلان النبي له نحو ثلاث عشرة سنة، فأين كانوا من الإسلام طوال هذه المدة؟

لقد ذكر المفسرون أن قوله تعالى: "وَلَكَ جَاهِرُهُمْ كَتَبْنِٰ إِذْ عَبْدٌ آلِلَه" مُصدِقٌ لَّمَّا مَعْهُم وَكَانُوا يَقْتُلُونَ إِلَّا أَنَّهُمْ كُفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعَنَّهُمُ ﷺ آَلِ أَلْكَفْرِينَ ؟" (1) اما من أسباب سرعة استجابه أهل المدينة لدعوة الرسول ، كما أفادت روايات السيرة، وذلك أن أهل المدينة قالوا: إنما دعانا إلى الإسلام - مع رحمة الله تعالى وهذا لنا - لِمَا كَانَا نَسَمَعُ مِن رَجُال يَهُودٍ وَكَانَا أَهْلُ شَرْكٍ أَصْحَابَ أُوْثَانٍ وَكِانَا أَهْلُ كِتَابٍ عِنْدَهُمْ عَلَمٌ لَّيْسَ لَنَا وَكَانَتْ لَا تَزَال بِيَنَا وَبِينَهُمْ شِرُورٌ فَإِيَّا نَلَّا مِنْهُم مِّتْحَبًّا مَا يَكُرِهِنَّ قَالُوا لَنَا إِنَّهُ قَتَارُ زَمَانِ نَيَبِعُ الآتِنَ الآن نَقْتَلُكَ مَعَ قُتْلٍ عَادٍ وأَرْمُ إِن كَانُوا كَثِيرًا مَا نَسَمَعْ ذَلِكَ مِنْهُمْ.

فلما بعث رسول أجَنَاهِ حين دعانا إلى اللّه تعالى وعرفنا ما كانوا يتوعدونا به، فآمنا به وكرفوا به، ففيهم نزل الآيات من البقرة «وَلَكَ جَاهِرُهُمْ كَتَبْنِٰ إِذْ عَبْدٌ آلِلَه» 1(1) السيرة النبوية تحت ضوء العلم والفلسفة-محمد فريد وحجي-144-498.

(2) سورة البقرة-رقم الآية(89).
من عين الله مصدقًا لِما معهم وكانوا من قبّل يُستَفْتَحُورُونَ على الذين كفروا
فلما جاءهم ما اعترفوا كفروا به (1).

وعن سبب تأخر اتصال أهل المدينة بالرسول صلى الله عليه وسلم في الفترة الزمنية كانت لمدة سبع سنوات، وليس ثلاث عشرة سنة، كما قال فريد وحدي، ويفهم هذا من حديث جابر أنه قال: (ذلك رسل الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين يتبغ الناس في منازلهم بعكاظ ومجتاحة وفي المواسم بيني يقال: من يؤمنن من ينصرفني حتى أبلغ رسل الله صلى الله عليه وسلم حتى إن الرجل ليخرج من البيمن أو من مصر كذا قال معانيه قومه فيقولون أحذر غلام فرسن، لا يعتنوا، وبمشي بين رجالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع، حتى يعتنوا الله إليه من يرب فآويناه وصدقنا فيخرج الرجل منا قومين به، وقربنا القرآن فيقلب إلى أهل فسلمون بإسلامه حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفدها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام (2).

(1) سيرة ابن هشام- 2/38. وقد صرح ابن سعد بالحديث، وقال الذهبي: إذا صرح بالحديث فحكيته حسن. ميزان الإعداد- 2/480 (719) (الذهبي). وقال الشيخ أحمد شاكر: له حكم المرفوع لأنه حكايته عن وقائع في عهد النبوة، كانت سنة لدور الآية، تشير الآية إليها، والراجح أن يكون موصولاً لأن عاصم بن عمر بن قنادة الأنصاري الظفري المدني تابعي ثقة وهو يحكم عن أشياء منهم، فله آلة من الأنصار. تفسير الطبري- 1/236- رقم (1519)- تحقيق أحمد شاكر. انظر:

1. زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي- 1/114.
2. تفسير ابن كثير- 1/187.

(2) مسندر الإمام أحمد- 3/323- 339، 340- 341. بإسناد حسن كما قال ابن حجر- الفتح- 7/263.
فإذا كانت الدعوة في مكة ثلاث عشرة سنة، منها ثلاث سنوات دعوة
سريَّة، فيكون اتصال أهل المدينة بعد مضي سبع سنوات من إعلان الدعوة.
وهناك أمر أخر كان له أثره في تأثير أهل المدينة من الاستجابة لدعوة
الرسول ﷺ، وهي المعركة السيّئة (بعث) وقد وقعت بين الأوس
والخزرج، وما لا شك فيه أن الحرب شغل شاغلًا، وقد قالت عائشة: رضي الله
عَنْهَا (كَانَ يُومَ يُبِعَتْ يوْمًا قَدْمَةً الْلَّهُ ﻟِرَسُولِهَ ﷺ، قَفَّدَ رَسُولُ الله ﷺ وَقَد
اْفْتَرَقُ مَلْوُهُم وَقَتِلَت سَروَانِهِم وَجَرَحَهُمْ، فَقَدْمَةَ الله ﷺ ﻟِرَسُولِهَ ﷺ في دُخُولِهِمْ في
الإسلام) (1) وكانت (بعث) قبل الهجرة خمس سنين (2).

إن سرعة استجابة أهل المدينة لدعوة الرسول ﷺ، ونصرهم له، وقطعهم
لحُب القبائل المعايدة للإسلام، تعد من مناقب الأنصار، ولذا قال فيهم ﷺ: (لَوْ
أنَّ الأنصار سَلَكُوا وَاِيِّاً أَوْ شَعْبًا لَسَلَكْتُ في وَادِي الأنصار وَلَوْلَا الْهِجْرَةُ
لْكَتَبْ اِمْرَاً مِنَ الأنصار فَقَالَ أَبُو هَرْبَةُ رَاوِي الحديث ﷺ مَا ظَلَّمْ بَأَيٍّ وَأَمِّي؛ أُوْرَةٌ وَنَصْرُوهُ) (3).

وقول محمد فريد وحدي، أن هذه النصوص (لا تقعن الخبرين بعوامل
التطورات النفسية والاجتماعية) وذلك بسبب أن علمهم الاجتماعي مبني على
أفكار مجموعة من علماء أوروبا، أمثال دور "كام" الذي وضع علم الاجتماع في منهجية مستقلة تقوم على النظرية والتجربة في آن معاً، وتبكي الأمور الغبية والدوافع الإيمانية. و"جان جاك Rousseau" الذي أغفل دور الدين وأهم أثره في توجه المجتمع. وأصبحت أفكاره من أهم دساتير الثورة الفرنسية الملحدة. (1)

و- علاقة الرسول ﷺ بأهل الكتاب:

لقد بعث الله ﻥٰبٰی ﻟِهِ وسلم رسولاً هدى ورحمة للعالمين جميعاً، عرهم وعجمهم، وأهل الكتاب مأمونون باتباع الرسول ﷺ والإيمان به، قال تعالى: "وَيَقُولُ الَّذِينَ آتَيْنَاهُم الْكِتَابَ اِنْتَهُوا بِمَا أَتَى مِنْ نُذُورٍ فَلَا يَؤْنِي عَلَى الْمَشْرِقِ وَلَا الْمَيْرَانِ، وَلَا يَنْعُمُّ وَلَا يَصْلِبُ وَلَا يَلْبَثُ مَا جَآءَهُ مِنْ نُذُورٍ فَلَا يَنْعُمُّ وَلَا يَصْلِبُ وَلَا يَلْبَثُ مَا جَآءَهُ مِنْ نُذُورٍ، وَلَا يَنْعُمُّ وَلَا يَصْلِبُ وَلَا يَلْبَثُ مَا جَآءَهُ مِنْ نُذُورٍ". (2) وقال تعالى: "وَيَقُولُ الَّذِينَ آتَيْنَاهُم الْكِتَابَ اِنْتَهُوا بِمَا آتَى مِنْ نُذُورٍ فَلَا يَؤْنِي عَلَى الْمَشْرِقِ وَلَا الْمَيْرَانِ، وَلَا يَنْعُمُّ وَلَا يَصْلِبُ وَلَا يَلْبَثُ مَا جَآءَهُ مِنْ نُذُورٍ، وَلَا يَنْعُمُّ وَلَا يَصْلِبُ وَلَا يَلْبَثُ مَا جَآءَهُ مِنْ نُذُورٍ، وَلَا يَنْعُمُّ وَلَا يَصْلِبُ وَلَا يَلْبَثُ مَا جَآءَهُ مِنْ نُذُورٍ، وَلَا يَنْعُمُّ وَلَا يَصْلِبُ وَلَا يَلْبَثُ مَا جَآءَهُ مِنْ نُذُورٍ". (3)

وقال النبي ﷺ: (وَالَّذِي نَفَسُ مُحَمَّدُ يَبْدِلُهَا لَا يُسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأَمْرَةِ، يَهْوَيُ الْأَخَذُ وَلَا الْقَضَايَةُ ثُمَّ يَمْتَوْتُ وَلَمْ يُؤْمِنَ بِالْأَمْرِ الَّذِي أَرْسَلْتُ به، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْثَّلَاثِ). (4)

---

(1) انظیر: العلمانية-سفر الجوازї-170. وسلسلة «تراث الإنسانية-مجموعة من الأساتذة-1/577-578».

(2) سورة النساء-قرآن الآية(47).

(3) سورة المائدة-قرآن الآية(19).

(4) صحيح مسلم-كتاب الإمام-باب وجوب الإيمان والآيات النبیة مربوطة إلى جميع الناس ونسخ الملك بعثته-عدد الحديث(218).
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

هذا ما قرره النصوص الشرعية، أما أعضاء الجمعيات القومية فيقولون: إن علاقته الرسول بأهل الكتب كانت علاقة جامحة ومؤمنة، يقول محمد جميل بيههم: "كان محمد على اتصال بالمسيحين، على غرار سائر مواطنيه. وقد حافظ محمد على ولائه للنصارى بعد البخة وكان يجالس بعض أعمامهم في مكة"(1).

وأما عن اليهود الذين كانوا بالمدينة فرَّى محمد جميل بيههم أن لهم بدأ في هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة، يقول بيههم: (إن العلاقة الحسنة لا تخص النصارى بل تشمل اليهود، الذين رحبوا بثورة) محمد على الوثيقة وبانتصار الإسلام في يربّر، ولم يكن يعود ذلك إلى عاطفة دينية فحسب، بل كان يرجع على الأكثر لنزعة اقتصادية.

فاليهود ما إن رأوا الإسلام بدأ ينتشر في يربّب حتى رحبوا به على اعتباره فرصةً من اليهودية مفروضًا أم يكون مؤيدًا لهم على الوثيقة فيها، وحتى شجعوا بطرقهم الخاصة المسلمين من أهلها على إقناع محمد بأن ينتقل إلى يربّب"(1).

ولعمق العلاقة بين الرسول ﷺ وأهل الكتب عند بيههم، بين "أن صلاة النبي ﷺ إلى جهه بيت المقدس كانت مبالغة في مجملتهم"(3).

لقد استغل أعضاء الجمعيات القومية العربية هذه المفاهيم الخاطئة، من أجل الدعوة إلى مبادئ الجمعيات القومية العربية، مثل ذلك ما ذكره جرجي زيدان:

(1) فلسفة تاريخ محمد -محمد جميل بينهم- 147.
(2) المصدر السابق- 105.
(3) المصدر السابق- 249.
عن مبدأ الأخوة القومية (الجاهلية)، بقوله: "الصراع بين الإسلام والنصرانية بدأ تتأثر هذا الصراع بالتشويه التدريجي في عهد استمرار التمدد الحديث حيث انطلقت الحرية في أوروبا، وتحررت أعلام رجال الفكر من نحو رجال الدين".

ز- وفاة الرسول ﷺ:
قالت عائشة رضي الله عنها كمان النبي ﷺ يقل في مرضه الذي مات فيه: (يا عائشة ما أزال أحد ألم الطعام الذي أكلت بخير فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السمن).

إن حديث أكل الطعام المسموم، والذي قدمته يهودية من يهود خبير، ورد في سنن أبي داود، وجاء فيه: أهذى له يهودية بخير شاة؛ مُلئها سمنها فأكل رسول الله ﷺ منها وأكل القوم، فقال: (ارفعوا أيديكم، فإنها أخبرتني أنها مسومة) فماتت بشر بن البراء بن معرور الأنصاري، فأرسل إلى اليهودية: (ما حملك علَّي الذي صنع؟) قالت: إن كنت نبي لم يضرب ذلك الذي صنع، وإن كنت ملكا أرحت الناس منك، فأمر بها رسول الله ﷺ فقتلت، ثم قال في:

المصدر السابق-٢٤.

(١) (الأمير) عرف مسقط الصلب والقلب متصل به، فإذا انقطع لم تكن معه حياة. قال الأصمي:
(٢) (الله) ولفداً وجبب تحت آكره... لدم الغلام وراء فيه بالحفر. غريب الحديث-ابن سلام الهروي-١/٨٦٤ (م). وانظر: فتح الباري-ابن حجر-٣٣٢/٧٢٣.
(٣) صحيح البخاري-كتاب النقتي-باب مرضي النبي صلى الله عليه وسلم ووفاتته.
وَجُنُّهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: (مَا زَلَّتْ أَحَدٌ مِنَ الْأَكْلِةِ الَّتِي أَكْلُتُ بِخَيْرٍ فَهَذَا أَوْلَٰٓانُ قَطَعْتُ أُنْهَرِي) (1).

وَأَمَّا تأَثِّرُ الْنِّبِيُّ ﷺ مِن هَذَا الْسَّمُّ فَقُدْ وَرَدْ فِي صَحِيحِ الْبِخَارِيِّ كَأَمَّا حَدِيثٌ عَاشِيْشَ السَّابِقِ، وَقَدْ أَخَرُ الْسَحَابِيِّ أَنَّ الْمَالِكَ عَن ذلِكْ فَقَالَ عِنْ تَأَثِّرِهِ: فَمَا زَلْتُ أَعْرَفُهَا فِي أَلْهَوَاتِ (2) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. (3)

إِلَّا أَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ بِهِمْ رَدَّ الْحَدِيثَ الثَّانِي بِقَوْلهُ: (إِنَّ الْعِلْمَ مِنْ أَكْلَهَا هذِهِ الْشَّأْنَ الْمَسْمُوْمَة عَادَتِ الْنِّبِيُّ ﷺ فَكَانَتْ سَبَبًا فِي وَفَاتِهِ، بِئِنَّا غَيْرُ مُعْمِمُنَّ لِهذِهِ الْرَوَايَةَ كَمَا أُنَّ أَشْكُ فِي صَحِيحَ مَا يَرْوَى عَن الْنِّبِيِّ ﷺ فِي هذِهِ الْمَنْسَبَةِ (أَنَّ أَكْلَهَا خَيْرٌ لَّمْ تَزُّلْ تَعَاوَدًى وَهذَا زَمَنٌ أَنْقَطَعُ أُنْهَرِي)». (4)

وَهَذَا الْمَوْقِفُ يَضُفُّ إِلَى الْمَوَاقيِنَ الْكِثِيرَةِ وَالْمَأْثُورَةَ عَنْ أَعْضاءِ الْجَمِيعَاتِ مِنْ رَدَّ الْسَّنَةِ النَّبِويَّة. وَسِبْبٌ إِنْكَارُ مُحَمَّدٍ ﷺ بِهِمْ لِلْحَدِيثِ أَنَّ عَقِلَهُ لَا يَقِبِلُ كَما يَقُولُ: أَنْ يَبِقُّ مَفْعُولُ الْسَّمُّ قَاتِلًا بَعْدَ مَرُورِ هذِهِ الْسَنَينِ). (5)

(3) صحيح البخاري-كتاب الهية-باب قول أهل الصدمة من المشركون-رقم الحديث (2442).
(4) فلسفة تاريخ محمد-محمد جليل بينهم-2/202-203.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

إن ثبوت الرواية وشهادة الصحابي أنس بن مالك ﷺ على تأثر النبي ﷺ بالسم، يردان على من استبعد الحادثة، وكذلك يُفهم من قول الرسول ﷺ: (ما أزال) أن تأثير السم لم يفارقه وفي سنة وفاته اشتد عليه ولذا قال: (فَهَذَا أَوَّانٌ وَجَذَّبَهَا الْقَطَاعُ أَبْهَرُي) (1). لما يؤيد هذا المفهوم أن الرسول ﷺ قد أعطى قوة في الصبر، قال عبد الله بن مسعود ﷺ: دخلتُ على رسول الله ﷺ وهو يُوعَكُ، فقالت: يا رسول الله إنك تَنْوَعُك وَعَنَّا شَنْدِيدًا! قال: (أَجَلَ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلٌ مِنَ الْمَكْمُوتِ) (2).

ورغبة في الاختصار فقد يكون ما سبق بيانه عن موقف أعضاء الجمعيات القومية من سيرة الرسول ﷺ كافياً بفضح زيف تلك المواقف المغزية من سيرته ونبوته ﷺ.

(1) انظر: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى - القاضي عياس - 143/1.
(2) صحيح البخاري- كتاب المرضي-باب أشد الناس بلاء الأبیاء-نم الانکثَل فالأمثل- رقم الحديث 5216.
الباب الثالث

موقف الجمعيات القومية تجاه الهجرات الإصلاحية المعاصرة لها

الفصل الأول: موقفها من الدولة العثمانية والدعوة إلى الجامعة الإسلامية

المبحث الأول: موقف الجمعيات القومية من الدولة العثمانية
المبحث الثاني: موقف الجمعيات القومية من الجامعة الإسلامية

الفصل الثاني: موقفها من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

أولاً: وصف الدعوة الإصلاحية واتباعها بأنها مذهب محدد في الإسلام

ثانياً: نقد منهج الدعوة بإزالة الشركيات من واقع المسلمين

ثالثاً: اعتبار الدعوة (الوهابية) حركة سياسية ذات مطلع مادي
الفصل الأول
موقفها من الدولة العثمانية والدعوة إلى الجامعة الإسلامية:

المبحث الأول: الدولة العثمانية

تعتبر الدولة العثمانية مرحلة تاريخية من مراحل هذه الأمثلة التي يربط أفرادها كتاب الله وسنة رسوله، وقد امتدت تاريخها وتصدرها للعالم الإسلامي مدة تزيد على خمسة قرون.

ولم تتعرض دولة ساسة العالم الإسلامي للنقد والنهب العسكري والفكرية، كما تعرضت له الدولة العثمانية، وفي فترة من سنين نبت فيها نابثة السوء، فظهرت الافراحات العقائدية، وشرحت قوانين تنافض كتاب الله وسنة رسوله، مما جعل أصل الالتفاء يتغير ويتبدل بين أفرادها، فأصبح كل قوم يدعو إلى قوميته، فكتب الله عليها السنة الإلهية التي لا تغير، قال تعالى: "وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرْآنِ إِمَاتَواْ أَتَقُواْ ۚ فَقُضَاهُمْ بِمَا كَتَبْنَاهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ هُدِيٌّ ۖ إِلَيْهِ الْمُسْتَقِيمُ (١)".

(١) سورة الأعراف- رقم الآية(٩٦).
و قال رسول الله ﷺ: "إذا الله زوّى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها. وإن أمسي سبلع من كُلها ما زوّي لي منها، وأغصبت الكُنْدَرْنِيني الأحمر والأبيض، وإن سألت ربي لأتمي أن لا يهلكها بسنته عامَة، وأن لا يسلط عليهم عدوى من سوى أنفسهم فيستحي بعضهم، وإن ربي قال: "يا محمداً إني إذا قضيت قضاء فإني لا أريد، وإن أعطيتك لأتمك أن لا أهلكهم بسنته عامَة، وأن لا أسلط عليهم عدوى من سوى أنفسهم فيستحي بعضهم، ولن أجمع عليهم من بأقطارها أو قال: من بين أقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويستحي بعضهم بعضًا"."

وليس المقصود من إبراز الحدث الدولة العثمانية بذاقاً وقويها، وإنما الذي أريد بيانه هو موقف القوميين العرب من الدولة العثمانية، مما ينبغي أن يذكر أن الجمعيات القومية العربية حينما وقفت من الدولة العثمانية موقف مضاد، ليس لأرض الدولة وإنما كانت موقفها موجهة لذات مقدم الحلفاء، إذ اعتبرت الجمعيات القومية العودة إلى الخلافة الشرعية تخلفاً طبقياً، ومناقضاً للمبادئ العصرية في السياسة والحكم.

وقد ذكر هذا الأمر شيخ الإسلام في عصره مصطفى صبري، حينما بين موقف الأحزاب العلمانية من الخلافة بقوله: "والقصود إلغاؤها مع الملغين في تركيا والأوائلين لأفعالهم من خارج تركيا، هي الخلافة عن رسول الله ﷺ في تنفيذ ما أتى به من شروعة الإسلام". (1)

(1) صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب هذاك هذه الأمه بعضاً بعضاً، رقم الحديث (441).
(2) موقف العقل والعالم من رب العالمين، مصطفى صبري، 1363/4، 369.
لقد اتخذت الجمعيات القومية نقد الدولة العثمانية سلطاً لنقذ الخلافة الإسلامية، وقد بينت مناصب ونظم الجمعيات القومية هذا الأمر، كما في نظام جمعية الشورى العثمانية أن من أهداف الجمعية: "محاولة تغيير شكل الحكومة إلى النظام النباي".(1)

باستعراض تاريخ تأسيس الجمعيات القومية العربية، والنظر في مبادئها ونظمها القومية يظهر أن موافقتها قد مررت بمرحلة مختلفة بحسب الظروف والمناسبات التي يُمعن بها تأسيس الجمعيات القومية العربية، قال محمد عزة دروزة: "لم يشذ سير الفكرة عن ناموس الشروط والتدابير العام حسب الظروف والعوامل المتنوعة"(2) وإن كانت تتفوق جميعها في التحليل والقضاء على مبدأ ومشروعة الخلافة الإسلامية.

وعن إحدى مرحلات تأسيس الجمعيات يقول سليمان البستاني — وهو من المؤسسين للجمعيات القومية —: "تألفنا عصابة لم يكن فيها أثر لفارق بين مسلم ومشيخي وستنا قانونا فجعلنا أول مواده منع التعرض للبحث في الدين والسياسة، وفرضنا على جميع الإخوان إلقاء الخطب والمباحث المفيدة"(3).

و لم تبقى منهجية الجمعيات القومية على هذا المبدأ، بين ذلك محمد جميل بهم بقوله: "كان العالم يتحدث عن المبادئ القومية، ويتعدد بالديمقراطية، ولا سيما أما قررته الثورة الفرنسية من حقوق الأفراد والشعوب، وفي تلك البقطة

(1) حركة البوصلة العربية في الشرق الأسيوي — محمد دنيسي — 97.
(2) حولحركة العربية الحديثة — محمد عزة دروزة — 23/1/23.
(3) الدولة العثمانية قبل الدستور — سليمان البستاني — 55.
التحررية التي شملت أوروبا خاصة أحد العرب يتساءلون لما إذا لا تتمتع بوحدة سياسية تعيد إلينا عزتنا الأولى؟ وكان في طليعة هؤلاء المتسائلين نخبة من رعايا السلطنة العثمانية، ولا سيما في سوريا، الذين تطلعوا إلى استقلالهم أسوة بالشعوب الأخرى غير التركية التي خرجت على الدولة.

ويتين محمد بيهيم أيضاً: "أن في بداية الأمر كان العرب لا يرجون على المجاهدة في هذه الأمانى القومية، لأن الأوساط العربية لم تكن مستعدة للتحاور معهم في الخروج على دولة الخلافة. ولذلك فإنهم شرعوا يعبرون عن مشاعرهم هذه ضمن نطاق الدعوة إلى العلم وإلى النهضة المؤدية إلى استرداد عزة العرب وكرامتهم".(1)

وكان من آثار الانقلاب على السلطان العثماني، أن ظهر في المجتمع مبدأ النقد العلي والمطالبة بالحقوق بمنهج القوة.(2) وفي أثناء إعلان الدستور وتوالي جمعية الاتحاد والترقي سياسة الدولة، أصبحت الأوساط العربية مؤهلاً لاستقبال مبادئ الجمعيات.

وقال بيهيم: "تكتل الشباب في العاصمة وسواها ورفعوا أصواتهم في نطاق المطالب بحقوقهم القومية، واستهلت عملها بالمطالبة باللامركزية، وانتقل هذا الطلب إلى مرحلة أخرى وهي المطالبة بالاستقلال التام والتطلع إلى وحدة البلاد العربية".(3)

(1) الوحدة العربية- محمد جميل بيهيم- 101-11 (تصريف يسير).

Yol AYRIMINDA TURK- ARAP ILISKILERI:
(2) انظر الوحدة العربية- محمد جميل بيهيم- 101-11 (تصريف يسير).
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

ويمكن حصر مراحل وتطور مواقف الجماعيات بما يلي (1):

المراحل الأولى: موقف الجمعيات من الدولة خلال حكم السلطان عبد الحليم.

المراحل الثانية: موقف الجمعيات من الدولة بعد إعلان الدستور.

لقد وقفت الجمعيات القومية العربية من الدولة العثمانية والدعوة إلى الجامعة الإسلامية مواقف محددة، ففي فترة زمنية من عهد السلطان عبد الحليم لم يكن هناك تقسيم بين أفراد الدولة العثمانية، كانت تجمعهم كلمة واحدة وهي (مسلمون) و(كفارون) فقد كانوا يعتبرون أن الدولة دولتهم فهي دولة الإسلام، وأن المسلمان المسلم هو الوارث الفعلي لرئاستهم الدينية، وحمامي جميع الإسلام، ورافع لواء الجهاد ضد الكفر والكفار، حتى إن تسمية (عرب) لم تكن تطلق عليهم في الوثائق والكتب والمعاملات، بل كانت تسميهم الشائعة هي كلمة (مسلمون) هم، والترك على حد سواء في عصر كان الدين هو الفارق المميز بين الأجناس والقوميات (2).

وقد سطر المستشرقون أثناء زيارة رقم للقسطنطينية سنة 1856م (1881 ه) ضمن ملاحوظهم على الناس: أن كلمة (ترك) تفهم وتعني من متراضات الفظاعة والشكاسة والهمجية، وحينما يقدم المستشرقون

(1) قد يظهر لبعض أعضاء الجمعيات القومية مواقف تخلف الترتيب الزمني الذي ذكرته، وهذا لا ينقض المبدأ العام ويكون موقفه لأغراض خاصة. وإنما الترتيب الذي ذكرته هو عبارة عن رصد توجه عام عن سيرة الجمعيات القومية لا نقض تصرفات الأفراد.
على تنبيه الناس إلى الخطورة العظمى التي يجب اعتبارها في شأن محتدر الجنس الشرقي، كانت إجابات الناس: (ولكن بالله عليك لا تجعلنا في مصاف "الكثير غير" وفاجعة النت). وقال المستشرقون كدنا لا نرى إلا أقل من القليل من الترك في القسطنطينية من يذهب مذهب الجد والاهتمام في شأن الجنسية التركية أو اللغة التركية\(^1\).

وكان ولاؤهم للحاكم الذي أضيفت عليه ألقاب إسلامية فهو (نائب الله على الأرض) و (إمام المسلمين) و (ظل الله) و (خادم الحرمين الشريفين) و (حامي الشريف وحاكمها)\(^2\).

كان هذا هو الموقف لدى أعضاء الجمعيات القومية العربية عن الدولة العثمانية\(^3\)، إلا أن هذه المبادئ قد تغيرت وظهرت مواقف تناسب مع التطور الفكري والمنهجي للجمعيات القومية العربية. ومع الظروف التي مرت بها الدولة العثمانية من التفاف الأوربيين النصاري عليها، وقد أغرهم وضع الخطر الذي تعانيه الدولة العثمانية، فالتحلل الداخلي، والضعف العسكري أفك قواها\(^4\).

ويقدر محمد عزة دروزة عن الظروف التي مرت الجمعيات القومية العربية بها والتوسع في تأسيسها، يقول: "ساعد على ظهور هذه الحركات ظرف مهم، وهو حرب البلقان 1912-1913م وخروج زمام الحكم من يد الاتحاديين".

---

\(^1\) حاضر العالم الإسلامي-لوروب- 111/4.

\(^2\) نشأة القومية العربية - زين نور الدين زين - 26.

\(^3\) انظر: نشأة الحركة العربية الحيدية - محمد عزة دروزة - 178.

\(^4\) العثمانيون والبلقان-علي حسن-177-المكتب الإسلامي-الطبعة الثانية-1961-1411هـ.
الجمعيات القومية العربية وmöglichها من الإسلام والمسلمين

- جمعية الاتحاد والترقي - وقيام وزارة محافظة التلافية أي منسوبة إلى حزب الاتلاف المعارض لحزب الاتحاد والترقي، أو بالأحرى منسقة معه، حيث اغتنم ساحة العرب ومنار ونورهم الفرصة فقاموا بنشاطهم وحركاتهم.((1))

ويمكن حصر مواقف الجمعيات القومية بالأمور التالية:

أولاً: اعتبار الدولة العثمانية مستعمرة للبلد العرب:

لقد اعتبرت الجمعيات القومية العربية أن الدولة العثمانية مستعمرة للبلاد العربية قائلًا: أعداء داغر نصري مع أعضاء الجمعيات القومية. ((2)) إن العرب الباقيون تحت سيطرتهم كانوا ينظرون إليهم نظرهم إلى أعداء مختربين قساة ومماليك. فقد سادت بالداخل الجهل والفقر والظلم وأهدروا كرامتهم وانتهكت حراماتهم ودسوت حرابهم وأدخلت أعناقهم وأفسدت لغتهم وبارت أرضهم وأصبحوا هدفاً لكل قوى مستعمرة ومطيعًا لكل طاعم جشع، ومن أجل ذلك كان العرب .. جميعهم على كره الترك ومحاولة التخلص منهم.((3))

فأصبحت الدولة كما قال محمد عزة دروزة: "ظلمة غامضة، وامتلاء قلوب الناس بالرعب والعدوان على أموالهم وحرابهم، والسلطان سار في الأسلوب الاستبدادي الذي لا رقابة للشعب عليه".((4))

((1)) حول الحركة العربية الحديثة - محمد عزة دروزة - 37/1.
((2)) مذكرات على حامش القومية العربية - أسعد داغر - 47.
((3)) نشأة الحكومة العربية الحديثة - محمد عزة دروزة - 177.
وتوصيلًا لهذا الموقف أخرج عبد الرحمن الكواكبي كتابه (طبائع الاستبداد) الذي ذكر فيه: آثار الاستبداد على الدين والدولة والحرية ...

وأما جاية في الكتاب: (الحكومة المستبدا تكون طبعًا مستبدا في كل فروعها، من المستبد الأعظم إلى الشرطي إلى الفراش إلى كناس الشوارع، ولا يكون كل صنف إلا من أسفل أهل طبيته أخلاقاً ... إن العقل والتاريخ والعبان، كل يشهد بأن الوزير الأعظم للمستبد هو اللذي الأعظم في الأمة، ثم من دونه من الوزراء يكون دونه لومًا).

وكتابه الآخر (أم القرى) والذي طالب فيه بخلافة عربية، بل يجب إقامة خلافة عربية مقام الخلافة العثمانية، وألقي بذور الشك في صحة اعتبار السلاطين العثمانيين خلفاء المسلمين.

ويعتبر أعضاء الجمعيات أن ما جاء في كتاب طبائع الاستبداد وأم القرى، يعد نخة صغيرة مما أملته عليه بيته، وسجل ينطق بأخبار الظلمة وقبيح أثرهم، فلا عجب أن دعا الكواكبي على رزازة فيه، إلى نزع أيدي العرب من سلطان الأتراك.

إن الظالم المستبد الموصوف في كتاب طبائع الاستبداد، يراد به السلطان عبدالمحديد، ولذا طالب الكواكبي بكثير مما كتب عن الدعوة إلى الحرية بفصل.

---
(1) طبائع الاستبداد - عبد الرحمن الكواكبي - 20-24.
(2) الاتجاهات الفكرية عند العرب - علي المحافظة - 133. وانظر: أم القرى - الكواكبي - 234-235.
(3) المعاصر - محمد كرد علي - 282.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

السُلطنة الدينية عن السلطة المدنية، لأن السلطان عبدالحميد قد استخدم سلطته الدينية بوصفه خليفة للمسلمين، وكان العرب يطالبون بأن تكون الخلافة على شؤون المسلمين للعرب(1).

وتقريراً لمبدأ الجمعيات في وصف الدولة العثمانية بأنها مستعمرة للبلاد العربية، نصَّت دستور الجمعيات على المطالبة بالتحرر ونيل الاستقلال(2)، ويعتبرون سيادة الترك العثمانيين، في البلاد العربية كانت طويلة الأمد أكثر من كل سيادة أجنبية أخرى، فقد استعمروا البلاد العربية سياسياً(3).

وأما من أبرز الجمعيات التي تولت إعلان هذا المبدأ "حزب الامامية" الذي كان له الأثر في تحقيق هذه الغاية، وكذلك "الصدى الأولي" الذي قال عنه سعد داغر: "أقوى عامل في بث الفكر الوطني في فنوس العرب. وثب الدعوة إلى الانفصال عن الترك وإعلان الاستقلال العربي"(4).

وفي كتاب "ثورة العرب" بيان عن مقصد الجمعيات القومية العربية، فمما جاء فيه: "رأى العرب بعد ما دهمتهم المصائب وتوالت عليهم النكبات أقدموا إلى حال من الخطر لم يسبق له مثيل في إحرام الأزمات، فعملوا بمصر لا

---

(1) انتظر: الإتفاقيات الوطنية في الأدب العمالي- محمد حمدي حسين- 280/1.

(2) انتظر:...

1. البلاد العربية والدولة العثمانية- ساطع الخصري- 2.

2. التاريخ العربي الحديث- أحمد رجب عبد الحليم ورفيق شاكر- 152.

(3) قضية العرب- علي ناصر الدين- 155.

(4) مذكراتي على هامش القضية العربية- سعد داغر- 32.
تعرَف الكل على درء ذلك الخطر العظيم، فقررّوا أن يلتقوا كلهم؛ جميعاً، وأحزاهم وكل من نجا منهم من مذابح الأتخاديين حول زعيم كبير من زعمائهم البعيدين عن سيطرة الترك والأجانب وأن ينظموا تحت إمته قوة عربية كافيةً للوقوع في وجه الأتخاديين وإنقاذ الأمة العربية من مخالبهم.(1)

ثانيًا: القضاء على الخلافة الإسلامية:

كان للجمعيات القومية العربية أهداف تجاه الدولة العثمانية أبرزها القضاء على مقام الخلافة الإسلامية، حيث طالبت الجمعيات بالحكم الدستوري، والسير وفق نظام ومبادئ الدول الكافرة — مشتركة في ذلك مع أعضاء جمعية الاتحاد والترقي — وهذا يعني إلغاء الخلافة الإسلامية، كما بين هذا الأمر الشيخ مصطفى صبري بقوله: "إن نقل السلطة من يد الخليفة إلى أيادي المجلس كان خطوةً إلى الوصول إلى الهدف وهو إلغاء الخلافة وإبطالها على التدرّج".(2)

والسعي لتطبيق الدستور العلماني يعني إلغاء الشريعة، والذي يقوم الخليفة بتطبيقها على الناس، لأن الإمامة رياسة تامة، وزعامة عامة، تتعلق بالخاصة والعامة، في مهام الدين والدنيا، مهمة حفظ الحوزة، ورعاية الريعة، وإقامة الدعوة بالحجة والسيف، وكف الخوف والخوف، والانتصاف للمظلومين من الظالمين، واستيفاء الحقوق من الممتنعين، وإيفاؤها على المستحقين.(3)

---

(1) ثورة العرب - أحد أعضاء الجمعيات القومية العربية - 187. ونظر:
(2) نهجية تقدير الأستاذ شار روبريرجرون - إعداد/عبداللله التيمي - 1996 - منشورات التيمي للبحث العلمي والمعلومات.
(3) النكر على مجري النعمة من الدين والخلافة والأمة - مصطفي صبري - 9.
(4) الغياثي غياث الأمم في النتائج الظلم - الجنوبي - 27 - مطبعة هستة مصر.
ولما كان هذا الدستور نظاماً ديمقراطياً، أي أحكام كفر، وهو كنظام
دموقراطي ينافض الإسلام، وهذه الأحكام نفسها تنافض الإسلام، وإذا طبقت
فإن تطبيقها يعني إلغاء نظام الخلافة، وإقامة دولة كأي دولة أوروبية١).

وذكر (لورانس) الخطة الصليبية في القضاء على الخلافة الإسلامية، وهي
كما يقول: "علينا أن ندفع بالعرب لانتزاع حقوقهم من تركيا بطرق العنف،
فإنما هذا نقضي على خطر الإسلام وندفع به (أي بالإسلام) لإعلان الحرب
على نفسه، وبذلك نمره من القلب. إذ ينهض في مثل هذا الصراع خليفة في
تركيا وخليفة في العالم العربي ويخوض الخلفتان حرباً دينية وبذلك يقضى على
خطر الخلافة الإسلامية بصورة غاشية٢). وهذا التدبير الماكر باركت الدول
الصليبية ثورة الشريف حسين بن علي ونصبته نفسه خليفة للمسلمين٣).

ومن أجل تبرير القضاء على مقام (الخلافة الشرعية) سطر أعضاء
الجمعيات القومية العربية بعض المبادئ والمفاهيم حول الخلافة العثمانية،

(1) كيف هدمت الخلافة-أبوالقوم زلوم-41-1382هـ.
(2) لورانس العرب على خطى هرتزل-74-7- تقدير لورانس السرية-ذا الفاتح-دار الفيالس- 4- بيروت.
(3) قدمت إيطاليا مقترحات لها للحلفاء في الحرب العالمية الأولى لغاية دخولها الحرب معهم ضد ألمانيا
وبروكيا، وما جاء في هذه المقترحات: إن الحكومة الإيطالية تؤيد رأي الحكومة الروسية بضرورة
فصل الحكومة الإسلامية التي ستكون في الحجاز على أنقاض السلطنة العثمانية عن الخلافة، وأن
تكون تحت طائل النفوذ البريطاني.

ب-إن الحكومة الإيطالية تؤيد بكل قوة النزع الخلافة من الأتراك وإلغائها باتناً إذا أزم الأمر.
ج-إن تكون حصة إيطاليا في البلاد التي تسليح عن السلطنة العثمانية مساهمة مماثلة للأراضي التي
ستعطى لبريطانيا وفرنسا. (انظر: وثائق التدخل الأجنبي في الوطن العربي-مسؤلي الكاظم
فذكرت صحفة الهلال القومية أثناء احتفال الجمعيات القومية بإسقاط السلطان عبد الحليم، أن منبع استبداد الدول الإسلامية في قدم الزمان وحديثه هو قصر الخلافة ودار الملك والإمارة حيث تكثر دسائس المقربين ويشتد حرصهم على الجـاه، وطبعهم في جميع الأموال، والأمة في جميع الأحوال شحصية بصرها لا تطلع على خفافيس السياسة وتدابير الملك(1).

وتنقل الجمعيات القومية العربية: إن الخلافة في العهد العثماني قد سلمت لقيادة المساكر وإدارة المكاتب العسكرية، وهم أباس لا أهلية لهم ولا يهتمون إلا بالتجسس على أصحاب الأفكار المفرطة، وإبعادهم عن مركز الإدارة، ويعدون ذلك خدمة للسقاطة والمحافظة على الخلافة الإسلامية(2).

ونشرت صحفة المنار خبر إسقاط السلطان عبد الحليم، وما ذكرته في الخبر: عز عليه — السلطان عبد الحليم — أن يسلب بالدستور والحرية ما كان ينجلو من صفات الربوبية، ككونه يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد لا رأً لأمره ولا معقاب لحكمه، ولا حدود لأمره وفوجه... وقد كان من أمر الولايات العثمانية عندما علنت بكيد عبد الحليم للحكومة الدستورية أن كتب إلى مجلس الأمة بوجوب خلعه ونفي اليد من بيعته وإعلانه أن الجنود مستعدة لحربه(3).

(1) مجلة الهلال-الجزء الثاني-السنة 17-1908/11/10-ص: 71
(2) المصدر السابق-الجزء الثالث-السنة 17-1908/12/11-ص: 162
(3) مجلة المنار-العدد الصادر في 29/4/1909-الموافق 1327/5/19-الموافق 1909/5/19
ويذكر سلطان الحفصي أن فكرة الخلافة العثمانية ساعدت كثيرًا على استسلام العرب للحكم العثماني، وأحرت كثيرًا نشوء فكرة القومية العربية(1).

وقد اعترض محمد عزة دروزة على قول بعض العلماء بوجود طاعة السلطان الجائر أو الظلم. واعتبر دروزة هذا القول أنه سبيل التزلف لبعض الملوك وتتوطيد سلطاتهم(2).

ومع ما في هذا الاعتراض من قدح في علماء الأمة الذين قالوا بوجود طاعة ولي الأمر وإن كان جائراً دون محاكاة لأحد من البشر أو تزلف لمخلوق، فإن فيه ردًا للكثير من نصوص الشريعة الدالة على وجود طاعة ولي الأمر الجائز.

إن الطاعة مبدأً عظيم فيه تستقيم الأمور، وهي من الأمور المهمة التي تساعد في تمكين الدولة من تنفيذ الواجب عليها من حقوق، وقد فهم عمر بن الخطاب هذه القضية فقال: إنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة، فمن سودة قومية على اللبقة كان حيآتة له وليهم، ومن سودة قومية على غير لقبة كان هلاكا له ولههم(3).

ورغمًـ في بيان موقف السلف سأوـق أدلةهم في حق الطاعة لولي الأمر الجائز، لأن حق الطاعة لا يلزم أن يكون الإمام عادلًا، فالحكام الجائز الفاسق

(1) البلد العربية والدولة العثمانية-ساطع الحفصي-35.
(2) الدستور القرآني في شئون الحياة-خالد عزة دروزة-86-8-الأخبار الكتب العربية-1376هـ.
(3) سنن الداري-المقدمة-رقم الأثر (253).
ولم يصل به فسقه إلى ما يوجب عزله عن الإمامة تجرب طاعته، وهذا الذي فهمه السلف من النصوص التالية:

روى حديثاً بن يحيى، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (Si) يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدواء، ولا يستنون بسنتي، وسيقومون فيهم رجال قلوبهم قلوب الشيطان في جنود الله، قال قلت: كأن أصنع يا رسول الله إن أدركتم ذلك قال: تسمع وتطبع للأمر، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاستمع وافط (1).

وعن أنس بن مالك عن أسيد بن حضير رضي الله عنه أن رجلاً من الأنصار قال: (يا رسول الله ألا تستعملن كما استعملت فلاناً، قال: سندون بعدي أئرة فاصبروا حتى تلقؤي على الحوض) (2).

و لم يوجه الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بالخروج على الولاية إذا جاروا، فإنما وجههم عليه أفضل الصلاة والسلام إلى السمع والطاعة ما لم يؤمنوا بمعصية، ويجب الصبر على جورهم، وأداء الواجب الذي هم كما في الأحاديث التالية:

و عن أبي عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم: (على الأمر المسلمين السمع والطاعة فيما أحبب وكَرِهَ إلا أن يؤمَر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) (3).

---

(1) صحيح مسلم- كتاب-باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتنة وفي كل حال وتحرميز الخروج على الطاعة وممارسة الجماعة-رقم الحديث(543).
(2) صحيح البخاري-كتاب-باب قول الله تعالى للأنصار اصبروا حتى تلقؤي على الحوض- رقم الحديث(808).
(3) صحيح مسلم-كتاب الإمارة-باب وجوب طاعة الأئمة في غير معصية وتخليطها في المعصية- رقم الحديث(3243).
وقال ابن مسعود: قال لنا رسول الله ﷺ: "إنكم ستزوون بعيد أئمة وأموّيًا تنكرونه قلوا: فما تأمّرسنا يا رسول الله؟ قال: أذونا إليهم حقهم وسلوا الله حفظكم." (1)

وعن عوّف بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: (حُبِّر أنتمكم الذين تحبونهم وتحبونكم، وتصلون عليهم وتصلون عليهم، وشرار أنتمكم الذين تغضونهم وضغضونكم، وتلعبونهم ويلعبونكم، قال: يا رسول الله أفتكم نتابهم بالسيف؟ فقال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة وإذا رأيتم من ولاءكم شيئا تكرهونه فأكرهوا عمله ولا تزغوا بدلاً من طاعة" (2).

لقد روى علماء السلف هذه الأحاديث وبينوها لنفس تقريباً للناس وبياناً لدينه، ولذا قال الأعشى: "من أمّر عليك من عربي أو غيره، أسود أو أبيض أو عجمي فأطعه فيما ليس لله عز وجل فيه محبة، وإن ظلمك حقاً لك، وإن ضربك ظلماً لك، وانتهك عرضك وأخذ مالك" (3) وهذا باتفاق السلف الصالح" (4).

(1) صحيح البخاري-كتاب الفتن-باب قول النبي ﷺ ستزوون بعيد أئمة أموّيًا تنكرونه-رقم الحديث 2171.

(2) صحيح مسلم-كتاب الإمارة-باب حببر Anthropomorphic Nutrition-رقم الحديث 2447.

(3) الشريعة-الأجرو-4-دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان-الطبعة الأولى-1403هـ-وأشار:

1. الشرح والإيضاح-ابن بطة-272-279.

2. شرح أصول انتقاد أهل السنة والجماعة-اللكافي-151-152.

3. المشقة في بيان الحق وشرح عقيدة أهل السنة-الكيفاني-2/391.

4. شرح العقيدة الطحاوية-ابن أبي العر-3/64.

(4) الروضة النذية شرح الدرر البيهية-محمد صديق خان-1776.
الجمعيات القومية العربية ومنفعتها من الإسلام والمسلمين

وقد قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب: "أرى وجوه السمع والطاعة لأئمة المسلمين برحهم وفاجراهم ما لم يأموا بمعصية الله، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به، وغلبهم بسيمه حتى صار خليفة وجبت طاعته، وحرم الخروج عليه" (1).

كما اعتُبر دروزة أن اهتمام السلاطين العثمانيين بلقب الخلافة ومداها عظيم وبخاصة في العهود الأخيرة التي تكابل فيها ملوك أوربا النصارى على الدولة، حيث كانوا يذهبون إلى أن ذلك يجعل دولتهم ذات مكانة وأهمية عند جميع المسلمين، وبالتالي يجعل هؤلاء الملوك يترددون كثيرًا في الإقدام على تحقيق مطالبهم في بلاد الدولة. وأدى في الوقت نفسه إلى تجسير شعور المسلمين العرب، واستنامة جمهورهم إلى الحكم العثماني، رغم ما صار إليه من ضعف وسوء شديد، مما ظهر آثاره حينما اشتدت الحركة العربية الحديثة بعد إعلان الدستور سنة 1908م وطموح القوميين العرب إلى إعادة مجدهم القومي في ظل سلطان عربي وراثية عربية (2).

وهذا المبدأ لما يؤكد على أن القضية ليست الدولة العثمانية إنما الأصل القضاة على المفهوم الشرعي للخلافة الإسلامية، ولما طرحت جمعية رابطة الوطن العربي فكرة تحجيم الخلافة وحصرها في الأمور الدينية، ومقرها الحجاز، وولاية الخليفة على المسلمين بأن سلطته روحية (3).

---

(1) مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب-511.
(2) نشأة الحركة العربية الحديثة-محمد عزة دروزة-187.
(3) بقطة الأميرة العربية-جعيب عازوري-37.
كما هو ل-position the intellectual and cultural society, and the society of the nation, in the
matter of determining a place for the Arab society, which is a position affected by the goods of the people who
took their base in Rome, the first Christian nation, in Europe, which is run by the council of the holy
and the kings of the land.

Future of Islam

دعنا المستشرقون إلى هذا القول، ومنهم مؤلف كتاب "مستقبل الإسلام" الذي دعا في سنة 1882، إلى هذا الرأي، فقال: (إن
مركز الدين وعاصمته في جنوب العرب، وهي مهد الإسلام ومهد الروحي والإلهام ... إن مكة والمدينة هما الأقوى الشرعي، والملال الروحي لأهل الخل والربط، وستكونان مركز القوة الروحية ... كنا نسمع منذ زمان هذه الجملة السائرة أن (رومة هي العاصمة) كذلك جملة (مكة هي العاصمة) تؤثر تأثيرًا
بالغًا في الأذهان ...).

وشاركت الجمعيات المشتركة في إسقاط السلطان وإلغاء مقام الخلافة، حينما وضعت يدها في يد جمعية الاتحاد والترقي للمساهمة في إسقاط السلطان عبد الحميد، فكانت جمعية الشورى العثمانية التي اتخذت سبيلًا إلى

(1) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر - محمد حسين-283.
(2) نقلًا عن كتاب: مائدة خضر العالم بالخطط للمسلمين - أبو الحسن الندوي Future of Islam (3)
-4- السلطان عبد الحليم الثاني وأثره في نشر الدعوة الإسلامية-محمد قربان نيازغلا-86.
الحجة على إبقاء الحكم الاستبدادي والدعوة إلى التحرر والحكم الدستوري في وسائل دعائيتها التي تطبع بالعربية والتركية، وترسل منشوراتها إلى الموانئ التركية على البحر الأسود، بواسطة المسافرين، وتجارة المراكب الروسية، ومن هناك يستلمها رسل سريون وتوزع في أنحاء البلاد(1).

ورغم المكاتبة بين جمعية الاتحاد والترقي وجمعية رابطة الوطن العربي، لإسقاط السلطان عبد الحميد، فما جاء في المكاتبة:

(إن حجيكم قد تفاهم مع الأكراد والأرمن والألبان والبلغار للقيام بعمل مشترك وما تشرفون به إما هو التفكيك العام للإمبراطورية، إنا سنكون من رأيكم وسنضمن إليكم إذا فقدنا إطلاق كل أمل في إنقاذ البلاد، أعتقدون إذا أن السلطان عبد الحميد خالد؟ بالعكس إنه فان ننتظر موته بين لحظة وأخرى ونسستمع التأكيد أن كل شيء في تركيا سيتغير بموته، وسنتخفي معه هذه العصابة من قطاع الطرق التي تحيطه، هذا نرجوكم أن تقلعوا عن مشروعكم، وأن ننتظر التغيير الذي ننبكم به حينئذ سنستدعيكم وتقدم لكم المركز الذي يليكم بكم(2).

وتم عقد اجتماع في باريس بين مهاجرة الدولة العثمانية (محاربة عبد الحميد والقضاء على حكم المستبد الظالم) (3) وكان ذلك عام 1901م وقد تولت جمعية الاتحاد والترقي قيادة المؤتمر وتنفيذ برامجه، وهي كما يلي:

1. الأمر والترك - توفيق برو - 2111، وانظر:
   1. المدار - مجلد 12، ج 11 ص 842.
   2. حركة البيئة العربية - محمود منسي - 97.
   3. هيئة الأمية العربية - نجيب عازوري - 222.

(1) العربية والترك - توفيق برو - 22.
(2) العربية والترك - توفيق برو - 22.
الأجبار السلطان عبد الحميد على ترك العرش.

ب- تبديل الأدوار الحاضرة من أساسها.

ج- تأسيس أصول المشروطية والمشورة(1).

وقد قوم السلطان عبد الحميد هذا المؤتمر، وبين أن هؤلاء الشباب منقادون لما يديره بعض المتآمرين من الرجال المغزورين. إنهم يقدمون شعارات براحة كونية الأمية وتريقتها، بغية القضاء على النظام القائم وهدم ما بناه الأجداد طيلة قرون خلت، وفي الحقيقة إنهم يريدون الإطاحة برجال دوليّ المجربين وتولي عزم الأمور بأنفسهم، إنهم عصابة منافقة دنيعة تتكرر لديها ووطنها، ولحالفتها الصليبية العدّة في القضاء على أبناء جلدتنا وأخواتنا في الإسلام(2).

ومن نتائج هذا المؤتمر إنشاء جمعية باسم (جمعية التشبث الشخصي واللامركزية) وتأسست لها شعبية بدمشق من قبل رفاق العظم وحقي العظم، ثم في اللاذقية وفي عاليه، وقد تضمن برامج (جمعية التشبث الشخصي واللامركزية): الحكم على أساس اللامركزية، وتوسيع الصلاحيات في الولايات(3) ومبدأ التشبث الشخصي أن لا تكون الأفلاط عالة على حكومتهم بل يسلكون سبل التجارة والصناعة والزراعة في أمر معاشه(4) وهذه نوع من

1) موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية-حسان علي خلاقل-٢٩٤.
2) السلطان عبد الحميد الثاني-مذكراتي السياسية-٤٦-مؤسسة الرسالة-الطبعة الثالثة-٢٠٣٤.
3) الع رب والترك-توفيق برو-٢٤.
الاستقلال الاقتصادي. ويعتبر رفيق العظم من أبرز العرب المنتمين إلى الجمعية (1).

لقد اتفقت مواقف الجمعيات القومية العربية على خلع السلطان عبدالحميد، مع موقف جمعية الاتحاد والتربة، فقد عقد مجلس النواب اجتماعاته بعد نقض السلطان عبدالحميد الدستور، وكان منهم عبدالحميد الزهراوي، وقرروا خلع السلطان عبدالحميد، وحل محله السلطان محمد الخامس (2).

وعوض محمود شوكت (3) وأركان حربه خطة الزحف على استنبول بدقة ناتية، وكانت مهمة عزى علي احتلال محطة استنبول والاستيلاء على كوبيرى... الخ (4).

وهذا يظهر تدبير الماسونية وخليطها للقضاء على السلطان عبدالحميد، متخذة أعضاء الماسونية من الترك والعرب لتنفيذ هذه المهمة، وقاد صرح بهذا الأمر جريزي زياد التعريفي الماسوني (5) وأصبحت شعارات الماسونية (العدالة والمساواة والأخوة) تلوكها ألسن الناس.

(1) المصدر السابق - الجزء الأول - السنة 17-16/10/1908 (2326/9/6) - ص: 19.
(2) محمد الخامس: ولد سنة 1844م، وترأى السلطة بعد خلع أخيه السلطان عبد الحميد 1909م، ولم يكن له من الأمر شيء حتى استبد الاتحاديون بالسلطة من دونه، وأبرز الأحداث التي وقعت في عهده: احتلال ليبيا من قبل إيطاليا، وقيام الاضطرابات في البلقان، ثم دخول تركيا الحرب العالمية إلى جانب ألمانيا-GER - حيث خسرت الحرب، وبالتالي متكافأ في آسيا وأفريقيا وأوربا، توتي سنة 1327هـ-1918 م، انظر: تاريخ الدولة العثمانية- محمد فريد وعجي-9709.
(3) انظر الترجمة رقم (5).
(4) مذكراتي على هامش القومية العربية - أسعد داغر- 23-24 بتصرف.
(5) المخطوطة التلمودية اليهودية الصهيونية- أنتور الخندي-97-دار الاعتصام- مصر- الطبعة الثانية- 1397هـ.
ولاء يخفيه الماسون علاقتهم بالانقلاب العثماني بل إقليم يفخرون بالأدوار الإجرامية التي قاموا بها، وقد قال الفيلسوف الماسوني شاري في حفل أقيم للماسونين: "انظروا إلى إخوانكم الماسونين السالونيكيين الذين قاموا بالحركة الدستورية التي قلب الحكم العثماني في آخر عهد السلطان عبدالحميد دون أن تسيل نقطة دم واحدة، أهل فهم هذا الشعوب الماسوني تفخر الماسونية ويعظم من شأن وساقتها السلمية السليمة". ولا يعرف هذا التأفك أن العثمانيين انسحبوا برضي منهم لكي لا تسيل قطرة دم من مسلم واحد.

وبدأ تجريد (الخليفة) من سلطة التنفيذ واعتبار سلطته روحية، لم تمض فترة زمنية حتى أعلن مصطفى كمال أتاتورك - الصديق الحميم لعزيز علي المصري - إلغاء الخلافة، واستبدل عوضًا عنها (الجمهورية) عام 1924.

ثالثًا: طلب مناصرة الدول الكافرة للقضايا القومية:

إن استغلال الجمعيات القومية العربية من قبل الدول الصليبية قضية لا تحتاج إلى برهان، فقد احتضن أعضاء الجمعيات في معاها ومدارسها، ومن

(1) تاريخ الدولة العثمانية-علي حسون-254.
(2) عزيز المصري والحركة العربية-محمد عبد الرحمن برج-15.
(3) الحديث الفصل تطور إلغاء الخلافة انظر:
1. تاريخ الدولة العثمانية العلية-محمد فريد-188.
2. التفاصيل الفردية والدينية في تركيا المعاصرة-أحمد السعيد سليمان-26.
3. كمال أتاتورك-محمد صبح.
4. الرجل الصنم-ضابط تركي سابق-294.
5. كيف هدمت الخلافة-عبد القنديل زلوم-190.
6. سقوط الدولة العثمانية وأثره على الدعوة الإسلامية-محمي الصافوري-134.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

خلال النظر في سير أعضاء الجمعيات القومية العربية نلاحظ أن الغالب منهم تنتمي للعلم في البلاد الفرنسية، وكان من آخر مؤسس الجمعيات القومية ميشيل عفلك وصلاح البيطار الذين تخرجوا من الجامعات الفرنسية(1).

لقد علم أعضاء الجمعيات أثناء تعرضهم إلى أوروبا وتفهمهم بالعلوم العصرية والإطلاع على مجري السياسة أفهم لا يرون فوض العالم من ذلك الخمول، ولا ي الفندقون التغلب على ذلك التيار القوي إلا إذا نصرهم بعض الدول العظمى، فجاجروا باستنكارهن(2).

وتعد جمعية رابطة الوطن العربي(3) من أبرز الجمعيات القومية العربية التي نادت صراحة بمساندة الدول الصليبية للفقها العربية، فقد دعا مؤسس الجمعية نجيب عازوري النصراني: "الدول المستنيرة والعثمانية في أوروبا وأميركا الشمالية أن تساعد حركتنا بفضل حيادها وتسمحنا بعطاءها"(4).

كما صنعت الجمعية الدولة العثمانية بأناجمية من قطاع الطرق يقودهم مجرم، فهي لا تكلف فقط بالأعمال تحسين وضع الفلاح، ولكنها تعمل بانتظام لتحرير هذا البلد التدريجيًا، لا أمن ولا سلام ولا عدلية في تركيا(5).

(1) انظر: ميشيل عفلك، عفلك الكتابات الأولى، ذوقان، جرقوط-29.
(2) مجلة الهلال-الجزء الأول-السنة 17-1، 1908، ص: 39.
(3) العربي والترك، توفيق برو-77.
(4) يقظة الأمة العربية- نجيب عازوري-38.
(5) يقظة الأمة العربية- نجيب عازوري-61.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

وسلكت الجمعية مسلك المقارنة بين الدولة النصرانية والدولة العثمانية،
فقدات: إن الإنكليز يحسنون اختيار الرجل المناسب للمركز المناسب، أو الرجل
المستقبلي في المكان المناسب، يولون مواطني البلد كل وظيفة تضع صاحبها في
احتكاك مباشر مع الشعب)۱( وأما في الدولة العثمانية (يتحكم الرجال الأقوياء
والموظفون بالحياة والشرف والمنافع العامة جميعها فكل خذته)۲).

وعدا الحالة المالية بين الجمعيات القومية العربية أن بعض الزراعة بالدولة
العثمانية باعوا أراضهم وزوجوا بنائمة بالجزر ليأخذوا صدايقهم ويسدروا ما قيد
عليهم دم من الأموال الأميرية، فصار الفلاح يتجنب زراعة الأرض إلا بقدر
حاجته الضرورية. وفي مقابل وصف هذه الحالة وصف حال الزراعة في أوربا
بأن الفلاح عجز الأرض تاريخاً وجعلها خصبة بعمله وحراثته. فحينما توجحت
في أوربا لا ترى إلا مروجاً نضرة وأشجاراً وكروماً مخضرة وأفراح جارية كافية
بستان عظيم ليس فيه قطعة أرض خراب۳.

لقد كان بين الجمعيات القومية العربية والدول الصليبية التقاء فكري،
فانتدبت الدول الصليبية مناصرة أحرار العرب، وقدمت الخدمات والتسهيلات
لمساندة قضيتهم، فوافقت الدول الصليبية على إقامة المؤتمر العربي الأول الذي

۱) المصدر السابق-۱۰۸.
۲) المصدر السابق-۲۶ وانظر:
۳) يقظة العرب - جورج انطونيوس-۱۷۲.
۴) حول الحركة العربية الحديثة - محمد عزة دروزة-۱۵/۱۹۱-۱۰۴.
۵) نشأة الحركة العربية الحديثة - محمد عزة دروزة-۱۰۲.
۶) مجلة الهلال-الجزء الثالث-السنة ۱۷۱۷-۱۲/۱۹۸۸/۱۲-۶۲۶/۱۵۹-۱۰۷-
(۱)}.
 журفيت القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

عقد في باريس وذلك للفترة من تاريخ 14/7/1331 هـ الموافق 8/6/1913. وقد أوضحته الجمعيات القومية العربية العامة من هذا المؤتمر، وتمت مناقشة بعض الموضوعات التي تخص واقع العرب في الدولة العثمانية، ومنها:

1. مناقشة حقوق العرب في المملكة العثمانية.

2. موضوع الإصلاح على قاعدة اللامركزية.

3. إشراك العرب في إدارة الدولة، وتسريع السلطة.

4. الحياة الوطنية ومناهضة الاحتلال.

5. واقع العرب المهاجرة، وأسباب هجرتهم... الخ

وقد أجرت حرباً جديدة (الطان) الفرنسية حواراً صحياً مع رئيس المؤتمر، وما جاء فيه: لماذا عقدت المؤتمر في باريس؟ أجاب: أن نسمع مطالبنا ونفهم رأينا لأوروبا التي تردت أهمية مصالحها في البلاد العثمانية يوماً بعد يوم، وإننا بإقامتنا بينكم، والاحتكاك الضروري الذي سيكون لنا بكم توصل لإزالة أوهام وسوء تفاهم عظيم، ويمكننا أن نضع أساس تفاهم بين الشرق والغرب (1).

ولما انتهت نيران الحرب العامة وألغت الامتيازات الأجنبية أسرعت الدولة العثمانية – جمعية الاتحاد والترقي – إلى تفتيش القنصليات المعادية، فوقع

(1) المؤتمر العربي الأول - محمد الدين الخطيب. وانظر: ثورة العرب - أحد أعضاء الجمعيات السرية - 29 - 78.
في يدها بعض الوثائق السرية وها تكشف أن تكشف كثيرًا من أسرار الجمعيات العربية.  

ومستيقظت الإعترافات المنسوبة لعبداغي العربيًّ — أحد مؤسسي الجمعيات — عن المنذري الأدبي في استنبول قوله: "والغنية من تأسيسه أن يجمع كل الطلاب العرب ويثُب اله فيهم فكرة القومية وفكرة العرب بآية واسطة كانت ولو مساعدة الدول الأجنبية التي تؤدي إلى احتلال أو حماية".  

وفي أعقاب اللجنة العليا لجمعية الفتاة في اجتماعها على القرار التالي: "نتيجة لاشتراك تركية في الحرب أصبح مصير الولايات العربية في الدولة العثمانية معرضًا لمخاطر شديدة، ويجب بذل جميع الجهود لضمان حريتها واستقلالها".  

واجتمع الملك فيصل ببعض أعضاء جمعية العهد وهي المنظمة السرية التي تضم ضباط الجيش، وقد تم هذا الاجتماع بتدبير أحد الأعضاء الذين ينتمون إلى الجمعيين في آن واحد، وقد وجد أن موقف هذه المنظمة مطابق لموقف الجمعية السابقة: فكانت كلتاها ترغبان في الانفصال عن الأتراك.  

(1) الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث-أليس المقدسي-1406 وانظر:  
1. التحقيقات-جمال باشا.  
2. الثورة العربية-أمين سعيد-1926.  
(2) التحقيقات-جمال باشا-24 وانظر: الحركة العربية-سليمان موسى-1924.  
(3) حركة العربي-جوزيف Антонис-1927.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

وقبل الحرب العالمية الأولى ضمت الجمعيات القومية العربية (لورانس)، من أجل أن يطلع على جهود الجمعيات العربية ومشاركتها في الحرب، وقد صرح لورانس بسبيه إلى البلاد العربية، فقد قال: "أخذت أفكار طول الطريق في سوريا وفي الحجاز وأتسلع: هل تنغل القومية ذات يوم على الزرعة الدينية، وهل يغلب الاعتقاد الوطني المعتقدات الدينية، ومعنى أوضح هل تحل المثل العليا السياسية مكّان الوحي والإلهام، وتستبدل سوريا مثلها الأعلى الديني، مثلها الأعلى الوطني؟" (1).

وقد كتب لورانس تقريراً عن الثورة العربية وذكر فيها: "إن الثورة مقدّرها النجاح المتواضع فيما إذا ألمح بما ضباط بريطانيون ويتكلمون العربية ليسدوا إلى قادمّة النصائح اللازمة، وبعد اطلاع مدير إدارة الشؤون العسكرية المتعلقة بالثورة العربية على التقرير قال لورانس: سر بنظرتي المتفائلة، فالثورة العربية كانت حلمه الأكبر منذ سنين طوال" (2).

وقد تخلى أعضاء الجمعيات القومية العربية عن الدولة العثمانية أثناء الحرب، وقدموا العون والمساعدات للجيوش البريطانية على أمل أن تحقق آمالهم وتطلعاتهم للحرية والاستقلال، لا سيما وأن الإنجليز قد أظهروا أنفسهم في البداية بمشهر المحررين لا الغازين، وأعلن الجنرال مود (Maude) قائد القوات البريطانية في العراق عن رغبة الحلفاء في النهوض بالعنصر العربي ليأخذ مكانته بين الأمم (3).

(1) الثورة العربية-لورانس-12.
(2) أعمدة الحكمة السبعة-لورانس-61.
(3) تاريخ العرب المعاصر ٢٣٢/ عبدالوهاب عبد الرحمن-دار الفضم-دي-الطبعة الأولى-١٤٠٧ هـ.
وينذكر خبير الدين الزركلي - أحد أعضاء الجمعيات القومية - نداء الدول الصليبية أثناء الحرب العالمية للدول العربية خاصة وللمعلم عامة، ففيول: يوم 7 نوفمبر 1918 (1337 هـ) البلاغ المشترك الذي أذاعته الحكومتان البريطانية والفرنسية، ونصه: "إن الغرض الذي ترمي إليه فرنسا وبريطانيا العظمى بواصلتهمما في الشرق: هو تحرير الشعوب التي طالما ظلمها الترك، تحريرًا خالياً، وتأسيس حكومات ومصالح أهلية، تبين سلطتها على اختيار الأهل الولائيين لها اختياراً حرًا وقيامهم بذلك من تلقاء أنفسهم، وتنفيذًا لهذه القيم قد وقع الاتفاق على تشجيع العمل لتأسيس حكومات ومصالح أهلية في سوريا والعراق اللتين أتمت الحلفاء تحريرهما في البلاد التي يواصلون العمل لتحريرها.

بعد عرض الموضوع السابق من الدولة العثمانية وما يتعلق بالسلطان عبد الحميد خاصة يجدر التنبيه إلى ما يلي:

1. إن أغلب من دعا إلى هذه المواقف ونشرها بين الناس هم من النصارى العرب، وتبعد دعماً من جمعيات كافرة، فقد تم إدخال برنامج جمعية بيروت السرية برامج المحاكيل الماسونية، وانضم الكثير من أعضاء الجمعيات القومية وخاصة الرياضين في المحاكيل الماسونية.

(1) ما رأيت وما سمعت-خير الدين الزركلي- 50.
(2) انظر: ١- نشأة القومية العربية-زين نور الدين- ۳١.
٢- نقطة العرب-جورج انطويوس- ۱۴۹.
وقد بين فارس نمر أُحد مؤسسي جمعية بروت السريه عن أصل النخبة التي تولت إنشاء الجمعيات، فيقول: (كان في لبنان جماعه صغرى من الشبان وجعلهم من النصارى الذين درسوا في الكلية السورية الإنجيلية تطالب أولاً بتحرير لبنان من الحكم التركي.. وكان أخطر ما ألقى نفوس أولئك الشبان هو احتقار الأتراك لهم، واعتبارهم أدنى شأنًا منهم، مما جعلهم يشعرون بالإهانة، غير أن العربي المسلم عندما يتكلم عن الإمبراطورية العثمانية كان يستطيع أن يقول إنما إمبراطوريته لأنها كانت إمبراطورية إسلامية، الواقع أن المسلم لم يكن يشعر بأنه غريب في وطن غريب عنه، بل كان الأمر على نقيض ذلك).

وقد اعتبر صحف الجمعيات القومية العربية، نجاح الانقلاب العثماني والقضاء على الخلافة الإسلامية أن تعلمت النشأة الجديدة من الصبيان والبنات اللغات الأجنبية، وطالعوا الجرائد والكتب ووقفوا على عورات الدولة وأدركوا مصلحل الخلل، وصار يتخرج في كل سنة من هذه المدارس عدد عظيم منشرون فكر الخرير، ومتغلقون بالأخلاق الأوروبية والحماسة الوطنية.

(1) نشوء القومية العربية-زين نور الدين زين- ٦٠- وانظر:
1. مقظة العرب- حورج انطونيوس- ١٥٢.
2. القومية العربية تاريخها مراميها-مصطفى الشهابي- ٥٠.
3. حركة البيئة العربية في الشرق الآسيوي- محمود منسي- ٩١.
4. العرب والترك في العهد الدستوري- توفيق برو- ٤٠.

(2) مجلة السلام-الجزء الثالث-السنة ١٧-١٩٠٨/١٢/١١٨٦ ح-ص: ١٣٨٨.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

٢ - لم يظهر عند المسلمين في تلك الفترة ما يسمى بالوعي القومي (١) فقـد كان مفهوم الولاء على أساس الدين، سوى عند أعضاء الجمعيات القومية العربية، وأما بقية المسلمين كان تأثير هذه المواقف عليهم ضعيفًا جداً.

وبدل على هذا أن وكيل القنصل العام الإنكليزي في بيروت جون ديكسون (John Dikson) قال في رسالة إلى السفير البريطاني في استنبول: (يـسعدني أن أخبركم بأن إصدار هذه المناشير وتوزيعها لم يكن له من أثر في نفوس أول بيروت، وإذا كانت قد أحدثت ضجة فإنا أقرب إلى أن تكون استغراباً وفضولاً في معرفة مصدرها من أن تكون إحساساً وطنياً، لكنها قد تكون علامة تشير إلى أن في الأفق بوادر تذمر...٢).

(١) العرب والترك- توفيق برو-٤٣.

(٢) نشوة القومية العربية- زين نور الدين زين-٦٦.
المبحث الثاني: موقفها من الجامعات الإسلامية

في البحث الأول، أوضحت موقف الجمعيات العربية من الدولة العثمانية، وفي هذا البحث سأبين موقف الجمعيات من الدعوة إلى الجامعات الإسلامية.

إن المقصود بالجماعة الإسلامية هي الرابطة التي تربط كل من يدين بهذا الدين، دون النظر إلى جنسه أو لونه أو لغته، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: 

(1) وأعظموا بِجَمِيعِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا نَفْرَقُوا (3). وتأليف القلب على منهج الوحدة الإسلامية هي من المئتين التي أملت الله بها على عباده كما قال: 

(2) واِلْفَرْقُ بِتَأْفِيقِهِمْ لَوْ أَنفِقْتُ مَا فِي الأرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَفْتُ بِتَأْفِيقِهِمْ وَلَسْكُنْ اللهُ آفِيَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (2). وقال تعالى: 

(3) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ (2).

ومن أبرز معالم هذه الوحدة أن التفاصل يكون في النقوى، كما قال تعالى: 

(4) لا يَبْنَآ إِلَّا آدَمَ مِن ذَكَرٍ وَأُمَّةٍ جَعَلْنَكُمْ شَعُوْبًا وَقَبَائلًا لِتَعَارَفَا إِنْ أَسَرَّ مِنكُمْ عِندَ اللهِ فَلْتَعَارَفُوا إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (2).

---

(1) سورة آل عمران-رقم الآية (33).
(2) سورة الأنفال-رقم الآية (63).
(3) سورة الحجارة-رقم الآية (1).
(4) سورة الحجارة-رقم الآية (13).
و۹۰۳۰۹... مبدأ الرابطة الإسلامية ثابت في السنة النبوية، فقد وجد النبي ﷺ
أمه بأنه يكونوا كما قال: {كونوا عبادة الله إخوانا، المسلمون أخو المسلمون،
لا يظلموا ولا يخُذلوا ولا يضرون، التقوى ها هنا ويهيئ إلى صدر ثلاثة
مَرَات، يحسب أمرًا من الشر أن يحفر أخاه المسلم، كل المسلم على
المسلم حرام دمه وماله، وعرفه}. وقد في النبي ﷺ عن كل ما يفسد
هذة المواخاة، كما قال: {لا تباغضوا ولا تجارسوا ولا تقاتلوا، وكونوا
عبادة الله إخوانا، ولا يحل للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالي}. (1)
ولما عرف أن العرب في الجاهلية، ولا القبيلة والحسب والنسب،
فقد سأل الصحابة: من أكرم الناس؟ قال: {أثناهم}. قالوا: ليس عن هذا
تستألُ، قال: {فياوسف! نبي الله ابن أبي نبي الله ابنه خليل الله}
قُالوا: ليس عن هذا تستسأل. قال: {فعن منادين العرب تستآلوني، خيارهم في
الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا}. (2)
وقد سطرت كتب السير حادثة المواخاة التي كانت بين المهاجرين
والأنصار، وضربت أروع الأمثلة في عمق الولاء للرابطة الدينية، ومن هذه
الأمثلة ما يخبر به عبد الرحمان بن عوف رضي الله عنه، قال: {لما قدمنا المدينة
آخى رسول الله ﷺ بن أبي ونين سعد بن الربيع فقال سعد بن الربيع: "إني
أكثر الأنصار مالاً، فأقسم لك نصف مالي، وأنظر أي ركّبي هويت، نزلت

1) صحيح مسلم-كتاب-باب تحرير ظلم المسلم وظلمه وتخليصه واحتفاقه، رقم الحديث (415)
2) صحيح البخاري-كتاب-باب الهجرة وقول رسول الله ﷺ، رقم الحديث (5612)
3) صحيح مسلم-كتاب-باب من فضائل يوسف عليه السلام، رقم الحديث (4382)
ذلك عندها فإذا حلّت توزّجتها، فقال له عبد الرحمن: لا حاجة لي في ذلك...

وأمام هذا موقف العظيم اعترف المهاجرون بهذه النعمة، وهجت أنفسهم بكرم الأنصار، فقال أنس: لما قدم النبي ﷺ المدينة آتأه المهاجرون فقالوا: "يا رسول الله ما رأينا قوماً أبدالاً من كثير، ولا أحسن مواساة من قليل، من قوم نزلت بين أظهرهم، لقد كفروا المؤمنة، وأشركونا في المهمة، حتى لقد خفنت أن يذهبوا بالأجر كله". فقال النبي ﷺ: (لا ما دعوتم اللّه لهم وأتيتم عليهم).

فكانت الرابطة الجامعة بينهم الأخوة الإسلامية، وعليها نقضت الولاء الجاهلية الأخرى، ولما قال عبد الله بن أبي بن سلول زعيم أهل النفاق: (وَاللّهُ لَمْ يَنْزِلَ عَلَى الْمُدَّةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأُعْرُضَنَّ مِنْهَا الْأَذْلِ) فقال عمر: يا رسول اللّه: "دعه لا يتحدث الناس أن مُحمّدًا يقتل أصحابه". في هذه الحالة ظهرت رابطة الأخوة الإسلامية والتي تفوق رابطة الأبوة، فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله: (واللّه لا تُنْقَلَبُ حَتَّى تُنَقَّلِ.

(1) صحيح البخاري-كتاب البيوع-باب ما جاء في قول اللّه تعالى (فإذا قضيت الصلاة فاتِشْرِوا في الأرض-رقم الحديث 190).
(2) سنن الترمذي-كتاب صفة القيامة والرفق في الزواج والورع-باب ما جاء في صفقة أواخر الحوضي-رقم الحديث 487. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب. ونظر:
- مسنده الإمام أحمد-2، 2004، 2.
(3) سنن الترمذي-كتاب تفسير القرآن-باب ومن سورة المنافقين-رقم الحديث 237 وقـال الترمذي: حديث حسن صحيح.
لقد أصبح هذا المجتمع الذي أقامه الإسلام مجتمعاً عقائدياً يرتبط بالإسلام، ولا يعرف الموالاة إلا الله ورسوله والمؤمنين، وهو أعلى أن يربط وآرائهم، إذا يحل عقدة الفكر والروح، فالمؤمنون ببعضهم أولاه بعض تكافأ دماؤهم ويستعي بدمتهم أدنهم، ومهم، يدل على من سواهم، وهذا المجتمع مفتوح لمن أراد أن ينتسي إليه مهما كان لونه أو جنسه على أن ينبط من صفاته الجاهلية ويكتسب الشخصية الإسلامية لتمتع بسائر حقوق المسلمين.

وحيزنا لرب أعضاء الجمعيات القومية العربية منابر التأثير في المجتمع من صحف وجلسات وغيرها. نادوا برلطة الجاهلية المقيمة في واقع المسلمين، مبتعين في ذلك المنظمات والجمعيات الماسونية واستجاب لهذه الدعوة وناصرها النصارى العرب من أولئك الأعضاء.

وفي الجانب الآخر نبذت الجمعيات القومية العربية الدعوة إلى الجامعة الإسلامية، وأكدت على عدم التأثر عليها وضعف تأثيرها في واقع المجتمع. وما ذكره هو ملخص لم ما سأنقله من نصوص وأنظمة الجمعيات القومية العربية حول الجامعة الإسلامية.

لقد نصت دساتير الجمعيات القومية العربية على أن الرابطة التي تجمع أعضاء الجمعيات هي رابطة القومية، فمن نظام جمعية الإخاء العربي العثماني: "يحق لكل فرد من أبناء العرب والعربي كل من ينتسب إلى العرب مولداً".

(1) السيرة النبوية الصحيحة - آكرم ضياء العمري - 1/257.
وموطناً أن يكون عضواً في جمعية الإخاء العربي العثماني، بشرط أن يكون منصفاً بحسن الحلق والشهرة"(1).

كما كان منهج المنتمي الأدي في أوائل تأسيسه، هو: "ضرورة وحيدة
احتفاظ كل قومية من القوميات العثمانية بطابعها المميز ولغتها وتقاليدها،
وإحياء أجادها، وتنمية الشعور القومي فيها، ضمن رابطة جامعة هي رابطة
العثمانية .. وأن تنضوي القوميات تحت جناحيها في نظام ديمقراطي حر، وفي
جـمـن الإخاء والمساواة الذي يهيئ جمعية العناصر والأديان العيش المهيء
الرغيد"(2) وعلى نفس المنهج سارت جمعية العربية الفتاة كما في فقرة (3) من
نظامها: "ومبداً في ذلك عربي فيها قبل كل شيء وفي كل شيء"(3).

رابطة القومية العربية أساس الوحدة) هي من أبرز أسس دساتير الجمعيات
القومية، ففي حزب البعث العربي يقول: شيلي العيسى - أحد مؤسسي
حزب البعث - يسعى الحزب لعدم رج أنور الدين بأمور الدولة، ففي عام
1950 تظاهر الأخوان المسلمون في القطر السوري مطالبين بالنص في دستور
البلاد على أن يكون الإسلام دين الدولة، فقاوم الحزب ذلك وأحباطه معتبراً
الرابطة القومية هي الرابطة الوحيدة التي تكفل الانسجام بين المواطنين(4).

---
(1) الثورة العربية الكبرى - أمين سعيد - 7. وانظر:
• نشأة الحركة العربية الحديثة - محمد دروزة - 351.
(2) العرب والترك في العهد الدستوري العثماني - 264.
(3) نشأة الحركة العربية الحديثة - محمد عزة دروزة - 491.
(4) رسالة الأمة العربية- شيلي العيسى - 69.
ويبين أسعد داغر مواقف أعضاء الجمعيات القومية من الجامعة الإسلامية، قائلًا: "إن القومية هي الأساس الذي يجب أن تقوم عليه الدول منذ الآن، وأن الجهود كلها يجب أن توجه إلى خدمة الفكره العربية بجدرة عن كل شيء.

وفي مقدمة من يقول هذا القول الضباط والشيوخ والناشرين والمفكرون من شباب العرب، فقد أجمعوا على أن لا حياة للأمم في هذا العصر إلا على أساس القومية، وأن العمل للفكره الجامعة الإسلامية إنها هو هدم لفكره الاستقلال عن تركيا الإسلامية، وهي الفكره التي كانت قد اختمت في عقولهم بعد أن قطعوا كل أمل في إصلاح ما فسد من أمر الترك".

إن الدعوة التي تبنتها الجمعيات القومية من نبذ الرابطة الإسلامية والانتماء إلى الرابطة القومية، هي دعوة إلى القوميات الجاهلية، وتقليد القوميات التي ظهرت في وقت تأسيس الجمعيات، ولذا نجد أعضاءها عندما يعنون مزايا المجتمعات الغربية يذكرون من أبرزها: نبذ الوحدة الدينية، والتعايش والانتماء حول الرابطة القومية والوطنية.

وعكس هذا نادي رفيق العظم عندما ذكر خصال المجتمع الغربي النصراوي، قائلًا: "يجب من العدل والإنصاف الاعتراف بفضل المدنية الأوروبية التي نضست بالإنسانية إلى منزلة سامية لم تبلغها من قبل، وأن الاحتكاك بالأوربيين قد نفع الشرق نفعًا محسوسًا، فنحن مدينون لهم بالرقي العقلي والصناعي".

(1) مذكراتي على هامش القومية العربية - أسعد داغر - 46.
(2) مجموعة آثار رفيق العظم - رسالة الجامعة الإسلامية وأوروبه - 81-83.
والهــذه المدينة التي أتى عليها رفيق العظم، قال عن الرابطة التي تجمع بين أفرادها: "إن الحياة السياسية في أوربا قد صارت أو كادت تصير بعجل عن الاعتقاد. فالغربي إذا حكم في الشرق مسيحيًا مثلا لا ينظر إلى ما بينهما من المشاركة في الاعتقاد، بل ينظر إلى المصلحة".(1)

وهــذا التغيـر الذي حدث في المجتمعات النصرانية كان بعد نبذ الدين كما يقول رفيق العظم: "إن الأمـم المسيحية لما كانت مسوقة في أوربا بيدي الكهنة والملوك مأخوذة الإدارة بقوة هائلين الفتيان كانت ليس لها من الأمر إلا أن تدعى إلى عمل فتحيب، وتساق إلى حرب فتسر"(2).

ويجمـع أعضاء الجمعيات القومية العربية على الدعوة إلى رابطة القومية، فمن أقوال الأعضاء: قول عبدالحليم الزهراوي وهو بين منهجية ومبدأ المؤتمر العربي الأول، قال: "إن الرابطة الدينية قد عجزت دائماً عن إيجاد الوحدة السياسية، وأنا لا أرجع إلى التاريخ لأبرهن على هذا بل حسبي ما لدينا الآن من الشواهد الحاضرة، انظر إلى الحكومة العثمانية والفارسية كيف لم تقو رابطـتهما الدينية على إزالة اختلاف بسيط من بينهما وهو الاختلاف المتعلق بالحدود"(3).

(1) مجموعة آثار رفيق العظم-(رسالة الجامعة الإسلامية وأوربة)-83.
(2) المصدر السابق-(رسالة الجامعة الإسلامية)-57.
(3) المؤتمر العربي الأول-21.
قال رفيق العظم: "لاجتماع نظمات وروابط، وهي العصبات، تكاد تكُون طبيعية بين البشر، أعمها الروابط العامة التي تجمع قوماً أو أقواقاً كثيرة على كلمة واحدة، وهي رابطة العشيرة أو الجنس أو الوطن أو الدين".

ثم بـين العظم أولوية هذه الروابط، بقوله: "إن رابطة الجنس والوطن فإما طبيعية الوجود، لا سبيل إلى اخبارها إلا بانحلال القوم المنسبين إليها، ويلي هاتين في المرتبة العصبية الدينية، ولما جمع الدين كلمة أهله بأجمعهم إلا في الشاذ النادر، اللهم في العواطف دون الفعل.. إن أقل هذه الروابط تأثيراً في المجتمعات رابطة الدين."

وعلى نفس المبدأ يلتقي رفيق العظم مع ساطع الحصري وغيره من أعضاء الجمعيات القومية العربية، يقول الحصري: "لا وحدة الدين، ولا وحدة الدولة، ولا وحدة الحياة الاقتصادية تدخل بين مقومات الأمة الأساسية".

وقال توفيق البساط: "إذا كنا نريد الجامعة الإسلامية فلماذا نحاول بث الفكرة العربية!!".

وقال عـبدالكريم الخليل: "إن فكرة الجامعة الإسلامية تؤدي إلى الوهن أكثر منها إلى القوة، لأنها تنفر الغرب، بينما لا تستطيع أن تمد الشرق بقوة".

---

(1) مجموعة آثار رفيق العظم-رسالة الجامعة الإسلامية)-49.
(2) أبحاث مختارة في القومية العربية-ساطع الحصري-20.
(3) انظر الترجمة رقم (11).
ويقول داغر: "والذي أعرفه عن ثقة ويكني إعلانه الآن على روؤس الأشخاص أنه لم يكن بين أصدقائي الذي قامت النهضة العربية على أكتافهم أو على جماعتهم سواء في سوريا أو العراق أو فلسطين أو لبنان أو غيرها من يفكر في اتخاذ الفكرة الإسلامية أساساً للوحدة والاستقلال، بل إنهم جميعاً كانوا يعملون على تعزيز روح القومية الباهتة وإحياء مجد العرب على أساس هذه الروح"(1).

ويؤكد أعضاء الجمعيات القومية العربية على أن الدعوة إلى الوحدة القومية لا ينتمي مع الوحدة الإسلامية، لأن الوحدة الإسلامية تقر بمشروعة مبدأ الخلافة الإسلامية، ولذا يقول أسد داغر: "كيف يمكننا أن نوفق بين اعتناقتنا للفكرة الجامعة الإسلامية وقيامنا ضد دولة الخلافة؟!!"(2).

وقال دروزة: "لم يشتر البكرة عن ناموس الشوء والتدريج العام حسب الظروف والклон المتنوعة، فالبكرة في ثوها الجديدة طارئة، وفي ظرف كان العرب على نسبة كبيرة من الضعف والتفكك والعفول والجهل، والاستغراق في معنى الوحدة الإسلامية والأخوة التركية ..(3). فهو يرى أن من الظروف الصعبة التي مرت بها الحركة القومية: الجهل، والتفكك، وكذلك الوحدة الإسلامية.

(1) مذكراتي على هامش القومية العربية - أسد داغر - 46.
(2) المصدر السابق - 44.
(3) حول الحركة العربية الحديثة - 23/1.
ويعتبر القوميون الوحدة الإسلامية إما هي كما يقول عبد الرحمن الباز:
"شعار للبقاء على الأنظمة الرجعية المتهرئة في العالم العربي، والذين لا يمكن أن يكون قوام القومية أو ركنا أساسياً من أركانها، فهو من ثم لا يصلح أساساً لوحدة سياسية".(1)

وأما تحقيق الوحدة القومية كما يقول محمد خلف الله: "إنها أقرب منالاً من تحقيق الوحدة الإسلامية، إننا مصلحتنا اليوم في تحقيق هذا الهدف القريب. ثم إن الفكرة العربية أكثر انتشاراً وأوسع نفوذاً من الفكر الإسلامية، إنها تشمل سكان العالم العربي جميعاً".(2)

وتدعى لوازم الدعوة إلى ولاء القومية نبذ الولاء والبراء على أسس الدين، فقد كان من مبادئ الجمعيات القومية العربية عدم تبني مبدأ الولاء الدين، ففتحت عضويتها جموع معتقدي المذهب والنظير.

لقد أصبح من أنظمة الجمعيات القومية أن طائفة منهم تعالج واقع المسلمين من مسار، يعتقد بعض العلماء أو النصراني أو اليهودي... الخ. فكان نصيب ساطع الحضري مثلًا في التقسيم الوزاري في الدولة العربية الأولى، أن أصبح وزيراً للمعارف في تلك الدولة الفتيّة.(3) وقد تولى هذا المنصب الهام في

---

(1) هذه قولينا-عبد الرحمن الباز.
(3) حوارات وأحاديث في التاريخ-نحف-صفة-11-1.
توجيه الأمة، مع وصف القوميين له، بأنه أشد المفكرين العرب تعصبًا علمانية القومية العربية.

وذكر القوميون أنه عندما قدمت عريضة مقدمة من شكري العسلي أحد أعضاء الجمعيات القومية إلى جمعية الاتحاد والترقي بشأن المطالبة بحقوق العرب في مجلس الدولة، وأن ممثل العرب فئة مقارنة بعدهم في الدولة، قـال القوميون: "فاستغلت جمعية الاتحاد والترقي هذا الطلب بضرب العرب بعضهم ببعض وإثارة الطبقية الدينية، فجاءت مكاتبات تندد بفكرة شكري العسلي ويهيمن بالتمسك بالجامعة الإسلامية".

وهي ثما عرض هذا المبدأ - التماسك بالجامعة الإسلامية - في الجرائد الحكومية جاءت مكاتبات من النصاري العرب يطالبون بألا يتخذ انعطافهم نحو الحكومة الدستورية سبباً لعدم الاعتداد بهم كطائفة لا شأن لها، وينهون إلى أن الدعوة إلى الوحدة أو الجامعة الطائفية مضرة بكيان الدولة.

{1} مجلة المستقبل العربي-العدد الأول-السنة الخامسة-1978-ص:76

{2} العرب والترك في العهد الدستوري العثماني-توفيق برو-1450هـ.
الفصل الثاني

 موقف الجمعيات القومية من دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب

المفهوم العام عن الجمعيات القومية الذي طرحه مؤسسها أحمد جمعيات

إصلاحية، قدمت مناهج ترديد من خلافها إصلاح ما فسد من واقع المسلمين.

وبلز من هذا المفهوم أن تكون للجمعيات القومية مواقف من الدعوات

التي تنادي بالإصلاح، سواء كانت معاصرة للجمعيات أم عاصرت آثار

الدعوات الإصلاحية.

إن دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب(1) (115-1206 هـ) التي ظهرت

قبل تأسيس الجمعيات القومية العربية، تعتبر من أبرز الدعوات الإصلاحية التي

(1) ألفت كتب كثيرة في بيان السيرة الذاتية للإمام ابن عبدالوهاب، كما ألفت كتب عن معالم دعوة

الإمام محمد ابن عبدالوهاب، منها:

- روضة الأفكار والأفكار المرتاد حال الإمام، والضيوفات البيانية والفتوحات البيانية-حسين بن غنام.
- عنوان المشهور في تاريخ يجد- عثمان بن بشير.
- محمد بن عبدالوهاب مصلح مصلى-مسعود الندوسي.
- محمد بن عبدالوهاب/أحمد عبدالحسين عطاء-دار العلم للملايين-بيروت-الطبعة التالية/1387 هـ.
- الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره-عبدالله العيسي.
- دعاوى المناوين للدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب عرض ونقض-عبدالعزيز العبداللطيف.
- الإمام محمد بن عبدالوهاب في التاريخ- عبد الله بن سعد الرويشد/القاهرة/البدي الح中の-1392 هـ.
- الإمام محمد بن عبد الوهاب ومنهجه في مباحث العقيدة-آمنة محمد نصير-دار الشروق-بيروت.
نُسِدت بالعودة إلى الكتاب والسنة، ونبذ الروابط والمعتقدات الجاهلية، والمنطقة التي ظهرت فيها دعوة الإمام محمد بن عبداللهوهب كانت بمثابة دعوة دينية إصلاحية، وكانت مكاناً مناسباً لنجاحها فقد كانت أيضًا في حاجة إلى حركة سياسية تجمع شنات إمارة الصغيرة المتمردة أحياناً وقبائلها المختلفة المصارعة حول موارد المباهة(1).


إذا قيل لك: أي شيء عبادته؟ فقل: توحيده وطاعته.

(1) الشيخ محمد بن عبداللهوهب حياته وفكره-عبد الله بن العينين-21-دار العلوم-الرياض-1993.
(2) سورة الأعراف-رقم الآية (54).
إذا قيل لك: أي شيء الدليل على ذلك؟ فقل: قوله تعالى: 

(وَمَا خَلَقْتُ 

أَلَّا إِلَّا أَنَّى َلِيِّعْبُدُونَ ﴿۹﴾. 

وبِكَانُا المنهج التلقائي قام الإمام محمد بن عبد الوهاب بالمنهج الإصلاحي المتلقى من الكتب والسنة.

وقبل بيان موقف الجمعيات القومية العربية أوجز أبرز المعالم الأساسية لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، والتي تناقض أسس ومبادئ تلك الجمعيات، وما ينبغي التأكيد عليه أيضاً أن موقفهم من دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب لا يختلف عن موقف الجمعيات من الدين، لأن دعوة الإمام هي امتداد لدعوة المصلحين القائمة على منهج النبوة.

أبرز معالم دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب:

أولاً: نبذ الشرك بجميع صوره وأنواعه وتحقيق العبودية لله رب العالمين:

وهي دعوة الرسول عليهم أفضل الصلاة والسلام، وفي مباحث الرسالة بينت معاويا الهدم التي سلطتها جمعيات القومية العربية على توحيد الألوهية، ونشر وإحياء شركيات الجاهلية في واقع المسلمين.

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب في بيان المعالم دعوته: (بينت للناس إخلاص الدين لله، وغتتهم عن دعوة الأحياء والأموات من الصالحين وغيرهم، وعن إشراكهم فيما يعبد الله به، من الذبح والنذر والتوكل والصيام وغير ذلك

(1) سورة النذارات-رقم الآية (۶۸).
(2) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب-القسم الأول-العقيدة والآداب الإسلامية-۳۷۴.
ما هو حق الله تعالى، الذي لا يشرك به ملك مقرب ولانبي مرسل، وهو الذي دعت إليه الرسول من أولهم إلى آخرهم، وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة. 

وذكر الإمام أن تحقيق التوحيد الله وحده هو زبدة دعوة الرسول، فعند استنباط الفوائد من الحديث الذي يرويه عمرو بن عبادة السلمي وما جاء في الحديث قوله: [كوننا أنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلала، وأنهم ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأثوان، فسمعت برجل بيعة، يخصر أحياناً، فعقدت على راحلته، فقدمت عليه، فإذا رسل الله متعجباً، جراءاً عليه قوته، فقلت حتى دخلت عليه ببيعة، قالت له: ما أنت؟ قال: أنا مسيح. فقالت: وما النبي؟ قال: أرسلني الله. فقالت: أي شيء أرسلك؟ قال: أرسلني صلى الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشترك به شيء].

قال الشيخ: "إن زبدة الرسالة الإلهية والدعوة النبوية هي توحيد الله عبادته وحده لا شريك له، وكسر الأوثان، ومعروف أن كسرها لا يستطيع إلا بشدة العداءات وتجريد السيف فتأمل زبدة الرسالة".

إن قضية تحقيق التوحيد لله تعالى والخلوص من الشرك من أبرز معلم دعوة محمد بن عبد الوهاب، وصنف فيها العديد من الكتب والرسائل، ومن أبرز كتبه كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وكتاب كشف الشبهات.

(1) مجموعة مؤلفات الشيخ، قسم الرسائل الشخصية-32/3.
(2) صحيح مسلم-كتاب صلاة المسافرين-باب إسلام عمرو بن عبيدة، رقم الحديث (274). 
(3) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب-العقيدة والآداب الإسلامية-284.
ومن المعلوم أن الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك هي قام بها الإمام محمد بن عبد الوهاب قولته بصد أهل الشرك والضلائل، من العلماء والأمراء، على حد سواء، فيذكر الإمام في كتابه كشف الشهب، بعض الشبه التي أثيرت، وتولى الرد عليها وأبطلها.

ومن أمثلة ذلك قوله: "يقول المشرك: اثنان لا نشرك بالله، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يبرز ولا يتفعل ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له. وأنه إمامًا لا يملك لنفسه تفعلاً ولا ضراً، فضلا عن غيره. ولكن أنا المشرك، والصالحون لهم جاه عند الله. وأطلب من الله حماهم.


(1) سورة ص-رقم الآية (5).
(2) انظر عن هذا الموضوع: الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره/عبد الله بن صالح العثيمين/731.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

ومنهج الإمام محمد بن عبد الوهاب في حقيقة محبة الرسول ﷺ وما تستلزم
وما تقضيه شهادة أن محمدًا رسول الله هو: "تجرد المتابعة، والقيام بالحقوق
النبوية من الحب والتمييز، والنصرة والتابعة والطاعة، وتقدم سنته صلى الله عليه
 وسلم على كل سنة وقوله، والوقوف معها حينما وقعت، والانتهاء حيث
انتهت في أصول الدين وفروعه، باتنه وظاهره، حفيه وحليه، كليه وجزئيه"(1).

ثانياً: ووجب معاداة أهل الكفر والضلائل: لا يتحقق التوحيد الخاص إلا
بموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين، ومن هذا الأساس بين الإمام محمد بن
عبد الوهاب في كتاب (مفید المستفيد في كفر تارك التوحيد) وعقد باباً ترجم له
بقوله: (باب وجوب عداوة أعداء الله من الكفار والمرتدين والمنافقين) وقول الله
تعالى: "فَوَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْهِمُ الْكِتَابُ إِنَّ ذَٰلِكَ ۛ سَيَعْمَرُ عَدَى الْجَهِلَةِ وَيُكَفَّرُ بِهِ وَيُبَيِّنُ أَنَّ الْمُلْكَ لِلَّهِ"(2).

وقوله تعالى: "وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي أَلْقَوْمًا عَظِيمَينَ "(3).
وقوله تعالى: "فَيَتَابُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَجَذَّبُوا عَدُوِّي وَعَدَّوِي"(4).

(1) تاريخ محمد- محمود شكري الألوسي -87- الطبعة الثالثة -1411 هـ.
(2) سورة النساء (140).
(3) سورة المائدة (81).
(4) سورة المتعلمة (1).
(5) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب- العقيدة والأداب الإسلامية- مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد-126.
وبعد عرض الآيات القرآنية وأقوال السلف في هذا الموضوع، قال الإمام محمد بن عبدالله بن مالك في مسألة وجودة ولاية أمر الله في سلسلة أولياء الله hb (كلام السلف في مسألة أولياء الله في ضيافة ونفيهم عن الدعوة، لكنهم شددوا في ذلك) وحذروا منه لأمرين:

النور: غلظ السبعة في الدين في نفسها فهي عندهم أهل الكبائر.

ويعالون أهلها بأغلاق مما يعاملون به أهل الكبائر.

الثاني: أن البعد يجري إلى الربة الصريفة كما وجد من كثير من أهل البعد.

ولما كان ظهور السبعة دليلًا على غزارة الدين قال الإمام محمد بن عبدالله بنmigration عن إنصاف الغزية والذي فيه: قال رسل الله ﷺ: (بدأ الإسلام غربًا وسيعود كما بدأ غربًا فطوبى للفقراء) (1).

قال الإمام عن معاني أحاديث الغزية: "تأمل رحمك الله أحاديث الغزية وجعلها في الصحيح مع كثرتها وشُهرة، أن تمثل إجماع العلماء كلههم أن هذا وقع في زمن طويل. فتأمل هذا جيدًا لعلك أن تسلم من هذه الزيادة كبيرة التي هنالك فيها أكثر الناس وهي الاتباع بالكفر والسواد الرطب، والنفقة من الأقل، فلما أقل من سلم منها ما أقلها ما أقله" (2).

(1) صحيح مسلم-كتاب الإسلام-باب بيان أن الإسلام بدأ غربًا وسيعود غربًا-رقم الحديث 260.
(2) مؤلفات الإمام محمد بن عبدالله بن عبد الوهاب-العقدة والإذاب الإسلام-مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد-1231.
إن معاداة أهل الشرك من الأمور المقررة في عقيدة أهل النبوخذ، وقد بين الإمام محمد بن عبدالوهاب أن الله سبحانه من حكيمه لم يبعث نبياً إلا جعل له أعداء كما قال تعالى: "فَوَكَذَّبَهُ كُلُّ شَيْءٍ لَكُلّ نَبِيٍّ عَدُوًا شَيْطَانٍ إِنَّهُ وَإِنَّهُنَّ يُوَجِّهُ بِعَضُعِهِمْ إِلَىٰ بَعْضٍ رُخْفَ الْقُوَّةِ غَيْرُهُ". (1)

وأما بينه الإمام أن من وحد الله تعالى، وعبد الله تعالى، لا يجوز له موالية من حاد الله ورسوله، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشريهم، والدليل قوله تعالى: "لَا يَدْعُوهُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُؤْدِيَ وَهُمْ" من حاد الله ورسوله، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم، أو عشريهم. (2)

وأَلْبَيْكَ كُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ إِيمَانَ وَأَيْنَهُم بِرَوْحِ يَتَبَيَّنُهُ وَيُحَلُّهُمْ جَنَّتٌ حَرِيرَةٌ من حِيْثَ أُنْتَهَيْنَ خَلِيلِيْنِ فِي هَٰذَا رَضُوْنِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَضُوْنِ عَنْهُ إِنَّ اللَّهَ حَيْزَبُ اللَّهِ (3)

وأَنْ جَزءُ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (4)

وأَكَّدَ الإِمَامُ محمد بن عبد الوهاب على أن الإنسان لا يستقيم له إسلام — ولو وحد الله وترك الشرك — إلا بعذاب الشركين والتصريح لهم بالعداوة والبغض كما قال تعالى: "لَا يَدْعُوهُ قَوْمَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُؤْدِيَ وَهُمْ.. لِلْهَٰذَا رَضُوْنِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَضُوْنِ عَنْهُ إِنَّ اللَّهَ حَيْزَبُ اللَّهِ (5)

(1) سورة الأنعام-رقم الآية (112).
(2) كشف السههات-محمد بن عبدالوهاب-١٠-مطبعة السنة المحمدية-القاهرة-١٣٧٢هـ.
(3) الجامع الفريد-٢٧٠.
(4) سورة المجادلة-رقم الآية (٢٢).
(5) الجامع الفريد-٤٤٣-مطبعة المدينة-الرياض.
وقد قام الإمام محمد بن عبد الوهاب بتوجيه العامة والخاصة من المسلمين إلى لزوم تطبيق عقيدة الولاء والبراء، فمن توجهاته، قوله: "الواجب عليك نصر أهليك ظالماً أو مظلوماً(1)، وإن تفضل الله عليك بفهم ومعرفة فلا تعذر لا عند الله ولا عند خلقه من الدخول في هذا الأمر - الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشر وأهله - فإن كان الصواب معنا فالواجب عليك الدعوة إلى الله وعداوية من صرح بسب دين الله ورسوله ونبرونا، وإذ كان الصواب معهم - أهل الشرك - أو معنا شئ من الحق وشيء من الباطل أو معنا غلو في بعض الأمور فالواجب منك مذاكرتنا ونصيحتنا (وتورينا) - تطلعنا - عبارات أهل العلم لعل الله أن يرداها بك إلى الحق(3)."

في المباحث السابقة من الرسالة بنيت الأسس العقائدية التي قامت عليها الجمعيات القومية العربية في تفضيل الجنس العربي دون الاعتبارات الدينية على غيره من الأجناس، وهذه المسألة قد تناولها الإمام محمد بن عبد الوهاب، فقد قال:(2) "إن لهم حق لا يشركهم فيه غيرهم، ويستحقون من زيادة الخبرة والموالاة مالا يستحق سائر قريش، وقوي يتحمل ما لا يستحق غيرهم من القبائل.. وأما نفس ترتيب الثواب والعقاب على القرابة ومدح الله للمعين وكرامته عنده فهذا لا يؤثر فيه النسب"(3).

(1) (أنصر أهليك ظالماً أو مظلوماً) جزء من حديث: "صح بي نصر أهلك ظالماً أو مظلوماً" (البخاري في صحيحه- كتاب المنافقين، وقصص- باب أعن أهلك ظالماً أو مظلوماً- رقم الحديث: 2263).
(2) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب- القسم الخامس الرسائل الشخصية- 301-302.
(3) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب- ملحق المصنفات- 51.
كما لم يعتبر الإمام محمد بن عبد الوهاب صحة إسلام من لم يعادي أهل الشرك، لأن الإسلام لا يصح إلا بمعاداة أهل الشرك الأكبر، وأن لم يعاديهم فهو منهم وإن لم يفعله يفعل الشرك —(1).

ثالثًا: طاعة ولي الأمر وعدم الخروج على الجلّل منهم: لقد هتقت الجمعيات القومية مبدأ الخلافة الشرعية، وساهمت في تقرير سيادة الأمة في التشريع، وأنكرت على من يقول بعدم الخروج على أئمة الجلّل ما لم يرون كفراً بواحاً عندهم من الله فيه برهان كما ثبت من حديث عبادة بن الصامت أنه قال: دعانا النبي ﷺ لفِي بِيَانِهَا، فقال: فيلمًا أخذ علينا أن بايعًا على السمع والطاعة في مُنشُطِنا وتمكّننا وعَسْرُنا وبِعَسْرُنا وأثْرًا عَلَيْنا، وأن لا تَنَازَع الأُمَّة أَهْلَهَا إِلَّا أَنْ تَرْأَوا كُفْرًا بِوَاحًا عَنْذَكُم مِنِ اللَّهِ فِي بَرْهَانِهَا —(2).

وهذا الموقف تجاه الإمام الجلّل ذكره الإمام محمد بن عبد الوهاب في بيان دعوته، حيث قال: "وأرى الجهاد ماضياً مع كل إمام برأى كان أو فاجراً، وصلاة الجماعة خلفهم جائزة. وأرى وجوه السمع والطاعة لأئمة المسلمين برحهم وفاجراهم ما لم يأموا بمعصية الله، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به وغلّبهم بسيمه حتي صار خليفة وجبت طاعته، وحرم الخروج عليه" —(3).

(1) المصدر السابق-القسم الأول (المجتهدين والآداب الإسلامية)-297.
(2) صحيح البخاري-كتاب الفتن-باب قول النبي ﷺ: سبتون بعذري آمرًا رفع الحديث (153).
(3) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب-القسم الخامس الرسائل الشخصية-11.
وَبَيْنِ الْشَّيْخِ أَنْ طَاَعَةٌ وَلَيْ الأمرِ الجَائِرِ فِي مَذْهِبٍ أَهْلِ السَّنَةِ هُوَ: أَنَّ الأَمْرَاءَ الظَّلْمِيْةَ مِشَارِكُونَ فِي مَا يَجْتَازُ إِلَيْهِمْ فِي مَنْ طَاعَةُ اللَّهِ فِي صَلَّى خَلِيفَهمُ، وَيَجَادَلُونَ مَعَهُمْ، وَيَسْتَعِنُّونَ هَمَّ فِي الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمَنْكُرِ. وَقَلْ مِنْ حِرْجٍ عَلَى دِينِ سَلْطَانِ إِلاَّ كَانَ مَا تُوْلِدَ عَنْ فَعْلِهِ مِنْ الشَّرِّ أَعْظَمَ مِنْ الخَيْرِ، فَلاَ أَقَامَوا دَيْنًا وَلَا أَبْقَوا دَنْياً(١).

رابعًا: الأخوة الإسلامية: لقد أدرج الإمام محمد بن عبدالوهاب مبدأ الأخوة الإسلامية ضمن قضايا التوحيد، فقال: باب قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَبَوَاهُمُ وَأَبْنَائُهُمْ وَأَحْيَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشْرَ يُنْكَرُونَهَا وَأَمْوَالٌ أَقْرَفْتُمُوهَا وَتجْرِيرًاٍ تَمُشُّونَ كَاسِدَةٌ وَمُسْكِنُ تَرْضُونَهَا أَحْبَبْ إِلَيْهِمْ مِنْ آيَةٍ للهُ وَرُسُلِهِ، وَجِهَادٍٖ فِي سَبِيلِهِ فَتَرْزَخُوا حَتَّى يَتَقَيَّسُ آيَةُ اللهُ بِهِ(٢).﴾

وَمَنْ أَفْوَاءِ الرَّسُولِ ﷺ الَّذِي اسْتَدَلَّ بِهِ الإِمَامُ فِي بَابِ الأَخْوَةِ الإِسْلَامِيَّةِ]));(٣)

١٠٦٤٢.
(١) المصدر السابق-ملحق المصنفات-١٢٠، ٤٢.
(٢) سورة التوبة-رقم الآية (٢٤).
(٣) صحيح البخاري-كتاب الإيمان-باب خَلَالَةِ الإِيمَانِ-رقم الحديث (١٥).
قال الشارح لكتاب التوحيد: من لوازم محبة الله محبة أهل طاعته، كمحبة أبنيه، ورسله، والصالحين من عباده، فمحبة ما يحبه الله ومن يحبه الله من كمال الإيمان.(1)

وأكد الإمام محمد بن عبدالوهاب على رابطة الأخوة الإسلامية بقوله: "يا إخواني، تمسكوا بأصل دينكم، وأوله وآخره وأسه ورأسه شهادة أن لا إله إلا الله، وأعررو معناؤنا وأحبوا وأحبو أهلها واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعيدين، واكتروا بالطرواغيت وعادوهم وأبغضوا من أحبهم أو جادل عنهم أو لم يكفرواهم أو قال: ما عليّ منهم، أو قال: ما كلفني الله هم، فقد كذب هذا على الله واقتري. فقد كلفه الله تعالى بهم وافترض عليه الكفر بهم والبراءة منهم ولو كانوا إخوافهم وأولادهم(1)."

وبعد هذا العرض الموجز لأبرز معالم دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب أبين موقف الجمعيات القومية العربية من دعوته رحمه الله.

أولاً: وصف الدعوة الإصلاحية وأتباعها بأنها مذهب محدث

يَهَيَ الإِسْلَامِ:

لقد وصف أعضاء الجمعيات القومية دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباع الدعوة بأنها مذهب محدث في الدين، وليس وصفهم هذا من منطلق

(1) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد-عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ-196-
(2) الجمع الفريد-262-مطبعة المدينة-الرياض.
الجمعيات القومية العربية ومشقاتها من الإسلام والمسلمين

غيرهم على الدين وإنما لصد المسلمين عن مبادئ الدعوة الإصلاحية القائمة على الكتاب والسنة.

كان يقول أعضاء الجمعيات القومية، من وصف الشيخ هذا الوصف لغض صد الناس عن الاستماع لدعوته، كسيلمان بن محمد بن سحيم، القائل: "خرج في قطتنا رجل مبتعد جاهل، مضل ضال، من بضاعة العلم والتقوى عاطل، جرت منه أمور فظيعة، وأحوال شنيعة. الح".

وعلى لسان الجمعيات القومية العربية، قالت صحيفة الهلال: "الوهابية مذهب في الإسلام منصب إلى محمد بن عبد الوهاب، انتشر هذا المذهب في البلاد لم يدم(pub) لسيا سبب القبائل التي يحكمها آل سعود".

وقال أمين الريحاني: "الحنابلة والوهابيون يختلفون عن سواهم من المسلمين في إكمال ورووث القبور للسلام والدعاء لا للتوضيل والاستغاثة".

إن زيارة القبور المشروعة لا يختص بها كما قال الريحاني الحنبلاة والوهابية، وإنما هي سنة رسول الله ﷺ وأصحابه من بعده، وعلماء المسلمين، كما بثت في الحديث الصحيح: قال رسول الله ﷺ: "نهيكم عن زيارة الْقُبُورِ فَزُورُوهَا".

(1) تاريخ بحث حسين بن غانم-2/89.
(2) مجلة الهلال-الجملد 50-ص 116-117.
(3) بحث وملحقاته-أمين الريحاني-75 (الخاشية).
(4) صحيح مسلم-كتاب الجنائز-باب استذان النبي ﷺ رselling يعَزّ وجلَّ في زيارة القبور-رقم الحديث (163).
 وقال النويدي: "المستحب في زيارة القبور أن يقف مستدير القبلة، مستقبلاً وجهه الليث يسلم ولا يمسح القبر ولا يقبله ولا يمسه، فإن ذلك عادة النصارى، ولأنه قد صرح النبي عن تعظيم القبور، ولأنه إذا لم يستحب استلام الركين الشاميين من أركان الكعبة لكونه لم يسن مع استحباب استلام الركين الآخرين، فإن لا يستحب من القبور أولى." 

وقد قال أحمد عبدالغفور عطار: "ليس للوهابيين مذهب خاص تفردوا به عن أهل السنة والجماعة — كما يظن الذين لم يدرسوا الوهابية أو المغردون — وكذلک لم يكن الشیخ مبنک (طقسًا) دينة معتدلة ما جاء به القرآن والحديث، ولم ينفرد بأمور لا تتفق بالإسلام." 

ومن أمثلة وصف دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب بصفات لا تليق بها، ما ذکره صحیفة القبلة: "إن التاريخ الإسلامی، قد ظهر فيه عدد من الفرق."

(1) المجموع شرح الیهذب-النروی-۵۷۸۸۸ (بتصرف)-دار الفكر-بيروت-لبنان-الطبعه الأولى-۱۴۱۷ هـ—وانظر: أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة-أحمد بن بحي الحاج. 

(2) محمد بن عبدالوهاب-أحمد عبدالغفور عطار-۱۲۶.-۱۳۲۶. 

(3) من الصحیف الکومیة الصادرة من الحجاز، خلال حکم الملك الحسن بن علي، وتعریف من الصحف المبردة للجمیعіة الکومیة العربية، وذلك من خلال مقالات تؤید مبادئ الجمعیات، مثال ذلك: ليس اليوم بين الناطقین بالضح مسلم ولا مسيحي ولا يهودی. وإذا جميعهم عرب نظیرهم راية ملك — غربی غاية القلوب الدافع عن جمعیتهم والمحافظة على حقوقهم. وهذه النافخة التي فض العرب أن يحالفها وصل سلسلتها، ولم يكن المسلمین منهم يقبلونها ولا إعجابا بما من المسلمين، لأنها في الحقيقة من مافخاء هذه اللغة وأبنائها ومن الیاهین التاريخیة على ما لي سام عامة والعرب خاصة من قابلية الإرتداء إلى أي شيء يمكن للبشر أن يرتدوا إليه آذا وسباحة. صحیفة القبلة-العدد ۵۵-السنة الأولى-۱۳۸۵ هـ-۱۹۶۴/۴/۱۹-۱۹۶۵هـ. 

الجماعات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

والطوائف، كممثل الخوارج والزمنوج والقراشة في زمن الدولة الأموية والعباسية فإن وضعية الفرق الثلاث المذكورة وعقائدهم لا تختلف عن وضعية الوهابية وعقائدها(1).

فصنفتها صحيفة القبلة عقائد ومبادئ دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب (الوهابية) ضمن الفرق والطوائف الخارجية عن أحكام وهدي الكتاب والسنة.

وقد قال أحمد عبد الغفور عطار: "نشر العلماء المغضون عن الوهابية الأكاذيب المختلفة والدعاية السيئة فأطلقوا على الدعوة التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب اسم الوهابية وأحاطوها بكل شر ورذيلة، وجعلوا اسم الوهابية علماً على الوحشية والجمود والهمجية، وأفهموا الناس ذلك عن طريق السفسطة والمنطق الخادع فصدقوهم(2).

هذه أبرز معامل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وما كتب عن دعوته وجهود الإصلاحية يظهر أن الإمام منيع وليس يبتعد، وقام بواجب الدعوة إلى الله وتصحيح عقائد الناس وفق الكتاب والسنة. وقد قال مخالفيه: (أننا أدعو من خلفني إلى أحد أربع: إما إلى كتاب الله، وإما إلى سنة رسول الله ﷺ، وإما إلى إجماع أهل العلم، فإن عاند دعوته إلى المباهلة)(3).

1. جريدة القبلة-السنة الثامنة-العدد 821-بتاريخ 29/12/1982-هـ
2. محمد بن عبد الوهاب-أحمد عبد الغفور عطار-125-دار العلم للملابين-الطبعة الثالثة-1387-هـ
وتعتبر كتب ورسائل الإمام محمد بن عبدالوهاب هي أرسلها في الرد على افتراضات أهل الضلال ضده صديق دليل على بيان منهجه، وإن كانت هذه الرسائل قد سطرت قبل قرنين من الزمان، فإن مدلولها صالح لكل زمان، وما جاء في رسائله: (أقول: الله الحمد والمنة وبه القوة: إنني هدائي ربي إلى سرائط مستقيماً فيما إبراهيم حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين. ولست والله الحمد أدعو إلى مذهب صوفي أو فقيه، أو متكلم، أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم، مثل: ابن القيم والذهبي، وابن كثير، وغيرهم. بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسول الله النبي الذي أوصى بما أول أمره وأخربهم. وأرجو أن لا أرد الحق إذا أتاني، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أنا منكم المرسل إليه كلمة من الحق لأقبلها على الرأس والعين، وللأضرار الجدر بكل ما خالفها من أقوال أئمني حاشا رسول الله فإنه لا يقول إلا الحق).

ويكفي في الرد على مزاعم صحيفة (القبلة) وغيرها، بأن أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من معتقدي العقائد الفاسدة - قول الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، في بعض مسائل الصفات: قوله: [قلتُ: فقولي شيخ؟] قال الشيخ: نس في أنه تعالى فوق جميع المخلوقات، وهو الذي ورد عن الصحابة والتابعين من المفسرين وغيرهم في معي نالهْ.

(1) تاريخ نجد-حسن بن غنام - 2/11- مطابع الشرق الأوسط-الطبعة الثانية - 1401هـ.
(2) صحيح مسلم-كتاب الذكر والدعاء والتهonor والاستغفار-باب ما يقول عند النوم- رقم الحديث 4888.)
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

علَّل آلْعَرْشِيَ أَشْتَوَىٞ (۱) أن معين (استوى): استقر وارتفع وعلا، كلها معين وحد، لا ينكر هذا إلا جهيمي زنديق يحكم على الله وعلى أسمائه وصفاته بالتعتيب (قاتلهم الله أن يعفكون)، والنصوص الدالة على إثبات الصفات كثيرة جداً. والجهمية جحدوا هذه النصوص وعندوا في التكذيب فصاروا بذلك كفاءة عند أكثر أهل السنة والجماعة. وأهل السنة والجماعة عرفوا ركماً تعرف به إليها من صفات كماله اللائقة بجلال الله، فأثبتوا له تعالى ما أثبتته لنفسه وثبتته له رسوله إبناً بثريث، وتقريباً بلا تعتيب، وعرفوها بأفعاله وعجائب مخلوقاته، وما أظهره له من عظيم قدرته، وما أسهمه عليهم من عظيم نعمته (۲).

ثانياً: نقد منهج الدعوة بإزالة الشركيات من واقع المسلمين:

يفصف حسين بن غانم حال عصره قبل دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، فيقول: (كان أكثر المسلمين - في مطلع القرن الثاني عشر الهجري - قد ارتكروا في الشرك، وارتدوا إلى الجاهلية، وانطلقاً في تنفسهم نور الهدى. فأعدوا إلى عبادة الأولياء والصالحين؛ أمورهم وأحياهم، يستغفرون هم، في النوازل والحوادث، ويعتبرونهم على قضاء الحاجات وتفريج الشدائد) واستمر يعرض أنواع وأسماء القباب والأضرحة المنتشرة في واقع المسلمين.

(۱) الجمع الفريد- الرسالة الثانية- الجواب عن أسئلة في الاسم والقضاء والقدر والاستواء- ۳۴۲.
(۲) تاريخ محمد- حسن بن غانم- ۱۰۱۹- ۱۹- ۱۹۱.
الجمعيات القومية العربية و موقفها من الإسلام والمسلمين

ومن أبرز آثار الإصلاح العقائدي الذي قام به الإمام محمد بن عبد الوهاب
إزالة هذه القباب والأضرحة، مقتنعا بما أمر به النبي ﷺ عليه ﷺ أن يحذِّر
الأَسْدِيْ قَالَ: قَالَ لِي عَلِيٌّ بنُ أَبِي طَالِبَ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعْثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: (أَنَّ لَا تَدْعَ تَمْثَالًا إِلا طَمْسَتَهُ وَلَا قُبْرًا مُشْرَفًا إِلا سُوَّيْتَهُ) (١).

وليس الغرض من إيراد موضوع البناء والقباب على القبور بيان حكمها
ومناقشة أقوال المبندة فيها، وإنما القصد بيان موقف الجمعيات القومية العربية
من مبادئ دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب وأتباعه.

فمن منطلق الحفاظ على الآثار ورغبة في إبقاء معالم الوندية، يؤكد أعضاء
الجمعيات القومية العربية على أن المدنية الصحيحة هي: شيوخ الوسائل الروحية
كالعلوم والفلسفة والدين والأخلاق الفاضلة والوطنية الصادقة، وشيوخ الوسائل
الرفيعة كالفنون والآداب الرفيعة من تصوير ونحت ومعمارية وموسيقى وشعر
وـنـثـر، والعـبـد لا يكون متمدنا إلا إذا فشت وتكاملت في هذه المقومات
كلها.

وـهـذـا اعتـبر ميـشـيل عفـلـق الحضارات القديمة للشرق الأدن من (التاريخ
العربي الطويل)، وتأكيد عفلك أن الأمة العربية اليوم هي وراثة حضارة غنية،
وـمـمـنـدة في التاريخ. وقد امتدت هذه الحضارة بمختلف الحضارات المصرية
والآشورية والبابلية والفينيقية، وتمكنت من استيعاباً (٢).

(١) صحيح مسلم-كتاب-باب الأمر بتصويت القبور-رقم الحديث١٠٩.
(٢) حرب البث العربي الاشتراكي-مصطفى دندشلي-٧٠.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلم

ويذكر مصطفى الشهابي — أحد مؤسسي الجمعيات القومية — ما كان
عليه بعض مدن العرب كبلاد اليمن مثلًا، فيقول: "فيها من محافل وقصور
وهيكل، وكذلك في الصفا شرقي حوران وفي الحجر (مداين صالح) شمال
المدينة، وفي بسرين في حوران.

وقال الشهابي: وما برح علماء الآثار حتى يومنا هذا يكشفون النقاب
عن تماثيل رائعة دقيقة النحت في مدافن تدير الأثرية .. كالشاعر الذي كان
ينصف المدينة وعلى كل جانب من جانبيه نحو 1375 عموداً يحمل كل منها
تمثال رجال من رجالاتنا المشهورين، ثم تلك القبور التي شهبت القصور
بضخامة بيئهما وجلاء رحماها وزخرف تماثيلها".(1)

فمن منطلق تعظيم الآثار وحفظها على ما تحتويه من قبور وقباب وغير
ذلك، فقد انتقد أعضاء الجمعيات القومية محمد بن عبد الوهاب وأتباع دعوته
عليه رحمة الله تعالى، في إزالة القباب والأضرحة، فقد ذكر أحمد عبد العفنور
عطار أن محمد حسين هيكل باشا انتقد عمل المتحدين (الوهابية) في الحجاز،
kedhmem القبور في جمعية الشباب المسلمين بالقاهرة في ليلة 1350/9/17
هـ.(2)

ويقول محمد حسين هيكل: "لقد كان بين هذه القباب التي هدمت آثار
بارعة في الفن لم يكن يمكن بد تقدر الفن أن تتعد إليها بسوء".(3)
ويسأل هيكيل: "ترى أيقى البقع كما هو اليوم مسواة قبره بالأرض لا يقون على قبره منها قبة ولا يقام للعظماء والصحاباء المدعونين به أن يذكرونه بعث؟" لعلك تحسب الأمر يبقى كذلك ما بقي الوهابيون بالحجاز.

وقد يكون في التاريخ ما يرجع ظننا فقد غزا الوهابيون الحجاز في أوائل القرن التاسع عشر المسيحي فهبطوا قبب البقع كما حطموا غيرها من القباب بمكة والمدينة وغيرها من بلاد الحجاز. أرجو ألا يظل هذا البقع وليس به أثر يذكر به أصحابه، ويذكر به أعلامه من دفنا فصائحه.

ولعل محمد حسن هيكيل الدعوة إلى بناء وإقامة الأضرحة على القبور، بأفم من أجل ذكرى ومُعَلَّم للاجيال في تعظيمها حيناً لأبنائها على أن يجدوا في الساكنين الأولين الأسوة والمثل. وإنما إذ ندخل (البانتيون) في باريس أو كنسبة (وستمنستر) في لندن، أو أياً غير هذين من مدافن العظام لا يجدون يخاطرنا عبادتهم، ولا يدود صحتنا تقديسهم، إذا يدفنا ذكرهم إلى الوقوف على أخبارهم وما خلفوا من أثر جليل وعمل صالح"(1).

إن هذه الدعوة التي ينادي بها محمد حسين هيكيل مع ما فيها من خلفية أمر النبي ﷺ في البقاء على القبور، في قوله ﷺ: (قاتل الله اليهود أخذوا قبور أنبيائهم مساجد) (2). وجاء في حديث أيضاً: لما نزل برسول ﷺ طفق يطرح خِمَصَةُ له على وجهه فإذا أعقم بها كشفها عن وجهه فقال: وهو كذلك: (لعن

(1) في منزل الوحي-526-527.
(2) صحيح البخاري-كتاب الصلاة-باب الصلاة في الامامة-رقم الحديث(184).
اللهُ الَّذِي يُهَوِّدُ وَالْتَصَارَىٰ أَنْتُمْ قُبُورٌ أَليِبَائِيْنَّهُ مَسَاجِدًا قَالَتْ عَائِشَةٌ: 
وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأَبْرَزَّكُمْ فَتْحًا غَيْرَ أَيْنَ أَخْشَى أَنْ يَتَخَذَّى مَسَاجِدًا (1) وَقَالَ (عَلَى) اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالْتَصَارَىٰ أَنْتُمْ قُبُورٌ أَليِبَائِيْنَّهُ مَسَاجِدٌ يُحِذَّرُ مَا 
صُنِعُوا (2).

إن دعوة هيكل إلى البناء على القبور قباياً ووضع معاعلمها من أجل التذكير بأمجاد السالفين والفائنين، كانت هي بعينها سبب الوقوع في الشرك الأكبر وعبادة القبور في الأمم السابقة، فعن عائشة مُؤّمنة أنَّ أمَّ حبيبة وأمَّ سَلَّمة ذكرنا كنيسة رأتها بالحيشة فيها تصرَّف فذكرنا للنبي فقال: (إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات به على قبر مسجدًا وصورة في تلك الصور فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة) (3).

وكان فهذه العلة هي السبب في دخول الشرك إلى البشرية ففي قوله تعالى: {وَقَالُوا لَا تَذَرْنَ ءَايَةً هَكَذَا وَلَا تَذَرْنَ وَذَا وَلَا سَوَاءً وَلَا يَعْوَدُ وَيَعْوَقُ وَيُسَرّ (4)} بيان أن هذه أصنام عند العرب عبدت من دون الله تعالى، وكان من أسباب عبادتها ما أوضحته ابن عباس فيه قوله: "هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلمّا هلكوا أواح الشيطان إلى قومهم أن يصروا إلى (1) صحيح البخاري-كتاب الجنائز-باب ما يكره من أتخاذ المساجد على القبور-رقم الحديث 1244.
(2) المصدر السابق-كتاب الصلاة-باب الصلاة في البيعة-رقم الحديث (147).
(3) مصدر نفسه-باب هل تنش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد-رقم الحديث (9).
(4) سورة نوح-آية رقم (23).
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

 mj alâ ishâ alâ kânâ yâ hâsûn a nîsâbâ wà sârôhâ bâ âsâbânîhûm; fâ hâlûwâ flâm tâbî hântî
"îdâ hâlîk alâ olâlîk wà tâsîh alâlîm âydîntî"(1).

فمن أجل حماية جناب التوحيد، وخشية الوقوع في الشرك مما وقعت فيه
الأمم السابقة أجمع العلماء على النهي عن البناء على القبور وتخرجه ووجوب
هدهم، للأحاديث الصحيحة الصريحة التي لا متعلق فيها بوجه من الوجه (2).

وقرر الرأس أن الدعوة إلى بناء القباب على القبور، هي من بدء الفرق
الباطنية كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (لم يكن في العصور المفضلة "مشاهد"
على القبور، وإنما ظهر ذلك وكثير في دولة بني بويه، لما ظهرت القرامطة بأرض
المشرق والمغرب وكان بها زنادة كفاح، مقتصدهم تبديل دين الإسلام، وكان في
بني بويه من الموافقة لهم على بعض ذلك (3).

وأما السلف الصالح فقد كانوا مهتمين بهدي الرسول ﷺ، فسدوا أبواب
الشرك، ولم ينظروا إلى شبهة بناء القباب وإحياء الآثار بحجة أنها تقام (ذكرًا
ومعترفًا للأشياء في تعاقبها حتى لأبنتها على أن يجدوا في السابقين الأولين
الأسوة والمثل) كما قال محمد حسين هيكل، وهذه أمثلة ذلك من أفعالهم
وأفعالهم:

(1) صحيح البخاري-كتاب تفسير القرآن-باب (ودًا ولا سواغًا ولا يغوت ويعوق) -رقم الأثر (4539).
(2) تفسير العزيز الحمید شرح كتاب التوحيد-سليمان بن عبدالوهاب-332.
(3) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية-2/167/27/167/27.
1. ما حدث به طارق بن عبد الرحمن عن الشجرة التي بايع النبي الصحابة تحتها وتسمى بيعة الرضوان، وقال الله فيهم: (.floor) فقد رضينا الله عن المولى، إن يبايعونك تحت الشجرة قَلْمُ ما في قلوبهم فأنزل السَّكينَة علىهم وأثبتهم فتمحَّقا قريباً (1) وقال الرسول في فضل من بايع: (أَنتُم خِيِّر أَهْلِ الْأَرْضُ) (2) قال عبد الرحمن: (الثِّلْقَة حَاجًا فمَرْرَت بقُومٍ يَصِلُونَ، قَلْتُ: "مَا هَذَا المَسْجَدُ؟" قَالُوا: هَذِه الشَّجَرَة حَتَّى بايِع رَسُول اللَّه ثِبَة الرضوان، فأتيت سعيد بن المسيب فأخبرته، فقال سعيد: حسنَي الله ﷺ فِي مَن بايِعُ رَسُول اللَّه ثِبَة الرضوان، فلُمِح هذه الفنّة في تلك البقعة أمر عمر بن الخطاب بقطعها (3).

2. وعَنْ أَبِي هُذَيْج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: "أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعْثَ عَلَيهِ رَسُول اللَّه (4) أَنَّهَا تَدْعَ عَمَّا عَمِلَهَا إِلا طَمَّسَتْهَا وَلَا قَبَرَ مُشْقِفًا إِلا سُوَىٰهَا (5).

3. ورأى ابن عمر فسِطاطا على قبر عبد الرحمن بن أبي بكر فقال: "أَرْعِهَا يَا عَلَامَ فَإِذَا بُيِّنَت عَمَّا عَمِلَهَا (6).

(1) سورة الفتح-آية رقم (18)
(2) صحيح البخاري-كتاب المغازي-باب غزوة المدينة-رقم الحديث (8329). وانظر في أسابيع الرضوان-سيرة ابن هشام-262/1.
(3) صحيح البخاري-كتاب المغازي-باب غزوة المدينة-رقم الأثر (8845).
(5) صحيح مسلم-كتاب الجنائز-باب الأمر بتوسيع القبر-رقم الحديث (916).
(6) آخره البخاري تعليقاً-كتاب الجنائز-باب الجريد على القبر وأوصله ابن حجر في تعلق التعليق-493/2.
4. وعن المعروض بن سويد قال: "خرجنا مع عمر ﷺ في حجة حجها، فقرأ
بنا في الفجر ﴿ آلَمْ تَرْكِفْ فَعَلَّ زَكَّى يُصْحِبُ الْقُلُوبِ ﴿ و ﴿ إِلَيْنَفْ
قَرْيَتِهِ ﴿. ﴿ فَلَمَّا قَضِيَ حَجِهُ وَالْفَتَنَ بِيْنَهُ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ لَهُ مَسْجِدٌ
صَلَى فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: هَكَذَا هَلَكَ أُهُلِ الْكِتَابِ، اتَّخَذَوْا قَبُورُ أَبْيَاثِهِم
بِعَاءٍ، مِنْ عَرْضَتِهِ لَمْ تَنْفَكَ الْصَّلَاةُ فَلِيَصْلِ، وَمِنْ لَمْ تَعْرِضْ لِهَا فَلِيَصِلْ.(1)

5. وَأَوْصَى أَبُو مُوسَى ﷺ ﴿ حِينَ حُصْرَةُ الْمَوْتِ ﴿ فَقَالَ: "إِذَا اتَّلَقَّعْتُ بِجَانَبِي
فَأَسْتَغْلَغُوا الْمُسْتَغْلٍ ﴿ وَلَا يُعْتَيِ مُجَمَّعُ ﴿، وَلَا يَتَجَالِلُوا فِي جَنَّيْشٍ ﴿ يَحْوَلُ بَينِي
وَبَينَ الْتَّرَابِ ﴿، وَلَا يَتَجَالِلُوا عَلَى قَبْرِي بِنَاةٍ. ﴿ قَالُوا: أُوْسِعَتْ فِيهِ شُئْبًا؟ ﴿ قَالَ: ﴿ نَعَمّ
مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.(2)

6. وعن محمد بن كعب قال: "هذِهِ الْفَسَاطِيطُ الَّتِي عَلَى الْقُبُورِ مُحْدَثَةٌ.(3)

7. ولْقِسِي أَبُو بِصْرَةِ الْعَفْرَى أَبَا حَرَى ﷺ، ﴿ وَهُوَ جَاءَ مِنْ الْطَّوْرِ ﴿ فَقَالَ: مِنْ
أَينَ أَقْبَلْتُ؟ ﴿ قَالُوا: مِنْ الْطَّوْرِ صَلَّتُ فِيهِ. ﴿ قَالَ: "اُمَّا لَوْ أَذَرْتُكُمْ ﴿ فَإِنَّكُمْ أَنْ تَرْحَلُ إِلَيْهِ
مَا رَحَّلْتُ إِلَيْهِ ﴿، ﴿ أُوْسِعَتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿ يَقُولُ: (لا تَشْدَدُ الْرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةٍ
مُسْجَدٍ: الْمُسْجَدُ الْحَرَّامِ، وَمُسْجِدِي هِذَا، وَالْمُسْجِدُ الْأَقْصَى.(4)

---

(1) أخرجه ابن أبي شيبة في المصدر-376/2. وقال الألباني: سند صحيح على شروط الشيخين. انظر: ﴿ تحذير الساجد من أتخاذ القبور مساجد/الألباني/137/ المكتب الإسلامي/الطبعة الرابعة-1410هـ
(2) مسند الإمام أحمد-4/397-رقام (18746). وقال الألباني: إسناده قوي-تحذير الساجد من
اتخاذ القبور مساجد-135.
(3) أخرجه ابن أبي شيبة في المصدر-336/3.
(4) مسند الإمام أحمد بن حنبيل-3/53.
هذه الآثار الوردية عن السلف كافية في الرد على أعضاء الجمعيات حينما أنكرت على الإمام محمد بن عبدالوهاب وأتباعه هدم القباب التي على القبور.

والملاحظ في واقع كثير من بلاد المسلمين كثرة الأضرحة وتشديد المباي على القبور، على الرغم من النصوص الشرعية التي أوردت طرفاً منها، وتنهى أشذ النهي عن بناء المساجد على القبور، وعن الصلاة فيها، وعلى الرغم من تعين قبر النبي في ذلك النهي، إلا أن الخلوف من المسلمين لم يروا لهذه النصوص حرمة يقفوا عند حدودها.

وقال الشوكاني: "فلا شك ولا ريب أن السبب الأعظم الذي نشأ منه هذا الاعتقاد في الأموات هو ما زينه الشيطان للناس من رفع القبور، ووضع الستور عليها، وتحصيصها وتزيينها بأبلغ زينة، وتحسينها بأكمل تحسن، فإن الجاهل إذا وقعت عينه على فرق من القبور قد بنيت عليه قبة فدخلها ونظر على القبور السرفة والسرفة المتلاسنة، وقد سطعت حوله جناء الطيب، فلا شك ولا ريب أن يمتلك قلبه تعظيماً لذالك القبر، ويضيق ذهنه عن تصور ما هذا الميت من المنزلة، ويدخله من الروعة والمهابة ما يزرع في قلبه من العقائد الشيطانية الذي هي من أعظم مكائد الشيطان للمسلمين حتى يطلب من صاحب ذلك القبر ما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى، فيصير في عداد المشركون".

ويتحدث الشيخ الألباني عن واقع بعض المسلمين يقول: "لقد صار بعضهم يتقرب إلى الله تبارك وتعالى بذلك — البناء على القبور — فترى كثيراً من مجبي

(1) الأخرات والعقدينة والعلماء في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين — علي الزهراوي — 274.
(2) شرح الصدور بتحريم رفع القبور — محمد بن علي الشوكاني — 17 — السنة الحمدية — مصر.
التالي: اعتبار الدعوة (الوهمية) حركة سياسية ذات مطمع مادي:

تعتبر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوة إصلاحية على السنة المحمدية و(حُررت العقل من أسر التقليد وغل العادات، وعملت على إطلاق العقل وتنشيط الفكر، وتحرير الإنسان من العبودية لغير الله سبحانه وتعالى).

وكما واجهت دعوة الرسل المعاندين والمعارضين لدعوتهم كما في قوله تعالى: "إن نقول إلّا أعتذركم بعصر أهلبيتني بسوء، قال إني أشهد الله وأنبئكم أنبى"، فكيف دونهم جميعا نعمه لا تنظرون إني تولكت على الله ربي وزيكر مث ما من دانية إلا هو إحدٍ يتصيبهٌ إن ربي على صرط مستقيم".

فقد واجهت دعوة الإمام الصادرين والمعارضين للمبادئ الإصلاحية التي جاء بها الإمام محمد بن عبد الوهاب، فوقعت وقائع بين أتباع الدعوة والمعارضين، فيها مدافعة عن الحق وإزهار الباطل.

---

1) تذكر الساعد من أخوان القبور مساجد-الألباني-7-8.
2) ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر-3-6/9/41-مكتب التربية العربي لدول الخليج.
3) سورة هود-رقم الآيات (54-6).
وهذَا الأمر مقرر في عقيدة كل مسلم، فكان أتباع الدعوة الإصلاحية، يقولون: "إن السلامة من أثمان الناس غاية لا تدرك، فعليك بما يصلحك عند الله ودع الناس" فإذا كان رسول الله ﷺ تكلم فيه ونسب إلى الحور والظلم، حينما بدأ الناس يسألونه من أموال حقين: (حتى اضطرُّه إلى سُمّرة فُصِّفَت رداءه فوقف النبي ﷺ فقال: (أغْطِني رَذَائِي لَوْ كَانَ لِي عَدَّدُ هذَهُ العضاه ل نَعَمًا لَقَسَمَتْهُ بِيْنُكُمْ ثُمَّ لَا تَجْذُوْنِي بِخَيْلًا وَلَا كُذْوَبًا وَلَا جَيَانًا) (1) وهو رسول رب العالمين وأعظم الخلق عدلًا وأمانة ومع هذا قيل فيه ما قبل، فكيف يطمَع العاقل في السلمة من الناس (2).

وقد قَالُ الشيخ سليمان ابن سحiman: "لا غرو من هذا ولا بد، فإن الناس من أهل الرب والالتباس كانوا من أمر الشيخ وحاله في اختباط وتخبيط مسح حقيقة ما كان عليه الشيخ على قدر أغراضهم وشهواقهم وإراداتهم الباطلة فرموه بالأمور العظيمة، من الأقوال الشيعة البدعة، وعادوه وأذوه" (3).

إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في حال دعوته إلى دين الله ورسوله ﷺ، لم يقاتل الناس ابتداء، بل مكث برهة من الزمان يدعو الناس إلى إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادت، وترك عبادة ما سوا من الأولياء والصالحين والأحجار والأشجار والطواغيت، ويخبرهم أن التقرب والاعتقاد في الأولياء والصالحين هو

(1) صحيح البخاري- كتاب الجهاد والسير/باب الشجاعة في الحرب والأنبياء/رقم الحديث (269).
(2) مختصر سيرة الرسول ﷺ- عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب- 276.
(3) كشف غيابه الظلام عن أوهام جلاء الأوهام- سليمان بن سحiman- 8- مطبوع الرياض- الطبعة الثانية- 1376 هـ.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

محض حق الله تعالى، لا يصلح منه شيء لغير الله لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلًا عن غيرهما، فلما تبين بهذا واشتهر أمره بالدعوة إلى دين الله ورسوله، واستنتكفت أعداء الله مسن ذلك واستكبروا عن قبول دعوته وآذروه وعادوه وأخرجوه من بلدة العينية ثم هاجر إلى الدرعية، فآروه وواسوه، وقاموا بنصرته والجهاد معه لما أنكر عليه أهل نجد وغيرهم من الطوائف ما دعاهم إليه فشمروا لـه عن ساق العدوات وبدأوه بالقتال. ف حينئذ قاتلهم مدافعة لهم لما بغوا عليه وظلموا(1).

وقد استغل أعضاء الجمعيات القومية العربية هذه الحروب، وما قام به الإمام محمد بن عبد الوهاب وأتباعه من هدم القيام وتسوية القبور بالأرض، تنفيذا لأمر الرسول ﷺ(2) فقالوا عن الدعوة (الوهابية): "إذا انتزعت بالمطامع السياسية وجعلت ابن السعود الكبير حامي هذه الحركة يقف على بلاد الحجاز لتتوطد سلطان عربي جديد في القسم الشمالي من جزيرة العرب"(3).

و قال محمد كرد علي عن تاريخ دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب وأتباعه:
"من طالع هذا التاريخ - تاريخ ابن غنام - وعرف حال الشيخ محمد بن عبد الوهاب لا يثبت أن يقع في ذهنه أن كل تاريخ هذه الطائفة قتل وقَتل وقال:

(1) المصدر السابق- 30 وانظر عن هذه الحروب كتاب تاريخ نجد- 1/89.177 0/71.
(2) انظر: تاريخ نجد- ابن غنام- 1/9/1.
(3) حروف الجمعية العربية الحديثة - محمد عزة دروزة - 19/19.
(4) القديم والحديث- محمد كرد علي- 1- الطبعات الأولى - 1342هـ- المطبعة الرحمانية- مصر.
وعند حديث أمين الريحياني عن دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب، قال:
"كان أتباع ابن عبدالوهاب يدعون أنفسهم بالمسلمين وأعداءهم بالمشريكيين". فكأن من عادي الدعوة كان مشاركًا في نظر أمين الريحياني النصرياني - الذي قال عنه أعضاء الجمعيات: داعية من دعاة تحرير الفكر من الضغط الديني والسياسي، ومن أكثر دعاة الوحدة العربية وهو عضو في الجمعيات العلمية -.

وأثناء الحرب القائمة بين أتباع الدعوة الوهابية وبين حكومة الأشراف في الحجاز، وصفت جريدة القبلة- القومية - هذه الحروب بأفما من فظائع الوهابية، وهي ترمي إلى سفك الدماء ونشر الخوف والرعب بين الأهالي.

لقد وصفت صحيفة القبلة أن حرب أبا من مبادئ فظائع الوهابية، وقالت الصحيفة: "إن الوهابيين لا يشدون من حركاتهم افتتاح البلاد التي يغزوها ولا إخصاع سكاكها، وإذا يقصدون السبب والنهب والفساد بالغنين ولا يفكرون بما دون ذلك".

---

وقال محمد حسن هيكل: "التجديديون الحاكمون يتبعون مذهب ابن عدالوهاب، وهو مذهب أحمد بن حنبل، وهم يتبعونه في شدة وغلو كانا أوضح أثرًا أول تسلطهم على الحجاز في سنة 1926"(1).

ويذكر هذا الرأي قال الرياحي عن الإمام محمد بن عبدالوهاب: "إن الشيخ في رجوعه إلى الكتاب والسنة اتصمده بآيات وأحاديث نبهت فيه نورة الأقدام فحرص على الأعمال التي شوهدت في الماضي كل ذين. على أن الإصلاح في بداء أمره لا يكون بغير الهدم، ولا يقوم بغير شيء من الإرهاب"(2).

وذكر محمد فريد وحدي: "أن مما يؤخذ على (الوهابية) غلو بعضهم في أصولهم فقد عدوا رفع القباب على القبور، وإيقاد السرج عليها وإدخالها في المسجد من البدع، ويقر وحدي: أن (الوهابية) قد غالبت في محو القبور حيث مروها بشيء من الحماش"(3).

كما استند على دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب مسألة هدم القباب ونشرية ما ارتفع من القبر، بأن تطبيق هذا البدا لا ضرر منه، أيام كانوا الوهابية قابعين في الصحراء لا يتجاوزوها، ولكن وقد احتلطوا بغيرهم فإن الأمر يكون خطيراً(4).

---

(1) في منزل الولي-محمد حسين هيكل-130.
(2) نج، ومحلقة-أمين الرياحي-52.
(4) تاريخ المذاهب الإسلامية-محمد أبو زهرة-211-دار الفكر العربي.
الجمياعات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

واعتُبر أعضاء الجمعيات أن دعوة محمد بن عبد الوهاب دعوة إلى الجمود
وعدد النظر في العلوم الحديثة ومطالبات العصر، كما قال جميل الزهراوي: "ما رأى ابن عبد الوهاب أن قاطني بلاد نجد بعيدون عن عالم الحضارة، لم يزالوا على البساطة والسذاجة في الفطرة، قد ساد عليهم الجهل حتى لم يبق للعلوم العقلية عَنْهُم مكانة ولا رواج، ووجد هنالك من قلوبهم ما هو صالح لأن يزرع فيه بذور الفساد"(1).

وما نسبه أعضاء الجمعيات القومية العربية إلى دعوة الإمام لا يخص من عاصر أحداث الحركة الإصلاحية فحسب وإنما يعم جميع من تبين دعوة الإمام، لذا قال أمين الرياحي عن أنصار الإمام: "لا يزالون حتى اليوم محافظين على هذا الإرث الثمين، إلا أنه ينقصهم شيء من المرونة العقلية والروحية، يعانون عباً سنة التطوير والعمران"(2).

ويؤكد حرجي زيدان في كتابه (مصر الحديثة) على أن الوهابيين قد ذهبوا إلى إغفال الكتب الدينية الإسلامية إلا القرآن(3).

وقد سطر الإمام محمد بن عبد الوهاب في إحدى رسائله المنهج التربوي، المعتمد على كتاب الله وسنة رسوله في مسألة إنكار المنشق، حيث قام بتوجيه أحد أنصار الدعوة الإصلاحية بطريقة إنكار المنكر والواجب فعله في ذلك، فكما

(1) الضياءاء الشارق في رد شبهات المذاق المارد-سليمان بن سحمان-151-دار البحوث العلمية والإباضة-الطبعة الخامسة-1411هـ.
(2) نجوم وملحقات-أمين الرياحي-4-منشورات الفاخرة-الرياض-الطبعة الخامسة-1981.
(3) مصر الحديثة-حرجي زيدان-
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

قال: (الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحتاج إلى ثلاث، أن يعرف ما يأمر به ويستوى عنه، يكون رفيقاً فيما يأمر به ويستوى عنه، صابراً على ما جاءه من الأذى، ويجب الحرص على فهم هذا العمل به، فإن الخلل إما يدخل عليه صاحب الدين من قلة العمل بهذا أو قلة فهمه. ويذكر العلماء أن إنكار المنكر إذا صار يحصل بسبب افتراء لم يجز إنكاره. فلله الله في العمل بما ذكرت لكم، والتفقه فيه، وإنكم إن لم تفعلوا صار إنكاركم مضرة على الدين، والمسلم ما يسعى إلا في صلاح دينه ودنهال).

والدليل الشدة والغلو التي ذكرها أعضاء الجمعيات القومية العربية عن دعوة الإمام محمد وأتباعه، هي إزالة القباب والبناء على القبور، كما ذكر ذلك الشيخ سليمان بن سهبان عن أعمال جيش أتباع دعوة الإمام محمد العبدالوهاب في مدينة الطائف، أن الجيش هدم ما فيها من القباب المبنية على القبور المربوة من دون الله، ومن أعظمها القبة التي بنيت على قبر عبد الله بن عباس.

وممن عاصر أحداث تطهير معلم الشرك على يدي أتباع الدعوة السلفية في بلاد الحجاز، الشيخ سعد بن عتيق، الذي كتب عن هذه الحادثة رسالة قال فيها: (لا يخفى أن ما من الله به من فتح الحرم الشريف وما حصل به من

(1) تاريخ محمد حسن بن غنام- 2/107.
(2) نتمة سليمان بن سهبان على تاريخ محمد حسن شكري الآلوسي-131-الطبيعة الثالثة.
(3) أرسل الشيخ سعد بن عتيق رسالة إلى الملك عبد العزيز يذكر فيها فضل الله على ما أنعم الله عليهم. انظر: مجموعة رسائل الشيخ سعد بن عتيق- 195-76.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

إعلان كلمة الإسلام، وخذلان أهل الشرك وعباد الأورث والأصنام وهدم مشاهد الشرك والطغيان واللات، وما أحدثه أهل الفضلاء من القباب والمقامات والمباني التي على القبور، أنهم من أكبر المعظم عليهم وعلى المسلمين. وإن هدم هذه المشاهد واستئصالها وموجها وعدم إبقاء شيء من أعظم الحسانت، وإن تركهما أو ترك شيء منها والإعراض عن التحريض على موجها وإعدامها من أعظم السينات من القادرين على ذلك.

ويصف الشيخ محمد بن عثمان الشاوي الأعمال القبورية في مكة المكرمة حين دخلها مع أتباع هذه الدعوة السلفية سنة 1343 هـ، وما فعله من هدم قباب الشرك، يقول رحمه الله: (وبدأت أن فرغنا من أعمال العمر، وبدارنا إلى هدم القباب، وجدنا في القبة المبنية على قبر أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ما لا تستطاع حكايته، من ذلك أنا وجدنا رقعاً مكتوباً فيها: "يا خديجة يا أم المؤمنين جناتك زائرين، وعلى بابك واقفين، فلا تردينا خائبين فأشفعي لنا إلى محمد بشفع لنا إلى جبرائيل، ويشفع لنا جبرائيل إلى الله"، وجدنا عند باب القبة عجوزاً شاهدة من سنتها، ولقد حدثني غير واحد أعنهم سألوها ما حالت؟ فقالت: "هي خادمة لسيدنا المتصرفة في الكون منذ عدة سنين، ولا تصوم ولا تصل، ومع ذلك يمسح بها الزوار، وعند القبة من الشمس والصرح والآلات ما لا يخشى، وعندها من أنواع الطيب ما لم نجد مثله عند البيت الحرام والحجر الأسود، وأمثال هذة كثير معلوم، فلله هذا استعنا به تعالى على إزالة تلك القباب.

(1) مجموعة رسائل الشيخ سعد بن عتيق-50-76.
(2) القولون الأسد في الرد على الخصومة الشريف-محمد بن عثمان الشاوي-مخطوط بجامعة الملك سعود- رقم 3421.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسيحي

وحال واقع ساكني المدينة النبوية، ليس أحمر حالاً من أهالي مكة المكرمة، حيث يصف أهالي المدينة واقع الناس عند قبور أصحاب النبي حيث يجتمع الزوار مع أهالي المدينة في الصعود إلى ضريح سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب، وكانت الحكومة التركية تحتفل به رسمياً، فبحر فوج من الجنود بالموسيقا وأفراد الشرطة، وتطلق الصواريخ وتتلاقى الولائم والموالد والأذكار والسمر بالليل، وتوف النذور عند القبور، ويمتلىء قبر سيد الشهداء بالشمع والدرّاحم من ذهب وفضة يأخذها سادن التربة.

وبعد دخول جيوش أتباع الدعوة السلفية إلى مكة المكرمة، تم عقد لقاء بين علماء أتباع دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب وبين علماء الحجاز من أجل التباحث في مسائل حصل فيها ليس تجاه دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، وما جاء في البيان الذي صدر من علماء الحجاز، ما يلي: جرى بيننا وبين المذكورين اتحاث مباحث فرضنا علينا عقيدة أهل نجد، وعرضنا عليهم عقيدتنا، فحصل الاجتماع بيننا وبينهم بعد البحث والمراعطة في مسائل أصولية منها:

---

(2) ذكر في البيان أسماء علماء الجدد، ومنهم: الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف، والشيخ عبدالله بن حسن، والشيخ عبد الوهاب بن مراح، والشيخ عبد الرحمن بن محمد بن داود، والشيخ محمد بن عثمان المخاوي، والشيخ مبارك بن عبد المحسن بن بار. ومن ذكر من أسماء علماء الحجاز: محمد حبيب الله الشنيفي، والشيخ عمر باهتدي أبي بكر، والشيخ درويش عحيبي، والشيخ محمد مروقي، والشيخ أحمد بن علي. الخ.
1. إن من أثر بالشهدتين عمل بأركان الإسلام الخمسة، ثم أتى بعفيه
_ ينفّض إسلامه _ قولي أو فعلي أو اعتقادي أنه يكون كافراً بذلك يستلاب
ثلاثة فإن تاب وإلا قتل.

2. من جعل بينه وبين الله وسائط من خلقه يدعوهم ويرجوهم في حلب
نفع أو دفع ضر أو يقربوه إلى الله ذلقي، أنه كافر يحل دمه وماله، ومن طلب
الشفاعة من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله أن ذلك شرك، فإن الشفاعة ملك
له ولا تطلب إلا منه، ولا يشفع أحد إلا بإذنه كما قال تعالى: ۚ مَن ذَا الْذَّي
يُشَفِّعُ عِندَهُ إِلَّا إِبْنِهِ ۚ وَهُوَ لَا يَأْذَنُ إِلَّا فِي مَن يَرْضَى قُوَّةَ وَعَمُّهُ كَمَا قَال
 تعالى: ۚ وَلَا يُشَفَّعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَىٰ ۚ وَهُوَا لَا يُرْضَى إِلَّا التَّوْحِيُد.

3. تحريم البناء على القبور وإسراجها وتحري الصلاة عندها، أن ذلك بدعه
محرمة في الشريعة.

4. إن من سأل الله بجاه أحد من خلقه فهو مبتدع مرتكب حراماً، ولا يجوز
الحلف بغير الله لا الكعبة ولا الأمانة ولا البي، ولا غير ذلك لقول النبي ﷺ (هنَّ
حلْفٍ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أُشْرِكْتُ ۔) (1).

فهـذه المسائل كـلها لما وقعت المباحثـة فيها حصل الاتفاق بينا وبين
المذكورين، ولم يحصل خلاف في شيء، فانتهت بذلك العقيدة بينا معاشر
علماء الحرم الشريف وبين إخواننا علماء أهل يحد، نسأل الله أن يوفق الجميع لما
يحب ويرضاه (2).

(1) مسنن أبي داود- كتاب الأئمة والنزور-باب في كراهية الحلف بالآب- رقم الحديث(229).
(2) صحيح أبي الفري-343/60- ص:4.
قال ابن القيم عن الفوائد والعيار من قدوم أهل الطائف إلى الرسول ﷺ وإسلامهم، ثم سواهم بأن يدع لهم الطاغية وهي اللات لا يهمها ثلاث سنين، فأبي رسول الله ﷺ عليهم، قال ابن القيم: "لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً، فإنها شعائر الكفر والشرك، وهي أعظم المنكرات، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البينة، وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي انذرت أثناً وطواغيت تعبد من دون الله" (1).

وأما عن الحروب فقد أوضح الإمام محمد بن عبد الوهاب في رسالته أن الحروب كانت لإقرار الحق وإبطال الباطل، ومدافعة عن دعوة التوحيد وأهله وما قاله في رسالته: وما الفتال فلم نقاتل أحداً إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة، وهم الذين أثناه في ديارنا، ولا أبقيهما مكماً، ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة، فإنما كنت ذلك من جاهزس بسب دين الرسول بعد ما عرفه (2).

وأما عن قضية التكفير التي وصف بها أعضاء الجمعيات القومية العربية الإمام محمد بن عبد الوهاب، فقد دافع الإمام عن منهجه وبين أن هذا جهان عظيم وأن لا يقول بتكفير الجاهل الذي لم يقع عليه الحجة. ونص على أن الذي يشيع هذا القول عنه إذا يريد به تنفير الناس عن دين الله ورسوله (3).

____________________
(1) زاد المداد في هدي خير العباد-3/6/5.0.5. وانظر عن قدوم أهل الطائف: سيرة ابن هشام-4/194.
(2) سورة الشورى-رقم الآية (40).
(3) تاريخ محمد-ابن غنام-2/158.
(4) الدرس السنوي في الأجرة النجدية-10/13/10-الطبعة الخامسة-1416هـ
كما فقد الشيخ عبد الله بن محمد بن عبدالوهاب تلك الفرية، بقوله: "وأما ما يكذب علينا سترًا للحق، وتلبيضاً على الخلق، نقترب الناس على الإطلاق، أهل زماننا، ومن بعد الستمائة، إلا من هو على ما نحن فيه، ومن فروع ذلك أن لا نقبل بيعة أحد إلا بعد التقرر عليه بأنه كان مشركاً، وأن أبوه ماتا على الشرك بالله. فلا وجه لذلك فجميع هذه الخرافات وأشباهها، لم استفهما عنها من ذكر أولاً، كان جوابنا في كل مسألة عن ذلك "سيصفحنا هذين عظيمين" فمن روى عنا شيئاً من ذلك أو نسبه إلينا فقد كذب علينا وافترى، ومن شاهد حالنا وحضر مجلسنا وحقق ما عدننا علم قطعاً أن جميع ذلك وضعه علينا وافترى أعداء الدين وإنحوان الشياطين، تنفراءً للناس عن الإذاعة بإخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة وترك أنواع الشرك الذي نص عليه بأن الله لا يغفر، ويغفر ما دون ذلك لم يشاء، فإننا نعتقد أن من فعل أنواعاً من الكبائر كقتل المسلم بغير حق، والزناء، وشرب الخمر، وتكرر ذلك منه، أنه لا يخرج بفعله ذلك من دائرة الإسلام، ولا يخلد به في دار الانتقام، إذا مات موحداً بجميع أنواع العبادة).

ومما تقدم عرضه عن موقف الجمعيات القومية من دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، يمكن الخلاص إلى ما يلي:

أولاً: إن الجمعيات القومية العربية، قد ردت شبه علماء الضلال التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب.

(1) الهديء السنية والتحفة الوهابية النجدية- سليمان بن سحمان- مطبعة المنار- مصر- الطبعة الثانية- 1344 هـ
ثانياً: اعتبار دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب مناقضة لحرية الفكر وإبداء الرأي، بناء على ما كان يقال: (إن مخالف الإمام كافر وجب قتاله).

ثالثاً: تصنيف دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب بأنه مذهب مُحْدّث.

رابعاً: إثارة الشبه والقدح في دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب، رغبة في صد المسلمين من الاستماع للدعوة.
الباب الرابع

موقف العلماء المعاصرين

البحث الأول: دور العلماء في بيان الدين ومحاكمة

البحث الثاني: موقف العلماء المعاصرين

1. الشيخ عاطف أفندى
2. الشيخ أحمد نعيم بابان زاده
3. الشيخ علوي بن أحمد السقاف
4. الشيخ سليمان بن سحمان الحنبلي
5. الشيخ سعد بن حمد بن عتيق
6. الشيخ مصطفى صبري بن أحمد
7. الشيخ أحمد محمد شاكر
8. الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ
9. الأستاذ محمد صادق الرافعي
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

الشيخ علي حامبنة
الشيخ محمد حامد الفقي
الشيخ أبو الأعلى المودودي
الشيخ محمد ناصر الدين الألباني
الشيخ أبو الحسن الندوي
الأستاذ عبد الله التل
المبحث الأول
دور العلماء في بيان الدين ومحاربة البدع

وردت نصوص في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تبين واجب العالم تجاه تعليم الأمة، والرد على أهل البدع، ليتعلم الجاهل، ويكشف عن حقيقة المنافق.

ومن هذه النصوص قوله تعالى: "لَوْلَا يَتَّهَمُّ الْرَّبَّينِيُّورَبْنَىً وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْعُهمُ الْإِنْثَمُّ وَأَكْلِهمُ الْسَّحْقَتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (٣)"، والرفاعيون كما قال ابن عباس: "هم العلماء العمال أرباب الولايات عليهم، والأحبار هم العلماء. ففي هذه الآية يذكرون المولى أن يسبل ورثة الأنبياء مسلك علماء الأمم السبعة بتركهم توجيه الناس والتحذير من الوقوع في غضب الله تعالى. وما في القرآن آية أشد توبخًا من هذه الآية "لَوْلَا يَتَّهَمُّ الْرَّبَّينِيُّورَبْنَىً وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْعُهمُ الْإِنْثَمُّ وَأَكْلِهمُ الْسَّحْقَتُ" وخطب علي بن أبي طالب، فхожم الله وثني عليه ثم قال: (إِبْنَا النَّاسِ إِنْ آمَنُوا بِنَا هَلَكُمُ بِكُلِّ كَثِيرٍ بِكُلِّ مَعَاصِيٍّ، لَمْ يَتَّهَمُّ الْرَّبَّينِيُّورَبْنَىَّ والْأَحْبَارَ عَنْ قَوْعُهمُ الْإِنْثَمُّ وَأَكْلِهمُ الْسَّحْقَتُ) وهم العلماء".

(١) سورة المرآية-رقم الآية (٦٣).
بحم واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقاً ولا يقرب أجلًا (1).

وقال ابن عباس: "في قوله تعالى: فَمَآ كَانَ لَيْتَشَن أَن يَؤْتِيهِ الْقُرْآنَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبِيَّةُ ثُمَّ يَقُولُ الْقُرْآنُ كَوْنَوْا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَيْكُن كَوْنُوا رَبِيعِينَ. يَا كَنْمَ تَعْلِمُونَ الْقُرْآنَ وَيَا كَنْمَ تَدْرُسُونَ (2) قال ابن عباس في قوله تعالى: فَكَوْنُوا رَبِيعِينَ أي خَلْماء فُقهاء. ويقال للرِّبائي الذي يرَى الناسًا بَصَائِرَ الْعَلَمِ قَبْلَ كِبَارِهِ (3).

وروي ابن مسعود الحديث الذي يبين فيه دور أتباع الرسول من القيام بواجب البيان والرد، فيقول: إن رسول الله ﷺ قال: (ما من نبيٍّ بعثته الله في أمّة قبلتي إلا كان له من أمه حوائج وأصحاب يأخذون بسرته ويقتدون بأمره، فإنما يتخلف من بعدهم خلفات، يقلون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يأمرون، فمن جاهدهم يبده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقله فهو مؤمن، وليس رواه ذلك من الإمام حجة خرّذل (4).

وعن دور علماء السلف قال ابن بطة: إن الله جل ثناؤه وبركاته قد جعل في كل زمان فترة من الرسول، ودروساً للآخرين.. لا يخلي كل زمان من

(1) تفسير ابن كثير-3/126، وانظر: تفسير الطربي-3/268.
(2) سورة آل عمران-رقم الآية (79).
(3) صحيح البخاري-كتاب العلم-باب العلم قبل القول والعمل.
(4) صحيح مسلم-كتاب الإمامة-باب بيان كون النبهي عن المعركة من الإيكان-رقم الحديث (71).
بقايا من أهل العلم وحملة الحجة، يدعون من ضل إلى الهدى ويدعوهم عن
الرد يصرعون منهم على الأذى، ويحيون بكتاب الله الموتى، ويصرون بعون
الله أهل العلم وسنة رسول الله أهل الجهالة والغباء(1).

وثبت في سير أعلام أمة محمد أن من قام بواجب النصح والرد على أهل
البدع والضلال، فهو من ورثة الأنبياء، وحيث أنه قد بعث الله في كل أمة من
الأمم رسولًا يبشرهم ويجزؤهم، فكذلک لم تخل أمة محمد في أي عصر من
عصورها إلا وقد ظهر فيها من بين العقيدة الصحيحة ويرد على أهل الباطل،
ويدحض الشبه الفاسدة.

ومن أوائل أولئك أصحاب رسول الله ﷺ، وكان من هذى أنه يرسلهم
ليقوموا بواجب التعليم، فقد أرسل معاذًا إلى اليمن وقال له: قال (إبن تقدُّم
علَى قومٍ أهلك كتاب، فليكن أولًا ما تدعوهم إله عبادة الله، فإذا عرفوا
الله، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم،
فإذا فعلوا، فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم وترد على
فقراءهم، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوقي كرام أموال الناس(2).

وقال الصحابي مالك بن الحويرث: أتينا إلى النبي ﷺ ونحن شبة
مُتقرِّبون، فاحتمينا عشرين يومًا وليلة، وكان رسول الله ﷺ، حريماً ورفقًا،
فلما ظن أننا قد أشتهينا أهلهنا، أو قد اشتفنا، سألنا عمن تركنا بعدنا فأعبرناهُ

(1) الإبانة عن شريعة الفرق الناجية وجوانبة الفرق المذمومة- ابن بطة-197/1
(2) صحيح البخاري-كتاب الزكاة-باب لا تؤخذ كرام أموال الناس في الصدقة-رقم الحديث
1360.)
قال: (ارجعوا إلى أهلكم فاقمو فيها وعلموا ومروا وذكر أشياء أحقنها أو لا أحقنها). (1)

ويوصي عمر بن الخطاب ب أن يقوم العلماء بواجب بيان العقيدة والرد على أهل السبع، كما قال: (إنهُ سبأني ناس يجادلونكم بشهادات القرآن فخدوهم بالسنين فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله). (2)

ومثل هذا النهج السديد في البيان والتعليم فعل الصحابي الجليل عبد الله بن عمر، فقد حدث التابع يحيى بن يعمر، قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني فانتفعت أنا وحبيب بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين، فقلت: "الله ليتني أحد من أصحاب رسول الله، فسألتاه عما يقول هؤلاء في القدر" فقال: "لنأ عبد الله بن عمر بن الخطاب داخل المسجد.

قلت: أبا عبد الرحمن: إني قد ظهر فيلنا قسأ قرأ القرآن ويتقرون العلم، وذكر من شأنهم واتهم بزعمون أن لا قادر وأن الامر أنف. قال: (إذا أتيت أولئك فأخبرهم أن بي بريء منهم وأتهم برأي مني، والذي يحسب به عبد الله بن عمر لو أن أحدكم مثل أحد دهَا فأناقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر). (3)

(1) المصدر السابق - كتاب الأذان - باب الأذان للنسائي. إذا كنا جماعة - رقم الحديث (95).
(2) سنن الدارمي - المقدمة - رقم الحديث (119). وانظر الأثر في: الشريعة - الأجري 48/13 126/1 202 (2).
(3) صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان الإيمان والإسلام - رقم الحديث (9).
وحي النما خرجت الخوارج وانتحارت عن جموع الأمة، قام ابن عباس في بيان شبهة الخوارج والرد عليها، ومن آثار دور ابن عباس أن رجع منهم أربعة آلافً كلهمذئبً.(1)

وأما أكثر من التابعين في مسألة الرد على أهل البعد، قول الفضيل بن عياض: "كيف بك إذا بقيت إلى زمان شاهدت فيه ناساً لا يفرقون بين الحق والباطل، ولا بين المؤمن والكافر، ولا بين الأمين والحائث ولا بين الجاهل والعالم، ولا يعرفون معرفاً ولا ينكرون منكرٌ".(2)

وينص علماء السلف على: "أن من مذهب أهل السنة والجماعة جمانية أهل الأهواء والضلالاء، وحجرهم ومبانيتهم".(3) وأهم: "بغضون أهل البعد الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يجدون ولا يصحبونهم، ولا يسعون كلهم ولا يجالسونهم. واتفقوا على القول بقهر أهل البعد وإذلالهم وإخراجهم وإبعادهم وإقصائهم والتباعد منهم ومن مصاحبتهم ومعاشرتهم، والتقرب إلى الله عز وجل بجانبهم ومهاجرهم".(4)

كما أكد علماء السلف على وجوه البقارة من كل من خالف الكتاب والسنة ظاهراً أو باتناً، وبيان الأهواء المختلفة، والآراء المتفرقة، والمذاهب الرديئة، مع اعتقاد ضلالة معتقديها والبقارة منههم.(5)

(1) مسند الإمام أحمد 86/400-87/417. وتاريخ الطبري 178/5-5/627. دار الفكر بيروت الطبعة الأولى.
(2) الإبانة عن شريعة الفرق الناجية ومجملة الفرق المذمومة-ابن بطة-188/2016.
(3) الحجة في بيان الحجة-5/78.628.
(4) عقيدة السلف أصحاب الحديث-عبد الرحمن الصابوني-112/4 و113/100.
(5) انظر: شرح العقيدة الطحاوية-ابن أبي العز الحنفي-288/5
قال ابن عبدالله على كلام الإمام مالك: والجماعة على ما قال مالك، إلا
أن يضع أحده إلى الكلام فلا يسمع السكتة إذا طمع برد الباطل وصرف
صاحبه عن مذهبه، أو خشي ضلال عامة أو نحو هذا).1

ويعتبر علماء السلف قرناً من بعد قرن مبينين للناس أمر دينهم، ويردون
على من أراد الابتداع في الدين. وقد خُلَف السلف` للأمة آثارة علمية معتمدة في
حجتهما وبيانيها على كتاب الله وسنة رسوله، سواء كان في بيان العقيدة
والتعليم، أو الرد على أهل البدع ودحض شبه المارقين، ومن هذه الآثار العلمية:

1. كتاب الإمام/ لأبي عبيد القاسم بن سلام.
2. الرد على الزنادقة والجهمية/ لأحمد بن حنبل.
3. الرد على الجهمية/ لعثمان بن سعيد الداعري.
4. الرد على بشر المريسي/ لعثمان بن سعيد الداعري.
5. كتاب التوحيد/ لاين خزيمة.
6. السنة/ أحمد بن هارون الخالد.
7. الإبادة عن شريعة الفرق الناجحة ومghanة الفرق المذمومة/ ابن بطة.
8. منهج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية/ ابن تيمية.
9. الصواعق المزارة على الطائفة الجهمية ومعطالة/ ابن القيم.

(1) جامع بيان العلم وفضله-ابن عبد الله- 9/8-20-2414 هـ
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

وهذه الكتب تركز على قضية هامة هي: العودة بالأمة إلى الاتصال المباشر بالكتب والسنة واتباع السلف الصالح في فهمهما واجتناب ما جد من الآراء المحدثة والمذاهب المتكررة(1).

(1) مدخل كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة-ليدكتور أحمد سعد حمدان-1/1/51.
المبحث الثاني

 موقف العلماء المعاصرين للجمعيات القومية العربية

 كان لعلماء المسلمين في القرن الرابع عشر الهجري، وهو القرن الذي أسست فيه الجمعيات القومية العربية، موقف من المناهج والأفكار التي تناقلها أعضاء الجمعيات في عصر عصف فيه الأفكار الإ kapsية، واستعمرت البلاد الإسلامية، وتمكنت القوانين والنظم الصلبية، وفيه اشتد الغزو العقدي على الأمم الإسلامية، وكان أن انقسم العلماء تجاه ذلك الواقع الأليم بحسب تأثر العالم بما حل بالأمة الإسلامية ومقدار تأثيره في مجريات الأمور، وتمكن حصر هذه الأقسام بما يلي:

1. علماء المصالح والطرق الصوفية(1):

 لقد ابتدأت الأمة الإسلامية في القرن الرابع عشر بطائفة من العلماء تلبسوا بالعلم الشرعي، وحفظوا المنون الشرعي والقواعد الكلية لهذا الدين، ولكن جنحوا من بيدهم السلطة والأمر من الظلمة، يقررون ما يملونه عليهم، ويبعوهم

(1) إن البحث في أصل الفرقة، وبيان مبادئها، وكيفية ظهورها، في المجتمع الإسلامي يخرج عن نطاق موضوع الرسالة، لذا أقتصر هنا على الحديث عن موقف بعض علماء الصوفية في معالجة الخراف الأمة الإسلامية.
في أهوائهم، وقد وقع هذا الصنف فيما حذر منه الرسول (ص)، بقوله: (ستكونُ أمراءً فغورُون ونكرُون، فما غرف بريئ، وما أنكَ سلم، ولكن من رضي وتابع؛ قالوا: أفلًا نقاتلهم؟ قال لا، ما صلوا).\(^1\)

والذي أريده بالقول في مقدمة هذا القسم — العلماء الذين كانت لهم مكانة في الأمة، واحتلوا مناصب قيادية لمكتاثم العلمية، ولم يؤدوا في الوقت نفسه رسالة العلم التي هي التعليم والإثارة على من بغي وظلم.

إن دخول العالم الرباني على السلطان الجائر بدون إنساك وأمر معروف، وفي عن منكر قد يوقعه دخوله في الفتنة، كما في حديث ابن عباس (ص): قال النبي (ص): (من سكن كالديجة جفا، ومن أتبع الصيد غفل، ومن أتي أبواب السلطان فتنت).\(^1\)

وقال حذيفة (ص): (ياكم ومواقف الفتنة. قيل: وما مواقف الفتنة يا أبا عبدالله؟ قال: أبواب الأمراء، يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب، ويقول له ما ليس فيه).\(^3\) وتناقل السلف هذه النصوص محدرين ومنذرين من بجاية السلطان على ظلمه، ومداهته على بغيه.\(^4\)

---

(1) صحيح مسلم-كتاب الإمارة-باب وجوب أولانكار على الأمراء فيما يخالف الشرع- رقم الحديث (544).\(^2\)


(3) مصنف عبدالرزاق (الزكاة) بحريون-117/31-62-782.\(^5\)

(4) انظر: جامع بيان العلم وفضله-ابن عبد القادر (الزكاة) بحريون-117/31-62-782.\(^5\)
لا يهم إلا برغبته الشخصية، فهو يعيش لمطالب ذاته، وينظر فيما يرضي المخلوق دون الخلاق رضاً بالفائنة على الباقي، وغروهم المتاع الزائف، الذي تقدمه لهم السلطة الظلمة، سواء أكانت سلطة مستعمرة أم سلطة مستغرب، وهذا الصنف من العلماء لا يرجى منه إنكار مبائد وأسس الجمعيات القومية العربية، لأها توافق مبائد الدول المستعمرة – صاحبة النعمة عليه –.

يصف الشيخ أحمد شاكر موقف علماء هذا القسم، فيقول: لقد ذل المسلمون لأعدائهم من اليهود والنصارى، فزادوا في التشكيك هم قليلاً قليلاً ثم وجد ممن أهل العلم فيهم من المسلمين ومن أهل الرأي من حاول أن يدافع عن الإسلام آسواً دفاع، فصاروا يقربون شيئاً فشيئاً لسادحة، بتأويل القرآن والسنة، وتحريف معانيهما، ليقربوا بين شريعتهم المطهرة، وشرائع تلك الأمام الضالة المغضوب عليها، بل ليقربوا شريعتنا ونصوصنا الصريحة إلى عقائد الملحدين الوثنيين من أهل أوروبا وأمريكا، فكان في علمائنا وكتابنا من ضرب على المسلمين قوانين أوربية الوثنية المجرمة المعونة، ثم استباحوا أكثر الحرمات، يصرحون بإباحتها من غير حياء ولا غيرة.

ثم صاروا يبنؤون الشرائع الإسلامية والأخلاق الكريمة التي هدانا الله إليها ورسوله بالتقليد وبالرجعية، لينفرها الناس منها(1).

(1) عمدة التفسير- ابن كثير- تحقيق أحمد شاكر- 1177/1.
لقد وقف علماء المصالح موقفه التأييد للمبادئ القومية، فمن ذلك محمد عهد الذي قيل عنه: (إنه زرع الأخذ عن جومه على الدين، فقرب كثيراً من الأزهريين إلى اللادييين خطوات، ولم يقرب اللادييين إلى الدين خطوة، وهو الذي شجع قاسم أمين على ترويج السفور في مصر).

وعن أثر جهود محمد عهد وما قدمه من أعمال للمبادئ القومية، يقول صديقه الحميم (كرور) في تقريره السنوي عن عام 1905-1906، والأيام وحدها، هي التي ستكشف عما إذا كانت الآراء التي تعتنقتها المدرسة التي تزعمها الشيخ محمد عهد، سوف تستطع التسلب إلى المجتمع الإسلامي، فلا ريب أن مستقبل الإصلاح الإسلامي، في صورته الصحيحة المبشرة بالأنهاد، يكمن في ذلك الطريق الذي رسمه الشيخ محمد عهد، وأن أتباعه ليستحقون أن يتعاونوا بكل ما هو مستطاع من عطفه الأوروبي و تشجيعه.

وقد وجد أتباع محمد عهد المتابعة الفائقة من العطف الأوروبي متجلياً باستقبال أعضاء المؤتمر الأول لأعضاء الجمعيات القومية في باريس، وتأييد ثورة الحسين بن علي، وبإرسال لورانس العقل المدير في ثورة العرب... الخ.

كما يعتبر طاهر الجزائري موقفه من المبادئ القومية من أمثلة علماء هذا القسم، كما ظهر في رسالته إلى المستشرفة أمينة سر حكام العراق التابع للحكومة البريطانية، قال فيها: (الناس الذين على فكري - من جهة توافق

---

2) الإسلام والحضارة الغربية-محمد حسين-77-78.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

مصلحة الأمة العربية مع مصلحة الدولة البريطانية العظمى كثيرة إلا أنهم لا يقدرون على إظهار فكرهم إلا بعد أن يروا باعتلاً على إظهارهم، لذا ينبسب إليهم أهم خانون للأمة، فإن هذه الجملة راعت الناس كثيراً، وهي جملة انتهاها الشرقي لإرهاب غيره، سواء كان هو مخلصاً في نفسه أو غير مخلص، وإني أوصيكم ببعض البلاد التي لا أشبهها خيراً، فإن فيها كثيراً من الرجال المهمين الذين يعرفون قدر النعمة ويشكرها، ولكنهم يغلب عليهم آمرهم، لأهمهم لم يعرفوا في وقت الزهد، حين ينفعهم ويرآوهم في وقت الشدة، والبحث يجلو كل شيء، ف ينبغي الانتباه لذلك في الحال والمستقبل، وقد آن الأوان لمعرفتهم، وهذا لا يكون إلا تدريجاً، فليبدأ إلى ذلك.

وأما عن علماء الطرق الصوفية فإنه من المقرر في معتقدات التصوف أن مكانة الشيخ عندهم هو الإله، وقد قال منظر الصوفية ابن عربي:

ما حومة الشيخ إلا حومة الله 
فقم بما أديباً لله بالله

فالشيخ هو الأساس في الدراسة الصوفية وما تفرقت الطرق إلا اتباعاً لشيخ، ولمكانته سميت الطرق بأسماء مشايخها ومؤسساتها.

ولما يمتاز به الشيخ - عند الصوفية - من مكانة فإنه لم يستغلها في توجيه أتباعه لمكافحة ومنازلة الأفكار المتحدة، بل على النقيض من هذا فقد قبع علماء الصوفية في الرواية والأرطبة، ونزلت أناملهم المسابح والسجاحيد. وعكفوا

(1) كجز الأحداث-محمد كرد علي-45-48. قال كرد علي يقصد بالمملكة:الغالب أنه يقصد الديار الشمالية.
(2) الفكرات الملكية-ابن عربي-الباب 181-الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة-491 هـ.
يتصفحون ويطالعون شركيات ابن عربي في كتابه الفتوحات الملكية، كما صنع الأمير عبدالقادر الجزائري، القائل: "إني اعتبرت منظمة البنائين الأحرار (الماسونية) كأول مؤسسة في العالم، وفي رأيي أن كل رجل لا يجاهر بالعقيدات البنائية (الماسونية) يعد رجلا ناقصًا وأمؤمر يومًا أن أرى فيه انتشار مبادئ الفرنسسانيون في العالم، ويفهم حسن كل الشعوب ستعيش في سلام وإمتاع".

فكان مع قوله هذا يتصفح مع جلة من علماء الشام كتاب الفتوحات الملكية لابن عربي.

وقد صرحت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن الموقف السليم لشيوخ الطرق الصوفية في مكافحة الفكر الوافد، وإصلاح ما فسد من واقع المسلمين، حيث يقول التصريح عن دور شيوخ الصوفية: "أصبحت مقاليد أمور العامة والداخلة - وهم معظم الأمة المحمدية - في أيديهم انظر في أي سبيل صرفوها، إنهم بعد أن أسقطوا فظائع وامتنعوا ما غرسه الإسلام من فضيلة وفكتوا كل ما حكم بها من روابط أخوية وراضوها على الذل والمهانة والخضوع وسدوا عليها منافذ النار فاستقامت لهم على ذلك، فرقوها فوقها قسموها إلى مناطق نفوذ يتراوحون على استغلالها واستعمارها وألغوا بينها العدوان والتضريب والبغضاء".

---

(2) الرحلة الحجازية-محمد لبيب السنوسي-3/0/2000-الشركة التونسية-1401هـ.
(3) جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية-مزن مطباقي-138-دار القلم-دمشق-الطبابة الأولى-8141هـ.
وقد كان العلماء الصوفية يلاحظون فضلاً عن سلبيتهم في الإصلاح، فأتمكنا أداة إفساد في واقع الأمة، وذكرت الوثائق الفرنسية عن أرباب الطرق الصوفية بأن كانوا يهدفون في البداية إلى تجميع الأتباع حول رجل زاهد ولكن سرعان ما تحول هذا الهدف إلى التشبه بالديانات الأخرى كالجماعات التي يقودها راهب معين (شيخ طريقة أو مرابط) والذي حل محل عبادة الله الواحد.

ومن أمثلة الحذلان لدى علماء الطرق الصوفية مضمون الخطبة التي ألقاهما زعيم الطائفة التيجانية عن موقف الطائفة من الاستعمار الصليبي للبلاد الإسلامية، حيث يقول: (إن من الواجب علينا إعانا حبيبة قلوبنا فرنسا مادياً وأدبياً وسياسياً. ولهذا فإني آقول لا على سبيل المن والافتحار ولكن على سبيل الاحتساب والتشرف بالقيام بالواجب: إن أجدادي قد أحسنا صنعاً في انضمامهم إلى فرنسا قبل أن تصل إلى بلادنا وقبل أن تحتل جيوشها الكرامة ديارنا).

ومعلوم مما ورد في تاريخ وأهداف الجمعيات القومية العربية أن أبرز من أنشأ الجمعيات القومية العربية في الأمة الإسلامية هم التوارى العرب، وكذلك حاملو الشهادات الفرنسية والفكر الفرنسي.

---

Centre d’information et d’études no. 82: note sur le bloc des (1) organizations musuihanees des Tiemcen. Oran le 12 juin 1946 (9 h 42) نقلاً عن كتاب (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين-140) الملاحظ (1) المواقع يوليو 1957 في مجلد 29-ص: 87.

(2) مجلة الأزهر - محرم 1377هـ الموافق يوليو 1957 المجلد 29-ص: 87.
2. علماء معزولون عن واقع الأمة:

كما أبنت الأمة بعلماء ماتت فيها روح العقيدة الصحيحة، وانطفأت لديهم جذوة عقيدة التوحيد، ورضوا بالطقوس والأذكار البديعة من علماء التصوف وأصحاب المصالح، فقد أبنت الأمة فضلاً عن ذلك – بعلماء فهم صلاح وخير، فلم يتبسلوا بلباس الطرق الصوفية، ولكن هؤلاء العلماء الصالحين رضوا بالعزلة عن الواقع. وأحصموا عن الخوض في بيوان انحرافات الأمة، والرد على المتحرفين، وأصبح خيرهم فاعراً غير معضد.

انتقد شيخ الإسلام في عصره الشيخ مصطفى صبري(1)، أصحاب هذا القسم إذ يقول منكراً عليهم اعتزازهم عن واقع الأمة ومينا الأضرار الناتجة عن ذلك الاعتزاز: (الذين جردوا الدين في ديارنا عن السياسة كانوا هم وإخوأهم لا يركون الانتقال بالسياسة لعلماء الدين، بحجة أنه لا ينبغي لهم ونقص من كرامتهم، ومراهم حكما السياسة وحضاها وحقواها لأنفسهم ومخادعة العلماء بتنزيلهم منزلة العجزة فيقولون أيديهم، ويخالوشم بذلك أفغ محترمون عندهم، ثم يفعلون ما يشاؤون بدين الناس ودواهم محررين عن احتمال أن يجيء إليهم من العلماء أمر معرف أو معرّف عن منكر إلا ما يعد من فضول اللسان أو يكمن في القلب، وذلك أضعف الإمام).

(1) نشرت جريدة أخبار اليوم بعددتها الصادر بتاريخ 13/3/1954، ولونة الشيخ مصطفى صبري، وهم قالت عنه: "لم تغل غريته دون مواصلة الجهاد في سبيل الإسلام، فكتب المقالات الفييزة في بيان أحكامه الصحيحة وتبني المراهم المضادة له، وأنف الكتب القائمة في مختلف نواحيه، وكان له أكبر الأثر في إيقاف تيار التحلل والفساد والإباحة والإلحاح، وترك من خلقه تلاميذ مخلصين، قد استمروا منه القوة في العقيدة، والحياة في الحق.

(2) التأثير على منكر التعمية من الدين والخلافة والأمة: مصطفى صبري-80.
وأستدل الشيخ مصطفى صبري بقوله تعالى: «وما كارِكَ الْمُؤْمِنُونَ ليُنفِّذوا سَكَافَةً قَالُوا نَفْرُ من كُلٍ فِرْقَةٍ يَتَفَقُّقُوا في الأُزُنِّ وَلِيُبْنِدُوا قُوُومَهُمُ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ تَحْذَرُونَ»، قال الشيخ عن دلالة هذه الآية: "في الآية عظة للعلماء المعترنين والمحايدين، ودلالة على أن جهادهم إنذار قومهم".

وهذا الموقف السلبي من العلماء، انتقده أيضاً الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، حينما بين مكانة العلم في الأمة ووظيفته، قال الشيخ: (لا توجد في الإسلام وظيفة أخرى قدراً، وأسمى منزلة، وأرحب أفقياً، وأثقل تبعتها، وأوثق عهدًا، وأعظم أجرًا عند الله، من وظيفة العالم الديني، ذلك لأنه وارث لمقام النبي، وأخذ بأهم تكاليفها وهو الدعوة إلى الله وتوجيه خلقه إليه وتركيته وتعليمهم وترويضهم على الحق حتى يفهمه وينقلوه، ثم يعملوا به ويعملوا له فلا يعلم بمفهومه الديني في الإسلام، فاقدانه النفس، وسلاحه الكتاب والسنة وتفسيرهما العملي من فعل النبي، ففعل أصحابه، وعونه الأكبر على الانتصار في هذا الميدان أن ينسى نفسه ويزود في المعاي السامية التي جاء بها الإسلام، وأن يطرح حظوظها من الاعتبار وأن يكون حظه من ميراث النبوة أن يركزي وبعدل، وأن يقول الحق بلسانه ويحقق بجوارحه، وأن يصره إذا خذله الناس، وأن يجاهد في سبيله بكل ما آتاه الله من قوة")

(1) سورة النبوة-رقم الآية(122).
(2) التكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة-مصطفى صبري-88.
(3) مجلة المنهل-المجلد 13-1372-ص:2-عنوان: وظيفة علماء الدين.
إن قول العالم له تأثير في نفس الأمة، والحاجة مása إلى الاسترشاد بقوله، فقد وقفت هذه الطائفة من العلماء الصالحين موقف الانزواء والإحجام، ومعالجة الاختلافات التي صدرت من أعضاء الجمعيات القومية، مع أن مبادئ الجمعيات القومية ظاهرة البطلان والتحلل من الدين.

تم لقاء صحفى مع شيخ جامع الأزهر، وكان مما قال فيه: (لقد رأيت الكثيرين من إخوائى خدمة العلم في منصب المشيخة، فوجدت قم أبعد الناس عن الاشتغال بالسياسة، أشدهم فراً من مظاهر الدنيا البطلان، كانوا يتقطعون لخدمة العلم وجلسون للتدريس كسائر العلماء لا يميزهم إلا فضله الباه، وذكرهم العاطر).

ويتمدّد شيخ جامع الأزهر فعل بعض علماء عصره بقوله: (إن من العلماء من بزل وهو في موقف الخدمة للعلم الشريف إلى دالة الطلبة على جريدة فلان ليقرأوها أو مجلة فلان ليتصفحوها، ومثل هذا في تاريخ الأزهر من قبل ما سمعت ولا رأيت...).

مثل هذا الموقف السليم في معالجة اخراج الأمة والانطواء على الذات من ورثة الأنبياء، أصبح الميدان مفتوحاً أمام أصحاب المدارس المنحرفة القومية كانت أم إشكالية أم ماسونية، صاغهم الاستعمار والغزو الفكري، فأحذروا يطالبون بحقوق الجماعة، يطالبون أن تكون (الأمة مصدر السلطات) وأن يكون للحاكم حدد يلزم بها ولا يتجاوزها، وأن يكون هناك (دستور) يحدد

(1) تاريخ الأستاذ الإمام-محمد رشيد رضا-1903/1-5-مطبعة المنار-القاهرة.
اختصاص كل من السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية والسلطة القضائية، (وبرلمان) يجمع (مثلي الأمة) ويكون له وحدة حق إصدار القرار.
وينادون في الوقت ذاته (بالإصلاح) في كل المجالات: في مجال التعليم، في مجال الاقتصاد، في مجال الخدمات الصحية، في مجال المرافق العامة، وينادون بإزالة المتخلف الذي وقعت فيه الأمة في كل ميدان، التخلف العلمي والحضاري والفكري والمادي.

وباختصار يقومون بعملية (القيادة) التي تقاسع عنها علماء الدين، بالإضافة إلى عنصر آخر يفتقده علماء الدين في ذلك الوقت وهو اطلاعهم على أحوال العالم الحاضرة، وإلمامهم بثقافة العصر، وترمسيهم ببعض الخبرات العملية.

1. العلماء العاملون الصالحون:
هم الذين لهم موقف مشرف تجاه الجمعيات القومية، ولعل من أهم ما يفيد الباحث ويساعد عليه التقدم الصحيح لا رأيا ومبادئ الجمعيات، موقف أولئك العلماء المعاصرين للجمعيات القومية، ولكن للأسف بعد البحث تبين لي ندرة تلك المواقف الحاسمة والتفاوت القاطعة بشأن مبادئ الجمعيات.
والذان لفشو تيار القوميات وتعاونهم فيما بينهم على إسقاط كل من يعارضهم غالبا، ولقيام دول تتبين هذه المذاهب وكثير من الناس يساقرهم أو يغض الطرف عنهم رغبة أو رهبة.

(1) واقعنا المعاصر-محمد قطب-329.
لكن الحق لا يضيع بالكليّة كما قال رسول الله ﷺ: (لا يزال طائفة من أصني ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون) (1) وقال البخاري: (وهم أهل العلم) (2). فقد تأيده العالم أغلب العلماء رغم قتلهم وكانوا شوكة في حلوق القوميين كما سيوضح في ثانيا البحث.

لقد وقف العلماء الروابط على قتلهم — في القرن الرابع عشر الهجري أمام الأفكار، وزحموا القيادات المتزحفة، وهذا الصنف من العلماء الصالحين من قال فيهم الرسول ﷺ: (مثل ما يعثو الله به من الهدى والعلم كمثل القيث . الكثير أصاب أرضًا فكان منها نقيحًا قبلت أسماء قاتلت الكثلا والعُشب الكثير وكاتبت منها أجاب أسماء فقطع الله بها الناس فشربوا وسعروا وزرعوا) — الحديث (3).

ففي هذا الحديث شبه الرسول ﷺ الساعمين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها العيش، فمنهم العالم العام المعلم. فهو بمثابة الأرض الطيبة شربت فانتفت في نفسها وأثبتت فنعتها غيرها. (4)

فض علماء رابان بعثة الدعوة والمنافحة عن الدين وذرو أنفسهم لله تعالى، وأتقحموا ميدانًا أحمج عنهم كثير من العلماء، سلاحهم الكتاب والسنة،

(1) صحيح البخاري-كتاب الاعتقام بالكتب والسنة-باب قول النبي ﷺ لا تزال طائفة من أصني ظاهرين على الحق يقاتلون-رقم الحديث(1767).
(2) المصدر السابق-باب قول النبي ﷺ لا تزال طائفة من أصني ظاهرين على الحق يقاتلون وهم أهل العلم.
(3) صحيح البخاري-كتاب العلم-باب فضل من علم وعلم-رقم الحديث(77).
(4) فتح الباري-ابن حجر-1/2122.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

وغلبهم قائلو معتدلون إلى زيد بن ثابت، وعليهم يقتون(1) فاقاموا ما أعوج من أمر المسلمين، وكشفوا عن دسائس أصحاب المبادئ المنحرفة والمعتقدات الباطلة.

لقد اتخذت هذه الطائفة موقفها من الجمعيات القومية، وأصدروا النوايا التي ترد على مبادئها ومعتقداتها، وبنى أن المبادئ القومية فيها خلافة صريحة لأحكام الدين الإسلامي، وأن ما قدمته هذه الجمعيات من نظم وقوانين إنها هي محايدة صريحة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ودعوة جاهيلة غابتها تحكيم الكفر في أمور ورقاب وأعراض المسلمين، وإقصاء الحكم الإلهي والشريعة العادلة، على رغم ما كانوا يزعمونه فيها من خير وإصلاح.

وأعلّن العلماء عن مواقفهم في الكتب والصحف اليومية وفي الدروس وخطب الجمع، قائمين على الحق، لا يخفون في الحق لومة لائم، جعلوا الله كل غايتهم.

ورحَم الله الإمام ابن بطتك وهو من علماء القرن الثالث الهجري، بعد أن ذكر أقوال السلف في ردهم على المعتقدات والفرق الضالة، قال: "إحوان فاستمعوا إلى كلام هؤلاء السادة من الماضين والأئمة العقلاء من علماء المسلمين والسَّلَف السَّلَاح ممن الصحابة والتابعين، هذه أقوالهم والإسلام في طرق ومطاوعة وعِين فون قوته واستقامته، والأئمة راشدون والأمراء مقسطون فما

(1) سورة الأعراف-رقم الآية (164).
الجهات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

ظلّكتم بنا وبرمان أصحابنا فيه وما نعانيه ونقاسية، ولم يبق من الدين إلا العكر
ومن العيش إلا الكرنب ونحن في درى الدنيا وثناها(1).

ولا ريب في أن ما جاء به أعضاء الجمعيات القومية العربية من قضايا تعتبر
من الأمور المستحدثة في الدين، وظهرت في عصر كانت الغلبة والقوة فيه للدول
العسكرية، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن الوعي الإسلامي الصحيح
المستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كان ضعيفًا.

ولزم لهذا الأمر وجود حمس علماء الأمة في القرن الرابع عشر الهجري إذ
اندفعوا مختلفين في الكتابة والرد على أعضاء الجمعيات القومية، وأجلوا الشبه
التي أثارها أعضاؤها، وأبطلوا حجتهم الواهبة، وكان هذا الجهد الأثر الواضح
في واقع المسلمين، وغير جمعية من الأمة عن ضلالات مبادئ تلك
الجمعيات، وأخذت تأثيرها وظهرت آثارها على من تشرب قلبه وعقله فتنة
الفكر الوافد النصراني.

إن الله قد كتب العصمة للأنبياء والرسلين، وأما غير الأنباء فقد يخطئ
ويصيب، وبعض ما ذكرته عن العلماء المصلحين لا يعني التسليم بجميع
مناهجهم ووسائلهم، فقد يكون على أحادهم بعض الأخطاء في مسائل العقيدة
كأن يكون مثلاً من شيوخ الصوفية ولكن هال الإخوات الخطر الذي
رمست إليه الجمعيات، فلم يرض عن المبادئ القومية، فإيراد قول هذا العالم أو

(1) الإبانة عن شريعة الفرق الناجحة ومجانينة الفرق المذمومة-ابن بطة-186/1.
ذاك ممكن له مخالفات في العقيدة لا يعني أن مؤيد له في جميع أقواله وفتياه، ومن أولئك العلماء:

أولاً: الشيخ عاطف أفندى

وهو من علماء الدولة العثمانية وتولى التدريس في جامع الفاتحة بعد تخرجه من كلية الإليافات التابعة لجامعة استنبول، وأتيح له أن يودي دوره في الدعوة إلى الله والحلاء الحقائق، من على منبر الوعظ وكرسي التدريس، وفي صفحات المجالات الدينية كمجلة (بيان الحق) ومجلة (صبرت مستقيم)، وهما من أشهر المجالات الإسلامية في الدولة العثمانية، نادى الشيخ عاطف بنقد المبادئ والنظم المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وقد شاهد الشيخ عاطف أفندى التعدي الصريح على مقام الخلافة الإسلامية وإسقاطها، ثم استباعها بنظام الحكم الدستوري، من قبل أعضاء الجمعيات القومية، فقال مبيناً مقام الخليفة والخلافة في الشريعة: (واجب على

(1) مما ينبغي ذكره عن سيرة الشيخ عاطف، أنه ألف كتاباً ذكر فيه حكم لباس القبة فاستدعى للمحاكمة عام 1926 وطلب القاضي من الشيخ إعداد دفاعه لبقية على المحكمة التي حكمت عليه بالسجن ثلاث سنوات على الأقل، وإلا سيكون الحكم الإعدام، فجلس الشيخ بعد صلاة العشاء، وأخذ يكتب دفاعه عن نفسه كما طلب منه القاضي، وأثناء الكتابة أعفى الشيخ عاطف قليلًا بعد أيام لم يذك فيها طعم اليوم، وفجأة فتح الشيخ عينه وارتست على وجهه ابتسامة عميقة، فعزق الورقة التي فيها الدفاع عن نفسه، فسأله طالب في السجن، فقال لقد رأيت في رؤيتي السراً يقول لي: [يا عفيف أنتشغ نفك بالدفاع عن نفسك ولا تزيد الاحقاب بسنا؟] فقال الطلاب: وماذا تفسر هذا؟ قال الشيخ: سبحانك، وسأتحلي بزمام الله، وفي الغد وقف أمام المحكمة ولم يتساول به فحكم عليه بالإعدام، وطبق الحكم. انظر: المظلومون من الإسلاميين في العهد الأخير - نجيب فیاض. والعلمانيون في التاريخ والحضارة - محمد حرب.
الجماعات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

عَمَّوم المسلمين وغير المسلمين الذين يقبلون التباعية للحكومة الإسلامية إطاعة أوَّمَر الخليفة التي تنفق والشريعة الإسلامية، وأن يكونوا جنودًا وأن يدفعوا الضرائب وأن لا يعصومون ولا يقومون ضده.

أما الذين لا يخضعون لأوامر المنفعة والشريعة والذين لا يكونون جنودًا، يكونون عصاة مذنبين، ولكن تنفيذ أوامره التي تختلف الشريعة فحراً(1).

إن طاعة الخليفة بالأمور التي تنفق والشريعة الإسلامية من أقوى أسباب دفع الشر وتحمل قوة المسلمين، وقد كان أصحاب النبي ﷺ بوجههم الأمة إلى هذا الأمر، كما ثبت في الحديث، عن حَدَّثَ بْنَ عَبْدُ أَمْيَةَ قَالَ: ﴿دَعَانَا عَلَى عُبْادَةٍ ﴿ۚ وَهُوَ مَرْضٍ ﴾ۚ قَالَ ﴿أَصْلَحَّ اللَّهُ حَدِيثَ بِحَدِيثٍ ﴿ۚ يَفْتَعُّكُ اللَّهُ بِسَمْعَةٍ ﴿ۚ مِنَ النَّبِيِّ ﴾ۚ قَالَ ﴿دَعَانَا النَّبِيَّ ﴿ۚ فَبَيَانَتُهُ ﴿ۚ قَالَ ﴿فِي مَا أَحْدَّ عَلَيْنَا أَنَّ بَيَانَتُهُ عَلَى السَّمِيعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنًا وَمَكْرَهَةٍ ﴿ۚ وُقُودَ دَوَيْنَا وَبِسْرَنَا وَأَثْرُرَ عَلَيْنَا ﴿ۚ وَأَنَّ لَا نَنَزَعُ الأمَّرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كَفِرًا نَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِي بَرْزَانٍ ﴿ۚ (2)

والشيخ هذا التوجه برد على أعضاء الجمعيات القومية الذين قضاوا على الخلافة الإسلامية، بحجة دفع ظلم السلطان العثماني، كما سبق بيان ذلك.

ويدعو الشيخ عاطف أفندي إلى التمسك بعقيدة أهل السنة والجماعة ومجاهدة دعاء التحرر من الدين، فيقول الشيخ: "مذهب أهل السنة والجماعة هو (3)

(1) طريق الإسلام- عاطف أفندي- 77-79. نقلاً عن "العثمانيون في التاريخ والحضارة"- محمد حرب.
(2) صحيح البخاري- كتاب الفتن- باب قول النبى ﷺ سترون بعدي أموراً تذكرنها- رقم الحديث 1532.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والسياسي.

الحق، وكل ما عدد هذا باطل، واعتقاد أهل السنة والجماعة هو الطريق الحق المستقيم، والذي بينة الله في القرآن الكريم، والذي ذكره الرسول بأحاديثه الشريفة، وليس في اعتقاد من أتباع هذا أي اعتقاد.

وفرض على كل مسلم كل على حسب قدرته، تنفيذ أوامر الدين ونواهيه، بدفاعه ومواجهة الذين يعملون على إزالة شعيرة من شعائر الإسلام أو أركانه أو إلغائها.

كما أوضح الشيخ عاطف حقيقة البناء الحضاري للأمم، وهي الأخذ بالجوانب المادية والتمسك بأحكام الدين، وقد قال رأداً على مقلدة الغرب من المسلمين: إن على الأمم الإسلامية ألا تقلد الغرب تقليداً أعمى يأخذ بالمستويات، وأن على المسلمين الأخذ بما يبيعهم فقط في المدينة الغربية، وأن على المسلمين أن يطوروا أنفسهم دون التناسل عن أخلاقهم ومقداساتهم، ولا تفريط في الأخلاق الإسلامية، ولا تناسل عن الدين في سبيل التطور المادي.

ثانياً: الشيخ أحمد نعيم بابان زاده:

من أبرز ما تميز به الشيخ أحمد في الدولة العثمانية معرفته لمخطات الصليبية، وإجادته للغة العربية، وقد شغل مناصب تعليمية في الدولة من أبرزها مديراً لجامعة استنبول.

(1) نسخة شرعي-محمد عاطف أفندي-1-15-استنبول-1932-1933. نقلًا عن"العثمانيون في التاريخ والحضارة"-محمد حرب.

(2) رسالة تقليد الفرقة والقبيلة-عاطف أفندي-نقالًا عن"العثمانيون في التاريخ والحضارة"-محمد حرب-230. ورسالة الشيخ عاطف مطبوعة باللغة التركية ونسخة منها في مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض.
لقد عُرف الشيخ أحمد نعيم بعمق الفكرة وقوة الحجة وسلامة المنطق، وفي أشناه هجوم الفكر الوافد على الأمة الإسلامية بصورة الدعوة إلى القوميات، كان الشيخ أحمد نعيم من العلماء اللامعين الذين تولوا الرد عليها وتعريج مبادئها.

إن تغريب الأمية عن دينها وتأصيل رابطة اللغة دون الدين، كان من أهداف الجمعيات القومية العربية، ولذا أكد الشيخ أحمد نعيم على حقيقة الرابطة بين المسلمين، وهي الرابطة الدينية، حيث قال: (كان العرب - وهم أول من دخلوا في دين الله أفواجاً ونشروه - كانوا يعيشون على هيئة قبائل مختلفة. كانوا ي addTargetون الحياة بعضهم بعضًا، وهم تحت تأثير فكرة الثور وفكرة الحصول على الغنائم، فجمعهم فيض الإسلام حول كلمة واحدة، كما أن هذا الفيض الإسلامي قد حول هذه القبائل المتنفرة إلى قوة محتزمة. ثم دفعتهم الغيرة الدينية والقوى المعنية إلى التضحية والتفاوض)(1).

إن الرابطة الدينية هي الرابطة التي جمعت بين المسلمين العرب منهم والعجم، وهذا المبدأ الذي ذكره الشيخ أحمد نعيم، هو الذي بينه الصحابي الجليل حيبر بن أبي طالب أمام النجاشي، أثناء الهجرة الأولى إلى الحبشة(2).

وتناول الشيخ أحمد نعيم القومية بالنقد المبني على كتب الله وسنة رسوله، والقيمة العلمية وبيان الدور الهم الذي قام به الشيخ أحمد نعيم في عصر سمي

(1) قضية القومية - أحمد نعيم - نقلًا عن: العلمانيون في التاريخ والحضارة - محمد حرب - ٢٤٤.
(2) انظر الخبر في (٢٠٠٢-٢٠١١-١) وهو في مسند الإمام أحمد بن حنبل.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

عصر القوميات) خاصة - أنقل هذا النص مفصلاً لـه في نقد القومية، ويقول في: "بدعة أجنبية مهكرة بالدرجة التي أرى فيها أنه يمكن أن نطلق عليها اسم: داء السل في جسم الأمة الإسلامية، كما أنها بدعه ضارة استعرانا من أوروبا بدافع من الجهل.

والواقع الفعلي أن القومية تعتبر من أعظم مصائبنا التي تشد الانتباه، وأكثر ما يشتد الانتباه في ذلك أننا لا نأخذ عن أوروبا إلا أسوأ ما عندها، القضية القومية مذمومة ومرفوضة شرعا، وهي بالتعبير الشرعي [دعوى الجاهلية] (1)، وهي أفظع ضررة لقوم الأمة الإسلامية ولبقائها ولرفاه المسلمين ونساهم (2).

بلا حظ أن الشيخ أشار إلى أخطار تلك الدعوة، وحكم الشرع فيها، فهي بدعه ضالة وصار معلوماً أن الجمعيات القومية العربية لم تتوسع إلا للدعوة إلى مبادئ ونظم كانت سابقاً في مرجع وحدة الأمة التي كانت متمسكة بوحداق الدينية، ولذا لم يمض على تأسيس تلك الجمعيات في البلاد الإسلامية سوى سنوات حتى رضخت البلاد للاستعمار الصليبي.

(1) انظر الحديث وقول النبي ﷺ: [ما تأمل دعوى أهل الجاهلية.. دعوها فإنها خبيئة]. صحيح
البخاري-كتاب المناقب-باب ما ينهي من دعوى الجاهلية-رقم الحديث ٢٥٧، (٣٠)

(2) قضية القومية-أحمد نعيم-نقلاً عن: العلمانيون في التاريخ والحضارة-محمد حرب-٢٤٤.
ثالثًا: الشيخ علوي بن أحمد السقاف:

عاصر الشيخ علوي فترة تأسيس الجمعيات القومية العربية، إذ كانت وفاته سنة (1335 هـ-1916 م) شهيد الأخلاق الذي وقع به أعضاء الجمعيات القومية العربية في قضية عقيدة الولاء والبراء، والأخذ بالقوانين الكافرة، فأنكر عليهم هذا الأخلاق.

فكان من أقواله مستنكرًا عليهم موالاة الكفار والأخذ بقوانينهم: (إن الرزية كل الرزية والدعاية الدنيا الشيطانية ما وقع فيه بعض هذه الأمه المحمدية من الانتشار والانتشار إلى بعض الدول الكفرة والاحتمال بما الاتجاه إلى أبواها والرضا بأحكامها الطاغوتية، مع عدم شعورهم بما صاروا إليه من الخزي والنكار، وما ترتب على ذلك من الخذلان والوبال، وترديهم في مهاوي الهوى والهوان والإذلال، وخلعهم خلة الإسلام، وترديهم برداء الكفر والضلالة، بنص قوله تعالى: «لَوْ جِئْتُكُمْ بِمَا يَوْمُ يُؤْتُونَهُ بِيَدِهِ لَأَخُذْتُكُمْ أَثَناَهُمْ وَأَتَبَعْنَاهُمْ وَأَعْمَلُنَّهُمْ» (2).)

وبعد هذا الإنكار من الشيخ علوي السقاف حث عامة المسلمين على تفهم الآيات الوردية فيمن يوالى المشركين، فقال بعد عرض الآيات: (فانظروا يا...

---

(1) علوي بن أحمد بن عبدالله بن السقاف: نقي السادة العلويين ممكة، وأحد علمائها. ولد مكة سنة (1255 هـ-1839 م)، وفي الناقبة سنة 1298 هـ، وهاجر بعائده إلى (لاحق) سنة 1311 هـ. بدعوة من أميرها فاقام إلى سنة 1327 هـ، وعاد إلى مكة، فاستمر إلى أن توفي سنة (1357 هـ-1939 م). وله من الكتب ما يلي: (ترشيح المستفيدين) (فتح العلام باحكام السلام) (والأنبياء الذين يجب الإيمان بهم)، (الأعلام-الركابي-4، 449).

(2) سورة المجادلة-رقم الآية(22).
معاشر المسلمين في أقطار الأرض أجمعين ما أنزله رب العالمين في كتابه المبين في حق هؤلاء الذين أشربوا حب النصارى في قلوبهم واستحضروا عظمة ملكهم وصولتهم ولا حظوا توفر الدنيا بأيديهم التي هي حظهم في الدنيا والآخرة).

وستذكر آيات القرآن الحكيم الواردة في تقسيم الناس، قال الشيخ علوي السقاف: (اعلم أن الناس قسمان: الذين آمنوا، ولهم الله تعالى لا غيرهم، فليس لهم مولٍ من دون الله ورسوله. والذين كفروا: أولئك الطاغوت؛ فلا وسط، فمن أخذ الطاغوت وليا من دون الله فقد خسر خسارةً مبيناً، وارتكب خطأً جسيماً.

فليس إلا ولي الله أو ولي الطاغوت، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّا وَرَبُّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُواْ فِي أَنْفِسَهُمْ حَقَّاً حَقّاً قَضَيْتُ وَسُلِّمَواْ تَسْلِيمًا} \(^{(2)}\) ﴿، وقد حكم الله أن لا يتولى الكفار بوجه، فمن خالف، ولم يحكم، فإن يكون له إيمان وقد نفي الله إيمانه، وأكد النفي بأبلغ الوجه والأقسام.

أكد أعضاء الجمعيات على مبدأ إدخال مشرفين وخبراء من الدول النصرانية لهم حق الحكم والفصل والقضية، واستدلال أعضاء الجمعيات القومية

(1) تذكير ممن ينتهي إلى الإسلام عن الاحتماء بأعداد الملوك العالم والموقوع فيمن أقام الله تعالى للمسلمين إمام-علي بن أحمد السقاف-خطوطا بملكة جامعة الملك سعود-قسم المخطوطات- تحت رقم 15/12.
(2) سورة النساء-رقم الآية (65).
الجمعيات القومية العربية و موقفها من الإسلام والمسلمين

العربـية على تحكيم المستشارين الأجانب بأفهم يتعلقون ولا يظلمون، ومن أجل
 مقابلة رد الظلم والعدوان التركي (1).

ومخالفته هذا الأمر لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ أكد الشيخ علي السقاف
 أن ما طالبته الجمعيات هو مبدأ جاهلي — قائلًا: (تأمل في حال من
 خوضم وطلب إلى حكم الشرعية، قال: أنا من رعية النصارى، فوالله لقد زاغ
 عن طريق الهدى وتزدد في مهاري الورد، وشأنه المناقبين الذين قال الله في
 حقهم: ﴿وإِذَا قَبَلُهُمْ تَعاَلَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَايَتُ الْمُتَّفَقِينَ يُصْدُونَ عَلَىٰ صُدُودًا﴾ (2). ﴿وَالصَّادِقُ: أي المعرض عن الشرعـة
 المحمدية، استحق عنوان النفاق والتسمي به لفعله ما يخالف المؤمنين المسلمين.

ومن يقول عن الكفّار أهم أهل عدل فإن أراد أن الأمور الكفرية التي منها
 أحكامهم القانونية عدل، فقد كفر والله سبحانه وتعالى ذمها وشّاعت عليها
 وسماها عتوا وعندى وطيباً وكفرًا وإما مبينًا. والعدل إما هو شريعة الله التي
 حواها كتابه وسنة نبيه ﷺ إن الله يأمر بالعدل (3).

وتناول الشيخ علي السقاف مكانة الخليفة الشرعي، وقصوى للرد فيمـ
 قدح في الخلافة الإسلامية وقابل ذلك مدحًا وثناء على السياسة النصرانية، كما
 فعل الجمعيات القومية العربية، فقال الشيخ رحمه الله: (من أهان السلطان،

(1) انظر الفصل الثالث – الباب الأول – من الرسالة ص: ( ).

(2) سورة النساء - رقـم الآية (21).

(3) تخذير من ينتهي إلى الإسلام عن الاحتماء بأعداء الملك العلام والوقوف فيم أمامه الله تعالى
 للمسلمين إمام- علي بن أحمد السقاف.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

ورفع قدر الكفر وأربابه، أهانه الله ومن يهين الله فما لـه من مكر، فإن أهان السلطان من حيث رعاية الإسلام، ومدح النصارى من حيث رعاية الكفر، كفر وصار مرتدًا والعياذ بالله.

وإن مدح النصارى من حيث الرعاية الدنيوية، وضطربها، وحماية الرعاية عن المظلم وبذل الأموال في إقامة الناموس الدنيوي، فنسب السلطان إلى القصور، والنصرى إلى القيام بذلك كان المادح المذكور ممن غلب عليه حب العاجلة على الآجة وأشرب قلبه حب الخطام وبعد مرماه عن مراعاة سمة الإسلام فهو بدنيا مغرور وحب العاجلة مفتوح(1).

رابعًا: الشيخ سليمان بن سحمن الحنبلي:

من علماء القرن الرابع عشر الهجري، تتبع المعتقدات الدخيلة على المسلمين وقامت بالرد عليها. ومن هذه الردود رد الشيخ سليمان على جميل الزهاوي(2)، الذي قال عنه أعضاء الجمعيات القومية العربية: (من طلائع فضة الأدب العربي في العصر الحاضر) فله يعد واحدًا من أبرز الوجوه في عصر النهضة الحديثة، ومن يشارك في أنشطة الجمعيات القومية العربية(3).

(1) تذبذر مسن ينتظى إلى الإسلام عن الاحترام بأعداء الملك العلام والوقوع فيمن أقمه الله تعالى للمسلمين إمام-علوى بن أحمد السقاف.
(2) انظر الترجمة رقم (17).
(3) الأعلام-خالد الدين الزركلي-1372.
(4) انظر مشاركة الزهاوي في مؤتمر المرأة والذي عقده أعضاء الجمعيات القومية-فتاة الشرق في حضارة الغرب-محمد جميل نيم.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

إن ردود الشيخ سليمان بن سحiman لا تحصر في شخص الزهراوي فقط، وإنما شملت الردود من كان على شاکلته، وما قال الشيخ عن مبادئ أعضاء الجمعيات القومية: (لقد ظهر مكونون ما لديهم، ومحصول ما انطوت عليه ضمائرهم، من الميل إلى أعداء الله، وأعداء رسول ودينه، وهذا الملفد المفتوح من جملتهم، ومن أنصارهم وأعوافهم).

هذا من جانب عقيدة الولاء والبراء، وأما عن قضايا تحكيم الشريعة، ودعوة الجمعيات القومية العربية إلى ما سمي بحرية الأديان، قال الشيخ سليمان ابن سحiman: إن إظهار الله لما (أظهروا واجتنموا عليه من الدستور، وما أعلنوه من الكفر والفجور سنة 1326 هـ - فصاروا فيه أئمة عيسوية، موسوية، عثمانية، عربية، وأن كل الطوائف المتنافسة في أدائها ت تكون إخواناً، وأما يجتمع على حرب من خرج عن حكم هذا الدستور، ونصوا في كل الأماكن من ديارهم مدارس يعلمون الناس دين النصرانية، وجعلوا قاضياً عاماً من الإنجليز الكفار يحكم بين الناس، لأنه يرغمهم أعلم بالسياسات).

وعلما صدر عن الجمعيات القومية العربية من مبادئ مختلفة لكتاب الله وسنة رسوله، وما قاموا به من تقرير الباطل في واقع الأمة، قال الشيخ سليمان بن سحiman: (هم الذين سعوا بعدًا إلى الفساد ووجوه به في الغواية والعناد، قال الله تعالى: "لئن صدقتم فقلتم: نؤمن بالله ورسوله وذكرنا ما قدتم هذم أنفسكم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خاندون ولون سكونوا يؤمنون بِلله وآلهِ ونؤمن بهم خادمون أولياءهم" (1).

(1) سورة المائدة-رقم الآية (81-82).
الأمم الذين مرروا عن طاعة أميرهم وسلطاتهم حتى عزولوه، وجعلوا
الأمر شوري بين من نزع إلى أعداء الله ورسوله، واتخذوه أولياء وجعلوه
إخوانًا وأعداءً.

خامساً: الشيخ سعد بن عنيق

تناول الشيخ سعد بن عنيق موضوعات عدة وأصل قضايا عقائدية، يظهر
فيها بطلان مبادئ ونظم الجمعيات القومية والرد عليها والشيخ سعد بن عنيق
عاصر تأسيس الجمعيات القومية حيث عاش بين تاريخ (1277-1349هـ-
1860-1930 هـ) كما كانت له رحلات إلى الهند التي كانت مستعمرةً للدول
الصليبية آنذاك.

أنكر الشيخ سعد بن عنيق على من اتخذ الكافرين أولياء، فقال الشيخ:
(أعظم أنواع الإعراض وأكبر أسباب الفتنة في الأرض والفساد الكبير ما صدر
من بعض الخلاف (1) من موالاة المشركين واتخاذ الواليج من دون الله ورسوله
والمؤمنين، إنهم صاروا فتنة للمفتنين ومنه على المؤمنين، واعتقدوا الباطل حقًا
والخطأ صوابًا واستحسنوا موالاة أهل الكفر والارتباك وعموا عما تضمنته.

(1) الضاية الشرقي في رد شبهات المذاق المارق - سليمان بن سحمد - 180-181
(2) سعد بن عبيد بن عنيق، قضى من علماء بنجع، ولد في مدينة "الأفلاج" عام 1277هـ، ورحل إلى
الهند بطلب العلم، فاتصل بصديق حسن خان، كانت له جهود مثمرة في نشر العقيدة السلفية،
توفي في الرياض عام 1349هـ. انتهى: الإعلام- خبر الدين الزركلي - 84.
(3) يҚدص الشيخ بـكلمة خلاف، ما نثبت في صحيح مسلم- كتاب الإيمان-باب يبًان كُونُ النَّهِي عَنِ
المتَّكِرٍ مِّنَ الإِيمَانِ وَأَنَّ الإِيمَانَ يَرِدُوُ يُنَفِّضُ-رقم الحديث (71)- وقد سبق تخرجه.
نصوص الكتاب، وإن كتب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وأما ذكره الشيخ من الآيات قوله تعالى: "ينبئوا الذين عمتوا لا تتخذوا أشياءك ويصنعون بأولاياتهم". وقوله تعالى: "ينبئوا الذين عمتوا لا تتخذوا أشياءك ويصنعون بأولاياتهم". وقال تعالى: "ولا تشركوا إلا الذين ظلموا فتعصكم النار ومن يحكم من دون الله من أولاياتهم ثم لا تتصرعون".

قال الشيخ سعد عن هذه الآيات، وجعل وكفر بالله، هذه الآيات وأشباهها تدل على التغليظ والتشديد في مواجهة من كفر بالله.

وقد ذكر بعض العلماء أن بعض هذه الآيات تتناول من ترك جهادهم وسكت عن عيبهم وألقى إليهم السلم، فإن أنضم إلى ذلك إظهار الشيء عليهم ونشر فضائلهم والدخول في طاعتهم وإعانتهم على أهل الإسلام وحماية حماهم، فأمر أشد وأعظم(4)، وهذا ما عمله أعضاء الجمعيات القومية العربية.

ومن حرص الشيخ سعد بن عتيق على رابطة الأخوة الدينية، ونبذ الروابط الجاهلية، نبه إلى ما يدعو إليه دعاة القوميات، فقال الشيخ سعد: (ما ينبغي التنبيه عليه ما يقع من كثير من الناس من الحمية والتناصر على مجرد العصبية التي

(1) سورة المائدة-رقم الآية (51).
(2) سورة المائدة-رقم الآية (57).
(3) سورة هود-رقم الآية (131).
يُحصل بسببها حدوث الشر والشقاق والاختلاف بين أهل الإسلام، فإن ذلك لِيس مَن شأن أهل الدعوة الإسلامية المتبعين للسنة إما ذلك من شأن أهل الجهالة والانتماء إلى القبائل والعشائر كما هو شأن أهل الجاهلية الأولى، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: (لِيسَ مَنْ مَنْ ذُهّبَ إِلَىْ عَصْبَيْهِ وَلَئِنْ مَنْ مَنَّ قَاتِلٌ عَلَىْ عَصْبَيْهِ وَلَئِنْ مَنْ مَنَّ مَاتَ عَلَىْ عَصْبَيْهِ). (1)

وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال: (....من العصبيَّة أن ينصر الرجل قومه على ظلم). (2)

كما حذر من الانتماء القبلي والتناصر الجاهلي وبيًّن الطريق المستقيم والمنهج السديد في النآخ، فقال: (ما أمر الله به في كتابه المبين، وأوحاه إلى رسوله الأيمن الحث على الاجتماع على الدين، والاعتصام بهبه المبين، واتباع سبيل المؤمنين، واجتناب ما ذمه الله سباحته من أخلاقيَّ من ذهم في كتابه من أهل الفرق والاختلاف والمشاقة له ورسوله ﷺ، وخالفة أهل الصراط المستقيم، فقال تعالى: ۛ شَرَّعْ لُكُم مِّن النَّبِيِّينَ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِينَ أَوْحَيْتَ إِلَيْهِ وَمَا وَصِيَّنَّهُ إِبْتِيَاهُ وَمَا وَصَيَّنَّهُ مُوسَى وَعَمِسَى أن أُقِيمُوا الْدِّينَ وَلَا تَتَفْرَوْا فِيهِ كَبْرٌ عَلَىْ الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوُهُمْ إِلَيْهِ ۚ ۛ إِنَّهُ مَسْجِدٌ مَّسْجِدٌ (3)). (4)

الحروف في رأس الصفحة ٩٣٢.

(1) من أبى داوود-كتاب الأدب-باب في العصبية-رقمه الحديث (٤٤٦).
(2) منسق الإمام أحمد-٤/١٠٧.
(3) مجموعة رسائل الشيخ سعد بن عتيق-١٠٦.
(4) سورة النور-رقم الآية (٣٣).
(5) مجموعة رسائل الشيخ سعد بن عتيق-٢٦.
لقد عاصر الشيخ سعد بن عتيق تسلل أعضاء الجمعيات القومية العربية
معاونين مع أعضاء الجمعيات الماسونية الأخرى، على مقام الخلافة الشرعية
والقضاء على مبدأ الخلافة الدينية، بقوة السنان وسطوة اللسان حيث قام أعضاء
الجمعيات بالنيل والخدش من مقام الخلافة الشرعية، والدعوة إلى تطبيق الحكم
الجاهل، كما بين ذلك في مباحث الرسالة.

ولذا تناول الشيخ قضية الخلافة الشرعية وأنكر على من سعى في إلغائها،
فقال الشيخ: (وما انتجله بعض هؤلاء الجهله المغرورين الاستخاف بولاية
المسلمين، والساهل بمخالفته إمام المسلمين والخروج عن طاعته. وهذا من الجهل
والسعي في الأرض بالفساد يمك، يعرف ذلك كل ذي عقل وإيمان.

وقد علم بالضرورة الإسلامية أنه لا دين إلا جماعة، ولا جماعة إلا بإمام،
ولا إمام إلا بسمع وطاعة، وأن الخروج عن طاعة أولي أمر المسلمين من أعظم
أسباب الفساد في البلاد والعباد، والعدل عن سبيل الهدى والرشاد (1).

سادساً: الشيخ مصطفى صبري:

لقد عاصر الشيخ مصطفى صبري ثلاث مراحل متغيرة في واقع الأمة: فقد
عاصر المشروطية الأولى، فحكم الاتحاديين أصحاب جمعية الاتحاد والترقي
- وخلال هذه المرحلة أسست الجمعيات القومية العربية - ثم العهد
الجمهوري (1) وإلغاء الخلافة الإسلامية.

(1) مجموعه رسائل الشيخ سعد بن عتيق-4،
(2) الشيخ مصطفى صبري موقفه من الفكر الوافد-مخرج بين سليمان القوسي-1/1/1.
عاصر الشيخ مصطفى صبري هذه المراحل الثلاث - التي تعتبر بما قدمته من مبادئ ونظم مختلفة احتلافاً كلياً - وكان قريباً من مجلس صانعي القرار، كما اشترك الشيخ في مجلس المبعوثان سنة 1326-1908.

قال الشيخ رحمه الله في مقدمة كتابه ( موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين) وهو يخطب روح والده: (لو رأيتني وأنا أكافح سياسة الظلم والهدم والفسوق والمرق، في مجلس النواب وفي الصحف والمجلات قبل عهد المشيخة والنيابة وبعدها، وأدافع عن دين الأمة وأخلقها وآدابها وسائر مشخصاتها، وأقضي ثلاث قرن في حياة الكنفاح).

كما شغل الشيخ منصب شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، وبعد هذا المنصب أعلى المناصب العلمية الدينية في الدولة العثمانية والذي ألغي على أيدي دعاة التحرر من الدين.

ولما كانت منزلة الشيخ مصطفى صبري على ما ذكرته، فسكون لديه العلم الواسع بتفاصيل مؤامرة الجميات القومية على عقيدة الأمة الإسلامية، ولهذا اعتذر الشيخ نفسه عن أعضاء الجميات القومية بعد أن أعلنا عن الدستور، بأنه "يتعذر عليهم التأليف بين الدستور وبين الشرع الإسلامي، إذ لا تستوفع عقولهم كعقلون الأوربيين، أنه كيف يمكن التوافق بين الحريات وبين الدين (المقيد)؟ وقيوده مستقلة عندهم من جهة عدم موافقته للحكومات.

(1) المصدر السابق-55-06.
(2) مقدمة كتاب موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين-مصطفى صبري-2/1.
(3) انظر: دائرة المعارف الإسلامية-13/07-472-479-مادة (شيخ الإسلام).
الزمنية الأوروبية، ومن جهة معارضته لأهوائهم وملامتهم في داخل المملكة.
فالذين يشّق عليهم، وينقل أعقابهم دائماً، لأغرهم في تاراهم وطوراهم إذا
خضعوا لحكم الحريّة، وحاولوا أن يسيروا بسيرها فالذين لا يخليهم، لما أن الحرية
والحضارة عندهم عبارة عما يرى في أوربة محاكمتها ومساوتها حذو العل
بالسنبل، وإذا خلوا إلى طباعهم الطاغية فالذين بكل قوته يمنعهم عن طغيانهم
وعدواءهم، فهو مانع يمنعهم في حريةهم واستبدادهم(1)، ويلاحظ أنه اعتذر
عنهم لذورهم وكسفهم.

ورغبة في تحقيق توحيد كلمة المسلمين فقد عارض المؤتمر العربي سنة
1319، الذي عقد أعضاء الجمعيات من أجل الإعلان عن فصل البلاد العربية
عن الدولة العثمانية، فتحيى الشيخ مصطفى صرِي إلى مدى ما في هذا الفصل من
أخطر على مستقبل تلك البلاد(2).

لقد وقع ما حذر منه الشيخ مصطفى صرِي ونُبه عليه، عندما قامت
الثورة العربية بقيادة أعضاء الجمعيات القومية العربية وانفصلت البلاد العربية عن
الدولة العثمانية خلاف الحرب العالمية الأولى سنة 1916، ونجل أعضاء
الجمعيات القومية تأيد الدول الصليبية للثورة العربية، ذكرت (جريدة القبلة)
عن النهضة العربية وموقف فرنسا منها أن قادة الجيش الفرنسي قالوا: "إنا نحن
معاشṣ الفرنسين وكل حلفائنا مسرورون بنهوض العرب والمسلمين للضرب

(1) التكرير على منكري النعمه من الدين والخلافة والأمة-مصطفى صرِي-9-10.
(2) ترجمة حياة الشيخ مصطفى صرِي-إبراهيم صرِي-4141. نقاً عن: الشيخ مصطفى صرِي
وموقفه من الفكر الواقف-مفرَج بين سليمان القوسي-2-5/32/5.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

على أيدي الأعداء، وقد حق لهم علينا أن نعضاهم بكل ما في وسعنا"(1). وهذا السرور لإقضاء البلاد العربية عن مجتمع الأمة حين قامت الدول الصليبية
باستعمار البلاد سنة 1921(2) [فإما يأكل الذئب من الغنم القاصية]
ومن على منابر الإعلام بين الشيخ موقفه من مبادئ الجمعيات القومية
الصحف والجلالات الدورية - وكان له سلسلة مقالات بعنوان (الدين
والقومية) نشرها في جريدة (بارين) وهي جريدة إسلامية فكرية مستقلة تصدر
باللغة العثمانية.

في هذه السلسلة انتقد الشيخ التياارات القومية ورد على القوميين الذين
أندلوا قومياً قدمهم الضيقة محل العقيدة الإسلامية، وقدموا الأخوة في التراب والوطن
والمشاركة في السالان على الأخوة في الدين. وشدد على بيان أخطار القومية
العنصرية وذلك ليلقي المسلمون الغافلين من غفلتهم لكي يتبرعوا ما يملك
ضدهم وما ييدبر لديهم (3).

كما صنف الشيخ كتبًا تناولت الرد على أعضاء الجماعات القومية العربية،
منها كتاب (القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون) قال
طلاب الشخ صصفي صبري: "لما ألف الدكتور محمد حسين هيك كتابه

(1) جريدة القبلة-السنة الأولى-العدد 41-تاريخ 2/9/1325-ص:3.
(2) انظر: الفصل الثاني-الباب الثاني من الرسالة-ص:(1).
(3) كلمة (بارين) تركية وتعني الغد
(3) جريدة يارين-ابتداء من العدد 62-5/11/1948-نقال عن: الشيخ صصفي صبري
وموقفه من الفكر الواقف-مفرج بن سليمان القومي-152/1-1325هـ.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

(حياة محمد) جاء بعض طلاب العلم إلى الشيخ مصطفى صبري يشكون إليه ما فنه منه إنكار معجزات نبيا محمد، وما تضمنه من الطعن في كتب الحديث والسيرة. وفي أمانة رواجًا ومؤلفيها اعتماداً على أقوال المستشريين فطلبوا منه الرد عليه ونقده، فألف الشيخ كتابه (القول الفصل) (1)، وقد سبق إيراد فقرات من كتب (حياة محمد) في مبحث: "موقف الجمعيات القومية من السيرة النبوية".

وفي مسألة القضاء على مقام الخلافة الشرعية ألف الشيخ مصطفى صبري كتاب (النكرك على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة)، بين الشيخ مصطفى صبري أن موقف الأحزاب العلمانية من الخلافة إنها سوء من الملغين في تركيا أو المؤيدين لأفعالهم من خارج تركيا، وهي الخلافة عن رسول الله المعول عليها في تنفيذ ما أتي من شرعة الإسلام (2). وليس المقصود بالإلغاء شخص السلطان نفسه.

سابعًا: الشيخ أحمد شاكر:

تناول الشيخ أحمد شاكر مبادئ وأهداف الجمعيات القومية العربية بالنقد، وقد اشتدت الخصومة بين الشيخ أحمد شاكر وبين أعضاء الجمعيات القومية

وذلك أن (مصر) كانت ولا تزال من أهم المحاضن الفكرية لأعضاء الجمعيات القومية العربية.

لقد قام الشيخ أحمد شاكر بواجب الدعوة إلى دين الله تعالى، وبيان طريق الضلال والابتكار في الأمة والتحذير منها، ونداء ووجود قول كلمة الحق، فكان مما قال في أحد مقالات (مجلة الهادي النبوي): (نريد أن نقول كلمة الحق في شؤون المسلمين ككلها، نريد أن نناحع عن الإسلام ما استطعنا، بالقول الفصل، والكلمة الصريحة، لا نخشى فيما نقول أحدًا إلا الله).

ثم استعرض الشيخ أحمد شاكر المعارف التي يجب فيها إنكار الانحرافات الوارقة على الأمة، واللي منها: (نريد أن نحارب الوثنية الحديثة والشرك الحديث، اللذيين شاعا في بلادنا في أكثر بلاد الإسلام، تقليدا لأوربة الوثنية المتحدة، كما حارب سلفنا الصالح الوثنية القديمة والشرك القدم.

نريد أن نناحع عن القرآن، وقد اعتاد ناس أن يلعبوا بكتاب الله بين أظرونا، فمن متأول لآياته غير مؤمن به، يريد أن يفسره على ما أشترته نفسه من عقائد أوربة ووثنيةها وإلحادها، أو يقربه إلى عاداتهم وآدابهم، ليجعل الإسلام دينًا عصريًا في نظره ونظر ساداته الدين الذين ارتباط لباهم، أو ربي في أحيائهم.

نريد أن نتبار على ما دعونا وندعو إليه من العودة إلى كتاب الله وسنة رسوله في قضائنا كله، في كل بلاد الإسلام، وهم الطاغوت الإفريقي الذي ضرب على المسلمين في عقر دارهم في صورة قوانين.
نريد أن نتحدث في السياسة، السياسة العليا للأمم الإسلامية، التي يجعلهم (أمة واحدة)، كما وصفهم الله في كتابه، نسمو بها على بدعه القوميات، وعلى أهواء الأحزاب. ونريد أن نعمل على تحرير عقول المسلمين وقولهم من روح التهتك والإباحية، ومن روح التمرد والإلحاد، وأن نريهم أثر ذلك في أوربة وآمريكا، اللذين يقلداهما تقليد القردة، وأن نريهم أثر ذلك في أنفسهم وأخلاقهم ودينهم).

هـذه بعض الاتخاذات التي نخص الشيخ أحمد شاكر في الرد عليها وبيان بطلانها؛ فكانت له مواقف في معالجات هذه الاتخاذات، وسوف أذكر بعض مواقفه المتعلقة بمبادئ الجمعيات القومية العربية.

من مواقفه الرد على (جريدة الهلال) وما تبته من عقائد منحرف، وهي من أهم الصحف القومية، فمن ردوده رسالة أرسلها الشيخ أحمد شاكر إلى رئيس تحرير جريدة الهلال، قال فيها: (إن الجملة تعرض بالخط لأحكام الشريعة الإسلامية في بلد أهله مسلمون ودين الدولة الرسمي الإسلام، وقد لاحظت مراراً في صفحكم (الهلال، وكل شيء، والفكاهة) كتابات تمس الدين الإسلامي وقرونا بعلماء الإسلام، ولا حظ هذا غيري كثير من الناس، وأننا أشد الأمم لصدوره من جرائد مسيحية ليس لها أن تتعرض لدين الإسلام).

(1) كلمة الحق - أحمد شاكر - 3-9-90-دار الكتب السلبية-القاهرة-الطبعة الأولى-1401هـ-بتصرف يسر

(2) مجلة الفتح-رقم العدد 72-الصدر 30-1346هـ-الموافق 24 نوفمبر 1927م.
وتعتبر مسألة وجب تحكيم تطبيق الشريعة وتبذ القوانين الجاهلية، من أبرز المسائل التي تناولها الشيخ أحمد شاكر في البيان والتحرير، ذكر الشيخ رحمه الله بداية خط الانحراف في استبعاد الشريعة وتحكيم القوانين الجاهلية عوضًا عنها، لأن ذلك كان بعد أن: (ربى لنا المستعمرون طبقة مثقفة، أرضعهم لبان هذه القوانين، حتى صار منهم فئات عالية الثقافة، واسعة المعرفة — في هذا اللون من الدين الجديد الذي نسخوا به شريعتهم — ونبغت فيهم توابع يفخرون بما على رجال القانون في أوربة، فصار للمسلمين من أئمة الكثير، ما لم يتن به الإسلام في أي دور من أدوار الجهل بالدين في بعض العصور.

وصار هذا الدين الجديد هو القواعد الأساسية التي تحاكم إليها المسلمون في أكثر بلاد الإسلام يحكمون بها، سواء منها ما وافق في بعض أحكامه شيئاً من أحكام الشريعة وما خالفها، وكله بطل وخروج، لأن ما وافق الشريعة إذا وافقها مصادفة، لا اتباعاً لها، ولا طاعة لأمر الله وأمر رسوله، فالموافق والمخالف كلاهما مرتان في حمى الضلال، يقود صاحبه إلى النار، لا يجوز لسلم أن يخضع له أو يرضى به (1).

لقد سعت الجمعيات القومية العربية إلى تطبيق قوانين وأنظمة الدستور، وطالبت أن يكون مصدرًا للأحكام، وقد قال مؤسس حزب البعث: إن الحرب قد أصدر قانونًا للأحوال الشخصية نصف المرأة وساواها في الإرث مع الرجل، مؤكداً حقها الموازي للرجل في الطلاق، وحدد سن الزواج بثمانية عشر عامًا.

(1) عمدة التفسير- ابن كثير-3/415-14-21- تحقيق أحمد شاكر.
ومنع تعدد الزوجات إلا في الحالات الاستثنائية، وقررت القيادة القطرية الإبقاء على القانون باعتباره منصفًا للمرأة حاميًا لها(1).

لقد وقف الشيخ أحمد شاكر موقف العالم الراوي من هذه المبادئ الجاهلية من خلال تعليقاته على كتابي (مسند الإمام أحمد بن حنبيل) وكتابي (تفسير الطبري) وعمدة التفسير من تفسير ابن كثير، فكان رجوعه الله يعلق ويبين على بعض الآيات أو الأحاديث، فعنده قوله تعالى: "وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقتِ خَتَانَهُما عَقِبَتُهُما جَزَاءً بِمَا كَسَبَا تَكَلَّا مِنْ أَلْلَهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (2). قال الشيخ أحمد شاكر مبينًا موقف القوميين من تطبيق الشريعة عامة ومن حكم قطع يد السارق خاصة: (إن البشر المستعمرين، لعبوا بديناً، وضربوا علينا قوانين وثيقة ملموسة جنجال، نسخوا بما حكم الله وحكم رسوله. ثم ر箱اً فينا ناساً ينتسبون إلينا، نشربوا في قلوبهم بعض هذا الحكم، ووضعوا على ألسنتهم كلمة الكفر: أن هذا حكم - حكم قطع يد السارق - قاس لا يناسب هذا العصر الماجن، عصر المدنية المتهككة، وجعلوا هذا الحكم موضع سخريتهم وتندرهم، والمسالة - عندنا نحن المسلمين - هي من صميم العقيدة، ومن صميم الإيمان)(3).

وبين الشيخ أحمد شاكر أن القضاء في الأموال والأعراض والدماء بقانون مخالف لشريعة أهل الإسلام، وإصدار قانون ملزم لأهل الإسلام، بالاحتكام إلى

(1) أو كار الهرمية تجربة في حرب البيت العراقي-هاني الفكيكي-129.
(2) سورة المائدة-رقم الآية (38).
(3) عمدة التفسير-ابن كثير-146-147-5/1-الحقوق أحمد شاكر. (بتصريف يسرى).
حكمه غير حكم الله في كتابه وعلى لسان نبيه، إعراض عن حكم الله، ورغبة عن دينه، وإيثار لأحكام أهل الكفر على حكم الله سبحانه وتعالى، وهذا كفر لا يشك أحد من أهل القبلة على اختلافهم في تكفير القائل به والداعي إليه.

ثم استعرض الشيخ أحمد شاكر واقع الأمة الإسلامية، فقال: (والذي نحن فيه اليوم، هو هجر لأحكام الله عامة بلا استثناء، وإيثار أحكام غير حكمه في كتابه وسنة نبيه، وتعطيل لكل ما في شريعة الله، بل بلغ الأمر مبلغ الاحتجاج على تفضيل أحكام القانون الموضوع على أحكام الله المنزلة، وإدعاء المحتجين لذلك بأن أحكام الشريعة إذا نزلت لزمان غير زماننا، ولعل وأسباب انقضت، فسقطت الأحكام كلها بانقضائها) (1).

وقد أنكر الشيخ أحمد شاكر على موقف المدرسة العقلانية من معجزات الرسول ﷺ قائلًا: (لقد صار من كتابنا من ينكرون المعجزات النبوية عامة... لأنا لم ترد في القرآن - زعموا! ثم يخرفون المعنى فيما ثبت منها في القرآن أو السنة المتواترة، ثم كشفوا عن وجههم فضروبا على المسلمين قوانين أوربة الوثنية الجرمة الملوعة. وصاروا ينبرعون الشرائع الإسلامية والأخلاق الكريمة التي هدانا الله إليها ورسوله - بالتقليد وبالرجعية - لينفرو الناس منها) (2).

وأنكر الشيخ أحمد شاكر على أعضاء الجمعيات القومية الذين ينكرون الدجال، فقال: (لعب المجددون، أو المجردون، في عصرنا الذي نحيا فيه، هذه الأحاديث الدالة صراحة على نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، في آخر

(1) عمدة التنفس- ابن كثير- 5/57- تحقيق أحمد شاكر.
(2) المصدر السابق- 5/277.
الزمان، قبل انقضاء الحياة الدنيا، بالتأويل المنطقي على الإشكال تارة، وبالإشكال الصريح أخرى، ذلك أمرهم في حقيقة أمرهم - لا يؤمنون بالغيب، أو لا ينكرون. وهي أحاديث متواترة المعنى في مجموعها، يعلم ما فيها من الدين بالضرورة. فلا يجديهم الإشكال ولا التأويل.

أوضحت مباحث الرسالة أن الجمعيات القومية قد سلكت في منهج الكفراء، ونادى كما نادى الكفراء بتوحيد الأديان، وهذا النشوة جمهور كما قال الرسول ﷺ: (ليحمَّلَنَّ شَرَارَتِهَا الأُمُومَ عَلَى سِنّي الَذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلِ الكِتابِ حَذَّرُ الَّذِينَ بَلَغُوا الْعَمرَةَ).

وعلق الشيخ أحمد شاكر الحديث الذي يرويه ﷺ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى عَلَيْهِ نَوْبَتَينِ مَعْصَفَينِ قَالَ هَذِهِ نَوْبَتَيْنِ الْكَفَّارُ لَا تَلْبِسُهُمْ). علق الشيخ أحمد شاكر على الحديث ونبه على ما يدل عليه، فقال:

(هذا الحديث يدل بالنص الصريح على حرمة التشبه بالكفّار في اللبس وفي الهيئة والمظهر، ولم يُخْلُف أَهْلَ الْعِلْم مِنْذِ الصُّدُورَ الْأَوَّلِ في هذَا، حَتَّى يَوْمِ هَذِهِ الْعَصُورَ الْمُسْتَنَاَثَة، فَبَيُّتُهُ الْمُسْلِمِينَ نَابِيَةً ذِلِيلَةً مُسْتَنَدَةً، هَجَرَاهَا وَدِيدَهَا النِّسَبَةُ بالْكِفَّارِ فِي كُل شِئ، وَالإِسْتِخْدَامُ لَهُمْ وَالإِسْتِعْبَادُ. فَأَصْبِحَ أَمَّرُ التَّشَهُّدَ بالْكِفَّارِ فِي الْلِّبَاسِ وَالْحَيَةِ وَالْمَظْهَرِ وَالْخَلْقِ وَكُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى شَرَعُنَا فِي أَمَةَ لَيْسَ لَهَا مِنْ)}

---

(1) مَسْنَادِ الإِمَام أَحْمَدِ-تَحْقِيق أَحْمَد شاَكِر-٢٥٧/١-التَّعْلِيِق على الحديث رقم (٦٧٦).
(2) مَسْنَادِ الإِمَام أَحْمَدِ بن حَنِيِّل-٤٥٠/١٣، ومعْنِيَّةُ كُلِّمَةٍ (الْقُدُرَةَ): قِطْعُ أَطْرَفَ الْرَّيْشِ عَلَى مَثَلِّ الْحَذَذَفِ وَالْتَحْدِيِّف، وَكَذَٰلِكْ كُلُّ قَطْعٍ عِنْدَ قُدْرَةِ الْرَّيْشِ. انْتَظِرُ: تَمْدِيدُ الْلِّغَةِ-الأَزْهَرٍ٨٨٧٣/٧٢.
(3) مَسْنَادِ الإِمَام أَحْمَدِ بن حَنِيِّل-١٨٩/١١، وَانظُرُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ-كتَّاب الْلِّبَاسِ وَالْحَيَةِ-بابُ النَّدَجِ عَنَّلْبِسِ الرَّجُلِ النَّبَوِّيِّ المُعَصِّفٍ-رَكْمُ الْحَدِيثِ (٦٨٧٢).
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

مظهر الإسلام إلا مظهر الصلاة والصلاة والصيام والحج على ما أدخلوا فيها من بدع بل من ألوان التشكيك بالكافرون(1).

لقد أكد الشيخ أحمد شاكر على الهوية الصحيحة للمسلم، والرابطة الجامعة للمسلمين جميعًا، فقال: "إن الإسلام جنسية واحدة - تعبير هذا العصر - وهو يغطي الفوارق الجنسية والقومية بين متبعيه، كما قال تعالى: " وإن هذه أمنة واحدة وأنا رضيت فأتقوون"(2)، والأدلة على ذلك متواترة متضاربة، وهو شيء معلوم من الدين بالضرورة، ولا يشك فيه أحد من المسلمين، ولم يشكك فيه إلا الذين رباهم الأفرنج منا واصطنعهم لأنفسهم حريًا على دينهم وعلى أمته من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون(3).

وهذا التأكيد من الشيخ أحمد شاكر رد على المبادئ الجاهلية التي دعت إليها الجمعيات القومية، بشأن تقدم الأخوة القومية على الأخوة الدينية، بل كما صرح مؤسسوها: "أن الحركة القومية التي ظهرت قد تبني أساساً على المبدأ القومي"(4) وأن "الرابطة الدينية قد عجزت - كما يقول أعضاؤها - دائمًا عن إيجاد الوحدة السياسية"(5).

(1) مسنده الإمام أحمد بن حنبل-19/1- تحقيق أحمد شاكر.
(2) سورة المؤمنون-رقم الآية (2) 0.
(3) كلمة الحق- أحمد شاكر- 94.
(4) نشأة الحركة العربية الحديثة/ محمد عزة دروزة/ 8-89. وانظر: ما هي القومية/ ساطع الحصري/ 20.
(5) المؤتمر العربي الأول- خطبة عبد الحميد الزهراوي- 20.
ثامناً: الشيخ محمد بن إبراهيم:

لمكانة الشيخ محمد بن إبراهيم العلمي في العالم الإسلامي عامة، وفي الجزيرة العربية خاصة، فقد تولى منصب المفتي العام للمملكة العربية السعودية، ورئيس القضاء، وولي رئاسة رابطة العالم الإسلامي. وكانت هذه المكانة من أهم أسباب اطلاع الشيخ على بعض المبادئ القومية وقيمته بالرد عليها.

وفي رؤية الشيخ يتأتي جوابه على استفسار جامعة الدول العربية، عن موضوع اتحاد البلدان العربية في صيام شهر رمضان والفطر والحج، قال الشيخ رحمه الله: "إن هذه قضية مسلمة والحق فيها معروف كالشمس، والفصل في ذلك قوله تعالى: (صومنا لزواجه و أقتموا لزواجه فإن غني عليكم فأكملوه عددًا شعبان ثلاثين)".

إن الأمر الهام هو النظر في الأصول العظام التي يؤدي الإحلال إلى هدم الدين من أساسه، ومن تلك الأصول مسائل توحيد الله تعالى؛ بstakes ما أثبت لنفسه في كتابه وأثبته له رسول من الأسماء والصفات... وكذلك توحيد الألوهية، وتوحيد الروبية، وكذا توحيد الابتعاد، وفي النزاع بين الناس لا يتحكم إلا إلى الكتب والسنة، ولا يحكم إلا بما جاء فيهما. وهذا هو مضمون الشهادتين اللتين هما أساس الملة. وهذا هو التحقيق الذي عليه المعول عليه تعقد المجالس وتسعى المجتمعات لتحقيقه وتطبيقه. ولا أرى ولا أوافق على هذا

(1) صحيح البخاري- كتاب الصوم-باب إذا رأيتهم أهلهن فصومنوا- رقم الحديث (172)
المجتمع الذي يدعوا إلى النظر فيما يتعلق بتوحيد (الأهله) الصوم والفطر ونحوهما (1).

يقول طالب الشيخ محمد بن إبراهيم إن الشيخ كان له الإشراف النام على جميع الشؤون الإسلامية داخل المملكة وخارجها (2)، ومن اهتمامات الشيخ محمد ابن إبراهيم دعوته إلى تأسيس جمعيات لتكون منابر إصلاح وتوجه للأمة، يقول الشيخ رحمه الله: (ما يسرنا ويسر كل مسلم غيور على دينه أن يتكون من الجمعيات العامة، التي تهدف إلى إصلاح الأوضاع، والتمسك بأصول الدين وتعاليمه الشريعة، ومحاربة كل ما خالف الشريعة الإسلامية من البعد والخرافات والدجل، وكذلك ما هو أشد من ذلك ما يدخله الملحدون والزنادقة والمستشرقون وغيرهم، في أفكار بعض المسلمين من تشكيكهم في أصل دينهم وتضليلهم عن سنة نبيهم وشريعته، وتحكيم القوانين الوضعية المختلفة للشريعة الإسلامية، وأهم ذلك معرفة أصل التوحيد الذي بعث الله به رسوله محمدًا وتحقيقه علمًا وعملًا، ومحاربة ما يخالف من الشرك الأكبر الذي يخرج من الملة أو من أنواع الشرك الأصغر، وهذا هو تحقيق معنًى (لا إله إلا الله)، وكذلك تحقيق معنًى (محمد رسول الله) من تحقيم شريعته، والتقليد بها، ونبذ ما خالفها من القوانين والأوضاع وسائر الأشياء التي ما أنزل الله بها من سلطان (3).
والذي يتحدث عنه الشيخ محمد بن إبراهيم ذكره غيره من علماء القرن الرابع عشر، قال الشيخ المعصومي عن الجمعيات الإصلاحية في العالم الإسلامي:

(لقد رأينا الآن جماعة موحدين خالصين، يدعون الناس إلى التوحيد، ويظهرون في الله حق الجهاد، يحاربون المقلدين والخرافيين والدجالين، وقد أسست لهذا الغرض جمعيات لتحقيق التعاون على نشر التوحيد وبيه، وهم في الحجاز ومصر والسودان وغيرها).

ومن القضايا التي حرص الشيخ محمد بن إبراهيم على تبليجها وأكد على لزووم الأحرام بما بعد تحقيق التوحيد ونبذ الشرك قضية تحميم الشريعة ونذ القوانين الجاهلية. وهذه القضية أجمع علماء القرن الرابع عشر على التأكيد عليها والتحذير من خلافتها.

فين الشيخ أن الدين الإسلامي جاء بالخير والصلاح الدنيوي والأخري، وهو صالح لكل زمان ومكان، ومن تمسك الناس به واحتدوا بهدبه وحكمه في جميع أمورهم، ولم يجدوا في أنفسهم حرجاً من أحكامه، وسلموا وانقادوا لذلك، فقد آمنوا حقاً، وسلقوا طريق النجاة والفلاح والفوز في الدنيا والأخرى.

وإذا أعرضوا عنه واستبدروا به تشريعات جديدة وقوانين وضعية وضعها أعداء الشريعة وصول الإسلام، ودخلت على المسلمين باسم الحضارة والمدنية وجعلوها المرجع لهم عند النزاع، والدستور المقدس في جميع شؤونهم.

---

واعتقדוها أحكام وأكمل لصالحهم مما شرعه الله ورسله(1)، فإنهم إلى خسارة مبين.

وحذر الشيخ محمد بن إبراهيم الأمة من فئة تريد الضلال للأمة، قال فيهم: (الذين لا يسعون الشرائع ولا يعظمون الله، أرادوا إضلال الناس بالقوانين الملونة الإفرنجية، فهم يقعون في أهل الشريعة، ويقولون إن الشريعة لا يصلح بها قطع الأزاع وليس فيها بيان الحق).

إن هذه الشهبة التي أثارها من لا يحترم الشريعة ولا يعظم الله، هي في الحقيقة كما قال الشيخ محمد بن إبراهيم: (روح المصادمة والمحاربة لما جاء به الرسول من الشرع المطهر، ووضع شبه تصد عن الصراع المستقيم — وهو عبادة الله وحده — فهم سعوا في أن يصدوا عن ت.Security الرسول فيما جاء به، والله يقول: "قل لِيَهْدِينَ لا يَعْظُمُونَ الْخَيْرَاتِ وَيَهْدِينَ لِي، ۚ ۚ يَضُرُّ رُكُوبَةٌ، وَيَضُرُّ كَفُورَةٌ، فَلَا تَضَرِّعِينَ عَلَيْهِمْ أَنفُسَكُمْ خَرَجًا مَّعَ ۚ فَقَضَّتُمْ وَسَلَّمْتُمَا، ۚ ثُمَّ السَّلَامَةُ مِنَ الْزَّوَارِ الَّذِينَ زَوَّجُوهُمْ لَأَزِمْهُمْ لَمَّا وَضَعُوهُ، وَهَذَا يَلزَمُهُمْ لَمَّا لَمْ يُعِدُّهُمْ لَهُمْ عَنْهُ، وَلَهُذَا يَبِدَّونَ دَائِمًا) (2).

وفي معرض الحديث — عن الآيات التي اعتقد أعضاء الجمعيات القومية أن لهم فيها دليلًا على موالية النصارى، وهي قوله تعالى: "تَحْجَيْنَ أَشْدَدَ النَّاسِ وَعَدَّادَ لِلْهَيْوَةَ وَالْأَذَىََّينَ آُشِرُواَ وَتَحْجِيَنَّ أُقِيرُهُمْ مَوْدَةَ لِلْمَيْدَنَ (3).

(1) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم-6/270.
(2) سورة النساء-رقم الآية (26).
(3) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم-2/54/4.
الجمعيات القومية العربية وموقعها في الإسلام والمسلمين

قال الشيخ محمد بن إبراهيم: (3) تأسعاً: محمد صادق الرافعي:

أثنِّيت الجمعيات القومية العربية أسماءً أدبية، وسلك كثير من أعضائها الجماليات الأدبية، وأتخذ الأدب العربي عند أولئك الأعضاء ستاراً للتحلل من الدين.

(1) سورة المائدة-رقم الآية (84).
(2) صحيح البخاري-كتاب الجنائز-باب ما جاء في قبر النبيّ ﷺ وآبي بكر ﷺ وعمر ﷺ-رقم الحديث 1301.
(3) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم-1/88-1/88.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

وقد وقف علم من أعلام الأدب العربي، أمام المخالفات العقائدية باسم الأدب عند أعضاء الجمعيات القومية، وعرّف مقاصدهم والأهداف التي يسعون إليها، وقد قال عن أهداف ومبادئ الجمعيات القومية العربية: (إنهم عملاً إفراً لا يعدون أن يبدؤوا إليهم طائفة من ضاغط شبابنا المتفلتين ينصحونهم بما تعدائه الأمه خذلاناً، ويزيدون فيهم بما لا تشعر به الأمة زيادة أو نقصاناً.

وذلك أنهم يخفون عن الروح الدينية التي ينشأ عليها المسلمون — أهل هذه العربية — في جهات الأرض، وأن هذه الروح قائمة على نفي العصبية والوطنية كالمصرية وغيرها، فقد كانت هذه العصبية عامة في قبائل العرب حتى محاها الإسلام، فأنزل الله سكتته على رسول الله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وجعلهم أخوة، ثم نفاه البي، ونفى المؤمنين بما بقوله: (ليس منا من دعا إلى عصبية).

فإن شذ عن الجماعة فئة من شبانا قد أخذوا بعض أحلام هذا الدين ونشروا في غير قومه وعلى غير مبادئه فرأوا فيه بظwagon وقالوا برائهم ورضوا ما لا يرضاه لأهله، فهؤلاء مهما كنروا لا يستطيعون أن يحدثوا حدثاً، بل يفرون والجماعة باقية، وينقصون والأمة نامية(1).

كما تنتبه صادق الرافعي إلى مقصد الجمعيات القومية من إطفاء الروح الدينية وتربيتها الناشئة على التصب للمبادئ الاجهلية، وحذر من قضيتين سعى إليها أعضاء الجمعيات القومية، وهم:

1- استغلال الأدب هدم الدين: فقال: (يريدون هدم الأمة في لغتها وآدابها، خدمة لمبدأ الاستعمار الأوروبي، ومنهم من لا يحاول هدم الأمة بلغتها وآدابها لا حباً باللغة والآداب، ولكن علماً باستحالة تواصل العرب من لغتهم وآدابهم، ولذلك ترى هؤلاء دعوة إلى اللغة والآداب على شرط أن لا يكونه قرآن ولا حديث، وأن تكون الصيغة لا دينية، وحتجهم في ذلك حب التجديد، وكون القرآن والحديث وكلمات السلف، كلها من القدم الذي لا يتلاحم مع الروح العصرية في شيء). وإن روح القومية هي السائدة في هذا العصر، فالدين والمعاصرة نقيضان لا يجتمعان(1). لذا يهجر الدين ويتمسك بالمبادئ القومية.

2- الاستغلال بالقوانين عن الدين: (قد يقال إن الحكومات والقوانين تغين عن الدين في ذلك أو تغي غنه، وهذا وهم جربته الإنسانية لعصرنا في حكومة البلشفية - روسيا - فأسقطت الدين وأقامت القوانين، فلم يكن من ذلك إلا سقوط الإنسانية نفسها. وصارت القوانين لحماية الرذائل بعد أن كانت للحماية منها، وما فشل الإخاد في أمة من الأمم إلا مسخ من نفوس أهلها، فترى بها حالة بعد حالة .. والدين الإسلامي خاصة، بما فيه من الأعمال والآداب التي لا تقوم الإنسانية على أفضل، ولا أثبت، ولا أقوى منها، يجعل لعلمه من الشأن ما لا يستطيع إنكاره إلا أحق مدخول العقل، أو مفسد مدخول اللة)(2).

1 تحت رأية القرآن-مصطفى صادق الرافعي-37.
2 تحت رأية القرآن-مصطفى صادق الرافعي-359.
عاصراً: علي حامية

لقد عاصر الشيخ علي حامية المؤامرة التي حكبت خيوطها ضد مقام الخلافة، الذي سعى إلى إلغائها أعضاء الجمعيات القومية العربية مع القوميات الأخرى، وهذا كان الشيخ يؤكد على حماية مقام الخلافة، قائلاً: (إن الانتماه إلى الخلافة هو نتيجة حتمية لأن التماسك الديني الشديد بين المسلمين يشدهم جميعًا إلى الخلافة وقافة لواء الرسول الأعظم. وإن الأستانة ما هي في نظر المسلمين إلا مركز للإسلام. كما هي روما بالنسبة للكاثوليكين).

كما ناهض الجامعة القومية عندما أكد أن التونسيين ينتمون إلى الجامعة الإسلامية كما ينتمون في نفس الوقت إلى الخلافة وإنه لا يخطر على بال أحدهم أمر زوال السيادة العثمانية، وأغلب يحتفظون بتعاطف كبير تجاه إخوائهم في جميع البلدان الإسلامية.

---

(1) علي بن مصطفى بن علي الشريف باش حميدة التونسي المولد، التركي الأصل، منشئ حزب (تونس الفساتين) سنة 1907، تعلم في جامع الزيونة، ودرس الحقوق باريس. عمل على توحيد المغرب العربي في الكفاح. أصدر صحيفته أولاً (التمسكي) بالعربية والفرنسية، واعتقل الفرنسيون ونفوه من البلاد، فتوجه إلى الأستانة ودخل في الوظائف الحكومية بها، فكان مستشارًا لوزارة الخارجية سنة 1916، توفي في الأستانة سنة 1926م (1336هـ)، وتقل رقته إلى تونس سنة 1928م. انظر: الأعلام-الزركلي-35 وترجع المؤلفين التونسيين-محمد محمود-بيروت-دار المغرب الإسلامي-1984.

الحادي عشر: محمد حامد الفقي:

بينما الدور القومي الذي قام به (حسين بن علي) في احتواء أعضاء الجمعيات القومية، ومكتبة الدول الصليبية وطلب الحماية منها، كما ذكرت سابقا أعضاء الجمعيات القومية العربية وتنسيقهم مع (فيصل بن الحسين) من أجل تنصيب الحسين بن علي خليفة للبلاد العربية، لتتحقق أماني أعضاء الجمعيات القومية في الاستقلال عن الدولة العثمانية.

وبعد أن كشفت الدول الصليبية عن حقيقةها ومقصدها، أرسل الملك الحسين بن علي رسالة إلى عموم الشعب البريطاني، وذكر في رسالته الأعمال الجليلة التي قدمها مع جيشه للدول الحلفاء، ثم بين النهاية المخرجة للعرب من جراء هذا التعاون حيث يقول: "...كانت وثائق رجال السياسة المكتوبة الموجودة بيدي وسائر تصريحاتهم الرسمية والخاصة في كل مجلس وناد، جمعة على القول بأن العرب سيفاقون على إخلاصهم هذا استقلالهم ووحدهم وزوال ما كان يساريهم من مخاطر استعمارًا وثقة بتحقيق الوحدة البريطانية".

ثم قال الملك الحسين بن علي: "أتمنى أن تأتي الأمة البريطانية إلى ما وقع على حلفائها العرب - على قلة ما في العالم من حلفاء اليوم - فقد أصبحت وحيدة ممزقة، وبلادهم متفرقة، مما جعل العالم الإسلامي خصوصاً بل أكثر أقوياء أمناً رغم أن بعث البلاد لبريطانيا وحلفائها... ورجت إلى الأمة البريطانية العريزة إنصف العرب حلفائها الأوفياء ومعاهدينا الأمناء، ولأن يكون لها حليف مخلص قوي لـه وحدته واستقلاله أفضل من تركه مفزعاً دليلاً".
كما هي حالة العرب اليوم. ولا يعلم إلا الله أن ينتهي بحم البأس والفتوت فقد طفح الككيل وبلغ السبيل الرب، (مكة المكرمة-قصر الهاشمي-15/4/14/1242هـ).

لم يُترك هذا الثورة تقرر واقع الأمة دون نقد من علمائها العاملين، فقد جلسات رسائل نقد وتوحية من بلاد الهند(1) تنطب ثورة الحسين بن علي، كما أنكرها عدد من العلماء لواحقاً للكفار، ومن هؤلاء الشيخ محمد حامد الفقيفي الذي بطبع بقوله: (إنما ونحن أمر المسلمين ولا ضل سعياً إلا يوم عميت عليهم سبيل، وأظلم من أبيهم حبل الله المتين، وخرج من بين نواجذهم سنة الله وسننة رسول الله ونهاية، حين عادت ظلالات الجاهليّة تحمي على القلوب ورجعت وتنيأها تعظم المعاقل، وتفرق الأمة شيوعاً وأحزاباً كل حرب بما لديهم فرحون).

ولما كان هذا حال المسلمين وواقعهم، وابتعادهم عن كتاب الله وسنة رسوله، كانت النتيجة التي ذكرتها الشيخ: (تمكن العدو من أن يتخذ من تلك الأحزاب غداً لله، ولشهواته وأهوائه ومداؤها، حتى غرس في جنوههم أشواكه، وأنشب في قلوبهم خلاياه وأنانيه، يتصب من عصارات حياتهم ليقوى، يأكل من أشلاءهم ليزداد مكثناً، ولربما شك ما فعلوه، وكان أمر الله قدراً مقدوراً. ولو أن الحسين بن علي - شريف مكة - لم يسمع ويتبع للإنجليز، ويبيع العرب لحرب العثمانيين الذين كان له الفضل الأكبر عليه، وكانوا على دينه.

(1) جريدة القبلة-السنة الثامنة-العدد 4234-6-7/ بتاريخ 14/1/1924هـ.
وما كان ذلك كله ولا تكون أمثاله إلا بسبيل ما خيم على القلوب من ظلمات الجهل، والإعراض عن هدي الله، وهدي رسول الله، ففي طوایة هذه ظلمات استطاع العدو أن يعیث بالمسلمین الجاهلین الغافلين ما شاء، وأن يخدعهم عن دینهم(1).

وأثناء فترة الحرب وإعلان الحسین بن علي الثورة العربية ضد الدولة العثمانیة، ذكر جمال باشا في مذكراته أن الشیخ بدر الدين الحسینی قد أفسق فين ناصر الدولة الصليبية، بقوله: (لقد جعل الله عز وجل ممن يعمل لا يجاد الشفقة والفوضى في صفوف المؤمنين والسعي بالفساد في الأرض ثلاث عقوبات: القتل والصلب، وتقطع الأيدي والأرجل من خلاف، والنفس من الأرض، فقال جل شاؤه: فإنما جزأوا الذين تخاربون الله ورسوله، ويشعوون في الأرض فساداً أن يقتلونوا أو يصيرون أو يقطع أنيديهم وزجلهم من جلَّف أو ينفقوا من الأراضي(2).

فالفعلیة تكون مناسبة لحال الجریمة، وما يرتب عليها من الضرر بالمسلمین وممن في حکمهم، والفساد والاضطراب اللذين يلحقان بالأمة والدولة، فنحن الآن نخوض مع العالم الإسلامی غمار حرب، تطحن الناس طحنًا، وما القوم الذين يکونون للإسلام والمسلمین، ويدسون الدسائس، لتمزيق الجماعة، وتفرق الكلمة، وشق عصا الاتحاد، وإضعاف الأمة، وکسر الشوکة، ويعـون الله.

(1) مقدمة مختصر سيرة الرسول-عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب-۶-مكتبة الرياض الحديثة-الرياض.
(2) سورة المائدة-رقم الآية(۳۲).
الجماعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

ورسله بإيجاد الفتنة بين المسلمين حتى يقتل بعضهم بعضاً، إلا وراوه خطر يجب درؤه. (1)

الثاني عشر: الشيخ أبو الأعلى المودودي:

القضايا التي أثارها الجماعيات القومية العربية في واقع الأمة لا تخص العرب دون غيرهم، فالقضايا تمس العقيدة والدين الإسلامي. ولذا وقف العلماء الربانيون في مختلف أجزاء العالم الإسلامي في وجه الباطل، ومن هؤلاء العلماء الشيخ أبو الأعلى المودودي الذي عاصر آثار الجماعيات القومية العربية في الأمة الإسلامية، فقد ولد المودودي عام (1321هـ- 1903م). (2)

بين الشيخ المودودي سبب نشأة الجماعيات القومية العربية وأيضاً مفهمة مع التيار القومي، الذي يعيشه العالم الإسلامي كما عاشه العالم النصريان، بقوله: (إن المزاعمة التركية تتجز زرع القومية التركية، وتنطبع بالفكرة العلمانية التي جاء بها الشباب الأتراك المسلمون من الغرب، وإن أعداء الإسلام أنشأوا كذلك جوابةً على القومية التركية حركة القومية العربية. ونتيجة لذلك بدلاً من أن يكون المسلمون أتراكاً وعرباً يداً واحدةً في الحرب الكونية الأولى صاروا على طرفين نقيض).

(1) مذكرات جمال باشا- 240. مع الملاحظة أن بعض من كتب عن هذه المرحلة التاريخية من القوميين، قال: "إن ظوى الشيخ بدر الدين منسوبه إليه، وأحدها جمال باشا حجة لترويب إعداده لمجموعة من أعضاء الجمعيات القومية"، انظر: الإسلام وحركات التحرر العربية- شوقي أبو خليل- 141- دار الفكر- دمشق- الطبعة الأولى- 1406هـ.

(2) أبو الأعلى المودودي حياة وفكره العقدي- حمد الجمال- 77- دار المدن- جدة- الطبعة الأولى- 1406هـ.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

عاصم الشيخ المودودي قرر إلغاء الخلافة والدعوة إلى الحكم العلماني، فقال الشيخ: (ما أحق الأتراك الذين حاولوا تغيير وجهة الخلافة إلى اللادينية، وحاولوا إقامة الدولة على أساس القومية التركية، وكذلك ما أجمل الزعماء العرب الذين وقعوا في مكيدة النصارى واليهود واتخذا القومية العربية ديناً لهم وعارضوا الإنجليز في الحرب، وبالتالي مكروهم من السيطرة على البلاد العربية ومنها الأماكن المقدسة).

إن حقيقة الانتماء بين المسلمين هي الأخوة الإييائية، دون اعتبار لرابطة اللغة أو اللون أو العوامل التاريخية، وهذا ما نادى به المودودي في الأمة الإسلامية من كر مبادئ الجمعيات القومية العربية، بقوله: (إن المسلمين ليسوا عبارة عن آمة عقائدية غايتها التي أخرجت لأجلها الدعوة إلى الخير وقطع المكر وترويج المعروف).

الثالث عشر: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني:

لقد حدد الشيخ محمد ناصر الدين الألباني السنة النبوية، من جانب تميز صحية ممن ضعيفها، وكذلك نشرها، وتأسيل مبدأ أفما المصدر الثاني من مصادر التشريع لهذا الدين.

---
(1) مجلة أضواء الشريعة-العدد الحادي عشر-بجلة دورية تصدرها كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-سنة 1400هـ-ص 54 وما بعدها-مقال: خليل أحمد الخامدي.
(2) مجلة أضواء الشريعة-العدد الحادي عشر-سنة 1400هـ-ص 54 وما بعدها.
(3) نظرة: حياة الإمام وآثاره وثناء العلماء عليه-محمد الشبيباني-دار السلفية-الكويت-الطبعة الأولى-1407هـ.
وقد كان للشيخ الألباني تعلقات مفيدة على بعض الأحاديث، ضمنها نقده للمبادئ التي أرادت الجمعيات القومية العربية نشرها في الأمة.

فمن هذه التعلقات قوله عند نقده حديث: (لمNODE، والقرآن العربي، ولهان أمثلة على حديث)، قال الشيخ الألباني: (وما يدل على بطانة نسبة هذا الحديث إلى أن في افتخاره عبودته، وهذا شيء غريب في الشرع الإسلامي لا يلتزم مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ مَنْ كَانَ لَهُ عِزًّا وَجَلًّا﴾، وقوله: (لا فضل لمن على عمجم... إلا بالقولى) ولا مع نفيه عن الافتخار بالآباء في قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ غَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذَهَبَ عَنْكُمُ الْجَاهِلِيَّةَ وَفَخَرَّهَا الْأَبَاءَ مُؤْمِنَ تَقَيْتُ، وَفَاعِلُ كَثِيرُ، أَنْتُمْ بَنُو آَمَرٍ وَأَدَمَ مِنْ نَارٍ، لِيَدْعُنُ رِجَالًا فَخِرُّهُمْ بَأَمَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَخْحَصُ مَنْ فَخَحَصَ جَهَنَّمُ، أَوْ لِيَكُونُ أَهْوَانًا عَلَى الْجَاهِلِيَّةِ مَنْ أُجُلَّانَ اللَّهُ مِنَ الْذَّيَّانِ الَّذِي تَدَفَّعُ بِكُلِّ فِحْضِهَا اللَّهَ ﴿(٢)﴾.

إذا كانت هذه توجيهاته لأمته فكيف يمكن أن يخالفهم إلى ما فهما عنده؟ (هذا تأكيد من الشيخ الألباني على نقد الاعتزاز بالقومية العربية والدعوة إليها، لأن الاعتزاز والافتخار بما من مخالفات الشريعة.

إن أهمّ مبدأ قرره الجمعيات القومية العربية الافتخار بالعربية والدعوة إلى القومية العربية، ورغبته في قبول هذا الأمر لدى الأمة نادت الجمعيات: إن عز الإسلام محصور بزر العرب، وإن ذل الإسلام ذل العرب.

---

(1) سورة الحجرات-رقم الآية (١٣).
(2) سنن أبي داود-كتاب الأدب-باب في الافتخار بالأخلاق-رقم الحديث (٤٤٥٦).
(3) سلسلة الأحاديث الضعيفة-١٩٣/١-التعليقات على حديث رقم ١٢١.
في هذه القضية تحدث الشيخ الألباني عند نقد لما بيدت الجمعيات القومية، قائلًا: (إن الإسلام لا يرتبط عزه بالعرب فقط، بل قد يعزه الله بغيرهم من المؤمنين، كما وقع ذلك زمن الدولة العثمانية، لا سيما في أوائل أمرها، فقد أعز الله بيمين الإسلام حيى امتد سلطانه إلى أواست أوروبا، ثم ما أخذوا يجدون عن الشريعة إلى القوانين الأوربية (يستبدلون الأدن بالذي هو خير) تقلص سلطانهم عن تلك البلاد وغيرها، حتى لقد زال عن بلادهم، فلم يبق فيها من المظاهر التي تدل على إسلامهم إلا الشيء السير فذل ذلك المسلمين بعد عزهم، ودخل الكفّار بلادهم واستذواهم إلا قليلاً منها، ولهذه وإن سلمت من استعمارهم إياها ظاهراً، فهي تستمتعها بالخفاء تحت ستار المشاريع الكثيرة كالاقتصاد ونحوه.

فنبت أن الإسلام يعز ويذل بعز أهل وذلهم سواء كانوا عرباً أم عجماً

(ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالقوى).

وعند حديث الرسول ﷺ: (إن الله اصطفى من وآل إبراهيم إسماعيل واصطفى من وآل إسماعيل بني كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشًا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفى من بنى هاشم) (1) عن الشيخ قائلًا: "لا ينبغي أن يحمل العربي على الافتعار بجنبه، لأنه من أمور الجاهلية التي أبطلها نبينا محمد العربي ﷺ.

(1) مسند الإمام أحمد-1151
(2) مسند الإمام أحمد-4/110، وسنن الترمذي-كتاب المناقب-باب في فضل النبي ﷺ.
والنحو الذي أكرمه الشيخ الأبلياني استحقاق العرب للافضلية التي أشار إليها الحديث السابق بأنا (ما اختصوا به في عقولهم وألسنتهم وأخلاقيهم وأعمالهم، الأمر الذي أهلهم لأن يكونوا حملة الدعوة الإسلامية إلى الأمم الأخرى، فإنه إذا عرف العرب هذا، وحافظ عليه، أمكنه أن يكون مثل سلفه عضوا صالحا في حمل الدعوة الإسلامية، أما إذا هو تجرد من ذلك فليس له من الفضل شيء، بل الأعمالي الذي تخلق بالأخلاق الإسلامية هو خير منه دون شك ولا ريب، إذ الفضل الحقيقي إما هو اتباع ما بعث به محمد ﷺ من الإيمان والعلم، فكل من كان فيه أمك كان أفضل.

إن دليل الأفضلية لمن اتبع ما بعث به الرسول ﷺ قبل الرسول ﷺ فيما رواه أبو هريرة، قال: قام رسول الله ﷺ حين أُنزل الله عز وجل: "وأَنْذِر عَشَيْرَتَكَ الْأَقْرَبَيْنِ" (1). قال: (يا مُعَشَّر قَرْيَّتِي أو كُلْمَة نَحْوَكَ) اشتروا أنفسكم، لا أَغْنِي عنكم من الله شيئًا، يا بني عبد مُتَنَافِ لَا أَغْنِي عنكم من الله شيئًا، ويا صفهم عمَّا رسول الله ﷺ لَا أَغْنِي عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت مُحَمَّد سليماني ما شئت من مالي لَا أَغْنِي عنك من الله شيئًا. (2)

(2) صحيح البخاري-كتاب الوصايا-باب هل يدخل النساء والوليد في الأقارب-رقم الحديث 2548.
الجمعيات القومية العربية ومقتّعها من الإسلام والمسلمين

وقد حدد الشيخ الألباني مجال التفاضل بأنه (الأسماء المحددة في الكتاب والسنة، مثل الإسلام والإيمان، والبر والتقوى، والعلم والعمل الصالح، والإحسان و نحو ذلك، لا مجرد كون الإنسان عرباً أو أعجماً) (1)

الرابع عشر: الشيخ أبو الحسن النديوي:

لم يكن التصدى لموافقة ومبادئ الجمعيات القومية قاصرًا على أرض العرب وعلمائها، بل امتدت ساحة المواجهة إلى أرض الهند وعلمائها، وأثناء بحثي في أعداد متفرقة من جريدة القبلة، كنت أحد الرسائل العديدة، الصادرة عن علماء الهند والمرسلة لمهم شرور الجريدة، تُتقد فيها مبادئ الدعوة إلى القومية العربية.

ويسجل التاريخ المعاصر مغلاً الموقف الإيجابي الذي وقفه مسلمو الهند من قضية الخلافة، إذ وصل بهم الحرص على الخلافة أن الإنجليز، وهم المسيطرون على أرجاء الهند (2) قد عجزوا أن يجدوا في مسلميها من يقبل التطور في صفوفهم لقتل الدولة العثمانية، أثناء الحرب العالمية الأولى، لأنه في يقينهم تمثل الخلافة التي لا يجوز لمسلم الخروج عليها، حتى اضطر الإنجليز لتوسيع زعامة العرب لإقناعهم بما يريدون فلم يجدوا منهم إلا الصد والنقد (3).

(1) سلسلة الأحاديث الضعيفة - 196/1-التعليق على حديث رقم (123).
(2) ملاحظ: إنكار المسلمين في تحرير الهند - عبدالمجتعم النمر - مكتبة وهمية - القاهرة - الطبعة الأولى - 1383 هـ.
ومن علماء الهند الذين كان لهم موقف من مبادئ الجمعيات القومية العربية، الشيخ أبو الحسن الندوي وهو من أسرة عربية عريقة، قال الشيخ عبد العزيز بن باز أثناء عرض موقف الندوي من مبادئ الجمعيات القومية العربية: (لقد أحسن الكاتب الإسلامي الشهير أبو الحسن الندوي في رسالته المشهورة (اسمعوها مصنع صريحة أنبها العرب) وقال الشيخ ابن باز بعد أن استعرض بعض آرائه: (فتأمل أيها القارئ كلمة هذا العالم العربي الحسيني الكبير، الذي قد سرب أحوال العالم وعرف نتائج الدعوة إلى القوميات وسوء مصيرها).

إن أقوال الشيخ الندوي وتقاريره في مسألة القومية العربية، يدل على اطلاعه ومعرفته خطط المستعمرين، ولذلك قال عن أصل تأسيس الجمعيات على مبدأ القومية العربية: (كان تقرير هذا الوثن القومية من أقوال بعض المسلمين أو النصارى العرب، حيث أصبح العرب المسلمون في ذلك فريسة سهلة لدهاء الأقلية غير المسلمة في الشرق العربي التي يتوافد مصيرها على انتشار فكرة القومية العربية، وحلوها محل الدين الإسلامي، والتي تستطيع أن تصل عن طريقها إلى مركز الوعاء والقيادة والتوجيه في العالم العربي). ودليل هذا أن الأسماء البارزة في الجمعيات القومية العربية التي ولت التنظير والتحليط كانت من نصارى العرب، كما سبق بيانه.

---

(1) النقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع- عبد العزيز بن باز- 1881.
(2) العرب والإسلام- أبو الحسن الندوي- 2- مكتبة المنارة- مكة المكرمة- الطبعة الثانية- 1408 هـ.
ذكر الشيخ الندوي أن النصر والغذة والسيادة في الأرض — وهي من الأمور التي تزعم أنها تسعى لتحقيقها الجماعيات القومية العربية — هو وعد من الله العزيز الحكيم كما قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُبَيِّنُ تَأْكُولُكُمْ وَتُحَصِّنُكُمْ}. (1) وقال تعالى: { وَلَقَدْ سَبَقَتْكُمُ كَانَتَا لِعِبَادَيْنَا الْمُرْسَلِينَ إِيَّهُمْ لَا تَفْخَرُوا بِمَا أَحْرَمْنَهُمْ وَإِنَّ جَنِينَا لَهُمُ الْغَلَبَةُ}. (2)

وبين الشيخ الندوي أن وعد الله بالانصات والغذة والعلو والسيادة في الأرض لن يكون إلا للذين حققت فيهم صفة الإيمان وتحل فيهم حقيقته فقال:

ولا تهنوا ولا تخزَّنوا وأتِمْ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتَ مُؤْمِنِينَ. (3)

هـدي الرسول وسيرته يعكسان حقيقة هذا المبدأ، قال الندوي عن سيرة الرسول: "إنه لم يعد بشيء من ذلك من النصر والفتح والظفر والغذة والعلو والسيادة — على الأهواء والزعات، والطموح والكبراء وحب المجد — الفردية أو القومية — وشرف الدماء والأنساب والبلاد والعصبيات والقوميات. فـلم يتقدم الرسول بشيء من ذلك إلى العالم ولم يطلب به النصر، مع أنه من أشرف الأمم وأفضل البيوت وأقدس البلاد. إنما تقدم بدعوة دينية، ومنهج خاص للحياة، لا غني للأمم وطوائف البشر عنه، على اختلاف أوطافا وألوافا ولغافا، فمن نتائج الدعوة المبنية على الدين دون الأمور الأخرى أن القبائل والأمم كما قال الندوي: قد خضعت

(1) سورة محمد-رقم الآية (7).
(2) سورة الصفات-رقم الآيات (171-173).
(3) سورة آل عمران-رقم الآية (139).
لدعوته ولم تعقها عن ذلك عصبية أو قومية، لأنه لم يكن من دعاة عصبية أو جاهلية وإنما كان داعي دين للإنسانية، وداعي عقيدة ومبدأ فاضل للحياة، ونصره الله على قلة وضعف وفقر، ونصر كل من قام بهذه الدعوة الدينية. 

الخامس عشر: الأستاذ عبد الله التل:

تناول المؤامرة التي تكاد ضد الدين الإسلامي، والتي توجهها المنظمات الصليبية أو الجماعات اليهودية، وكانت له جهود في تعريضة حجمه في ترقب جذور البلاء التي غرست في الأمة الإسلامية ومنها الجماعات القومية العربية.

كما قام بالرد على ما تنادي به مجلات الجماعات القومية، فقد انتقد مقالة أحمد زكي في مجلة العربي الذي صرر على مبادئ الجماعات القومية بأن الناس أن تسلك إلى الله أي طريق تشاء، وأن الناس عباد الله وكل سالك إليه سبيلًا.

ولما كان الأستاذ عبد الله التل قد أطلع على كثير من جذور البلاء في الأمة، فقد ضرب أمثلة على هذا البلاء، ومنها الأحزاب والجماعات القومية، التي قال عنها: (الأحزاب والحركات العربية العلمانية المتحدة أخفقت في جميع أعمالها – في كثير من أعمالها – لأنها كانت منذ نشأتها وما تزال تعمل مسجل عرب الشعوب العربية المؤمنة، وعجزت تلك الأحزاب والحركات عن إدراك.

(1) رسالة مسجد الجامعة- 186/1-964.
(2) انظر: جذور البلاء (المجلد الأول) - عبد الله التل- 262- المكتب الإسلامي- بيروت- الطبعة الثالثة - 1400 هـ.
(3) مجلة العربي- العدد الأول- ديسمبر 1958- مقال أحمد زكي- افتتاحية العدد.
الاختلاف الكبير بين الإسلام الذي هو دين ونيا، وبين الكهانة التي أرغمت حكومات الغرب على اتباع العلمانية).

وعن مساندي الجمعيات القومية العربية لتحقيق أهدافها قال: (لقد نال أن تلك الأحزاب والحركات العلمانية كانت - بعدها عن الإسلام - تبني على رمل، وسرعان ما اهتز بنائها، وغدت اليوم موضع سخرية الأمة، وعامل تزريب وتعويق لحركة التطور العربي، والوحدة العربية).

وسبب اهتزاز أهداف الجمعيات العربية يعود كما قال الأستاذ إلى: (السبب الرئيس في ذلك هو أن الأحزاب والحركات العلمانية، التي تنثر اليوم في الوطن العربي ممن يحيط إلى الخليج، قد تخترق في مدارس الغزو الثقافي الغربي التي استطاعت أن تفصل بين ضحاياها من العرب وبين أصولهم العريقة الجيدة وعلى رأس تلك الأصول القرآن الكريم.

وجاءت دساتير تلك الأحزاب والحركات المكتوبة وغير المكتوبة، خالية من أية إشارة إلى الجانب الروحي في حياة الأمة، وما انطوي عليه ذلك الجانب من قواعد كامنة جدارة، وأصبح آلاف الشباب العرب ممن استهوىهم تلك الأحزاب والتحركات، يعيشون في مناطق جغرافية، ألسنة عربية، أقصان حداد وقلوب فارغة، فيما هم يتشدقون بالقومية العربية وقوميتها الأولى اللغة العربية، يجدون يتقفون أنفسهم بالتهام قصص الجنس من الجهلات الرخيمة، وينفرجن من ذكر القرآن الكريم الذي حفظ اللغة العربية، ويعدونه أثراً من آثار الماضي).
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

وبعد نقده للجمعيات القومية العربية ذكر طريق الخلاص، وهو العودة إلى الدين، فقال الأستاذ عبد الله: (ولا يمكن تحقيق الوحدة العربية إلا تعود المسلمين إلى ديانتهم والقضاء على موجة الإخاد والفساد التي تعم شباب العرب في كل مكان، والقضاء تماماً على الأحزاب والحركات العلمانية التي مزقت الأمة العربية).\(^1\)

السادس عشر: المؤتمر العالمي للدعوة وإعداد الدعاء:

كانت من توصيات المؤتمر العالمي للدعوة وإعداد الدعاء، المنعقد في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة 24-29/2/1397 هـ: اعتبار القومية من الدعوات والأفكار المضادة للإسلام: كالباطنية، والبهائية، والقانديانية والتبشير، والاستشراق، والآرمانية الطاغية، واليهودية العالمية، والعلمانية، والباحية.\(^2\)

السبع عشر: المجلات والدوريات الإصلاحية:

من أبرز المناصر الإعلامية التي أتتها العلماء المصلحون للرد على مبادئ الجمعيات القومية العربية، منبر الصحافة والدوريات، وكان لهؤلاء العلماء جهد يذكر ويشكر في هذا المجال.

سبق الحديث عن استغلال الجمعيات القومية للصحافة في نشر مبادئها، وأكدت بعض المجالس الإصلاحية هذا الأمر، جاء في مجلة (الأزهر): (إن كثيراً من أفكار بعض الصحف، يسيطر عليها طائفة من المتحللين والمجددين...

---

(1) خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسحية-عبد الله النله-4-المكتب الإسلامي-بيروت- الطبعة الثالثة-1399 هـ.
(2) أخبار المؤتمر الخامس: تحت المذاهب والابتكارات الإخادية والمعاداة للإسلام والفرص المترعة والرائعة في هذا العصر وموقف الإسلام والمسلمين منها-20-41.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

وال التنفيذين في أخلاقهم وعقائدهم، الذين يتخذون الصحافة مرتعاً خصباً وميداناً رحبباً لبث دعاهم الإخلاصية، وإذاعة مبادئهم التحليلية، وهم ينشرون وباءهم في جرأة، ويتواصلون بإذاعة المنكر في عزيمة، ويعانون على الإثم والضلال في قوة، ويسغلون بعض الظروف، ويتضرون وراء بعض الحواجز والأسرار، ويثنون ما يثنون بلا وازع أو رادع.

وإذا اعترض عليهم أحد في ذلك قالوا: إن هذا الاعترض عدوان على حرية الرأي وحرية الفكر وحرية النقد؟ وماذا لا تظهر حريتهم أو جرأهم في نقد العباه الفاسقين من البشر؟، لماذا تكون أيها الحر المحتل جريحاً وقحاً في هجومك على حرمات الله وحدها؟. (1)

ومن أمثلة بيان موقف العلماء في المجلات الإصلاحية، ما ذكرته مجلة (لواء الإسلام) عند المطالبة بتأسيس جمعيات إسلامية، حيث قالت المجلة: (ليس كالإسلامدين يدعوه إلى الوحدة، ويدعو على جمع الكلمة). نريد جمعيات إسلامية تبشر بتعاليم الإسلام، وتنقل بين الديان وأقطار لمعلم الناس ما في هذا الدين من أخلاق واجتماع، وفضائل وأداب، وتعلم أبنائه الجاهلين بأمورهم التي يصلحون بها دنياهم وآخرهم، وتخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور العرفان.

وأوضحـت المجلة بأن الأمم الكافرة قد سعت في تأسيس الجمعيات بذلاً الغالبي والرحيم، جاء في المجلة: (وهل لنا أن نقلد أبناء الأديان الأخرى في

(1) مجلة الأزهر - السنة 1377هـ - المجلد 29 ص: 32-44. المقال: أحمد الشرياني - المدرس بالأزهر.
إنشاء الجمعيات الدينية، ورصد الأموال الطائلة لها، ووقف الأغ{}_ناء من الأوقاف السماحية عليها، وخصص رجالاً يكرسون جهودهم وعقولهم على تعليم أبناء الدينهم واحتمال الاغتراب والسفر والرحلات، في سبيل نشر مبادئ الإسلام

إن تحقيق تأسيس جماعات إصلاحية كما قالت الجملة: (لن يتيسر هذا إلا إذا كانت بين الشعوب الإسلامية وحدة دينية واتصالات دائمة، ويعود من مختلف البلاد تبعث إليها لتؤدي هذا الواجب الذي يفرضه عليها الدين، ويجرى عليه راب العالمين).

كما سعى العلماء في بيان مبادئ الدين وإزالة ما أثير حول مبادئ من شبه على منابر الإعلام المقررة، فأكدت مجلة (الأزهر) على (أن الإسلام دين ودولة، أدب وسياسة، عبادة ومعاملة، نظام يربط العبد بربه، ويصل الإنسان بأخيه الإنسان صلة كرمة لا بغي فيها ولا عدون.

وهذا التأكيد يزيل الشبهة التي أثيرت حول مبادئ الدين، كما قالت الجملة: ليس الإسلام كما يصفه بعض المؤتمنين، ضعاف العقول قصار النظر، راجحت عندهم شبه الباطل، ونفقت لديهم وسواوس الملصين من أن الإسلام لا شأن له بالدنيا، ولا ينبغي له أن يدخل في نظام الاجتماع.

وقدت مجلة (الأزهر) صورةً من معالم هذا الدين، وقالت عن أصحاب الشبه: "ولو أتيت هؤلاء حظ من التعقل والإنصاف، ولو تجردوا ساعة من

(1) مجلة لواء الإسلام-العدد الثامن-ربيع أول 1367 هـ-المواقع فبراير 1948-ص.4-بعنوان (وحدة الشعوب الإسلامية)-أحمد حمزة.
شهوؤنهم وأهواؤهم، لأدركوا أن الإسلام في أعجيم صوره، وأقدس مظاهره ليس من هدفه إلا أن يكون العبد قوياً بريءاً، عظيم الثقة في حياله، وأن يكون مع ذلك في هذه الأمة عضواً من جسم واحد إذا اشترك منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، فلينظر هؤلاء ما سنه القرآن من أحكام تصلح كل مظهر من مظاهر الحياة. لقد كان الإسلام ديناً ودولة، يقدس الناس قوائمه ويتعزون نظامهم، ويرهبون القائم عليه، ويأخذون أنفسهم بطاعته ولو كان عبداً حبيسياً. الإسلام نظام للدين والدنيا، وشريعة مذب أمور الناس في حياتهم وقديهم إلى الفوز والنجاة في آخرهم، ولقد قدر المولى جل شأنه من يحب عن سنته ويتناى عن شرعته بالعذاب الأليم والشر الدائم المقيم، بقوله تعالى:

«فَيَتَكُلُّ حُدُودٌ اللَّهِ فَلاَ تَتَعَدُّوها وَمَن يَتَعَدُّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» (1)

وأوردت مجلة (الأزهر) الحديث الذي رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أن رواج
قال: (لا يُلدَعُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جَحَرٍ وَاحِدٍ مَّرَتِينَ) (2) وعن معاني هذا الحديث الصحيح كتب في المجلة: (كان لهذه التوجيهات النبوية السديدة أثرها البالغ في حياة المسلمين، ولكننا ويا للأسف لم نستفيد بما في حاضرنا، فدل علينا من الجرح

(1) سورة البقرة-رقم الآية (229).
(2) سورة الطلاق-رقم الآية (1).
(4) صحيح البخاري-كتاب الأدب-باب لا يُلدَعُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جَحَرٍ مَّرَتِينَ (568).
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

الواحد مرارًا، وتكالبت علينا الحوادث وتوالت النكتات فلم نتعظ بما، وما كان أجدر بناء معاشر المسلمين أن تكون ذوي كياسة وفعطة.

ومن الأمثلة الدالة على اللدغ الذي أصاب المسلمين، قالت المجلة: (لقد تداعت علينا قوى الشر والاستذلال قبل الحرب العالمية الأولى، وأذاقنا الأمور، ثم قامت قيامة هذه الحرب فوعدنا الوعود الراقة ومنونا الأماني المعسولة، ثم لما وضعت الحرب أوارها تكشفت الوعود عن الخداع والكذب، وذهبت الأماني أدراج الرياح، وعادوا إلى سيرهم الأولي.

ثم قامت الحرب العالمية الثانية فكرروا الوعود ومنونا الأماني وانقضت الحرب العالمية الثانية إذا الوعود والأماني سراب بقیعة يحسبه الظلمان ما؟ حتى إذا جاءه لم يجد شيئاً، وجوزي المسلمون جزاء ستمار، وكانت المأساة التي لم يشهد لها التاريخ مثلها، مأساة فلسطين الشهيدة، فشرد أهلها، وسيموا العذاب ألواناً، وأتى الخلفاء بشذذ الآفاق وفيهم اليهود، فأسكنوه فيها، وأغدوا عليهم من مألهم، على مرآى ومسمع وبيد أديعياء الحرية والديمقراطية الرائعة.

وكان هذا بعض ما جوزي به المسلمون والعرب على مساعدتهم للحلفاء في الحربين الماضيتين مساعدة مثمرة باعترافهم، وصدق الحق تبارك وتعالى حيث يقول في أسلافهم وأمناهم: (سَكَبِفْ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكَ مَلاَئِكَةٌ يُرَفِّقُونَهُمْ لَا يَزْهَقُوا فِيهِمْ إِلَّاً وَلَا ذِمَةً) (1)، أليس من المؤسف حقًا أن نرى في يومنا بعض المسلمين والعرب

(1) سورة التوبة- رقم الآية (8).
لا يزالون يخضعون بعود هؤلاء الكذابين النفرة وكلهم المعوس ودجهم المكشوف؟ وينسون أو يتناسون لدغاقم القاتلة المميتة.

لقد أفزع العلماء المصلحون نشر وتعظيم سير أعلام المعتقدات الباطلة، واغتراب أعضاء الجمعيات القومية بسحورهم، فمن ذلك ما كتبته صحيفة (القبلة) عن وفاة (كروم)، قالت الصحيفة: "اشتهر بإصلاحاته العظيمة في مصر مدة ربع قرن، وقد عرف (كروم) بأنه رجل التعقل والرجم والإصلاح، ولم يكن يدخر وسعا في العمل على ترقية المدارك، ورفع المستوى الأديبي في القطر المصري... كما تقول الصحيفة... ونرى من الحق علينا أن نذكره بالخير لا سيما وقد برهن بأعماله على أنه من خيرة الرجال.

وفي مقابل نشر هذه السير في صحف الجولات القومية، نشر العلماء المصلحون لنشر سيرة الرسول توضيح معلم سيرته الشريفة، فهما ذكرت مجلة (الأزهر)، عن السيرة قولها: "إن الدرس لهذه الرسالة الحميدة، والتفهم لتشريعاتها السماوية، لا يعد إلا أن يعلن بناء فيه: أن محمدًا اختاره ربه ليجيء صفًا التوحيد في جميع مظاهرها... وهي الغاية التي تجلب في استقرار عقيدة التوحيد، وتمكين أصحابها من إقامة شعائر دينهم دون خوف من وعيد أو مثب، ونشر ألوية السلام بين ربع العالمين، وتساوي الناس جميعًا أمام الحق والقانون، دون نظر إلى جنس أو لون، فالعالم العدل، سواء في تأييده أناسًا فيًا خلقكم الله مِن ذكرى وانتى وجعلكم شعوبًا وجبالًا يتعارفوا فإنا أسكركم عند الله.

الله أنتنكمُ إن الله عليم خبيرٌ (١). وقال رسول الله ﷺ: (.. لا فصل لغريبي على أعيجمي ولا لعجمي على غربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالقوى) (٢).

وواجب على المسلمين حاكمين وحكومين أن ينظروا إلى تعاليم دينهم، وليما شرع لهم من مبادئ ومفاهيم يتميز بها المجتمع الإسلامي، وبذلكما بنائه سليماً قوياً، ويقاره يمكنه بما عليه مجتمعهم اليوم، وما يطبقه في سنته من تعاليم. فقد صارت جماعة المسلمين لا يحسون لتلك المبادئ السامية وجودًا في نفوسهم - اللهم إلا كرجع الصدى - ثم هم لا يجدون لهذا الصدى أثرًا فيما يزاولونه في واقع الحياة من أعمال (٣).

---
(١) سورة الحجرات-رقم الآية (١٣).
(٢) الحديث سبب تخيره نظر ص: (٧٦٠).
الفاتحة

عرفت هذه الدراسة بعدد من القضايا المهمة، بل الخطيرة في حياة الأمة الإسلامية في تاريخها الحديث والمعاصر، ومن خلال طرح تلك القضايا، وبيان علّلها ومعالجتها انتهت الدراسة إلى النتائج التالية:

1. الكشف عن حقيقة الجمعيات القومية العربية، بذكر مبادئها وأهدافها مع الإشارة إلى مكان النشأة وتاريخها، وبيان التطور الذي رافق تأسيس تلك الجمعيات؛ حيث بدأت بالدعوة إلى اللغة العربية وآدابها، ثم تدرجت إلى المطالبة بحكومة علمانية جاهلية.

2. إن غياب مفهوم شمولية (الدين)، والجهل بحقيقة كلمة (التوحيد)، أمران جوهريان لوحظا على واقع بعض المسلمين في القرن الرابع عشر الهجري عاماً، وعلى (المثقفين) والمتورين منهم خاصة، فقدت عبادة القبور من المناظر المألوفة، وحُرّقت مفاهيم عدد من مسائل العقيدة: كالتوكل على الله، والولاء والبراء، وتحكيم الشريعة الرنيمة، ووافق هذا كله ظهور عقيدة الفكر الإرتجائي.
التعرف بأعضاء الجمعيات القومية العربية، بإعادة ترجمة موجزة لكل عضو من أعضائها – البارز ذكرهم في ثنايا البحث – مع ذكر دوره في تأسيس الجمعيات، ثم بيان المنصب القيادي الذي تبواه في البلاد العربية بعد القضاء على الحكومة العربية الأولى في دمشق (1368 هـ- 1920 م). وتوزع أعضاء الجمعيات القومية العربية في الدول العربية، لنشر مبادئ وأهداف الجمعيات القومية، والمشاركة في تأسيس نظام الحكم في الدول حديثة النشأة.

إن رابطة الدين هي العروة الوثقى، واستبدالها بغيرها دعوة من دعاوى الجاهلية التي ارتدتها الجمعيات القومية العربية، فحل بالمسلمين البلاد واستعمار البلاد نتيجة نبذ عقيدة التوحيد ظهرًا، وتحكيم النظم الكافرة.

الاعتبار والاطعام بشكل الأمية في ظل قيادة الجمعيات القومية، بتدرج العقوبة الإلهية عليها – بعد استبدالها الشرع الإسلامي بالقانون الوضعي الجاهلية – فبدأت العقوبة عندما قسمت دوهم وجعل بأنهم بينهم فاستعمرت بلادهم، ثم تمكن أفواخ النصارى والعلمانيون في سدة الحكم، ومنابر التوجه، ليسلكوهم إلى سنة اليهود والنصارى.

تتبع مواقف الجمعيات القومية العربية، التي اتخذتها من مصادر التشريع وأصول العقيدة، ومناقشتها وبيان مخالفتها لأحكام الشرع الحنيف، وتوضح أن مواقفهم – بما ذكر – نابعة من فساد عقيدة بعضهم وتأثير البعض الآخر منهم بالمبادئ والدعوات الإلحادية، وقد اتخذت الجمعيات القومية أسماءً ظاهرها السلامة والصلاح، وباطنها الكفر البواح، فهي
تعلم أننا إصلاحية، ولكن على المنهج الجاهلي، أو أفا أديبة، ولكن على المبدأ الإلحادي.

7. كشف تأمر الدول الصليبية على تغريب المسلمين، وتعاويهم وتكاتفهم للقضاء على أصل وحدهم (الإسلامية)، وتم استبدالها بشعارات قومية، فأفاد الصليبيون الجمعيات القومية بالأموال، ودعموا الثورة العربية بالسلاح والرجال، مع الإغراء والأمني الكاذبة والتي تحقق فيهم قول الله جل ذكره: "لا الذين يتخذون أكثرن أولياء من دون المؤمنين أبناؤهم عدهم الخزوة فإن الخزوة له جمعًا." [سورة النساء- رقم الآية: 139]

8. لما خلت الساحة من العلماء الرجائيين، إلا من رحم ربي، والدعوة المخلصين، الذين يفقهون أبعاد مبادئ وأهداف تلك الجمعيات، انفسح المجال للشر أن يستفحل، فأحدثت النظم والقوانين الجاهلية في واقع المسلمين، مما ساهم في دعم أهداف الجمعيات القومية، ونشرها وتتبع المسلمين بها، وهذا من السنن الكونية، قال تعالى: "قل هو القدر على أن يبعث عليه عذابًا من فوقك أو من تحت أرضيك أو يلبسك سيفًا ويدقيق ببعضك بأحسن أنظر كيف تصرف الآيت لعلهم يفقهون" [سورة الأنعام- رقم الآية: 65].

9. إن وجود نصارى العرب في عناصر تأسيس الجمعيات القومية العربية وأعضائها أمر مرفق للنظر ساعد على قبول هيئة الدول الصليبية، ونشر مبادئها واستعمار بعض البلاد العربية.
10. أصبحت الجمعيات القومية العربية منابر إعلامية للأفكار والمبادئ الماسوية العالمية، وتُعَرَّضُ بأفكار ودعواً لهذه الأفكار عبر وسائلها المختلفة، وإظهارهم للناس بصورة: (دعاة الإصلاح) و(شهداء الخريبة)، كما أوضحت الدراسة عن هذه القضية: بذكر أسماء محافل الماسوية في بعض البلاد العربية، وتزعم أعضاء الجمعيات لتأسيستها، مما أظهر بدء التوافق بين وسائطها وأهدافها مع الجمعيات القومية العربية.

11. إن الفرق المعادية لأهل السنة: كالرافضة، والدروز، والنصيرية، ازدادت نشاطاً في تأسيس وتنظيم الجمعيات، وكان تعاونها مع الاستعمار وعملها لمساهمة سبباً في سيطرتها على كثير من مراكز التوجيه، والتأثير في بعض الدول الإسلامية، وقد عُين ذكر معتقد الأعضاء في تنظيم الجمعية.

12. إن عقيدة الولاء والبراء لدى أعضاء الجمعيات القومية العربية من المسلمين — قد تُضَمَّنت في نفوسهم، تحت تأثير مبادئ الجمعيات والشعارات الوثنية والدراسات الجاهلية، حتى قال قائلهم: (الدين لله والوطن للجميع، ثان عرب قبل موسى وعيسى ومحمد، إن محمدًا لعربي قبل أن يكون مسلماً)، ودون النظر إلى عقيدة الأعضاء تولى أصحاب العقائد الفاسدة — من نصارى وباطنيين وعلمانيين — رئاسة بعض الدول، وسيطر آخرون منهم على مراكز التوجيه، فكان منهم: قادة الجيش، وزراء التعليم والثقافة، وزوار الإعلام والترفيه، والمستشارون والخبراء، وكان فيهم المدرسون وقادة الرأي... الخ.
13. البعثات العلمية للفتوحات الصليبية كانت من أهم العوامل المساعدة في تأثير أعضاء الجمعيات القومية من المسلمين بمبادئ الثورة الفرنسية، وقبول أفكار زعمائها ودعوهم ونشرها في واقع المسلمين، ولذا كانت بداية تأسيس بعض الجمعيات القومية العربية في بلاد أوروبا.

14. إن تأسيس الجمعيات القومية العربية على مبدأ قومي، هو امتداد للجمعيات النصرانية في الدول الصليبية، وحقق فيهم ما حذر منه الرسول ﷺ بقوله: (لكَشِعْنَّ سنن مِنْ قَبْلِكم، شِيَّرًا بِشَيْرٍ، وَذَرَاعًا بِذَرَاعٍ، حَتّى لَوْ سَلَكَوْا جَحِرٍ ضَبْ لَسَلَكْتْمُوهُ، قُلْنَا: يَا رَسُولِ اللَّهِ أَلِئْهُو وَالْنِصَارَى؟ قَالَ: قُمِّنَ).

15. كان للجمعيات القومية العربية دور بارز في القضاء على مفهوم الخلافة الإسلامية واستبدالها بحكومة عثمانية، يحكمها الدستور تحت شعار الديمقراطية، ثم الاتفاق مع الدول الصليبية (الخلافة) للقضاء على الدولة العثمانية، ودعم هذا الدور كتابات (الكواكي) و (رفيق العظم) و (عبد الحميد الزهراءوي) ومن ثم تصنيفهم لآباء الجمعيات من كتاب التوجه الإسلامي، ومواقف علماء الصوفية وأصحاب المصالح الشخصية.

16. إن تاريخ الدولة العثمانية خلال تأسيس الجمعيات القومية العربية، يعتبر دليلاً على السنة الكونية (أن تتأثر الأمة المتأخرة بغيرها من الأمم المتقدمة، وأن تُحاكيها وتحاول الاتباع بما) وما حصل في الدولة العثمانية
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

17. إن انتشار الفكر القومي على أيدي أعضاء الجمعيات القومية العربية، لم يكن خصيصًاً بأرض العرب فحسب، بل كانت هناك دعوات تنادي بقوميات أخرى كالتركية، أو الأندونيسية أو الألبانية. الح، فقد فرقهم الشعارات الزائفة، بعد أن جمعهم الدين الواحد.

18. إن الباطل لا يدوم، وإن الحق ظاهر لا محالة، وإن الله قد حكم في كتابه: "ولقد كتبنا في الأرضين من بعد الذكر أرب فالأرض يرزنه عبادة آل寸لحو وسورة الأنبياء-رقم الآية: 101)، ومن لوازم التمكين في الأرض وتولي قيادة الأمة بالمنهج الرباني، كشف عورات المبادئ والشعارات الجاهلية، وفضح الداعين لها.
تتجمّع أعضاء الجمعيات القومية العربية

أحمد عزت الأعظمي:

ولد بغداد عام 297 هـ (1880 م) ونشأ في الحلة حيث كان أبوه موظفًا، فدرس على مصطفى الوعظي، ثم توجه إلى الآستانة حيث درس الحقوق وتخرج منها. وأصدر الأعظمي في الآستانة مجلة (المنتذى الأدبي) ثم مجلة (لسان العرب) فكانت تترجان اليوقة العربية في العاصمة العثمانية، وله دور بارز في نشأة الجمعيات القومية فهو عضو في جمعية المنتذى الأدبي، وجمعية العربية الفتاة، وفي سنة 1915 أوقف عن العمل الصحفي والنشاط الحربي وسجن في دمشق، ثم سُبق إلى الديوان العربي في عاليه مع مجموعة من أعضاء الجمعيات العربية، وبعد المحاكمة بردت ساحته، تم عاد إلى بغداد يتابع عمله الصحفي وأنشأ مجلة (المعرض) وانتخب نائبًا عن بغداد مرتين في مجلس النواب العراقي. وفي سنة 1934 رأس تحرير جريدة (التوفات)، ألف كتابًا في القضية العربية (أسبابًا-مقدماً-طورًا-نتائجه) يتكون من ستة أجزاء، طبع في بغداد بمطبعة الشعب سنة 1932 ويُعتبر أهم كتاب تأريخي للجماعيات القومية. وتوفي أحمد الأعظمي مفصولًا ببغداد سنة 1355 هـ.

مصادر الترجمة:

1. الإعلام-خبز الدين الزركلي-170/1
3. أعلام البقطة الفكرية في العراق الحديث-مير بصري-10-9-10.1
4. معجم المؤلفين-كوركيس عواد-1/190

2. أحمد قدري:

أحمد بن عبدالله بن يحيى الترجمان، ولد في دمشق عام 1318 هـ (1893 م)، ولتعلم بها وبالإستانة ثم باريس. وكان من زملاء عونى عبد الهادي في الرحلة إلى باريس، وكان من مؤسسي جمعية العربية الفتاة وخصصه في مجال الطب، وفي أواخر الحرب العالمية الأولى حق بالسفر، فصل قبل دخوله دمشق، وصحبته في أكثر رحلاته وعين طبيباً خاصاً له، وكان محل ثقته، ثم عين أستاذاً في كلية الطب بدمشق، لما احتل الفرنسيون سوريا رحل إلى مصر وحكم الفرنسيون بإعدامه غيابياً، ولجأ إلى العراق ثم مصر، وعمل فيها قصراً عاماً للعراق سنة 1930 م وأسس المفوضية العراقية بباريس 1935، وتولى إدارة الكلية الطبية ببغداد 1937 م، ثم عاد إلى دمشق وعين فيها أميناً للصحة 1943 م، وتوفي سنة 1378 هـ 1958 م.

مصادر الترجيح:
1. مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى- أحمد قدري.
2. الرويل العربي الأول - خيرية قاشفية - 107.
3. الإعلام - خير الدين الزركلي - 154/1.

3. أدبي الشيشكلي:

أديب بن حسن الشيشكلي، من أعضاء الجمعيات القومية الذين تولوا رئاسة دولة، ولد سنة 1327 هـ-1909 م، في حماة من المدن السورية، تعلم بما تخرج بالمدرسة الزراعية في سلمية، ثم بالمدرسة الحربية في دمشق، انتسب
إلى المحافل الماسونية والجمعيات القومية، شارك في حرب التحرر من الفرنسيين سنة 1945م، وكان مساعد حسن الزعيم في ثورته العسكرية، وبعد أن احتلوا صرفه الزعيم من الخدمة سنة 1949م، وفي عهد سامي الحناوي عاد برتبة (عقيد) وانتقض مع بعض زملائه على الحناوي أواخر سنة 1949م، فاستولوا على الحكم وتولى الشيشكلي رئيسة الأركان العامة ثم رئاسة الجمهورية السورمية سنة 1953م، اعتقل الدروز بعد ثورتهم سنة 1954م، وكانت بداية حوادث الانقلاب عليه، وملأ شعر أن زمام الحكم أفلت من يده سلم نائه في رئاسة حركة التحرر كتاب استقالته من رئاسة الجمهورية، بوصفه رئيس مجلس النواب، صدر في حقه من دمشق (حكم القتل) بتهمة (الخيانة)، هرب إلى السعودية لاجئاً سياسياً ومكث إلى سنة 1957م، ثم سافر إلى باريس ومنها إلى البرازيل، أنشأ فيها مزرعة وانقطع عن كل اتصال سياسي، فباغته رجل من الدروز وأطلق عليه النار من مسده فقتله سنة 1384هـ-1964م.

مصادر الدرجة:
1. الإعلام- خبر الدين الزركلي-285/1.
2. أوراق جميل مردم بك-سليمي مردم بك-23-2.
3. الماسونية والماسونيون في الوطن العربي- حسين حماده-168.

4- أسعد دagher:
أسعد بن مخلوف دagher من نصارى العرب، ولد عام 1303هـ (1886م) في مدينة تنورين بلبنان، وكان والده مخلوف دagher يعمل محامياً، وتعلم أسعد ببيروت في مدرسة (عينطورا) التي دخلها عام 1895م، وغادرها منهلة الثانية عام 1908م، وتعتبر هذه المدرسة من مدارس التنصير، وحديث دagher في مذكراته أن الأساتذة كانوا يجذبونه من المسلمين، فكان يقول إن المنصرين يقولون:
المسلم في بروت هو الذي يطم المسحي بالخنجر من خلف، وقصد الآستانة لدراسة الحقوق وكانت الآستانة تشهد أحداث المطالبة في إعلان الدستور، وأطلّع على بوادر الخلاف في تقسيم تركة الدولة بين الترك والعرب، وانتسب في جمعية المنتدي الأدبي وتمت العلاقة بينه وبين أعضاء الجمعيات القومية العربية، وكانت جريدة (المقطم) بمصر. وخلال الحرب العالمية الأولى صدر فيه حكم الإعدام إلا أنه هرب إلى مصر ومكث فيها بين عامي 1914-1919 وخلال هذه الفترة ألف كتاب (حُبّة العرب) وإليه ينسب كتاب (نورة العرب). عاد بعد الحرب إلى سورية وأصدر جريدة (العقارب) وكانت لسان حال جمعية العهد والقحطانية، وخرج من دمشق ليلة دخول الفرنسيين وتوجه داغر إلى مصر ورأس القسم الخارجي لجريدة الأهرام قرابة ربع قرن. وعمل مديرًا لشؤون الصحافة في الأمانة العامة وقد سعى من خلال منصبه الإعلامي دعوة أعضاء الجمعيات القومية إلى العمل في الجامعة وأن يمدوا الجامعة بآرائهم وأفكارهم، فقد كتب إلى نبيه العظمى عام 1266 هـ (1946) وَمَّا قَالَ لَهُ: (إذا كنت معتقدون أن جامعة الدول العربية هي الأمل الوحيد لنا، وأنا أعتقد ذلك [الكلام لداغر] فأرجو أن تقوموا بالواجب نحوها). وأمات داغر في القاهرة عام 1378 هـ (1958) ونقل جثمانه إلى لبنان.

مصادر الترجمة:
1. الرueil العربي الأول (حياة وأوراق نبيه العظمى)- جمع خيرية قاسمية-134.  
2. مذكرات على هامش القضية العربية- أسعد داغر.  
5 - إسكندر البارودي:

طبيب لبناني، ولد في صيدا سنة 1856م، تعلم في مدرسة دير السينر في بمكن، كما تعلم في المدرسة الإنجليزية في سوق الغرب، ثم في الجامعة الأمريكية بيرتوت، ونال الشهادة البكالوريا سنة 1875م، والشهادة الطبية عام 1882م، عمل في المجاهل الصوفي وقد أسس مجلة (الطبيب) عام 1878م، وساهم في تحرير أعضاء الجمعيات القومية العربية كاليازجي، وشميل وخليل سعداء، وكانت له مساهمات وأبحاث في مجلة الجمعيات القومية العربية مثل: (المقتنف) و (المحلل)، و قتال عنه أعضاء الجمعيات أن البارودي قد تولى مسألة التربية والتعليم فقد درس في مدرسة صيدا الأمريكية، وفي الجامعة الأمريكية وفي معاهد ومحافل الماسونية. توفي سنة 1921م.

مصادر الترجمة:
1. الماسونية ذلك العالم المجهول-عبدالحمي الياس الخيروي-53
2. معجم المطبوعات-سريكيس-512
3. مجلة المختار-نور مارأي1922-عدد 0607-970
4. مصادر الدراسة الأدبية-يوسف أسعد داغر-2/109.5

6 - إسكندر عمون:

إسكندر بن أنطون بن يوسف عمون، من نصارى العرب، ولد بلبنان سنة 1292هـ-1857م، سكن مصر فتغلب في المناصب وولي وكالة المحكمة الأهلية، تولى منصب وكيل حزب اللازمكزه، ورئاسة الاتحاد اللبناني، كما قدم ورقة عمل أثناء المؤتمر العربي الأول المنعقد في باريس وعنوانها: (الإصلاح على قاعدة اللازمكزه)، وبعد تأسيس الحكومة العربية الأولى دعي للمشاركة في
تأسיסה فتولى وزارة العدلية، ومرض، فاستقال وعاد إلى القاهرة فتوثي فيها سنة 1388 هـ-1969 م.

مصادر الترجمة:
2. الإعلام-خير الدين الزركشي-1/1-303.
3. المؤتمر العربي الأول-98-104.
4. الحركة العربية القومية في مائة عام-ناجي علوش-65.

7- أمين أرسلان:

أمين بن محمد بن حي أرسلان، من الأسرة الأرسلانية الدرزية، ولد في الشوفيتيات لبنان، وتعلم عند (اليسوعيين) النصارى بغروبة، ورحل إلى باريس فأصدر جريدة (كشف النقاب) بالعربية، واشترك مع خليل غام (النصراني) في إصدار جريدة (تركيا الفتاحة) بالعربية والفرنسية، عينه حكومة السلطان عبد الحميد فنصبًا عامًا في (بروكسل)، واستقال بعد الدستور العثماني (1909 م) فقضى فصلاً عامًا في الأرجنتين، ثم عاد إلى الصحافة ونشر الفكر معتدلاً وأفكار الثورة الفرنسية إلى البلاد الإسلامية. ويعتبر من مهاجرة العرب ومن كتبت في الصحف النصرانية بتموين يهودي مع قريبه (خليل غام النصراني). توفي سنة 1362 هـ-1943 م.

مصادر الترجمة:
1. الإعلام-خير الدين الزركشي-1/1-195.
2. موقف الدولة الانتدابية من الحركة الصهيونية-حسان حلاق-237.
3. تاريخ الصحافة العربية-4/4-58.
أمين النحاة:

أمين بن فارس بن أنطون بن يوسف بن عبد الأحمد البجاحي، المعروف بالبرخان، ولد ببلبنان سنة (1216هـ/1801م) وهو من نصارى العرب، سافر صغيراً إلى أمريكا مع عمه وقد أولع بالتمثيل، ودخل في كلية الحقوق ولم يستمر، وعاد إلى لبنان سنة 1898م؛ فدرس شيئاً من قواعد اللغة العربية، شارك في القضايا العربية، وساهم بالاشتراك في كثير من الجمعيات الأدبية، وانتخب عضواً مرسلاً في الجمع العلمي العربي بدمشق، انتقل في كثير من البلاد العربية، قضا تاجداً وكتب تاريخاً عنها، كما زار العراق وقطر وفلسطين، ويعتبره القوميون من شعراء المهاجرين، ودعوة الإصلاح والتجديد. ومن أشهر كتبه: (البرخانيات) و (ملوك العرب) و (قبر لبنان) و (قبر العراق) و (فيصل الأول) و (ابحات سعود وتاريخ نجد) مات البرخان في قريته التي ولد فيها سنة 1359هـ/1940م.

مصادر الترجمة:
1. أمين البرخاني: تاريخ حياته وحفلات تكريمه في مصر- توفيق الراعي.
2. أمين البرخاني: تأليفه، وحياته- الاسمري فياض.
3. أمين البرخاني- مارون عبود.
5. مصادر الدراسة الأدبية- يوسف أسعد داغر- 291/2.

9 - أمين بك نخلة:

أمين رشيد نخلة، أديب وشاعر عربي لبناني. ابن رشيد نخلة، ولد عام 1901م في لبنان، وهو من نصارى العرب، وكان والده مديراً لناحية العقوب العليا في الشوف ورجل القانون في لبنان، وتعلم طقوس والذهب النصرانية في
الجمعيات القومية العربية وموفقةها من الإسلام والمسلمين

دير ما مارون على يد القس طوبيا المبارك. كما تعلم في دير القمر ومن أساتذته فيها كمال شمعون، وأنشأ عن أبيه تعمقه في القانون والشعر وفضلته في اللغة العربية. وأتم دراسته في الكلية البطريركية في بيروت ودرس الحقوق في دمشق، دخل المعركة السياسي، فقد تعاون مع أعضاء الجمعيات القومية بإصدار جريدة (الشعب). ويعتبر القوميون من أسس مدرسة في الشعر مساعدة أعضاء الجمعيات القومية كخليل مطران، وشلبي الشهيفي. من آثاره الشعرية: "دفتر الغزل" (1954 م) و"الديوان الجديد" (1962 م)، ومن آثاره النثرية: "المفكرة الريفية" (1945 م) و"ذات العماد" (1957 م). ولد عام 1901 م وتوفي عام 1976 م.

مصادر الترجمة:
1. نسخة الرسول العربي-لبيب الرياشي-21 .
2. مصادر الدراسة الأدبية-يوسف أسعد داغر-4/499.
3. شعراء من لبنان: "أمين غلالة"-علي أنراهم-72-87.
4. أمين غلالة الفنان-فوري سابا.

10- بشارة الخوري:

بشاره بن خليل بن بشارة الحوري الماروني اللبناني، ولد في بيروت عام 1307 هـ-1890 م، وتعلم بها ثم في باريس حيث حصل على شهادة الحقوق سنة 1912 م واحترف المحاماة. ولجال إلى مصر في أوائل الحرب العالمية الأولى وذلك بسبب تأمره مع أعضاء الجمعيات القومية من النصارى بتقدم عرضة يطالبون فيها استقلال لبنان، وقدم الطلب إلى الحكومة الفرنسية، وشارك بشارة في كثير من الجمعيات القومية كما أسس حزب (التقدم السياسي)، وقد انتخب رئيساً للجمهورية (1943-1947). ويعتبر أول رئيس لجمهورية لبنان بعد
المصادر العربية:
2. الوسيلة العربية-نينبيرũ obj/2.
3. رؤساء لبنان-فؤاد مطر-77-794.

10 - تحسين العسكري:

تقوم بين مصطفى بن عبد الرحمن العسكري، من أهل بغداد ولد سنة (1892-1906) تخرج من المدرسة العربية بالاسطنبل، دخل في جمعية العهد، واشتهر في حرب طرابلس الغرب، وانتشروا بين العثمانيين والإيطاليين، كما اشتهر في ثورة العراق على الإنجليز أوائل سنة 1920، وكان قائداً فرقة بحرية خلال تأسيس جيش الحكومة العربية الأولى، ثم تولى مناصب أخرى منها: وزارة الداخلية بغداد، وعين وزيراً مفوضاً للعراق ومصر، وتوفي بالقاهرة سنة (1947-1947) وهو آخر جعفر العسكري.

مصادر الترجمة:
1. مذكرات تحسين العسكري.
2. العراق في الوثائق البريطانية (1905-1930م)-فؤاد قزاص-121.
3. الإعلام-خبر الدليم الرزقاني-84/2.ر.
11- توفيق البساط:

توفيق بن أحمد البساط، ولد بصيدا، وتعلم بيروت ثم بالآستانة، كان من أعضاء المندلي الأدبي، ومن أعضاء جمعية (العربية الفتاة)، وعين مأمور معيّن في ولاية دمشق، وقد قبض عليه في الحرب العالمية الأولى مع مجموعة من أعضاء الجماعات القومية، وهم يريدون الحرب إلى المدينة والموكث عند الحسين بن علي، وحكم عليهم جميعًا بالقتل، ونفذ فيهم سنة 1342 هـ-1923 م.

مصادر الترجمة:
1. الإعلام- خبر الدين الزركلي-1/91.
2. مؤتمر الشهداء- قصة من الكتب الأحرار- مهد له: يوسف إبراهيم-137.

12- توفيق السويدي:

توفيق بن يوسف بن نعمان السويدي، زعيم عراقي، ولد سنة 1308 هـ-1891 م، ولد وتعلم بغداد، ودخل كلية الحقوق باستنبول وخرج بالحقوق في باريس سنة 1914 م، ودخل في الجيش العثماني (ضابط احتياط) بالفلسطين، وبعد الحرب زار المهاجمة في دمشق، ودرّس بما في كلية الحقوق. وعاد إلى بغداد سنة (1921 م) فكان فيها عميدًا لكلية الحقوق، فمدّيراً للعدالة، فوزيرًا للمعارف سنة 1927 م، فرئيسيًا للوزارة ثلاث مرات. انتسب إلى الجمعيات القومية العربية، فكان من أعضاء جمعية العهد، وهو الممثل والمتحدث الرسمي عن الجمعيات القومية في العراق أثناء انعقاد المؤتمر العربي الأول في باريس. وبعد ثورة عبدالله كريم قاسم في العراق سنة 1958 م اعتقل ثلاث سنوات، وانتهى بعدها في منزله حتى مات سنة 1388 هـ-1969 م في بيروت ونقل إلى بغداد.
المصادر المطلقة:

1. مذكراتي: نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية- توقيع السويد.  
2. وجوه عراقية عبر التاريخ- توقيع السويد.  
3. مصادر الدراسة الأدبية- يوسف أسد داغر- 4/274.  
4. معجم المؤلفين العراقيين- كوركيس عواد- 1/217.  
5. الإعلام- خير الدين الزرقي- 2/93.  
6. المؤتمر العربي الأول المنعقد في باريس- 57-76.

13- جبران التويني:

جبران بن أندراوس التويني (أبو الوليد)، كاتب لبناني ولد سنة 1307 هـ- 1890 م، تعلم بيروت وتبدأ حياته منضدة حروف. وقام بارس 3 سنوات ومصر 12 سنة، وعاد إلى بيروت سنة 1923 م فاشرك في إنشاء جريدة (الأحرار) اليومية. ويلياء وزارة المعارف والفنون الجميلة سنة 1930 م ثم أصدر جريدة (النهار) اليومية وما زالت تصدر، وكان من أعضاء مجلس النواب اللبناني سنة 1937 م، توفي بالأرجنتين سنة 1367 هـ- 1947 م.

المصادر المطلقة:

1. الإعلام- خير الدين الزرقي- 2/11.  
2. مذكراتي خلال قرن- فؤاد غصن- 240.

14- جرجي زيدان:

جريجي زيدان: صحافي ومؤرخ وروائي من نصارى العرب ولد في بيروت سنة 1288- 1871 م. اخترع عام 1881 م في القسم الطبي في الجامعة الأميركية، ثم هاجر وهو بعد في صدر الشباب إلى مصر حيث أنشأ مجلة <الهلال> (عام 1892) التي كان لها أثر عظيم في نشر الفكر القومي، وإثارة
الجمعيات القومية العربية ووضعها من الإسلام والمسلمين

الشـبـه. وضع (سلسلة روايات تاريخ الإسلام) والتي تعتبر من أخطر كتبه التي فيها حُقد دفين على أبطال الإسلام، وألف (تاريخ التمدن الإسلامي) و (تاريخ آداب اللغة العربية). ومن آثاره أيضًا: (ترجم مشاهير الشرق)، و (تاريخ الحرب قبل الإسلام)، وتعرف إلى أكثر خريجي الكلية الأمريكية، ورجال الصحافة، مما سهل له الانتشار في المحافل الماسونية كمثل جمعية (شم البر) الماسونية، التي أنشئت ببورت مع يعقوب صروف وفارس نمر وسليم البستاني، وبتروس البستاني. مات جرجي في القاهرة سنة 1632هـ-1411م

مصادر الترجمة:
1. جرجي زيدان (حياته، أعماله، ما قبل عنه) - نظر عبد.
2. جرجي زيدان في الميزان - شوقي أبو خليل.
3. جرجي زيدان - إدارته الهلال - مصر.
4. الإعلان - خبر الدين الزركلي - 1/117.
5. مصادر الدراسة الأدبية - يوسف أحمد داود - 2/209.
6. وقفة مع جرجي زيدان - عبد الرحمن صالح العشماوي.

15- جعفر العسكري:
جعـفر (باشا) بن مصطفى بن عبدالرحمن العسكري، قائد عراقي، ولد ببغداد سنة 1305هـ-1888م، تخرج بالمدرسة الحربية بالآستانة، ثم برلين، حارب مع الترك في القسم سنة 1905، واشترك في حرب البلقان، ولدى بروزه في القوات المسلحة التركية والألمانية أرسله أنور باشا على ظهر غواصة لتنظيم مجندى الشيخ السنوسي، وقد جعل من المجندين قوة عسكرية ذات شأن وأظهر قدرة تكتيكية في معركتين خاضهما ضد القوات البريطانية، ثم وقع أخيرًا أسيراً في قبضة الإنجليز سنة 1916م، ونقل إلى القاهرة واعتقل في قلعتها.
مع ضباط آخرين، وبعد ثورة الحسين بن علي على الدولة العثمانية أفرج البريطانيون عن جعفر العسكري، وخلق بالثورة، فجعله فيصل بن الحسين حاكمًا على عمان، فكبيرًا لمراجعه حين نودي به ملكًا على سوريا، وخرج معه دمشق يوم احتلها الفرنسيون، وعاد إلى بغداد فكان وزيراً للدفاع، وولي رئاسة الوزراء سنة 1924 م، وانتسب إلى الجمعيات القومية كمجمعي العهد والفلسطنانية. وأثناء ثورة بكر صديق سنة 1935م، قضده جعفر العسكري لإطفاء الفتنة بالإقلاع، فلم يقترب من مقر الثورة حتى تلقاه قبضة ضباط من رجاله فقتلوه رمياً بالرصاص، سنة 1936-1937م، قال عنه لورانس: (كنا نعرف أن جعفر العسكري هو من أولى الرجال القليل الذين اجتمعت لديهم الخبرة، والسمعة الطيبة، والشخصية القوية، وإن كان قادر على أن يصنع من هذه القوات المثيرة جيشًا).

مصادر النزجة:
1. العراق في الوثائق البريطانية-فؤاد قرائجي-191.
2. أعلام السياسة في العراق الحديث-مير بصري-85.
3. جعفر العسكري ودوره السياسي والعسكري في تاريخ العراق-علاء جاسم محمد.
5. أعمدة الحكومة السبعه-لورانس-110.
6. معجم المؤلفين العراقيين-100/4.

12- جميل المدفعي:
جميل محمد أغا، عراقي من الموصل ولد سنة 1890 م، كان والده ضابطًا أمنًا في الجيش العثماني، وهو من أصل كرد، أما أمه فهي عربية من عشيرة البوشر، مات والده وهو صغير لا يتجاوز الست سنوات، وكفله زوج أخته
ونشأ في كنفه، وله أكمل دراسته سافر إلى استنبول ودخل المدرسة الحربية وأكمل الدراسة فيها، وتخرج برتبة ملازم مدفعي، شارك في الحرب التي خاضتها الدولة العثمانية، ثم اشترك في الثورة العربية، وهو من أعضاء جمعية العهد وعضو في الحكومة العربية، دخل دمشق مع فيصل وعهد إليه منصب قائد موقع دمشق، وعند سقوط سوريا عدد مع فيصل بن الحسين إلى العراق، واتصل بأعضاء الجمعيات القومية في العراق واتفق معهم على أعمال قومية ضد الجيش البريطاني، عين وزيراً للداخلية في وزارة نوري السعيد، وفي سنة 1941م عندما فشلت ثورة الجيش وحكومة رشيد عالي طلب إلى جميل المدفعي أن يولف وزارته ففعل، وفي عهده دخل الشيوعيون إلى العراق.

مصادر الترجمة:
1. مع الرعيل الأول-خيرية قاسمية- 158.
2. الحكومة العربية الأولى في دمشق- خيرية قاسمية- 79.
4. وجوه عراقية عبر التاريخ- تقويم السويدي- 90.
5. العراق في الوثائق البريطانية (1905- 1930م) - فؤاد قراشتي- 121.

17 - جميل صدقي الزهاوي:
جمال صدقي الزهاوي: شاعر عراقي، أصله من أسرة بابان الكردية، ونسبه الزهاوي إلى زهاو وهي أحد المدن الإيرانية، ولد سنة (1279هـ 1863م)، وحب إلى التحلي بالعلوم الكونية العصرية، ولضعف تخصصه في هذه العلوم ظهرت عليه مخالفات في أمور قطعية، وقد عاتبه على أيه أن جعله في مدرسة صومعية، ولم يرسله إلى إحدى جامعات الغرب ليكون منه الفيلسوف. وقد قال عنه معاصروه: "قال قصائد فيها حز من الأديان، وقال أقوال الحادية، فمن
المصادر العربية:
1. الموسوعة العربية-مينير البعلبكي.
2. المعاصرون-محمد كرد علي-148.
3. الأعلام-خير الدين الزركلي-27/1.
4. ملوك العرب-الريان-281.
5. معجم المؤلفين-3/3.
6. مصادر الدراسة الأدبية-أسعد داغر-11/2.

18- جميل مردم بك:
جمال بن عبدالقادر مردم بك، ولد في دمشق عام 1311 هـ-1893م، وبدأ دراسته فيها، وبعد أن أُطيحّ به على صعيد فرنسا للاختصاص في العلوم الزراعية، وقد انتسب في الوقت نفسه إلى العلوم السياسية في باريس، وأسس بالاشتراك مع مجموعة من العرب جمعية العربية الفتاة في باريس، وكان جميل دور بارز في المؤتمر العربي الأول فهو أحد الثمانية الذين وجهوا الدعوة للمؤتمر وشغّل فيه وظيفة أمين السر العام المساعد، وكانت مهامه تنسيق الجهود وتصنيف المطالب الوطنية للعرب، وفي أثناء الحرب العالمية الأولى كان جميل مردم في فرنسا، وقد صدر عليه الحكم بالإعدام غيابيًا، وبعد أن أُعلنت الثورة
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

العربية انضم إلى صفوفها وناصرها، وأصبح المستشار الخاص للأمير فيصل بن الحسين في دمشق، وبعد أن دخل الفرنسيون إلى دمشق انضم إلى جيش المقاومة وكان من أتباع سلطان الأطرش الدرزي، وحكم عليه مرة أخرى بالقتل غيابياً فأقام في القاهرة 12 عاماً، وعاد إلى دمشق وانتسب إلى الكتلة الوطنية فكان في عهد القوتلي وزيراً للخارجية. وفي سنة 1954م نشر جميل مردم تصريحاً أعلن فيه رسمياً اعتزاله الحياة السياسية، وتوفي بالقاهرة سنة 1380هـ - 1960م ونقل إلى دمشق.

مصادر الترجمة:
1. أوراق جميل مردم بك-سليم مردم بك.
2. الإعلام-خير الدين الزركلي-2/138/137.
3. المؤتمر العربي الأول في باريس - 14-16.
4. عوين عبدالمهدي-أوراق خاصة-إعداد خيرية فاضية.

19. حسني الزعيم:
حسني-ابن الشيخ رضا بن محمد بن يوسف الزعيم، ولد في سوريا سنة 1315هـ -1897م فقائد عسكري، حكم سوريا حكماً مطلقاً مدة (136) يوماً، تلقى تعليمه في المدرسة الحربية بالأسطنة، وقبل أن يتم دراسته جعل من ضباط الجيش العلماني ثم الجيش الفرنسي أيام الاحتلال الفرنسي، وترق في عهد استقلال سوريا إلى رتبة كولونيل، وتولى رئاسة أركان الحرب في عهد الرئيس شكري القوتلي، مناصراً ومديداً للقضايا القومية، وثار في دمشق متفقاً مع بعض الضباط فاعتقل رئيس الجمهورية ورئيس وزرائه وجميعهم من أعضاء الجمعيات القومية وذلك عام 1949م، وقبض حسني الزعيم على زمام الدولة، ودعا إلى
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

انتخاب نفسه، واعترفت الدولة به وحكومته، وظهر بظاهر الحاكم المطلق، فساء
منهجه بعض أنصاره من العسكريين فقتلوه عام 1368هـ-1949م.

مصادر الترجمة:
1. الإعلام-خير الدين الزركلي-29/12/29.
2. ذكريات حسين الزعيم.
3. أيام حسين الزعيم (137) يوماً مهدت سوريا-نذكر فصوله-دار الآفاق-الطبعة الأولى-1402.
4. حزب البعث-سامي الجند-51.
5. مذكرات عادل أرسلان.

20- الحسين بن علي:

الحسین بـن علي بن محمد بن عبدالله بن عون، من أحفاد أبي تمي بن
بركات الحسيني الهاشمي، ولد سنة 1270هـ-بالآستانة، وهو أول من قام في
الحجج بأستقلال العرب عن الترك والدخول مع الحلفاء في الحرب العالمية
الأولى، وآخر من حكم مكة من الأشراف الهاشميين. وقد احتواه أعضاء
الجمعيات القومية العربية. ويذكر نبه العظمة - أحد أعضاء الجمعيات القومية
العربية - في مذكراته أن الشريف حسين كان يقول لنا: "أنا حائم في
إصبعكم". ومات سنة 1350هـ ودفن في المسجد الأقصى.

مصادر الترجمة:
1. الرعيل العربي الأول: جمع خيرية فاضية-32.
2. الإعلام-خير الدين الزركلي-249/2/290.
3. ملوك العرب-أيمن الريجاني.
21. حسين بيهم:

حسين بن عمر بن حسين العبئاني بيهم البيروتي، ولد في بيروت عام 1296هـ (1833م) من الشعراء المعروفين في بيروت، وتولى رئاسة الجمعية العلمية السورية، التي أنشأت في سنة 1857، وبلغ أعضائها 15 عضواً. وقد اشترك فيها زعماء عرب من مختلف العقائد، وكان من أعضاء مجلس إدارته الدروزي الأمير محمد أرسلان الذي بقي عدة سنوات رئيساً لها، وحسين بيهم كما ناب عن أهل بيروت في مجلس النواب العثماني. ولحسن بيهم رواية وطنية مثلت في بيروت، وتوفي عام 1298هـ (1881م).

مصادر الترجمة:
1. بقية العرب-جرج انطونيوس-119.
2. تاريخ الآداب-جريي زيدان-139/4-279.

22. حقي العظم:

حقي بن عبدالقادر المؤيد العظم، ولد في دمشق سنة 1282هـ-1865م وتعلم فيها وأجاد مع العربية التركية والفرنسية، كان له نشاط مع الدولة العثمانية، وعين في وظائف في دمشق والأستانا وانتقل إلى القاهرة فكان مدرساً للغة التركية في مدرسة المعلمين التوفيقية سنة 1894م، وفي سنة 1909م سافر إلى مصر وحمل على سياسة جمعية الاتحاد والترقي، وندى بسياسة تبريك العناصر، عين سكرتيراً لحزب الالامكزية في مصر، وراسل أعضاء الجمعيات القومية لبسط فكرة ومبادئ جمعية الالامكزية في بلاد الشام، ولما احتل الفرنسيون سورية راسلوه وأتىهم ثم عينوه حاكم دولة دمشق، وأثناء زيارة
الجيش الفرنسي إلى القيطرة أطلق مجهول الرصاص على القائد الفرنسي وكان معه حقي العظم وأصيب برصاصة وعوين واستمر حاكماً خمس سنوات، وبعد ذلك وجدت أجزاء سورية سنة 1925م، أزيل منصب حقي العظم فنقل إلى رئاسة مجلس الشوري ورئاسة مجلس الوزراء، ثم عاد إلى القاهرة سنة 1938م وأقام بها إلى أن توفي سنة 1955م.

مصادر الترجمة:
1. الإعلام- خبر الدين الزركلي-226/2.
2. إيضاحات عن المسائل السياسية-جمال باشا.
3. نشأة الحركة العربية الحديثة-محمد عزة دروزة-297.

23. خليل غانم:
خليل غانم، نصراوي من لبنان ولد سنة 1846م انتخب نائباً عن سوريا في مجلس المبعوثين عام 1878م، تولى إثارة قضايا في المجلس مما جعل الحكومة العثمانية تصدر أمر القبض عليه، فالتوجه إلى السفارة الفرنسية، وبعد أن أبلغ السلطان عبد الحميد مجلس المبعوثين هرب خليل غانم إلى أوروبا حيث أصدر جردة (الهلال) في جنين، وعندما دُرب إلى باريس أسس صحيفة عربية هي (البيضاء)، وكان يكتب في عدة صحف أجنبية ويومن يهودي، وبعد أن تكونت مجموعة من تأثر بأفكار الثورة الفرنسية من مهاجرة الدولة العثمانية أصدار صحيفة باسم (تركيا الفتاة) عام 1895م، وكانت تصدر باللغة العربية والفرنسية، ونادي خليل غانم بضرورة تقسيم الواجبات والمساواة في الحقوق في الدولة العثمانية، وتوفي سنة 1903م قبل تأسيس الجمعيات القومية.

مصادر الترجمة:
1. الايامات المثلى في العالم العربي الحديث-أنيس المقدسي -100.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

6. الاقتصاد السياسي-خليل غانم.
7. موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية-حسن خلاق-198.

24. خير الدين الزركلي:

خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي، الدمشقي، ولد في بيروت عام (1311هـ-1893م) نشأ وتعلم في دمشق، ودرس في المدرسة الهاشمية، ودرس فيها، وأولع بكتب الأدب، وأصدر مجلة الأصمعي الأسبوعية، ثم انتقل إلى بيروت وتعلم في المدرسة العلمانية لدراسة الفرنسية، ثم مدرساً فيها لمادة التاريخ والأدب العربي. انتسب إلى كثير من الجمعيات القومية العربية، ومن أبرزها جمعية الفتاة وحزب الاستقلال، كما شارك في إصدار المجلات القومية كمجلة المفيد، وشارك في تأسيس الحكومة العربية الأولى في دمشق، حيث تولى منصب المفتش العام للمعارف، ثم رئيساً لديوان رئاسة الحكومة، ثم انطلق إلى العمل في المملكة العربية السعودية بتوصية من عضو الجمعيات القومية يوسف ياسين، وقد كتب له يوسف ياسين رسالة يدعو فيها للعمل في السعودية وقال يوسف في محاية الرسالة: "وأعتقد أنك في قبولك العمل معنا ستكون أعظم عضد لنا في إمامها وتسير إلى إمامه من برنامجنا في خدمة القضية العربية". فكانت أول أعمال الزركلي في السعودية: مستشاراً للوكالة المفوضية السعودية بالقاهرة، كما اندلأ مرات عديدة لأعمال وزارة الخارجية بجده، ولها أنشئت جامعة الدول العربية في القاهرة وقع ميثاقها مع يوسف ياسين، وحضر اجتماعات الجامعة العربية برتبة وزير مفوض. ثم عين سفيراً للإمكال في المغرب. وفي عام 1963 أصيب بمرض على أوثر اختار الإقامة ببيروت، ومات سنة (1396هـ-1976م) في مدينة القاهرة.
مصادر الترجمة:
2. ما رأيت وما سمعت- الزركلي.
3. أيام في عمان- الزركلي- مذكراته خلال إقامته في عمان للعمل مع عبد الله بن الحسين.
4. شبه الجزيرة العربية- الزركلي- 369/1.
5. مصادر الدراسة الأدبية- يوسف داغر- 5/1.
6. الشعر العربي المعاصر- أنور الجundi- 183.

25. رستم حيدر:
محمد رستم بن علي حيدر، ولد بيعملك عام 1306 هـ (1889 م) وتعلم بدمشق ثم بالدارسة الملكية في الآستانة وأتم دراسته في السوربون ومدرسة العلوم السياسية بباريس. شارك في تأسيس جمعية العربية الفتاة كما انتظم في جمعية العهد العربي في أواخر الحرب العالمية الأولى. خرَّج من دمشق متخفياً مع بعض القوميين فلحقوا بجيش فصل بن الحسين ودخل دمشق وشارك في تأسيس الحكومة العربية الأولى. ثم سافر إلى أوروبا فحضر مؤتمر فرساي مندوبًا عن الحجاز وأقام مدة في باريس ولما ولي فيصل بن الحسين عرش العراق سنة 1921 م حصل رستم حيدر سكرتيرًا خاصًاً له ورئيسًا للديوان الملكي ثم كان وزيراً مفصولًا بإيران فوزيًاً للمالية، ومنه هو في مكتبه دخل عليه ضابط وأطلق عليه الرصاص فمات عام 1358 هـ.

مصادر الترجمة:
1. الإعلام- خير الدين الزركلي- 124/6.
2. خبراتي في الحكم- حسن الحكيم- 40.
3. أعلام السياسة في العراق الحديث- مير بصري- 193.
4. وجهة عراقية عبر التاريخ- توفيق السويدي- 135.
5. نشأة الحركة الحديثة- دروزة- 485.
26- رشدي بن صالح ملحس:

رشدي بن صالح ملحس، ولد في نابلس سنة 1317هـ/1899م وتعلم بما في استنبول، من أعضاء الجمعيات القومية فقد كان أمين سر جمعية العهد، كما أسس جمعية العربية في تركيا، وكتب في الصحافة بدمشق، ولما عقد المؤتمر العربي الأول في باريس سنة 1913م كان رشدي من الأعضاء المؤيدين لقرارات المؤتمر، ثم عمل في السعودية، وقد دعا يوسف باسين ليحل محله في تحرير جريدة أم القرى بمكة، ثم جعله جعله نائباً عنه في رئاسة الشعبة السياسية بالديوان الملكي ملازم للملك 30 عام. فكان معه في حله وترحاله، توفي في جدة سنة 1378هـ/1959م.

مصادر المراجع:
1. مجلة المنهل 117/6-167.
2. المؤتمر العربي الأول المعقود في باريس 167.
3. قصر الحكم في الرياض أصالة الماضي، وروعة الخامير-عبدالرحمن الرويشد 25.
4. الإعلام-خبر الدين الزركلي-21/3.

27- رفيق التميمي:

رفيق بن راغب التميمي، وُلد في نابلس عام 1305هـ/1888م) بفلسطين، وفيها تلقى دراسته الأولى الابتدائية وقسمًا من الإعدادية، والتحق عام 1916م بجامعة الأستانة، ثم دخل الكلية الملكية، ثم أرسلته وزارة المعارف في الأستانة في بعثة إلى فرنسا فدخل جامعة السوربون، وانتسب إلى كلية الأدب وحصل على الشهادة ثم عين معلماً للتاريخ في مكتب سلانيك، ثم مديراً لнатدي الاتحاد والتركي بدمشق، ثم أخذ ينتقل من إدارة إلى أخرى حتى تأسيس المدرسة التجارية وأصبح مديراً لها، ثم عين أستاذًا للتاريخ بكلية
الصحالية ببيت القدس، ورفيق عضو بارز من أعضاء الجمعيات القومية، ومن أبرز نشاطاته المشاركة في تأسيس جمعية العربية الفتاة، وشارك في ثورة الحسين بن علي، وكان من أعضاء حكومة الملك فيصل بن الحسين، وتقلد منصب كرسي النيابة في المؤتمر السوري عن مدينة الخليل، وعضوا في مجلس الشورى السوري، ومندوباً سياسياً عن الملك فيصل في جميع مناطق الساحل السوري التي كانت تحت الاحتلال الفرنسي، وقد حكم الفرنسيون عليه بالإعدام بعد موافقة ميسلون، ثم عاد إلى فلسطين وتولى إدارة الكليّة الإسلامية بالقدس، ورجع إلى دمشق بعد نكبة فلسطين، فتولى أعمال مكتب الهيئة العربية العليا لفلسطين إلى أن توفي عام 1376 هـ - 1956 م.

مصادر الترجمة:
1. الإعلام - خبر الدين الزركلي - 3/3/201
2. مصادر الدراسة الأدبية - يوسف أسعد داغر - 4/132.
4. أعلام الفكر والأدب لفلسطين- يعقوب العوادات - 79-81.
5. الرسائل العربية الأول- خيرية قاسمية - 59.

28- رفيق سلوم:
رفيق بن موسى رزق سلوم، ولد بمصر عام 1308 هـ (1891) وتعلم بالمدرسة الروسية فيها، ثم بالمدرسة الإكليكترية بديب البلمند، وهو من نصارى العرب، ودخل الكلية الأمريكية ببيروت فأقام سنة ورحل إلى الأستانة فتعلم الحقوق. اتصل رفيق بأعضاء الجمعيات القومية وشارك في إنشاء المنتدي الأديبي، وانتسب إلى جمعية العربية الفتاة. ونشر له عدة مقالات وأشعار في المجلات القومية العربية، كمجلة (الخضارة) و (المقطف) و (المقتبس) وألف كتاب
الجمعيات القومية العربية ووقفها من الإسلام والمسلمين

(حياة البلاد في علم الاقتصاد) و (حقوق الدول) وكان يحسن اللغات الروسية والإنكليزية والفرنسية والتركية، اعتقل خلال الحرب العالمية الأولى وأعدم شنقًا مع مجموعة من أعضاء الجمعيات القومية العربية، عام 1334 هـ (1916).

مصادر الترجمة:
1. الإعلام-خير الدين الزركلي-3-6/31.
2. عصر البعثات-محمد أحمد طلمس-51.
3. الإيضاحات-جمال باشا-10.
5. المؤتمر العربي الأول-محمود الدين الخطب-126.

29- سعيد الجزائري:
محمد سعيد بن علي بن عبد القادر بن محاسن الدين الحسني الجزائري، حفيد الأمير عبد القادر الجزائري، ولد في دمشق عام 1298 هـ (1881م) وتعلم فيها، كما تعلم في الأسنانة. ناصر الانتفاضة القومي وأيد انفصال العرب عن الترك، وكانت له مقالات تدعو إلى هذا الأمر، كما أعلن استقلال سورية قبل دخول الجيش البريطاني، وألف حكومة وطنية مؤقتة، ونفاه الإنكليز إلى مصر ثم عاد إلى دمشق بعد الاحتلال الفرنسي فأقام إلى سنة 1926م ورافق جمعية حجة الأمير عبد القادر يوم نقله من دمشق إلى الجزائر، فاستقر بالجزائر إلى أن مات عام 1390 هـ (1970م).

مصادر الترجمة:
1. مذكرات محمد سعيد الجزائري-أناور الرفاعي.
2. الإعلام-خير الدين الزركلي-6/5/145.
3. معجم أعلام الجزائر-عُبد نورهض.
30 - سعيد حليم باشا:

سياسي عثماني. خلف محمد علي باشا مؤسس الأسرة العلوية بمصر. ولد في القاهرة عام 279 هـ، وأكمل فيها دراسته الأولية وأتم بعدة لغات ثم سافر إلى سويسرا لدراسة العلوم السياسية فيها. وذهب إلى استنبول (1888) فعين عضواً في مجلس شؤون الدولة. اضطر إلى الرجوع إلى مصر ثم السفر إلى أوروبا لعلقته بحزب تركيا الفتاة، ورجع إلى استنبول بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني، فأصبح رئيس شوري الدولة (1912) ثم تولى منصب الصدارة العظمى (رئاسة الوزراء) من عام 1913 إلى عام 1917. اتفرج الدولة إلى الحرب العالمية الأولى فنفي إلى جزيرة (مالطة) سنة (1919) ثم أخذ براءته، فسافر إلى رومانيا (عام 1920) فقتل عام 1924 هـ برصاصة ألمانية. له كتبات في النظريات السياسية الإسلامية كتبها باللغة الفرنسية، يعد سعيد حليم باشا من أوائل من نادى بضرورة التحديد والاستفادة من الحضارة العربية.

مصادر الترجمة:
1. الموسوعة العربية-مثير البعلبكي.

31 - سليم الجزائري بكباشي:

سليم بن محمد بن سعيد الحسيني الجزائري أصله من الجزائر ولد في دمشق عام 1296 هـ (1879 م) وهو ابن شقيق طاهر الجزائري، الذي له في تذكيره السيد الطويل. كما يقول أعضاء الجمعيات القومية. وتعلم في المدرسة الحربية ومدرسة الهندسة البرية في الآستانة، بلغ رتبة قائمة مقام أركان حرب في الجيش العثماني، وأولع بالرياضيات يحسن من اللغات العربية والتركية والفارسية.
وعمل أستاذاً في المدرسةحرية بالأستانة. وخاص حروباً كثيرة وأسر في اليمن وكانت له مواقف في حروب البلقان. وسليم الجزائر يعتبر من مؤسسي جمعيتي العهد والقحطانية، وكان يلقى الخطب في جمعية المنتدى الأدبي مبيناً الأدلة التاريخية في قوام الحركة العربية. وتم القبض عليه عام 1934-1916 ونفذ فيه مع مجموعة من أعضاء الجمعيات القومية العربية حكم الإعدام شنقاً. ولشدة نقمة الشيخ طاهر على أعضاء جمعية الاتحاد والترقي، لم يقبل الشيخ طاهر العزاء في ابن أخيه، إلا بعد أن دخل الجيش العربي والفرنسي بلاد الشام وإعلان الحكم العربي فيها سنة 1918 فاسترحت نفسه وبدا عليه السرور.

مصادر الترجمة:

1. مؤتمر الشهداء- القضية من الكتب الأحرار- مهد له: يوسف إبراهيم زيادة- 140.
2. عصر الانتفاضات- محمد أسعد أطلس- 52- دار الأندلس- بيروت.
3. الإعلام- خير الدين الزركلي- 120.
5. الشيخ طاهر الجزائري رائد النهضة العلمية في بلاد الشام- عدنان الخطيب- 86.

32. سليمان البستاني:

سليمان بن خطار بن سليم البستاني، من نصارى العرب ولد سنة 1273هـ-1856م في لبنان، تعلم في بيروت، انتقل إلى البصرة وبغداد فأقام ثماني سنوات، ورحل إلى مصر والأسنانة، ثم عاد إلى بيروت، انتخب البستاني نائباً عن بيروت في مجلس النواب العثماني، وأوقدته الدولة إلى أوروبا مرات ببعض المهام، ونصب عضوًا في مجلس الأعيان كما أسندت إليه وزارة التجارة والزراعة، ناصر القضايا العربية ولهما قامت الحرب العالمية الأولى قدم استقالته فأقام في سويسرا عدة أشهر ثم سكن مصر، يعتبر كتابه (عمرة وذكرى) من
المصادر الترجمة:
3. عبرة وذكرى-سلمان البستاني.
4. دائرة المعارف-بطرس البستاني

33 - سيف الدين الخطيب:
سيف الدين بن أبي النصر الخطيب، ولد في دمشق سنة 1306 هـ (1888 م) وتعلم في الأستانة، وتخرج بالحقوق شار في تأسيس الحركة العربية الأولى ونشر الفكر القومي، فكان منهم مؤسس جمعية المنتدى العربي، وهو من ضمن من اعتقلهم جمال باشا، وحكم عليهم بالقتل شنقاً ونفذ سنة 1341 هـ (1916 م).

مصادر الترجمة:
2. إيضاحات عن المسائل السياسية- جمال باشا-1962.
3. شهداء الحرب-عصف من الكتب الأحمر-مهد ليوسف إبراهيم زيزك-130.

34 - شاهين مكاريوس:
شاهين بن مكاريوس، من نصارى العرب، ولد في قرية إبل الشقي من قرى لبنان، وذلك سنة 1269 -1853 م، نشأ يتيمًا فقيرًا، فقد قتل والده
في الحرب التي وقعت بين النصارى والدروز سنة 1860، حملته أمه إلى بيروت ورباه المنصر فانديك، تعلم شاهين فنون الطباعة، وانتسب إلى الجمعيات القومية العربية كمجتمعة بيروت السرية، وانتسب إلى المخالفة الماسونية وخدمها خدمة جليلة حيث أصدر الكتاب لعديدة من آدابها ومشاهيرها، وفي سنة 1869م (1286 هـ) أسس في بيروت متحفاً ماسونياً، تحت رعاية الشرق الأعظم الفرنسي، عرف (بشرق لبنان)، وكانت لغته الرسمية هي العربية، وتولى شاهين كاتب أسراره، كما أصدر مع قريبته في العقيدة والفكر يعقوب صروف مجلة المططف وتولى إدارتها. مات في حلب، ودفن بالقاهرة.

مصادر الترجمة:
1. الماسونية والماسونيون في الوطن العربي- حسين حماده- 178.
2. مقدمة كتاب الآداب الماسونية- شاهين مكاريوس.
3. الإعلام- خبر الدين الزركلي- 153/6/1.
4. نشرة القومية العربية- زين نور الدين- 55.

35 - شميل شميل:
شملي بن إبراهيم شميل، من نصارى العرب، ولد في قرية كفر شيمحا على مقربة من بيروت إلى الجنوب، عام 1859 (1276 هـ) ونشأ في بيت قيل عنه أنه بيت أدب وصحافة، تعلم شميل في الجامعة الأمريكية بيروت، وتخرج من معهد الطب فيها وزمالة يعقوب صروف أحد أعضاء الجمعيات العربية، ثم ذهب شميل إلى فرنسا للتخصص، ثم عاد إلى مصر وسكن طنطا لمدة عشر سنوات مارسا فيها الطب، ثم انتقل إلى القاهرة عام 1885م، وفيها اصدر مجلة الشفاء. ويعتبر شميل من أواض الناشري فكرة الشفاء والأرقاء في العالم العربي، وألف فيها ودافع عنها. كما يعتبر من دعاة العلمانية، فقد قال (إن أورما
أصبحت قوية عندما حطم الإصلاح الديني والثورة الفرنسية سيطرة رجال الدين على المجتمع. كما دعا إلى الفكر الاشتراكي، فقال: "إن الاشتراكية نتيجة لازمة لمقدمات ثابتة لا بد من الوصول إليها، لو بعد تذبذب طويل الاشتراكية كالاجتماع نفسه ذات نوايس طبيعية تدعو إليها" وشيئاً من مؤسس جمعية اللاماركزية، وتوفي فجأة في القاهرة عام 1365 هـ (1917 م).

مصادر الترجمة:
1. العرب والعثمانيون 1916-1917-عبد الكريم رافع-518.
2. آراء الدكتور الشميلي-44.
3. رواد النهضة الحديثة-مارون عود-198.
4. الإعلام-خير الدين الزركلي-105/3.
5. المعاصرون-محمد كرد علي-رقم الترجمة (23)-241.
6. مصادر الدراسة الأدبية-يוסף أحمد داغر-2/484-487.
7. مجلة لسان العرب-حقو العظم-عنوان: شفيق شهيل (مولده، مؤلفاته، مبادئه) 1331-1332-801.

36- شفيق المؤيد العظم:

شفيق (أدرك) بن أحمد المؤيد العظم: ولد في دمشق عام 1263 هـ (1857) وتعلم ببيروت، سافر إلى الأستانة، وتقلب بمناصب الدولة وقد انتخب نائباً عن دمشق، وانضم إلى حزب الحرية والاتحاد العثماني، وشارك في عدد من الجمعيات القومية ومن أواهها جمعية الإخوة العربي العثماني، وضعت عليه الحكومة الاتحادية خلال الحرب العالمية الأولى بعض التهم وحققت معه فيها، فكان مما قال في التحقيق عن علاقة بالسفارة الفرنسية وهي طرف في الحرب العالمية ضد الدولة العثمانية من أجل استقلال العرب عن الدولة العثمانية، فقال شفيق: علاقاتي بالسفارات، خارجية السياسة فكِلها صحيحة، كما هي مكتوبة بين أيديكم وأزيدكم علماً بما لا تعلمونه. ثم أخذ يقص عليهم
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والسمرة

مداخلات السياسة السرية التي لم تكتب بالوثائق. وبعد هذا الاعتراف حكم عليه بالمؤذن شنق عام 1344 هـ.

مصادر الترجمة:
1. مؤتمر الشهداء - عصبة من الكتاب الأحرار - مهد لـ: يوسف إبراهيم - 149.
2. الإعلام - خبر الدين الزركلي - 30/1/1981.
3. الإيضاحات - جمال باشا - 112.

37 - شكري الأيوبي:

شكري باشا الأيوبي ولد في دمشق عام 1267 هـ (1851) ودرس العلوم العسكرية بالكلية الحربية في استنبول وخرج منها، وتولى عدة وظائف عسكرية في العهد العثماني، وكان على اتصال بأعضاء الجمعيات القومية كما يقول سليم علي سلام، وأثناء الحرب العالمية الأولى أقام بالخروج على سياسة الدولة العثمانية فسجن بدمشق، وبعد انتهاء الحرب وتأسست الحكومة العربية الأولى في دمشق عينه الملك فیصل حاكماً عاماً على بيروت وجبن لبنان، ولم يرض عنه الفرنسيون فعاد إلى دمشق، وعين حاكماً عسكرياً في حلب إلى أن توفي عام 1340 هـ (1922).

مصادر الترجمة:
1. مذكرات سليم علي سلام - 204.
2. الإعلام - خبر الدين الزركلي - 171/191.
3. الحكومة العربية الأولى في دمشق - خبرية قاسمية.

38 - شكري العسلي:

شكري (بـ) بن علي بن محمد بن عبدالكريم بن طالب العسلي، ولد في دمشق سنة 1285 هــ (1868)، وتعلم في مدار دمشق والأستانة، وعين قائم
المؤيد العظم

صداق بن صالح المؤيد العظم، قائد عسكري في الجيش العثماني مولده ومنشأه في دمشق، أرسله السلطان عبد الحميد مندوباً عنه إلى ملك الحبشة سنة (1313هـ) وانتدب إلى مهام أخرى لحصار ملك الحبشة، وله ولد وكتب رحلة الحبشة بالتركية ترجمة إلى العربية رفيق العظم. انتسب صادق العظم إلى جمعية الإحياء العربي العثماني، والتي يعتبرها القوميون عصر الانتفاضة والحرية الفكرية والعقائدية. كانت وفاته صادق العظم عام 1329هـ (1911).

مصادر الترجمة:

1. الإعلام-خير الدين الزركالي-185/3.
2. معجم المطبوعات.
3. نشأة الحركة العربية الحديثة - محمد عزة دكروزة- 185/3.
الجمعيات القومية العربية وموقعها من الإسلام والمسلمين

40 - عادل أرسلان:

هو عادل بن حمود بن حسين بن يونس أرسلان: ولد عام 1304 (1887) في بيروت وتعلم فيها كما تعلم في الأستانا، وهو أخو لشكيب أرسلان، كان من أعضاء مجلس النواب العثماني. دخل في جمعيّة العهد وال trìبية الفتن، ومن بعدها حزب الاستقلال، كما ساهم في كل الحركات التحريرية والثورية في المشترك العربي وجبل الزروز، وعين مساعدا للرئيس الحكومة السورى بمدمشق في عهد الحكومة العربية الأولى، ونحز عنها عن الاحتلال الفرنسي لها وحكم عليه الفرنسيون غيابيا بالإعدام، وانتقل إلى سويسرا ثم عاد إلى البلاد العربية حيث أصبح مستشارا لحكومة شرقي الأردن، ودخل في ثورة سلطان الأطرش الدرزي وناصره سنة 1924-1925، حيث كان عادل أرسلان الزعيم الثاني بعد الأطرش، وبعد الثورة ظل بعيدا عن وطنه وعاد سنة 1937 وتولى بعض الوزارات بعد تحرر بلاد الشام من الاستعمار الفرنسي وأصبح نائبًا لرئيس حكومتها في عهد حسن الزعيم. وبعدها اعتزل الأعمال السياسية واستقر في بيروت ومات فيها سنة 1373 هـ. ويُعتبر من شعراء الجمعيات القومية وينعت بأمير السيف والقلم.

مصادر الترجمة:
1. الإعلام - خير الدين الزركلي - 34/3.
2. مذكرات الأمير عادل أرسلان - دار النشر للنشر - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى.
4. سيرة ذاتية - شكيب أرسلان.
5. ما زالت وما سمعت - خير الدين الزركلي - 48.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

41 - عبدالحميد الزهراوي:

عبدالحميد بن محمد بن شاكر بن إبراهيم الزهراوي، ولد بحمص عام ۱۲۷۲ هـ (1854م) وفيها تلقي علومه الابتدائية، ثم تنقل في البلاد طلباً للعلم، ويعتبر أول أعماله السياسية إصدار جريدة سماها (المخبر) وكان يوزعها سراً. وساعده وهو في الآستانة بتحرير جريدة (معلومات) التركية، فنفي إلى دمشق، فأقام يكتب إلى جريدة (المقطم) علم به وادي دمشق (ناظم باشا) فأرسل مخفوراً إلى الآستانة. وتوسط في أمره أبو الهدى الصيادي، فأعيد إلى حمص، ثم فر إلى مصر عام (1902)، وأخذ يحرر جريدة (المؤيد)، ولم يرجع إلى دمشق إلا بعد إعلان الدستور العثماني (1377هـ) (1908) وانتخب مبعوثاً عين حماة، فذهب إلى الآستانة، واشترك في تأسيس حزب (الحرية والاعتدال) وحزب (الاتحاد) المناوئ لجمعية الاتحاد. ثم عاد إلى حمص وأنشأ فيها جريدة (الحضارة) التي ساعدته في تحريرها رفيق سليم، ولما ظهرت الحركة القومية العربية أصبح الزهراوي من أبرز المسؤولين والمطمحين لها، وتولى رئاسة المؤتمر العربي الأول المنعقد في باريس ولما نشبت الحرب العالمية الأولى تم القبض على مجموعة من أعضاء الجمعيات القومية وإعدامهم وكان الزهراوي منهم عام (1334هـ) 1916.

مصادر الترجمة:
1. تاريخ الآداب العربية في الربع الأول من القرن العشرين-شحو-51.
2. شهادة الحرب العالمية الأولى-أدمج الجند-98.
3. الإعلام-خبر الدين الزركلي-288/3.
5. مصادر الدراسة الأدبية-يوفس أسعد داغر-20413-20414.
42 - عبد الرحمن الشهباندر:

عبد الرحمن بن صالح الشهباندر، ولد بدمشق سنة 299 هـ - 1882 م، مات والده وعمره ست سنوات فرّته أمه، تلقى تعليمه في دمشق ولتحق بالمكتسب الرشدي العسكري، ودخل الجامعة الأمريكية بيروت 1896 ونازل السيبالوريا، ثم أحرز شهادة الطب عام 1906، واشتفغل بالتدريس حيناً، ثم انتقل إلى دمشق عام 1907، فاتجه إلى النشاط السياسي، فانتسب إلى جمعية تركيا الفتاة، ثم إلى جمعية الاتحاد والترقي، ونفسك منها بعد ثلاث سنوات (1909 م)، وهو بداية تأسيس الجمعيات القومية العربية، وسافر إلى أوروبا، وعاد منها إلى سوريا بعد إعلان الحرب العالمية الأولى، ثم هرب إلى مصر وأقام فيها إلى ما بعد الحرب وعاد إلى سوريا، وكان من أعضاء الحكومة العربية، ونال منصب وزير الخارجية، وبعد احتلال الفرنسيين فر إلى القاهرة وعاد بعد عمام إلى دمشق، وأسس في دمشق حزب الشعب، وصارت الثورة السورية سافر الشهباندر إلى بغداد، وانتسب إلى كثير من الجمعيات القومية ومن أهمها جمعية "العربية الفتاة" وحدث خلاف بين أعضاء الجمعيات القومية، وكان من أثره أن استقر الشهباندر في دمشق وعمل في مجال الطب، ودخل عليه ثلاثة أفراد وقتلوا في عيدته عام 1359 هـ - 1940 م، وقد ناصر الفكر القومي في مقالات وصحف الجمعيات القومية قرابة ثلث قرن سنة الزمان.

مصادر الترجمة:
3. بوميات هادثة - سلامة الحفاري.
4. مذكرات عبد الرحمن الشهباندر - حسن الحكيم.
5. الرعيل العربي الأول - خيرية قاسم
عبدالغني بن محمد العربي: 

عبدالغني بن محمد العربي، صحافي من أهل بيروت ولد سنة 1908-1909م، اشترك مع فؤاد حنش في إصدار جريدة (المفيد) الجريدة القومية اليومية، وتعتبر من أوائل الجرائد في نشر الفكر القومي في البلاد الشامية، سافر العربي إلى باريس لتعلم الصحافة، ومع دراسته تلقى أفكار الثورة الفرنسية والتي طرحت أثناء انعقاد المؤتمر العربي الأول والذي تم في باريس تحت موضوع (حقوق العرب في المملكة العثمانية)، وتولى المشاركة في تأسيس الجمعيات القومية كجمعية المندى والفتيات واللامركزية، وأثناء الحرب العالمية الأولى طلبت الحكومة مجموعة من أعضاء الجمعيات القومية وكان من ضمنهم العربي الذي فر مع مجموعة إلى جهة الجروف ومنه إلى المدينة، ولكن اكتشف أمرهم وقبض عليهم، وحكم على العربي القتل الذي نفذ سنة 1916هـ-1917م بعد أن أخبر عن جميع أعضاء الجمعيات القومية كما يقول بشار الحنوري: "إن عبدالغني مالك ثمانية وتسعين صحيفة من الورق الأبيض الكبير ذكر فيها تاريخ الحركة العربية وكيفية ظهورها وانتشارها".

مصادر الترجمة:
1. مؤتمر الشهداء-عصبة من الكتاب-مهد له: يوسف إبراهيم يزبك-137.
2. مؤتمر العربي الأول-جمع عبد الدين الخطيب-42-05.
3. الثورة العربية الكبرى-أيمن سعيد-86/1.
5. إيضاحات عن المسائل السياسية-جمال باشا-116.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

٤٤ - عبدال قادر العظم:

عبدال قادر بن أسعد (بشا) ابن عبد الله بن فارس بن إبراهيم العظم، ولد في
دمشق سنة ١٢٩٨ هـ-١٨٨١ م، تخرج من المدرسة الملكية للأستاذة، عين قائم
مقام في دوما، انتسب إلى الجمعيات القومية العربية ومنها جمعية الفتاة، نفي
خلال الحرب العالمية الأولى إلى بروسا، وبعد تأسيس الحكومة العربية الأول عاد
وتنول إدارة معهد الحقوق، ومديراً للاقتصاد فيه، وولي وزارة المالية، فرئاسة
الجامعة السورية، أسس حزب الاستقلال مع مجموعة من أعضاء الجمعيات
القومية، توفي سنة ١٣٨٠ هـ.

مصادر الترجمة:
١. الإعلام-خير الدين الزركلي-١٣٨١/٤/٢٨.
٢. خبراء في الحكم-حسن الحكيم-١٣٨٠/٤/٦.
٣. الأسرة العظمية-عبدال قادر العظم-١٣٨٠/١.

٤٥ - عبدالكريم الخليل:

عبدالكريم بن قاسم الخليل، ولد في بلدة الشياح، إحدى ضواحي بروت
الجوية عام ١٣٠١ هـ (١٨٨٤) وهو من عائلة هاجر جدها الأول من الهند
وزرخت إلى جبل عامل في عهد إبراهيم باشا، وهو من شيعة لبنان، تلقى تعليمه
في مدارس بروت وتعلم الحقوق وخرج في استنبول، واحترف المحاماة، وأسس
المندوب الأدبي في الآستانة وانتخب رئيساً له فاشتهر أمه في الأوساط القومية،
وتولت صلاة بورصاء الدولة وعظماتها، وحمل فكرة انفصال العرب عن الدولة
العثمانية. وأورث جمال باشا قائد الجيش الرابع العلاقة به خلال الحرب العالمية
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

الأولى، ثم ألقى القبض عليه وصدر فيه حكم القتل شنقاً عام 1334 هـ (1915).

مصادر الترجمة:
1. شهداء الحرب العالمية الأولى- أدمحمد آل الجندي- 75.
2. مصادر الدراسة الأدبية- يوسف أحمد- 268-270.
3. الإيضاحات- أحمد جمال باشا- 118.
4. الإعلام- خير الدين الزركلي- 4/4.0.
5. أمير الشيعة- 206.

46- عبدالوهاب الإنجليزي:
عبدالوهاب بن أحمد الإنجليزي المليحي، من أسرة عربية في دمشق تعرف بـ "الإنجليزي" وتنسب إلى المليحة من قرى الغوطة، ولد في دمشق سنة 1878م، أعمل فيها كما تعلم في الأستانة بالمدرسة الملكية، ونصب قائم مقام في حلب واستقال، فاشتغل بالمجالسة في دمشق مدة، ثم نصب مفتتحاً للإدارة الملكية في ولاية بروت، ونقل منها إلى ولاية بروسه، انتظم عبدالوهاب في الجمعيات القومية العربية، كجمعية المندوب الأدبي، وجمعية العربية الفتاة. وبعد الحرب البلقانية الثانية (1913م) عين مفتتحاً للملكية في ولاية بروت، ومن خلال منصبه تولى الدعاية للقومية العربية، إضافة إلى أنه كانت له مقالات وخواصات قومية في السياسة والاجتماع والتاريخ، فقبض عليه وحكم عليه بالشنق مع مجموعة من أعضاء الجمعيات القومية وشنق عام 1916م (1334 هـ) مع الجماعة الثانية.

مصادر الترجمة:
1. الإعلام- خير الدين الزركلي- 4/4.0.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

2. الإيضاحات-أحمد جمال باشا.
5. شهداء الحرب العالمية الأولى-أدهم آل الجندي-203.

47. عزة الجندي:

الدكتور عزة بن محمد بن سليمان الجندي العباس، من بيت كبير له وجاهته ونفوذه في مدينة حمص، ولد عام 1991هـ وكان في الصف الرابع في المدرسة بالآستانة، ودرس الطب في المعهد الطبي العثماني بدمشق، وعلى وشك إتمام دراسته حينما وشي به أحد الجواسيس فهرب إلى أوروبا، ثم عاد إلى الآستانة بعد إعلان الدستور وأكمل حصوله ونال الشهادة، ثم انغمس في ميدان العمل السياسي والجمعيات القومية العربية، وأخذ يكتب ويكتب دفاعًا عن حقوق العرب، وأرسل من قبل جمعية العهد إلى اليمن لمقابلة الإمام يحيي بن خمّم، ثم اشترك في الحرب الطرابلسية مع أنور وعزيز علي المصري، ومكث في مصر واشترك في حزب الباريكي وعاد إلى سوريا قبل الحرب العالمية الأولى، وفي أوائل الحرب العالمية أمر جمال باشا بالقبض عليه ونفاه إلى الأناضول، ولهما أراد أن يهرب في الطريق فتله الجنود المحافظون عليه. نحو عام 1934هـ.

مصادر الترجمة:
1. الإعلام-الركابي-400/4.
2. العرب والترك في العهد الدستوري-توافق برو-265.

48. عزيز علي المصري:

عزيز علي المصري بكباشي: قائد عسكري أصل أسرته من البصرة وتعرف بآل عرفات، ولد عزيز في مصر عام 1961هـ (1879)، تعلم
بالقاهرة ثم بالمدرسة الحربية في استنبول ففي مدرسة أركان الحرب، وتخرج منها 1904، دخل في جمعية تركيا الفتاة، توسطت أبعد صلح بين جيوش الأتراك والإمام يحيى في اليمن، أسس جمعيتي العهد والفتحانية، دعا إلى استقلال البلاد العربية عن الجيش التركي، واعتقلته الحكومة التركية عام 1914 وحكمت بإعدامه وتدخلت السفارات الأجنبية وألغي الحكم وسافر إلى القاهرة، عمل مع الشريف حسين نحو ثلاثة أشهر ثم عاد إلى القاهرة وكلف بإدارة مدرسة البوليس ثم عين مفتشاً على الجيش المصري عام 1937 (هـ) وعين سفيراً في مصر بمосكو 1953-1954 (هـ) ومات بالقاهرة عام 1385 هـ. ويعتبر من طلائع رجال الحركة العربية.

مصادر الترجمة:
1. عزير علي المصري وصحبه بناء الوحدة العربية والإسلامية (1900-1916-1916) صبري أبو المجد
2. بطل لا نساب عزير علي المصري- محمد صبحي.
4. عزير المصري وحركة الوطنية المصرية- محمد عبد الرحمن برغ.
5. الإعلام- الزركلي- 1/231.

49 - علي رضا باشا الركابي:
علي رضا ( باشا) ابن محمود بن أحمد بن سليمان الركابي، ولد في دمشق عام 1882 (1916هـ ) وتعلم فيها، انتظم في السلك العسكري بعد تخرجه من المدرسة الحربية في الأستانة، وتولى وظائف عسكرية في القدس فالمدينة فبغداد والبصرة، يعتبره القوميون من حركة الفكر العربية قياد الحزب العالمي الأول، فدخل في جمعية العهد وجمعية العربية الفتاة، واضطر في خلال الحرب إلى مساعدة الترك خدمتهم فيما لا يضر بلاده، تولى رئاسة الوزراء في
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

الحكومة العربية الأولى في دمشق، وبعد دخول الفرنسيين إلى سوريا لزم بيه، حيث أنشئت حكومة شرق الأردن في عمان فقصدها سنة 1926م، وتولى رئاسة الوزارة فيها مرتين، وكان له ولاء للحكومة البريطانية، وتابع السياسة عبّد الله بن حسين ومطاوع له في قراراته في مسألة اليهود والقضية الفلسطينية، وبعد إلغاء توليه وزارة حكومة شرق الأردن عاد إلى دمشق وانقطع عن أكثر الناس إلى أن توفي سنة 1361هـ (1942 م).

مصادر الترجمة:
1. الرؤيل العربي الأول - خيرية قاسمية - 182.
2. الإذاعة - خير الدين الوكيلي - 288/4-289.
3. مذكراتي - عبّد الله، الحسين - 44-49.

50 - علي عبد الرازيق:
علي بن حسن بن أحمد عبد الرازيق، ولد بأبي جرج بمحافظة المنبج، سنة 1305هـ (1888) وتعلم بالآزهر، ثم أبعث إلى أكسفورد. وتعلم فيها العلوم السياسية وهي الفترة بين 1912-14 وهي فترة تأسيس الجمعيات. ثم عين قاضياً في المحاكم الشرعية. وأصدر كتاب (الإسلام وأصول الحكم) سنة 1925 بعده قرره من مبادئ عالمية في كتابه المذكور أصدر العلامة الغيورون في الآزهر بسحبة شهادة الأزهر منه وعزل عن القضاء وعمل في المحاكلة وانتخب عضواً في مجلس النواب، فمجلس الشيوخ، وعين وزيراً للأوقاف. وقد انضم علي عبد الرازيق إلى حزب الأحرار الدستوريين، وتولى تدريس طلبة الدكتوراه بجامعة القاهرة، في مصادر الفقه الإسلامي، لمدة عشرين عاماً. توفي سنة 1386هـ (1966).
المصادر الترجمة:
1. الإسلام والخلافة- ضياء الريس - 36. 
2. الإعلام- الزركلي - 276. 
3. نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم- محمد الحضر حسين - المكتبة السلفية- القاهرة. 
4. نظام الحكم في الإسلام- محمد يوسف موسى- دار المعارفة. 
5. الإسلام وأصول الحكم- نقد وتعليم- ممدوح حقي.

51- عوني عبد الهادي:
عوني بن عبد الهادي من آل عبد الهادي ولد عام 1305 هـ (1888 م) 

المصادر الترجمة:
1. أوراق عوني عبد الهادي- خيرية قاسمية. 
2. الراعيل العربي الأول- خيرية قاسمية- 162. 
فؤاد بن أمين بن علي حمزة، أبو سامر، ولد 1317 هـ (1899م) في عُمان، وهو من أوائل المدارس التي أنشئها المبشرون وقد تعلم في عمان، وهي من أوائل المدارس التي أنشئها المبشرون وقد تعلم في عمان، وهي من أوائل المدارس التي أنشئها المبشرون. وقد تعلم فؤاد حمزة في بعض المدارس الحكومية بدمشق والقدس وكان يحسن الإنجليزية. وهو من أسرة درزية مشهورة بالسعودية الثالثة قرابة ربع قرن، حيث اجتاحت بالخدمة منذ سنة 1926م ويقول نبيه العظمى عضو جمعية العهد، وقد أرسلت فؤاد حمزة ليستخدم في الخارجية أو مجلس الشورى كمترجم لوضعه قوانين. وقد عين وكيلًا للشؤون الخارجية، وأرسل إلى باريس وزيراً مفوضاً، ومنها إلى أنقرة، ومنحت لقب سفير دولة، وهو أحد الشخصيات التي أوكل لها تأسيس النظام الداخلي والخارجي للدولة السعودية الثالثة. وتوفي في بيروت سنة 1371 هـ (1951م)، وله عدة كتب منها: قلب جزيرة العرب، وكتاب بلاد عسير، وكتاب البلاد العربية.

مصادر الترجمة:

1. شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز - خير الدين الزركلي - 369/1/1.
2. قصر الحكمة في الرياض - عبد الرحمن الرويشد.
3. الراعي العربي الأول - خيرية قاسمية - 162.
4. البلاد العربية السعودية - فؤاد حمزة.
5. الإعلام - الزركلي - 595/2/279.
فؤاد غصن:

في عائلة بيجوري، تخرج من جامعة أميركية. أصدر مجلة علمية. انتقل opting. يقول، اتفق جماعة لن يتأسس جريدة. كبرى تنطلق بلاسافم. تتغير عن أمانيهم. بالاتحاد والتعاون في سبيل دعم النهضة الجديدة، فكان أن استمر في تأسيس هذه الغاية. شركة مساهمة. أطلق عليها اسم (الأحرار). توفي سنة 1391 هـ – 1971 م.

مصادر الرجعة:
1. مذكراتي خلال قرن- فؤاد غصن.
2. الإعلام- خبر الدين الزركلي- 161. 161/5.

ف.أ. شروك:

في جنوب جلود، وقود بن بعوض بن إبراهيم الخوري، ولد في قرية الكرمل سنة 1290 هـ – 1873 م، تعلم في حاضب، وفي المدرسة الأمريكية بصيداً. ثم جامعة أميركية بيروت. استمر في دمشق ترجمانًا للإنجليزية البريطانية قبل تأسيس الجمعيات القومية العربية. وانتخب نائبًا عن دمشق. في مجلس المماليك سنة 1912 م، دخل في الجمعيات القومية العربية. وفي خلال الحرب العالمية أُقيم بالتعاون. على الدولة وسجون. وبعد الحرب عين أستاذًا في معهد الحقوق. وانتخب عضوًا في الجمع العلمي سنة 1919 م، وعين وزيرا للمالية في الدولة العربية الأولى. وبعد دخول الفرنسيون لسوريا نفي خارج سوريا ثم أعادوه وولوه وزارة المعارف سنة 1926 م، مثل سورية لدى منظمة الأمم المتحدة. مرات، وتوفي في دمشق سنة 1381 هـ – 1962 م.
مصادر الترجمة:

1. فارس الخوري - حياته وعصره.

55 - فارس نمر:

فارس (باشا) بن نور بن فارس أبي ناعسة: ولد في حاصبيا بلبنان عام 276 هـ (1859)، وقيل أنه في الفتنة المعروفة بحادثة 1861 بين نصارى العرب والدروز، فحملته أمه إلى بيروت ثم إلى القدس، وقد تلقى بعض مبادئ العلوم في المدارس الإنجليزية، وقصد بيروت ثانوية ودرس في الكلية السورية وتخرج منها، وعمل في المرصد الفلكي ببيروت في الناصر (فاندريك) ثم تولى إدارته. وهو من نصارى العرب وشارك في تنظير كثيراً من الجمعيات القومية العربية، كما كان أحد مؤسسي جمعية بيروت السرية. وقد انتسب نمر إلى المحافظة المسكونية، وكان يقول عن نفسه: (فيها طالما سهرنا الليالي وبدلنا الرحب والغالي لإعداد أبناء سورية لقبول المبادئ الحرة والنظاماد الدستورية) شارك يعقوب صروف في إنشاء (مجلة الملتطف)، وانتقل إلى مصر في أواخر 1884، فصدرت المجلة في القاهرة سنة 1885، كما أنشؤوا جريدة (المقطم) اليومية بمصر. منح لقب دكتور في الفلسفة من جامعة نيويرك سنة 1890، وجعل من أعضاء مجلس الشيوخ المصري، وترجم كتاب (الظاهرة الطبيعية) مات في القاهرة عام 1371 هـ (1951).

مصادر الترجمة:

2. مجلة الملتطف المجلد 36 (مارس 1910) - ص 270.
3. الإعلام - خبر الدين الزركلي - 1957.
4. تاريخ الصحافة العربية - 1421/2.
56 - فخري محمود البارودي:

فخري محمود البارودي، من الأدباء السوريين، ولد بدمشق سنة 1885 م، وتعلم في مدارسها فنان علوم الابتدائية والثانوية، ثم سافر إلى فرنسا عام 1911 م، والتحق بمدرسة الزراعة ثم عاد إلى دمشق. اشترك في الجمعية العربية الفتاة، وانخرط في الحرب العالمية الأولى برتبة ملازم ثاني في الجيش العثماني، أسر وأرسل إلى مصر ثم التحق بالجيش العربي وناصر ثورة الشريف وعين مديرًا للشرطة وقائدًا لموقع المقر الأميري، ورافقت الأمير فيصل في تنقلاته، ومن مساهمته في تصعيد ثورة العرب أن زار الهند لتأليف فرقة من المتطوعة لمعاونة الثورة العربية على الحكم العثماني، إلا أنه عاد خالقًا لاعتبار أن الدولة العثمانية هي الدولة الإسلامية. عمل في مجال الصحافة محرراً في المقتبس زميلًا محمد كرد علي، توفي سنة 1966 م.

مصادر الترجمة:
1. مذكرات- محمود فخري البارودي.
2. مصادر الدراسة الأدبية- يوسف أسعد داغر- 58/4.
3. أعلام الأدب الفني- أحمد آل الجندي- 72/1.

57 - قاسم أمين:

قاسم بن أحمد أمين المصري، كردي الأصل، ولد بالقاهرة عام (1269 هـ- 1855 م) وتعلم وتفقه بها وبعد أن انتقل والده الضابط أمير ألاي محمد بك أمين إلى الإسكندرية تعلم بها، ثم أرسل إلى فرنسا لدراسة الحقوق في (مونتريال) وعاد إلى مصر سنة 1885 م، وعين وكيلًا للنائب العامي الحكومي بالمحكمة المختلطة، فمستشارًا بمحكمة المختلطة، عُرف عند العلمائيين
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

والقوميين بنصرة المرأة والدفاع عن حقوقها وذلك من خلال كتابيه (تحرير المرأة) (المرأة الجديدة)، وقد تولى القد عليه مجموعة من العلماء الفضلاء، توفي بالقاهرة عام (1326 هـ-1908 م).

مصادر الترجمة:
1. الموسوعة العربية-مينير العليكي.
2. رواد النهضة-مارون عبود.
3. مشاهير الشرق-جرجي زيدان-23/5/1892.
4. الإعلام-خير الدين الزركالي-5/5/1892.

58 - محب الدين الخطيبي:

محب الدين بن أبي الفتح محمد بن عبد القادر بن صالح الخطيبي، ولد بدمشق عام 1303 هـ (1886 م)، ينتمي نسبه بعد القادر الجيلاني الحسني، تعلم بدمشق وبالأستانة شارك في تأسيس عدد من الجمعيات القومية، ومن أهمها جمعية الفتاة، وجمع قرارات المؤتمر العربي الأول، وسعى لدى حاكم اليمن لتأسيس جمعية قومية باليمن، زار القاهرة عام 1909 م وعمل في تحرير جريدة (المؤيد)، وانتدبته الجمعيات القومية في أوائل الحرب العالمية الأولى للاتصال بأمور العرب فاعتقله الإنكليز في البصرة سبع أشهر، ناصر ثورة الشريف حسين وشارك في تأسيس الحكومة العربية الأولى وتولى تحرير جريدة (القبيلة)، وحكم عليه بالإعدام، وبعد الحرب عاد إلى دمشق وتولى إدارة جريدة العاصمة، وبعد دخول القوات الفرنسية لها سنة 1920 فر إلى القاهرة واستقر بها، وعمل محرراً في (الأهرام)، وأصدر مجلة (الزهراء) (الفتح)، وأنشأ المطبعة
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

السلفية، وأشرف على طباعة عدد كبير من كتب التراث توفي بالقاهرة عام 1389 هـ (1969 م).

مصادر الترجمة:
1. محمد الدين الخطيب-حياته ونظمه-دمشق.
2. الإعلام-خير الدين الزركلي-1382/5.
3. جمعية العربية الفتاة السرية دراسة وثائقية-سهلة الرماوي.
4. مجلة الأوراق الإسلامية-دمشق-الجلد (1) سنة 1947.

59. محمد المحمصاني:
محمد بن مصباح المحمصاني، ولد في بيروت سنة 1305 هـ-1888 م، تعليم في الكلية العثمانية، وحصل على شهادة الدكتوراه في الحقوق من باريس سنة 1912، وفي باريس كان التخطيط لتأسيس جمعية الفتاة مع مجموعة من العرب، كما شارك في تأسيس الجمعية الإصلاحية، وشارك في المؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس، وذكر عنه أعضاء الجمعيات أنه من الخطباء الفصحاء، تم القبض عليه مع مجموعة من أعضاء الجمعيات القومية العربية بتهمة الانفصال عن الدولة العثمانية، وتمت محاكمتهم وحكم عليهم بالإعدام وتم ذلك سنة 1915.

مصادر الترجمة:
1. الإيضاحات-أحمد جمال باشا-1188.
2. الإعلام-خير الدين الزركلي-1387/7.
3. ما رأيت وما سمعت-خير الدين الزركلي.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

1026

20- محمد جميل بيههم:

من أبرز المنظرين للفكر القومي، ولد سنة (1304-1887) وتلقى تعليمه في بيروت واستكمال دراسته في مدرسة الوليفية الفرنسية، التي كانت نواة البعثة العلمانية، وحصل على درجة الدكتوراه للأطروحات (الانتدабات)، وهو من دعاة تحرير المرأة المطالبة بتحريرها من الدين، وقد وضع أربعة كتب ورقها على قضية المرأة. رأس المؤتمر الماسوني العام الذي عقد بدمشق سنة 1922، وهو عضو في المؤتمر السوري الذي باع الملك فصيل بن الحسين بدمشق. عمل مثنٍ أجمل استقلال سوريا ولبنان، ودافع عن عروبة فلسطين. توفي سنة (1398ه-1978م).

من مؤلفاته:
(المرأة في التاريخ والشريعة، تترجم إلى عدة لغات) و(المرأة في التمدن الحديث) و(كتاب حقوق المرأة السياسية في التمدن الحديث) و(كتاب الوحدة العربية بين الإسلام والجزر)، كتاب فناة الشرق في حضارة الغرب) و(العروبة والشعوبيات الحديثة).

مصادر الترجمة:
1. مصادر الدراسة الأدبية أعلام النهضة- يوسف أسعد داغر-4/6126.
3. موسوعة المورد العربي-منير اليعبيكي.
4. المؤرخ العالامة محمد جميل بيههم-حسان حلاق.

11- محمد عزة دروزة:

محمد عزة بن عبدالله بن دروزة بن إبراهيم بن حسن دروزة، ولد في نابلس الفلسطينية سنة 1305هـ-1887م، وأسرة فرع لعشيرة عربية تسمى
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

(الفرجات)، ويعتبر أن لقب (دروزة) الذي عرف به جاء من (الدرة). معنى الخبطة الذي لقب به أحد أجداده، تلقى دروسه الأولى في مدارس نابلس الحكومية الابتدائية والرشيدية، تخرج من الاعدادية وعمل في دائرة البرق والبريد العثمانية من عام 1903 وحتى سنة 1918، التي أقنع فيها مهمة إرسال واستقبال البرقيات، وسواها من أعمال البريد، وقد استغل هذه المهنة في كشف خطط ورسائل أعضاء جمعية الاتحاد والترقي ضد البلاد العربية كما ذكر ذلك عن نفسه، انضم دروزة لجمعية الاتحاد والترقي في نابلس، ثم انتقل منها إلى جمعية الحرية والانضام، وتسلم سكرتيرية الفرع العربي، ثم أسس مع مجموعة من رجال نابلس (الجمعية العلمية العربية) سنة 1911، هدف لتشييد المدارس العربية، انضم دروزة في حركة المطالبة بالإصلاحية التي قامت سنة 1912 واستمروا أعضاء الجمعيات القومية، كما شارك في المؤتمر العربي المنعقد في باريس 1913، وفي سنة 1913 سعى مع مجموعة من شباب العرب من ذوي النزعة القومية، لإنشاء فرع للحزب الباريكي، وبعد أن التقت بأعضاء الجمعية العربية الفتاة السرية، واطلع على نظامها انضم إلى الجمعية، كما كان له دور بارز في الحركات القومية التي ظهرت أثناء وبعد تأسيس الحكومة العربية الأولى، وتم تأسيس حزب الاستقلال في فلسطين سنة 1931، وكان الهدف المعلن عن تأسيس الحزب مقاومة التواجد والاستيكان اليهودي في فلسطين.

ويعتبر من أكثر القوميين من قدم للفكر القومي تاريخ عن الحركة القومية، وسجل حافل عن أحداث المؤتمرات والقرارات، كما كانت له جهود في تأصيل الفكر القومي بالدين وكتب في هذا المجال مجموعة من المباحث التي قام مركز دراسة الوحدة العربية بنشر كتير منها، توفي دروزة سنة 1402 هـ-1982.

مصدر الترجمة:
1. محمد عزة دروزة-صفحات من حياته ووجهاده ومؤلفاته-حسن عمر حماده.
2. الرعيل الأول-خبرية قامتية-162.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

3. نشأة الحركة العربية الحديثة- محمد عزة دروزة.
4. القضية الفلسطينية- محمد عزة دروزة.

27 - محمد كامل القصاب:

محمد كامل بن أحمد بن عبد القادر القصاب، أصله من حمص، انتقل أبوه إلى دمشق، ولد في سنة 1900هـ-1873م. يعتبر من زعماء الحركة الاستقلالية في سوريا، أنشأ مدرسة الكاملية والتي تخرج منها ابرز رجال الحركة في دمشق ودرس فيها عبدالوهاب الألفيكي، عارف الشهاب، الزركل، أسعد الحكيم. وهو من أعضاء جمعية الفتاة العربية. ومن أعضاء حزب اللامركزية وهم أسس حزب الاتحاد السوري. وقد قام بدور ضابط الانصال 1915 بين جمعية الفتاة والشريف حسين. تسلم بعد إعلان الثورة إدارة المعارف الحجازية، فتنظيمها طبقةً للأفكار الحديثة المتدينة في سورية ومصر، فلم يرف ذلك للحسن الذي يفضل البقاء على الأساليب التقليدية القديمة، ففضل القصاب السفر إلى القاهرة في أواخر سنة 1917 للعمل في المجال القومي في الخارج، فتولى في الدولة السعودية إدارة المعارف، بتاريخ 15/4/1945، بعد الشيخ صالح شطا، وبعد إعفائه استقر في فلسطين وأنشأ مدرسة، وعين رئيساً لجمعية العلماء مدة ثم استقال، وانتزى في بيته إلى أن توفي سنة 1373هـ-1954م.

مصادر الترجمة:
2. مع الراعي الأول-خير الدين قاسمية-126.
3. حول الحركة العربية الحديثة- محمد عزة دروزه-1923/1/33 و98.
4. أسسات الثورة العربية- أمين السعيد-1945.
5. تطور الحكم والإدارة في المملكة العربية السعودية- محمد توفيق صادق.
23 - محمد كرود علي:

محمد بن عبدالله زاق بن محمد كرود علي، ولد في دمشق عام 1293 هـ (1876 م) وأصله من أكراد السليمانية، تعلم في المدرسة الرشيدية، وتوفي والده وهو في الثامنة عشرة من عمره، وأحسن التركية والفرنسية وحفظ أكثر شعر المتنبي ومقامات الحريري، تولى تحرير جريدة الشام الأسبوعية الحكومية سنة 1315 هـ، وكان يلتزمเสมอ في مقالاته، ووالكتابة في كثير من المجلات الجمعيات القومية وأصدر مجلة المقتبس التي حاربت جمعية تركيا الفتاة، وكان له علاقات مع كثير من المستشرقين (يهود ونصراء)، وقد ربطت به علاقة مع الشيخ طاهر الجزائري ولازمته، كما أكدت بعض المصادر أن القنصلية الفرنسية حرصت على الاستفادة منه، إلا أنه خضع تحت مراقبة شديدة من جمال باشا، وبعد انتهاء الحرب انتقل إلى المجتمع العلمي بعد إنشائه بدمشق، سنة 1919م أيام الحكومة العربية الأولى، كما ولي وزارة المعارف مرتين، وفي عهد الاحتلال الفرنسي، لـه من الكتب (مخطط الشام) (تاريخ الحضارة) (القدم والحديث) وتوفي في دمشق عام 1372 هـ (1953 م).

مصادر الترجمة:

2. مذكرات كرود علي.
3. مصادر الدراسة الأدبية -يوسف أسد داغر- 2/1936 م.
4. محمد كرود علي -חסمان الكعاب
5. محمد كرود علي -جمال الدين الآلوس

24 - محمود تيمور:

محمود بن أحمد بن إسماعيل تيمور، ولد في القاهرة سنة 1311 هـ (1894 م) أسرته كردية الأصل، تعلم محمود بالمدارس المصرية والتحق بعد إتمامه
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين


مصادر الترجمة:
1. الإعلام- الزركلي- 165/7.
2. الأدب العربي المعاصر- شوقي ضيف- 263/1.
3. مصادر الدراسة الأدبية- يوسف أسعد داغر- 161/4.
4. قصة محمود تيمور- أنور الجند- القاهرة- دار إحياء الكتب العربية.
5. محمود تيمور رائد القصة العربية- نزيه الحكيم- القاهرة- 1944م.

٢٥- محمود شوكت:

محمود شوكت بن سليمان طالب، ولد في بغداد (1916–1983)، ولقي رئاسة الوزراء في الدولة العثمانية، وعملت شهوره في الدستور العثماني، كان من أعضاء جمعية تركيا الفتاة السرية، ومن أعضاء المحافظ الماسوная والجمعيات القومية، زحف محمود شوكت - وكان قائدًا على الفيلق الثالث بسلانيك - على استانبول فدخلها. ولما خلع السلطان عبد الحميد وتألفت وزارة جديدة كان محمود شوكت وزيراً للحربية فيها، ثم تولى منصب الصدر الأعظم، وأخيراً قتل أمام نظام الحربية، سنة (1911–1913).
مصادر الترجمة:
1. معجم المؤلفين العراقيين في القرن (9 و 10)- كوركيس عواد- 3/276.
2. الأعلام- خير الدين الزركلي- 7/174.
3. مذكرات جمال باشا- 46.

26- مصطفى الشهابي:

مصطفى بن محمد سعيد بن جهjah الشهابي، الأمير، من أمراء الأسرة
الشهابية، ولد عام 1311 هـ (1893) في حاصبياً (سورية) وبدأ دراسته فيها
ثم في بعلبك ودمشق، حيث كان أبوه يتنقل. وسافر مع أخيه عارف الشهابي
- وهو أحد أعضاء الجمعيات القومية العربية - إلى الأستانة عام 1907 فأقام
سنتين في مدرسة فرنسية. وعاد إلى دمشق ثم أرسل إلى فرنسا ودخل المدرسة
الزراعية فيها، وحصل على شهادة مهندس زراعي. انتسب إلى الجمعيات
القومية العربية ومن هذه الجمعيات جمعية العهد حيث كان من ضمن الأعضاء
المدنيين فيها. وجمعية المتدى الأدبي. وتولى عدة وزارات في عهد الانتداب
الفرنسي فقد أصبح وزيراً للمعارف، ووزيراً للمالية، ووزيراً للعدل ووزيراً
mفوضاً في مصر، كما كان من أعضاء الجمعية العلمية العربية الثلاث في دمشق
والقاهرة، وبغداد. ألف عدة كتب في المجال الزراعي ككتاب (الأشجار والأنبج
المشترمة) و (معجم الألفاظ الزراعية) كما ألف كتابه عن القومية العربية حيث
ذكر تاريخ القومية وأهم عوامل نشرها، وكانت وفاته في دمشق عام
1388 هـ (1968).

مصادر الترجمة:
1. الأمير مصطفى الشهابي- عدنان الخطيب.
2. القومية العربية- تاريخها- وقائمةها- وراميها- مصطفى الشهابي.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

3. مجلة العرب-العدد 2949/2
4. فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام-صالح العبود-64.
5. الإعلام-خير الدين الزركالي-27/4/205

٦٧ - منصور فهمي:

منصور فهمي بن علي فهمي بن عبد المعارف، من آل البقلي، ولد في مصر سنة (١٣٠٣-١٨٨٦ م) مغربي الجنسية تعلم بالمنصورة والقاهرة، أرسل في بعثة إلى باريس لدرس الفلسفة سنة ١٩٠٨، وهي فترة تأسيس الجمعيات القومية العربية، مكث في فرنسا خمس سنوات قدم أطروحته لنيل الدكتوراه بعنوان: (حالة المرأة في التقاليد الإسلامية وتطورها) أشرف عليها المستشرقاليهودي (ليفي بيرل). Leve- Bruhl عاد بعد بعثته واشتهر في المحافل العربية، وكان كتاب السير للجمع اللغوي المصري إلى آخر حياته. ودرس في جامعة القاهرة، وترجح في المناصب حتى أصبح عميداً لكلية الآداب، ثم مديرًا لجامعة الإسكندرية إلى سنة ١٩٤٦، وتولي نشر الفكر العلماني عن المرأة في واقع المجتمع المسلم، توفي سنة (١٣٧٨-١٩٥٩ م).

مصادر الترجمة:
2. المعارك الأدبية في مصر-أثر الجندی-229.

٦٨ - نبيه العظمة:

نشأ نبيه العظمة في أسرة بارزة في المجال العسكري في العهد العثماني، وتلقى علومه الابتدائية في مدرسة (الرشدية) العسكرية في دمشق، ثم رافق والده إلى اليمن حين عين متصرفًا في لواء الحديدة (١٨٩٨) والتحق نبيه بـ (الرشدية)
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلما

صنعاء العسكرية وبعد استقالة والده من الحديدة اختيار الإقامة في استنبول
التحق نبيه بالمدرسة الحربية عام 1905، وقد تخرج من المدرسة الحربية برتبة
(ملازم ثان-مشاة) في عام 1907 ومن هذا التاريخ بدأت حياته العملية في
الدولة العثمانية، وقد أشرك في حرب إيطاليا وذلك سنة 1911 وتولى قيادة
فروج المتطوعين، وقائد فصيلة المدفعية. ونقل نبيه العظمة إلى ولاية دمشق. وقد
انتبض إلى الجمعيات القومية العربية فكان من أعضاء جمعية العهد وجمعية الفتاة
الحربية، وحَزب الاستقلال. وقد سعى نبيه العظمة لإيجاد تفاهم بين الملك
عبد العزيز والملك علي بن الحسين، في حدود تاريخ 1924م و لما فشلت هذه
المحاولات عاد نبيه العظمة إلى القاهرة ظل في القاهرة حتى دعي للعمل في
التنظيم الإداري في المملكة العربية السعودية، فقد كتب إليه فؤاد حمزة (مستشار
الخارجية) بتاريخ 1939م يدعوه للعمل حيث تولى مدير الأمور العسكرية
وبعض عام 1949(1364) وكلف نبيه العظمة بدورة تفتيشية على
القطعات العسكرية وكان مرجعه النائب العام للملك الأمير فيصل بن
عبد العزيز، ولم يدم طويلا حتى تنقل في البلاد العربية حتى وافته المئية في دمشق
1972.

مصادر الترجمة:
2. جريدة أم القرى-عدد 300 بتاريخ 1349/4/12.
3. الرجل العربي الأول-حياة وأوراق نبيه العظمة-مجمع: خيرية قاسمية.
5. مذكرات فوزي الفاقوجي (1912-1932)-إعداد: خيرية قاسمية.
69 - نوري السعيد:

نوري بن سعيد بن صالح من عشيرة القرية غولي البغدادية، ولد ببغداد عام 1302 هـ (1888م) تعلم بالمدارس العسكرية في بغداد والآستانة وتخرج من المدرسة الحربية في الآستانة عام 1906م وحضر حرب البلقان. وهو سياسي عسكري أتَّسب في جمعيَّة العهد والقحطانية، ناصر ثورة العرب الحسين بن علي، فكان من قادة جيش الشريف فيصل بن الحسين في زحفه إلى سوريا. آمن بسياسة الإنكلزية فكان مؤيد لها في سوريا والعراق. تولى رئاسة الوزارة العراقية مرات كثيرة في أيام فيصل بن الحسين وأبنائه من بعده، وانتقل مع عبد الملك بن علي الوصي على عرش العراق في أيام فيصل الثاني، ولم قامت الثورة في بغداد عام 1958م كان من قتلاها نوري السعيد. وهي الثورة التي قادها عبد الكريم قاسم وباقي القوميين العرب. ومن نتائج هذه الثورة إلغاء الحكم الملكي في العراق وإقامة جمهورية.

مصادر الترجمة:
1. نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية- سعاد رؤوف شير محمد
2. سياسة نوري السعيد الخارجية- فاضل حسين
3. نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية- عبد الرزاق النصيري
4. الإعلام- خير الدين الزركلي- 8/53

70 - هاشم الأساسي:

هاشم بن خالد بن محمد بن عبدالستار الأساسي، ولد في حمص سنة 292 هـ (1875م) تعلم بحمص ثم بالمدرسة الملكية بالآستانة سنة 1894م وتدرج في مناصب الإدارة في العهد العثماني، اتُسبَ إلى الجمعيات القومية
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

العربية ومنها: جمعية العهد والفتاة، كما انتخب رئيسًا للمؤتمر السوري 1920م، ورأس الوزارة السورية وفي عهده كانت وقعة ميسولون ودخول الفرنسيين إلى بلاد الشام، فاستقال وعاد إلى حمص، وفي أواخر الثورة السورية 1926م اعتقل الفرنسيون ثم تركوه، تزعم رئاسة الكتلة الوطنية التي ضمت الأحزاب والجماعات السورية سنة 1928م، انتخب رئيسًا للجمهورية السورية سنة 1936م وبعد أن ألغى الفرنسيون النظام الجمهوري ترك منصبه إلا أنه أعيد في عهد (الخناوي) سنة 1951م، توفي بحمص سنة 1380هـ-1960م.

مصادر الترجمة:
1. أعلام العرب-1941.
3. القومية بين النظرية والتطبيق-مصطفى محمد طهان-201.

71- ياسين الهاشمي:

ياسين حلمي (باشا) ابن سلمان الهاشمي، ولد ببغداد عام 1924هـ (1882م) وتعلم ثم تعلم بالأستانة وبرلين، وتخرج ضابط أركان حرب سنة 1905م، كان زميلًا لأنتورك على مقاعد الدراسة العسكرية، وخاص الحرب البلقاني، دخل جمعية العهد مع عزير علي المصري، ونقل إلى الموصل ثم إلى دمشق، فانصل في دمشق بالشريف فيصل بن الحسين سنة 1916م ودخلا سوياً في جمعية العربية الفتاة، كما انسحب إلى حزب الاستقلال فيما بعد، ونقل إلى رومانيا وظهرت مواقفه العسكرية فيها، وأعيد إلى سورية، وأثناء ثورة الشريف حسين تولى ياسين الهاشمي قيادة فيلق للترك ضد العرب، إلا أنه تحق
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

بالعرب، وعند إقامة الحكومة العربية الأولى تولى رئاسة ديوان الشؤون الحربي، وشئٌثر العراق ضد إنجلترا فأدى الهشمي هذه الثورة، مما جعل القوات البريطانية تخترق سنة أشهرين، فأقام بالقاهرة، ثم عاد إلى سورية حتى دخلها الفرنسيون، وتألفت الدولة العراقية عام 1921م، فتولى عدداً من وزارتيها كما تقلد رئيسة الوزارة مرتين، ووضع الاتفاقية بين السعودية واليمن، وتسمى (اتفاقية الحلف العربي)، وعاش يحكم سياسة العراق كيف شاء، إلى أن قامت ثورة بكر صدقي في عهد وزارته الثانية سنة 1936م، فرحل إلى بيروت، فتوفي بما وفدت في دمشق عام 1940م - (1357 هـ).

مصادر الترجمة:
2. ملوك العرب - جرجي زيدان - 370/2.
3. الرحل العربي الأول - خبرة قاضية - 164.
4. أعلام السياسة في العراق الحديث - مبر بصري - 94.
5. تأسيس الجيش العراقي وتطور دوره السياسي من 1921-1941- رجاء الخطاب - 119.

72 - يعقوب صروف:

يعقوب بن نقولا صروف، من نصارى العرب، ولد في بيروت سنة 1268هـ/1852م، تعلم في المدرسة الأمريكية في عبّا، وهي من المدارس التي أسستها المنصرون في لبنان، ثم درس الجامعة الأمريكية، درس الرياضيات والفلسفة، وكان من أفراد الطائفة الأولى من متخرجيها سنة 1870م، كما اشتمل في الأدب، انتسب مع الجمعيات القومية العربية وشارك منتصرين في تأسيس الجمعيات والمحافل الماسونية، أصدر من أفرائه من أعضاء الجمعيات القومية ونصارى العرب مجلة (المقتطف) سنة 1876م، وشارك في إصدار
الجمعيات القومية العربية ومؤسساتها من الإسلام والمسلمين

جريدة (المقطم) القومية، كما ترجم مجموعة من كتب ملاحدة الثورة الفرنسية. مات سنة ۱۳۴۲ هـ-۱۹۲۷ م.

مصادر الترجمة:
1. تاريخ الصحافة العربية- طرازي-۱۲۴۸/۲-۱.
2. معجم المطبوعات العربية- سركيس-۱۲۶۱.
3. مجلة المتقطع- عدد ۷۱- ص ۱۸۳.
4. مصادر الدراسة الأدبية- يوسف أمير داغر-۵۲۴/۲۲-۱.
5. الإعلام- خير الدين الزركلي-۱۹۲۶/۸-۲.
6. الفنون الأدبية وأعمالها في النهضة العربية الحديثة- أسعد المقدسي-۲۳۹.

۱۳۷ - يوسف ياسين:

سوري من اللاذقية ولد سنة ۱۳۰۹ هـ-۱۸۹۲ م، وكان من التلاميذ البارزين لدى الشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا. مكث عامين في مدرسة رشيد رضا ثم سكن عماني في حكم عبدالله بن الحسين، وسلم جريدة الصباح، دخل كلية الحقوق وكان من أعضاء جمعية الفتاة السرية. قال نبه العظمى: (أرسل من قبل شكري القوتلي - أول زعيم قومي تولى رئاسة الجمهورية السورية، وهو دمشقي المولد، وأحد أعضاء جمعية الفتاة السرية وكاتم سر الجمعية - إلى المملكة العربية السعودية ليصدر جريدة باسم الرياح، وليكون مقدمة إرسال غيره من الشباب السوريين للعمل في الدولة الأردنية الجديدة) وواصل يوسف ياسين إلى نجد في أواخر سنة ۱۳۴۳ هـ (۱۹۲۴ م)، وكتب يوسف ياسين رسالة إلى خير الدين الزركلي - أحد أعضاء الجمعيات - يدعوهم للعمل في السعودية، وقال في نهاية الرسالة: "اعتقد أنك في قبولك العمل معنا، ستكون أعظم عضد لنا في إقامة ما نشير إلى إقامته من
برناجـنا في خدمة القضية العربية،" ويعتبر يوسف ياسين من كبار العاملين في خدمة الدولة السعودية، وشهد موقعة السبله، وتولى رئاسة الشعـبة السياسية، وهي تختص بالأمور السياسية وعلى الأخص ما كان منها عائداً للشؤون الخارجية. وهو في نفس الوقت السكرتير الخاص للملك. وتاريخ 1364 هـ (1945 م)، صدر مرسوم ملكي بتعيينه وزيراً للدولة، ونائبًا لوزير الخارجية، إضافة إلى رئاسته للشعبة السياسية في الديوان الملكي، أهدت إليه الحكومة العراقية وسام تاج إيطاليا من رتبة كونميور، والحكومة الفرنسية وسام جوقة الشرف من رتبة أوفيس، وكان عضواً في مجلس الوكلاء، ويجلس الشورى في عهد الملك، أصدر جريدة أم القرى. وكانت وفاته في الدمام سنة 1381 هـ (1962 م).

مصادر الترجمة:
1. قصر الحكم في الرياض-عبد الرحمن الرويشد-64.
2. البلاد العربية السعودية-فؤاد حمزة-31-44.
3. الإعلام- خير الدين الزركلي-85.
4. حول الحركة العربية الحديثة-محمود عزة دروزة-68/1.
5. الرحلة الملكية-يوسف ياسين.
فهرس المراجع والمصادر

1) الآجري: الشريعة-دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان-الطبعة الأولى-1403 هـ.

2) إبراهيم إبراش: البعد القومي للقضية الفلسطينية-مركز دراسات الوحدة العربية.

3) إبراهيم اليازجي: رسائل اليازجي-مطبعة اليوسفية-المصر.

4) إبراهيم هاشم الفلايلي: لا رق في القرآن-دار القلم-القاهرة.

5) أبو إسلام أحمد عبد الله: الماسونية في منطقة 245-الزهراء للإعلام العربي-القاهرة-الطبعة الأولى-1406 هـ.

6) أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين-مكتبة النهضة المصرية-الطبعة الأولى.

7) أبو بكر الإسماعيلي: كتاب اقتصاد أهل السنة والجماعة-دار الرياض.

8) الإمارات العربية المتحدة-الطبعة الأولى-1411 هـ.


الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين


11) أحمد الخنساء: تاريخ العلاقات الدولية منذ الثورة الفرنسية حتى الحرب العالمية الأولى-الطبعة الأولى-1946.

12) أحمد السعيد سليمان: التيارات القومية والدينية في تركيا المعاصرة-دار المعرفة-القاهرة.

13) أحمد المقرشي: المواضيع والاعتبار بذكر الخطط والآثار-دار صادر-بيروت.

14) أحمد بن حنبيل: المسلسل-دار الفكر العربي.

15) أحمد جلي: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين-مركز الملك فيصل-الطبعة الأولى-1406.


18) أحمد شلبي:


19) أحمد شوقي: ديوان شوقي-دار فضية مصر-القاهرة.
20) أحمد عبد الغفور عطار: محمد بن عبد الوهاب-دار العلم للملايين-
بيروت-الطبعة الثالثة-1387هـ
21) أحمد فوزي: عبدالكرم قاسم وساعاته الأخيرة-دار الحرية للطباعة-
العراق-الطبعة الأولى-1401هـ.
22) أحمد قได: مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى-1956.
23) أرنست أ. راموز: تركيبة الفتاة وثورة 1908-ترجمة صالح أحمد العلي-
منشورات دار مكتبة الحياة-بيروت-1960.
24) الأزهرى: مذيب اللسان-دار الكتب العربي-مطبوع سجل العرب-
القاهرة-1967.
26) أسعد داغر: مصادر الدراسات الأدبية-المكتبة الشرقية-بيروت لبنان-
1983.
27) أسعد رستم: بشير بين السلطان والعزيز (1804-1841)-منشورات-
28) إسماعيل الأنصاري: القول الفصل في حكم الاحتفال بموئذ خير الرسل-
رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد-الرياض-
1405هـ.
29) الأصبغاني: الحجة في بيان المحلة وشرح عقيدة أهل السنة-دار الراية-
الرياض-الطبعة الأولى-1411هـ.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

-)

الإعلان العالمي للأمم المتحدة بشأن القضية على التعاون الديني-طبي للدراسات والنشر.

-)

أكرم ضياء العمري: السيرة النبوية الصحيحة-مكتبة العبيكان-الرياض-الطبعة الثانية-414 هـ.

-)

الآليان:

- تصدير المساجد من أخاذ القبور مساجد-الكتاب الإسلامي-الطبعة الرابعة-254 هـ.

- سلسلة الأحاديث الطيفية-مكتبة المعارف-الرياض-الطبعة الأولى-1408 هـ.

-)

إلياس فرح:


- المرأة في فكر ونضال حزب البعث العربي الاشتراكي-سلسلة الثقافة العربية-المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت-1976.


-) آمنة محمد: نصيرة الإمام محمد بن عبدالوهاب ومنهجه في مباحث العقيدة-دار الشروق-بيروت.

37) أمين إبراهيم: الحركة النسائية اللبنانية-دار الثقافة-بيروت-لبنان.

38) أمين الرئيسي:


40) أمين سعيد:
- الثورة العربية الكبرى-مطابع عيسى الباني الحلي-مصر.
- أسرار الثورة العربية الكبرى ومؤسسة الشريف حسين-دار الكاتب العربي.

41) أندريه جيد:
المجتمعات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين


(42) أنور الجندي:

- شخصيات اختلف فيها الرأي-دار الأنصار-مصر.

(43) أنور الرفاعي:جهاج نصف قرن-مذكرات (سعيد الجزائري)-دمشق.


(45) أنزيس النصاوي:
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

- أسس النهضة العربية في القرن التاسع عشر - دار ابن زيدون-بيروت- الطبعة الأولى-1400هـ.
- عشت وشاهدت-دار الكتاب-بيروت-الطبعة الأولى-1951.
- 50) ابن الأثير: النهاية في شرح غريب الحديث والأثر-أنصار السنة المحمدية- باكستان.
- 51) ابن الجوزي:
- نسخ القرآن-الجامعة الإسلامية-الطبعة الأولى-1404هـ.
- زاد المسير في علم التفسير-المكتب الإسلامي-بيروت- الطبعة الثالثة-1404هـ.
- 52) ابن العربي:
- عارضة الأحوذي لشرح صحيح الترمذي-دار الكتاب العربي.
الlığıمات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

- أحكام القرآن-دار المعرفة-بيروت-لبنان.

53) ابن القمي الجزائري:

- أحكام أهل الذمة-دار العلم للملائين-الطبعة الثانية-بيروت-1401 هـ.


- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين-دار الكتاب العربي-بيروت-لبنان-1392 هـ.

- هداية الخيار في الرد على اليهود والنصارى-دار مكتبة الحياة-بيروت-لبنان.

- ختصر الصواعق المرسلة-دار الندوة الجديدة-بيروت-لبنان-1405 هـ.

- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي.

- إعلام المواضع عن رب العالمين-دار الجيل-بيروت-لبنان.

- تذبيب معمول السن من فتية ختصر سنن أبي داود-دار المعرفة-بيروت-لبنان.

54) ابن المنذر: الإجماع-دار طيبة-الرياض-الطبعة الأولى-1401 هـ.

55) ابن الوزير: العواصم والقصاص في الذب عن سنة أبي القاسم-مؤسسة الرسالة-بيروت-الطبعة الثانية-1411 هـ.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

56) ابن باز:
- مجموع فتاوى الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله بن باز-شركة العبيكان-
  الرياض-الطبعة الثانية-1401 هـ.
- نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع-المكتب الإسلامي-
  بيروت-دمشق-1401-الطبعة الرابعة.

57) ابن بطة: الإبادة عن شريعة الفرق الناجية-دار الراية-الرياض-الطبعة الأولى-1409 هـ.

58) ابن تيمية:
- منهج السنة النبوية-تحقيق محمد رشاد سالم-مؤسسة قرطبة-الطبعة الأولى.
- الرد على المنطقيين-مكتبة السنة المحمدية-القاهرة-1370 هـ.
- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان-المكتب الإسلامي-بيروت-
  الطبعة الرابعة.
- بيان تلبية الجمهورية-مؤسسة قرطبة.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية-مكتبة المعارف-الرياض-المغرب.
- اقتضاء الصراط المستقيم لخالفة أصحاب الحكيم-شركة العبيكان-
  الرياض-الطبعة الأولى-1401 هـ.
- الجواب الصحيح لم بدل دين المسيح-دار العاصمة-الرياض-الطبعة الأولى-1411 هـ.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

- العبودية-المكتب الإسلامي-بيروت-الطبعة الخامسة-1399 هـ.
- النبيت-دار القلم-بيروت.
- شرح العقيدة الأصفهانية-مطبعة الاعتصام-القاهرة-1385 هـ.

(59) ابن حجر:
- تقرير التهذيب-دار المعرفة-بيروت لبنان-الطبعة الثانية-1395 هـ.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري-المكتبة السلفية-القاهرة-الطبعة الرابعة-1408 هـ.

(60) ابن حزم:
- الفصل في الملل والأهواء والنحل-دار عكاظ للنشر-جدة-الطبعة الأولى-1402 هـ.
- المحيّي-دار الأفاق الجديدة-بيروت.
- الإجماع-دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان.


(62) ابن رحب الخليلي: جامع العلوم والحكم-رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد-الرياض.

1049

الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

14) ابن سعد: الطبقات الكبرى- ابن سعد- دار بيروت للطباعة والنشر- بيروت- 1400 هـ.

15) ابن سلامة أبي النصر: الناسخ والمنسوخ- مكتبة المتنبي- القاهرة.

16) ابن عدلار:
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد- المغرب- الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- جامع بيان العلم وفضله- دار ابن الجزوي- الدمام- الطبعة الأولى- 1414 هـ.

17) ابن عربى: الفتوحات المكية- الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- 1394 هـ.

18) ابن قدامة: المغني- مكتبة الرياض.

19) ابن كثير:
- البدياية والنهاية- دار الريان للتراث- القاهرة- الطبعة الأولى- 1408 هـ.
- تفسير القرآن العظيم- مطبعة الشعب.
- عمدة التفسير- تحقيق أحمد شاكر- تراث الإسلام.
- شؤون الرسائل- دار القبلة- المملكة العربية السعودية- جدة- الطبعة الثانية- 1409 هـ.

20) ابن منظور: لسان العرب- دار صادر- بيروت.
الجمعيات القومية العربية و موقعها من الإسلام والمسلمين

(71) ابن هشام: السيرة النبوية- رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد- الرياض.

(72) انكلهارد: تركيا والتنظيمات في تاريخ إصلاحات الدولة العثمانية.

(73) بدر الدين الزركشي: الإجابة ليراد ما استدركه عائشة على الصحابة- المكتب الإسلامي- بيروت- الطبعة الثالثة- 1401 هـ.

(74) بدوي أحمد طبانة: معروف الرصافي (دراسة أدبية لشاعر العراق وبيته السياسة والاجتماعية)- القاهرة- 1946.

(75) الهرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة- دار النهار- بيروت- لبنان.

(76) بطرس البستاني: دائرة المعارف - دار المعرفة- بيروت- لبنان.

(77) بطرس فهد: بطاركة الموازنة وأساقفهم في القرن التاسع عشر- 1990.

(78) السبوي: شرح السنة- المكتبة الإسلامية- بيروت- الطبعة الثانية- 1403 هـ.

(79) البيهقي:
- معرفة السنن والآثار- جامعة الدراسات الإسلامية- كراتش- باكستان-
  الطبعة الأولى- 1411 هـ.
- دلائل النبوة- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- الطبعة الأولى- 1405 هـ.

(81) تاريخ خليفة بن خياط-مؤسسة الرسالة-بيروت-الطبعة الثانية-1397 هـ.
(83) توفيق السويدي: مذكراتي نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية-دار الكتب العربي.
(85) الجامع الفريد-طبع في مطبعة المدينة-الرياض.
(87) جرجي زيدان:
  - تاريخ الماسونية العام-مطبعة المتروسة-مصر-1889.
  - تاريخ آداب اللغة العربية-دار الهلال.
  - تاريخ التمدن الإسلامي-مكتبة الحياة-بيروت لبنان.
  - تراجع مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر-دار مكتبة الحياة-بيروت لبنان.
  - فتاة غسان(1)-بيروت-دار الأندلس-بعد 1380.
(88) الجصاص: أحكام القرآن-دار الكتب العربي-بيروت.
general societies of the Arab world and their stance on Islam and the Muslims.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

(98) محمد فهمي عبدالوهاب: الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار-دار الأنصار-القاهرة.


(100) حسن الحكيم:
- عدالرحن الشهيدر-حياته وجهاده-الدار المتحدة للنشر-بيروت-لبنان-الطبعة الأولى-1940.

(101) حسن السندي:
- أعيان البيان من صبح القرن الثالث عشر الهجري إلى اليوم-الطبعة الجمالية-مصر-الطبعة الأولى-1332 هـ (1914 م).
- تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي من عصر الإسلام الأول إلى عصر فاروق الأول-الطبعة الأولى-الاستقامة-القاهرة-1377 هـ.

(102) حسين الجبوري: عوارض الأهلية عند الأصوليين-معهد البحوث العلمية.
- وإحياء التراث الإسلامي-مكة المكرمة-الطبعة الأولى-1408 هـ.


(104) حسين بن غانم: تاريخ نجد-مطابع الشرق الأوسط-الطبعة الثانية-1402 هـ.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

105 حسن حمادي: محمد عزة دروزة نشأته وحياته ومؤلفاته-دار قتيبة- دمشق-الطبعة الثانية-1983

106 حسن عمر حمادي: المعاصية والماسونية في الوطن العربي-دار قتيبة- دمشق.

107 حسن بحبيب المصري: معجم الدولة العثمانية-القاهرة-مكتبة الإنجولية المصرية-1987

108 حمد الجمال:
- أبو الأعلى المودودي حياته وفكره العقدي-دار المدني-حيدة-الطبعة الأولى-2001
- اتجاهات الفكر المعاصر في مصر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري-دار عالم الكتب-الرياض-441-1442 هـ.

109 حمد بن علوي عتيق: إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد-مكتبة التوفيق-الرياض-الطبعة الرابعة-2004

110 حمود التويجري: الرد القوي على الرفاعي والجهول وابن علوي وبيان أخطائهما في المولد النبوي-دار اللواء-الرياض-الطبعة الأولى-1433

111 حنا أبي راشد: دائرة المعارف الماسونية المصورة-مكتبة الفكر العربي- لبنان-بيروت-1960
الجمعيات القومية العربية ومؤقتها من الإسلام والسياسي

(11) الخطيبي: غريب الحديث-جامعة أم القرى-مكة المكرمة-مركز البحث
العلمي-الطبعة الأولى-1400هـ.

(11) خبير الدين التونسي: أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك-المؤسسة
الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع-بيروت-الطبعة الثانية-1400هـ.

(11) خبير الدين الزركلي:
- ما رأيت وما سمعت-مكتبة المعارف-ال исследова.

(11) خبير الله خبير الله: معضلة الشرق، أو الأقطار العربية المحترشة-تسرع
عوار النكدي-بيروت-1919.

(11) خبيرة قاسمية:
- الحكومة العربية في دمشق-المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت-
الطبعة الثانية-1982.
- الراعى العربي الأول (حياة وأوراق نبه العظمة)-رياض الرس للكتب
والنشر.
- عوبي عبدalahادي-أوراق خاصة.

(117) ذوق رووان قروقوت: ميشيل عفلق (الكتابات الأولى)-المؤسسة العربية
للدراسات والنشر-بيروت-1993.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

118. رئيسي الخوري: الفكر العربي الحديث أثر الثورة الفرنسية في توجيهه السياسي والاجتماعي-دار المكتشوف-بيروت-لبنان-الطبعة الثانية-1973


120. رجاء حسين الخطاب: تأسيس الجيش العراقي-الدار العربية-بغداد-الطبعة الثانية-1982

121. رشيد رضا:
- الخلافة-مطبعة المنار-سنة 1314
- حقوق النساء في الإسلام-المكتب الإسلامي-بيروت-1940
- الولي الحمدي-المكتب الإسلامي-بيروت-الطبعة العاشرة-1405
- تاريخ الأستاذ الإمام-مطبعة المنار-القاهرة.

122. رفيق العظم:
- مجموعة آثار رفيق بك العظم-الجامعة العثمانية-مطبعة المنار-مصر-الطبعة الأولى-1345
- الدروس الحكيمة-جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-1409
- أشهر مشاهير الإسلام-دار الرائد العربي-بيروت-لبنان-الطبعة السادسة-1411
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

- تنبيه الأفهام إلى مطالب الحياة الاجتماعية والإسلام-مطبعة
  الموسوعات-مصر-1318 هـ (1900).

- تنازل النقاش: دور العروبة في تراثنا اللبناني-دار لبنان للطباعة والنشر-
  بروت-لبنان-الطبعة الثالثة-1400هـ.

- زهير المارديني: الأستاذ (قصة حياة ميشيل عفلق)-الريس-لندن.

- نور الدين زين:


- الصراع الدولي في الشرق الأوسط ولادة دولية سوريا ولبنان-دار

- ساطع الخصري:

- البلاد العربية والدولة العثمانية-معهد الدراسات العربية العالمية-1957.

- يوم مسكون-صفحة من تاريخ العرب الحديث-دار الاتحاد-بيروت.

- محاضرات في نشأة الفكر القومية-مركز دراسات الوحدة العربية-
  بروت-لبنان-الطبعة الثانية-1985.

- ما هي القومية-أبحاث ودراسات على ضوء الأحداث والنظريات-العلم
  للملاليين-بيروت-1962.

- ثقافتنا في جامعة الدول العربية-بيروت-دار العلم للملاليين-1962.

- ساطع الخصري-مجموعة من الكتب-12-(سلسلة نواح العرب)-دار
الجمعيات القومية العربية وموثقها من الإسلام والمسلمين

- تقرير عن حالة المعارف في سورية واقتراعات لصلاحها-دمشق-دار الهلال-1944.


130: سعيد الغامدي: حزب البحث تأريخه وعقائده-دار الوطن-الطبعة الأول-1941.
132: سلسلة تراث الإنسانية-مجمعة من الأساتذة-الهيئة العامة للكتاب-مصر.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

134) سليم علي سلام: مذكرات سليم علي سلام-قدم لها وحققا/حسان على حلاق-401/1419هـ.

135) سليمان البستاني: عبارة وذكرى-مطبعة الأخبار-أكتوبر-1908.

136) سليمان العودة: عبدالله بن سبا وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام-دار طبية-الطبعة الأولى.

137) سليمان بن سمحان:
- الهديئة السنوية والتحفة الوهابية النجدي-مطبعة المنار-مصر-الطبعة الثانية-1342هـ.
- الضياء الشماقي في رد شبهات المذاق المارق-دار البحوث العلمية والإفتاء-الطبعة الخامسة-1413هـ.


139) سليمان فضيسي: مذكرات سليمان فضيسي-بغداد-1952.


141) سهيلة صبان: الأوضاع الثقافية في تركيا في القرن الرابع عشر الهجري-جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-كلية الشريعة-1415هـ.

(رسالة دكتوراه لم تطبع).

142) سهيلة الريماوي: جمعية العربية الفتاة السرية دراسة وثائقية-دار بحنواي-عمان-الأردن.
المؤسسات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

144) السيد صبري: مبادئ القانون الدستوري-مكتبة عبد الله وهبة-مصر-الطبعة الثالثة-1365 هـ.
145) سيد قطب:
- في ظلال القرآن-دار العلم للطباعة والنشر-البقرة-الطبعة الثانية عشر-1406 هـ.
- مقومات التصور الإسلامي-دار الشرق-القاهرة-الطبعة الأولى-1406 هـ.
146) السيد الشوط: الدور المثير في تفسير المأثور-دار الفكر-لبنان-بيروت-الطبعة الأولى-1403 هـ.
- تاريخ الخلفاء-دار الجيل-بيروت-1408 هـ.
147) الشاطبي:
- الموافقات في أصول الشريعة-دار المعرفة-بيروت-لبنان.
- الاعتصام-دار المعرفة-بيروت-لبنان.
148) الشافعي:
- الرسالة-تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر.
الجمعيات القومية العربية وموقعها من الإسلام والمسلمين

١٩٠٨ (١٤٩) شاهير الخوري: مجمع المسارات-طبعة الاحتجاز-بيروت

١٩٧٣ (١٥٠) شاكر مصطفي: دولة بني عباس-وكالة المطبوعات-الكويت-طبعة الأولى

١٨٩٧ (١٥١) شاهين مكاريوس: الحقائق الأصلية في تاريخ المسائية العملية-طبعة المقتطف-مصر

١٩٨٠ (١٥٢) شاهلي العيسى: رسالة الأمة العربية-مؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت-طبعة الثانية

١٩٩١ (١٥٣) شاهلي شهيل: حوادث وحوارات (مذكرات الدكتور شاهلي شهيل)-دار الحمراء-بيروت-طبعة الأولى

١٩٨٠ (١٥٤) شمس الدين الرفاعي: تاريخ الصحافة السورية-دار المعارف-مصر

١٩٨١ (١٥٥) الشنشيلي: أضواء البيان تفسير القرآن بالقرآن-عالم الكتب-بيروت

١٤٠٤ (١٥٦) الشهرياني:
- المل والنحل-دار المعرفة-بيروت-لبنان
- موسوعة المل والنحل-مؤسسة ناصر للثقافة-طبعة الأولي-بيروت

١٩٨١ (١٥٧) شوقي أبو حليل:
- الإسلام في قفص الاتهام-دار الفكر-دمشق-طبعة الرابعة
- جرجي زيدان في لبنان-دار الفكر-دمشق-طبعة الثالثة-١٩٧٣
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

- الإسلام وحركات التحرر العربية-دار الفكر-دمشق-الطبعة الأولى-1401 هـ.

158 الشوكلاني:
- نيل الأوطار-دار المعرفة-بيروت-لبنان.
- فتح القدير-الشوكلاني-دار المعرفة-بيروت-لبنان.
- شرح الصدور بتحريم رفع القيور-السنة المحمدية-مصر.


161 صـالح العبود: فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام-دار طيبة-الرياض.

162 صـبـحـي العميري: ميسلون نهاية عهد-دار الريس للكتب والنشر-لندن.

163 صـبـحـي المحمصي:

الجمعيات القومية العربية وموثقها من الإسلام والسلم

165) صديق حسن خان: الروضة الندية شرح الدرر البهية-دار الندوة
الجديدة-بيروت-لبنان-الطبعة الأولى-1400 هـ.

166) صلاح الدين المختار: تاريخ المملكة العربية السعودية-مكتبة الحياة-بيروت.

167) ضابط تركي سابق: الرجل الصنم-ترجمة (عبد الله عبد الرحمن)-مؤسسة الرسالة-بيروت-الطبعة الرابعة-1414 هـ.

168) طاهر الجزائري:
- أشهر الأمثال-دار الفكر المعاصر-بيروت-لبنان-الطبعة الأولى-1415 هـ.
- الجوهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية-دار ابن حزم-بيروت-الطبعة الأولى-1417 هـ.

169) الطبري:
- جامع البيان (تفسير الطبري)-دار الفكر-بيروت-لبنان-1408 هـ.
- تاريخ الأمم والملوك-دار الفكر-بيروت-الطبعة الأولى-1417 هـ.


171) عارف أبو عيد: السياسة في الإسلام-مكتبة المنار-الأردن-الزرقا-الطبعة الأولى-1409 هـ.

172) عباس محمود العقاد:
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

- المرأة في القرآن - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة / 1969
- روح عظيم "mahatma gandhi" - منشورات المكتبة المصرية - بيروت - الطبعة الأولى - 813 - 1996

173) عبد الجليل التميمي:
الأمير عبدالقادر الجزائري في السنوات الأولى من إقامته بدمشق - جامعة دمشق - كلية الآداب - مطبعة الطرابلسي - 1979
- تحية تقدير للأساتذة شار روبرتور - منشورات التميمي للبحث العلمي والمعلومات - 1996

174) عبدالحليم اليسان الخوسي: الماسونية ذلك العالم المجهول - دار العلم للجميع - بيروت - الطبعة الأولى - 1954

175) عبد الحميد مسؤول: الشريعة الإسلامية - مسألة المعارف بالاسكندرية - الطبعة الأولى

176) عبد الرحمن البرج:
- عزيز المصري والحركة العربية (1908-1916) - مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام - مصر - 1979
- ساطع المصري (سلسلة أعلام العرب) - الهيئة المصرية للكتاب - 1988

177) عبد الرحمن الدوسي:
- اليهودية والماسونية - دار السنة - الخير - 1414 هـ - الطبعة الأولى
- الأجوبة المفيدة - دار الأسنان - الكويت - الطبعة الأولى - 1402 هـ
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

- صفة الآثار والمفاهيم-دار الأركم-الكويت-1424 هـ.


179 (1) عبد الرحمن السديس: الحاكمة في تفسير أضواء البيان-دار طيبة-الطبعة الأولى-1411 هـ.

180 (1) عبد الرحمن السعدي: تسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان-الرئاسة العامة لإدارات السحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد-المملكة العربية السعودية-الرياض-1440 هـ.

181 (1) عبد الرحمن الشهيد: مذكرات عبد الرحمن الشهيد-دار الإرشاد-بيروت-الطبعة الأولى-1386 هـ.

182 (1) عبد الرحمن الصابويني: عقيدة السلف أصحاب الحديث-الدار السلفية-الكويت-الطبعة الأولى-1404 هـ.

183 (1) عبد الرحمن القاسم: الدرر السنة-دار العربية-بيروت-لبنان-الطبعة الثانية-1403 هـ.

184 (1) عبد الرحمن القاسم: الدرر السنة في الأجوبة النجدية-الطبعة الخامسة-1416 هـ.

185 (1) عبد الرحمن الكواكبي:

- طبائع الاستبداد-مطبعة الدستور-مصر.
- أم القرى-الشرق العربي-بيروت-لبنان.

186 (1) عبد الرحمن بن حسن:
جمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

- قرة عيون المتحدين-دار الإفتاء-الطبعة الثالثة-1440 هـ.
- فتح المجيد-دار الفيضاء-دمشق-1414 هـ.

(187) عبد العزيز العبداللطيف: دعاؤوية المُناوين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب عرض ونقض-دار طبّية-الرياض-1409 هـ.

(188) عبد العزيز نوار: تاريخ العرب المعاصرين (مصر والعراق)-دار النهضة العربية-بيروت.


(190) عبد القادر عودة: الإسلام وأوضاعنا القانونية-مؤسسة الرسالة-بيروت-الطبّعة الثانية-1386 هـ.

(191) عبد القاهر البغدادي:

- الفرق بين الفرق-دار المعرفة-بيروت.
- أصول الدين-دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان-الطبّعة الثانية-1400 هـ.

(192) عبد القادر زلوم: كيف هدمت الخلافة-1382 هـ.


(194) عبد الكريم زيدان: أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام-مؤسسة الرسالة-الطبّعة الثانية-1396 هـ.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

195) عبدالله كريم مشهداني: العلمانية وآثارها على الأوضاع الإسلامية في

196) عبدالله التل:
- خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية-المكتب الإسلامي-بيروت-الطبعة الثالثة-1399 هـ.
- جذور البلاد (القسم الأول) -المكتب الإسلامي-بيروت-الطبعة الثالثة-1400 هـ.
- كارثة فلسطين-مطبعة مصر-1959.

197) عبدالله الدميحي: الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة-دار طيبة- الرياض-الطبعة الأولى-1407 هـ.

198) عبدالله الطريقي: الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي-الطبعة الأولى-1409 هـ.


200) عبدالله بن سعيد الرويشد: الإمام محمد بن عبدالوهاب في التاريخ-القاهرة-البابي الخليبي-1392 هـ.

201) عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب: مختصر سيرة الرسول-مكتبة الرياض-الحديثة-رياض.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

2) عبدالمطلب النمر: كفاح المسلمين في تحرير الهند-مكتبة وهبة-القاهرة- الطبعة الأولى-1383هـ.

3) عيدان الوهاب: تأريخ العرب الحديث-دار القلم-دي- الطبعة الأولى-1407هـ.


5) عثمان العامر: مقومات النهضة في الفكر القومي العربي-دراسة نقدية في ضوء الإسلام-جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-كلية الشريعة (رسالة دكتوراه لم تنشر).


10) علي الخزاعي: الإسلام وأهل الديما-إصدار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية-القاهرة-1389هـ.
211) علي الزهراني: الاختلافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجري-دار الرسالة-مكة المكرمة.

212) علي العلياني:

- أهمية الجهاد-دار طيبة-الرياض-الطبعة الأولى-500 هـ.
- حققية الكفر بِالطاغوت-دار التربية والتراث-مكة-الطبعة الأولى-1416 هـ.
- الرقى على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة-دار الوطن-الرياض-الطبعة الأولى-1414 هـ.


214) علي حسون:

- تاريخ الدولة العثمانية-المكتب الإسلامي-بيروت-الطبعة الثالثة-1415 هـ.

215) العثمانيون والبلقان-المكتب الإسلامي-الطبعة الثانية-1406 هـ.


217) عمرو فاخوری: كيف ينهض العرب-دار الأفاق الجديدة-الطبعة الأولى-1401 هـ.
24) فؤاد غصن: مذكراتي خلال قرن دار الرخائي-بيروت.
26) فـهـد بـارودي: مذكرات البارودي-دار الحياة-1371هـ.
27) فهد الرومي: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير-مؤسسة الرسالة-الطبعة الثانية-1403هـ.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والמוסليمين


229 فيليب دي طراز: تاريخ الصحافة العربية-بيروت-الطبعة الأدبية-1913.


231 قدری قلغمی: مدحت باشا أبو الدستور العثماني وخلال السلاطين.

232 القرطي: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام-مكتبة الحريم-الرياض.

233 القرطي: جامع أحكام القرآن-دار الكتب المصرية-الطبعة الثانية.

233 القسيس كاريل: الإنسان ذلك المجهول-ترجمة سعيد الطبعة الثالثة.

235 اللاكلائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة-دار طيبة-الرياض.

الطبعة الأولى.
المؤلفون والدراسات المعاصرة

237) ليكوس الطيب: نسخة الرسول العربي-دار الكشاف-بيروت-لبنان-
الطبعة الثالثة-1949.

238) لوتشرب ستورد: حاضر العالم الإسلامي-دار الفكر-بيروت-الطبعة

239) لوريانس: أعمدة المحكمة السبعة-دار الأفاق الجديدة-بيروت-الطبعة
الثالثة-1979.

240) لويس شيخو اليسوعي:

- السر المصون في شيعة الفرسون-الطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين-
بيروت-1910.

- تاريخ الآداب العربية-منشورات الدار المشرق-بيروت-الطبعة الثالثة-

- مذبحة الجبل (حسر اللهام عن نكبات الشام)-بيروت-الطبعة الثانية-
1983.

241) مازن مطقباني: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة
الوطنية الجزائرية-دار القلم-دمشق-الطبعة الأولى-1408 هـ.

242) مالك ابن أسن: المواط-دار النفائس-بيروت-الطبعة الرابعة-1400 هـ.

المؤلفون والدراسات المعاصرة

- أدب الدنيا والدين-الطبعة الثالثة-1401 هـ.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

- الأحكام السلطانية- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- الطبعة الأولى- 1405 هـ.
- 244 محمد الصافوري: سقوط الدولة العثمانية وأثره على الدعوة الإسلامية- دار الصحوة- مصر- الطبعة الأولى- 1410 هـ.
- 246 مجموعة من المستشرين: دائرة المعارف الإسلامية- دار المعارف- بيروت.
- 248 عبّد الدين الخطيب:
  - أوراق عبّد الدين الخطيب في القاهرة.
  - المؤتمر العربي الأول- جمع عبّد الدين الخطيب- القاهرة- 1331- 1913.
- سيرة حيل (خطوط)- مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية.
- 250 محمد أبو زهون: الحديث والخزيث- دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان- 1404 هـ.
251) محمد أبو شهبة: السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة-دار القلم- دمشق-الطبعة الثانية- 1411 هـ.

252) محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية-دار الفكر العربي.


254) محمد أنور شاه الكشميري: التصريح بما توارث في نزول المسيح- المطبوعات الإسلامية-حلب.


256) محمد البهيج: الإسلام والرق-دار التراث العربي-المصرية-الطبعة الأولى- 1399 هـ.

257) محمد الخضر حسنين: نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم-المكتبة السلفية-القاهرة.

258) محمد الشبيبي: حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه-الدار السلفية- الكويت-الطبعة الأولى- 1407 هـ.


الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين


263) محمد النجار: القول المبين في سيرة سيد المرسلين-دار اللواء-الرياض-1401 هـ.

264) محمد بن إبراهيم:
- تحقيم القرآن-دار المسلم-الرياض-الطبعة الأولى-1411 هـ.
- فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم-مطبعة الحكومة-مكة المكرمة-الطبعة الأولى-1399 هـ.

265) محمد بن أحمد السفاريي: لومع الأنواع البنية-المكتب الإسلامي-بيروت-لبنان.

266) محمد بن عبد الله عرفة: حقوق المرأة في الإسلام-الطبعة الأولى-1398 هـ.

267) محمد بن عبدالوهاب: مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب-جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-أبو بوعشقوات الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

268) محمد بن عثمان الشاوي: القول الأسد في الرد على الخصم الألد-مخطوط بجامعة الملك سعود-رقم 3421.
الجمعيات القومية العربية ووضعها من الإسلام والمسلمين

269) محمد توفيق صادق: تطور الحكم والإدارة في المملكة العربية السعودية - معهد الإدارة- الطرح الأول.

270) محمد جميل بيه:
- الحلقة المقودة في تاريخ العرب- مكتبة مصطفى الباني الخليي- مصر- الطبعة الأولى-1969.
- الوحدة العربية بين المد والجزر- الدار العلمية- بيروت- لبنان- الطبعة الأولى-1393 هـ.
- فلسفة تاريخ محمد- الدار الجامعة- بيروت.

271) محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة- دار الاقلم- دمشق- الطبعة الأولى-1409 هـ.

272) محمد حسين هيك:
- حياة محمد- دار المعارف- القاهرة- الطبعة السادسة عشر.

176) محمد سأرور: دراسات في السيرة النبوية، دار الأرم-الطبعة الأولى، 1964.
177) محمد سأرور: دراسات في السيرة النبوية، دار الأرم-الطبعة الأولى، 1964.
178) محمد حيدر رضا: تفكيك المراشبي، تأليف محمد حيدر رضا، من خلال مجلة المنارة، 1898-1935، الدار التونسية-تونس.
179) محمد سلطان المعصمي: هتل المسلم ملتزم بإتباع مذهب معين من المذاهب الأربعة، دار المعرفة-دمشق، الطبعة الثالثة، 1983.
180) محمد عبد السلام: السنن والمبتادات المتعلقة بالأذكار والصلاة، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان.
181) محمد عبد الغني حسن: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، سلسلة أعلام العرب، الجزء 90.
182) محمد عبد الله الطيفي الإصلاح، حركة الإصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني (1808-1839)، دار التراث-القاهرة، الطبعة الأولى، 1998.

285) محمد فريد وحّدي:

- المدنية والإسلام-المكتبة التجارية الكبرى-1353 هـ.
- السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة-دار المصرية اللبنانية-القاهرة-الطبعة الأولى-1414 هـ.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

286) محمد قربان نياز ملا: السلطان عبدالحميد الثاني وأثره في نشر الدعوة الإسلامية، مكتبة المنارة، 1408 هـ.

287) محمد قطب:
- مذاهب فكرية معاصرة، دار الشروق، بيروت، الطبعة الثانية، 1407 هـ.
- واقعنا المعاصر، مؤسسة المدينة للصحافة، جدة، الطبعة الأولى، 1407 هـ.

288) قضية تحرير المرأة، محمد قطب، مكتبة السنة، القاهرة، 1411 هـ.
- مفاهيم ينبغي أن تصحح، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1408 هـ.


290) محمد كرد علي:
- المعاصرون، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1401 هـ.
- خلط الشام، مكتبة النوري، دمشق، الطبعة الثالثة، 1401 هـ.
- كنز الأجداد، دار الفكر، سوريا، دمشق، 1401 هـ.

291) محمد لبيب السنوسي: الرحلة الحجازية للشركة التونسية، 1401 هـ.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والسلم.

292 محمد حسین:
- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر-مؤسسة الرسالة-بيروت-الطبعة السادسة-1403 هـ.
- حرسونا مهددة من داخلها-دار الرسالة-السعودية-الطبعة الثانية عشرة-1413 هـ.
- الإسلام والحضارة الغربية-مؤسسة الرسالة-بيروت-الطبعة الخامسة-1402 هـ.
- الإسلام والحضارة الغربية-مؤسسة الرسالة-بيروت-الطبعة الأولى-1402 هـ.


294 محمد يوسف موسى: نظام الحكم في الإسلام-دار المعرفة.


296 محمود الشاذلي: الماسونية عقيدة المولد وعار النهاية-مكتبة وهبة-مصر-الطبعة الأولى-1406 هـ.

297 محمود ثابت الشاذلي: المسألة الشرقية-مكتبة وهبة-القاهرة-الطبعة الأولى-1409 هـ.

299) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي-المكتب الإسلامي-بيروت-الطبعة الثانية-1403 هـ.
300) محمود شاكر الآلوسي: تتمة سليمان بن سمحان على تاريخ يحد الطبعة الثالثة-1411 هـ.
301) محمود منسبي: حركة اليقظة العربية في الشرق الآسيوي-دار الفكر العربي-1978.
302) مروان القسيسي: المرأة المسلمة بين اتجهادات الفقهاء وممارسات المسلمين-منظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة-الرباط-المغرب-الطبعة الأولى-1411 هـ.
303) المتروزي: اختلاف العلماء-عالم الكتب-بيروت-الطبعة الثانية-1406 هـ.
304) المزى: تمذيب الكمال في أسماء الرجال-مؤسسة الرسالة-بيروت-طبعة الأولى-1408 هـ.
305) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة-جميع تحقيق عبد الملك الأحمد-دار طيبة-الرياض-الطبعة الأولى-1412 هـ.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والسلم:

1082


- مصطفى صبري:
  - موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين - إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة - 1413 هـ.
  - السنيـر على منكري النعمة من الدين والخليفة والأمة - دار القداري - بيروت - الطبعة الأولى - 1411 هـ.

- مصطفى محمد الطحان: القومية بين النظرية والتطبيق - دار الوثائق - الكويت - الطبعة الأولى - 1409 هـ.


- مفرح القوسي: الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الواقف - كلية الشريعة - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (رسالة ماجستير) - 1409 هـ.

- المقريز: الخطط - 41.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

15) ممدوح الروساني: العراق وقضايا الشرق العربي القومية (1941 – 1958)
17) منير محمد نجيب: الحركات القومية في ميزان الإسلام، مكتبة الحرم - الطبعة الأولى - 1961 م.
18) مسعود الرضاي: الأعمال الفكرية والسياسية، مؤسسة منيف الرضاي للدراسات القومية - الطبعة الأولى - 1986 م.
19) المودودي: الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة، دار القلم - الكويت - الطبعة الثالثة - 1398 هـ
20) ميشال حجا: سليم البستاني، سلسة الأعمال المجهولة - رياض الريس للنشر.
21) ميشيل عفلق:
   - في سبيل البعث - دار الطباعة والنشر - الطبعة الخامسة - 1971 م.
   - في سبيل البعث - الطبعة الأولى - 1959 م.
22) نادية صريف العمري: اجتهاد الرسول - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثالثة - 1400 هـ.
23) ناصيف اليازجي: ديوان الشيخ ناصيف اليازجي (النهاذة الثالثة وهي المعروفة (بثلاث القرمين) - المطبعة الأدبية - بيروت - سنة 1903 م.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين


(325) يحيى عازوري: قصبة الأمة العربية-تربية أحمد بو ملحم-مؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت.

(326) الندوة:
- العرب والإسلام-مكتبة المناارة-مكة المكرمة-الطبعة الثانية-1401هـ.
- معاذا خسرو العالم بخطاط المسلمين-دار السلام-حلب-بيروت-الطبعة الحادية عشرة -1398هـ.


(330) النمو:
- المجموع-شرح المهذب-دار الفكر-بيروت-لبنان-الطبعة الأولى-1417هـ.
- شرح صحيح مسلم-دار إحياء التراث العربي-بيروت.

(331) س. مسترونج: الذئب الأخير-مصطفى كمال-نشر دار الهلال.
الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين

(334) الواقعي-المغازي-علم الكتب-بيروت-الطبعة الثالثة-400هـ-
(336) بلاد الشام (قراءة في الوثائق)- معهد الإفاما العربي.
(338) وليم سليمان قلادة: التسامح والدين والتواهم بين المعتقدات-سلسلة حوار الشهر-مركز أتحاد المحامين العرب للبحوث والدراسات القانونية- القاهرة.
(338) وهبه الريحاني:
- الفقه الإسلامي وأداته-دار الفكر-دمشق-الطبعة الثانية-1400هـ.
(339) ياسين سويد: مؤامرة العرب على العرب-المؤسسة العربي للأبحاث والتوثيق-بيروت-الطبعة الأولى-1992
الجمعيات القومية العربية ومؤفها من الإسلام والمسلمين

340) يحيى إسماعيل: منهج السنة في العلاقة بين الحاكم والمحكوم-دار الوفاء- المنصورة-1401 هـ.
341) يحيى بن الحسين: رسائل العدل والتوحيد-دار الشروق-القاهرة-الطبعة الأولى-1401 هـ.
342) يوسف البستاني: تاريخ حرب البلقان الأولى والثانية-مطبعة الهلال-القاهرة-1913.
344) يوسف القرضاوي: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي-مؤسسة الرسالة-بيروت-الطبعة الثانية-1401 هـ.
المجلات والدوريات

1 - جريدة أخبار العالم الإسلامي - تاريخ 11/6/1399 هـ.
3 - جريدة الأهرام - 578 - 1/17/1912.
4 - جريدة الأهرام - عدد 176 - 5/4/1913 - بتاريخ 1913.
5 - جريدة القبلة - العدد 1308 - السنة الأولى - بتاريخ 19/4/1930.
6 - جريدة المؤيد - عدد 69 - 16/4/1913.
7 - جريدة المحرosa، مقالة بقلم شلي شميل بتاريخ 25/1913.
8 - جريدة المفيد - 9/12/1913 - بتاريخ 9/1913.
9 - جريدة المفيد - عدد 1379 - بتاريخ 18/9/1913.
10 - جريدة المقتطف الجزء 6 - 270-1910 - مارس.
11 - القبس - العدد الأول - 30-أيلول 1913.
12 - مجلة أضواء العريضة- العدد الحادي عشر - مجلة دورية تصدرها كلية الشرعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- سنة 1430 هـ- ص 504 وما بعدها.

مقال: خليل أحمد الحمدي.


(15) مجلة الإخاء-العدد التاسع والعشرون-30 أيلول-1950-السنة الأولى.


(17) مجلة الرسالة-العدد (137) -تاريخ 1383/7/12-1962هـ-السنة الحادية والعشرون-ص:1.


(19) مجلة الزهراء-محم الدين الخطيب-المجلد 3-ربع الأول 1345-ص:201.

(20) مجلة العالم العربي-عدد 271-بعنوان (النشر والقومية العربية)-محمود تيمور.


(22) مجلة العربي-العدد 22-الكويت-كاتب المقال: محمد جميح بيهم.

(23) مجلة العربي-العدد الأول-ديسمبر 1958-مقال أحمد زكي-افتتاحية العدد.


(25) مجلة العربي-عدد يناير 1959.
الجمعيات القومية العربية وموفقاتها من الإسلام والتسليم

(٢٦) مجلة الفتح-رقم العدد ٢٢-الموافق ١٣٤٦/٥/٣٠-الصدر ١٢٧/١١-نوفمبر ١٩٤٨.

(٢٧) مجلة القضاء العراقي-السنة الثانية-العددان الأول والثاني-صفر سنة ١٣٥٥.

(٢٨) مجلة المجتمع الكويت-العدد ١١١-١١/٥/٥٠-٤١٤/١٣٢٨.

(٢٩) مجلة المجتمع العلمي العربي-الجلد ١-الجزء ١٠-تاريخ ٢١/٤/٣٩٩-١٣٣٩.

(٣٠) ص ١٩.

مجلة المستقبل العربي-العدد الأول-السنة الخامسة-١٩٧٨.

(٣١) مجلة المعرفة-العدد العشرون- ذو القعدة لعام ١٤١٧-ص ١١.

(٣٢) ص ٢٠٠-١٢٢-١٩٩٠.

(٣٣) ص ٢٣٢٨-١٣٩٩.

مقال: (النهضة الدستورية-فارس ممر).

(٣٤) ص ١٣٢٦/١٧/٤/٩٠-١٩٠٤.

المواقع: ص ٧٨١.

(٣٥) ص ١٩٠٨.

(٣٦) ص ١٩١٣.

(٣٧) ص ٢٠٠.

(٣٨) ص ٢٠٠.

(٣٩) ص ٨٩-١٣٢٦/٣/٩/٠-القانون الأساسي.
المجلة القومية العربية و موقعها من الإسلام والمسلمين

40) مجلة دراسات تاريخية - مجلة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق-العدد 11-سنة 1403 هـ-مفهوم اللامركزية-سهيلا.

41) مجلة دراسات تاريخية- مقال سهيلا الرماوي- العدد الحادي عشر-ربيع الثاني 1403 هـ-ص 152.

42) مجلة دراسات تاريخية- السنة الرابعة-العدد الحادي عشر-ربيع الأول 1403 هـ-مقال بعنوان تطور مفهوم اللامركزية عند العرب العثمانيين-سهيلا الرماوي.


مقال سهيلا الرماوي.

44) مجلة قضايا عربية-العدد (3/4)-السنة الثانية-1975-ص 120.

45) مجلة لواء الإسلام-العدد الثامن-ربيع أول 1367 هـ-الموافق فبراير 1948-ص 4-بعنوان (وحدة الشعوب الإسلامية)-أحمد حمزة.

46) مجلة جمع اللغة العربية بدمشق-الجزء 3-المجلد 45-ربيع الآخر سنة 1390 هـ-ص 590.


49) نسائل البحث-منشورات دار الطليعة-بيروت/1964-187.
### فهرس الموضوعات

<table>
<thead>
<tr>
<th>الموضوع</th>
<th>الصفحة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>الباب الثاني: موقف جمعيات القومية العربية من العقيدة الإسلامية</td>
<td>597</td>
</tr>
<tr>
<td>الفصل الثاني: موقف جمعيات القومية العربية من أصول العقيدة الإسلامية</td>
<td>599</td>
</tr>
<tr>
<td>المبحث الأول: موقف الجمعيات من التوحيد</td>
<td>601</td>
</tr>
<tr>
<td>المبحث الثاني: موقف الجمعيات من توحيد العبادة</td>
<td>628</td>
</tr>
<tr>
<td>المبحث الثالث: موقف الجمعيات من تحكيم الشريعة</td>
<td>647</td>
</tr>
<tr>
<td>المبحث الثاني: موقف الجمعيات من عقيدة الولاء والبراء</td>
<td>691</td>
</tr>
<tr>
<td>1. الولاء والبراء على أساس اللغة</td>
<td>699</td>
</tr>
<tr>
<td>2. الرهم بعدم وجود خلاف بين المسلمين والنصارى</td>
<td>704</td>
</tr>
<tr>
<td>3. يتفقون في العقيدة ويتفقون في المعتقد القومي</td>
<td>709</td>
</tr>
<tr>
<td>المبحث الثالث: موقف الجمعيات القومية من نبوة الرسول م. وسيرته</td>
<td>740</td>
</tr>
<tr>
<td>القسم الأول: وصف الرسول م. بصفات لا تلقى تقدّم البوة</td>
<td>756</td>
</tr>
<tr>
<td>القسم الثاني: موقف الجمعيات من آيات النبي م.</td>
<td>764</td>
</tr>
<tr>
<td>1. حادثة انشقاق القمر</td>
<td>770</td>
</tr>
<tr>
<td>2. حادثة شق صدر الرسول م.</td>
<td>782</td>
</tr>
<tr>
<td>3. نزول المسبح عيسى بن مريم</td>
<td>785</td>
</tr>
<tr>
<td>4. حينئذ الجذع، ونبوءة الماء من بين يدي الرسول م.</td>
<td>786</td>
</tr>
<tr>
<td>المبحث الثالث: موقف الجمعيات من سيرة الرسول م.</td>
<td>790</td>
</tr>
<tr>
<td>1. قبل البعثة</td>
<td>790</td>
</tr>
<tr>
<td>2. العهد الملكي</td>
<td>800</td>
</tr>
<tr>
<td>الباب الثالث: موقف الجمعيات القومية نحو الدعوات الإصلاحية المعاصرة لها</td>
<td>817</td>
</tr>
</tbody>
</table>
الفصل الأول: موقفها من الدولة العثمانية والدعوة إلى الجامعة الإسلامية .................................................. 819
المبحث الأول: الدولة العثمانية ................................................................. 819
1. انتقال الدولة العثمانية مستعمرة للفترة العربية .......................... 825
2. القضاء على الحلفة الإسلامية .............................................................. 828
3. طلب مناصرة الدول الكافرة للمفاهيم القومية .................................. 839
المبحث الثاني: موقفها من الجامعة الإسلامية ................................. 848
الفصل الثاني: موقف الجمعيات القومية من دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب ............................................. 859
1. وصف الدعوة بأنها مذهب محدث في الإسلام .................................... 870
2. نقد منهج الدعوة بزوال الشرك من واقع المسلمين ....................... 875
3. اعتبار الدعوة حركة سياسية ذات مطلع مادي ................................. 884
الباب الرابع: موقف العلماء المعاصرين من هذه الجمعيات ....... 897
المبحث الأول: دور العلماء في بيان الدين ومحاربة البدع ....... 899
المبحث الثاني: موقف العلماء المعاصرين للجمعيات القومية العربية 900
1. الشيخ عاطف أفاضي ................................................................. 920
2. الشيخ أحمد تن旨 بابان زاده ...................................................... 927
3. الشيخ علوي بن أحمد السناف ...................................................... 935
4. الشيخ سليمان بن سمحان .......................................................... 938
5. الشيخ محمد بن عتيق ............................................................... 940
6. الشيخ مصطفى صبري ............................................................... 943
7. الشيخ أحمد شاكر ................................................................. 947
8. الشيخ محمد بن إبراهيم .......................................................... 949
9. الأستاذ محمد صادق الرفاعي ...................................................... 950
10. الشيخ علي حامية ................................................................. 953
11. الشيخ حماد الفقي ................................................................. 956
12. الشيخ أبو الأعلى المودودي ...................................................... 958
13. الشيخ محمد ناصر الدين الالياني ............................................. 961
14. الشيخ أبو الحسن الدوئي ........................................................... 966